المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

موقف الإسلام

من

الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة

(إقليم سرحد نموذجا)

أصل هذا البحث رسالة علمية مقدمة لنيل الدرجة العالمية (الماجستير)

إعداد الباحث:
عبد الرزاق بن محمد بشر

عام : ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه:

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل الدرجة العالمية(الماجستير) من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

ونُوقشت الرسالة من قبل اللجنة العلمية المكونة من أصحاب الفضيلة:

- الشيخ: الأستاذ، الدكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي مقررا.
- الشيخ: الدكتور/ محمد باكريم بن محمد باعبد الله مناقشا.
- الشيخ: الدكتور/ محمد بن عبد الوهاب العقيل مناقشا.

وأوصت بقبول الرسالة ومنح الباحث الدرجة العالمية (الماجستير).

بتقدير: ممتاز، مع مرتبة الشرف: الأولى.

وذلك في يوم الأحد ٢٠/١١/ ١٤٢٩هـ الموافق ٠٨/١١/ ٢٠٠٩م.

وأرجو كل من يطلع على أيّ خطأ في هذا البحث- من أي نوع كان- أن ينبّه المؤلف عن طريق إحدى العناوين الالكترونية الآتية؛ ليتدارك الخطأ. والله يجزيكم خيرا.

(a.razzaq٣٣@Gmail.com).
(a.razzaq٣٣@yahoo.com).
(a.razzaq٣٣@hotmail.com).

أخوكم

عبد الرزاق بن محمد بشر

٢٥/٠١/١٤٣١هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

موقف الإسلام

من

الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة

(إقليم سرحد نموذجا)

أصل هذا البحث رسالة علمية مقدمة لنيل الدرجة العالمية (الماجستير)

إعداد الباحث:

عبد الرزاق بن محمد بشر

عام : ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه:

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل الدرجة العالمية(الماجستير) من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

ونُوقشت الرسالة من قبل اللجنة العلمية المكونة من أصحاب الفضيلة:

- الشيخ: الأستاذ، الدكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي مقررا.
- الشيخ: الدكتور/ محمد باكريم بن محمد باعبد الله مناقشا.
- الشيخ: الدكتور/ محمد بن عبد الوهاب العقيل مناقشا.

وأوصت بقبول الرسالة ومنح الباحث الدرجة العالمية (الماجستير).

بتقدير: ممتاز، مع مرتبة الشرف: الأولى.

وذلك في يوم الأحد ٢٠/١١/ ١٤٢٩هـ الموافق ٠٨/١١/ ٢٠٠٩م.

وأرجو كل من يطلع على أيّ خطأ في هذا البحث- من أي نوع كان- أن ينبّه المؤلف عن طريق إحدى العناوين الالكترونية الآتية؛ ليتدارك الخطأ. والله يجزيكم خيرا.

(a.razzaq٣٣@Gmail.com).
(a.razzaq٣٣@yahoo.com).
(a.razzaq٣٣@hotmail.com).

أخوكم

عبد الرزاق بن محمد بشر

٢٥/٠١/١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد:

« فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»(٤).

وإن توحيدَ الله –عزّ وجلْ– هو الأساسُ الذي يقوم عليه بنيانُ دين الإسلام، فصلاحُ كلِّ مسلم، وعزُّه، وشرفُه مربوطٌ بسلامةِ توحيدِه وعقيدتِه، وقد خلق الله تعالى عباده مفطورين على توحيده، ولكنَّ الشياطينَ اجتالتهم عن الصراط المستقيم، وأوقعتهم في أنواع من الانحرافات المتعلقة بتوحيد رب العالمين، من شركٍ وبدعةٍ وخرافةٍ وغيرها مما يُضادُّ المنهج القويم، ومِن ثَمَّ جاءت رسالاتُ الأنبياءِ –عليهم الصلاة والسلام– كلُّها تنادي –أولا– بالدعوة إلى التوحيد، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ

---

(١) آل عمران (١٠٢) .

(٢) النساء (١) .

(٣) الأحزاب (٧٠-٧١).

(٤) سنن النسائي كتاب صلاة العيدين باب كيفَ الخُطْبَةُ ص:٢٦٠(ح١٥٧٨)، وقال الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن النسائي للألباني١/٥١٢(ح١٥٧٧) وورد الحديث في صحيح مسلم دون قوله: «**وكل ضلالة في النار**». يُنظر: كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة٦/٣٩٢(ح٢٠٠٢).

ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1]؛ وقد عانتِ الأمةُ الإسلامية بسبب الانحرافات في توحيد ربها، أزمَاتٍ ونَكَباتٍ مختلفةٍ ومتعددةٍ، فكان من واجبِ أتباعِ الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من العلماءِ والدعاةِ وطلبةِ العلمِ الاقتداءُ بهم في القيام بمعالجة تلك الانحرافاتِ المنتشَرَةِ في مجتمعاتهم،وذلك بشتى الوسائلَ والأسبابِ المشروعةِ المتوفرةِ لديهم، لعل اللهَ -سبحانه وتعالى- يباركَ في جهودِهم، ويَهْديَ بهم، ويُصلِح ما فَسَدَ من أحوالِهم، ويرفَعَ من المجتمعِ ما نزل به من المحن والفتن

أهمية الموضوع:

إن أهميةَ كلِّ موضوعٍ بحسبِ متعلَّقه، ولاشك أن موضوع بحثي من أهم الموضوعات؛ ويمكن أن تتلخص أهمية هذا الموضوع في نقاط عدة منها:

- أنه موضوع حول توحيد العبادة، وهو أهم ما كُلِّف به الإنسانُ في حياته الدنيوية، ولم يُخْلق إلا من أجلِه، قال الله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].
- أن الخطأ والانحراف في توحيد العبادة أمره خطير؛ إذ أنه خطأ وانحراف في حق الله ﷻ؛ وتصحيح ذلك من أولويات الأمور لدى الدعاة والمصلحين.
- أن بيان موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة لدى بعض أهل بلادي، هو قيام بما قام به الأنبياء من حماية جناب التوحيد، وتحذيرِ أقوامهم من الوقوع في الانحرافات المتعلقة به.
- أنه لم يكتب- فيما أعلم- كتاب جمع فيه الانحرافاتُ المتعلقة بتوحيد العبادة الواقعةُ في إقليم سرحد في(باكستان) وبيان موقف الإسلام منها، وهذا البحث إسهام -بإذن الله تعالى- في علاج تلك الأمراض الخطيرة. كل هذا وغيره يبرز أهمية هذا موضوع .

---

(١) سورة النحل (٣٦).
(٢) سورة الذاريات(٥٦).

خطة البحث:

البحث احتوى على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

أما المقدمة: فاشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات المشابهة للموضوع، وخطة البحث، ومنهج البحث.

وأما التمهيد: ففي شرح مفردات عنوان البحث، وبيان أسباب الانحرافات، وسبل معالجتها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : شرح مفردات عنوان البحث، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: معنى الانحرافات، وخطورتها.

المطلب الثاني: معنى التوحيد لغة، و شرعا، وأنواعه.

المطلب الثالث: معنى العبادة لغة، وشرعا، و أنواعها.

المطلب الرابع: معنى توحيد العبادة، وعلاقته بأنواع التوحيد الأخرى.

المطلب الخامس: التعريف بإقليم سرحد، و دخول الإسلام إليه.

المطلب السادس: معنى الموقف، والإسلام، وعلاقة الإسلام بالإيمان.

المبحث الثاني: أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، في إقليم سرحد، وسبل معالجتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة.

المطلب الثاني: سبل معالجة الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة.

الباب الأول: الانحرافات المتعلقة بأعمال القلب في إقليم سرحد في (باكستان)، وموقف الإسلام منها، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول:الانحرافات المتعلقة بالمحبة، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: معنى المحبة وأنواعها.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالمحبة.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الفصل الثاني: الانحرافات المتعلقة بالخوف، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:معنى الخوف،و أنواعه.

الفصل السادس: الانحرافات المتعلقة بالرقى، وموقف الإسلام منها،وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الرقى، وأنواعها.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالرقى.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الفصل السابع:الانحرافات المتعلقة بالتعبيد في الأسماء، وموقف الإســـلام منـــها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التعبيد في الأسماء، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالتعبيد في الأسماء.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الباب الثالث : الانحرافات المتعلقة بأعمال الجوارح عدا اللسان،في إقليم سرحد في (باكستان)، وموقف الإسلام منها، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: الانحرافات المتعلقة بالركوع والسجود، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:معنى الركوع والسجود، وأنواعهما.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالركوع، والسجود.

المبحث الثالث:موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الفصل الثاني: الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف، وموقف الإسلام منها،وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: معنى الاعتكاف، وأنواعه .

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الفصل الثالث: الانحرافات المتعلقة بالطواف، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الطواف، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالطواف.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الفصل الرابع: الانحرافات المتعلقة بالذبح، وتقديم القرابين، وموقـف الإسـلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الذبح، والقرابين وأنواعهما.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالذبائح وتقديم القرابين.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الفصل الخامس: الانحرافات المتعلقة بالتمائم، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التمائم، وأنواعها.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالتمائم.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الفصل السادس: الانحرافات المتعلقة بتقديس الأزمنـة، والأمكنـة، وغيرهـا، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التقديس، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها .

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بتقديس الأزمنة، والأمكنة، وغيرها.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليها من خلال البحث.

الفهارس: ذيّلت البحث الفهارس العلمية التي تخدم البحث:

منهج البحث:

كان منهجي -بفضل الله وإحسانه- في هذا البحث على النحو التالي:

١- التركيز على ذكر الانحرافات القادحة في إخلاص العبادة لله تعالى.

٢- جمع ما يتيسر لي جمعه من الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة من خلال الدراسة الميدانية، أو المقابلة الشخصية، أو قراءة الكتب، والرسائل، والدوريات، أو غيرها مما كان يمس هذا الموضوع، وقد وضحت بعض الانحرافات الواقعة في إقليم سرحد، بالأمثلة الحية، كنموذج على أرض الواقع.

٣- قسّمت ما اجتمع لي من الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة على الأبواب والفصول.

٤- شرحت عنوان كل فصل في مبحث مستقل حتى يتضح المراد منه.

٥- أَتْبَعْتُ ذلك بعرض وتقويم الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة على النحو التالي:

أ - ذكرت الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة الخاصة بكل فصل، ووثقتها من مصادرها المذكورة سابقا حسب الإمكانيات المتوفرة عندي.

ولم أجمع الانحرافات من جميع المصادر، بل اكتفيت بما يدل على وجود هذا الانحراف لدى بعض الناس في إقليم سرحد.

كما أنني أسندت الانحرافات إلى الكتب التي هي منتشرة بين الناس في إقليم سرحد، سواء كان مؤلف الكتاب يعيش في الإقليم أو ارتحل منه، أو لم يكن المؤلف من سكان الإقليم، إلا أن كتابه متداول ومعتمد بين سكان إقليم سرحد.

ب - بيّنت موقف الإسلام من هذه الانحرافات المتعلقة بضوء الكتاب والسنة، وأقوال علماء هذه الأمة.

٦- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٧- خرّجت الأحاديث النبوية، والآثار الواردة في صلب البحث من مصادرها- ولم ألتزم بتخريجها من جميع المصادر التي ورد فيها- فما كان في الصحيحين

خرجته منهما، أو من أحدهما، وما لم يكن كذلك نقلته، ثم نقلت كلام أهل العلم في تصحيحه أو تضعيفه.

٨- شرحت الألفاظ الغريبة الواردة في صلب الموضوع.

٩- قمت بترجمة النصوص غير العربية إلى اللغة العربية - مع بقاء بعض الكلمات التي دعت الحاجة إلى عدم ترجمتها -.

١٠- أبقيت أسماء المراجع غير العربية كما هي، حتى لا يتوهم كونها بالعربية، وأخرّت ترجمتها بالعربية إلى فهرس المصادر والمراجع.

١١- قمت بترجمة الأعلام غير المشهورين الواردة في البحث.

١٢- ذكرت تعريفا موجزا للأديان، والفرق، والمذاهب، الواردة في البحث.

١٣- وضعت علامات الترقيم، وضبطت ما يحتاج إلى ضبط.

١٤- استخدمت في البحث الرموز التالية:

أ- { ح } جنب الأرقام: تدل على رقم الحديث.

ب- { اهـ } الألف والهاء المفردتان: تدلان على أن الكلام المنقول انتهى.

ت- { الخ } لفظ مختصر من جملة: إلى آخره.

ث- {﴿ ﴾} الزهراوان: خاصان بنصوص القرآن الكريم.

ج- { [ ] } المعكوفان: يدلان على أن الكلام بينهما من كلامي.

ح- {« »} القوسان المزدوجان: يدلان على أن الكلام بينهما منقول بنصه.

خ- { " " } علامتا التنصيص: أستخدمهما أحيانا فيما يدل عليه القوسان المزدوجان، وخاصة إذا كانتا في أثناء الكلام المنقول بنصه.

د- { ... } ثلاث نقط متتالية تدل على الحذف.

ذ- {( )} القوسان المفردان: يدلان على أن الكلام بينهما ترجمة النص غير العربي.

ر- { = } علامة يساوي في نهاية الهامش: تدل على أن الهامش ما زال باقيا.

ز- { = } علامة يساوي في بداية الهامش: تدل على أن الهامش متصل بالصفحة المتقدمة.

كلمة شكر وتقدير.

قال الله تبارك وتعالى:﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [1] عملا بهذه الآية الكريمة، أحمد الله ربي ﷻ وأشكُره، على ما منَّ به عليَّ من نعمائه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وأعظَمُها على الإطلاق العقيدة الإسلامية الصحيحة السليمة، فلله الحمد والشكر كما يليقان بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وله الحمد أولا وآخِرا.

ومن منطلق قول النبي -ﷺ- :« **لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» [2].

أشكر ولاة الأمر بالمملكة العربية السعودية؛ والقائمين على هذه الجامعة على ما يبذلون من جهد جهيد في خدمة طلبة العلم الشرعي، وأخص بالشكر أعضاء قسم العقيدة أساتذتي الكرام، فجزاهم الله عنا، وعن الإسلام خير الجزاء.

كما أخص بفائق الشكر والعرفان أستاذي الكريم، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ **إبراهيم بن عامر الرحيلي** – حفظه الله تعالى ورعاه- الذي أشرف على هذا البحث، ولم يَقْتَصِر إشرافُه على ساعات الدوام، بل استمر في سنة تفرغِه، وخارج الدوام، وبذلي من علمه وتوجيهاته السديدة الشيء الكثير، وقَوَّم لساني وقلمي، فاستفدت من ملحوظاته القيمة البناءة، وكان لمتابعته المستمرة أثر بالغٌ – بعد توفيق الله وإحسانه- في حل المشاكل التي لا يخلو منه البحوث والرسائل العلمية، فجزاه الله خيرا.

والثناء العطر، والشكر الجزيل موصول لكلٍ منْ:

فضيلة الشيخ الدكتور/**محمد باكريم بن محمد باعبد الله.**

وفضيلة الشيخ الدكتور/ **محمد بن عبد الوهاب العقيل.**

وهما الشيخان الكريمان اللذان تفضلا بقبول مناقشة بحثي هذا مع ضخامة حُجمهِ مِنْ بَيْن أساتذةِ قسم العقيدة بالجامعة، وامضيا الوقت الكثير في قراءته وتقييمه، وسأستفيد من ملحوظاتهما القيمة – إن شاء الله تعالى-.

---

(١) سورة البقرة(١٥٢).

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في شكر المعروف ص:٨٧٢(ح٤٨١١)، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده٢/٢٩٥، وقال محققو المسند: صحيح على شرط مسلم. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ١٣/٣٢٢ (٧٩٣٩).

ولا أنسى أن أشكر كل من ساعدني، بأي نوعٍ من أنواع العــون والمــساعدة كإعارة كتاب، أو الترجمة والتعريب، أو تصحيح الخطأ والتصحيف، أو ترتيب الفهرسة و التنسيق، أو غير ذلك، فأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

ومرة أخرى وليست أخيرة أشكر الله ﷻ بأن وفقني لإنجاز هذا البحث، وأسأله ﷻ أن يجعله نافعا لكاتبه، وقارئه، وجميع المسلمين، وأن يتجاوز عني مما كان فيه من تقصير أو زلل، فما كان فيه من صواب، فبفضل الله وحسن توفيقه، وما كان فيه من خطأ؛ فأستغفر الله العفوّ الغفار، وهو ولي الغفران، وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقني لكل ما يحبه ويرضاه، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع قريب مجيب.

وصلّ اللهم على خير خلقك، محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

التمهيد

من هذه الصفحة فما بعدها بدأ البحث الذي قدم لقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

التمهيد

في شرح مفردات عنوان البحث، وبيان أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة ،في إقليم سرحد، وسبل معالجتها، وفيه مبحثان :

المبحث الأول :شرح مفردات عنوان البحث.

المبحث الثاني: أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة في إقليم سرحد، وسبل معالجتها.

المبحث الأول:

شرح مفردات عنوان البحث،

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى الانحرافات، وخطورتها في توحيد العبادة.

المطلب الثاني: التوحيد لغة، وشرعا، وأنواعه.

المطلب الثالث: العبادة لغة، وشرعا، وأنواعها.

المطلب الرابع: توحيد العبادة، وعلاقته بأنواع التوحيد الأخرى

المطلب الخامس: التعريف بإقليم سرحد، ودخول الإسلام إليه.

المطلب السادس: معنى الموقف والإسلام، وعلاقة الإسلام بالإيمان.

المطلب الأول

معنى الانحرافات، وخطورتها في توحيد العبادة.

إن أعظم ما ورد تقريره وأقيمت عليه البراهين والدلائل في الكتاب والسنة هو توحيد العبادة[1] وهذا الأصل العظيم هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها، وأفضلها، وألزمها لصلاح وإصلاح الإنسانية جمعاء.

فهو الغاية العظيمة التي خلق الله لأجلها العباد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2].

وهو أول واجب على المكلف، قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه[3] حين بعثه إلى اليمن: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى...**»[4].

قال ابن أبي العز -رحمه الله-[5]: فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا، قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[6]؛ فهو أول واجب وآخر واجب»[7].

---

(١) وسيأتي توضيح معنى توحيد العبادة في المطلب الثالث إن شاء الله ص:٥٠.

(٢) سورة الذاريات (٥٦).

(٣) **معاذ:** هو معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وأحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول ﷺ، شهد بدرا والمشاهد كلها، توفي عام ١٨هـ ينظر ترجمته في: أسد الغابة لابن الأثير٥/١٨٧(٤٩٦٠)، والإصابة لابن حجر٦/١٧(٨٠٥٥)، والأعلام للزركلي ٧/٢٥٨

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى١٣/٤٢٤ (ح٧٣٧٢).

(٥) **ابن أبي العز:** هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفي ولد ٧٣١هـ وتوفي ٧٩٢هـ فقيه ولي القضاء بدمشق ثم الديار المصرية ثم دمشق. ينظر ترجمته في مقدمة كتابه شرح العقيدة الطحاوية بقلم عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط ص: ٦٧، والدرر الكامنة لابن حجر٣/١٥٩و هدية العارفين للبغدادي ١/٧٢٦، ومعجم المؤلفين لكحالة ٢/ ٤٨٠ (٩٧٧٣).

(٦) سنن أبي داود كتاب الجنائز باب في التلقين ص: ٥٦٢(ح٣١١٦)،وقال الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٣/٦٠٢(ح٣١١٦).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/٢٣.

والمشركون كانوا مقرين بأن الله خالق السماوات والأرض ومن فيهما؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (١)، لكن ذلك لم يعصم دماءهم، وإنما عصم دماءهم توحيد العبادة، وبه ينجو الناسُ من العقاب الدنيوي والعذاب الأخروي، قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَ هم، وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**» (٢).

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**» (٣).

وإذا كان توحيد العبادة أعظم الأصول على الإطلاق، فمتى حصل على أكمل الوجه وأتمه؛ كان سببا لصلاح الفرد و المجتمع، ومتى ضعُف ونقص كماله، أو أفسده شيء أو نقضه كان خطورته على الفرد والمجتمع أشد ما يكون؛ لأن الانحراف في توحيد العبادة أخطر الانحرافات على الإطلاق، وأشنعها، وأفسدها، وأقبحها، وسيأتي بيان ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى.

ولما كانت الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة بهذه المثابة ينبغي أن نعرف معنى الانحراف أولاً، ثم خطورته في توحيد العبادة على الفرد والمجتمع وذلك في فرعين:

الفرع الأول: معنى الانحرافات.

أصل الكلمة: (الحاء، والراء، والفاء) ثلاثة أصول:

١- حد الشيء.

٢- العدول.

٣- تقدير الشيء (٤).

---

(١) سورة لقمان (٢٥).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإيمان باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ١٠٣/١ (ح ٢٥).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ٢٨١/١ (ح ٢٦٩).

(٤) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٢٥٥.

الأصل الأول:حدّ الشيء.«حرفُ كل شيء حدّه كالسيف وغيره، ومنه الحرف، وهو الوجه تقول: هو من أمره على حرف واحد أي طريقة واحدة، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍۖ ﴾[1]. أي: على وجه واحد، وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه عند السراء والضرّاء؛ فإذا أطاعه عند السراء وعصاه في الضرّاء، فقد عبده على حرف، ألا تراه قال تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾[2]»[3].

الأصل الثاني: الانحراف عن الشيء، يقال: انحرف عنه ينحرف انحرافاً، وحرّفته أنا عنه أي عدلت به عنه، وذلك كتحريف الكلام وهو عَدْلُه عن جهته، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[4] اهـ[5].

الأصل الثالث: المِحرَاف، حديدة أو الميل الذي يقدر ويقاس بها الجراحات عند العلاج والمحارفة هي المقايسة الجرح بالِمحراف[6].

تصريف الكلمة: هو انفعال من انحرف ينحَرِف انحرافاً.

فالانحراف: هو العدول والميل.

قال الأزهري –رحمه الله–[7]: إذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرّف وانحرف واحْرَوْرَفَ[8].

---

(١) سورة الحج (١١).

(٢) سورة الحج (١١).

(٣) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٢٥٥.

(٤) سورة النساء (٤٦).

(٥) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٢٥٥.

(٦) المصدر السابق ص: ٢٥٥.

(٧) **الأزهري**: هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أديب، لغوي كان رأسا في اللغة والفقه، ولد في هراة بخراسان سنة ٢٨٢ هـ وتوفي بهراة سنة ٣٧٠ هـ من تصانيفه تهذيب اللغة وغيرها . سير أعلام النبلاء للذهبي ٣١٥/١٦(٢٢)، ومعجم الأدباء لياقوت ١٦٤/١٧.

(٨) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/٥.

فالانحراف المتعلق بتوحيد العبادة: هو الميل، والعدول عما يجب في حـــق الله ﷻ، ويكون الانحراف في توحيد العبادة بالإفراط، أو التفريط.

فالإفراط: هو التقدم ومجاوزة الحد في الأمر ومثله الغلوّ.

قال ابن فارس -رحمه الله- [1]: «أفرط إذا تجاوز الحد في الأمر، يقولـــون: إيـــاك والإفراط أي لا تَتَجاوز القدر»[2].

والتفريط: هو التقصير وإزالة الشيء عن مكانه، ومثله الجفاء.

قال ابن فارس-رحمه الله-: «وكذلك التفريط وهو التقصير؛ لأنه إذا قصّر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له» [3].

فالانحراف في توحيد العبادة، بالإفراط والغلوّ، يكون بتجاوز الرجل حدَّ الشيء إلى ما فوقه،كأن يجعل للعبادة طريقة مِن نفسه غير الطريقة التي جعلها الله للعبادة، وبيّنـــها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

والانحراف في توحيد العبادة بالتفريط والجفاء، يكون بالتقصير في إعطاء حـــقٍّ مـــن حقوق الله عزّ وجل، كأن لا يُفرِده سبحانه في ذلك الحق، بل يجعل له شريكا فيه غيره، سواء أشْرَكَه معه من كل الوجوه أو بعض الوجوه.

الفرع الثاني: خطورة الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة.

إن ما يرتكبه الإنسان من الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، قد ترجع خطورته وأضراره عليه، ومنها ما تتعدى خطورته وأضراره إلى غيره حتى يصاب به المجتمع كله.

أولا: أضرار الانحرافات التي ترجع على الفرد ما يلي:

---

(١) **ابن فارس**: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني، لغوي، محدث، كان رأســا في الأدب، وكان شافعيا؛ فصار مالكيا. توفي سنة٣٩٥هـ من تصانيفه مجمل اللغـــة وغيرهـــا. ينظـــر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٣/١٧(٦٥) معجم الأدباء لياقوت٨٠/٤، وفيـــات الأعيـــان لابن خلكان ١٨٨/١(٤٩).

(٢) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٨٤١.

(٣) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٨٤١.

١- **أن المنحرف عن توحيد العبادة بارتكاب ما يناقض أصله، محروم من مغفرة الله عزّ وجل** مع سعة رحمته وغفرانه للمذنبين، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١]، ولكن الانحراف المناقض لأصل التوحيد يحُول دونه ودون مغفرة الله عزّ وجل لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[٢].

٢- **أن المنحرف عن توحيد العبادة، محروم من الشفاعة**، قال عليه الصلاة والسلام: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه** »[٣]، قال الملا علي القاري الحنفي[٤]-رحمه الله-: «أي لا يشوبه شك وشرك ولا يخلطه نفاق وسمعة ورياء ...»[٥]. وهذا يفيد أن المشرك - المنحرف عن توحيد العبادة - محروم من الشفاعة المنجية من النار الموجبة للجنة[٦].

٣- **أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة يحرم من الورود على حوض النبي** صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم القيامة؛ لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**أنا فَرَطُكم على الحوض وليرفعن رجال منكم، ثم يُختلَجُنَّ دوني ؛ فأقول أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٧].

---

(١) سورة الزمر (٥٣).

(٢) سورة النساء (٤٨).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب العلم، باب الحرص على الحديث ١/٢٥٥ (ح ٩٩).

(٤) **الملا علي القاري:** هو علي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد بهراة وتوفي بمكة عام ١٠١٤ هـ . ينظر ترجمته في :الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث لخليل قوتلاي ص:٤١ وما بعدها، ومعجم المؤلفين لكحالة ٢/٤٤٦ رقم الترجمة ٩٥٢٥.

(٥) مرقاة المفاتيح لملا علي القاري ٩/ ٥٢٥.

(٦) القبورية في اليمن نشأتها وآثارها ص:٣٧.

(٧) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الرقاق، باب في الحوض١١/٥٦٤ (ح ٦٥٧٦).

٤-**أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة شقاق للنبي** صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ حيث أن النبي ﷺ بُعِث من أجل بيان توحيد العبادة ودعوة الناس إليه، وقد أَمَر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإخلاص العبادة لله ومتابعته ﷺ فيها، ومن يخالف ويشاقق الرسول من بعد البيان يصليه الله عزّ وجل النار وبئس المصير، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[1].

٥- **أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة سواء كان بالزيادة أو النقص تجاوزٌ عما طلبه الله عزّ وجل** من العباد وهو إفراده بالعبادة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[2]. ومن تجاوز حدود الله؛ فهو ظالم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3].

٦- **أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة قد يبلغ درجة شرك أكبر، وهو من أعظم موانع دخول الجنة**، وأعظم أسباب الخلود في النار قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[4].

٧- **أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة قد يبلغ درجة شرك، وهو محبط للأعمال** قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[5].

قال ابن كثير[6] -رحمه الله-: ((تشديدٌ لأمر الشرك وتغليظٌ لشأنه، وتعظيمٌ لملابسته))[7].

---

(١) سورة النساء (١١٥).

(٢) سورة البينة (٥).

(٣) سورة البقرة (٢٢٩).

(٤) سورة المائدة (٧٢).

(٥) سورة الأنعام (٨٨).

(٦) **ابن كثير**: هو إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين أبو الفداء محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي ٧٧٤هـ. ينظر: البدر الطالع للشوكاني ١/١٥٣(٩٥). ومعجم المؤلفين لكحالة ١/٣٧٣(٢٧٧٨).

(٧) تفسير القران العظيم لابن كثير ٦/١٠٩.

وهناك أخطار كثيرة غير هذه، تهدد دنيا المنحرف وعقباه، نكتفي بهـذا القـدر، ونسأل الله العافية والسلامة.

ثانيا: أضرار الانحرافات المتعلقة بتوحيد العباد التي ترجع على المجتمع. منها:

١- أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة سبب لهلاك كثير من الأمم.

قال الله تعالى:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري- رحمه الله- [2]:((يقول: فعلنا ذلك أي الهلاك بهم؛ لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مِثْلَهم)) [3].

وقال النبي ﷺ : ((**وإياكم والغلوّ في الدين ؛فإنما هلك من كان قبلكم بـالغلوّ في الدين**))[4].فإذا هلكوا بهذا السبب فلا يأمن الذين يكثر فيهم الانحراف في توحيد العبادة؛ لأن الله عزّ وجل يقول: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾[5].

٢- أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة يفرق وحدة الأمة الإسلامية.

أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة سواء كان يُنقضه، أو يُنقصه يُفرق وحدة الأمة الإسلامية.وذلك بإيجاد الشرك والابتداع، وبذلك يحدث التشاجر والتخاصم بين الناس؛ فيمزق وحدة الأمة الإسلامية، وقد أمر الله تعالى بإتباع الرسول صلى الله عليه وعلى آله

---

(١) سورة الروم (٤٢).

(٢) **ابن جرير:** هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر مفسر مقرئ محدث مؤرخ ولد عام ٢٢٤هـ طلب العلم بعد عشرين سنة من مولده، من تصانيفة جامع البيان وغيره وتوفي ٣١٠هـ . ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/٢٦٧(١٧٦)، ووفيات الأعيان ٤/١٩١(٥٧)، ومعجم الأدباء لياقوت ١٨/ ٤٠، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/١٩ (١٢٥٩٤).

(٣) جامع البيان للطبري ١٨/٥١٤.

(٤) مسند أحمد ١/٢١٥ وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣/٣٥١ ح (١٨٥١).

(٥) سورة القمر(٤٣).

وسلم وعدم الابتداع والإشراك، قال تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١) .

وقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾(٢) وحبل الله هو دين الله الذي أنزله على رسوله وهو التوحيد الخالص.

٣- أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة سبب لانتشار البطالة والتخلف الاقتصادي.

إنني على يقين تام بأن تأثير الانحراف العقدي في التخلف الاقتصادي وانتشار البطالة أكبر من أي مؤثر آخر، إذ من الحقائق المتفق عليها أن النهضة الاقتصادية المنشودة للشعوب الإسلامية تطلب منهم النهضة الشاملة تشمل القطاعين -الخاص والعام- وأن يكونوا يداً واحدةً تحت مظلة البناء، وتنمية المواهب العقلية والقدرات الذهنية، والمهارات اليدوية فيما يفيد الاقتصاد، وأن تتضافر الجهود للقضاء على البطالة.

ولكنْ مع الأسف الشديد إن كثيراً من المنحرفين عقيدةً يحترفون السحر(٣) والشعوذة(٤)، والطلاسم(٥)، والتنجيم(٦) وغيرها.

---

(١) سورة الحشر (٧).

(٢) سورة آل عمران(١٠٣).

(٣)**السحر**: هو عزائمُ ورقى وعُقَد تؤثر في الأبدان والقلوب؛ فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.الكافي لابن قدامة ١٦٤/٤، وقال الكفوي: مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأحوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة، لا يتعذر معارضته. ينظر: الكليات له ص: ٥١٠.

(٤) **الشعوذة** :السحر الذي يكون بخفة اليد.تفسير القرطبي ٤٤/١.

(٥) **الطلسم**: في معني الطلسم: أقوال ثلاثة: الأول «الطل» بمعنى الأثر؛ فالمعنى أثر الاسم.والثاني: أنه لفظ يوناني معناه عَقْدٌ لا ينحل. والثالث: أنه كناية عن مسلط. وعلم الطلمسات أسرع تناولا من علم السحر وأقرب مسلكا، وقيل: إن الطلسم عبارة بتمزيج القوى الفعّالة السماوية، بالقوى المنفعلة الأرضية ليظهر من ذلك آثار غريبة، وأفعال عجيبة. يُنظر: دستور العلماء لأحمد النكري٢/٢٧٨.

(٦) **التنجيم**: هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوة الفلكية والقوابل الأرضية.مجموع فتاوى ابن تيمية ١٩٢/٣٥.

ولهذا الانحراف تأثير كبير في البطالة والتخلف الاقتصادي، ولهؤلاء تأثيرهم السلبي على اقتصاد البلدان، وعملهم هذا ذو اتجاهين كلاهما خبيثان:

الأول: أن عملهم غير نافع، ولا شريف، ولا يسهم في التقدم الاقتصادي إطلاقاً؛ فهم معدُودُون في العاطلين عن العمل.

الثاني: أن مرتاديهم -وأكثرهم أصحاب عمل، ووظائف الحكومية- لم يسعوا في دفع عجلة التقدم الاقتصادي لبلدانهم؛ وذلك حين يحصل لهم خسارة أو نقصان -مهما كان- لا يقومون بما يجب عليهم في هذه الحالة على الإخلاص، بل يلجئون إلى السحرة، والمنجمين، والكهان(1)؛ فيأخذ بتعليلاتهم الباطلة التي لا تعدل من سلوكهم، ولا تقدم ولا تؤخر.

ثم هناك نسبة عالية من المتربعين على كراسي المشيخة لا عمل لهم سوى جباية الأموال من الاتباع الذين يعتقدون أن في ذلك خدمة لدينهم وضماناً لدخول الجنة، وفوق هؤلاء هناك سدنة القبور، والأضرحة، والمشاهد، وما أكثرها!!! لا عمل لهم سوى أكل النذور والقرابين المقدمة للقبور، والأضرحة.

بل رأينا أن بعض تلك الأضرحة والمشاهد يشرف عليها أكثر من سادن، بل أكثر من مجموعة من السدنة؛ فتقوم على السدانة بالتناوب، حتى إن بعض الدول الإسلامية تقوم على الإشراف على سدانة تلك الأضرحة مباشرة أو تجعل رسوما على السدانة ويجعلها من موارد الدولة .ولا ريب أن العكوف على القبور واتخاذها مصدرا للتموّل أمر شنيع وما كان يتصور سابقا في المجتمع الإسلامي(2).

٤- أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة يسيء سمعة الإسلام عند من لا علم له بتعاليمه العالية.

إذا عرض الإسلام بصورته الصحيحة النقية من شوائب الشرك وذرائعه سيجد قبولاً وثيقا، وسرعة الانتشار في المجتمعات غير المسلمة، لكنه إذا ما عرض في صورته الصافية،

---

(١) الكهان: جمع الكاهن، هو الذي يتعاطى الخبر عن الكوائن في المستقبل من الزمان ويدعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب.التعريفات للجرجاني ص: ٢٣٣ وكتاب التعريفات الاعتقادية لآل عبد اللطيف ص: ٢٨٣.

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي محمد أحمد لوح ٢/ ٨٥-٨٧ بتصرف .

ومُثِّل على غير مثاله، فإنه لا يمكن أن يَلقى ذلك الإقبال الشديد الذي كان له في خير القرون الأولى.

ومن هنا تظهر جناية هؤلاء المنحرفين عن توحيد العبادة على الإسلام وأهله؛ لأن منهم مع انحرافهم هذا وسيرهم على غير الجادة، يقومون بالدعوة إلى انحرافهم بكل وسيلة، ويعتبر ذلك حاجزاً منيعا وحجر عثرة في سبيل الباحثين عن الحق، المتعطّشين إلى منقذ يأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم؛ حيث إن هؤلاء المساكين الهاربين من عبادة الأوثان الممثلة في الأحجار والأشجار والأنهار ونحوها، سرعان ما يصابون بصدمة عندما يجدون الأغلبية الساحقة من المنتسبين إلى الإسلام يعيشون كعيشهم، ويعكفون على عبادة مراقد الموتى ويتبركون بجدرانها، ويقدّسون القباب والستائر التي جعلوها على تلك القبور،وإنهم يقدمون لتلك المشاهد من القرابين، وينفقون عليها الأموال ما لا يخطر ببال!!.

فماذا ننتظر من هؤلاء أن يكون عليه موقفهم تجاه الواقع ؟

إنهم سيقولون: مادمنا والمسلمون سواء في عبادة الأحجار وتقديس غير الله، فلماذا نترك معبوداتنا لمعبوداتهم؟ ولماذا لا نكون نحن على الحق وهم على الباطل؟

وبهذه الحجة بالتحديد واجه النصارى(١)شيخ الإسلام ابن تيمية(٢)-رحمه الله-في القاهرة حيث يقول: ((وكان آخر ما خاطبت النصراني أن قلت له: أنتم مشركون وبينت له من شركهم ما هم عليه من العكوف على التماثيل والقبور وعبادتها والاستغاثة بها.

---

(١) **النصارى**: هم المنسوبون إلى قرية من بلاد الأردن يقال لها ناصرة، حيث كان ابتداء خروجهم منها، وهم يزعمون أنهم على ملة عيسى بن مريم، كذبوا وزعموا أن الله هو المسيح ابن مريم، أو هو ثالث الثلاثة، أو أن عيسى هو ابن الله -تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرا-.يُنظر: عقائد الثلاث وسبعين فرقة ٢/ ٧٣٦.

(٢) **ابن تيمية**: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام شيخ الإسلام ولد في حران سنة ٦٦١هـ وحبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية وبقلعة دمشق مرتين، وبها توفي سنة ٧٢٨ هـ ينظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٩٧/٤، القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي لمحمد صفي الدين البخاري الحنفي ص: ٣٥ وما بعدها.

قال لي: نحن ما نشرك بهم ولا نعبدهم، وإنما نتوسل بهم كما يفعل المسلمون إذا جاؤوا إلى قبر الرجل الصالح ؛ فيتعلقون بالشباك الذي عليه ونحو ذلك.

فقلت له: وهذا أيضا من الشرك، وليس هذا من دين المسلمين وإن فعله الجهال، فأقرّ أنه شرك، حتى إن قسيساً[1] كان حاضراً في هذه المسألة فلما سمعها قال: نعم على هذا التقدير نحن مشركون.

وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيد وسيدة، ولكم سيد وسيدة، لنا السيد المسيح والسيدة مريم ولكم السيد الحسين[2] والسيدة نفيسة[3].فالنصارى يفرحون بما يفعله أهل البدع والجهل من المسلمين مما يوافق دينهم، ويشابهونهم فيه، ويحبون أن يقوى ذلك ويكثر))[4].

٥- أن الانحراف في توحيد العبادة سبب لسيطرة الأعداء والاستعمار على خيرات وأراضي المسلمين.

لما يكثر الانحراف في توحيد العبادة بأنواعها المختلفة تجد الاستعمار يشجع على ذلك -بكل ما يستطيع- فمثلاً: يشجع العكوف على القبور وبناء القباب عليها،

---

(١) **القسيس**: القسيس والقُِسّ (مثلثةً) رئيس النصارى في الدين والعلم، وقيل هو الكبير العالم وجمعه قسوس، وقسيسون، وقساوسة.تاج العروس ٣٧١/١٦ والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٢٤٠/٢.

(٢) **الحسين**: هو الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولد سنة ٤هـ وقتل لعشر خلت من المحرم سنة ٦١هـ في كربلا قريب الكوفة. ينظر ترجمته في: الاستيعاب لابن عبد البر٣٩٢/١ والسير للذهبي ٢٨٠/٣. الوافي بالوفيات للصفدي ٤٢٣/١٢، تاريخ بغداد للخطيب١٤١/١.

(٣) **السيدة نفيسة**: هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، صاحبة المشهد المعروف بمصر، ولدت بمكة عام ١٤٥هـ ونشأت في المدينة، وتزوجها إسحاق المؤتمن ابن جعفر الصادق، وانتقلت إلى القاهرة، وسمعت الإمام الشافعي، توفيت سنة ٢٠٨هـ.ينظر: العبر للذهبي ٣٥٥/١، وسير أعلام النبلاء للذهبي١٠٦/١٠، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤٢٣/٥ (٧٦٧)، والأعلام للزركلي ٤٤/٨.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ٤٦١-٤٦٢.

وانشغال المسلمين بتقديم النذور والقرابين، والترحال إلى قبور الصالحين وأضرحتهم، ويسهّل الطرق والوسائل لها؛ وذلك لهدف انشغال المسلمين بما يعتبره الجهلة الدين الصحيح الكامل؛ حتى لا يفكروا في دسائس الاستعمار ومكائدهم، أو القيام بالجهاد ضد مصالحهم ومنافعهم.

ومن ناحية أخرى ترى التشجيع الواسع من أعداء المسلمين للسحر والكهانة والتنجيم، ومحاولات لرفع شأنهم وترويج بضائعهم بين العوام والخواص؛ فترى وسائل الإعلام الغربية بأنواعها المختلفة تخدم مصالح هؤلاء المنحرفين ليشتغل بهم العوام والخواص ولا يفكروا في التقدم الحضاري وإعداد القوة لإرهاب عدوّ الله وعدوّهم وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (١).

---

(١) سورة الأنفال (٦٠).

المطلب الثاني

التوحيد لغة، وشرعا، وأنواعه

إن من أهم أسباب الانحراف العقدي، هو الخلط الحاصل من المتكلمين[1] في مفهوم التوحيد وتعريفه، مع أنه لم يكن هناك أي إبهام أو خفاء، في مفهوم التوحيد عند السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-.

لكن لما ظهرت البدع، وانشغل الناس بعلم الكلام، التبس مفهوم التوحيد لدى أصحاب الكلام، وكلما تعمّقوا في علم الكلام؛ زاد بعدهم عن الحق، وازدادت الانحرافات المتعلقة بالتوحيد.

ومن حيث إنهم لم يجمعوا في تعريفهم للتوحيد أنواع التو حيد كلها؛ نتج عن ذلك إهمالهم الكبير في جانب توحيد الألوهية، ولهذا السبب نفسه ازدادت الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، في معظم البلدان التي اهتم علماؤهم بعلم الكلام، ورفعوا من شأنه.

فمن هنا تظهر أهمية معرفة التوحيد؛ حتى يتّضح المفهوم الصحيح للتوحيد؛ ومن ثم أنواعه، فنذكر أولاً معنى التوحيد لغة، وثانيا التوحيد شرعاً، وثالثاً أنواعه.

أولاً: التوحيد لغة

أصل كلمة التوحيد: (الواو،والحاء، والدال) أصل واحد يدل علي الانفراد[2].

تصريفها: التوحيد مصدر من وحّد، يوحّد، توحيداً، فهو موحِّد، فالتوحيد مصدر من المثال[3] الواوي.

---

(١) **المتكلمون:** هم الذين يثبتون العقائد بطريقة مخصوصة، كالمناظرة، والجدل، والمخاصمة، وعلم الكلام هو علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من البدء والمعاد.ينظر التعريفات للجرجاني ص:٢٣٦ وحقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين لعبد الرحيم السُّلمي٤٥-٤٦.

(٢) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:١٠٨٤.

(٣) المثال: هو ما اعتل فاؤه، كوعد ويسر.ينظر: التعريفات للجرجاني ص:٢٥٤.

قال الرازي الحنفي[(١)] -رحمه الله-: يقال وحّد الشيءَ وأحّدَهُ -بتشديد الحاء فيهما- كما يقال ثنّاه وثلّثه[(٢)].

التوحيد يطلق على ثلاثة معان[(٣)]:

الأول: جعل الشيء واحداً، كما يقال وحّد فلان صفوف المجاهدين توحيداً: أي جعلهم صفاً واحداً بعد أن كانت صفوفاً متعددة، ومثله توحيد الزيّ المدرسي.

الثاني: العلم، والاعتقاد، والحكم بأن هذا الشيء واحد، كأن يحدث سرقات متعددة؛ فيعتقد أحد رجال الأمن؛ أن السارق واحد، فيقول: وحّدتُ السارق أي اعتقدتُ وعلِمتُ وحكمتُ بأن فاعل السرقات المتعددة واحد.

الثالث: نسبة الشيء إلى الانفراد، ونفي شركاء عنه. كقولنا: وحدت الله ﷻ: أي نسبتُ إليه الوحدانية والانفراد، في جميع ما يستحق فيه الانفراد والوحدانية.

وكل هذه المعاني تصّح في توحيد الله ﷻ، إلاّ أن توحيد الله ﷻ بالمعنى الأول يكون بمعنى التسمية لا بمعنى الإنشاء، والخلق، مثل قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ ﴾[(٤)] أي سمّوهم إناثا، لا بمعنى أنهم خلقهم أو أنشأهم إناثاً، والتشديد في(وحّد، يوحّد) للمبالغة.

قال قِوام السنة الأصفهاني[(٥)] -رحمه الله- : ((لهذا الفعل معنيان:

أحدهما: تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه، كقولهم كسّرت الإناءَ، وغلّقت الأبوابَ وفتّحتُها.

---

(١) **الرازي:** هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي، لغوي، فقيه من تصانيفه مختار الصحاح وغيرها. ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي٦/٥٥، معجم المؤلفين لكحالة ٣/١٦٨ (١٢٤٣٦).

(٢) مختار الصحاح للرازي ص:٢٩٦.

(٣) يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٩/٢٣٤، وتاج العروس للزبيدي ٥/٢٩٨.

(٤) سورة الزخرف (١٩).

(٥) **قوام السنة الأصفهاني:** هو إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي أبو القاسم الملقب بقوام السنة ولد سنة ٤٥٧هـ وتوفي ٥٣٥هـ ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي٢٠/٨٠.

الوجه الثاني: وقوعه مرّة واحدة، كقولهم: غدّيتُ فلاناً، وعشّيته، وكلّمته، ومعنى وحدّته: جعلته منفرداً عمّا يشاركه، أو يشبهه في ذاته وصفاته[(١)]، والتشديد للمبالغة أي بالغت في وصفة بذلك، وقيل الواو فيه مبدلة من الهمزة، والعرب تبدل الهمزة من الواو، وتبدل الواو من الهمزة، كقولهم: وشاح[(٢)]و أشاح»[(٣)].

ثانيا: التوحيد شرعاً

لقد ورد **التوحيد** في الشرع في عدة نصوص منها:

١- في صفة حج النبي ﷺ «**فأهل بالتوحيد :لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك...**»[(٤)].

٢- قال النبي ﷺ : «**يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكون فيها حُمَماً[(٥)] ثم تدركهم الرحمة فيُخرجون ويطرحون على أبواب الجنة ...**»[(٦)].

٣- قال ﷺ : «**...كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط، إلا التوحيد فلما احتضر قال: لأهله انظروا إذا أنا مت أن احرقوه حتى يدعوه حُمَماً ...قال فغفر له بها ولم يعمل خيرا قط إلا التوحيد**»[(٧)]

---

(١) قوله: « منفرداً عمّا يشاركه، أو يشبهه في ذاته وصفاته » لو قال المصنف رحمه الله: (منفردا عن الشريك والشبيه)كان أصح لأن عبارته يتطرق إليها الوهم بإمكان وجود المشارك والمشابه.انظر التحقيق على الحجة في بيان المحجة للشيخ محمد بن ربيع المدخلي١/٣٣٢.

(٢) الوشاح: الوِشاح والإشاح على البدل كما يقال: وكاف وإكاف، والوُشاح كله حلي النساء...ينسج من أدم عريضا ويرصّع بالجواهر وتشدّ المرأة بين عاتقيها وكشحيها.ينظر: لسان العرب لابن منظور٩/٣٠٩.

(٣) الحجة في بيان المحجة١/٣٣١-٣٣٢.

(٤) مسلم مع شرحه للنووي كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ٨ /٤٠٢ ح(٢٩٤١).

(٥) **الحُمَمْ**: الحُمَمَةُ: الفحمة وجمعها حُمَم.النهاية لابن الأثير، ١/٤٣٦.

(٦) رواه الترمذي في سننه كتاب صفة جهنم، باب منه حديث رقم(٢٥٩٧)وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٣/٣١ح ٢٥٩٧.

(٧) رواه أحمد في مسنده٢/٣٠٤ وقال محققو المسند للحديث إسنادان: أولهما متصل صحيح، وثانيهما مرسل.يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ١٣/٤٠٨.

٤- وفي الحديث« ...**فيذبح أحدهما عن أمته ممن أقر بالتوحيد وشهد له بالبلاغ ويذبح الآخر عن محمد وآل محمد ﷺ** »[(١)].

والحق أن معنى التوحيد، ومفهومه كان معروفا عند سلف الأمة، فترى ألفاظهم وإن اختلفت في تعريف التوحيد شرعا، لكن كلها تؤدي المعنى الواحد، ونذكر هنا بعض أقوالهم:

قال الطحاوي الحنفي[(٢)]-رحمه الله-: «نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله، إن الله واحد لا شريك له، ولاشيء مثله، ولاشيء يعجزه، ولا إله غيره»[(٣)].

قال العيني الحنفي[(٤)]-رحمه الله-: « توحيد الله هو الشهادة بأن الله إله واحد، والتوحيد في الأصل مصدر وحّد، يوحّد، ومعنى وحدت الله اعتقدته منفرداً بذاته، وصفاته، لا نظير له، ولا شبيه له...»[(٥)].

وقال ابن أبي العز-رحمه الله-: «أن التوحيد يتضمن ثلاثة أمور: ربوبية الله وصفاته وعبوديته»[(٦)].

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: «هو أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه»[(٧)].

---

(١) روه أحمد في مسنده ٦/ ٢٢٠ وقال محققو المسند صحيح لغيره يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣٧/٤٣(ح٢٥٨٤٣) وقال الألباني-رحمه الله-: صحيح.يُنظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣/ ٨١ (ح٢٥٤٨).

(٢) **الطحاوي**: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي، الطحاوي، صحب الإمام المزني وتفقه على مذهبه الشافعي، ثم ترك مذهبه وتفقه على أبي جعفر أحمد بن أبي عمران على المذهب الحنفي، صاحب التصانيف ولد ٢٣٩هـ وتوفي ٣٢١هـ ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧، الوافي بالوفيات للصفدي٨/٩(٣٤١٥)، والفوائد البهية للكنوي ص:٣١.

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحه لابن أبي العز الحنفي١/٢١وبعدها في المتن.

(٤) **العيني**: هو محمود بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي فقيه، أصولي، مفسر، محدث، مؤرخ، لغوي، فصيح بالعربية والتركية ولد عام ٧٦٢هـ وتوفي عام ٨٥٥هـ من تصانيفه الكثيرة عمدة القاري وغيرها. البدر الطالع للشوكاني ٢/٢٩٤، والفوائد البهية للكنوي ص: ٢٠٧.

(٥) عمدة القاري للعيني٢٥/٨١.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية١/٢٤.

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية٣/٧٤.

وقال الجرجاني الحنفي[١]-رحمه الله-: «التوحيد ثلاثة أشياء، معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة»[٢].

وقال السفاريـــني[٣]-رحمه الله-: «هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً، وصفاتاً، وأفعالاً»[٤].

وقال الشيخ السعدي[٥]-رحمه الله-: « التوحيد: العلم والاعتراف بتفرد الربّ بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له»[٦].

قال عبد الرزاق عفيفي[٧]-رحمه الله-: « تفرد الله بالربوبيه، والإلهية، وكمال الأسماء والصفات»[٨].

---

(١) **الجرجاني**: هو علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي ويعرف بالسيد الشريف عالم، حكيم، مشارك في أنواع من العلوم ولد سنة ٧٤٠هـــ، وتوفي سنة ٨١٦هــ..ينظر ترجمته في: البدر الطـــالع للشوكاني ٤٨٨/١، الفوائد البهية للكنوي ص: ١٢٥، ومعجم المؤلفين لكحالة٢/٥١٥(١٠٠٣٧).

(٢) كتاب التعريفات للجرجاني ص:٩٩.

(٣) **السفاريني**: هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي أبو العون محدث، فقيه، أصـــولي، ولد ١١١٤هـــ بنابلس وتوفي ١١٨٨هـــ من تصانيفه الكثيرة لوامع الأنوار البهية. ينظر ترجمتـــه في: سلك الدرر للمرادي ٤/٤٧(٥٨١) ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/ ٦٥ (١١٧٣١).

(٤) لوامع الأنوار البهية١/٥٧.

(٥) **السعدي**: هو عبد الرحمن ناصر بن عبد الله السعدي مفسر من علماء الحنابلة من أهل نجد ولد في عنيزة عام١٣٠٧ هـــ وتوفي بها عام ١٣٧٦هــ، من تصانيفه تيسير الكريم الرحمن وغيره.ينظر ترجمتـــه في الأعلام للزركلي٣/٣٤٠، ومشاهير علماء نجد وغيره لعبد الرحمن آل الشيخ ص: ٣٩٢(٦٩).

(٦) القول السديد للسعدي ص:٣٢.

(٧) **عفيفي**: هو عبد الرزاق عفيفي عطية ولد بشنشور بمصر عام ١٣٢٣هـــ وهـــو أول وكيـــل لجماعة أنصار السنة المحمدية، وثاني رئيس لها بعد الفقي، توفي عام ١٤١٥هـــ ينظر ترجمتـــه في تتمة الأعلام للزركلي تأليف محمد خير رمضان ٢٨٦/١.

(٨) مذكرة التوحيد لعفيفي ص:٥.

وقال الشيخ ابن عثيمين[١] -رحمه الله-: «إفراد الله ﷻ بما يختص به»[٢].

فهذه التعريفات كلها متقاربة، ومتشابهة في الألفاظ، وكلها تؤدي المعنى الواحد، وهو إفراد الله بالربوبية والإلهية، والأسماء والصفات، ولعلّ مختصر التعريفات، ما قاله ابن عثيمين -رحمه الله- ومن أوضحها ما ذكره الشيخ عبد الرزاق العفيفي -رحمه الله-.

ثالثاً: أنواع التوحيد

لقد أنكر بعض المتأخرين تقسيم التوحيد إنكارا مطلقا[٣]، ولعلهم ما فعلوا ذلك إلا جهلا منهم بكتب سلف الأمة وعلمائها.

ولكن الله هيّأ للرد على تلك الأقوال نخبة من العلماء المحققين[٤] فجزاهم الله خيرا.

وأنا أنقل هنا، أقوال بعض أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين في تقسيم التوحيد[٥] إلى أنواع متعددة؛ وذلك بمثابة الردّ على المنكرين للتقسيم، ولبيان وتوضيح أنواع التوحيد وبالله التوفيق.

---

(١) **ابن عثيمين:** هو العلامة الزاهد أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي من مؤلفاته الكثيرة القول المفيد شرح كتاب التوحيد والقواعد المثلى في أسماء الله وصفاته العلى، وغيرها من الكتب الكثيرة المفيدة، وُلِد سنة ١٣٤٧هـ وتوفي ١٤٢١هـ. ألف في ترجمته كتب مستقلة منها: ابن عثيمين الإمام الزاهد للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٦/ ٣٣، وفقه العبادات لابن عثيمين ص: ٢٠.

(٣) كحسن السقاف في كتابه إبطال محاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية، وحسن المالكي في كتابه «قراءة في كتب العقائد – المذهب الحنبلي نموذجا».

(٤) وقد ألّف بعض أساتذتنا كعبد المحسن البدر وابنه عبد الرزاق البدر في الرد على هذا الزعم كتبا منها((الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي، والقول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد)) فجزاهما الله عن المسلمين خير الجزاء.

(٥) وهذه التقسيمات من أجل تقريب مفهوم التوحيد إلى الفهم والانتباه إلى جميع أفراده، ولا يعني هذا تفكك واستقلال كل نوع عن الآخر بل الأقسام كلها لا ينفك بعضها عن بعض ولا يكون الرجل موحّداً إلا إذا جاء بأنواع التوحيد كلها.

روى أبو جعفر الطبري-رحمه الله- بسنده في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1]عن ابن عباس[2] ﷺ : «من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالو: الله، وهم مشركون».

وعن عكرمة[3]-رحمه الله-: قال: هو قول الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[4]فإذا سئلوا عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولداً، أشركوا به.

وعن مجاهد[5]-رحمه الله- «إيمانهم: قولهم الله خلقنا، ويرزقنا ويميتنا؛ فهذا إيمان مع شرك عبادتهم»[6].

فأقوالهم هذه تبيّن أنه يلزم على الرجل حتى يكون مؤمناً موحداً أن يأتي بتوحيد العبادة مع توحيد الربوبية، وأما توحيد الربوبية لوحده، أو توحيد الألوهية لوحده، أو توحيد الأسماء والصفات لوحده أو الاثنين معاً عند انعدام الثالث لا يدخل الرجل في التوحيد أصلا، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، يتبين منها أن السلف كانوا يعرفون أنواع التوحيد وتقسيماته، ولو لم يكن هناك تقسيم، لكان كل من أتي بشيء من التوحيد كان مؤمنا موحداً كاملا، وليس كذلك.

---

(١) سورة يوسف(١٠٦).

(٢) **ابن عباس:** هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، ومات بالطائف سنة ٦٨هـ.ينظر ترجمته في: الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر٢/٩٠رقم الترجمة ٤٧٧٢.

(٣) **عكرمة:** هو العلامة، الحافظ، المفسر أبو عبد الله القرشي عكرمة مولى ابن عباس ﷺ حدث عن جمع من الصحابة مات سنة خمس ومائة.ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي٥/١٢.

(٤) سورة لقمان (٢٥).

(٥) **مجاهد:** هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر الإمام شيخ القراء المكي الأسود مولى ابن أبي سائب تتلمذ على كثير من الصحابة مات بعد المائة. ينظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء للذهبي٤/٤٤٩.

(٦) جامع البيان للطبري١٣/٣٧٣-٣٧٤.

قال الملا علي القاري الحنفي-رحمه الله-: « فابتدأ سبحانه وتعالى في الفاتحة بالحمد لله رب العالمين، يشير إلى تقرير توحيد الربوبية، المترتب عليه توحيد الألوهية المقتضي من الخلق تحقيق العبودية» [1].

لقد عرفنا في المعنى الشرعي للتوحيد أنه يتضمن أنواعا عديدة، ونهج العلماء في توضيح وتفصيل تلك الأنواع عدة مناهج، مع أنه اختلاف ألفاظ، لا اختلاف معان، وأشهر تلك المناهج ثلاثة:

المنهج الأول: منهج تقسيم التوحيد من جهة تعلقه بالله ﷻ

لقد نظر بعض العلماء إلي التوحيد من جهة تعلقه بالله ﷻ، حيث عرّفه البعض بقولهم:(إفراد الله بما يختص به) فقالوا: ينقسم التوحيد (أي ما يختص به)إلى ثلاثة أنواع:

١- توحيد العبادة (توحيد الإلهية، أو الألوهية).

٢- توحيد الأسماء والصفات.

٣- توحيد الربوبية.

وإليك جملة من أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين؛ لبيان كونهم يقسّمون التوحيد، وأنهم كانوا يرون تقسيمه إلى ثلاثة أنواع:

١- قال الإمام أبو حنيفة-رحمه الله-: «**والله يدعى من الأعلى لا من الأسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء**»[2].

فقوله: (يدعى من الأعلى لا من الأسفل) فيه إثبات صفة العلو، وهو من توحيد الأسماء والصفات...

وقوله: (من وصف الربوبية) فيه إثبات توحيد الربوبية.

وقوله: (والألوهية) فيه إثبات توحيد الألوهية»[3].

---

(١) شرح فقه الأكبر لملا علي لقاري ص:١٥.

(٢) الشرح الميسر على الفقهين الأبسط، والأكبر لمحمد الخميس ص١٣٥(متن فقه الأبسط).

(٣) القول السديد للبدر ص:٤٢، وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للخميس ص:٢٠٨.

٢- قال الطحاوي الحنفي -رحمه الله-: «**نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله، أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره**»[(١)].

فقوله: (أن الله واحد لا شريك له) شامل لأقسام التوحيد الثلاثة.

وقوله: (ولا شيء مثله) توحيد الأسماء والصفات.

وقوله: (ولا شيء يعجزه) هذا من توحيد الربوبية.

وقوله: (ولا إله غيره) إشارة إلى توحيد الألوهية والعبادة[(٢)].

٣- قال ابن بطة العُكْبُري[(٣)] -رحمه الله-: «**أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:**

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته[(٤)]، ليكون بذلك مبايناً من أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مبايناً بذلك من أهل الشرك الذين أقروا بالصانع، وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا به من العلم، والقدرة، والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه[(٥)].

٤- قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: «**التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:**

أحدها الكلام في الصفات.

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٢١/١ وبعدها.

(٢) القول السديد للبدر ٤٢-٤٣، وأصول الدين عند الإمام أبي حنيفة لمحمد الخميس ص:٢٠٨-٢٠٩.

(٣) **ابن بطة**: هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حمدان ابن بطة العُكْبري شيخ العراق، فقيه، محدث،ولد سنة ٣٠٤هـ وتوفي سنة٣٨٧هـ من مؤلفاته الإبانة في أصول الديانة. سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٢٩/١٦(٣٨٩)، وشذارات الذهب لابن العماد ٤٦٣/٤ حوادث سنة(٣٨٧)،و.معجم المؤلفين لكحالة٣٥٤/٢(٨٧٩٨).

(٤) في النسخة المطبوعة «آنيته» وقد نقل شيخنا الأستاذ الدكتور عبد الرزاق البدر من النسخة الخطية (ربانيته)؛ فالتصحيح من كتاب القول السديد لعبد الرزاق البدر ص:٣٢ .

(٥) الإبانة لابن بطة١٧٢/٢-١٧٣.

الثاني توحيد الربوبية: وهو بيان أن الله خالق كل شيء.

الثالث توحيد الإلهيه: وهو استحقاق أن يُعبد وحده لا يُشرك له»[1].

٥- قال الجرجاني الحنفي -رحمه الله-:« **التوحيد ثلاثة أشياء:**

معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفى الأنداد عنه، جملة» [2].

فهذه جملة من أقوال العلماء حيث قسموا التوحيد إلى ثلاثة أنواع، وذلك باعتبار تعلقه بالرب عزّ وجلّ، وذلك بالاستقراء في أدلة الشرع.

لكن بعض العلماء أجمل القول واختصر الكلام؛ فجعله قسمين ومنهم من جعله أربعة أقسام:

قال الأمير الصنعاني[3]: «**التوحيد قسمان:**

القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية، والرازقية ونحوها...

القسم الثاني: توحيد العبادة ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات» [4].

وقد قسم **ابن منده**[5] -رحمه الله- التوحيد إلي أربعة أقسام: **توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء، توحيد الصفات**[6].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٢٣/١.

(٢) التعريفات للجرجاني ص:٩٩.

(٣) **الصنعاني**: هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسيني، الكحلاني، الأمير الصنعاني، من بيت الإمامة في اليمن ولد ١٠٩٩هـ وتوفي ١١٨٢ هـ -رحمه الله- وله نحو مائة مؤلف. البدر الطالع للشوكاني ١٣٣/٢، وأبجد العلوم للقنوجي ص: ٦٧٨، والأعلام للزركلي ٣٨/٦.

(٤) تطهير الاعتقاد للصنعاني ص:٥٠.

(٥)**ابن منده**: هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد ابن منده محدث، حافظ، مؤرخ ولد عام ٣١٠هـ وتوفي عام ٣٩٥هـ ينظر ترجمته في:سير أعلام النبلاء ٢٨/١٧(١٣)، ومعجم المؤلفين لكحالة١٢٣/٣(١٢١٣٤).

(٦) مقدمة كتاب التوحيد لابن منده بقلم علي بن ناصر الفقيهي٣٣/١، وحقيقة التوحيد والفروق للعلياني ص:٩٩.

ولكن ليس هذا الاختلاف إلا اختلافا لفظيا؛ لأن من اختصره على قسمين جمع توحيد الأسماء والصفات مع توحيد الربوبية في نوع واحد بجامع أنهما واحد هو التوحيد العلمي الخبري فركّز علي توحيد الربوبية؛ لوجود الانحراف في مفهومه.

والذي فصّل توحيد الأسماء عن توحيد الصفات؛ فبسبب كثرة الانحراف الواقع في عصره في ذلك التوحيد فينص عليه للفت النظر وانتباه الناس إليه(١) للاهتمام به.

المنهج الثاني: منهج تقسيم التوحيد باعتبار ما يجب على العبد تجاه ربه.

لقد قسم العلماء التوحيد باعتبار ما يجب على العبد تجاه ربه إلى نوعين:

النوع الأول: التوحيد العلمي الخبري، أو التوحيد في العلم.

النوع الثاني: التوحيد العملي الإرادي الطلبي.

وأحياناً يسمّون النوع الأول توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد في المعرفة والإثبات، والنوع الثاني توحيد القصد والعمل، أو التوحيد في الطلب والقصد(٢).

سمي الأول بالعلمي، والخبري، والمعرفة والإثبات؛ لتعلقه بالأخبار والمعرفة، وفيه إثبات ما لله من الأفعال والصفات.

وسمي الثاني بالعملي، والإرادي؛ لأنه مبنيّ على إرادة وجه الله في الأعمال.

وسُمي توحيد القصد؛ لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله تعالى وحده

وسمي التوحيد العملي؛ لأنه مبني على عمل العبد الذي يفعله لله وحده.

فالتوحيد العلمي أو توحيد المعرفة والإثبات هو: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، الذي ليس كمثله شيء في ذلك كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتنزيهه في ذلك عن التشبيه والتمثيل وصفات النقص(٣).

---

(١) حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية للعلياني ص:٩٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٤٢/١.

(٣) ينظر: معارج القبول للحكمي ٦٧/١، وفتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص:١٤وشرح العقيدة الطحاوية ٤٢/١.

قال ابن القيم[(١)] -رحمه الله-:« التوحيد العلمي أساسه إثبات صفات الكمال للرب تعالى، ومباينته لخلقه، وتنـــزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل» [(٢)].

وأما التوحيد العملي أو توحيد القصد والعمل أو التوحيد الإرادي الطلبي: فهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له[(٣)].

أو هو: إخلاص الدين لله بالقصد، والإرادة[(٤)].

وهذا التقسيم الثنائي يرجع إلى التقسيم الثلاثي، كما بيّنه حافظ الحكمي[(٥)] -رحمه الله- بقوله: «التوحيد نوعان:

الأول: التوحيد العملي الخبري، الاعتقادي، المتضمن إثبات صفات الكمال لله ﷻ، وتنـــزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتتريهه عن صفات النقص **وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.**

الثاني: التوحيد الطلبي، القصدي، الإرادي: وهو عبادة الله وحده لا شريك له وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه،ورجاؤه، والتوكل عليه، والرضا به رباً وإلها ووليا، وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء **وهو توحيد الإلهية**»[(٦)].

---

(١) **ابن القيم**: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية تتلمـــذ على شيخ الإسلام ابن تيمية فقيه، أصولي، مجتهد، مفسر نحوي، محدث، ولد ســـنة٦٩١هـــــ وتوفي عام ٧٥١هـــ.ينظر ترجمته في الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص:٦٨.ومعجـــم المؤلفين لعمر رضا كحالة٣/١٦٤.

(٢) الصواعق المرسلة تحقيق د.علي محمد الدخيل الله٢/٤٠٢.

(٣) معارج القبول للحكمي١/٦٧.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية١٠/٥٤.

(٥) **حافظ الحكمي**: هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب من علماء (جيزان) ولـــد في قرية السلام سنة١٣٤٢هــ وتوفي بمكة سنة ١٣٧٧هـــ، من تأليفاته معارج القبول وشرح لها. الأعلام للزركلي٢/١٥٩.

(٦) معارج القبول للحكمي١/٦٧.

فقوله في توحيد العملي الخبري الاعتقادي «وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات» يوضح أن ذلك التوحيد يشمل إثبات أسماء الله وصفاته وهو توحيد الأسماء والصفات، ويشمل أيضا أفعاله ﷻ المتعلقة بخلقه وهذا هو توحيد الربوبية»[(١)].

المنهج الثالث: منهج تقسيم التوحيد بالنظر إلى الموحَّدِ.

ينقسم التوحيد بالنظر إلى الموحَّدِ إلى نوعين هما:

١- توحيد المرسِل.

٢- توحيد المرسَل.

قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: «فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما توحيد المرسِل وتوحيد المتابعة؛ فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره...» [(٢)].

والنوع الأول: وهو **توحيد المرسِل**، ويتنوع إلى ثلاثة أنواع ومتضمن لها ومستلزم لها وهي:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الصفات.

٣- توحيد العبادة.

فلا تناقض بين التقسيم الثنائي والثلاثي[(٣)].

والنوع الثاني وهو **توحيد المرسَل**: هو توحيد متابعة الرسول ﷺ بكمال التسليم والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق؛ كأنه سمعَ رسولَ الله صلى الله عليه

---

(١) ينبغي هنا التنبيه إلى أنه أفعاله ﷻ كلها لا تندرج في توحيد الربوبية، بل هناك أفعال تندرج تحت توحيد الأسماء والصفات: مثل الاستواء، والمجيء، والإتيان، والنزول ونحوها، ولعل الضابط في هذا أن يقال أفعاله تعالى المتعلقة بذاته: كالاستواء ونحوها تندرج تحت الأسماء والصفات، وأما أفعاله المتعلقة بخلقه: كالخلق، والرزق وأنواع التدبير، فهي تندرج تحت الربوبية.ينظر: التنبيهات اللطيفة للسعدي ص:٥٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/٢٢٨.

(٣) جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ١/١٠٥.

وعلى آله وسلم مباشرة بقوله، وعدم معارضته بالقياس والعقول، وعدم تقديم أقوال الأئمة على أمره وقوله، وعدم عرض خبره على المشايخ والأئمة.

ومن أخلّ بهذا النوع من التوحيد؛ فقد اتخذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، وعبد المشايخ والأئمة، وأشرك بالله، وأنه يستتاب، كما يفعله الغلاة المقلدة للمشـــايخ والأئمة(١).

وفي الحقيقة توحيد المرسل أو توحيد المتابعة داخل ضمن توحيد الألوهية؛ لأن العبادة لا تُقبل من مؤمن إلاّ بشرطين أساسيين: هما الإخلاص، والمتابعة قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(٢).

(١) يُنظر: الإتباع لابن أبي العز الحنفي تحقيق محمد عطاء الله حنيف ص: ٧٩-٨٠، وجهود علمـــاء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ١/١٠٦.

(٢) سورة الكهف (١١٠).

المطلب الثالث

العبادة لغة، وشرعا، وأنواعها

إن العبادة هي الغاية المقصودة من خلق البشر والجان قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(1) والله ﷻ أرسل رسله في كل أمة ليدعوهم إلى ما خلقوا من أجله قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(2) فالحكمة من إرسال الرسل: دعوة أممهم إلى عبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(3) فالدعوة إلى عبادة الله وحده دين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كلهم وإن اختلفت شرائعهم، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾(4).

ومع كون العبادة هي الغاية العظمى من خلق الإنسان، أخطأ بعض الناس في مفهومها(5)؛ فأخرجوا بعض أفرادها من كونها عبادة؛ وبالتالي صرفوها لغير الله ﷻ،

---

(1) سورة الذاريات(٥٦).

(2) سورة النحل(٣٦).

(3) سورة الأنبياء(٢٥).

(4) سورة المائدة(٤٨).

(5) قال بعض الناس: إن مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء من التوسل، والاستغاثة، وغيرها؛ بل لا يشتبه بالعبادة فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظّم أو صفة من صفاتها. ينظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية لشمس الدين الأفغاني ١/٢٩٠.

وقالوا بجواز الاستمداد من غير الله تعالى، كالملائكة والجن والأموات وغيرهم[1]. وأدخلوا في العبادة ما ليس منها؛ فقاموا باحتفالات الموالد، والأوراد البدعية [2] وغيرها من البدع التي لم ينـــزل الله بها من سلطان.

وللعبادة مكانة عظيمة في دين الإسلام الحنيف، فيلزم على كل مسلم أن يعرف حقيقتها، وأركانها، وشروطها، وأنواعها، حتى يَعبد الله ﷻ على بصيرة، وأن لا يَصرف شيئاً منها لغير الله، و أن لا يتعبّد بما ليس بعبادة، وفي هذا المطلب محاولة لبيان الجوانب التي تتعلق بالعبادة، وذلك في خمسة فروع؛ فنقول وبالله التوفيق.

الفرع الأول: العبادة لغة.

أصل كلمة العبادة: (العين، والباء، والدال) أصل ثلاثي.

تصريف الكلمة: العبادة على وزن فِعالة مصدر قياسي لـ(عَبَدَ يعبُد) أي: من باب نصر ينصر[3].

ولمادة (ع، ب، د)أصلان صحيحان كأنهما متضادان: الأصل الأول يدل على لين وذل، والأصل الثاني يدل على شدة وغلظة [4].

وقد ذكر علماء اللغة عدة معان لكلمة (عبد)، ولكنها ترجع إلى هذين الأصلين، ومن تلك المعاني:

أولاً: إن كان (ع ب د) من باب نصَر ينصُر أي: بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع فمن معانيها:

---

(١) ينظر على سبيل المثال: كتاب((رد وهابي)) لمحمود البشاوري ص: ٣٦-٣٧ والبصائر لمنكـــري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٣٧، ٤٩، ٧٣، ودرر الفرائد لغـــلام حيـــدر ص: ١٦٧-١٦٨، والوسيلة للسيد همايون رشيد ص: ٤٤، ٥٤، ٦١.

(٢) ينظر على سبيل المثال: درر الفرائد ص: ٢٣٦، ودلائل الخيرات لمحمد ســـليمان ص٧٠-٩٠، وملفوظات ومطالبات لمحمد أمين ص:١٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩.

(٣) معجم تصريف الأفعال العربية ص:١٢٦، ٤٩٨.

(٤) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٧٢٨.

١- الخضوع والخشوع

٢- الذلة

٣- الطاعة

٤- المملوكية

٥- التنسك[١].

ثانياً: إن كان(ع ب د) من باب فرِح يفرَح. أ ى: بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع فمن معاينها:

١-الغضب

٢-الأنفة والكراهة

٣-القوة والصلابة

٤-الإنكار

٥-البقاء وغيرها من المعاني[٢].

وأنسب معاني المادة، وأقربها إلى المعنى الشرعي للعبادة، هي معاني الأصل الأول. أي: من باب (نصر، ينصر) والله أعلم.

الفرع الثاني: العبادة شرعاً

ورود كلمة العبادة ومادتها في نصوص الشرع أكثر من أن يُحَد أو يُعَد ومن تلك النصوص قول الله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٣].

وقول الرسول ﷺ في الحديث: ((**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه ...**))[٤].

---

(١) مختار الصحاح ص:١٧٢، ولسان العرب ٦/٥٠، وجامع البيان١/١٦١.

(٢) تاج العروس للزبيدي٢/٤١١، ولسان العرب لابن منظور٦/٥٢.

(٣) سورة الكهف(١١٠).

(٤) البخاري مع الفتح كتاب الآذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة٢/١٨٦ ح(٦٦٠).

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إذا نصح العبد سيده، وأحسن عبادة ربه؛ كان له أجره مرتين**»[1].

الدين كله داخل في العبادة[2].

قال الماوردي[3]-رحمه الله-: العبادة ما ورد التعبد به قربة لله[4].

والعبادة في الشرع تطلق على معنيين:

١- **التعبد:** وهو فعل العابد فتكون بمعنى التذلل للمعبود بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

٢- **المتعبَّد به:** فتكون كما قال ابن تيمية-رحمه الله-: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[5] ومثال ذلك الصلاة: ففعلها عبادة، وهو:(التعبد) ونفس الصلاة عبادة وهي (المتعبد بها)[6].

فالعبادة بمعناها الأول، وهو: التعبد عرّفها جملة من العلماء بعدة تعريفات:

قال ابن كثير -رحمه الله-: العبادة عبارة عمّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف[7].

وقال ابن جرير الطبري-رحمه الله-في معنى العبادة: الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة[8].

---

(١) البخاري مع الفتح باب كراهية التطاول على الرقيق٥/٢١٩ ح(٢٥٥٠).

(٢) العبودية لابن تيمية ص: ٣٠.

(٣) **الماوردي:** هو علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، فقيه، أصولي، مفسر، ولي القضاء ببلدان كثيرة ولد عام٣٦٤هـ ببغداد وتوفي عام٤٥٠ هـ ومن تصانيفه الحاوي الكبير، الأحكام السلطانية، وغيرهما.ينظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي١٢/١٠٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/٦٤، ومعجم المؤلفين ١١/١٦٢.

(٤) الحاوي الكبير١/٨٩.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية١٠/١٤٩.

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين١/١٠، وتقريب التدمرية له ص١٢٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١/٢١٤.

(٨) يُنظر: جامع البيان للطبري ١/٨٨(سورة الفاتحة).

وقال البغوي -رحمه الله-[1] في معنى العبادة: الطاعة مع التذلل والخضوع[2].

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: العبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته[3].

والعبادة بمعناها الثاني وهو المتعبد به عرفها جملة من العلماء الكرام:

قال الكفوي الحنفي [4]-رحمه الله-: العبادة فعل ما يُرضي الرب[5].

وقال الزبيدي الحنفي[6] -رحمه الله-: العبادة فعل ما يرضي به الرب[7].

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[8].

وقال ابن حجر العسقلاني[9]-رحمه الله-: العبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي[10].

---

(١) **البغوي:** هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، محدث، فقيه، مفسر، من تصانيفه معالم التنزيل، وشرح السنة توفي٥١٦هـ وفيات الأعيان لابن خلكان١٣٦/٢والسير للذهبي٤٣٩/١٩، ومعجم المؤلفين ٦٤٤/١.

(٢) معالم التنزيل للبغوي٥٣/١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية١٩/١٠.

(٤) **الكفوي:** هو أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي الحنفي توفي سنة ١٠٩٤هـ وتوفي وهو قاض بالقدس ومن آثاره الكليات ومعجم في المصطلحات.ينظر الأعلام للزركلي٣٨/٢، ومعجم المؤلفين٤١٨/١.

(٥) الكليات للكفوي ص:٦٥٠.

(٦) **الزبيدي:** هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الزبيدي اللغوي الفقيه الحنفي ولد سنة ١١٤٥هـ وتوفي ١٢٠٥هـ من آثاره تاج العروس من جواهر القاموس واتحاف سادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين وغيرها نحو مائة مؤلف. ينظر ترجمته في: مقدمة تاج العروس٢٨ وما بعدها، تاريخ عجائب الآثار للجبرتي ٧٣/٢(٥٢٠)، هدية العارفين للبغدادي٣٤٧/٢، معجم المؤلفين لكحالة ٦٨١/٣.

(٧) تاج العروس٣٣٠/٨.

(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية١٤٩/١٠.

(٩) **ابن حجر:** هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ولد سنة٧٧٣ هـ وتوفي ٨٥٢ هـ، كتب في ترجمته كتب مستقلة منها الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي، ثلاث مجلدات.

(١٠) فتح الباري٤١٢/١١.

وقال الجرجاني-رحمه الله-: العبادة فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه[1].

وقال الحكمي-رحمه الله-:**ثم العبادة هي اسم جامع*** لكل ما يرضي الإله السامع** [2].

والحاصل من مجموع التعريفات: أن العبادة تشمل جميعَ أمورَ الدين من أقوال أو أعمال، أو اعتقادات؛ فالعبادة مفهومها واسع جداً وتشمل شؤون الحياة كلها.

ويتجلى مناسبة المعنى الشرعي للمعنى اللغوي، من حيث إن العبادة في اللغة تطلق على الذلّ والخضوع والطاعة والتنسك...وغيرها، وهذه المعاني كلها موجودة في المعنى الشرعي، إلا أنه زِيدَ في المعنى الشرعي معنى الحب الكامل، مع بلوغ الغاية القصوى لكل معنى من المعاني اللغوية، أي غاية الحب والذل وكمال الخضوع.

الفرع الثالث : أركان[3] العبادة

تبيّن في المعنى الشرعي للعبادة أنها لا تتحقق إلا إذا تحققت أركانها واكتملت شروطها، و يظهر من أقوال العلماء أن أركان العبادة هي:

١- غاية الذل والخضوع للمعبود.

٢- نهاية التعظيم للمعبود.

٣- كمال المحبة للمعبود.

٤- الطاعة المطلقة للمعبود.

٥- الخوف الكامل من المعبود.

٦- الرجاء التام من المعبود.

٧- الرضا التام بالمعبود.

---

(١) التعريفات للجرجاني ص١٩٠.

(٢) معارج القبول١/٣٤٣.

(٣) **الركن** :هو جانب الشيء الأقوى فيكون عينه .وفي الاصطلاح ما يقوم به الشيء (من التقوّم) إذ قوام الشيء بركنه، ينظر التعريفات للجرجاني ص١٤٩ .

٨- الاعتقاد بأن للمعبود سلطة غيبية على العابد.

وبعض هذه الأركان تدخل في بعض ومدارها على ثلاثة أركان، وهي: الحب والرجاء والخوف، والباقي تدخل فيها [١].

ومن هذه الثلاثة تلتئم العبادة؛ فإذا اجتمعت هذه الثلاثة تحققت العبادة و إلا فلا.

قال تعالى:﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [٢] .

فقوله تعالى: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ إشارة إلى ركنية المحبة.

وقوله تعالى:﴿ ويرجون رحمته﴾ دليل على ركنية الرجاء.

وقوله تعالى:﴿ ويخافون عذابه﴾ دليل على ركنية الخوف.

وباجتماع هذه الأركان تتحقق العبادة، وإذا لم تكتمل الأركان الثلاثة كلها لم تتحقق العبادة [٣].

ومن العلماء من يذكر للعبادة ركنين وهما :غاية الحب مع غاية الذلّ ، لكنهم لايغفلون الرجاء والخوف ؛ لأن الرجاء والخوف لازمان لذلّ [٤] .

وإلى هذين الركنين أشار العلامة ابن القيّم بقوله :

---

(١) جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ١/ ٣٢٥.

(٢) سورة الإسراء (٥٧) .

(٣) قال حافظ الحكمي :اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب، ومناط العبادة غاية الحب مع غاية الذل، ولا تنفع عبادة من هذين دون الآخر، ولهذا قال بعض السلف : من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عَبَدَ الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عَبَدَه بالخوف وحده فهو حروري (خارجي)، ومن عَبَدَه بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. معارج القبول ١/٣٤٣، وينظر جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ١/٣٥٠ .

(٤) الرجاء والخوف لازمان للذل، وبهذا تكتمل أركان العبادة الثلاثة، وهو الخوف ،الرجاء والمحبة، سيأتي بيان كل واحد منها في مبحث على حدة في الباب الأول - إن شاء الله تعالى-. وإلى هذا أشار ابن جرير -رحمه الله- في معنى العبادة .جامع البيان ١/١٦١.

« وعبادة الرحمن غاية حبه   مع ذلّ عابده هما قطبان
وعليها فلك العبادة دائر   ما دار حتى قامت القطبان »[١]

وقال -رحمه الله- :

«ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان »[٢]

فالخوف لوحده ليس عبادة إذا لم يجمع معه المحبة والرجاء، كالخوف من الظالم والحيوان المفترس ونحوها ليست عبادة.

وكذا الرجاء لوحده ليس عبادة، إذا لم تجتمع معه المحبة والخوف، كرجاء بعض الناس بعضهم تحت الأسباب ليس عبادة.

والمحبة وحدها ليست عبادة لجواز أن يكون الشيء محبوباً، ولا يكون معبوداً لفقدان الخوف، والرجاء، أو أحد هما كالولد، والزوجة، والوطن، فإنها محبوبة؛ ولكن ليست معبودة. إلا إذا وصل الشخص في صرفها لغير الله تعالى إلى درجة تليق بالله وحده فقد أشرك مع الله ﷻ في تلك العبادة. قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[٣].

والصوفية[٤] الذين يقولون (لا مقصود إلا الله)، ويقصدون بذلك أنهم لا يعبدون الله رجاء الجنة وخوفا من النار؛ فهم على خطأٍ مبين، و إذ أنهم لم يأتوا بالعبادة الحقة لله ﷻ ؛ لخلوّ أعمالهم من الخوف والرجاء.

---

(١) الكافية الشافية لابن القيم مع شرحها توضيح المقاصد لابن عيسى ٢٥٣/١، وشرح الهراس لها ٩٩/١.

(٢) الكافية الشافية مع شرحها للهراس ١٣٧/٢ .

(٣) سورة البقرة (١٦٥) .

(٤) **الصوفية**: نسبة إلى التصوف وهم الذين يتوخون تربية النفس و ألمّوا بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد والاستدلال حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية المختلفة، ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة لمانع الجهني ١/ ٢٥٣.

الفرع الرابع : شروط[1] العبادة

ذكر العلماء - رحمهم الله - لقبول العبادة ثلاثة شروط:

١- الإيمان: فلا يقبل أي عمل صالح إذا صدر من غير مؤمن ولو كان عمله هذا على منهاج الرسول ﷺ وأراد به وجه الله.

٢- الإخلاص[2]: فلا تقبل الأعمال التي أشرك فيه غير الله ولو صدرت من مؤمن متبع الرسول في هذا العمل كالرياء والسمعة ونحوها

٣- المتابعة[3]: فلا تقبل البدع من أحد، ولو صدرت من مؤمن مخلص وأراد بها وجه الله؛ إذ أنها ليست مطابقة لهديه ﷺ .

وإلى هذه الشروط الثلاثة أشار الباريء عزّ وجلّ في قوله:﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[4] .

فقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ يدل على اشتراط الشرط الثاني.

وقوله تعالى:﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ يدل على اشتراط الشرط الثالث.

قوله تعالى:﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يدل على اشترط الشرط الأول.

ومثله قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾[5] .

---

(١) **الشرط**: هو ما يتوقف ثبوت الحكم عليه. التعريفات ص:١٦٥.

(٢) **الإخلاص**: وهو أن لا يريد بالعمل سوى وجه الله، والوصول إلى دار كرامته، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله. ينظر تقريب التدمرية لابن عثيمين ص:١٢٤.

(٣) **المتابعة**: وهي متابعة الرسول محمد ﷺ بأن لا يتعبد لله تعالى بغير ما شرعه، وهذا من تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ولا يتحقق المتابعة إلا بموافقة العبادة للشرع في ستة أمور سببها، وجنسها، وقدرها، وكيفيتها، وزمانها، ومكانها. ينظر المرجع السابق ١٢٤، ١٢٦.

(٤) سورة الإسراء (١٩).

(٥) سورة الكهف (١١٠).

فقوله تعالى:﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ يدل على الشرط الأول .

وقوله تعالى:﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا ﴾ يدل على الشرط الثالث .

وقوله تعالى:﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ يدل على الشرط الثاني .

وفي الحديث القدسي[1]قال رسول الله ﷺ:((**قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**))[2].

وقال ﷺ :((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**))[3].

والعلماء -رحمهم الله- غالباً يقتصرون على ذكر شرطين للعبادة: وهما الإخلاص، والمتابعة، لأن كلامهم يكون في عبادة المؤمن، والمؤمن لابدّ له من الإيمان الخالص؛ فإن غير المؤمن لا يقبل منه عمل أصلاً، أخلص فيه أو لم يخلص، وافق الشرع أو لم يوافقه؛ لأنه ما انقاد للدين الذي لا تقبل الأعمال إلا من أهله، كما قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4] فلهذا المعنى لم ينص أكثر العلماء على اشتراط الإيمان اكتفاءً بكونه ظاهراً لا خفاء فيه[5].

قال ابن القيم -رحمه الله- مبينا شرطي العبادة:

((ومداره بالأمر أمر رسوله	لا بالهوى والنفس والشيطان
فقيام دين الله بالإخلاص والـ	إحسان إنّهما له أصلان
لم ينج من غضب الإله وناره	إلا الذي قامت به الأصلان

(1)**الحديث القدسي** : هو ما نُقل إلينا عن النبي ﷺ مع إسناده إياه إلى ربه ﷻ ، ينظر: تيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان ص:١٢٧.

(2)صحيح مسلم مع شرحه للنووي ١٨/ ٣١٦ ح(٧٤٠٠) باب من أشرك في عمله غير الله.

(3)صحيح البخاري مع فتح الباري ٥/ ٣٧٠ كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (ح٢٦٩٧)، و صحيح مسلم مع شرحه للنووي ٢٤٢/١١كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة (ح٤٤٦٧).

(4) سورة آل عمران (٨٥).

(5)جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة للعنقري ص:٣٨٩- ٣٩٠.

والناس بعد فمشرك بإلــــهــــه   أو ذو ابتداع أوله وصفان » [١]

وقال ابن كثير -رحمه الله- : في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [٢] « وهذان ركنا العمل المتقبل؛ لابد أن يكون خالصا لله،صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم » [٣].

الفرع الخامس: أنواع العبادة

عبادة الله نوعان: عامة، وخاصة [٤].

فالعبادة العامة: هي عبادة أهل السماوات والأرض، كلهم مؤمنهم وكافرهم، بأنهم مسخّرون، ومملوكون، وهذه العبادة متعلقة بربوبية الله ﷻ، وهي المقصودة في قول الله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾[٥].

وحقيقة هذه العبادة هي الخضوع لأمر الله الكوني طوعا أو كرها، فجميع من في السماوات والأرض خاضعون، ومستسلمون، وقانتون[٦].

العبادة الخاصة: وهي العبادة الطاعة والمحبة و إتباع الأوامر، المتعلقة بالإلهية، وهي المأمور بها في قوله ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [٧]

وحقيقة هذه العبادة الخضوع لأمر الله الشرعي رغبة، ورهبة، ومحبة، وتعظيما[٨].

---

(١)الكافية الشافية لابن القيم مع شرحها توضيح المقاصد لابن عيسى١/٢٥٣.

(٢)سورة الكهف (١١٠).

(٣)تفسير القرآن العظيم ٩/٢٠٥.

(٤) معارج القبول للحكمي١/٣٤١، والقول المفيد لابن عثيمين١/١٠.

(٥)سورة مريم(٩٣).

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية١/٤٥.

(٧) سورة النساء(٣٦).

(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية١/٤٥.

وكل ما تقدم في المعنى الشرعي للعبادة وأركانها وشروطها، هي كلها للعبادة الخاصة؛ لأن العبادة إذا أطلقت من غير قيد يقصد بها العبادة الخاصة غالبا.

والعبادة الخاصة تشمل الدين كله، و هذه العبادة ليست محصورة في أركان الإسلام؛ بل جميع شعب الإيمان تدخل تحت مسمى العبادة(١).

وحصر أنواع العبادة الخاصة كلها أمر فيه صعوبة كبيرة؛ لكثرة الأفعال، والأقوال، والإرادات، والاعتقادات التي يطلق عليها اسم العبادة.

والعلماء-رحمهم الله-قسموا تلك الأنواع إلى مجموعات، باعتبارات مختلفة ليسهل إدراك أنواع العبادة كلها.

فبعضهم قسمها إلى عبادة مالية، وعبادة بدنية، وعبادة مركبة منهما، فالمالية كالزكاة، والبدنية كالصلاة، والمركبة منهما كالحج والعمرة،(٢).

وبعضهم قسّمها إلى الباطنة والظاهرة:

فالباطنة هي الأعمال القلبية التي بطنت كالمحبة، والخوف، والرجاء، ونحوها.

والظاهرة هي التي ظهرت على الجوارح كالدعاء والذبح، والنذر ونحوها(٣).

وبعضهم قسمها إلى عبادات قلبية، وعبادات لسانية، وعبادات بدنية(٤).

وبعضهم قسمها إلى عبادات لفظية، وعبادات بدنية، وعبادات مالية، وعبادات اعتقادية(٥).

وزاد بعضهم قسماً آخر وهو عبادات مركبة من قولية، وبدنية، ومالية كالحج(٦).

وقسمها البعض إلى عبادات أمر الله باعتقادها، وعبادات أمر الله بفعلها أو التعبد لله بالكف عن عملٍ(٧).

---

(١) تذكر الكتب التي تعتني بذكر شعب الأيمان جملة كبيرة من العبادات كالجامع لشعب الإيمان للبيهقي.وشعب الإيمان للقصري، وشعب الإيمان للصاعرجى وغيرها.

(٢) الدر المختار مع رد المحتار لابن عابدين الحنفي٢/٦٥٧-٦٥٨.

(٣) جهود الشافعية للعنقري ص:٢٠٣.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم١/١٠٩.

(٥) صيانة الإنسان عن وسوسة الدحلان، للسهسواني ص١٥٧-١٥٨.

(٦) جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني١/٣٣٠.

(٧) آداب الدنيا والدين للماوردي ص:٩٥.

واخترت من بين هذه التقسيمات تقسيم العبادة إلى ثلاثة أنواع:

١- عبادات قلبية. ٢- عبادات لسانيه. ٣- عبادات بدنية.

وذلك لنصِّ كثير من علماء الأمة وسلفها في تعريف الإيمان بأنه: **إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح**(١)، والعبادة تشمل الدين كله كالإيمان.

ولذا عرف **ابن حبان**(٢) -رحمه الله- العبادة بالإيمان، فقال: ((عبادة الله: **إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح**))(٣).

وسيكون الكلام -إن شاء الله- عن الانحرافات المتعلقة بكل نوع من أنواع العبادة في باب مستقل، ثم يكون بيان موقف الإسلام من تلك الانحرافات، وبالله التوفيق.

---

(١) الإبانة لابن بطة ٨٠٧/٢، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥٣٥/١، والتعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف ص:٧٨.

(٢) **ابن حبان:** هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي، محدث، حافظ، مؤرخ، فقيه، ولد ٢٧٠هـ وتوفي ٣٥٤هـ تذكرة الحفاظ ٩٢/٣ رقم ٨٧٩، معجم المؤلفين ٢٠٧/٣ رقم ١٢٦٩٤.

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق الأرنؤوط ٤٤٢/١، ونقله عنه ابن حجر في الفتح ٤١٢/١١ (ح ٦٥٠٠).

المطلب الرابع
توحيد العبادة، وعلاقته بأنواع التوحيد الأخرى.

لقد عرفنا فيما سبق التوحيد لغة، وشرعا، كما عرفنا العبادة لغة، وشرعا، وفي هذا المطلب نتعرف على توحيد العبادة-مركبا مزجيا[(١)]-كعَلَمٍ على أحد أنواع التوحيد، ثم نذكر علاقته بأنواع التوحيد الأخرى، وذلك في فرعين، فنقول وبالله التوفيق.

الفرع الأول: تعريفه

توحيد العبادة يسميه العلماء أحيانا توحيد الألوهية[(٢)] أو توحيد الإلهية[(٣)].

قال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-في تعريف توحيد الإلهية: هو عبادة الله وحده لا شريك له[(٤)].

وقال الأمير الصنعاني-رحمه الله-: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات[(٥)].

وقال السعدي-رحمه الله-: توحيد الإلهية والعبادة، هو إفراده وحده بأجناس العبادة، وأنواعِها، وأفرادِها[(٦)]من غير الإشراك به في شيء منها مع الاعتراف بكمال ألوهيته[(٧)].

وقال ابن عثيمين-رحمه الله-: إفراد الله بالعبادة[(٨)].

---

(١) **المركب المزجي**: هو كل اسمين نُزّل ثانيهما منزلة تاء التأنيث من أولهما[أي جُعلا اسما واحدا فيجري الإعراب على الثاني]كحضر موت وبعلبك: عَلَمان لبلدتين، وكأصول الفقه عَلَمًا لعِلْم معروف، وكتوحيد العبادة عَلَماً لأحد أنواع التوحيد.ينظر معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة وكامل المهندس ص:٢٥٣، والتعريفات للجرجاني ص:٢٦٤.

(٢) وحصل الاختلاف في التسمية؛ لأن في هذا التوحيد يفرد العابدُ اللهَ بالعبادة. فباعتبار إضافته إلى العابد يسمى توحيد العبادة، وباعتبار إضافته إلى الله ﷻ يسمى توحيد الألوهية. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٧/٨.

(٣) توضيح الكافية الشافية للسعدي، تحقيق أشرف عبد المقصود ص:٢١٠.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص:٢٩/١.

(٥) تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد بتعليق شيخنا عبد المحسن العباد البدر ص:٥٠.

(٦) في المطبوع(إفرادها)ولعل الصحيح ما أثبتناه.

(٧) الفتاوى السعدية ص:١٠.

(٨) تقريب التدمرية لابن عثيمين ص:١٢٣.

الفرع الثاني: العلاقة بين توحيد العبادة و أنواع التوحيدِ الأخرى

أنواع التوحيد الثلاثة(توحيد الأسماء والصفات، توحيد الربوبية، توحيد العبادة) متلازمة يكمل بعضها بعضا، ولا ينفك كل نوع منها عن الآخر، ولابد في الإيمان من الإتيان بها جميعها على الوجه المطلوب، والخلل في نوع منها خلل في الجميع، ولكل نوع منها علاقة مع النوعين الآخرين وهذه العلاقة هي علاقة تلازم وتضمن وشمول وتفصيل هذا كالآتي[(١)]:

العلاقة بين توحيد العبادة و توحيد الربوبية

بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية علاقة تضمن، والتزام.

وذلك أن توحيد العبادة متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس[(٢)]؛ فكل موحد بتوحيد العبادة هو موحد بتوحيد الربوبية، ولا عكس؛ لأن المشركين كانوا معترفين بتوحيد الربوبية ومع ذلك كانوا مشركين في توحيد الألوهية.

ومعنى كونه متضمناً له أي أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد العبادة؛ فإن من عَبَدَ الله ﷻ وحده ولم يشرك به شيئا؛ لابد قد اعتقد أن الله ربه، ومالكه الذي لا ربّ له غيره، ولا مالك له سواه، فهو يعبده لاعتقاده أن الأمر كله بيده وأنه هو الذي يملك خيره ونفعه[(٣)].

ومن جهة ثانية: توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد العبادة كاستلزام الدليل للمدلول فتوحيد الربوبية كالدليل على توحيد العبادة.

---

(١) سيأتي قريبا بيان العلاقة بين توحيد العبادة بغيره، وأما العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فهي علاقة شمول وتضمن، فتوحيد الأسماء والصفات يشمل توحيد الربوبية ويتضمنه كما يتضمن توحيد العبادة ويشمله؛ وذلك أن توحيد الأسماء والصفات يقوم على إفراد الله ﷻ بكل ماله من الأسماء والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له وحده، ومن جملتها (الرب والخالق والرازق والملك) وهذا هو توحيد الربوبية، وإثبات هذه الأسماء ومعانيها لله وحده، هو توحيد الربوبية.وبعبارة أخرى أن توحيد الربوبية هو مقتضى اسم«الرب»وصفة الربوبية فتوحيد الربوبية جزء من توحيد الأسماء والصفات وهو يشمله.ينظر الكواشف الجلية للسلمان ص٤٢٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي١/٢٩، ٣٢، ٤١، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيميه ٩/٣٤٤.

(٣) الكواشف الجلية للسلمان ص:٤٢١.

وبيان كونه مستلزما له؛ أن من أقر بتوحيد الربوبية، وعلم أن الله هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته؛ لزمه من ذلك الإقرار بأن يفرد الله بالعبادة وحده؛ لأنه لا يصلح أن يُعبد إلا من كان ربّاً، خالقاً، مالكاً، مدبراً؛ وما دام ذلك لله، وجب أن يكون هو المعبود وحده، ولهذا جرت سنّة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد العبادة ومن أمثله ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾(1).

وقال تعالى:﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (2)»اهـ(3).

العلاقة بين توحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات

علاقة توحيد العبادة بتوحيد الأسماء والصفات علاقة شمول، والتزام.

ومعنى الشمول هنا أن توحيد الأسماء والصفات شامل لتوحيد العبادة؛ فتوحيد العبادة داخل فيه، وذلك لأن «الإله» بالتعريف اسم لله ﷻ كما في قول خُبيب ابن عدي رضي الله عنه(4):

«وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزع».

---

(١) سورة البقرة (٢١-٢٢).

(٢) سورة النمل (٦٠-٦٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/٣٦.

(٤) **خُبَيْب**: هو خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري الأوسي بدري مشهور قتل صبراً بمكة. تجريد أسماء الصحابة للذهبي ١/١٥٦رقم١٦١٢.

ولم يُنكِره الرسول ﷺ ولذا احتج به الإمام البخاري في صحيحه[(١)]، وإذا ثبت أن الإله من أسماء الله تعالى وكل اسم من أسمائه دال على صفة كما هو معلوم، فصار توحيد الألوهية داخلا في توحيد الأسماء والصفات والثاني شامل للأول ويتضمنه[(٢)].

ولأن توحيد الألوهية هو مقتضى اسم الله، وصفة الألوهية؛ فبهذا الاعتبار صار توحيد الألوهية جزءاً من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الأسماء والصفات يشمله؛ فهو عام وتوحيد العبادة خاص.

ومن جهة ثانية: أن توحيد الأسماء والصفاتِ مستلزم لتوحيد العبادة؛ لأن الأسماء الحسنى والصفاتِ العليا، مقتضية لآثارها من العبودية؛ فمن أسماء الله الغفور، واعتقاد العبد أن الله هو يغفر الذنوب يقتضي أن يطلب من الله وحده المغفرة لخطاياه، ومن أسمائه تبارك وتعالى «الله»، والمعنى المعبود، وهذا يقتضي أن يُعبَد وحده، وهكذا جميع أسمائه مقتضية لآثارها؛ فتقوم بالتوبة إليه وحده لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبّد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير[(٣)]؛ فصار توحيد الأسماء والصفات مستلزماً لتوحيد العبادة.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التوحيد باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسـامي الله عز وجل وقال خُبيب: وذلك في ذات الإله... ١٣/٤٦٦(ح٧٤٠٢).

(٢) حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية، لعلى بن نفيع العلياني ص٩١-٩٢.

(٣) القواعد المثلى ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثمين٣/٢٦٧.

المطلب الخامس

التعريف بإقليم سرحد، ودخول الإسلام إليه

أولا: التعريف بإقليم سرحد

موقع إقليم سرحد

يقع إقليم سرحد[١] في شمال غربي دولة باكستان الإسلامية[٢] من شبه القـارة الهندية، في جنوب آسيا، وهو أحد أقاليم باكستان الأربعة، وهي: البنجـاب، والبلوتشـستان، والـسند، والسرحد.

حدود إقليم سرحد ومساحته وعدد سكانه:

يحد إقليم سرحد من الشرق إقليم بنجاب، ورئاسة الكشمير الحـرة، و مـن الغـرب أفغانستان، و من الشمال رئاسة الكشمير الحرة وأفغانستان، وأما من الجنوب فإقليم بلوتشستان.

وتبلغ مساحة إقليم سرحد (٧٤٥٢١) كيلومتر مربع، وبالإضافة إلى المناطق القبائلية التي تستقل إداريا نوعا ما من إقليم سرحد والتي تبلغ مجموع مساحتها(٢٧٢٢٠) كيلـو متر مربع[٣]. فيكون مجموع مساحة إقليم سرحد (١٠١٧٤١) كيلو متر مربع.

وأما عدد سكان إقليم سرحد فحسب العـدّ الـذي تم عـام ١٩٩٨م الموافـق ١٤١٨هـ- وهو آخر ما تم فيه عدّ سكان باكستان إلى عام ٢٠١٠م الموافق ١٤٣١هـ يبلغ عدد السكان (١٧٧٣٥٩١٢) نسمة للمناطق التي تلتحق إداريا بحكومة إقليم سرحد، وبالإضافة إلى المناطق القبائلية والتي تسمى (ايجنسي) (٣١٣٧٨٦٣) نسمة[٤].

فيكون المجموع (١١٠٨٧٣٧٧٥) نسمة لجميع سكان إقليم سرحد في باكستان.

---

(١) ينظر: خريطة إقليم سرحد باكستان باللغة الإنجليزية وهي إحدى اللغات العالمية في ملحق رقم(١)، وباللغة الأردية وهي الرسمية للدولة في ملحق رقم(٢) في آخر البحث ص: ٩٩٩.

(٢) ينظر: خريطة دولة باكستان الإسلامية في ملحق رقم(٣) في آخر البحث ص: ١٠٠١.

(٣) يُنظر: ((باكستان كا جعرافية اور معيشت)) لإحسان الله ثاقب ص: ١٠٠، وص: ١٢٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص: ١٣٦-١٣٨.

أشهر مدن إقليم سرحد:

يعد إقليم سرحد في باكستان من أكثر الأقاليم جبالا بين أقاليم باكستان الأربعة، وهو يضم أراضي صحراوية كبيرة، ومناطق جبلية راسخة، ومدنا كثيرة واسعة، ومن تلك المدن: **مدينة بشاور وهي أكبر مدن الإقليم، ودار الحكم ومقرّ الوالي**.ونوشهره، وچارسده، ومردان، وصوابئ، وملا كنڈ، ومنگوره، وكالام، وبحرين، وچترال، ودير، وتيمرگره، وبونير، وشنگلا، ولنڈي كوتل، وباجاوڑ، وگندهاب، وناواگئ، وهريپور، وغازي، وداسو، ومانسهره، وبٹگرام، وأيبٹ آباد، وكوهاٹ، ولكي مروت، وكرك، وبنّون، وڈيره اسمعيل خان، وٹانگ، وميران شاه من وزيرستان الشمالية، ووانا من وزيرستان الجنوبية، وغيرها.

ثانيا: دخول الإسلام إلى إقليم سرحد

إن إقليم سرحد يضم مدنا كثيرة، ومناطق قبائلية شاسعة، وأراضي صحراوية واسعة، وجبالا راسية، فلم يتمكن المسلمون من إيصال الإسلام إلى جميع أراضيها في زمن واحد، بل وصل الإسلام إلى مناطقه المختلفة، في أزمنة متعددة على أيادي المجاهدين وجهودهم الجبارة المباركة المتنوعة.

ويمكننا هنا أن نذكر خلاصة تلك الجهود، ونماذج من رؤساء تلك الوفود المجاهدة، ونحيل إلى المصادر.

كان سكان أراضي إقليم سرحد قبل وصول الإسلام إليهم يتديّنون بديانة البوذية والهندوسية، وأول ما وصل نور الإسلام إلى بعض أراضي إقليم سرحد، وهي المناطق الجنوبية لإقليم سرحد مثل ڈيره اسمعيل خان، وكوهاٹ، وكرك، وبنّون، ووزيرستان الشمالية، والجنوبية، فقد كان في زمن خلافة عثمان بن عفان ﷺ الخليفة الراشد الثالث،

وذلك في حوالي عام٣٠-٣٢هـ وذلك على يد ربيع بن زياد الحارثي(١) الذي أرسله والي خراسان(٢)عبدُ الله بن عامر(٣)لفتح هذه المناطق، ولكن الناس بغوا بعد ما رجع عنهم الربيع ﷺ إلى لقاء ابن عامر؛ فأرسل ابنُ عامرٍ عبدَ الرحمن بن سمرة بن حبيب القرشي(٤) ففتح هذه المناطق ثانية(٥).

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنهما-وبعد أن فتح ابن سمرة ﷺ كابلَ، أرسل المُهَلَّبَ ابن أبي صفرة(٦) في جيش كبير من المجاهدين، ونزل من كابل إلى جلال آباد

---

(١) **ربيع بن زياد:** ربيع بن زياد بن الربيع الحارثي من بني الحارث بن كعب، وكان خيرا متواضعا استخلفه أبو موسى على قتال مناذرسنة١٧هـ ولاّه ابن عامر على سجستان ثم استعمله عليها معاوية، وبقي أميرا عليها مدة ثم عزله زيادُ بن أبيه عنها، واستعمله على خراسان. يُنظر: أسد الغابة لابن الأثير٢/٢٥٥برقم(١٦٢٥)، والإصابة لابن حجر٢/٢٨٠برقم(٢٥٨٣)تاريخ خليفة ابن خياط ص:١٦٤ فتح سجستان، وص: ١٨٠(تسمية عمال عثمان).

(٢) **خراسان:** اسم لبلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، ويدخل فيها عدة دول حاليا كأفغانستان، وإيران كاملا وبعض مناطق باكستان وتركيا وغيرهما. يُنظر: معجم البلدان للحموي ٢/٤٠١.

(٣) **عبد الله بن عامر:** هو عبد الله بن عامر بن كُرَيْز-بالتصغير-بن ربيعة بن حبيب القرشي وُلِد على عهد رسول الله ﷺ، وهو افتتح خراسان، وقُتل كسرى في ولايته، وفي سنة٢٩هـ ولاّه عثمان بن عفان خراسان توفي سنة٥٧هـ أو٥٨هـ بالمدينة النبوية. يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٣/٩٣١برقم(١٥٨٧)وتهذيب التهذيب لابن حجر٥/٢٤٢برقم(٣٥١٦).

(٤) **عبد الرحمن بن سمرة:** هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب القرشي يكنى أبا سعيد، أسلم يوم فتح مكة، وغزا خراسان في زمن عثمان؛ وهو الذي افتتح سجستان، وكابل، وكان قد ولاّه ابن عامر سجستان سنة ٣٣هـ، فلم يزل بها حتى اضطرب أمر عثمان، وتوفي بالبصرة سنة٥١هـ وصلّى عليه زياد.يُنظر:الاستيعاب لابن عبد البر٢/٨٣٥ برقم(١٤٢٢)وأسد الغابة لابن الأثير٣/٤٥١برقم(٣٣٢٣).

(٥) يُنظر: الكامل لابن الأثير ٣/٢٢-٢٣في حوادث سنة٣١هـ.تاريخ خليفة بن خياط ص: ١٨٠ مبحث تسمية عمال عثمان ﷺ، و(جهاد في سبيل الله)ترتيب: أفسر ولي خان ص: ٨.

(٦) **المُهَلَّب:** هو المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سارق بن صبح الأزدي أبو سعيد البصري، يقال: إن عمرَ ﷺ قال لأبي صفرة: هذا سيد ولدك، يعني المهلب، مات سنة ٨٢هـ وله٤٦سنة، أقام واليا =

عاصمة ولاية ننجرهار التي تتبع دولة أفغانستان الحالية، ومـــن ثم إلى المنـــاطق الغربيـــة والجنوبية لإقليم سرحد الحالي مثل: وادي خيبر(خيبر ايجنسي)، وبعض ما جاور بـــشاور ومن ثَمَّ إلى باقي المناطق مثل: كوهاٹ، وكرك، وبنّون، ولاهور[1]وكان ذلك عام ٤٤هـــ تقريبا، وفي فتح (بنّون) قال بعض من كان في جيش المهلب الأزدي:

ألم ترى أن الأزد ليلة بيّتوا* بِبَنَّةَ كانوا خير جيش المهلب**[2].

المرد ببنّة هي منطقة (بنّون) التي تقع في جنوب إقليم سرحد.

وذكر بعض المصنفين في إقليم سرحد أن سنان بن سلمة بن محبق ﷺ[3] أرسله والي

=

على خراسان من قبل الحجاج تسع سنين.يُنظر: الثقات لابن حبان٥/٤٥١، تهذيب التهذيب لابن حجر١٠/٢٩٤برقم(٧٢٥٦)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٦٣٨برقم(٦٩٣٧).

(١) **لاهور**: بهذه التسمية في باكستان الحالي موضعان: أحدهما: مركز إقليم(بنجاب)، والثاني: منطقة صـــغيرة في إقليم سرحد الحالي تتبع مديرية صوابي، وتسمى حاليا(**چوٹا لاهور**)يعني اللاهور الصغير، ويظهـــر أن هـــذا الموضع هو الذي وصل إليه المهلب بن أبي صفرة؛كما أشار إلى هذا عديد من الكُتب كـــ((تـــاريخ صـــوبه سرحد)) لمحمد شفيع صابر ص:٢١٢، و((ثقافت سرحد)) لقاري جاويد إقبال ص: ٢٧٥، و((**عالم ميں انتخاب پشاور**)) للدكتور أمجد حسين ص:٣٨، وغيرهم من المصنفين.لأن هذا الموضع كان مقـــر حكـــم الهندوسي كالحاكم((جي پال، وابنه أنند پال، وابنه نزلو چن پال)) واللاهور هذا فتحه أخيرا محمود الغزنوي.

(٢) يُنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير٣/٣٠٢في ذكر حوادث سنة٤٤هـــ، تاريخ خليفة بـــن خيـــاط ص: ٢٠٦ حوادث سنة ٤٤هـــ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي١/٥٩٤برقم(٢١٩٠)فتوح البلدان للبلاذري ص:٤٢١، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة للأتـــابكي ١/١٦٤، والأدب الأفغـــاني الإســـلامي للدكتور محمد أمان صافي ص: ٢٦، و((جهاد في سبيل الله)) ترتيب: أفسر ولي خان ص: ٨-٩.

(٣) **سِنَان**: هو سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي يكنى أبا عبد الرحمن، قيل: ولد يوم حرب حنين، وكان مـــن الشجعان الأبطال الفرسان، ولما قتل عبد الله بن سوار في الهند سنة٤٨هـــ كتب معاوية ﷺ إلى زيـــاد بن أبيه: انظر رجلاً يصلح لثغر الهند فوَجِّهْهُ. فوَجَّهَ زيادُ سنانَ بن سلمة بن المحبق الهذلي إلى الهند.وقيل: ولّيَّ زيادُ سنانَ الهذلي غزو الهند بعد قتل راشد بن عمرو الجريري وذلك سنة خمسين.وتوفي سنان بـــن سلمة بن المحبق في آخر أيام الحجاج.

وأخطأ كلٌ من وزعم: أن سنان بن المحبق الهذلي هذا استشهد سنة ٤٥هـــ في أرض الهند مع أصحابه، ولهم قبر جماعي المحدد بـــ(١٨فوت)عرضا و(١٠٠فوت)طولا الواقع في مكان قريب من بـــشاور الحـــالي

=

خراسان إلى فتح المناطق الجنوبية من إقليم سرحد الحالي، بعد أن ارتدوا ثانية؛ ففتحها[(١)].

وأول من حكم حسب الشريعة الإسلامية في إقليم سرحد وعيّن لها قاضيا للحكم الشرعي فيها، هو الأمير سَبكْتَكِين[(٢)] والد السلطان محمود الغزنوي-رحمهما الله-الذي فتح مدينة بشاور وما جاورها صلحا، وبدأ فيها القضاء حسب الشريعة الإسلامية، وكان

=

يسمى (چغرمٹئ)، **فهذا خطاء فاضح!!!**، لأن سنان تولى غزو الهند بعد سنة خمسين أو ثمانية وأربعين، ومات في أخر عهد الحجاج، وكان ذلك في التسعينات، كما يظهر من الروايات التاريخية. وفوق ذلك ليس هناك دليل لمن يدعي أن هذا القبر المزعوم هو لسنَان ﷺ وأصحابه، وقد سألت بعض سدنة القبر. **فقلت له:** ما الدليل على أن هذا هو قبر سنان وزملائه؟ وإن قال أحد: إن هذا ليس قبره، بل قبره في المكان الفلاني غير هذا المكان، فكيف تثبتون أن هذا قبر سنان وزملائه دون غيره من الأمكنة؟ **فقال السادن:** (لا يمكن أن يدعي أحد هذا، والدليل على أن هذا هو قبر سنان دون غيره من الأمكنة، أن امرأة عجوزة – وكانت هي الجدة العليا لبعض سكان المنطقة-رأت في المنام أن هؤلاء الصحابة الشهداء قالوا لها: احمونا من وطئ الأغنام والبهائم!! وعرّف هؤلاء الشهداء-في النوم-لها مكان دفنهم؛ فأخبرت العجوزة الناس بما رأت، وعيّنت المكان، فأحاطوا عليه الجدار، وجعلوه مشهدا يزار، ويرتاده الناس طلبا لقضاء الحوائج المختلفة، ويطلبون شفاء أمراضهم المتنوعة؛ فيشفون بإذن الله) انتهى كلام السادن.**ومعلوم أن الأحلام والرؤى-وإن صدق فيها الرائي-لا تثبت بها الدعاوى.** يُنظر ترجمة سِنَان وأن وفاته كان في التسعينات في: تاريخ الخليفة ص: ٢٠٩حوادث سنة ٤٨هـ، والاستيعاب لابن عبد البر٢/٦٥٨ برقم (١٠٧١)، وأسد الغابة لابن الأثير٢/٥٦٠ برقم (٢٢٦١) وتاريخ الإسلام للذهبي٤/١٨حوادث سنة٤٨هـ، والوافي بالوفيات للصفدي١٥/٤٦١ برقم (٦٢٧) والتاريخ الإسلامي لأحمد شاكر١٩/١٤.

(١) يُنظر: كتاب((جهاد في سبيل الله)) ترتيب: أفسر ولي خان ص:١٠.و((ثقافت سرحد)) تأليف قاري جاويد إقبال ص:٢٠، وص:٢١٥، وص:٢٥٠.

(٢) **سُبُكْتَكِين:** هو ناصر الدولة سبكتكين والد السلطان محمود الغزنوي، مولى الأمير أبي إسحاق بن البتكين-وليس هذا بسبكتكين حاجب معز الدولة، ولا أبو منصور سبكتكين بن عبد الله أمير دمشق-كان حسن عهد ووفاء، مرض في بلخ في شعبان، فأرادوا نقله إلى غزنة فمات في الطريق٣٨٧هـ، فنقل ميتاً إلى غزنة ودفن فيها. يُنظر: الكامل في التاريخ٧/٣٧٣حوادث سنة ٣٦٦هـ والبداية والنهاية لابن كثير١١/٣٢٠حوادث ٣٦٦هـ.

ذلك عام٣٦٦هـ الموافق ٩٧٦م تقريبا، ولكن الهنود نقضوا العهد، وغدروا في الصلح؛ فاستولوا على المنطقة مرة أخرى[١].

واستقر الدين الإسلامي في أراضي إقليم سرحد الحالي، عند ما جاء السلطان محمود الغزنوي[٢]، وحارب الهنود بعد غدرهم ونقضهم للعهد الذي تم بينهم وبين والده الأمير سكبكتين، وحصلت معركة عنيفة في غرب مدينة بشاور؛ فهزمهم وانتصر عليهم في عام٣٩٢هـ الموافق ١٠٠١م تقريبا، وأضاف مدينة بشاور وما جاورها إلى حكمه، وكان مقر خلافته (غزنة) التي هي عاصمة إحدى ولايات دولة أفغانستان الحالية[٣].

فبالنظر إلى هذه الروايات التاريخية—وإن كانت الروايات التاريخية لا يعتمد عليها كثيرا—يقال: إن إقليم سرحد في باكستان، من الأقاليم التي وصل إلى أراضيها الإسلام مبكرا، وذلك قبل اكتمال النصف الأول من القرن الأول.والأمير ناصر الدولة سَبكْتَكِين هو أول من عيَّن قاضيا مسلما للحكم فيه بالشريعة الإسلامية، واستحكم الإسلام في قلوب سكان إقليم سرحد بعد أن استولى عليهم السلطان محمود الغزنوي وحكمهم في القرن الرابع.

---

(١) يُنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير٣٧٤/٧ حوادث سنة٣٦٦هـ و« ثقافت سرحد» تأليف قاري جاويد إقبال ص:٢٠، ٢٢، ٢٣.

(٢) **محمود الغزنوي**: هو السلطان محمود يمين الدولة بن سبكتكين صاحب غزنة، ولد سنة٣٦٠هـ هو أول من لُقّب بالسلطان، استولى على سائر خراسان، وفرض على نفسه غزو الهند كل عام، فافتتح منه بلاداً واسعة، وكسر سومنات صنم الهنود سنة٤١٨هـ وتوفي سنة ٤٢١هـ.يُنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير٢٠/٨حوادث سنة٣٩٢هـ، وسير أعلام النبلاء٤٨٣/١٧برقم (٣١٩)، والجواهر المضية لأبي الوفاء القرشي٤٣٨/٣ برقم(١٦١٧).

(٣) يُنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير٢٠/٨حوادث سنة٣٩٢هـ، البداية والنهاية لابن كثير٣٢٠/١١حوادث سنة٣٦٦هـ، و« ثقافت سرحد» تأليف قاري جاويد إقبال ص: ٢٢، وص: ٢٤٩.

المطلب السادس

معنى الموقف، والإسلام، وعلاقة الإسلام بالإيمان.

في هذا المطلب سيكون معنى الموقف، والإسلام لغة واصطلاحا؛ ليتضح المـــراد مـــن هذين اللفظين الواردين في عنوان البحث، وذلك فرعين:

الفرع الأول: الموقف لغة، واصطلاحا.

أ: الموقف لغة.

أصل الكلمة: (الواو، والقاف، والفاء) أصل واحد يدل على تمكّثٍ في الشيء[(1)].

تصريف الكلمة: هذه كلمة مشتقة من فعل ثلاثي: وَقَفَ، يَقِفُ، وقفا، وقوفا[(2)].

وهذا الفعل يأتي منه اللازم، والمتعدي[(3)]، ومصدر الفعل المتعدي يكـــون وقفـــا، ومصدر اللازم يكون وقوفا ومنه **الموقف**، وهو محل الوقوف حيث كان[(4)].

معنى الكلمة واستعمالاتها: يختلف معنى الكلمة باختلاف استعمالها، كقولهم:

وقف فلان وقوفا: أي قام من الجلوس، أو سكن بعد المشي.

ووقف فلان الدار: أي حبسها في سبيل الله.

ووقف فلان على الشيء: أي عاينه، وفهمه.

ووقف فلان على الكلمة: أي نطق بها مسكّنة الآخر قاطعا لها عما بعدها.

ووقف فلان في المسألة: أي ارتاب فيها، و لم يحكم فيها بشيء.

ووقف فلان الأمرَ على حضور فلان: أي علق الحكم فيه بحضوره[(5)].

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ١١٠١.

(٢) تاج العروس للزبيدي١٢/٥٢٧، ولسان العرب لابن منظور ٩/٣٧٨.

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص:٧٩٤، المعجم الوسيط ص:١٠٥١.

(٤)المقاييس في اللغة لابن فارس ص:١١٠٢،والقاموس المحيط٧٩٤،وتاج العروس للزبيدي١٢/٥٢٨.

(٥) يُنظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي٧٩٤، لسان العرب لابن منظور٩/٣٧٨، وتاج العروس للزبيدي ١٢/٥٢٧-٥٢٨، ومعجم الوسيط١٠٥١.

ب: الموقف في الاصطلاح.

كما يختلف معنى الكلمة في اللغة العربية باختلاف استعمالها كذلك يختلف معني مصطلح الموقف باختلاف استعماله: فمعنى قولهم:

ما موقف فلان من كذا؟: أي ما رأيه في كذا؟.

وإذا رأيت فلانا فما يكون موقفك؟: أي ماذا يكون رد فعلك تجاهه؟.

وموقف الطائفة الفلانية من مسألة كذا: أي مذهبهم فيها.

وموقف الإسلام من كذا: أي حكمه فيه(١).

فموقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، هو **حكمه فيها**: بأنها شرك، أو بدعة مكفرة، أو بدعة غير مكفرة،...ونحو ذلك من الأحكام الشرعية.

الفرع الثاني: معنى الإسلام، وعلاقته بالإيمان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾(٢)وقال : ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(٣)نجد الآيتين السابقتين تدلان على أهمية دين الإسلام، ومنزلته عند الله ﷻ ، فما هو الإسلام؟ سيكون إن شاء الله بيان معنى الإسلام لغة، وشرعا أولاً، ثم العلاقة بينه وبين الإيمان ، فنقول وبالله التوفيق.

أ: الإسلام لغة

أصل الكلمة: (السين، واللام، والميم) ومعظم باب (السين واللام والميم) يدل على الصحة والعافية، والبراءة(٤).

---

(١) بعض العلماء لم يعجبهم استعمال هذا المصطلح، وقالوا: إنه مصطلح أهل العصر، و لم يستعمله المتقدمون من السلف فيما يريده المتأخرون، فالأولى والأسلم استعمال المصطلحات التي استعملها السلف الصالح. ينظر: معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبي زيد ص:٣٣٦، والماتريدية للشمس السلفي الأفغاني١/١٠.

(٢)سورة آل عمران (١٩).

(٣)سورة آل عمران (١٩).

(٤) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٤٨٧، ولسان العرب لابن منظور ٤/٦٦٠.

ومن الباب الإسلام وهو الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع [1].

تصريف الكلمة: إفعال من أسلم ، يُسلم، إسلاماً[2].

ب: الإسلام شرعا.

لقد عرّف العلماءُ الإسلامَ شرعا بتعريفات كلها متقاربة المعنى، منها ما يلي:

١- « شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، دلّ عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزئ إلا به» [3].

٢- «هو الدخول في السلم أي الانقياد والمتابعة » [4].

٣- «إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له» [5].

٤- «هو الانقياد بالأفعال الظاهر الشرعية» [6].

٥- «هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده لله » [7].

هذا الذي ذكره العلماء من التعريفات يشمل الإسلام بمعناه العام والخاص، لأن الإسلام يأتي بمعناه **الخاص والعام**.

فمعنى العام للإسلام : هو ما أرسل الله به أنبياءه ورسله من أولهم إلى آخرهم.

وإلى هذا أشار النبيﷺ بقوله: « **الأنبياء إخوة لعلاّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد**» [8].

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٤٨٧.

(٢) المعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد باسل عيون السود ص:٢٣٢ الجدول(١٢١).

(٣) جامع البيان للطبري١/٢٧٥ (عن قتادة)

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص: ٣٦٦.

(٥) جامع البيان للطبري ٣/٩٤ .

(٦) المفهم شرح مسلم للقرطبي ١/١٣٩.

(٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/١٠٨.وفتح الباري لابن رجب ١/٩٢.

(٨)صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾[مريم ١٦] ٦/ ٥٨٣(ح٣٤٤٣)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام ١٥/١١٩(ح٦٠٨٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : ((فدينهم واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهو يُعبد في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت، وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت، وتنوع الشرائع في الناسخ والمنسوخ من المشروع كتنوع الشريعة الواحدة. فكما أن دين الإسلام الذي بعث به محمداً ﷺ هو دين واحد ، مع أنه قد كان في وقتٍ يجب استقبال بيت المقدس في الصلاة، كما أُمر المسلمون بعد الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وبعد ذلك يجب استقبال الكعبة، ويحرم استقبال الصخرة. فالدين واحد وإن تنوّعت القبلة في وقتين من أوقاته؛ فهكذا شرع الله تعالى لبني إسرائيل السبت، ثم نسخ ذلك وشرع الجمعة، فكان الاجتماع يوم السبت واجبا إذ ذاك ثم صار الواجب هو الاجتماع يوم الجمعة وحرم الاجتماع يوم السبت، فمن خرج عن شريعة موسى عليه السلام قبل النسخ لم يكن مسلماً، ومن لم يدخل في شريعة محمد ﷺ بعد النسخ لم يكن مسلماً)) (١).

ولقد سمى الله عز وجل كل من استسلم له وخضع لشرعه مسلما ، فقال عن نوح عليه السلام: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٢).

وقال عز وجل عن إبراهيم ﷺ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٣).

وقال عز وجل عن إبراهيم وإسماعيل- عليهما الصلاة والسلام-:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٤).

وقال عز وجل عن لوط ﷺ وأهل بيته: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٥).

---

(١)اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/٨٤٨-٨٤٩.

(٢)سورة يونس (٧٢).

(٣)سورة البقرة (١٣٠-١٣١).

(٤)سورة البقرة (١٢٧-١٢٨).

(٥)سورة الذاريات (٣٢).

وقال ﷻ عن أولاد يعقوب ﷺ : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(١).

وقال عن يوسف ﷺ :﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾(٢).

وقال الله سبحانه وتعالى عن موسى ﷺ:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾(٣).

وقال ﷻ عن سحرة فرعون:﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٤).

وقال ﷻ عن سليمان ﷺ :﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (٥).

وقال ﷻ عن أصحاب عيسى ﷺ :﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٦).

وقال ﷻ عن جميع أنبياء بني إسرائيل – عليهم الصلاة والسلام- :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا

---

(١)سورة البقرة (١٣٣).

(٢)سورة يوسف (١٠١).

(٣)سورة يونس(٨٤).

(٤)سورة الأعراف (١٢٥-١٢٦).

(٥)سور النمل (٤٢).

(٦)سورة آل عمران (٥٢).

ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

وقال ﷻ عن الجن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴾[2].

وقال ﷻ عن محمد ﷺ وأتباعه: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[4].

كل هذه الأدلة وغيرها تدل على أن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام بمعنى العام.

وأما المعنى الخاص للإسلام: فهو ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشرع﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[5]فنسخ الله به جميع الرسالات والشرائع السابقة ؛ فمن أدركه و لم يدخل فيه كان من أهل النار لقول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت وهو لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**))[6].

---

(١)سورة المائدة (٤٤).

(٢) سورة الجن (١٤).

(٣)سورة آل عمران (٢٠).

(٤)سورة آل عمران (٨٤).

(٥)سورة المائدة (٤٨).

(٦)مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمدﷺ إلى الناس ونسخ الملل بملة ٢/٣٦٤ (ح٣٨٤).

وإذا أطلقت كلمة الإسلام فالمقصود به المعنى الخاص وهو ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

وتطلق على غير ما جاء به النبي محمدﷺ من الشرائع أسماء أخرى كاليهودية، والنصرانية وغيرها، ولا يطلق عليها الإسلام البتة.

وبهذا التفصيل يمكن الجواب على سؤال هل أمة موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء -عليهم السلام- مسلمون أم لا؟.

فالجواب: إن الذين كانوا متمسكين بشرع موسى ﷺ قبل النسخ والتبديل كانوا مسلمين، وكذا المتمسكون بشرع عيسىﷺ قبل النسخ والتبديل كانوا مسلمين، وبعد أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ونسخ به جميع الشرائع السابقة، ليس أحدٌ مسلماً إلا من آمن بمحمد ﷺ وما أنزل عليه.

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن هذا السؤال بقوله: « وقد تنازع الناس فيما تقدم من أمة موسى وعيسى، هل هم مسلمون أم لا؟ وهو نزاع لفظي، فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمداً ﷺ المتضمن لشريعة القرآن، ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا، أما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا، فإنه يتناول كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء »[1].

ج: العلاقة بين الإسلام والإيمان.

لقد اختلف علماء الإسلام في العلاقة بين الإسلام والإيمان، هل هما اسمان لمسمى واحد؟ أم هما شيئان متفرقان؟ فنشأ من ذلك ثلاثة أقوال:

(١)التدمرية لابن تيمية ص: ١٧٣-١٧٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٩٤.

القول الأول: أن الإسلام والإيمان اسمان لمسمىً واحد وبه قال جماعة من العلماء منهم: الإمام البخاري -رحمه الله- والإمام محمد بن نصر المروزي[(١)] -رحمه الله- والإمام ابن مندة-رحمه الله- وغيرهم[(٢)].

استدل هؤلاء بأدلة منها قول الله تعالى:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[(٣)]فدل على أن الإسلام هو الإيمان[(٤)].

ومن أدلتهم كذلك: أنه قد فُسّر الإيمان في بعض الأحاديث بالأعمال الظاهرة كما في حديث وفد عبد القيس حيث فسر لهم النبي ﷺ الإيمانَ فقال: **أتدرون ما الإيمان؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، و إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصيام رمضان ، وأن تُعطوا من المَغْنَمِ الخُمُسَ...**»[(٥)].

ومن أدلتهم كذلك: أن الإيمان قول وعمل، وأن الصلاة والزكاة من الإيمان، وقد سماهما الله دينا، وأخبر أن الدين عند الله الإسلام،؛ فقد سمى الله الإسلام بما سمى به الإيمان، وسمى الإيمان بما سمى به الإسلام، وبمثل ذلك جاءت الأخبار عن النبي ﷺ[(٦)].

---

(١)محمد بن نصر المروزي الفقيه أبو عبد الله ثقة حافظ إمام جبل من كبار الثانية عشرة ولد سنة ٢٠٢هـ مات سنة أربع وتسعين ومائتين .تقريب التهذيب لابن حجر ص: ٩٠٢ ، تهذيب التهذيب لابن حجر٣/ ٧١٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢/٦٥٠ برقم ٦٧٤.

(٢) ينظر تفصيل القول وأدلتهم في: صحيح البخاري مع الفتح١/٦٤ كتاب الإيمان وأبوابه، والإيمان لابن منده ٣١١/١ وما بعدها، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي ص: ٣٤٦ وما بعدها.

(٣) سورة الحجرات (١٧).

(٤) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ص: ٣٤٧.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان ١٧١/١(ح٥٣)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين... ١٣٦/١(ح ١١٦) .

(٦) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ص: ٣٤٨.

وأصحاب هذا القول فسّروا قول الله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾(١)بأن المراد بالإسلام في هذه الآية هو الاستسلام خوف السبي والقتل، مثل إسلام المنافقين، قالوا وهؤلاء كفار، فإن الإيمان لم يدخل قلوبهم، ومن لم يدخل الإيمان قلبه فهو كافر(٢).

القول الثاني: أن الإسلام والإيمان اسمان لشيئين مختلفين، لكل واحد منهما مسمىً مستقل غير الآخر، فالإسلام: هو الأقوال والأعمال الظاهرة، والإيمان: هو الاعتقادات والأعمال الباطنة، وبه قال جماعة من العلماء منهم الإمام الزهري وحماد بن زيد(٣)- رحمهم الله- وغيرهم(٤).

استدل هؤلاء بأدلة منها قوله تعالى:﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾(٥). فقالوا ليس المراد هنا الاستسلام بل المراد الإسلام(٦).

واستدلوا كذلك بحديث سعد بن أبي وقاصﷺ: « أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً، وأنا جالس قال: فترك رسول الله ﷺ منهم رجلا لم يعطه - وهو أعجبهم إليّ-، فقمت إلى رسول الله ﷺ ؛ فسَارَرْتُه، فقلت: ما لك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمنا، فقال النبي ﷺ: **أو مسلم**. فسكت قليلا، ثم غلبني ما أعلم فيه فقلـــت: ما لك عن فلان؟ والله إني

(١)سورة الحجرات (١٤).

(٢) هذا ظاهر ترجمة الإمام البخاري -رحمه الله- للباب حيث قال: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جلّ ذِكره:﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾.

(٣)**حماد** :هو أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي البصري ثقة ثبت فقيه، قيل إنه كان ضريرا، ولعله طرأ عليه لأنه صح عنه أنه كان يكتب، من كبار الثامنة مات سنة تسع وسبعين وله إحدى وثمانون سنة. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص: ٢٦٨، وتهذيب التهذيب لابن حجر١/ ٤٨٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢٢٨ برقم ٢١٣.

(٤)ينظر التفصيل والأدلة في تعظيم قدر الصلاة للمروزي ص:٣٣٠ وما بعدها.

(٥)سورة الحجرات (١٤).

(٦)تعظيم قدر الصلاة للمروزي ص:٣٣٢.

لأراه مؤمنا، قال: **أو مسلما. إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يُكَبَّ في النار على وجهه** »[1].

ومن أدلتهم كذلك حديث جبريل الذي بيّـن النبي ﷺ فيه الإسلام والإيمان والإحسان وفرق بين كل واحد منهما[2].

ومن أدلتهم أن السلف يجوزون الاستثناء في الإيمان ولا يقولون بذلك في الإسلام، فيجوز أن يقول أحد : أنا مؤمن إن شاء الله، ولا يقول: أنا مسلم إن شاء الله. فهذا يدل على أن الإسلام والإيمان مختلفان في الاسم والمسمّى.

القول الثالث: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي أن الإيمان والإسلام يجتمعان في المعنى في حال ويفترقان في حين آخر وهو:

أن الإسلام إذا ذكر منفرداً فيُـراد به الدين كله، أصوله وفروعه، وكذلك الإيمان إذا ذكر منفرداً فيُـراد به الدين كله، أصوله وفروعه.

وإذا اجتمعا وذُكِرَا في موضع واحد معاً، كان المقصود بالإسلام الأعمال والأقوال الظاهرة وبالإيمان الاعتقادات والأعمال الباطنة.

وبهذا تجتمع النصوص في هذا الموضوع، واختار هذا القول أبو بكر الإسماعيلي[3]،

---

(١)صحيح البخاري مع الفتح كتاب الزكاة باب قول الله:﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ٤٢٩/٣(ح١٤٧٨)،وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب تألف من يخاف على إيمانه لضعفه...٣٥٩/٢(ح٣٧٨).

(٢)الحديث في صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان ...١٥٢/١(ح ٥٠). ومسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ...١٠١/١(ح٩٣).

(٣)**الإسماعيلي**: هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو بكر الإسماعيلي،ولد سنة ٣٧٧هـ حافظ من أهل جرجان، قال البعض في ترجمته: جمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا وتوفي سنة ٣٧١هـ. ينظر : السير للذهبي١٦/ ٢٩٢ برقم ٢٠٨، الوافي بالوفيات للصفدي ٢١٣/٦ برقم٢٦٧٨.

والخطابي[١]، وابن رجب، والنووي[٢]، وابن تيمية وغيرهم [٣].

فالنصوص التي ورد فيها ذكر الإيمان والإسلام جميعا كان كل واحد منهما على معنى غير ما يدل عليه الآخر كحديث جبريل المشهور الذي ذكر فيه مراتب الدين من الأدنى إلى الأعلى الإسلام والإيمان والإحسان[٤].

وأما النصوص التي انفرد فيها ذكر الإسلام شَمل الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة كما في حديث وفد عبد القيس حيث فسر لهم النبي ﷺ الإيمانَ فقال: **أتدرون ما الإيمان؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله، و إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان ، وأن تُعطوا من المَغْنَمِ الخُمُسَ...»** [٥].

---

(١)**الخطابي**:هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب البستي، صاحب التصانيف، منها معالم السنن شرح سنن أبي داود، والغنية عن الكلام وأهله، وشرح الأسماء الحسنى وغيرها، توفي سنة ٣٨٨هـ. ينظر: السير للذهبي ٢٣/١٧، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٢١٤ رقم ٢٠٧، وطبقات الشافعية للسبكي٢٨٢/٣.

(٢)**النووي**: هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرِي - بضم الميم وفتحها روايتان- بن حسن بن حسين بن حزام ولد بنوى من أعمال حوران بسوريه بينها وبين دمشق منـزلان، له تصانيف منها المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، والأربعين، والروضة وغيرها، توفي سنة ٦٧٦هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٩٥/٨ برقم ١٢٨٨ تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٧٠/٤، الأعلام للزركلي ١٤٩/٨.

(٣)الإيمان لابن تيمية ص: ١٥ وما بعدها. ومعارج القبول للحكمي ٢١/٢وما بعدها شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٢/١ أول كتاب الإيمان، وجامع العلوم الحلم لابن رجب ص:٣٩وما بعدها شرح السنة للبغوي ١٠/١-١١، ومعالم التنـزيل له: عند قوله تعالى:﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[البقرة ٣] والتمهيد لابن عبد البر ٩/ ٢٤٧ وما بعدها.

(٤)صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان ...١٥٢/١(ح ٥٠). ومسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ...١٠١/١(ح٩٣).

(٥)صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان ١٧١/١(ح٥٣)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين... ١٣٦/١(ح ١١٦) .

ففسّر النبيﷺ الإيمان بالاعتقادات والأقوال والأعمال الظاهرة، فعلم أنهما إذا ذُكر لوحده كان الإيمان والإسلام بمعنى واحد.

وأما النصوص التي انفرد فيها ذكر الإيمان شَمل الاعتقادات والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كقول النبي ﷺ: ((**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**))[1] فاشتمل الإيمان على الاعتقادات والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

فالعلاقة بين الإسلام والإيمان عموم وخصوص، يجتمعان في حال ويفترقان في حال آخر، يجتمعان إذا ذكر كل واحد منفردا دون الآخر؛ فيدل كل منهما ما يدل عليه الآخر، ويفترقان إذا جاء ذكرا معا في موضع واحد ؛ فيدل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ، ودلّ الآخر على الباقي، كالبر والتقوى، والمسكين والفقير، والإيمان والعمل الصالح، والنبوة والرسالة ونحوها.

---

(١)صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإيمان باب أمور من الإيمان...٧٢/١(ح٩)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب عدد شعب الإيمان١٩٥/٢(ح١٥٢)، واللفظ لمسلم.

المبحث الثاني:

أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، في إقليم سرحد، وسبل معالجتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول :

أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة.

المطلب الثاني:

سبل معالجة الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة.

المطلب الأول

أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة

الأسباب جمع السبب، والمراد بالسبب هنا: ما يكون مفضيا إلى الشيء مطلقاً[1]، وبعبارة أخرى: ما يكون مؤثرا في وجود الشيء[2]، وقد نعبر عنه في هذا البحث بالعامل، لأن ذلك أيضا يفيد المعنى الذي نريده هنا.

إن للانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة عوامل عديدة وأسباباً متنوعة، ومعرفة تلك الأسباب والعوامل، يسهّل سبل المعالجة لكثير من الانحرافات، كما أن معرفة تلك العوامل يسدّ باب كثير من الانحرافات المتوقع حدوثها نتيجة لتلك العوامل والأسباب.

وللانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة في إقليم سرحد باكستان عوامل عديدة، وسأبيّن هنا أبرز تلك الأسباب؛ ليحذر المسلمون من نتائجها الوخيمة التي نتجت من تلك الأسباب فيما مضى من الزمن؛ فيجتنبوها فيما بعد؛ لأن المؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين[3].وهذه الأسباب والعوامل كثيرة منها:

١- الجهل وهو أمها، وأهمها.

٢- الإفراط والتفريط.

٣- عدم فهم الدليل، ووضعه في غير موضعه.

٤- بُعْدُ بعض الناس، وإبعاد غيرهم عن العمل بالقرآن والسنة.

٥- تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص دون بعض.

---

(١) الكليات للكفوي ص: ٥٠٣، ولسان العرب٤/٤٦٠.

(٢) دستور العلماء للقاضي الأحمد النكري٢/١٦٢.

(٣) ورد في حديث صحيح «**لا يُلدغ المؤمن من جُحر واحد، مرتين**»متفق عليه ينظر: صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأدب باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين١٠/٦٥٠ (ح٦١٣٣)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الزهد باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين١٨/٣٢٤ (ح٧٤٢٣).

٦- الإعراض عن فهم السلف والتفسير بالمأثور.
٧- الاعتماد على المرويات الواهية والموضوعة والاستدلال بها.
٨- الاعتماد على المنامات والأحلام والاستدلال بها.
٩- الاعتماد على الكشف والمشاهدات والاستدلال بها.
١٠- الاعتماد على الحكايات والقصص والاستدلال بها.
١١- الغلوّ في تعظيم الأشخاص وأقوالهم.
١٢- إتباع الهوى والطمع المادي والمعنوي.
١٣- تأثر العلماء بعلم الكلام والمنطق.
١٤- تحريف نصوص الكتاب والسنة لفظاً أو معناً.
١٥- عدم الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد.
١٦- جهود علماء السوء في نشر الباطل.
١٧- تعوّد بعض الناس على بعض الانحرافات يصعب إقلاعهم عنها.
١٨- جهود بعض الدول والمؤسسات في الانحرافات.
١٩- وسائل الأعلام الداخلية والخارجية.
٢٠- تعظيم الآثار، والمشاهد، والقبور.
٢١- تقليد غير المسلمين والتأثر بعاداتهم.

هذه وغيرها من أسباب الانحرافات العقدية، وخاصة المتعلقة منها بتوحيد العبادة، وهذه وإن كانت متداخلة بعضها في بعض، إلا أنني سأفرد كلا منها بفرعٍ مستقلٍ؛ لتتضح أكثر، ويسهل اجتناب أخطارها، فأقول، وبالله التوفيق.

الفرع الأول: الجهل.

الجهل لغة: نقيض العلم وضده[١].

واصطلاحاً: ((عدم العلم عما من شأنه أن يعلم))[٢].

(١) مجمل اللغة لابن فارس ٢٠١/١، ومختار الصحاح للرازي ص: ٤٩.
(٢) الكليات للكفوي ص: ٣٥٠.

قال ابن القيم-رحمه الله-في معرض بيان أسباب وقوع بعض الناس في شرك القبور والأضرحة: «فإن قيل: فما الذي أوقع عبّاد القبور في الافتتان بها، مع العلم بأن ساكنيها أموات لا يملكون لهم ضرّا ولا نفعًا، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً ؟

قيل: أوقعهم في ذلك أمور منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسولَه ﷺ بل جميعَ الرسل من تحقيق التوحيد، وقطع أسباب الشرك، فَقَلَّ نصيبهم جدّاً من ذلك، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، و لم يكن عندهم من العلم ما يُبطل دعوتَه، فاستجابوا له بحسب ما عند هم من الجهل، وعُصموا بقدر ما معهم من العلم»[١].

وأكبر خطورة هو الجهلُ بعقيدة السلف، فالذين جهلوا عقيدة السلف الصالح، إذا رأوا أمراً يخالف ما اعتادوه؛ ولو كان من المسلَّمَات في عقيدة السلف الصالح لم يأخذوا به، بل ذهبوا إلى ما عليهم من الرسومات، والعادات، والبدع، ويعتبرون الحق الذي عليه سلف الأمة وأئمتها بدعة[٢] ومخالفا للإجماع[٣].

ومن أوضح الأمثلة على تركهم الحق: ذهابهم إلى ما اعتادوه من الاحتفالات بمولد النبي[٤]والاستمداد من الأموات[٥] وترويج السحر والكهانة[٦]، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ٣٩٤/١.

(٢) كالرد على من يتوسل بالأنبياء والأولياء بعد موقم.ينظر: البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٥٦، والوسيلة لسيد همايون رشيد ص:٧٢، وتسهيل البصائر لكفاية الله الداجوي ص: ٤٦٤.

(٣) الوسيلة لسيد همايون رشيد ص:٧٢، والبصائر لمنكري التوسل بالمقابر للداجوي ص:٢٢١.

(٤) درر الفرائد لغلام حيدر ص: ٢٣٦، أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٧٤٠، و«جشن عيد ميلاد النبي ﷺ» لسيد همايون رشيد ص: ٦وما بعدها، و«اختلافي مسائل كاحل» لمحمد أشرف چشتى ص: ٩٧.

(٥) كتاب«رد وهابي» لمفتي محمود البشاوري ص: ٣٢ -٣٦، ودرر الفرائد لغلام حيدر ص:١٦٦، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٦٠.

(٦) كتاب« مجرب عمليات» لمحمد نديم الصوفي وكتاب كنـــز الحسين لغلام رسول روال، وكتاب شمس المعارف لعلي البوني وغير ها من الكتب التي تروّج السحر والكهانة.

الفرع الثاني: الإفراط والتفريط.

إن من أهم أسباب الانحرافات العقدية الإفراط والتفريط، والإفراط: هو التشدد في الدين، والتفريط: هو التساهل في الدين وكلاهما منهي عنه شرعا؛ لأن كلاً منهما يتسبب في كثير من الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة.

ويدخل في الإفراط والتفريط المبالغات في الأفراح والأحزان، كالمبالغة في الأفراح التي تسبب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، من الاحتفالات بالمولد النبوي وغيرها، والأعياد السنوية غير عيدي الإسلام كعيد النَوْرُوز[(١)] وكرِسْمِس[(٢)] وغيرهما.

ومن أمثلة المبالغات في الأحزان، المأتم في يوم عاشورا، واليوم الأربعين من موت الميت، والسنوي للميت، وقيام المحافل في التعازي التي يسمونها (**الفاتحة**)[(٣)].

ومن أمثلة الإفراط تحمّس بعض الناس في إنكار المنكر، وعدم مراعاة المصالح والمفاسد؛ فيقوم على عمل يفسد أكثر من المصلحة التي يريدها[(٤)].

---

(١) وهو عيد يحتفل به بعض الناس في أول يوم من العام الشمسي السائد في إيران، وأفغانستان، فيحتفل به بعض سكان إقليم سرحد من مهاجري الأفغان وغيرهم.

(٢) وهو عيد يحتفل به النصارى في آخر أسبوع من العام الميلادي ويحتفل به بعض المسلمين تبعا وتقليداً لهم من دون معرفة الحقيقة.

(٣) ((ناروا بدعتونه)) تأليف أحمد زئي ص: ٨١، ٨٢، ٨٧، ١٠٢، ١٠٣.

(٤) ومن أمثلة هذا ما قام به بعض الجهلة المتحمّسين، من تفجير قبرٍ كان يقع على جنب الشارع العام في ملاكند دويجن من إقليم سرحد في باكستان، فكان القبر قبل التفجير قبراً عاديا-لا يعرفه إلا قليل الناس-وبعد الانفجار والتخريب أعيد بناؤه وجُعل عليه بناءٌ، وقبةٌ، وصار له سدنةٌ، يلاحظه جميع المارين على الشارع، وتقف السيارات أحيانا هناك ويُقدّم الناس النذور والقرابين للقبر والسدنة.

وعلى العكس من أمثلة التفريط هناك أناس يرون مخالفات وانحرافات في العقيدة، وخاصة في توحيد العبادة الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؛ فلا ينكرون عليه طمعاً في تكثير الجماعة والجمهور(١).

الفرع الثالث: عدم فهم الدليل، ووضعه في غير موضعه.

إن من أسباب الانحرافات عموماً، والانحرافات العقدية خصوصا، والانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة بالأخص، أنه قد لا يفهم الرجل دليلاً؛ فيضعه في غير موضعه، ويستدل به على ما لا يدل عليه، ومن أمثلة ذلك ما استدل به البعض من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٢) على جواز طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد وفاته(٣).

وجعل البعض قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴾(٤)أنه يدل على جواز التوسل بالذوات الفاضلة، وحتى بعد وفاقم(٥).

(١) وذلك انطلاقا من قاعدة: ((نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا))، وبعض الجماعات الدعوية، تظن أن ذلك -أي الدعوة إلى توحيد العبادة- تسبب الفرقة والاختلاف، فلا يهتمون بالدعوة إلى توحيد العبادة، ولا يبينون خطأ من وقع في بعض الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، فتجد أحدهم يلقي كلمته في مسجد فيه قبر، ولا يبين خطأ وخطر بناء المساجد على القبور، أو دفن الأموات في المساجد، بل يقولون: ونحن مطالبون بالاجتماع لا الافتراق، وربما بيان هذا يسبب الفرقة والاختلاف.

(٢) سورة النساء٦٤.

(٣) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٤٨، والفائدة الجميلة في الاستعانة والوسيلة إفادات غلام محمد ص:٣٣، ٣٤، أنوار الإيمان لمطيع الله ص:٨١٢، والوسيلة لهمايون رشيد ص:٥-٦محيلا إلى كتاب ((تبليغي نصاب)) (المنهج التبليغي) فضائل حج ص: ١٠٣.

(٤) سورة الإسراء٥٧.

(٥) ((اختلافي مسائل كاحل)) لمحمد أشرف چشتي ص: ٢٨، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٤٩، وكتاب ((رد وهابي)) لمفتي محمود البشاوري ص: ٣٤.

وقالوا: ((يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين من الأولياء والشهداء في حياتهم وبعد وفاتهم))[1].

وحتى قال بعضهم: ((وإنا لا نطيل القول في هذا الموضوع، موضوع التوسل بالأحياء والأموات من الصالحين، فإن جواز ذلك، بل وطلبه أمر يَدِيْنُ به كلُ مسلمٍ في مشارق الأرض ومغاربها؛ لأن المذاهب الأربعة تجيزه، وليس بينها خلاف في ذلك.والأمة الإسلامية كلها لا تخرج عن هذه المذاهب.ولو كان في التوسل أدنى ضرر يعود على المتوسل ما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية متقدموهم ومتأخروهم، وقبلهم رسولهم صلى الله تعالى عليه وسلم))[2].

وأكثر الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، تكون من عدم فهم الدليل، ثم وضعه في غير موضعه، فيظن المنحرف أن الدليل يدل عليه، فيتمسك به قولا وعملا واعتقادا؛ فيزيد في انحرافاته وسيأتي بيان التوسل المشروع والممنوع في الباب الثالث إن شاء الله.

وكذا لم يفهموا معنى حديث: ((...**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل؛ حتى أحبَّه، فإذا أحبَبته كنت سمعَه الذي يسمع به وبصرَه الذي يبصر به ويده التي يَبْطِش بها ورجله التي يمشي بها**...))[3].

فقال أحدهم في معنى قوله: ((**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل**))ولا يتقرب إلي أحد من عبادي بالذي افترضته ولكن يتقربِ عبدي إلي دائماً بالنوافل.

ثم قال: والمقصود من الحديث أنه تعالى لما صار وليا لأحد من الناس خُلِقَ في أذن ذلك الشخص طاقةٌ وقدرةٌ يسمع بهما من بعيد، وخُلِق في عينيه قدرةٌ وطاقةٌ يبصر بهما من بعيد، وخُلِق في يديه قدرة وطاقة يُمسك ويَبطش بهما من بعيد، وخُلِق في رجليه طاقةٌ وقدرةٌ يقطع بهما مسافة بعيدة في لحظة واحدة، والله لا يكون أذنين لأحد، ولا عينين

---

(١) المهند على المفند لخليل أحمد السهارنفوري ص:٢٣-٢٤، البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:٥٧.

(٢) غوث العباد ببيان الرشاد لمصطفى الحمامي ص: ٣٠٧.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الرقاق باب التواضع١١/٤١٤ (ح٦٥٠٢).

لأحد، ولا رجلين لأحد، ولكن الله يجعل له فيها قدرة وطاقة لا تكون لغيره من الناس العاديِّين ويقال لهذا كرامة...

ثم قال: وقد بيّن عبد الرحمن بابا[1]هذه الكيفية بقوله:

چي په يو قدم تر عرشه پوري رسي * ما ليدلي دي رفتار د درويشانو»**[2].

والترجمة: ويصلون بخطوة واحدة إلى العرش *** أنا رأيت سرعة سير الدراويش.

ومن هنا يزيد انحرافهم في شأن الأولياء فيعتقدون أنهم يتصرفون في الكون، ويتحركون في العالم يمينا وشمالاً، وإن استغاث به أحد وصل له في اللحظة؛ فيستغيثون بالأولياء والصالحين أمواتا وأحياءً والعياذ بالله.

الفرع الرابع: بُعْدُ بعض الناس، وإبعاد غيرهم عن العمل بالقرآن والسنة.

إن من أبرز أسباب الانحراف عن الدين عموماً، والانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة خصوصا، بُعدُ بعض الناس عن القرآن والسنة، وإبعاد غيرهم عن العمل بالقرآن والسنة.

وقد صرح أحد شيوخهم: أن الأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة من أصول الكفر[3].

فيا سبحان الله!! هل الأخذ والعمل بالوحي الذي من شأنها إخراج الناس من الظلمات إلى النور، صار الأخذ بظاهر نصوصها من أصول الكفر؟!

وقد قال الله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[4].

---

(١) **عبد الرحمن بابا:** هو عبد الرحمن بن عبد الستار الأفغاني ، شاعر، صوفي، أكثر شعراء الأفغان شهرة، له ديوان باللغة البشتو، ولد في قرية «بهادر كلي» من قري إقليم سرحد عام ١٠٤٢هـ وبها توفي عام ١١٢٨هـ. يُنظر: الأدب الأفغاني الإسلامي لـ د. محمد أمان صافي ص: ١٦٦وما بعدها.

(٢) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٣٠-٨٣١.

(٣) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:٧، وكتاب« رد وهابي» لمفتي محمود ص: (٤، ٥).

(٤) سورة إبراهيم (١).

وقال تعالى: ﴿ رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[1].

وقد قال بعضهم:(...إن العلوم التي هي ضرورية للعمل بالقرآن- كما مرّ تفصيلها آنفاً[2]- هي كلها ضرورية للعمل بالحديث أيضاً) [3]

وقد قال قبل هذا: إن للعمل بالشريعة ضروري[أي لابد من] أن يعرف أصولها، وهي القرآن، والحديث، والإجماع، والرابع القياس الذي هو مستنبط منها، ثم للعمل بالقرآن الكريم ضروري[أي لابد من] أن يعرف أموراً أربعة:

أولاً: النظم القرآني باعتبار الصيغة واللغة...

ثانيا: وجوه البيان...

ثالثاً: استعمال نظم القران...

رابعاً: طرق الإطلاع على مراد القرآن...[4].

ينص الكلام السابق: أنه يجب قبل العمل بالقرآن والسنة، أن يتعلم الرجل هذه العلوم المذكورة، وبعد تعليم هذه العلوم، يعمل المسلم بالكتاب والسنة، وفبما ذا سيعمل المسلم قبل تعليم هذه العلوم أو حين يتعلمها؟! مع أنه سيمكث الرجل في تعليم هذه العلوم المذكورة زمنا طويلا، فهل يكون القرآن والسنة معطلان قبل أن يكون الرجل عالما بهذه العلوم؟!؟!

---

(١) سورة الطلاق١١.

(٢) والعلوم التي ذكرها هي خمسة عشر علماً وهي: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم الاشتقاق، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم القراءات، وعلم العقائد، وعلم أصول الفقه، وعلم أسباب النـــزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الفقه، والحديث التي جاء في تفسير آيات القرآن الكريم.ينظر: ((دشريعت أو طريقت تلازم)) تأليف محمد زكريا كاندهلوي ترجمة عبد المالك حقاني ص: ٣٥-٤١، و بالأردية اهتمام خليل أشرف عثماني ص:٤٠-٤٣.

(٣) ((شريعت وطريقت كا تلازم)) لمحمد زكريا كاندهلوي بالأردية ص: ٤٥، وبالبشتو ص: ٤٢.

(٤) ((شريعت وطريقت كا تلازم)) ص: ٤٣، وبالبشتو ص:٤٠-٤١.

وهل القرآن الكريم والسنة النبوية جاءا ليعمل بهما العالم بهذه العلوم دون غيره من عوام المسلمين؟!وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[(١)].

ولذا نرى في بعض المدارس الدينية والمساجد، يُدرَّس فيها علمُ النحوِ، والصرفِ، والبلاغةِ، والأدبِ، والمنطقِ، وأصولُ المناظرةِ، والجدلِ، وحتى اللغةُ الإنجليزية، ولا يُدرِّس فيها المواد المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

ولذا نرى أن طالب العلم الشرعي يقضي أكثر عمره في تعليم تلك العلوم، ولا يعطي لتعليم القرآن الكريم، والسنة النبوية وقتا كافيا، ولا مناسباً[(٢)].

وأما الحديث فلا يدرّس خلال سنوات الدراسية كلها إلا نادرا، ومرة واحدة في سنة التخرج من دار العلوم فَيَدْرسُ الطالب صحيحَ البخاري، وصحيحَ مسلمٍ، والسننَ الأربعة وربما غير هذا معها كلها في سنة دراسية واحدة.

فهل يكفي العام الدراسي الواحد لدارسة كتب الحديث الستة، فضلا عن إضافة إلى غيرها كذلك؟! حيث إن الدارس لا ينتهي من مجرد القراءة، ولو انتهى من القراءة فهل يستفيد منها الاستفادة المناسبة؟.

وفوق ذلك لا يقف الشيخ لبيان المسائل الدينية وتوضيحها للطلاب، إلا إذا جاء الحديث يخالف مذهبه الذي نشأ عليه، فيؤول النصوص الحديثية حتى توافق مذهبه وعقيدته، وهو بهذا يؤدي إلى الانحراف في العقيدة، والبعد عن العمل بالكتاب والسنة، فالله المستعان.

---

(١) سورة القمر(١٧، و٢٢، و٣٢، و٤٠).

(٢) ومن أمثلة ذلك أنه لا يعطى لتعليم القرآن والسنة حصصا مستقلة، في جدول الحصص الأسبوعي للمواد الدراسية، لكنهم يدرسون في شهر رمضان القرآن كله من أوله إلى أخره مع مبادئ علوم القرآن بأنواعها المختلفة، في شهر ونصف على الأكثر، وهذا الأمر يكون في بعض المدارس التي اشتهرت على الاعتناء بتعليم القرآن الكريم، فضلاً عن المدارس الدينية التي اشتهرت على عدم الاهتمام بتعليم القرآن الكريم وتفسيره .

الفرع الخامس: تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص دون بعض.

من أسباب الانحرافات العقدية عموماً، والمتعلقة بتوحيد العبادة خصوصاً، تجزئة نصوص الشريعة والأخذ ببعضها دون البعض، فيزعمون أن النص الذي دل على مسألة معينة، يدل على نفي ما سواها، وهذا من عادة المنحرفين عموماً، وأما منهج أهل السنة والجماعة هو الأخذ بجميع النصوص الواردة في كل مسألة من المسائل.

ومن أمثلة التجزئة: ما ورد من الأدلة في فضل أهل البيت فيأخذ به الرافضة(١)دون باقي الأدلة التي وردت في فضل غيرهم.

ومن أمثلة الأخذ ببعض النصوص دون البعض: قال بعض الناس في حديث الشفاعة العظمى(٢) فقالوا: « وفي ذلك أدل دليل على ندب التوسل والاستغاثة بهم[أي بالأنبياء] في الدنيا والآخرة»(٣).

والاستدلال بهذا الحديث على جواز الاستغاثة من الأنبياء في الدنيا والآخرة، وترك النصوص الأخرى التي تحرم الاستغاثة بغير الله(٤)من أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة.

وكذا قالوا في قول الله تعالى: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾(٥): إن«هذه الآية تدل على جواز بناء المسجد يُصلَّى فيه عند مقابر أولياء الله قصدا للتبرك بهم»(٦)؛ فتناسَوْا أن

---

(١) **الرافضة**: هم الذين رفضوا إمامة أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- الملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٥، ويطلق بعض العلماء إطلاق الرافضة على فرقة الإمامية الاثني عشرية كالأشعري -رحمه الله- في مقالات إسلاميين١/٨٨، وابن حزم -رحمه الله- في الفصل٤/١٥٧.

(٢) الحديث بطوله في صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ١١/٥٠٨ (ح٦٥٦٥)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب حديث الشفاعة ٣/٥١ (ح٤٧٤).

(٣) «اختلافي مسائل كاحل» لمحمد أشرف چشتي ص:٢٧.

(٤) وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾سورة الجن(١٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف(١٩٧)].

(٥) سورة الكهف٢١.

(٦) الوسيلة لهمايون رشيد ص: ٧٠.

هذه حكاية من الله تعالى عن قولهم، وليس تقريرا لفعلهم، كما أنهم تركوا النصوص الأخرى الصريحة في منع بناء المساجد على القبور، كحديث«**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(1).

وكحديث « ...**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»(2).

ويرى البعض استغناء الناس بالقرآن الكريم عن السنة النبوية كالقرآنيين(3).

وقد حذّر الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عن التمسك بالقرآن وحده وترك السنة في قوله: «**لا ألفينّ أحدكم متكئاً على أريكته**(4)**يأتيه أمر ما أمرت به، أو نهيت عنه فيقول لا أدري، ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه**»(5).

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**ألا إني أتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أتيت القرآن ومثله معه**»(6).

---

(1) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور٣/٢٥٥ (١٣٣٠)وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور٥/١٥، ١٦ (ح١١٨٤، ح ١١٨٦).

(2) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٥/١٧ (ح١١٨٨).

(3) **القرآنيون**: فرقة يسمون أنفسهم بأهل الذكر والقرآن، يتــركون السنة، ويفسرون النصوص بعقولهم، ظهرت على يد محب الحق العظيم آبادي وعبد الله جَكروالي في غربي الهند بلاهور قبل تقسيم القارة الهندية.ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لإلهي بخش ص: ١٩ وما بعدها، والقرآن الكريم ومنــزلته بين السلف ومخالفيهم لمحمد هشام الطاهري٢/١١٤١ وما بعدها.

(4) **الأريكة**:كل ما اُتُّكِئَ عليه من سرير، أو فرش، أو منصّة. النهاية لابن الأثير١/٥٣.

(5) أبو داود كتاب السنة، باب لزوم السنة ص:٨٣١(ح٤٦٠٥)وقال الألباني صحيح.ينظر صحيح سنن أبي داود للألباني٣/١١٨.

(6) أبو داود كتاب السنة، باب لزوم السنة ص:٨٣١(ح٤٦٠٤)وقال الألباني صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٣/١١٧-١١٨، ومسند أحمد٤/١٣١ وقال محقق المسند إسناده صحيح رجاله ثقات يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٢٨/٤١١(ح١٧١٧٤).

«ولا ريب أن كل متمسك بالسنة فهو -لا محالة- متمسك بالقرآن؛ إذ لا يتصور أن يكون المرء متمسكا -حقا- بأحدهما دون الآخر؛ لأن من فرّط في التمسك بالسنة، فقد فرّط في التمسك بكتاب الله الذي جاء فيه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1]»اهـ[2].

الفرع السادس: الإعراض عن فهم السلف والتفسير بالمأثور.

إن من أسباب الانحرافات العقدية عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً، الإعراض عن فهم السلف للنصوص، وعدم الرجوع إلى أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآيات والآثار، ولا شك أن العصمة في علومهم، والنجاة في سلوك سبيلهم؛ لأنهم أعلم الناس علماً، وأحكمهم طريقة، وأسلمهم منهجاً، لقربهم من منبع الوحي زمناً، وأحرص الخلق على متابعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: «من فسّر القرآن والحديث، وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين؛ فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرّف للكلم عن مواضعه، هذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»[3].

وقال ابن عبد الهادي[4]-رحمه الله-: «ولا يجوز إحداث تأويلٍ في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه، ولا بيّنوه للأمة؛ فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا، وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر»[5].

---

(١) سورة الحشر(٧).

(٢) المبتدعة وموقف أهل السنة منهم لمحمد يسري ص: ١٠٦.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية١٣/٢٤٣.

(٤) **ابن عبد الهادي:** هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الصالحي، المحدث الماهر في الجرح والتعديل، ولد سنة٧٠٥هـ وتوفي سنة ٧٤٤هـ.له حوالي خمسين مؤلفاً، ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢/١١٣.و الدرر الكامنة لابن حجر ٣/١٣١(٨٨٨)، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص: ٥٢٠(١١٤٩).

(٥) الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي ص:٣١٨.

ومن أمثلة الإعراض عن فهم السلف والتفسير المأثور للنصوص، ما قال بعضهم في قول الله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]: إن آدم عليه السلام رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع بذلك فهي الكلمات[2].

فهم لم يرجعوا إلى فهم السلف وما رُوي عنهم في تفسير الآية، أن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[3]، فقد روي هذا عن جمع كبير من السلف[4].

فإعراضهم عن فهم السلف والمأثور عنهم، أدى إلى انحرافات تتعلق بتوحيد العبادة، كالتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين وغيرهم.

وكذلك لم يرجعوا إلى فهم السلف والتفسير المأثور في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[5].

فقالوا: (إن الاحتفال سرورا بمجيء الحضور[6] ﷺ خير من التجميع، يعني أيها الناس إن كنتم تجمعون المال، وتمتلكون الأراضي، والمنشئات، وتنشئون المصانع، وتدّخرون القناطير من الذهب، أو تعملون الأعمال لتجمعوا الأجر والثواب، وتدخرون السجدات والركوعات، أو تجمعون أجور العبادات، سواء تجمعون أي شيء؟ اسمعوا!! الأفضل من ذلك كله بكثير، أن تحتفلوا فرحا كالعيد بمجيء الحضورﷺ، شكرا به، وبهذا [الاحتفال]

---

(١) سورة البقرة (٣٧).

(٢) الفائدة الجميلة ص: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة الأعراف(٣٢).

(٤) روي هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والربيع بن أنس، الحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ينظر: تفسير ابن كثير١/٣٧٠.

(٥) سورة يونس(٥٨).

(٦) يستعملون للنبي ﷺ كلمة (حضور) لاعتقاد بعضهم أنه ﷺ حاضر معهم وفي كل مكان، كما سيأتي في فصل التعظيم كلامهم مفصلا. ينظر: ص: ٢٧٢.

ابذلوا أموالكم، لأن ذات النبي ﷺ هي النعمة الكبرى من الله تعالى وأداء الشكر لهذه النعمة المعطاة ضروري)[(١)].

فسبب هذه الانحرافات وغيرها، إنما هو عدم الرجوع إلى فهم السلف وعدم تفسير النصوص بالمأثور، نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

الفرع السابع: الاعتماد على المرويات الواهية، والموضوعة والاستدلال بها.

إن من أسباب الانحرافات العقدية وغيرها، الاستدلال بالمرويات الواهية؛ وذلك لجهل بعض الناس بعلوم الحديث حيث لا يميّز الضعيف والموضوع من غيره؛ فيستدل بالمردود من الضعيف، والموضوع، كما يستدل بالمقبول من الحسن، والصحيح.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: ((من المعلوم أن المعظِّمين للفلسفة والكلام، المعتقدين لمضمونها- هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن إتباعه، وهذا أمر محسوس؛ بل إذا كَشَفْتَ أحوالهم، وجدتَهم من أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله وبواطن أموره وظواهرها، حتى إنك لتجد كثيرا من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميّزون بين ما قاله الرسول ﷺ وما لم يقله؛ بل قد لا يُفَرِّقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب عليه، وإنما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم، سواء كان موضوعا أو غير موضوع، فيَعْدِلون إلى أحاديث يعلم خاصة الرسول ﷺ بالضرورة اليقينية أنها مكذوبة عليه، عن أحاديث يعلم خاصته بالضرورة اليقينية أنها قوله، وهم لا يعلمون مراده؛ بل غالب هؤلاء لا يعلمون معاني القرآن فضلا عن الحديث؛ بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلا، فَمَنْ لا يحفظ القرآن، ولا يعرف معانيه ولا يعرف الحديث ولا معانيه، مِنْ أين يكون عارفا بالحقائق المأخوذة عن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟!))[(٢)].

وأحيانا يعرف أحدهم أن الدليل واهي جدا، ولكن يستدل به ليثبت به ما يعتقده، أو تعوّد عليه من الرسومات والعادات.

---

(١) ((جشن عيد ميلاد النبي)) لهمايون رشيد ص: ٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية٤/٩٥.

وكل هذه المرويات الواهية من الموضوع والضعيف ونحوها تُرْوَى؛ لخداع البسطاء والعامة، وليخدع بها الجهلة، لتحقيق مآرب علماء السوء، وسدنة الأضرحة ومن شابههم في أكل أموال الناس بالباطل، وأمثال هؤلاء يهدمون صرحَ التوحيد الشامخ، ويصطادون لأنفسهم الفريسة بهذه الروايات الواهية.

ومن أمثلة هذا: الاستدلال بالحديث الموضوع« **إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**»[1] فيستدل بهذا على الاستمداد من الأموات، والاستغاثة بهم في الملِمَّات.

ومن أمثلة الاستدلال بالحديث الضعيف استدلالهم بـــ(... **تعرض أعمالكم عليَّ فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت لكم**)[2] فيعتقد بعض المسلمين أن الأعمال تعرض على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يستغفر للمذنبين، واستغفاره ودعاؤه لا يرد؛ فيتمادى في غيه وضلاله، ويزيد انحرافه.

ولكن«أمثال هذه الأحاديث- كما هو معلوم- لا يبنى عليها حكم، ولا تجعل أصلا في التشريع أبداً، ومن جعلها كذلك؛ فهو جاهل أو مخطئ في نقل العلم، فلم يُنقَل الآخذُ بشيء منها عمّن يُعتد به في طريقة العلم، ولا طريقة السلوك»[3].

وهذه نماذج وغيض من فيض مما يدل على جهل بعض الناس بعلوم الحديث الذي ينتج منه الانحرافات العقدية المتعلقة بتوحيد العبادة وغيره، والله المستعان.

---

(١) نقله حمد الله الداجوي في كتابه البصائر لمنكري التوسل بالمقابر ص: ٤٤، وهو **موضوع**، حتى إن الداجوي نفسه قال في صفحة :٢٨، « وهو ليس بحديث كما يتوهم» ، وقال ابن تيمية – رحمه الله- في مجموع الفتاوي١١/٢٩٣: « إنما هذا وضع من فتح باب الشرك» ، وقال في ١/٣٥٦:« هذا الحديث كذب مفترَى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في كتب الحديث المعتمدة».

(٢) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٥١، ٧١، وقال السيوطي في الجامع الصغير: ضعيف٣/٤٠٠.

(٣) الاعتصام للشاطبي١/٢٢٥.

الفرع الثامن: الاعتماد على الرؤى والأحلام والاستدلال بها.

يعتمد بعض الناس على كثير من الانحرافات العقدية المتعلقة بتوحيد العبادة وغيره على الرؤى والأحلام ويستدل بها.

قال الشاطبي(1) -رحمه الله-: «وأضعف هؤلاء احتجاجاً، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلاناً_الرجل الصالح في النوم، فقال لنا: اتركوا كذا واعملوا كذا، ويتفق مثل هذا للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال: كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ»(٢).

ويستدل البعض على أن الرؤيا دليل شرعي بحديث: «**رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**»(٣).

وفي رواية: «**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**»(٤).

وحديث: «**من رآني في النوم فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**»(٥).

---

(١) **الشاطبي**: هو إبراهيم بن موسي بن محمد أبو إسحاق الغرناطي الشاطبي الأندلسي، صاحب كتاب الاعتصام، والموافقات وغيرهما، توفي سنة ٧٩٠هـ. ينظر ترجمته في: مقدمة الاعتصام لمحمد عبد الرحمن الشقير، والأعلام للزركلي ٧٥/١، ومعجم المؤلفين لكحالة ٧٧/١(٥٨٢).

(٢) الاعتصام للشاطبي ٧٨/٢، والطرق الصوفية د.عبد الله السهلي ص: ١٧.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ٤٦٦/١٢ (ح٦٩٨٨).

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ٤٦٧/١٢(ح٦٩٨٩).

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام ٤٧٨/١٢ (ح٦٩٩٤)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني ٢٧/١٥ (ح٥٨٧٩).

فالاستدلال بالحديث الأول على جواز الاستدلال بالمنامات والأحلام باطل؛ لأن الرؤيا وإن كانت من أجزاء النبوة، فليست بالنسبة إلينا من كمال الوحي، بل جزء من أجزائه، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه، وقد صرفت إلى البشارة والنذارة، وهذا كاف.

ومن ناحية ثانية: فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة، من شرطها أن تكون صالحة، ومن رجل صالح، وحصول الشرط مما ينظر فيه فقد تتوفر، وقد لا تتوفر.

ومن جهة أخرى الرؤيا منقسمة إلى حلم، وهو من الشيطان، وإلى حديث النفس، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاط، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها وتترك غير الصالحة؟(١).

وليس المراد من الحديث الثاني، أن كلّ من رأى في منامه، أنه رآه حقيقة، بدليل أن الرائي قد يراه مرات عديدة على صور مختلفة، ويراه على صفة، ويراه غيره على صفة أخرى، ولا يجوز أن تختلف صور النبي ﷺ، ولا صفاته.

إنما معنى الحديث من رآني على صورة التي خلقت عليها، فقد رآني(٢)، ولا يمكن أن يعرف الرجل صورة النبي ﷺ التي خُلِق عليها، إلا أن يكون صحابيا رآه بعينيه يقظةً، أو يكون الصورة التي رآها في المنام موافقة لما ورد في شمائله، وصفاته الخَلْقية.

قال الشاطبي-رحمه الله-((يقول علماء التعبير: إن الشيطان قد يأتي النائم في صورةٍ ما من معارف الرائي وغيرهم، فيشير له إلى رجل آخر: هذا فلان النبي، وهذا الملك الفلاني، أو من أشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به، فيوقع اللبس على الرائي-وله علامة عندهم-.

وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه ذلك المشار إليه بالأمر والنهي غير الموافقين للشرع؛ فيظن الرائي أنه من قِبَل النبي ﷺ ولا يكون كذلك، فلا يوثق بما يقوله أو يأمر وينهى على الجملة فلا يستدل بالأحلام في الأحكام إلا ضعيف المـــــنة.

---

(١) الاعتصام للشاطبي٢/٨٢-٨٣، وبدع القبور للعصيمي ص:٥٩(بتصرف).

(٢) الاعتصام للشاطبي٢/٨٣.

نعم يأتي المرائي تأنيسا، وبشارة، ونذارة خاصة، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكما، ولايبنون عليها أصلاً، وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها »[١].

ومن أمثلة ما يستدلون بالمنامات والأحلام على أن أرواح الموتى تتصرف في الكون، قولهم: أن رجلا كان يشتم أبا بكر وعمر... فرأى في النوم أنه يذبح الشاتم. قال: فلما استيقظت سمعت صراخا من نحو دار الشاتم، فقلت ما هذا الصراخ؟ قالوا: مات فلان! فلما أصبحنا جئت، فنظرت إليه، فإذا خطٌ موضع الذبح...فانظر إلى هذا المدد الروحاني والتصرف...!!![٢].

ومنها ما ذكر أحدهم[٣]أنه رأى جملة من المشايخ في المنام وأعطى أحدهم ذكر النفي والإثبات(لا إله إلا الله) وأنه قام بذكر(النفي والإثبات)مائتي مرة في نَفَسٍ واحد، أي ذكرتُ بالنفي والإثبات مائتين مرة من دون أن أتنفس، ثم بعد ذلك بأيام استطعت أن أقوله تسعمائة مرة في نَفَس واحد من دون أن أتنفس. ثم ذكر عشرات من المنامات يستدل بها على فضله وصدقه[٤].

ومثل هذه الاستدلالات بالمنامات والرؤى تزيد في انحرافهم وغيّهم وضلالتهم.

---

(١) المصدر السابق٢/٨٤-٨٥.

(٢) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦.

(٣) وهوسيف الرحمن مؤسس الفرقة السيفية الصوفية. وقد تقدم في المقدمة التعريف به ص: ٩.

(٤) هداية السالكين لسيف الرحمن ص٣٢٢-٣٣٥.

الفرع التاسع: الاعتماد على الكشف[1] والمراقبات[2] والمشاهدات[3] والاستدلال بها.

من أسباب الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، الاعتماد والاستدلال بالكشف والمشاهدات، مع أنها ليست من المصادر وإنما مصادر العقيدة الكتاب والسنة.

يقول علي الهجويري[4] مستدلا بإمكان مشاهدتهم الباري ﷻ في الدنيا: المشاهدة في الدنيا مثل الرؤية في العقبى؛ ولمّا ثبت من إجماع أهل الشريعة، بأنه سيكون في العقبى

---

(١) **الكشف**: لغة رفع الحجاب وفي اصطلاح الصوفية، هو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً. التعريفات للجرجاني ص:٢٣٥.

(٢) **المراقبات**: جمع مراقبة وكيفيتها عند الصوفية: أن يجلس السالك في زاوية بعيدا عن الدنيا كلها مسقبل القبلة، في حالة الوضوء، غامضا عينيه، خافضا الرأس، ويتخيل لمدة قليلة، أنه لا أرض ولا سماء، لا إنسان ولا حيوان ولا شيطان، ولا شيء أصلا، إلا رحمة الله فقط تأتيني وتستقر في قلبي و تُنَوِّر ظلماتِ قلبي وسواده وتذكر قلبي الله الله. ينظر «تصوف أو سلوك» لذوالفقار أحمد النقشبندي ص: ١٥٥.

(٣) **المشاهدات**: جمع مشاهدة وحقيقتها عند الصوغية على قسمين: أحدهما صحة اليقين، والثاني أن يصل في العشق والمحبة إلى درجة، يتجّسد له جميع الكائنات جَسَدَ المحبوب الحقيقي، فلا يشاهد غير المحبوب شيئا. ينظر كشف المحجوب لعلي هجويري ترجمه محمد عباس قادرية ص: (٤١٩-٤٢٠). **وهذا النوع الثاني من المشاهدة: من عقيدة وحدة الوجود.**

(٤) **الهَجْوَيري**: وهو أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الهجويري أصله من هجوير من مضافات غزنة بأفغانستان من كبار صوفية القرن الخامس وقبره في مدينة لاهور باكستان وهو معروف عند الجمهور من باكستان بـ«داتا گنج بخش» مُهْدِي الكنز، خصص له يوم في العام تراق عليه الألبان، ويوم في العام يغسل بماء الورد والطيب، يقوم بتغسيله بعض السادة والقادة. يُنظر: ترجمته في مقدمة كتابه كشف المحجوب المترجم فقير محمد عباس قادرية ص:١٧-٢٧، دمعة على التوحيد بحث إسماعيل بن عتيق ص: ٥٦.

الرؤية[يعني رؤية الباري]؛ فيجوز المشاهدة في الدنيا أيضا، ولا يكون هناك فرقاً بين مخبر يخبر عن مشاهدة العقبى، ومخبر يخبر عن مشاهدة الدنيا[1].

ولما أمكن عندهم المشاهدة؛ فيروون مباشرة عن الله بدون واسطة، ويستدلون بذلك على ما يريدونه!!!

ومن ذلك قولهم:(إن علي الهجويري-رحمه الله-لما نزل بلاهور[2]: بنى مسجداً ولكنه كان مائلا إلى جهة الجنوب[3]؛ فعلماء مدينة لاهور اعترضوا عليه، والشيخ ساكت؛ فلما اكتمل بناء المسجد، جمع علماء المدينة كلهم، وصلى بهم إماماً، ثم قال للحاضرين: انظروا إلى أيـّـة جهة تقع كعبة الله؟!

وفي الوقت نفسه كُشِفَتْ ستائر القلوب، وظهر لهم الكعبة مقابل المسجد، ورآها الحاضرون، وتابوا عن اعتراضهم) [4].

ومن أمثلة الاعتماد على الكشف والمراقبة والاستدلال بها، ما يذكرونه عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي[5]-رحمه الله-أنه كان يريد الحج فركب في السفينة وفي وسط البحر

---

(١) كشف المحجوب المترجم محمد عباس قادرية ص:٤٢٢.وبهذه المشاهدة إما يقصدون((وحدة الوجود)) فيرون جميع المخلوقات مظاهر للرب-سبحانه وتعالى عما يقولونه علوا كبيرا-أو يفضلون أنفسهم من موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء حيث إنهم لم يروه في الدنيا وهؤلاء الصوفية يَدَّعُون مشاهدته.

(٢) مدينة كبيرة، وهي عاصمة إقليم بنجاب (باكستان).

(٣) والقبلة في دولة باكستان إلى جهة الغرب.

(٤) مقدمة كشف المحجوب لمترجم فقير محمد عباس قادرية ص:٢١.

(٥) **الشاذلي**: هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار أبو الحسن الشاذلي.وشاذلة قرية بأفريقيـة.المغـربي الزاهد نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، له شعر ونثر فيه متشابهات وعبارات، يتكلف له في الاعتذار عنها.وكان الشاذلي ضريراً حج مرات، وتوفي بصحراء عيذاب قاصـد الحـج، فدفن هناك في أول ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مائة.وللشيخ تقي الدين ابـن تيميـة مصنف في الرد على ما قاله الشاذلي في الحزب.ينظر: الـوافي في الوفيـات٢١/٤١٢، رقـم الترجمة(١٣٩)، شذارات الذهب لابن عماده/٢٧٨، الأعلام للزركلي٤/٣٠٥.

جاء لها ريح عاصف،[وجاءهم الموج من كل مكان] وكادت السفينة أن تغرق؛ فدخل الشيخ أبو الحسن الشاذلي في المراقبة؛ فلقي النبي ﷺ حال المراقبة؛ فعلمه دعاء حزب البحر[١]، وهو حزب معروف بين الصوفية[٢] ومشايخهم[٣].وجعلوا لهذا الدعاء شروطا مخترعة من لِبس لباس الإحرام، والصلاة، والصوم، والاعتكاف، وتحريم اللحم، والحليب، والحلويات، وغيرها، وجعلوا لها طريقة مخترعة للإتيان بدعاء(حزب البحر)بأن يقوله في الليل مرات عديدة، وبعد الإفطار من الصوم، ويعتكف ستة أيام، أو اثنا عشر يومًا، أو يقولها بدون الاعتكاف لمدة سنة كاملة من غير قضاء[٤].

كان السبب الأعظم والعامل الأساسي لكثير من هذه الانحرافات، هو الاستدلال بالكشف[٥].

---

(١) وهو دعاء منسوب إلى أبي الحسن الشاذلي-رحمه الله-، وقد أفرد لها بعض الناس كتيبات مستقلة بأحجام مختلفة، لتسهيل الدعاء به، وليتداول بين الناس، ودعاء حزب البحر دعاء معروف بين الصوفية يبدأ بقوله: اللهم يا عليٌّ ياعظيم...وينتهي بقوله: بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.وقبل الدعاء اعتصام حزب البحر، وبعده اختتام حزب البحر.ينظر دعاء حزب البحر مع دعاء سرياني ص: ٢-٢٠، وملحق بكتاب ((خدائي ته جڑا)) ص: ١٧١، دلائل الخيرات محمد سليمان الجزولي ص: ٢١٧ (الهامش).

(٢) **الصوفية**: نسبة إلى التصوف وهم الذين يتوخون تربية النفس و ألمّوا بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد والاستدلال حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية المختلفة، ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة لمانع الجهني١/٢٥٣.

(٣) كتاب((خدائي ته جڑا)) لمترجم معز الدين قادري ص:١٧١.

(٤) كتاب((خدائي ته جڑا)) لمترجم معز الدين قادري ص:(١٧٢-١٧٣).

(٥) ومن أمثلة استدلالهم بالكشف ما قال بِيْر (المرشد) سيف الرحمن مستدلا بكشف أحد مريديه على صدقه في الأمور كلها: أن جزء الأول من اسم بير سيف الرحمن (سيف) والثاني (الرحمن) فقد كشف له من الجزء الأول(سيف)أنه يكسر كل باطل في الدنيا ويفنيه، وشاهد في الجزء الثاني(الرحمن) أنه يرفع أرواح الناس فوق العرش في المراتب وهذه هي الخوارق الاسمية له وهذا (السيف) هو السيف الذي بواسطته قُطِع رقاب المشركين يوم جهاد بدر، وقال النبي صلى الله عليه =

الفرع العاشر: الاعتماد على القصص والحكايات والاستدلال بها.

يستدل بعض الناس على كثير من الانحرافات العقدية المتعلقة بتوحيد العبادة وغيره بالقصص وقد ألفت فيها كتب مستقلة -وما أكثرها!!- بأحجام كبيرة وصغيرة، وأحيانا يفردون للقصص والحكايات أبوابا وفصولا في مصنفاتهم، يقرأها أئمة المساجد والخطباء على المنابر وأكثر تلك الحكايات والقصص تروى بصيغة التمريض(يُروى، قيل، نُقل، وفي الكتاب، سمعت من بعض الأكابر)وغيرها من الصيغ التي تدل على عدم وجود السند عمن يذكرون عنهم القصص والحكايات(١).

ومن أمثلة ذلك ما يحكونه في التوكل: أن رجلا جاع في الصحراء وليس معه شيء فقال: يا رب! أين رزقك الذي وعدتني به؟ فرزقه الله الشبع من حيث لم يحتسب(٢).

ومنها: (يحكي أحدُ الأكابر أن امرأة من أولياء الله كانت تمشي لوحدها، ودون القافلة، فَظَنَنْتُ أنها تمشي لوحدها لعدم الفلوس عندها، وهي تخاف كذلك إن تأخرت من القافلة فلا تدري ماذا تحصل لها؟ فذهبتُ عندها وأخرجتُ لها بعض الأموال من جَيْبِـي لأعطيها، وقلت لها إذا وقفت القافلة، سأجمع لكِ مزيدا من الأموال عن أهل القافلة وأعطيها لكِ، فرفعَتْ يديها في الهواء وجمعَتْها، فلما فتحتهما، فإذا هما مليئتان من الفلوس، وقالت لي: أنتم تأخذون الفلوس من جيوبكم، ونحن نأخذها من خزانة الغيب)!!(٣).

=

وعلى آله وسلم بأن هذا(السيف)هو روح سيفي؛ لأنه لا يمكن للباطل أن يقوم مقابل هذا (السيف)في الدنيا، ومن خوارق هذا(السيف)أن مريدي هذا الشيخ(المرشد)من شدة الحب له يقدمون له رؤوسهم فداء له، ومن الخوارق في(الرحمن)أنه مشارك لله(اشتراكا اسميا)ومسطر على العرش وقائم به ولا تشككوا في هذا....ينظر: هداية السالكين لسيف الرحمن ص:(٣٢٨).

(١) ومن تلك الكتب، كتاب أحسن الحكايات ترتيب عاصم عبد الله ترجمة محمد خليل، و((حكايات عجيبة)) لقليوبي ترجمة محمد أمير نعماني،((جواهر پارے)) لمحمد يوسف قريشي، و ((دخداے نيازين)) تأليف فقير محمد عباس قادرية، و((جنگنامه زيتون)) تصنيف ملا رحمت، وغيرها من الكتب المؤلفة في القصص.

(٢) تعليم الرفق لمحمد موسى ديره غازي خاني ص:٩٤.

(٣) ((جواهر پارے)) لمحمد يوسف قريشي ص:٦٦-٦٧.

وأمثال هذه الاستدلالات تزيد في الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، وانظر في القصة المذكورة آنفا، كم فيها من مخالفات شرعية؟! وانحرافات عقدية؟! من أبرزها سفر المرأة بدون محرم، وهي تسافر إلى الحج بدون زاد، وتخلو مع الرجل خلوة لا أحد غيرهما، وتتصرف في خزائن الغيب، فكل هذه القصص وغيرها تسبب الانحرافات في التوكل، وعدم الأخذ بالأسباب التي هي من التوكل، وسيأتي تفصيل الرد على ذلك في فصل التوكل إن شاء الله.

الفرع الحادي عشر: الغلو في تعظيم الأشخاص وأقوالهم

بعض الناس يغلو في تعظيم المشايخ والأشخاص، ويجعل مستند دينه أقوال الرجال وآراءهم؛ فيتبعونهم في كل صغيرة وكبيرة، ويعتقدون أنهم لا يخطئون أو أنهم معصومون؛ فيفضي عملهم هذا إلى كثرة الانحرافات المتعلقة بالعقيدة .

إن الاعتماد على آراء الرجال وأقوالهم، والاعتقاد بأنهم لا يخطئون أو معصومون، يظهر جلياً في عقيدة الرافضة حيث إنهم جعلوا أئمتهم معصومين ولا يخطئون[1].

ومثل الرافضة جعل الصوفية مشايخهم على الصواب الخالص حيث قالوا:

((..وإن خطر ببال المريد أن في العالم أحداً يوصله إلى الله غير شيخه؛ فقد تصرف فيه الشيطان...

وإن حرّم الشيخ على المريد شيئاً مباحًا فلا يُنكر عليه...

ولو احتج المريد على الشيخ بأقاويل العلماء في جواز المباح لم يفلح أبداً...

وينبغي أن يكون بين يديه كالميت بين الغَسّال يتصرف فيه كيف يشاء...

والاعتراض على الشيوخ سم قاتل...))[2].

وهذه نبذة من أقوالهم حيث إنهم جعلوا الحق والصواب كله، في أقوال مشايخهم، وأئمتهم؛ فجعلوها مصدرا من مصادر التلقي في الدين عموما، والعقيدة خصوصا، والله المستعان.

---

(١) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري٢/٩٥١-٩٧٣محيلا إلى بحار الأنوار٢٥/١٩١، ومجمع البيان للطبرسي١/٢٠١والتبيان للطوسي١/٤٤٩عقائد الإمامية للزنجاني ص:٧٧، وأصول التشيع لهاشم الحسيني ص:١٣١-١٣٢.

(٢) السلسلة القادرية الشريفة لمحمد أمين ص:٨٩-٩٢، و((خير الذاكرين)) لنعمة الله نقشبدية قادرية جشتية نظامية٢٥٥-٢٥٧.

الفرع الثاني عشر: إتباع الهوى والطمع المادي والمعنوي

الهوى: هو ميل النفس إلى ما تستلذه الشهوات من غير داعية الشرع[1].

وإتباع الهوى أساس كل فتنة، ونقطة بداية الانحراف عن الصراط المستقيم، وهو سمة بارزة في جميع أهل البدع، ويستوي في إتباع الهوى العلماء والأتباع، وأهل العلم من المبتدعة كثيرا ما يعرضون عن الحق مع علمهم به، ويكتمونه إتباعا لما تهواه نفوسهم، وتطلبه شهواتهم، وطمعا في منصب مرموق، أو مال مرزوق؛ فيقولون في دين الإسلام ما لم ينـــزل به سلطانا مبينا، ويكتمون الحق، ويفتي بما يهواه نفسه طمعا في أعراض الدنيا.

ومن أمثلة ذلك: ما يأكلونه من أموال الأيتام باسم «حيلة الإسقاط»[2]، والتصدق بالحلوى، والهريسة وغيرها عن الميت إلي يوم السابع من وفاته[3]، أو ذبح حيوان عند موته وطبخه مع الأرز أو شيء آخر ونَقْلُه مع الميت إلى المقبرة[4]، وإن كانت الورثة فقراء فيستدينون أموالاً ولو على الربا[5].

وهذه الانحرافات التي سببها الطمع المادي أو المعنوي، قد تتسبب إلى انحرافات أخرى التي هي أخطر وأوسع وأعم من الأولى ومثال هذا ما قاله الشيخ المفتي محمد شفيع[6]: ولو

---

(١) الكليات للكفوي ص: ٩٦٢.

(٢) **حيلة الإسقاط:** سموها بهذا الاسم، لظنهم أن بهذه الحيلة تسقط الذنوب عن الميت، وسيأتي بيان كيفيتها، وحكمها مفصلا في الباب الثالث فصل الصدقات والقرابين. ص: ٦٩٤.

(٣) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: (٢٠٧)، درر الفرائد لغلام حيدر ص(١٧٥)، أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص:(٨٥٩، ٨٦٠-٨٦١، ٨٦٤، ٨٦٧).

(٤) الأكل من بيت أهل الميت في ميزان السنة والكتاب لعبد الصبور ص:(٢٢).

(٥) «ناروا بدعتونه» لأحمدزئي ص:(٧٣).

(٦) **محمد شفيع:** هو محمد شفيع بن محمد ياسين الحنفي الديوبندي ولد في منطقة سهارنفور ، عام١٨٩٧م وتعلم في مدرسة ديوبند، وتخرج فيها، حتى تولى منصب الافتاء فيها، ثم جاء إلى بلدته باكستان، وتولى منصب الإفتاء فيها -أيضا- ومن مؤلفاته: السنة والبدعة، بلغة الأردو، وترجم إلى اللغة البشتوية أيضا، وأحكام القرآن باللغة العربية، توفي سنة(١٣٩٦هـــ١٩٧٦م) يُنظر: «أكابر علماء ديوبند» لمحمد أكبر شاه البخاري ص٢٠٨.

صح جميع الشروط[التي يذكرونها لصحة حيلة الإسقاط]ففعلها بالالتزام لكل ميت إحداث في الدين، ومن حيث المعنى هي ترميم وزيادات في الدين(نعوذ بالله منها).

ثم كتب: والالتزام بهذه الحيلة يوجد في الأفراد الجهال الجُرْأةَ على أنه عدم أداء الصلوات في جميع عمره، وأن لا يصوم، ولا يؤدي الحج ولا الزكاة، ولا يعطي الكفارات، ولا النذور؛ [لاعتقاده أنه] بعد موته، سيحصل مقابلَ دراهمَ معدودة، جميع تلك الفوائد، وفي الحقيقة ترويج هذه الحيلة، يهدم أسس دين الإسلام المقدس [1].

كل هذه الانحرافات وغيرها مما لا يجوز شرعا، سببها إتباع الهوى والطمع في أموال الناس.

الفرع الثالث عشر: تأثر العلماء بعلم الكلام[2] والمنطق[3].

من أسباب الانحرافات في العقيدة وسيما الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، تأثر العلماء وطلاب العلم بعلم الكلام والمنطق. ومن دخل في علم الكلام أو المنطق، زلّت قدمه وكثر انحرافه، لأنه سلك مسلكا مشابها للفلاسفة[4]، وتأثر بقواعدهم ومناهجهم.

وتظهر انحرافات المتكلمين[5] المتعلقة بتوحيد العبادة فيما يلي:

١-إهمال توحيد العبادة وعدم جعله قسما من أقسام التوحيد، حيث قسّموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام فقالوا: «التوحيد: هو أن الله واحد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[6].

---

(١) ((ناروا بدعتونه)) لأحمدزئي ص: ٧٣، محيلا إلى كتاب((سنت وبدعت)) لمحمد شفيع ص:٦٤.

(٢) **علم الكلام**: هو الجدل بالعقل في علم العقائد.مجموع فتاوى ابن تيمية٣٣٦/١ وقال ابن خلدون: هو علم يتضمن الحِجَاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية.يُنظر: مقدمة ابن خلدون ص: ٣٦٣.وأخطأ من اعتقد أن علمَ الكلام هو علم العقائد.

(٣) **المنطق**: عند الفلاسفة: آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطاء في الفكر.التعريفات للجرجاني ص٢٨٧.

(٤) **الفلاسفة**: هم الذين ينسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية تعني محب الحكمة، وهم يحاولون بالعقل إدراكَ كُنْهِ جميع المبادئ الأولى.ينظر: الملل والنحل للشهرستاني٥٩/٢وعقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني٧٤٥/٢.

(٥) **المتكلمين أو أهل الكلام**: هم الذين يثبتون العقائد الدينية بأدلة عقلية عن طريق الجدل، وقال شيخ الإسلام: هم الذين يتكلمون في الله بما يخالف الكتاب والسنة.درء تعارض العقل والنقل ١٧٨/١.

(٦) مقالات لمفتي محمد فريد ص:١١.

فنجد أن التوحيد عندهم: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وهو يقابل عند أهل السنة توحيد الربوبية، مع ملاحظة بعض الفروق- ولم يذكروا توحيد العبادة (توحيد الألوهية) ولذلك لم يهتموا به.

ومن أبرز الأمثلة لإهمالهم توحيد العبادة: أنك لا تجد في كتبهم التي سموها كتب العقائد أو أصول الدين ذكر توحيد العبادة أو توحيد الألوهية -إلا نادرا جدا-، وهو التوحيد الذي شغل الحيز الأكبر من الأدلة في القرآن والسنة، ولأجل هذا التوحيد قاتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الناس.

٢-أن أهل الكلام يجعلون أوّلَ واجبٍ القصدَ إلى النظر[١]، وفي هذا الأمر جالوا وصالوا، و أهملوا أول واجبٍ جعله الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولَّ واجبٍ، وهو توحيد العبادة؛ حيث قال لمعاذ ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى...**»[٢].

٣-أن أهل الكلام والمنطق يُشغلون أنفسهم، ويبذلون جهودهم الكبرى، في إثبات الصانع، والقادر على الاختراع، مع أن إثبات الصانع والخالق، والإقرار به معلوم بالضرورة، ولذلك لم يُنكره المشركون؛ وإنما أنكروا توحيد العبادة، حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَٰلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[٣].

وعلى توحيد العبادة قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولم يعصم دماءهم الإقرارُ بالصانع والخالق، إلا إذا أعلنوا مع ذلك توحيد العبادة وقالوا: لا إله إلا الله، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم «**أمرت أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله**

---

(١) هداية القاري على صحيح البخاري لمفتي محمد فريد الزروبوي ص:١٠٥-١٠٦.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ١٣/٤٢٤ (ح٧٣٧٢).

(٣) سورة ص:٥.

إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماء هم، وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسا بهم على الله»[1].

فإهمالهم توحيد العبادة، وإعراضهم عن بيان خطر ما يقابل هذا التوحيد من الشرك في العبادة، مما جعل المسلمين يجهلونه؛ فيقعون فيه، ظنا منهم أن ذلك ليس شركا، وإنما الشرك هو اعتقاد خالق مع الله في إيجاد هذا الكون، لأن المتكلمين يُركّزون على إثبات الوحدانية في الذات، والوحدانية في الأفعال.

٤-أن أهل الكلام والمنطق قل نصيبهم من نصوص الوحي -القرآن والسنة- رواية ودراية، فقل نصيبهم في الأخذ بها، فلا يأخذون بها للاستدلال والاعتماد، بل للاعتضاد فقط، ولا يأخذون في العقائد بالنصوص إلا فيما يتعلق بأمور الآخرة؛ ولذا قَلَّتْ انحرافاتهم في ذلك، وكثُرت في غير أمور الآخرة لعدم أخذهم فيها بالوحي.

ومن أمثلة تأثر العلماء بالمنطق والكلام ما يتناقلونه في كتبهم، من عدم الاستدلال في العقائد بأخبار الآحاد، أو أنها تفيد الظن ولا تفيد اليقين بحال[2].

الفرع الرابع عشر: تحريف نصوص الكتاب والسنة لفظاً أو معناً.

إن من أبرز أسباب الانحرافات عموماً وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً، تحريف ألفاظ النصوص ومعانيها، وقد نهج هذا المنهج بعض الناس ليَجُرُّوا النصوص إلى ما يذهبون إليها، من الاعتقادات والآراء، فيحرفون ألفاظ الوحي تارة، ويحرفون معانيها تارة ويسمونها تأويلاً أو جمعا بين الأدلة.

قال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-: «ولا يشاء مبطلٌ أن يتأول النصوص، ويحرفها عن مواضعها، إلا وجد إلى ذلك من السبيل، ...وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الإيمان باب قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾١/١٠٣ (ح٢٥).

(٢) أصول السنة لرد البدعة للشيخ محمد طاهر الفنجفيري ص: ٣٧. والبصائر للمتوسلين بالمقابر للشيخ محمد طاهر ص: (٢)، محيلا إلى شرح العقائد للتفتازاني ص: ١٠١.

اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذّرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية ؟ فهل قُتل عثمانُ ﷺ إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل[1] وصفين[2] ومقتلِ[3] الحسين ﷺ والحَرّة[4]؟.

وهل خرجت الخوارج[5] واعتزل المعتزلة[6]، ورفضت الرافضة وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد»[7].

ومن أمثلة تحريف النصوص ما قال بعضهم في حديث: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[8].فتوجه**

---

(١) **الجمل**: اسم واقعة وقعت بين جماعة علي ﷺ وبين جماعة طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وغيرهم من الصحابة-رضي الله عنهم-، سنة ٣٦هـ.ينظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري٤/٤٤٥وما بعدها، والبداية والنهاية لابن كثير٧/٢٣٠.

(٢) **صفين**: اسم موضع بقرب شاطئ الفرات وبه كانت المعركة بين جند علي ﷺ وجند معاوية ﷺ سنة ٣٧هـ.ينظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري٤/٥٦٣وما بعدها.

(٣) كان مقتل الحسين ﷺ في شهر المحرم عام ٦١هـ في موضع قريب من الكوفة يقال له كربلاء يُنظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري٥/٤٠٠وما بعدها.

(٤) **واقعة الحرة**: وقعت بين جند يزيد بن معاوية، وأهل المدينة، وهي في شرقي المدينة تسمى حرة واقم. يُنظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري٥/٤٨٢وما بعدها.

(٥) **الخوارج**: كانت طائفة خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بعد قضية التحكيم، وهي اسم لطائفة ذات طابع سياسي وفكري خاص، تخرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، وتكفر مرتكب الكبيرة -على زعمها-، وتستبيح دماء من لم يوافقها على رأيها. يُنظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٤ ومقالات إسلاميين للأشعري١/١٦٧.

(٦) **المعتزلة**: اسم يطلق على فرقة ظهرت في القرن الثاني الهجري بزعامة واصل بن عطاء الغزال، لهم أصول خمسة أسسوا عليها مذهبهم وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنـزلة بين المنـزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أسماء بعض هذه الأصول حسنة، إلا أنهم أرادوا بها باطلاً.يُنظر: الملل والنحل للشهرستاني١/٤٣، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني١/٣٢٥.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي١/٢٠٨-٢٠٩.

(٨) سورة البقرة:١٤٤.

نحو الكعبة. وقال السفهاء من الناس -وهم اليهود-: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (1)، **فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعدما صلى فمرَّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنه تَوَجَّه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة»**(2).

فجاء أحدهم(3) وأخذ الحديث وحرّف بعضَ ألفاظِ الحديث، -مع كثرة التحريف المعنوي -فقال: إن كلمةَ(**الأنصار**) في الحديث محرّفةٌ، وإنما هي(**النصارى**).

حرف الألف التي هي في آخر كلمة (**النّصارا**) نُقلت وجيء بها إلى أول الكلمة وجعلت الكلمة(**الأنصار**) بدلا من(**النصارا**)(4).

ثم يقول: (إن اللفظين(**الأنصار والنصارا**) قريبان في المخرج(5)؛ ولهذا أخطأ الراوي؛

---

(1) سورة البقرة:٢:١٤٢.

(2) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان ١/٦٥٠ح٣٩٩.

(3) وهو((ميرويس خان شموزئي)) من سكان إقليم سرحد باكستان، ينتمي إلى فرقة القرآنيين.

(4) ولجهل الرجل بقواعد الإملاء تكلم بهذا الكلام، حيث جهل أن الألف في آخر كلمة النصارى ألف مقصورة تكتب بشكل الياء، ولجهله لم يكتب المحرف الكلمة بألف المقصورة بل كتبها(النصارا)!!!وكيف تنقل الألف المقصورة إلى أول الكلمة بدون سبب، وكيف تنطق الألف في أول الكلمة مع أنها ساكنة دائما؟؟!!، ثم إن الحرف التي في الأنصار هي الهمزة وليست ألفاً، فكيف تبدّل الحرف بحرف آخر بدون السبب؟؟!!

(5) ظن الرجل أن الكلمتين(النصارى والأنصار)متقاربتان في المخرج، وليس الأمر كذلك، بل بينهما فرق كبير في المخرج والمعنى؛ لأن الهمزة في الأنصار في أول الكلمة وهي من حروف الحلقية ثم نون فصاد وألف وراء، وأما كلمة النصارى: فنون وصاد وألف وراء ثم ألف مقصورة، وهي من الحروف الجوفية الهوائية، وفوق هذا أن الألف واللام في كلمة الأنصار =

لأن الأنصار لم يكن اسم لأي قوم من الأقوام، كما ظنه[1] الراوي، فقال: فمرّ على قوم من الأنصار!!!)[2].

ويقول: إن الأنصار ليس اسم أي قوم من سكان المدينة، وإنما هم النصارى الذين آمنوا ونصروا من هاجر إليهم[3].

وقد أوّل هذا المحرف كثيرا من نصوص الحديث تأويلا فاسداً فقال: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا**)أي: أن الرسول ﷺ كان يترقب ويحاول من أجل الحصول والتولية على بيت المقدس، لمدة ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا؛ ليكمّل في حياته الطيبة الإشارات الإلهية التي أشارت له في واقعة المعراج.

(**وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة**)أي: وكان الرسول ﷺ يتمنى ويحب أن يميل ويتوجه هذا القوم(قوم اليهود والنصارى)إلى الكعبة يعني لو قبلوا الإسلام لكان حسناً.

(**فأنزل الله** ﷻ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.أي: إننا نرى تقلبك إلى السماء.

(**فتوجه نحو الكعبة**)أي: وبدأ هؤلاء القوم يصلون إلى الكعبة يعني أسلم هؤلاء القوم.

(**وقال السفهاء من الناس –وهم اليهود–**: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾

أي: قال السفهاء من الذين لم يسلموا من اليهود والنصارى: ما الذي جعل قومنا يقبل دين المسلمين؟، ويترك قبلتهم ويصلون إلى الكعبة.يعني ما هو السبب والعلة؟.

=

قمرية، وفي كلمة النصارى شمسية فكيف تكونان الكلمتان متقاربتان في المخرج فالفرق بينهما في المخارج كالفرق بين الشمس والقمر في المخارج.

(١) هذا الظن الذي ظنه هذا الرجل على رواة الأحاديث باطل، لأن علماء الحديث يشترطون لقبول رواية الراوي عدة شروط، منها أن يكون عدلا، ضابطا، فكيف يروي الراوي ما يظنه ظنا، ويُقبَل منه ذلك؛ فليس هذا الظن على الرواة إلا زيغ قلوب هؤلاء.

(٢) ((آذان رسالت)) لميرويس خان شموزئي ص:٢٨.

(٣) ((آذان رسالت)) لميرويس خان شموزئي ص:٢٧، وهذا الكاتب لم يعرف أنه لم يكن أي قوم من النصارى يسكن في المدينة، فكيف يمر الرجل على قوم من النصارى.

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾أيها النبي! قل لهؤلاء السفهاء: إن المشرق والمغرب كله لله يتفضل بمن يشاء فيدخله في الإسلام....

(**فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل**)أي رجل من الذين أسلموا أثناء تبليغ الإسلام، وقبل حصول وتولية النبي ﷺ على بيت المقدس، ولكن هذا الرجل ما كان يعلم توجه المسلمين إلى الكعبة في الصلاة، صلى مع النبي ﷺ **ثم خرج بعدما صلى**) أي رأى هذا الرجل الذي صلى مع رسول الله وهو يمشي في الطريق.

(**فمرَّ على قوم من النصارى في صلاة العصر نحو بيت المقدس**)أي مر على قوم من النصارى الذين أسلموا ولكن لعدم علمهم بأن قبلة المسلمين هي الكعبة وهؤلاء القوم يصلون إلى جهة بيت المقدس صلاة العصر.

(**فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنه توجه نحو الكعبة**)فقال هذا الذي صلى مع النبي ﷺ: أشهد أنني صليت مع رسول الله متوجها إلى الكعبة.

(**فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة**)أي فتوجه جميع النصارى الذين أسلموا حديثا نحو الكعبة[1].

ومن أمثلة التأويل الفاسد استدلال البعض بقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[2]أن المسلمين عموماً يعلمون الغيب؛ لأن(**يؤمنون**)مشتق من الإيمان، والإيمان عبارة عن التصديق، والتصديق هو أعلى مراتب العلم فمعنى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾أي: يعلمون الغيب[3].

وقد ذكر الله –عزّ وجل– في أكثر من موضع في كتابه أنه لا يعلم الغيب إلا الله،قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4].

---

(١) ((آذان رسالت)) لميرويس خان شموزئي ص٣٢-٣٣.

(٢) سورة البقرة:٣.

(٣) الذخائر لأهل البصائر لكفاية الله الداجوي ص٤٠.

(٤) سورة النمل:٦٥.

وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾[1].

وقال: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾[2].

فإذا كان حال النبي المصطفى ﷺ، أنه لا يعلم الغيب وهو أفضل البشر، وإيمانه أكمل من إيمان جميع الناس، فكيف يعلم الغيب من دونه من عامة المؤمنين.

ومن أمثلة التأويل الفاسد كذلك: ما قالوه في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه[3] قال: **((خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون[4] بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[5] **لتركبن سنن من كان قبلكم))**[6].

---

(١) سورة الأنعام: ٥٠.

(٢) سورة هود: ٣١.

(٣) **أبو واقد:** هو حارث بن عوف أبو واقد الليثي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم توفي بمكة سنة ٦٨هـ. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٧٧٤.

(٤) **ينوطون:** من النوط وهو التعليق، يقال ناطَ الشيءَ أي علّقه، والأنواط المعاليق. ينظر: لسان العرب ٨/٧٤٢ ومختار الصحاح للرازي ص: ٢٨٥.

(٥) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣/٢٤٤، بهذا اللفظ، وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم بنحوه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ص: ٤٩٣ (ح ٢١٨٠) وأحمد في مسنده ٥/٢١٨، وقال الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢/٣٥ وقال محققو المسند صحيح على شرط الشيخين يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣٦/٢٢٥ ح ٢١٨٩٧.

فقال المؤوِّل في أثناء الرد على من ينفي التبرك بالأشجار ونحوها: (ليس في الحديث نفيُ التبركِ، بل فيه نفي مشابهة المشركين بلا فائدة، بخلاف زيارة القبور، فإن فيها فائدة، وهي التوسل وتذكر الموت وغيره، وليس في الشجرة تبرك لا بنفسها ولا بغيرها، ...

وكذا (**يعكفون**) مشتق من عكف ومعناه: الجلوس للعبادة لا مطلقاً، وعبادة الشجرة غير جائزة، فقياس الأولياء والصالحين على المشركين فاسد)[١].

فهذه التأويلات والتحريفات لنصوص الشرع من أبرز أسباب الانحرافات عموما وما يتعلق منها بالعقيدة خصوصا، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خاصة.

الفرع الخامس عشر: عدم الأخذ بأخبار الآحاد[٢] في العقائد.

إن من أسباب الانحرافات العقدية عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً، عدم الأخذ بالأحاديث التي لا تبلغ درجة المتواتر، والتي يطلق عليها آحاد.

إن من منهج أهل السنة والجماعة وأئمتهم، أنهم يأخذون بأخبار الآحاد، في أمور الشريعة كلها سواء كانت تتعلق بالأحكام أو العقائد، أو الأخلاق أو غيرها.

وإنَّ عدم الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد يُعَدُّ منهجًا مبتدعًا، وأن التفريق بين العقائد والأحكام في الأخذ بالواحد بدعة لا يعرفها السلف وأئمتهم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «وهذا تفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات، كما تحتج بها في الطلبيات العمليات...ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأهل الحديث والسنة، يحتجّون بهذه الأخبار في مسائل الصفات، والقدر، والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوّز الاحتجاجَ بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته، فأين سلف المفرّقين بين البابين؟»[٣].

---

(١) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص:١٢.

(٢) أخبار الآحاد: جمع خبر الواحد، وهو ما لم يجتمع فيه شروط المتواتر. ينظر: خبر الواحد وحجيته للشنقيطي ص:١١٣.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصار للموصلي وبتعليق العلوي(١٥٧٠/٤).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به، وتصديقًا له: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»[1].

وكذلك قول: «إن خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط المذكورة في أصول الفقه لا يفيد إلا الظن، ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات»[2].

ولكن القول: إن الأخبار الآحاد لا تثبت بها العقيدة، أو إنها لا تفيد إلا الظن ليس بصحيح، وهذا المقام ليس مقام إثبات موضوع: حجية أخبار الآحاد في العقائد والأحكام، فقد تصدى للموضوع جهابذة من العلماء القدماء والمعاصرين فتراجع مؤلفاتهم في الموضوع[3].

لكن أكتفي بنقل واحد من كلام العلماء وهو يظهر المراد القائلين بعدم حجية خبر الواحد في العقائد، وهل تفيد العلم أم لا؟.

قال أبو المظفر السمعاني[4] -رحمه الله-: «فصل: ونشتغل الآن بالجواب عن قولهم فيما سبق: إن أخبار الآحاد لا تقبل فيما طريقه العلم، وهذا رأس شغف المبتدعة في رد الأخبار، وطلب الدليل من النظر والاعتبار، فنقول وبالله التوفيق.

إن الخبر إذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورواه الثقاتُ والأئمةُ، وأسندوه خَلَفُهم عن سلفِهم إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتلقّتْـــه الأمةُ بالقبول؛ فإنه يوجبُ العلمَ فيما سبيلُه العلمُ.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي١/٥٠١.

(٢) البصائر للمتوسلين بالمقابر لمحمد طاهر الفنجفيري ص: (٢)، محيلا إلى شرح العقائد للتفتازاني ص: ١٠١، وينظر: أصول السنة لرد البدعة لمحمد طاهر الفنجفيري ص: ٣٧.

(٣) كتاب الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصفهاني١/٣٧٤وما بعدهاو٢/٢٢٧وما بعدها ومختصر صواعق المرسلة٤/١٤٤٨وما بعدها، وقد كتبت فيها كتب مستقلة مثل: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام للألباني، خبر الواحد وحجيته، لأحمد بن محمود عبد الوهاب الشنقيطي.

(٤) **السمعاني**: هو منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التيمي الفقيه الإمام صنّف في الفقه والأصول والحديث توفي سنة ٤٨٩هـــ.ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي٤/١٢٦٦، رقم١٠٦٨.

وهذا عامةً[1] قولُ أهلِ الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يُذكرُ، أن خبرَ الواحدَ لا يفيد العلمَ بحال، ولا بدّ من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية[2] والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقّفَهُ منهم بعضُ الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدمٌ ثابتٌ[3]، ولم يقفوا على مقصودِهم من هذا القولِ، ولو أنصف الفِرَق من الأمة؛ لأقرّوا بأن خبر الواحد يوجب العلم، فإنهم تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم، يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد...»[4].

وصدق -رحمه الله- في قوله، والواقع شاهد على أن كل طائفة تستدل لما يعتقدونها بكثير من الأخبار الآحاد، وقد مرّ فيما سبق من الفروع أمثلة لذلك، فهذا دليل على أنهم يعتقدون حجيتها في العقائد وغيرها، وأنها تفيد العلم عندهم، كما تفيد العلم عند السلف رحمهم الله.

الفرع السادس عشر: جهود علماء السوء في نشر الباطل.

لقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:«**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا؛**

---

(١) هكذا في صون المنطوق والكلام للسيوطي وفي الحجة في بيان المحجة للأصفهاني: وهذا قول عامة أهل الحديث....

(١) **القدرية**: وهي فرقة تنكر القدر، أي المكذبون بتقدير الله لأفعال العباد أو بعضها وأول من أنكر القدر معبد الجهني وكان في آخر عصر الصحابة، ثم انتشر فكرة إنكار القدر على يد المعتزلة حتى عرفوا بالقدرية والقدرية فرق عديدة. ينظر: التنبيه والرد للملطي ص: ١٧٦، والملل والنحل للشهرستاني ٤٣/١، والتدمرية لابن تيمية ص: ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) هكذا في صون المنطوق والكلام للسيوطي، وفي الحجة في بيان المحجة وتَلَقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم علم في العلم، وقدم ثابت...

(٤) هذا الكلام نقله عنه الأصفهاني في الحجة في بيان المحجة ٢٢٧/٢-٢٢٨، والسيوطي في صون المنطوق والكلام ص: ١٦٠-١٦١.

فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا))[1] ومن هنا يظهر خطر علماء السوء، من خلال ما يبثونه من شبه، ودعم باطلهم بما يروق لهم، غير متحرجين من كون ما يقولونه مدعوماً بأدلة، سواء كانت صحيحة غير صريحة، أم غير صريحة، بل لا يتورع علماء الضلالة من اختلاق أحاديث أو تغيير ألفاظها ليستدلوا به على باطلهم، والعلماء إذا فسدت نياتهم وآثروا الدنيا على الآخرة أفسدوا البلاد والعباد، ومما يتسبب في تضليل الناس عمل العالم بالبدعة، مما يؤدي إلى تقليد العامة له فيها.

ومن أمثلة ما تسبب علماء السوء فيه من الانحرافات العقدية عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصا: ما يذكرونه في كتبهم وخطبهم، ودروسهم من الاحتفال بالمولد النبوي[2]، والاستمداد والاستغاثة بالأموات من الأولياء والمشايخ[3]، والأذكار التي ابتدعوها[4]، والطرق الصوفية التي اخترعوها وما أنزل الله بها من سلطان[5]، وتقديم القرابين والنذور للقبور[6]، وغيرها من البدع الكثيرة التي هي من قبيل الكفر والشرك، أو يفضي إليها.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ٢٥٦/١(ح١٠٠) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه ٤٤١/١٦(ح٦٧٣٧).

(٢) ((جشن ميلاد النبي ﷺ)) لهمايون رشيد ص٦ وما بعدها، درر الفرائد لغلام حيدر ص: ٢٣٦ وما بعدها، أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص٧٤٠وما بعدها.

(٣) ينظر: كتاب ((رد وهابي)) لمفتي محمود البشاوري ص:٣٢وما بعدها، والبصائر لمنكري التوسل بالمقابر للداجوي ص:٦٠وما بعدها، درر الفرائد لغلام حيدر ص:١١٦وما بعدها.

(٤) دلائل الخيرات ص:٥٥وبعدها(متنه وهوامشه) ((دعاء حزب البحر)) المنسوب للشاذلي ص:٧وما بعدها، ((أعمال روحاني)) إفادات عبد الحق انتخابات شوكت علي ص:٢٣وما بعدها.

(٥) السلسلة القادرية الشريفة ص:١٠وما بعدها، ((إرشاد السلوك)) للمارتونجي ص:٣وما بعدها.

(٦) درر الفرائد لغلام حيدر ص:١٩٢،((اختلافي مسائل كاحل)) لمحمد أشرف چشتى ص:٧٠، وغيرها من الكتب.

كل هذه الانحرافات وغيرها يتسببُ علماءُ السوءِ في نشرها وإيجادها، جهلا منهم أحيانا، وعنادا وحسدا منهم لأهل الحق أحيانا، وطمعا في المال والجاه أحيانا، وإتباع الشبهات والشهوات أحيانا.

الفرع السابع عشر: تعوّد بعض الناس على بعض الانحرافات يصعب إقلاعهم عنها.

إن من أسباب بعض الانحرافات تَعَوَّد بعض الناس على بدع يصعب عليهم تركها والإقلاع عنها، وذلك بسبب تقليد علماء السوء، والالتزام بعادات الآباء والأجداد، بحيث يُلام بين أفراد المجتمع الذي يعيش فيه إن ترك هذه العادة، أو تقليد شيخ الطريقة أو نحو ذلك؛ فيلتزم بها خوفاً من العَار واللوم.

ومن أمثلة ذلك: ترك حيلة الإسقاط[(١)] بعد وفاة أحد من الأقرباء، أو صناعة الطعام للضيوف والعلماء ووجهاء القبيلة وغيرهم.

الفرع الثامن عشر: وسائل الإعلام الداخلية والخارجية.

إن الانحراف عن الصراط المستقيم قد يكون سببه وسائل الإعلام بصورها المختلفة، كالتلفاز، والإذاعة، والجرائد، والمجلات، والأفلام،والمسرحيات، وشبكة المعلومات العالمية(الإنترنت)وغيرها.

إن لهذه الوسائل دوراً عظيماً، وبارزاً في الانحرافات عموما، وفيما يتعلق بالعقيدة خصوصا، وفيما يتعلق منها بتوحيد العبادة بالأخص، وذلك من خلال ما يبّثه الإعلام بوسائله المختلفة من الأخبار الكاذبة، والأغاني الماجنة، والدعوة إلى التنصير، وتقديس الصليب، وتذكير الناس بالموالد، وإشاعة التنجيم والكهانة، ونشر عقائد القبورية، وغيرها من الانحرافات.

فإشاعة الفكر المنحرف والمسموم، وإذاعته عبر قنوات الإعلام ووسائله، من العناصر الهامة في نشر كثير من الانحرافات العقدية وغيرها.

ومن أمثلة ذلك: ما تنشره الجرائد، من الدعوة إلى الاعتماد والاعتقاد بالتنجيم والكهان، الذين يدّعون الإخبار عن أمور مستقبلية؛ فقد خصصت أكثر الجرائد بعض الصفحات، أو الأعمدة لهذا الأمر، وتكتب عن كل يوم من كل شهر، وبالأبراج المعروفة لديهم[(٢)].

---

(١) سيأتي التعريف بحيلة الإسقاط وبيان كيفية هذه الحيلة في فصل الذبح وتقديم القرابين ص: ٦٩٤.

(٢) والأبراج المعروفة لديهم هي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، ودلو، والحوت.

ومن الأمثلة لذلك: ما تنشره بعض الإذاعات من الدعوة إلى التنصير، وتنشره باللغات المحلية فضلا عن اللغات الرسمية، وهذا فضلا عما تُبُثّه إذاعات الدول الكافرة، من الانحرافات الدينية من خلال مختلف برامجها اليومية، والأسبوعية، وغيرها.

ومن الأمثلة كذلك: ما تبثه بعض القنوات الفضائية، من الأذكار والأوراد الصوفية، والرقص الصوفي المصاحب بالموسيقى، ويتقرّب بها بعض الناس إلى الله ﷻ.

والمواقع المختلفة للصوفية، والقبورية، وغيرها في الشبكة العالمية(الإنترنت)لا تخفى على الكثير، هذا وهناك مواقع عديدة تدعو إلى التنصير ويسمونه تبشيرا، أو بأسماء أخرى ليخدع بها المسلمون.

هذه الوسائل وغيرها كلها من أسباب الانحرافات المتعلقة بالعقيدة عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصا.

الفرع التاسع عشر: جهود بعض رجال السياسة، والمؤسسات في الانحرافات.

إن حكومة أي دولة تستطيع بما أعطاها الله ﷻ من سلطة وقوة وهيبة، أن تصلح كثيراً من الانحرافات العقدية وغيرها، ولكنها باستعمال هذه القوة والهيبة، قد تدعو إلى البدع والمخالفات العقدية وغيرها، والتاريخ شاهد على هذا، فكان في القرون السابقة (كثير من الملوك والحكام يلجئون إلى عمارة الأضرحة، والإنفاق عليها، ليس إيمانا بها بقدر ما كان إرضاءاً لمشاعر الناس، ومحاولة كسب ولائهم، والعمل على إلهائهم بتلك الأضرحة التي تعبد من دون الله ﷻ، واطمئناناً على الأقل من ثوراتهم وتمردهم)(١).

ومن أمثلة جهود بعض رجال السياسة في إحياء الانحرافات ونشرها، ما يقوم به بعض رجال السياسة -بعد تعيينه بمنصب حكومي، أو قبل تعيينه بمنصب- من المشاركات في بدعة الاحتفال بمولد النبوي، أو تأييدها ماديا أو معنويا، رسميا أحيانا وغير رسمي في أحيان أُخرى، وكذلك ما يقوم به بعض رجال السياسة من تعمير الأضرحة

---

(١) الانحرافات العقدية والعلمية لعلي الزهراني ١/٢٩٨.

على المقابر، والمشاركات في الأعراس التي تقام على المشاهد، أو بذل الأموال في بناء القباب عليها، سواء من أموال الدولة أو أمواله الخاصة.

ومن الأمثلة لذلك منع الغناء والموسيقى في الإذاعات والتلفاز، وإغلاق السينما، أو إنزال صورها التي رفعوها للدعاية، خاصة في الأيام العشر الأولى من شهر المحرم دون غيرها من أيام السنة؛ وذلك للمشاركة في المأتم الرافضي الذي يَدَّعونه ويقيمونه بسبب استشهاد الحسينِ ﷺ وغيرِه من أهل البيت في كربلاء[1].

إن منع الأغاني في الإذاعات والتلفاز وإغلاق السينما، وإنزال صورها من الواجهة، من الأمور الحسنة التي يُمْدَحُ فاعلها؛ لكن ارتباطها بعادة غيرِ شرعيَّةٍ لا يمدح فاعلها؛ لأنه ما يقصد بإزالتها ترك المخالفة، وإنما قصد المشاركة في البدعة؛ ولأن ذلك يشجع عوام المسلمين للمشاركة في تلك الرسومات، والطقوس غير الشرعية، بل سيعظِّمها في نفوسهم.

وكان الأولى أن يمنع الأغاني والموسيقى وغيرها، في جميع أيام السنة، أو على أقل التقدير في شهر رمضان المبارك، وأيام العيدين، والليالي العشر من ذي الحجة، وغيرها من الأوقات التي رغب الشرع في العبادة فيها كأيام البيض، والاثنين والخميس وغيرها.

وأما دور المؤسسات الإقليمية أو الدولية في نشر الانحرافات وتأييدها، واضح جداً، حيث تبذل جهودها في ذلك عن طريق فتح المدارس والمعاهد [2]، أو قيام المسابقات التي

---

(١) **كربلاء**: هو موضع قريب من الكوفة أستشهد فيه الحسينﷺ . يُنظر: معجم البلدان ٤/٤٤٥.

(٢) ومثال ذلك: ما يقوم به إسماعيليون (آغاخانيـــون) من فتح المدارس والمعاهد في منطقة(گلگت وبلتستان) وما جاورهما من البلاد.

تسميها الثقافية[١]، أو إرسال دعاة التنصير إلى القرى والمدن[٢]، أو إرسال الكتب التي تدعو أو تؤيد الانحرافات العقدية وغير العقدية[٣].

وهذه أمثلة من دعم بعض رجال السياسة للانحرافات بأشكالها المختلفة، ونماذج من جهود بعض المؤسسات في تشجيع وإحياء الانحرافات عن الدين الصحيح والمنهج القويم، أقتصر بهذا القدر خشية الإطالة، وإلا فما يقومون بها من أعمال وجهود تجاه نشر وتأييد الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة أكثر وأكثر!!!فالله المستعان.

الفرع العشرون: تعظم الآثار والمشاهد.

إن من أخطر أسباب الانحرافات عموماً، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً، تعظيم الآثار والمشاهد المنسوبة إلى الأولياء والصالحين، ولقد كان سبب شرك قوم نوح عليه السلام هو تعظيم آثار الصالحين؛ لأنهم وضعوا صور الصالحين تذكاراً لهم؛ لينشطوا في العبادة.

قال ابن عباس –رضي الله عنهما– في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[٤]«...**أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم؛ فَفَعلوا، فلم تعبد؛ حتى هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلمُ عُبِدَتْ**»[٥].

---

(١) ومثال ذلك ما يقوم به الملحق الثقافي الإيراني في إقليم سرحد وغيرها من المسابقات وندوات وبرامج التي يسميها الترفيهية، والثقافية وغيرها.

(٢) ومثال ذلك ما ترسله المؤسسات الغربية باسم معلمي محو الأمية بين الرجال والنساء، أو رعاة الصحة من الأطباء، أو غير ذلك بأسماء مختلفة.

(٣) ومثال ذلك: ما يقوم بها النصارى من إرسال نسخ من كتابهم المسمى بـــ(الكتاب المقدس)وغيرها من الكتب التي تدعو إلى النصرانية وما أكثرها!!!، وكذلك ما ترسله بعض المؤسسات المؤيدة للبدع من تركيا كمؤسسة«وقف الإخلاص» فهي تبنَّتْ طباعة ونشر كثير من الكتب التي تسبب الانحرافات العقدية.

(٤) سورة نوح(٢٣).

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التفسير باب﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ﴾ ٨/٨٥١(ح٤٩٢٠).

وقد حذر النبي ﷺ أمته في آخر حياته ﷺ، فلماّ اشتكى ذَكَرَتْ بعضُ نسائه كنيسةً رأينها بأرض الحبشة، يقال لها مارية، وكانت أم سلمه وأم حبيبة -رضي الله عنهما- أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها، وما فيها من الصور؛ فقال: **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله»**[(١)].

ولكن مع الأسف الشديد أن بعض الناس قلّدوا أولئك، وبنوا على قبور الأولياء والصالحين مساجد، وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث قال: **«...لتركبن سنة من كان قبلكم...»**[(٢)].

إن تعظيم مشاهد الأولياء وآثار الصالحين قد تسبب عند بعض الناس في صرف العبادة لهم، من الخشوع والخضوع، والوقوف حافيا متضرعا منكسر الحال، وغيرها من الأشياء والحالات التي لا يفعلونها في بيوت الله، ولا في ثلث الأخير من الليل الذي هو أرجى أوقات الاستجابة.

فمن أمثلة ذلك أن منهم من يرجو البركة من الضريح والمقبور[(٣)]؛ ومنهم من يتحرى الصلاة عند المشاهد والمقابر[(٤)]، ومنهم من يرجو قبول الدعاء عندها[(٥)]، ومنهم من يُقبِّلها [(٦)]، ومنهم من يعتكف عند المشاهد والآثار والأضرحة[(٧)]، هذا وقد يحصل الشرك الصريح الذي يحصل من بعض الناس كالاستعانة، والاستغاثة بهم[(٨)]،...وغير ذلك من الشرك الصريح والعياذ بالله.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الجنائز باب بناء المسجد على القبر٣/٢٦٥ (ح١٣٤١)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب للمساجد ومواضع الصلاة، باب النهى عن بناء المساجد على القبور٥/١٥ (ح١١٨١).

(٢)أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم بنحوه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ص:٤٩٣(ح٢١٨٠) وأحمد في مسنده ٥/٢١٨، وقال الألباني: صحيح.ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني٢/٣٥ وقال محققو المسند صحيح على شرط الشيخين يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٣٦/٢٢٥ ح٢١٨٩٧.

(٣) درر الفرائد لغلام حيدر ص:١٩٣، الذخائر لأهل البصائر لكفاية الله ص:١٢.

(٤) ينظر: الوسيلة لهمايون رشيد ص٧٠.

(٥) درر الفرائد لغلام حيدر ص:١٩٣.

(٦) ينظر: أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص:٧٩٦، ومفاتيح الجنان للقمي ص: ٥١٨.

(٧) مقدمة كشف المحجوب ص:٢٢، ٢٣، ٢٧، ٢٨((جواهر پارے)) ليوسف قريشي ص: ٥٤.

(٨) كتاب((رد وهابي)) لمفتي محمود البشاوري ص:٣٢-٣٦، ودرر الفرائد ص:١٦٦، والبصائر لمنكري التوسل بالمقابر للداجوي ص:٦٠.

ومن أمثلة تعظيم الآثار التي أدت إلى الانحرافات العقدية، التبرك، والتوسل بنقش نعلٍ سموها (صورة نعل المصطفى ﷺ)فيقبّلون نقشَ النعلِ الذي يصوّرونه بأنفسهم، ثم يتبركون به، فجعلوا لها طريقة للتوسل بها، ثم بينوا آثارها وخاصياتها[1].

وما أشبه عملهم هذا بصنيع المشركين، حيث كانوا ينحتون ويصنعون الأصنام بأيديهم؛ ثم يعبدونها، وهؤلاء ينقشون النعل ثم ينسبونه إلى النبي ﷺ، ثم يتبركون به، ويتوسلون به، ويقبلونه...إلى غير ذلك، يا ليت قومي يعلمون.

ومن الناس من ينسب بعض المشاهد والآثار إلى بعض الأولياء أو الصالحين، وقد لا يكون لها حقيقة أصلا.

الفرع الحادي والعشرون: تقليد غير المسلمين في العادات والرسومات.

إن من أسباب الانحرافات عموماً وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً تأثر بعض المسلمين بعادات وثقافات الديانات والملل الكفرية من اليهودية[2]، والنصرانية[3]، والهندوسية[4]، والبوذية[5]، وغيرها.

---

(١) ((زاد السعيد مع نيل الشفاء بنعل المصطفى)) للتهانوي المترجم معز الله جان ص:٥١-٥٥.

(٢) **اليهودية:** هي الديانة التي تدين بها العبرانيون المنحدرون من إبراهيم عليه السلام، والمعروفون بالأسباط وهم أمة موسى وكتابهم التوراة، وكانت هذه الديانة صحيحة لكن الآن باطلة لكونها حرفت ومنسوخة بالإسلام. يُنظر: الملل والنحل للشهرستاني١/ ٢١٠، والأديان والفرق لشيبة الحمد ص: ٢١.

(٣) **النصرانية:** دين النصارى وكتابهم الإنجيل، وهي كانت مكملة لشريعة موسى عليه السلام وهي حرفت على أيدهم ونسخت بالإسلام فهي الآن باطلة. الملل والنحل للشهرستاني١/٢٢، والأديان والفرق لشيبة الحمد ص: ٣٥.

(٤) **الهندوسية:** ويطلق عليها البرهمية، ديانة وثنية، وهي مجموعة من التقاليد والعادات والعقائد، يغلب على الظن أن الآريين الذين هاجروا إلى الهند نظمتها. الأديان والفرق لشيبة الحمد ص:٥٩.

(٥) **البوذية:** ديانة تنسب إلى رجل أصله من هندوس اسمه(سذهاتا)ويلقب بـــ(بوذا)، ثم أتباعه بعد وفاته جعلوه إلها، ودخلت هذه الديانة أفكار جديدة وبعضهم أوصلوا الآلهة عندهم (٣٣) إلها. يُنظر: الأديان والفرق لشيبة الحمد ص: ٧١وما بعدها.

إن احتكاك المسلمين مع أهل الديانات الأخرى عن طريق الاتصال المباشر أو غير المباشر يؤثّر على سلوك المسلمين وعاداتهم وعقائدهم.

بل وإن بعض ممن دخلوا في الإسلام كانوا يضمرون في قلوبهم الحقد على الإسلام والمسلمين فدخلوا في الإسلام ظاهرا، ويريدون هدم الإسلام وإفساد أهله باطنا فقاموا ببثّ المعتقدات الفاسدة، حقداً وحسداً على الإسلام وأهله، كابن سبأ اليهودي(١) الذي أجج نيران الفتن.

كما أن بعض المسلمين الذي دخلوا في الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى بقوا متأثرين بما كانوا عليه من الأفكار والمعتقدات التي كانوا عليها قبل الإسلام، فلم يستطيعوا التخلص من بعض العقائد الفاسدة التي كانوا عليها قبل الإسلام، فروجوا في المجتمع ما اعتادوه، وصبغوه صبغة يظنونها إسلامية.

قال محمد يوسف اللديانوي(٢): لقد انتشر الإسلام في الهند بكثرة، ولكن مع الأسف أنه لم يُهْتَمْ بتربية وتعليم هؤلاء المسلمين الجدد؛ لأن الذين تركوا مذهب الهندوسية، لم يتحرروا[تماماً]بدخولهم الإسلام من الرسومات والعادات السابقة.

وبالعكس -بناء على الاختلاط الشديد بينهم والمجتمع الهندوسي- دخلت كثير من عادات ورسومات الهندوس في المسلمين الذين جاءوا من خارج الهند.

---

(١) **ابن سبأ**: هو عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أصله من اليمن كان يهوديا أظهر الإسلام.ينظر لسان الميزان لابن حجر تحقيق محمد المرعشلي٤/٢٢رقم الترجمة٤٦١٨، وميزان الاعتدال للذهبي٢/٤٢٦رقم الترجمة٤٣٤٢.

(٢) **اللديانوي**: هو محمد يوسف بن الله بخش الديوبندي ولد عام ١٣٥١هـ في من مديرية اللديانة من بنجاب الهند الشرقي وبعد انفصال باكستان من الهند أقام في ملتان.ومن مؤلفاته: ((اختلاف أمت اور صراط مستقيم)) و((قاديانوں كو دعوت اسلام))((حيات عيسى عليه السلام))وغيره.يُنظر: ترجمته في أكابر علماء ديوبند لمحمد أكبر شاه بخاري ص: ٥٥٦.

وما رُوِّج من الرسومات في الأعراس والزفاف أو أوقات الممات من الرسومات المروجة المخالفة للشرع -وتعرف النساء على هذه الرسومات أكثر من الرجال- كلُّها من جراثيم المذهب الهندوسي[١].

ويقول زاهدي أحمد زئي[٢]: وبمرور الزمن أُلقِيت الثقافةُ الإسلاميةُ وراء الظهورِ وأُحْيِيَت في الشعب كثير من الرسومات والعادات والبدع السابقة، وفوق ذلك وردت كثير من الرسومات والبدع من النصرانية المنحرفة، والهندوسية، والزردشتية[٣]، واختلطت عقيدة توحيد شعبنا الصافية بالبدع والرسومات الشركية، وحاولت أن يُبعد شعبنا المؤمن من دينهم الإسلامي[٤].

ومن أمثلة تأثير المسلمين بعادات وعقائد غير المسلمين: الإطعام عن الميت بعد موته مباشرة أو في الأوقات المحددة، كالإطعام عنه من اليوم الأول إلى الثالث أو السابع، أو الصدقة عنه في اليوم الثالث فقط، أو السابع، أو الأربعين، أو يوم تمام العام ونحو ذلك من الأوقات المحددة بوقت معين.

---

(١) ((اختلاف أمت او صراط مستقيم)) للديانوي بالأردية ص: ١٠٣ وبالبشتو ص١٣٥-١٣٦.

(٢) **زاهدي**: هو زاهدي أحمد زئي -حفظه الله- من ولاية لوجر بأفغانستان، من الدعاة المعروفين بالمنطقة، يشتغل بالدعوة بالقلم أكثر من دعوته باللسان، وله كتب كثيرة ألف بعضها وترجم البعض الأخرى، وهو كذلك من المشتغلين بالتدريس في الجامعات والمعاهد والمدارس، ويسكن حاليا في بشاور عاصمة إقليم سرحد باكستان.

(٣) **الزردشتية**: فرقة تنسب إلى رجل يسمى زردشت بن يورشب ادعى النبوة وصنف كتابا وعرضه على الملك بشتاسب؛ فاتبعه وقهر الناس على ذلك، وبنى بيوت النيران وكان يستحل المحظورات. ينظر: الكامل لابن الأثير١/ ١٤٥.

(٤) مقدمة كتاب((ناروا بدعتونه)) لزاهدي أحمد زئي صفحة: (ب، ي).

المطلب الثاني

سبل معالجة الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة

بعد أن تم التعرف على أبرز أسباب الانحرافات عموماً، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً، مع ذكر بعض الأمثلة على أرض الواقع في إقليم سرحد بباكستان لتوضيح حقيقة الحال، فإنه يجدر هنا ذكر سُبُل معالجة تلك الانحرافات، وطرق سد تلك الأبواب؛ لتكون سبل الوقاية من الانحرافات قبل وقوعها، ووسائل العلاج بعد حصولها، خطوات مثمرة لإزالة المنكرات ومنع شيوعها.

ولّما كانت أسباب الانحرافات كلها تندرج تحت ترك العمل بالكتاب والسنة، فإن سبل معالجتها كلها تكون بالرجوع إلى الكتاب والسنة والعمل بهما، ولكن كيف يمكن الرجوع إلى الكتاب والسنة والعمل بهما؟

أبرز ما يحقق ذلك أمران:

١- العناية بالعلم الشرعي وفق فهم السلف الصالح.

٢- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق شروطهما[١].

الأمر الأول: العناية بالعلم الشرعي وفق فهم السلف الصالح[٢].

إن للعناية بالعلم الشرعي فضلاً عظيماً، ولطالب العلم والعالم درجات كبيره لا ينالها إلا من سلك مسلكهم، قال النبي ﷺ: **«ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم»**[٣].

---

(١) ينظر:معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لشيخنا د.محمد بن خليفة التميمي ص: ٤٨-٤٩.

(٢) ينظر: اعتبار فهم سلف الصالح في فهم معاني نصوص الشرعية والرد على من أنكر ذلك، في كتاب الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن الكالكي لشيخنا عبد المحسن العباد البدر ص:١٤٩ وما بعدها .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد عن رسول اللهﷺ باب ما جاء في هوان الدنيا... ص:٥٢٥ (ح٢٣٢٢)وقال أبو عيسى -رحمه الله-: هذا حديث حسن غريب وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الزهد باب مثل الدنيا ص: ٦٨٤(ح٤١١٢)وقال الألباني: **حسن**. يُنظر: صحيح سنن الترمذي للألباني٢/٥٣٣رقم٢٣٢٢.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرَضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**))(1).

ففضل العلم عظيم لا يناله إلا صاحبه، ولكن من لم يؤدِّ حقه؛ فجزاه أشد وأشد وقد قال النبي ﷺ في أول من يُسأل يوم القيامة: ((**...ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: قارئ فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار...**))(2).

المقصود بالعلم هو العلم الشرعي الصحيح الذي يعالج الانحرافات وهو ما كان موافقا لمنهج السلف الصالح، ومنهج السلف الصالح يتّضح في أمرين:

١- **تعظيم نصوص الشرع الصحيحة.**

٢- **صحة فهم نصوص الشرع.**

هذان أبرز أسس السلف في العلم الشرعي الذي يعالج الانحرافات، وإليكم التفصيل:

الأمر الأول: تعظيم نصوص الشرع الصحيحة.

لقد عظّم السلف الصالح نصوص الشرع الصحيحة أتم التعظيم؛ فوقفوا عند حدودها من غير زيادة ولا نقصان؛ لأن الانحرافات ليست إلا زيادة أو نقصان كما اتضح فيما سبق، والأمثلة على تعظيم السلف لنصوص الشرع كثيرة منها:

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب العلم باب فضل الفقه على العبادة ص: ٦٠٥(ح٢٦٨٤) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الألباني: صحيح.ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني٣/٧٢(٢٦٨٥).

(٢) أخرجه النسائي في سننه باب من قاتل ليقال: فلان جريء ص:٤٨٤(ح٣١٣٧)وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن النسائي للألباني٢/٣٨٢(ح٣١٣٧).

أ- عن عبد الله بن عمر[(١)] -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ((**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استَأْذَنَّكم إليها، قال:فقال بلال بن عبد الله**[(٢)]**: والله لنمنعهن! قال: فأقبل عليه عبد الله؛ فسبّه سبّاً سيّئاً، ما سمعته سبَّهَ مثله قط، وقال أُخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله، لنمنعهن!!**))[(٣)].

ب-عن أبي قتادة[(٤)]قال: كنا عند عمران بن حصين[(٥)]في رهط، وفينا بشير بن كعب[(٦)]، فحدثنا عمران يومئذ، فقال: **قال رسول الله ﷺ** ((**الحياء خير كله**))قال: أو قال: ((**الحياء كله خير**))قال بشير: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة، أن مِنه سكينة ووقاراً لله، ومنه ضعف! قال: فغضب عمران حتى احمرّتا عيناه وقال: أَلاَ أراني أحدثك

---

(١) **ابن عمر**: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، القرشي، من الصحابة المكثرين في الحديث، أسلم مع أبيه وقيل: قبله، مات بمكة سنة٧٣هـ بسبب طعنة بسهم مسموم في خلف رجله.يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٣/٩٥٠برقم(١٦١٢)، وأسد الغابة لابن الأثير٣/٣٣٦برقم(٣٠٨٢).

(٢) **بلال بن عبد الله**: هو بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، مدني عدّه يحي بن سعيد القطان في فقهاء أهل المدينة.ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر١/٤٦٢(٨٣٦)، والثقات لابن حبان١/٣٧(٢٤٤).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة٤/٣٨٢(ح٩٨٨).

(٤) **أبو قتادة**: هو أنصاري فارس رسول الله ﷺ ، وكان يعرف بذلك واختلف في اسمه فقيل: حارث بن ربعي بن بلدة، وقيل :النعمان بن ربعي، وقيل غير ذلك، شهد أحداً وما بعدها، توفي سنة أربعين. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر٤/١٧٣١، وأسد الغابة٦/٢٤٤(٦١٧٣).

(٥) **عمران بن الحصين**: هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي يكنى أبا بجير أسلم عام خيبر.ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر٣/١٢٠٨. أسد الغابة لابن الأثير٤/٢٦٩ (٤٠٤٨).

(٦) **بشير بن كعب**: هو بشير بن كعب بن أُبي الحميري أبو أيوب،العدوي ويقال العامري شهد اليرموك، واستعمله أبو عبيدة على الخيل باليرموك. ينظر:تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/٤٢ رقم ٧٣٥، الثقات لابن حبان١/٤٢(٢٩١)، وأسد الغابة١/٤٠٦(٤٧٦).

عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟! قال: فأعاد عمران الحديث، قال: فأعاد بشير، فغضب عمران، قال: فما زِلنا نقول فيه: إنه منّا يا أبا نجيد...إنه لا بأس به»[1] !! يعني أنه ليس متهما بالنفاق.

ت- وقد ثبت أن قريبا لعبد الله بن مغفل رضي الله عنه[2] خَذَفَ[3] قال: فنهاه وقال: **إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال: إنها لا تصيد الصيد، ولا تنكأُ عدواً، ولكنها تكسر السنّ، وتفقأُ العين.** قال فعَادَ، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه، ثم تَخْذِف! لا أكلمك أبداً!!»[4].

هذا غيض من فيض مما جاء عن السلف الصالح من تعظيمهم لنصوص الشرع، كما أنهم كانوا أشد الناس في التثبت والتحري في فعل السنة والوقوف عند حدودها؛ فلا يفعلون شيئا إلا بعلم، ولا يحكّمون آراءهم، ولا يستحسنون بعقولهم عبادة لم تكن من هدي النبي ﷺ لأن ما ليس عليه هديه ﷺ فهو ردّ وإليك جملة من الأمثلة لذلك:

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان ١٩٨/٢(ح١٥٦).

(٢) **عبد الله بن مغفل:** هو عبد الله بن مغفل بن عبدهم بن عفيف المزني أبو سعيد سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وهو من أصحاب الشجرة.ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر٤٣٨/٢، والإصابة لابن حجر١٤٢/٣.

(٣) **الخَذف:** هو أن ترمي بحصاة أو نواة، تأخذها بين سبابتيك، أو تجعل مخذفة من خشب ترمي بها بين الإبهام والسبابة، فالخذف بالخاء المعجمة: هو الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع.ينظر: لسان العرب لابن منظور٤٤/٣.

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الصيد والذبائح باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدوّ١٠٧/١٣(ح٥٠٢٦).

١- عطس رجل إلى جنب ابن عمر-رضي الله عنهما-« فقال: الحمد لله والسلام على رسوله، فقال له عبد الله بن عمر ﷺ: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسوله، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال» [1].

٢- جاء أن سعيد بن المسيب[2] -رحمه الله- «رأى رجلا يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد! يعذبني الله على الصلاة؟ فقال: لا..ولكن يعذبك على خلاف السنة» [3].

٣- قال رجل للإمام مالك بن أنس-رحمه الله-: يا أبا عبد الله! من أين أُحرم؟ فقال مالك -رحمه الله-: من ذي لحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر.قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة.فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدها! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سَبَقْت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله ﷺ ؟ إني سمعت الله يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4] اهـــ[5].

هذه أمثلة لوقوف السلف عند حدود السنة من غير زيادة ولا نقصان -وإن كانا من منطلق الاحتياط أو الزيادة في الطاعة-، ومع ذلك أكد السلف على تعظيم النصوص،

---

(١) رواه الترمذي في سنه كتاب الآداب عن رسول الله، باب ما يقول العاطس إذا عطس ص: ٦١٥(ح٢٧٣٨).وقال الألباني: حسن.ينظر صحيح سنن الترمذي للألباني٣/٩٤(ح٢٧٣٨)، وإرواء الغليل للألباني٣/٢٤٥.

(٢) **سعيد بن المسيب**: هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي، ولد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وتوفي في التسعينيات بالمدينة، قال قتادة: ما رأيت أحداً قط أعلم بالحلال والحرام منه.ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان٢/٣٧٥، وتهذيب التهذيب لابن حجر٢/٤٣.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى٢/٤٦٦رقم٤٢٣٤، وعبد الرزاق في مصنفه في الصلاة ٣/٥٢ رقم٤٧٥٥.

(٤) سورة النور(٦٣).

(٥) أبو نعيم في الحلية٦/٣٢٦، أحكام القران لابن العربي٣/١٤١٣والاعتصام للشاطبي١/٢٢٧.

والوقوف عند حدودها، وهم في ذلك على قاعدة عظيمة في تجريد الإتباع ذكرها سعيد بن جبير(١) -رحمه الله- وهي قوله: ((**قد أحسن من انتهى إلى ما سمع**))(٢).

ورُوِي مثل هذا عن أبي حنيفة -رحمه الله- حيث قال: ((...لم يصح في هذا عندي عن رسول الله ﷺ شيء؛ فأفتي به، وينتهي كل امرئ إلى ما سمع...))(٣).

وقال سفيان الثوري(٤) -رحمه الله-: ((إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل))(٥).

وقال الإمام البخاري(٦)-رحمه الله-:((وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة؛ ليأخذوا بأسهلها فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره إقتداءً بالنبي ﷺ))(٧).

(١) **سعيد بن جبير**: هو أبو عبد الله وقيل: أبو محمد بن هشام الأسدي بالولاء حبشي الأصل، تابعي فقيه، ولد عام٥٤هـ وقتله الحجاج عام٩٥هـ.يُنظر:وفيات الأعيان لابن خلكان٢/ ٣٧١، وتذكرة الحفاظ للذهبي١/٧٦، وطبقات المفسرين للأدْنوي ص:١٠.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب٣/٨٨ح(٥٢٦).

(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر ص: ١٤١.

(٤) **الثوري**: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري نسبة إلى ثور بن عبد مناه الكوفي أمير المؤمنين في الحديث ولد عام٩٦هـ وتوفي عام١٦١هـ.ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان٢/٣٨٦، وتهذيب التهذيب لابن حجر٢/٥٦.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي١/١٤٢.

(٦) **البخاري**: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَـهْ الجعفي مولاهم، صاحب الصحيح توفي -رحمه الله- عام٢٥٦هـ.ينظر:تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/٥٥٥(٥٧٨)، وتهذيب التهذيب لابن حجر٣/٥٠٨، وتقريب التهذيب ص: ٨٢٥رقم٥٧٦٤.

(٧) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾١٣/٤١٥.

وهكذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم لا يستدلون على مسائل الدين إلا بالنصوص الصحيحة، ويَشتدُّ عليهم معارضة النصوص بالآراء، وإليك نماذج من ذلك:

قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله-: «ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله تعالى، ولا مع سنة رسول الله ﷺ، ولا مع ما أجمع عليه الصحابة»(١).

وقال -رحمه الله-: «البول في المسجد أحسن من بعض القياس»(٢)وهو ما كان في مقابل النص أو إجماع.

وقال -رحمه الله-: «إذا جاء الحديث صحيح الإسناد عن النبي ﷺ أخذنا به و لم نَعْده»(٣)، أي وقفنا عنده و لم نتجاوز عنه، وهذا مما يدل على فقهه وورعه.

وقال -رحمه الله-: «...هذا أحسن ما قدِرنا عليه، فمن جاء بأحسن من قولنا؛ فهو أولى بالصواب منَّا»(٤).

وقال -رحمه الله-: «هذا الذي نحن فيه رأيٌ، لا يجبر عليه أحد، ولا نقول يجب على أحد قبوله؛ فمن كان عنده أحسن منه فليأتنا به نقبله»(٥).وهذا من فقهه -رحمه الله- وحسن تأدُّبه مع نصوص الشرع.

وسأل رجلٌ الإمامَ الشافعي -رحمه الله- عن حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال له الرجل: فما تقول ؟! فارتعد وانتفض وقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا رويت عن رسول الله ﷺ وقلت بغيره(٦).

---

(١) عقود الجمان لمحمد بن يوسف الصالحي ص: ١٧٥.

(٢) الكامل لابن عدي٧/٢٤٧٦من ابتداء اسمه نون.

(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة...لابن عبد البر ص: ١٤٤، وعقود الجُمَان للصالحي ص: ١٧٣.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي١٣/٣٥٢، وعقود الجُمَان للصالحي ص: ١٧٤.

(٥) عقود الجُمَان للصالحي ص: ١٧٧.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم٩/١٠٦.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة(1): قلت لأحمد بن نصر(2)وحدّث بخبر النبي ﷺ: «أتأخذ به، فقال: أترى على وسطي زُنّاراً(3)؟!لا تقل لخبر النبي ﷺ أتأخذ به؟ وقل: أصحيح هو ذا؟ فإذا صحّ الخبر عن النبي ﷺ قلت به شئت أم أبيت» (4).

وأما بيان أنهم يعتمدون على النصوص الصحيحة دون الضعيفة والواهية أو الموضوعة فواضح جدا، حيث رسم أئمة الحديث منهجاً علمياً متميزاً في ضبط أصول الرواية، وتقعيد قواعدها؛ فحفظوها بفضل الله تعالى من العبث والتزييف، فهُم المرجع الذي يرجع إليه في معرفة الصحيح من الضعيف.

والاستدلال العلمي الصحيح على مسائل الدين يعتمد على الأحاديث المقبولة دون المردودة، وعلى النصوص الشرعية دون المنامات والقصص الإسرائيلية، وعلى الإتباع لسيد الأنام لا على تقليد الأشخاص وعلم الكلام، ولهذا قال بعض الأئمة الكرام: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذونه» (5).

---

(1) **ابن خزيمة:** هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري ولد عام٢٣٢هـ.وتوفي عام٣١١هـ يُنظر: الإكمال ٢٤٣/٣.وسير أعلام النبلاء للذهبي٣٦٥/١٤برقم٢١٤.

(2) **أحمد بن نصر:** هو أبو عبد الله أحمد بن نصر بن زياد النيسابوري، الزاهد المقرئ، قال الحاكم أبو عبد الله: كان فقيه أهل الحديث في عصره كثير الرحلة.ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر٤٩/١، وتهذيب الكمال للمزي٤٩٨/١.

(3) **زُنّار:**هو خيط غليظ بقدر الأصبع من الإبريسم يُشدّ على الوسط، وهو علامة النصارى والمجوس حيث يربطون بها أوساطهم مثل الحزام والنطاق.التعريفات للجرجاني ص: ١٥٢لسان العرب لابن المنظور٤١٣/٤.

(4) ذم الكلام وأهله للهروي١٧٨/٢.

(5) روي مثل هذا الكلام عن أنس بن مالك وابن عمر -رضي الله عنهما- والضحاك بن مزاحم، ومحمد بن سيرين، وغيرهم -رحمهم الله- ينظر: المحدث الفاصل للرامهرمزي ص:٤١٤-٤١٦، والكفاية في أصول علم الرواية ص: ٣٦٧.

وقال يحيى بن سعيد القطان[١] -رحمه الله-: ((لا تنظروا إلى الحديث، ولكن انظروا إلى الإسناد؛ فإن صح الإسناد، فلا تغترّوا بالحديث إذا لم يصح الإسناد)) [٢].

وبهذا يتبيّن أن الكتاب والسنة الصحيحة هما أصلا الاستدلالات، وهما المعيار الذي توزن به الآراء والاجتهادات، ولا يستقيم إيمان المرء إلا بتعظيمهما، وامتثال ما دلا عليه من القول والفعل، والاعتقاد.

ويقول الإمام الطحاوي الحنفي -رحمه الله- في بيان منهج أهل السنة والجماعة: ((ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام[٣]علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان)) [٤].

الأمر الثاني: صحة فهم نصوص الشرع.

صحة الفهم وحسن القصد من أعظم ما تعالج به الانحرافات المتعلقة بالعقيدة وغيرها، ((بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فُهومُهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحري الحق، وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته إتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى)) [٥].

---

(١) يحيى بن سعيد القطان: هو ابن سعيد بن يحيى بن فروخ أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ولد سنة ١٢٠هـ وتوفي عام١٩٨هـ ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي٩/١٧٥.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي٩/١٨٨.

(٣) رَامَ: أي طلب.يُنظر: لسان العرب لابن المنظور٤/٣٠٧.

(٤) العقيدة الطحاوية مع شرحه لابن أبي العز الحنفي ص: ١/٢٣١-٢٣٣.

(٥) إعلام الموقعين لابن القيم١/٨٧.

ومن الأصول العلمية لفهم النصوص الشرعية:

أ-الاعتماد على فهم السلف الأمة(١).

ب-معرفة اللغة العربية وأساليبها (٢).

ج-جمع النصوص الواردة في الباب الواحد(٣).

أ-الاعتماد على فهم الأمة.

لقد شرّف الله الصحابة بصحبة النبي ﷺ، ورفع قدرهم ودرجاتهم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٤).

وقال ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(٥).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا،وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ؛ فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(٦).

إن الصحابة -رضي الله عنهم- فهموا نصوص الكتاب والسنة على الوجه المراد؛ لأن فيهم نزل القرآن وفيهم تكلم النبي ﷺ، وبحضورهم امتُثلتْ أوامر الله ﷻ؛ فهم أعلم

---

(١)شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي١/٢٢١، والموافقات للشاطبي ٢/١٢٧.

(٢) الرسالة للشافعي ص: ١/٢٠، والموافقات للشاطبي٢/١٠٢.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي٢/٢١٢، والاعتصام للشاطبي٢/٥١.

(٤) سورة التوبة(١٠٠).

(٥) سورة الفتح(٢٩).

(٦) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر٢/٩٤٧رقم(١٨١٠).

الناس بمراد نصوص الشرع، وقد مدح النبي ﷺ أصحابه حيث قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**» (١).

فتلزم الاقتداء بالصحابة في جميع الأشياء، والأخذ بفهمهم للنصوص؛ لأنها فيهم وردت، فهم أعلم الناس بعلومها، وما فيها من المعاني، وهم أبعد الناس عن الانحرافات وأسبابها.

قال الشاطبي -رحمه الله-: «إن السلف الصالح -من الصحابة والتابعين ومن يليهم- كانوا أعرف الناس بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه...» (٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: «وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان؟!وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيّرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه، ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله و لم يتلق ذلك من الكتاب والسنة فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة؛ فهو مأجور، وإن أخطأ، ولكن إن أصاب يضاعف أجره» (٣).

ب-معرفة اللغة العربية.

إن اللغة العربية هي ترجمان الدين الإسلامي، ولا بد من فهمها ومعرفة أساليبها، لأن بها نزل القران الحكيم وبها تكلم النبي الكريم ﷺ، وبها خاطب غيره؛ فنصوص القرآن والسنة إنما هي باللغة العربية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤).

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٦/٧(ح٣٦٥١)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم...٣٠٤/١٥(ح٦٤٢٢).

(٢) الموافقات للشاطبي ١٢٧/٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي٢٢١/١.

(٤) سورة يوسف (٢).

وقال ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2].وغيرها من الآيات.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تعلمون القرآن[3] والمراد باللحن اللغة العربية وإعرابها.

قال الشافعي -رحمه الله-:«وإنما بدأت بما وصفتُ مِن أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره، لأنه لا يعلم من إيضاح جُمَلِ علم الكتاب أحدٌ جَهِلَ سعةَ لسان العرب وكثرةَ وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن عَلِمه انتفت عنه الشُّبهُ التي دخلت على من جَهِل لسانَها»[4].

وقال الشاطبي -رحمه الله-: «فمن أراد تَفهُّمَهُ [أي القرآن]؛ فمن جهة لسان العرب تفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة» [5].

فهذه النقولات من السلف الصالح تؤكد أهمية اللغة العربية لفهم النصوص الشرعية، وإلا فانحرافات من حاول فهم النصوص بدون فهم العربية أكثر من الصواب.

ج_جمع النصوص الواردة في الباب الواحد.

إن من أهم سبل منع وقوع الانحرافات، جمع النصوص الواردة في الباب الواحد؛ لأن النصوص الشرعية يكمل بعضها بعضا، وتبيّن مرادها، وقد لا تتبيّن مسألة ما إلا إذا جمعت فيها جميع النصوص المرتبطة بها، لأن النصوص يشابه بعضها بعضا، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾[6].

---

(١) سورة الأحقاف(١٢).

(٢) سورة فصّلت(٣).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي٣/٢٠٩برقم١٥٥٤وبرقم٢١٠١.

(٤) الرسالة للشافعي ص: ٢٠/١.

(٥) الموافقات للشاطبي١٠٢/٢.

(٦) سورة الزمر(٢٣).

وفي مثل هذا نقل عن الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-: ((الحـــديث إذا لم تجمـــع طرقة لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضا))[1].

وقال علي ابن المديني[2] -رحمه الله-: ((الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه))[3]

وقال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: ((ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وإنما هو **الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها إلى بعض**؛ فإن مآخِذَ الأدلة عند الأئمة الراسخين، إنما هي على أن تؤخَذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامّها المرتب على خاصّها، ومطلقها المحمول على مقيّدها، ومجملها المفسّر بِـــمبيّنها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها، فإذا حصل للناظر من جملتها حكم من الأحكام؛ فذلك هو الذي نظمت به حين استنبطت.

وما مثلها إلا مثل الإنسان الصحيح السوي فكما أن الإنسان لا يكون إنسانا يستنطق فينطق باليد وحدها، ولا بالرجل وحدها، ولا بالرأس وحده، ولا باللسان وحده، بل بجملته التي سُمِّيَ إنساناً، كذلك الشريعة لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلا بجملتها لا من دليل منها أيّ دليل كان، وإن ظهر لبادئ الرأي نطق ذلك الدليل، فإنما هو توهمي لا حقيقي، كاليد إذا استُنطِقتْ فإنما نطق توهما لا حقيقة من حيث عُلمت أنها يد إنسان لا من حيث إنسان لأنه محال.

فشأن الراسخين: تصوّر الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا، كأعضاء الإنسان إذا صورت صورة مُـــتّحِدة...)) [4].

ولذا ترى الفرق المنحرفة يحتجون لما يعتقدونه من العقائد، إما بأدلة صحيحة لكنها لم تجمع مع باقي الأدلة الصحيحة، أو بأدلة غير صحيحة لا يصح الاستدلال بها، كما

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي٢/٢١٢.

(٢) **ابن المديني:** هو علي بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن المديني محدث حافظ أصله من المدينة. ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي٢/٤٢٨رقم٤٣٦وتهذيب التهذيب لابن حجر٧/٣٤٩.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي٢/٢١٢.

(٤) الاعتصام للشاطبي٢/٥١.

أخذت الجبرية ببعض النصوص، وظنوا أنها تدل على الإجبار والإكراه وعدم الاختيار، دون باقي النصوص التي توضح المسألة؛ فنظروا إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(١).وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٢)فقالوا: أن العبد مجبور على فعله.

وأخذت القدرية في الجانب المقابل فأخذوا ببعض النصوص، وظنوا أنها تدل على أن العباد مخيرون – غيرُ مكرهين– دون باقي الأدلة التي وردت في الموضوع فنظروا إلى قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾(٣).وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(٤) فقالوا: العبد مخيّر في فعله، ويقدر على فعل ما لا يريده الله ﷻ وبالتالي هو خالق أفعاله، ونحو ذلك من المقالات الفاسدة.

وأما أهل السنة والجماعة الذين جمعوا جميع النصوص الواردة في المسألة، هذه النصوص وغيرها، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٦)ونظروا للنصوص كلها نظرة شاملة، فأثبتوا للعبد مشيئة وقدرة، إلا أن قدرة العبد ومشيئته لا تتم إلا بمشيئة الله ﷻ وقدرته؛ فهو ليس مجبرا كما يقوله الجبرية، ولا مخيّرا كما يقوله القدرية، بل له قدرة هي مناط التكليف، وقدرته تابعة لمشيئة الله وقدرته.

هذا نموذج من النماذج التي توسط فيها أهل السنة بين الفرق التي أخذت بطـــرفي نقيض المسألة؛ فمنهج أهل السنة وسط دائما بين جميع المناهج.

---

(١) سورة الأنعام(٣٥).

(٢) سورة يونس(٩٩).

(٣) سورة الزمر(٧).

(٤) سورة فصّلت(١٧).

(٥) سورة الإسراء(٧٤).

(٦) سورة التكوير(٢٧-٢٩).

وأهل السنة والجماعة وسط بين المرجئة والخوارج في مسألة مرتكب الكبيرة، كما أنهم وسط بين المشبهة والمعطلة في باب الأسماء والصفات، ووسط بين الروافض والنواصب في حب أهل البيت والصحابة؛ فأهل السنة وسط في جميع المسائل بين الفرق المختلفة؛ لأنهم يجمعون جميع النصوص الواردة في الباب الواحد من أبواب الاعتقاد، وينظرون إلى جميعها نظرة شاملة.

بعض الطرق المساعدة للعناية بالعلم الشرعي الذي يعالج الانحرافات:

إن مما يساعد في نشر العلم، وقمع الجهل المتسبب في الانحرافات العقدية وغيرها أمور منها:

أولا: إنشاء حلقات علمية ودعوية، أسبوعية وغيرها مما يراه الناس مناسبا، يدعى العلماء الجهابذة والدعاة المثقّفون من أعيان المنطقة وخارج المنطقة، لإلقاء محاضرات علمية، يحذّرون فيها عن المخاطر التي تواجه الأمة الإسلامية والشعب المسلم، ويبيّنون فيها أساليب الكفار والمنحرفين، لتضليل الناس واصطياد المسلمين في شبكات التنصير والعلمنة وغيرها من الأفكار الهدامة للدين والقيم، كما يبيّنون فيها أضرار الابتداع ومنافع الإتباع، ووسائل الشرك والانحراف، وطرق المعالجة حسب الإمكانيات المتوفرة، ويحذّرون فيها من التشبه بالكفار في عقائدهم وعاداتهم وعباداتهم، والمشاركة في محافلهم الدعوية التي يُرتّبونها بأسماء مختلفة وتحت شعارات براقة، حتى لا ينخدع بهم المسلمون، وأن لا يقع أحد ضحية لهم.

ثانيا: تكثيف المواد الدينية، من القرآن والحديث والعقائد والفقه وغيرها، في المدارس والمعاهد والجامعات العصرية -الحكومية منها والأهلية- وأن يُدرّس للطلاب إلى جانب المواد التخصصية، موادٌ دينية لتحصّنهم من الأفكار الهدامة للدين والقيم والأخلاق، وأن يلقى للطلاب محاضرات علمية في برامج النشاط تحذّر ويبيّن فيها المخاطر المواجهة للشعوب المسلمة، كما يبيَّن فيها وسائل الشرك والانحراف وأضرارها، وطرق معالجتها، وما يجب على المسلم تجاه هذه الأمور.

ثالثا: تدريس مادة المذاهب الفكرية المعاصرة التي تعادي الإسلام ومبادئه، في المدارس الدينية والعصرية، الأهلية منها والحكومية، وهذه المادة تبّين مكائد المذاهب الهدامة، ووسائلها ومجال انتشارها كما تبين موقف الإسلام من هذه المذاهب.

رابعا: تسجيل الأولاد وإرسالهم إلى المدارس التي تنهج منهج السلف الصالح في التعليم والتربية؛ لينشأ النشء الجديد محباً للتوحيد والإصلاح، ومبغضا للانحراف والفساد، وبالتالي يقوم الطالب أثناء التعليم والتربية وكذلك بعده، على إنكار المنكر والأمر بالمعروف حسب الإمكانيات المتوفرة له، في البيت والقرية والمجتمع بأكمله.

خامسا: تأليف الكتب وترجمتها إلى اللغات المحلية السائدة في المنطقة، وخاصة الكتب التي تهتم بمعالجة الانحرافات والتحذير من البدع والرد على أهلها، وكذا نشر المطويات التي تختصر الموضوع، وتجعله في متناول الأيدي، وتسهل الإطلاع على ما يهدّد الأمة بالانحرافات، ومعرفة أسبابها ووسائلها ونتائجها المترتبة عليها.

سادسا: نشر الأشرطة المسجلة عليها خطب العلماء الربانيين، وكلمات الدعاة المصلحين، ومحاضرات المثقفين الإسلاميين، والندوات العلمية والإصلاحية، وغير ذلك مما له الصلة بإصلاح المجتمع ونشر العلم، والتحذير من البدع الانحرافات، وكشف خطط ومكائد الأعداء من اليهود والنصارى وغيرهم ممن يتربص بالمسلمين الدوائر، فالشريط الإسلامي هو الداعي الناطق يدعو إلى إصلاح الفساد وقمع الانحراف، ويرافق المسلم في البيت، والمكتب، والمحل التجاري، والسيارة وغيرها، والشريط يوجِّهُ المتعلمَ والعالَمَ وغيرَهما من الخواص والعوام، إلى الإصلاح وقمع الفساد ومعالجة الانحراف.

وهكذا نستطيع عن طريق العناية بالعلم الشرعي، معالجة كثير من الانحرافات عموما وما يتعلق منها بالتوحيد خصوصا ما يتعلق منها بتوحيد العبادة بالأخص، وهي لا تنحصر في هذا القدر، بل هناك طرق ووسائل عديدة، لكنني اكتفيت بهذا القدر لأنني رأيت هذه الطرق أعمها أو أهمها.والله أعلم.

الأمر الثاني: القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعالج كثيراً من الانحرافات وينجي الأمة من الهلاك والفساد العام، وبسببه جُعلت الأمة المحمدية خير الأمم، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: (١).

ولا أريد أن أتوسع في مجال بيان فضل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ونصوص القرآن والسنة في ذلك كثيرة، ثم هو وإن كان له فضل كبير؛ ففي تركه خطر عظيم، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه؛ ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**))(٢).

فلا بدّ من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه قد يكون فرضَ عينٍ على بعض الناس، إذا رأى أحد المنكر وليس عنده غيره، أو لا يستطيع غيره إنكاره؛ فيجب عليه بعينه إنكاره بحسب مراتبه الثلاث، وإذا كانوا جماعة وقد قام بإنكار المنكر بعضهم أو أحدهم برئت ذمة الجميع، وإذا لم يقم بإنكاره أحد، أثم كلٌّ قادر بحسب قدرته؛ إذ هو واجب على كل مكلف بحسب قدرته، لقوله ﷺ: ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**))(٣).

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببٌ لانتشار البدع والانحرافات، وتنشيط الفرق الضالة والحركات الهدامة، والقيام به سببٌ لمعالجة كثير من الانحرافات عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً، كما أن ذلك يقمّع الحركاتِ الهدامة للدين، ويمنع نفوذهم في الشعوب، ويهتك أستارهم التي يتستّرون وراءها.

---

(١) سورة آل عمران(١١٠).

(٢) رواه الترمذي في سننه كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص: ٤٩٠ (ح٢١٦٩) ، وقال: حديث حسن، وقال الألباني: صحيح ينظر صحيح سنن الترمذي له٢/٤٦٠.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ٢/٢١١(ح١٧٥).

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -ويسميه البعض بالاحتساب- مراتب بيّنها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

فبيّن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذا الحديث مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنها ثلاث:

المرتبة الأولى: الإنكار باليد مع القدرة.
المرتبة الثانية: الإنكار باللسان مع القدرة.
المرتبة الثالثة: الإنكار بالقلب.

وإليكم بيان هذه المراتب بشيء من التفصيل، وما يتعلق بأصحاب كل مرتبة من المهام التي يُعالَج بها الانحرافات عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً، وبالله التوفيق.

المرتبة الأولى: الإنكار باليد مع القدرة.

وهذه المرتبة هي أعلى المراتب وأفضلها، ويشترط لأهل هذه المرتبة الاستطاعة والقدرة لإزالة المنكر باليد، وأن لا يترتب عليه فساد أعظم من المنكر الموجود.

وأهل هذه المرتبة:هم الولاة الذين لهم قدرة على رعاياهم بتنفيذ أوامرهم ونواهيهم بقوة اليد، والإجبار على العمل المراد.

ولا أقصد بولي الأمر الحاكمَ والسلطان فحسب، وإن كان الحاكم يدخل في هذه المرتبة دخولاً أوّلياً، بل المراد به كل من له «**تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى**»(٢).

فيدخل فيه كل من له رعية وهو مسؤول عند الله عن رعيته، كما قال النبي ﷺ: «**كلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، الإمام راعٍ وهو مسؤلٌ عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ، وهي مسئولةٌ عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته،...فكلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته**»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه قبل فقرة واحدة.

(٢) التعريفات للجرجاني ص:٣١٠، والدر المختار مع حاشية رد المحتار لابن عابدين كتاب النكاح باب الولي٣/٦٠.

(٣) مسند أحمد٢/١٢١وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط١٠/٢٢٠(ح٦٠٢٦).

والولاية تنقسم إلى قسمين:

١- **ولاية خاصة:** وهي ولاية الأب على أولاده الصغار وغيرهم في العقود والتربية والتعليم ونحوها.

٢- **ولاية عامة:** وهي ولاية الإمام على الرعية، وقد تنبثق عنها ولايات متعددة؛ لأن رئيس الدولة لا يستطيع أن يقوم بمفرده بتنظيم جميع أمور الدولة، فلا بد له من أعوان يساعدونه في إدارة شؤون البلاد، ورعاية مصالح الشعب؛ لأن الإمامة «موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»(١)، فمن أهم مهامه حراسة الدين، وهذه الحراسة تكون بـ«الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله»(٢).

وبعد هذا العرض الموجز عن الولاية، بيانٌ لكيفية معالجة الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة عن طريق **قيام رجال الدولة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

أولاً: منع المظاهر الشركية، والبدعية التي هي من الغلو والشرك.

إن قباب القبور، وتماثيل القادة ومجسمات الأبطال وغيرهم، كلها أمورٌ ينبغي تغييرها باليد لمن له القدرة على ذلك؛ لأن كل هذه الأشياء سبب وذريعة للانحرافات التي تتعلق بتوحيد العبادة؛ فيجب على الولاة أن يمنعوا من إنشاءها، وإزالة ما بُنِيَ منها.

ولقد قام إمام ولاة أمور المسلمين، وقائد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، محمد بن عبد الله ﷺ على هدم وكسر التماثيل، وأمر بطمس الصور، وتسوية القبور العالية عن الأرض، وامتثل أصحابه -رضي الله عنهم- أَمْرَه في حياته، وبعد وفاته ﷺ، وكل هذا معالجةً للانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة.

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص: ٢٩.
(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص:٣٩١، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص: ٢٨٤.

عن ابن مسعود ﷺ قال: **دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحَوْلَ البيت ستون وثلاثمائة نُصُب**، فجعلَ يَطعنُها بعود في يده، ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾ [1]، ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [2]»[3].

وفي الأثر أن عثمان بن عفان ﷺ خرج فأمر بتسوية القبور، فسويت، إلا قبر أم عمرو ابنة عثمان،فقال: ما هذا القبر؟ فقالوا:قبر أم عمرو[4]فأمر به فسُوِّيَ [5].

و قال أبو الهياج الأسدي[6]: قال لي علي بن أبي طالبﷺ: «**ألا أبْعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع صورة إلا طمستَهَا،ولا قبراً مشرِفاً إلى سوَّيْتَهُ**»[7].

هذه نماذج من كيفية إنكار المنكر باليد، ومعالجة الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، والإنكار باللسان لا يكفي في مثل هذه المواضع، لأن المطلوب إزالة هذه الأسباب المؤدية للانحرافات العقدية، أما من ليس له قدرة على الإنكار باليد، فيغيِّره بلسانه، وذلك بالبيان، ورفع الأمر لمن له القدرة على التغيير باليد، وهم الحُكَّام.

---

(١) سورة الإسراء(٨١).

(٢) سورة سبأ(٤٩).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟٨/٢٠(ح٤٢٨٦).

(٤) **أم عمرو:** هي ابنة عثمان بن عفان زوجة سعيد بن العاص –رضي الله عنهم- توفيت في حياة أبيها كما يعلم من رواية عبد الرزاق في مصنفه٣/٥٠٤، كتاب الجنائز باب الجدث والبنيان رقم(٦٤٨٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر٦٩/٣٩.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر٤/٥٦٠رقم(١١٩٠٦)، وعبد الرزاق في مصنفه٣/٥٠٤، كتاب الجنائز باب الجدث والبنيان رقم(٦٤٨٩)وقال الألباني سنده صحيح يُنظر: تحذير الساجد له ص: ١١٨.

(٦) **أبو الهياج** :هو حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي، تابعي ثقة. تهذيب التهذيب١/٥٠٨، ومعرفة الثقات للعجلي بترتيب الهيثمي والسبكي٢/٤٣٥، رقم٢٢٨١.

(٧) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر٧/٤٠(ح٢٢٤٠).

وليس المراد بالقدرة هنا القوة الجسمانية، بأن يستطيع إنكار المنكر ببدنه وجسمه، ولو أدى إلى الفتنة، بل المراد القدرة الشرعية التي أعطيت لولاة أمور المسلمين، ويستطيعون بها إنكار المنكر باليد حيث أوجب الله على المسلمين طاعتهم في معروف.وإنكار المنكر من أهم مهامهم؛ لأن الإمامة والخلافة «موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»(١)، وحراسة الدين تكون بـ«الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله»(٢).

وما يتعلق بولي الأمر الخاص في هذا الجانب هو: أن يمنع بقوة اليد كلٌّ من له عليه ولاية، من الإنفاق في بناء القباب، وشراء الصور التذكارية للأبطال والقادة، وتعليقها في المجالس والبيوت، وشراء صور النساء المغنيات والممثلات، وصور نجوم الكرة وغيرها، أو صورة الرجل نفسه وأقاربه أحياء وأمواتا، وأن يطمس الولي ما وجد من هذه الأشياء عند من يتولى أمرهم، وكذا يسوي القبور المرتفعة عن الأرض لمن يستطيع تسوية قبورهم -ممن يلي أمورهم- من دون أن يحدث فتنة عظمى من المصلحة المرجوة.

وهكذا يستطيع المجتمع الإسلامي أن يجعل للانحرافات حدا، ويعالج كثيرا من المنكرات عامة، وخاصة ما يتعلق منها بتوحيد العبادة، وبالله التوفيق.

ثانياً: منع أصحاب الأديان الباطلة، والفرق المنحرفة من نشاطهم الدعوي.

إن من أنجح سبل معالجة الانحرافات التي تتعلق بتوحيد العبادة، منع أصحاب الأديان الباطلة، والفرق المنحرفة من نشاطهم الدعوي؛ لأن خطرهم عظيمٌ على الإسلام وأهله.

ويكون تغيير هذا المنكر باليد واللسان معا، مع إنكاره بالقلب، فيقوم العلماء والدعاة بتحذير الشعب منها، والرد على تلك الأديان والفرق، وبطلان شبهاتهم وآراءهم، ويقوم ولي أمر المسلمين أومن ينوب عنه في الدولة بإغلاق مكاتبهم، وجمع نشراتهم وإتلافها، أو غير ذلك مما يراه مناسبا لتغيير هذا المنكر.

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص: ٢٩.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص: ٣٩١، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص: ٢٨٤.

عن جابر بن عبد الله[١]- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **من لكعب بن الأشرف[٢]، فإنه آذى الله ورسوله؟ قال محمد بن مسلمة[٣]: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: نعم...فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[٤].**

ففي الحديث دليل على أن كل من يسيء لشعائر الإسلام، بأن (يذكر الله، أو كتابه بسوء أو يطعن فيه أو يحرفه، أو يذكر رسول الله ﷺ بسوء أو تكذيب له أو ازدراء، أو يذكر الإسلام بسوء كالتعرّض له بذم أو قدح فيه[٥]) يجب على ولي أمر المسلمين أن يمنعه من ذلك بما يراه مناسبا، من حبس، وتأديب، حتى ولو بالقتل.

ولما ظهر الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة لدي بعض الناس حيث زعموا أُلوهية علي بن أبي طالب ﷺ أمر بإحراق قوم منهم[٦]، وقال فيهم:

إني إذا رأيت أمراً منكراً * أوقدت ناري ودعوت قنبراً[٧].**

---

(١) **جابر بن عبد الله:** هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري أحد المكثرين عن النبي ﷺ شهد تسعة عشر غزوة مع النبي ﷺ، كُفَّ بصره في آخر عمره مات سنة٧٧هـ . يُنظر: الإصابة١/٢١٣ رقم (١٠٢٦) والاستيعاب لابن عبد البر٢/٢٢٠ رقم (٢٨٦).

(٢) **كعب بن الأشرف:** هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان، شاعر جاهلي، كانت أمه من بني نضير وكان سيدا في أخواله، يقيم في حصن له قريب المدينة ما زالت له البقايا إلى اليوم، أدرك الإسلام ولم يسلم، وأكثر من هَجْوِ الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ وتحريض القبائل عليهم، أمر النبي ﷺ بقتله فقتل قريب بيته.ينظر: تاريخ الطبري٢/٣وتاريخ ابن الأثير٢/٥٣.

(٣) **محمد:** هو أبو عبد الرحمن محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد الأنصاري الأوسي ﷺ، أحد خمسة الذين قتلوا كعب بن الأشرف، توفي عام٤٣هـ وصلى عليه مروان بن الحكم.ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر٣/ ١٣٧٧رقم٢٣٤٤، وأسد الغابة لابن الأثير٥/١٠٦رقم٤٧٦٨.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف ٧/٤٢٠ ح(٤٠٣٧).

(٥) الأحكام السلطانية للماوردي ص: ٢٥٨، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص: ١٥٨.

(٦) يُنظر: صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب حكم المرتد والمرتدة١٢/٣٣٤(ح٦٩٢٢).

(٧) قال ابن حجر: وهذا سند حسن ينظر: فتح الباري له١٢/٣٣٨عند شرح حديث رقم٦٩٢٢، وقنبر اسم غلام علي ابن أبي طالب ﷺ .

ومما يتعلق بالولي الخاص في هذا الجانب هو: القيام بمراقبة من يلي أمورهم من الكبار والصغار في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وحركاتهم، وهل تأثروا بغيرهم من الفساق والمنحرفين أم لا؟ ويمنعهم بقوة اليد من الانضمام إلى هذه الفرق والأديان، والمشاركة في حفلاتهم، ونواديهم، وكذا يمنعهم بقوة اليد مِنْ أن يَقْتَنُوا شيئا من كتبهم ومسلسلاتهم مما يمس الدين والعقيدة الإسلامية بسوء، أو يشكك في قيم الدين وأصوله.

وهكذا نستطيع أن نقوم بمنع الانحرافات، ونعالج كثيرا من المنكرات عامة، بالأخص ما يتعلق منها بتوحيد العبادة، والله ولي التوفيق.

ثالثا: منع أدعياء الغيب من السحرة والكهان والمنجمين وغيرهم.

إن من أبرز سبل معالجة الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة وغيرها، قيام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، بمنع أدعياء علم الغيب من السحرة والكهان والمنجمين وغيرهم، من أعمالهم التي يأكلون بها أموال الناس بالباطل، ويضللون بها الشعب المسلم، ويتسببون بها في إشراكهم بالله العظيم، ويوقعون بها بينهم العداوة والبغضاء، وغيرها مما لا يرضي الله ولا يأتي للمجتمع إلا بالشر.

وما يتعلق في هذا الجانب بولي الأمر الخاص هو: منع من يلي أمورهم من الذهاب إلى السحرة والكهنة والعرافين وأدعياء علم الغيب، كما أن عليه أن يزيل ما يراه من آثار وعلامات والسحر والكهانة وغيرها كالطلاسم والتمائم والجداول وغيرها، وعليه أن يمنعهم من إعطاء الأموال للمنجمين والمشعوذين، ويمنع هؤلاء الدجاجلة من الدخول إلى البيوت والنساء والأطفال.

وبهذه الطريقة وأمثالها، يستطيع المجتمع الإسلامي أن يعالج الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة، من السحر والكهانة والعرافة والشعوذة والتنجيم وغيرها.

رابعا: منع الكتب والمطبوعات المخالفة للعقيدة، وسائل الإعلام المضللة.

إن من أهم سبل معالجة الانحرافات عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً قيام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بمنع المطبوعات المنحرفة، والوسائل الإعلامية المضللة، لأن خطرها على أفراد المجتمع أعظم من كل شيء، وخاصة على الجيل الناشئ.

كما أن على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أن لا تترك الأشياء الواردة من خارج البلد التي تسبب الانحرافات العقدية، وأن يمنعها من الدخول إلى البلاد، ويتلف ما دخل منها، لأنها أضر بالمجتمع الإسلامي من المسكرات والمخدرات وغيرها من الأشياء الهدامة التي تفسد الضروريات الخمس: الدين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((الكتب المتضمنة لمخالفة السنة غير مأذون فيها، بل يجب محقُها وإتلافها، وما على الأمة أضر منها))(١).

وقال -رحمه الله-: ((والكتب المشتملة على الكذب والبدعة، يجب إتلافها وإعدامها، وهي أولى من إتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر؛ فإن ضررها أعظم من هذه))(٢).

وما يتعلق من هذا الجانب بولي الأمر الخاص هو: مراقبة من يلي أمرهم، ومنعهم من اقتناء الكتب المشككة في الدين، ومتابعة البرامج المضللة عن الدين في الوسائل الإعلام المختلفة من الإذاعة والتلفاز والقنوات الفضائية و(الانترنت)وغيرها، وأن يتلف ما يجده من تلك المضللات في حوزة من يتولى عليهم.

خامسا: منع علماء السوء من نشر البدع.

إن خطر السياسين العلمانيين، ورؤساء القبائل الجهلة بالدين عظيم على المجتمع الإسلامي؛ لأن الناس يتبعونهم في أفعالهم وعاداتهم، لكن أعظم من ذلك خطر علماء السوء من المبتدعة والمرتزقة بالدين؛ لأنهم يروّجون البدع في ثوب الإسلام، ويزينونها للعوام بالفضائل والأجور؛ فيأكلون أموالهم باسم الدين، والعوام يحسنون الظن بهم فيقتدون بهم ويفعلون ما يأمرون به، فعلى رجال الدولة الإسلامية الممثلين في الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يمنعوا هؤلاء كلهم عن نشر البدع والانحرافات بين الناس.

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ص: ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق ص: ٢٧٧.

قال الماوردي[1] -رحمه الله-: «إذا وَجَد (المحتسب) من يتصدى لعلم الشرع وليس من أهله، من فقيه أو واعظ، و لم يأمن اغترار الناس به في سوء تأويل، أو تحريف جواب، أنكر عليه التصدي لما ليس هو من أهله، وأظهر أمره لئلا يُغتر به، ومن أشكل عليه أمره، لم يقدم عليه بالإنكار إلا بعد الاختبار، فقد مرّ علي بن أبي طالب ﷺ بالحسن البصري[2]وهو يتكلم بالناس، فاختبره، فقال له: ما عماد الدين؟ فقال: الورع، قال: فما آفته؟ قال: الطمع، قال: تكلم الآن إن شئت.

وهكذا لو ابتدع بعض المنتسبين إلى العلم قولا خرق به الإجماع، وخالف فيه النصوص، وردّ قوله علماء عصره أُنكر عليه وزُجر عنه، فإن أقلع وتاب، وإلا فالسلطان بتهذيب الدين أحق»[3].

وما يتعلق بولي الأمر الخاص في هذا المجال هو: أن يحذّر من يلي أمورهم من خطر هؤلاء الأئمة المضلين، من علماء السوء والرهبان، ويمنعهم من مرافقتهم وموافقتهم في آراءهم وأفعالهم لأنهم لا يأتون لهم بخير.

وفي الحديث «**مثل الجليس الصالح و السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يُحذِيَك[4]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبا، ونافخ الكير: إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة**»[5].

---

(١) **الماوردي:** هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي توفي في بغداد، من تأليفاته الأحكام السلطانية، وقوانين الوزارة وغيرها.يُنظر: السير للذهبي١٨/٦٤ومعجم المؤلفين لكحالة ٢/٤٩٩رقم٩٩٣١.

(٢) **حسن البصري:** هو أبو سعيد الحسن بن يسار مولي زيد بن ثابت، البصري ولد في خلافة عمر ﷺ وتوفي١١٠هـ كان أفصح أهل البصرة، وأعبدهم. يُنظر: الثقات لابن حبان٢/٦٩ (٥٠٩)، وتهذيب التهذيب لابن حجر٢/٢٤٣(١٢٩٧).

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص: ٤٠١.

(٤) **يُحْذِيَكَ:** أي يُعْطِيك.النهاية لابن الأثير ١/٣٥١، ولسان العرب٢/٣٧٣باب الحاء.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الذبائح والصيد، باب المسك٩/٨١٦(ح٥٥٣٤)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين١٦/٣٩٤(ح٦٦٣٥).

وبهذه الطريقة ونحوها يستطيع المجتمع الإسلامي أن يعالج كثيراً من الانحرافات العقدية عموما، وما تتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصاً.

سادسا: منع المؤسسات غير المسلمة من الدعوة إلى الانحرافات.

إن من خير سبل معالجة الانحرافات عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصا، أن يَمْنع الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر المؤسساتِ الأجنبية من نشاطهم الدعوي إلى الانحرافات؛ لأن كثيراً من المؤسسات الأجنبية التي تعمل في البلدان الإسلامية، تخرج عن المهام التي تم التعاهد عليها؛ فتدعو إلى الانحرافات العقدية وغيرها.

قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾(١).وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(٢).

وقد تقوم المؤسسة الأجنبية بالدعوة إلى الأديان الباطلة، عن طريق إلقاء المحاضرات تحت أستار النوادي الثقافية أو الرياضية أو الاجتماعية ونحوها، أو عن طريق فتح المعاهد التعليمية للّغات الأجنبية، ببث الشُبهات الإلحادية، وتشكيك الدارسين في الديانة الإسلامية، أو عن طريق المجال الصحي، فيعطي المريض وهو على سرير المعالجة كتبَ التنصير ونحوها؛ لاصطياده في شبكة الانحرافات.

فهذه الأمور كلها تنافي الشريعة الإسلامية، وقيمها الأصيلة؛ فيجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أن يقوموا بالاحتساب على هذه المؤسسات، وأن يمنعوها من تلك الممارسات التي تتسبب في الانحرافات عموما، وما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصا.

وأما ما يتعلق بولي الأمر الخاص في هذا المجال هو: أن يتعّهد المراقبة على من يلي أمورهم، بأن لا يقع في شبكة هؤلاء المتربصين بأُمّتنا الدوائر، ويمنعهم من متابعة برامجهم المضللة، ويكون منعهم لهم بالنصح والإرشاد، وقوة اليد إذا لم ينفع النصح والتوجيه، نسأل الله تعالى أن يجنبنا مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة البقرة(١٠٩).

(٢) سورة البقرة(١٢٠).

سابعا: منع المسلمين من ارتكاب البدع الزمانية والمكانية.

إن من أبرز سبل معالجة الانحرافات التي تتعلق بتوحيد العبادة أن يقوم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بمنع الناس من ارتكاب البدع الزمانية والمكانية؛ لأن البدع خطرها عظيم على أفراد الأمة؛ فيجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يقوموا بمنع هؤلاء المبتدعة من ارتكابهم البدع، وخاصة ما يرجع على الأمة بأضرار اجتماعية، وأخلاقية، واقتصادية، كبدعة المولد والاحتفال بها، والاحتفالات بالمشاهد والأضرحة وغيرها من البدع التي يستدلون عليها بأحاديث موضوعة، أو ضعيفة واهية لا تصلح للاحتجاج.

وعلى ولي الأمر الخاص أن يمنع من يلي أمورهم من المشاركة بالجسد والمال والرأي ونحوها في هذه البدع والانحرافات التي تتعلق بتوحيد العبادة وغيره.

هذا جملة مما يناط بولي الأمر العام والخاص، لمعالجة الانحرافات عموما، وما تتعلق منها بالعقيدة خصوصا، وما يتعلق بتوحيد العبادة على الأخص، وإذا أخذها المعنيون بعين الاعتبار، إن شاء الله تعالى ستعالج كثيراً من الانحرافات التي تهدد أفراد الأمة الإسلامية، وخاصة في جانب توحيد العبادة.والله ولي التوفيق وعليه التكلان.

المرتبة الثانية: الإنكار باللسان مع القدرة.

إن إنكار المنكر باللسان له أهمية بالغة، وبه تـزول كثير من الانحرافات العقدية وغيرها، وبه يُكوَّن السدُ المنيع للأمة الإسلامية أمام الحركات الهدامة، والأفكار المنحرفة، وبه تُكشَف الغمةُ عن أفراد الأمة الإسلامية، وبه يُهتَك السترُ عن وجوه المنافقين والمبتدعين.

وأصحاب هذه المرتبة: هم الدعاة، لكن من هم الدعاة؟ «**الدعاة**: هم الداعون إلى الله على هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، على بصيرة -وهي التفقـه في الدين-، وأول من تتوفر فيه هذه الشروط هم العلماء؛ لأن الرسول ﷺ أُمر أن يقول: بأن سبيله الدعوة إلى الله على بصيرة، ولا تأتي البصيرة، إلا بالعلم والفقه في الـدين، قـال تعـالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]ولا شك أن أتباع الأنبياء بالأولى هم العلماء....

---

(١) سورة يوسف(١٠٨).

هل يعني هذا أنه لا يدعو إلى الله إلا عالم؟ بالطبع لا.بل على كل مسلم عــرف شيئا وتبصر به، أن يدعو إليه بعد التبصر وفقه المسألة التي يدعو إليها»[(١)].

وما يناط بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر -باللسان- في باب معالجة الانحرافات، وخاصة ما يتعلق منها بتوحيد العبادة، فهو أكثر، ومجالهم أوسع من غيرهم؛ لأن جميع ما يتعلق بولي الأمر العام والخاص، يجب على الدعاة أن يقوموا بالدعوة والإرشاد في تلك المجالات كلها، حسب إمكانياتهم وقدراتهم، كالنصح والإرشاد، والتخويف والإنذار، والتبليغ والتثقيف، والكشف عن أهداف الأعداء وأساليبهم، ووسائل الانحرافات وأضرارها، وهتك أستار المذاهب الهدامة ورجالها، وتعليم الناس الدين الصحيح، وإخبارهم بخطر الابتداع ومفاسده.

وخلاصة الكلام: أن جميع ما يتعلق بغير الدعاة في معالجة الانحرافات كلها يتعلق بهم، وفوق ذلك هناك مجالات دورهم فيها أهم، ومن أبرز تلك المجالات الآتي:

الأول: بيان العقيدة الصحيحة والتحذير عمّا يخالفها؛ لأن بيان العقيدة الصحيحة يُبَدِّدُ الجهل والانحراف؛ لأن العقائد الفاسدة لا تنشأ إلا في ظل الجهل، فما نشأت الفرق المنحرفة عن العقيدة في تاريخ الإسلام، كالخوارج والمرجئة[(٢)]والمعتزلة والرافضة وغيرها، وما نشأت الأفكار الإلحادية والفلسفة لدى المسلمين إلا بعد البُعد عن فهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم.

وينبغي للدعاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر مراعاة أمرين:

١- تقديم العقيدة قبل كل شيء، وبدء الدعوة بها إلى الإصلاح، لأن هذا دأب الأنبياء، وعليه كان أتباعهم، وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ ﷺ حين بعثه

---

(١) العلماء هم الدعاة لناصر العقل ص: ٩-١٠.

(٢) **المرجئة**: هم الذين يقولون بالإرجاء، وللإرجاء معنيان: أحدهما التأخير حيث يؤخرون العمل من مسمى الإيمان، والثاني: إعطاء الرجاء حيث يعطون الرجاء للعاصي بقولهم لا يضر مع الإيمان معصية وهم فيما بينهم عدة فرق.يُنظر: التنبيه والرد للملطي ص:٥٧، ومقالات الإسلاميين للأشعري ٢١٣/١.والملل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١.

إلى اليمن: ((**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى...**))(1).

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو سلاطين العالم إلى التوحيد حين يرسل لهم الرسائل(2) وفي معظمها كان يكتب قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(3).

وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم أول ما يدعو الوفود التي تفد إليه، هو التوحيد، كوفد عبد القيس حيث قال لهم: ((**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان...**))(4).

٢- بيان وتوضيح كلّ ما يخالف التوحيد من الشرك والبدع والخرافات؛ لأن ذلك من لوازم بيان التوحيد، إذ الأشياء تتبين بأضدادها، وليعرف الناس الشر فيجتنبوه. قال حذيفة بن اليمان(5) رضي الله عنه: ((**كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني**))(6).

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى١٣/٤٢٤(ح٧٣٧٢).

(٢) من تلك الكتب والرسائل ما أرسله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم.ينظر: صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب بدء الوحي١/٤٥(ح٧).

(٣) سورة آل عمران(٦٤).

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين...١/١٤٠(ح١١٨).

(٥) **حذيفة بن اليمان:** هو أبو عبد الله حذيفة بن حُسَيْل بن جابر، واليمان لقب لحسيل، من كبار الصحابة بعثه رسول الله ﷺ يوم الخندق فجاءه بخبر رحيل الأعداء، توفي٣٦هـ الاستيعاب لابن عبد البر١/٣٣٤رقم٤٩٢أسد الغابة لابن الأثير١/٤٦٨رقم١١١٣.

(٦) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ ١٣/٤٥(ح٧٠٨٤)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين١٢/٤٣٩(ح٤٧٦١).

فينبغي للدعاة أن يهتموا ببيان ما ينقض التوحيد أو يخالف كماله من الشرك والانحرافات ليعرفها الناس فيجتنبوا ما ينقصه أو ينقضه.

والشرك أعظم الذنوب على الإطلاق ولا يغفره الله -بدون التوبة أبدا- ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن أشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾(٢).

ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله ﷻ ونفي الشرك، فلم يأمرهم بشيء قبل التوحيد، ولم ينهاهم عن شيء قبل الشرك.

ولكن مع الأسف الشديد لعدم مراعاة هذين الأمرين في أكثر المجتمعات الإسلامية، دخلت على المسلمين كثير من العقائد الشركية، كدعاء الأموات، والاستعانة والاستغاثة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله، والنذر للمخلوقين، وغيرها من الأعمال الشركية.

وإذا عرف الناس التوحيد والشرك، سهل معالجة الانحرافات التي تتعلق بالتوحيد، وذلك بالإقلاع عن الشرك والتوبة منه، والإقبال على التوحيد بعون الله وتوفيقه.

الثاني: القيام بتعليم الناس أمور دينهم؛ لأن قيام الدعاة -الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر- بتعليم الناس مسائل الدين حماية لهم من الوقوع في الشرك والبدع والانحرافات الأخرى.

وكان الدعاة السابقون من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، يهتمون بتثقيف الناس في أمور دينهم، ليؤدوا العبادات على الوجه المطلوب شرعا، وأن لا يبتدعوا فيها جهلا منهم، ونكتفي هنا بمثالين فقط خشية الإطالة:

١- عن أبي قلابة ﷺ، قال: جاء مالك بن الحويرث ﷺ في مسجدنا هذا، فقال: «**إني لأصلي بكم، وما أنا أريد الصلاة، أصلي كيف رأيتُ النبي ﷺ يصلي**»(٣).

---

(١) سورة النساء(٤٨).

(٢) سورة المائدة(٧٢).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأذان، باب من صلى بالناس، وهو لا يريد...٢١٢/٢(ح٦٧٧).

٢- عن عثمان بن عفان ﷺ أنه دعا بوَضوء، فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما، ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوَضوء، ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثا، ويديه إلى المرفقين ثلاثا، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجل ثلاثا، ثم قال: رأيت النبي ﷺ يتوضأ نحو وُضوئي هذا، وقال: «**من توضأ مثل وضوئي هذا، ثم صلّى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه**»[1].

هكذا حرص الصحابة على تعليم الناس أمور دينهم، لئلا يقعوا في الانحرافات والبدع، فعلى الدعاة (الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر باللسان) أن يهتموا بتعليم الناس في أمور دينهم، كما كان سلف الأمة يهتمون بذلك.

الثالث: تحذير الناس من البدع والابتداع.

ينبغي للدعاة -الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر- تحذير المسلمين من البدع والابتداع، لأن أمره خطير جدا، وقد قال النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[2].

وتظهر خطورة البدع في أمور منها:

١- يقال: **لا توبة للمبتدع**: وليس المراد أن الله لا يقبل منه التوبة بل الله يقبل التوبة عن عباده، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الوضوء باب المضمضة في الوضوء١/٣٤٩(ح١٦٤)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء٣/١٠١(ح٥٣٧).

(٢)صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح ٥/ ٣٧٠ (ح٢٥٩٧)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ١١/٢٤٢ (ح٤٤٦٧).

(٣) سورة التوبة(١٠٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١).ولكن المراد أنه لا يُوَفَّق للتوبة -غالبا- لحديث ((**إن الله حجر التوبة عن كل صاحب البدعة**))(٢).

ولعل السبب في ذلك ((أن المبتدع الذي يتخذ دينا لم يشرعه الله ولا رسوله، قد زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا، لأن أول التوبة، العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أوبأنه ترك حسنا مأمورا به -أمر أيجاب أو استحباب- ليتوب ويفعله.فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الأمر؛ فإنه لا يتوب))(٣).

وقال الشاطبي -رحمه الله-: ((لا توبة لصاحب البدعة عن بدعته؛ فإن خرج عنها، فإنما يخرج لما هو شرٌّ منها))(٤).

٢- المبتدع يحمل وزره ووزر من تبعه: قال الله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾(٥).

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((...**من دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**))(٦).

وقال صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: ((...**من سن في الإسلام سنةً سيئةً، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ**))(٧).

---

(١) سورة الزمر(٥٣).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم٤٣٦٠، والبيهقي في شعب الإيمان٦٠٥٩/٧، وقال الألباني: إسناده صحيح.ينظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم(١٦٢٠).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية٩/١٠.

(٤) الاعتصام للشاطبي٢١٤/١.

(٥) سورة النحل(٢٥).

(٦) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب العلم، باب من سن سنة٤٤٤/١٦(ح٦٧٤٥).

(٧) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة١٠٦/٧(ح٢٣٤٨).

فينبغي للدعاة -الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر- أن يهتموا بالتحذير من البدع والابتداع في أمور الدين عامة، وخاصة ما يتعلق منها بالعقيدة، وبالأخص ما يتعلق بتوحيد العبادة؛ لأن الخوف من الشرك في هذا الجانب أكثر.

الرابع: كشف الستار عن المذاهب والحركات الهدامة للعقيدة.

إن كشف الستار عن المذاهب والحركات الهدامة للعقيدة والدين، أمر بالغ الأهمية، لأن أعداء الإسلام لما عجزوا عن انهزام المسلمين في الحرب، عمدوا إلى تغيير الطريقة، وأخذوا بالدعوة إلى المذاهب والأفكار غير الإسلامية، متسترين بستار إغاثات المتضررين، وجمعيات الأطفال، وحقوق الإنسان، والتعليم، والصحة وغيرها.

فيجب على الدعاة -الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر- كشف النقاب عن حقائق هؤلاء، لتعرفهم الشعوب الإسلامية، وليكونوا على علم وبصيرة من مكائدهم وأهدافهم، وأماكن نفوذهم، ومجالات أعمالهم، وما يتستّرون من ورائها من الأستار، وبهذه الطريقة ونحوها يستطيع الأمة الإسلامية، معالجة كثير من الانحرافات، وخاصة ما تتعلق منها بتوحيد العبادة.

المرتبة الثالثة: إنكار المنكر بالقلب

إن إنكار المنكر بالقلب هو مسؤولية كل مكلف، ولذلك لم يشترط النبي ﷺ لهذه المرتبة الاستطاعة، كما اشترطها للمرتبتين السابقتين؛ لأنه ﷺ قال: «**من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[1].

والحديث الآتي يوضح هذا المعنى أكثر، حيث قال النبي ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن**

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ٢١١/٢ (ح١٧٥).

جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[1].

وإنكار المنكر بالقلب يكون بأن يكره المنكر ومرتكبه بقلبه، وأن يبغضه وأن يتمنى إزالته، ولو استطاع لقام بإزالته، وإن لم ينكره بالقلب؛ فيُخاف على إيمانه والعياذ بالله.

فيجب على كل مسلم إذا رأي انحرافا عقديا، وخاصة إذا كان يتعلق بتوحيد العبادة ولا يستطيع تغييره باليد واللسان، أن ينكره بقلبه، ولا يشارك في ذلك الانحراف لا بماله ولا ببدنه ولا برأيه، ولا بغير ذلك، فإن أنكر فقد نجا وساعد في معالجة الانحرافات بما استطاع، وقد أدى ما عليه، و إلا فهو على خطر عظيم، نسأل الله السلامة.

تنبيه مهم جدا: ينبغي في تغيير المنكر إذا ظهر، تقديم إزالة ما ضرره متعدٍ أو خطره أشد من غيره، وكذا مراعاة المراتب السابقة، وأن يباشر التغير أصحاب اختصاص كل مرتبة، ما يلزمهم من التغيير، وأن لا يتدخّل أحد في ما يخص غيره، وإلا سيترتب على تغيير المنكر الذي ليس من اختصاص الرجل منكرًا أعظم منه، ومفسدة لا تُحمد عقباها، فينبغي التريّث والتدبر في تغيير المنكر، وأن يأخذ بما يناسب التغيير من الوسائل والأساليب، حتى يعالج الانحرافات ولا يولد الفساد والمخالفات، وحتى لا يجني على نفسه، أو على الأمة الإسلامية برُمَّتِها، إذا لم يترك الأمر لأهل الاختصاص، ولم يأخذ بالحكمة التي تناسب الحال والمكان، لأن **لكل مقام مقال، ولكلٍّ فنٍ رجال.**

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ٢/٢١٦(ح١٧٧).

الباب الأول

الباب الأول

الانحرافات المتعلقة بأعمال القلب في إقليم سرحد في (باكستان) وموقف الإسلام منها، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول:الانحرافات المتعلقة بالمحبة، وموقف الإسلام منها.

الفصل الثاني: الانحرافات المتعلقة بالخوف، وموقف الإسلام منها.

الفصل الثالث: الانحرافات المتعلقة بالرجاء، وموقف الإسلام منها.

الفصل الرابع: الانحرافات المتعلقة بالتوكل، وموقف الإسلام منها.

الفصل الخامس: الانحرافات المتعلقة بالتعظيم والطاعة، وموقف الإسلام منها.

الفصل السادس: الانحرافات المتعلقة بعلم الغيب، وموقف الإسلام منها.

الفصل السابع: الانحرافات المتعلقة بالتطير والتشاؤم بالأزمنة والأمكنة، وموقف الإسلام منها.

الفصل الأول

الانحرافات المتعلقة بالمحبة، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى المحبة، وأنواعها.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالمحبة.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى المحبة، وأنواعها

المحبة أحد أركان العبادة، بل هي أصل الأعمال كلها[1]؛ فالإنسان لا يعمل عملاً إلا لما يحب إما لجلب منفعة، أو دفع مضرة، فإذا عمل عملا فلأنه يحبه إما لذاته كالطعام ونحوه، وإما لغيره كالدواء وأمثاله،وإذا كانت المحبة أصل كل شيء فما حقيقتها؟ وما أقسامها؟ سأبيّن هذين الأمرين في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحبة لغة

أصل الكلمة: المحبة مشتقة من أصل لغوي ثلاثي مضعّف (حبب).

معنى الكلمة لغة: المحبة اسم من الحُبّ: وهو اللزوم والثبات[2]، والمحاباة الموادّة [3].

قال ابن منظور[4]: الحُبُّ: نقيض البغض، والحب هو الوداد والمحبة، وكذلك الحِبُّ بالكسر[5].

وتستعمل مادة(ح ، ب، ب) في معان ترجع إلى:

١- اللب والأصل، ومنه حَبّةُ القلب أي سُوَيداؤه ولُبُّه وداخله، ومنه كذلك الحَبُّ جمع الحَبَّة، وهو أصل الشجرة ومادة ثباته.

٢- العلو والظهور، ومنه حَبَاب الماء وحُباءه، وهي الفقاقيع التي تعلو الماء عند نزول المطر.

---

(١) ينظر:مدارج السالكين لابن القيم ٩٩/١ وسيأتي التفصيل المزيد في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله ينظر: ص: ١٨٠.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ص: ٢٤٨.

(٣) مختار الصحاح للرازي ص: ٥١.

(٤) ابن منظور: هو محمد بن مكرم بن علي بن محمد ابن منظور الإفريقي، لغوي فقيه، ولي القضاء، ولد في مصر سنة ٦٣٠هـ وتوفي سنة٧١١هـ من آثاره لسان العرب، ومختصر تاريخ دمشق ونثار الأزهار وغيرها ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي٥٤/٥، فوات الوفيات للكتبي٣٩/٤ترجمة رقم٤٩٦.

(٥) لسان العرب لابن منظور: ٢٨٣/٢.

٣- اللزوم والثبات، ومنه المُحِبُّ وهو البعير الذي يحسر أو يمرض فلا يبرح مكانه بل ويلزم ويثبت هناك حتى يموت أو يبرأ.

٤- الصفاء والبياض، ومنه الحَبَب بفتحتين وهو تنضّد الأسنان وصفاءها وبياضها، وأرجع البعض هذا المعنى إلى اللب والأصل.

٥- الحفظ والإمساك ومنه حُبّ الماء وهي الجرة واحد الجرار التي تمسك الماء وتحفظه. وقد أرجع البعض هذا المعنى إلى اللزوم والثبات(١).

قال ابن القيم -رحمه الله- ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة؛ فإنها صفاء المودة وهَيَجان إرادات القلب للمحبوب، وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومه لزوماً لا تفارقه، ولإعطاء المحب محبوبه لُبَّه وأشرف ما عنده، وهو قلبه ولاجتماع عزماته وإرادته وهمومه على محبوبه فاجتمعت فيها المعاني الخمسة، ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة.((الحاء)) التي هي من أقصى الحلق و((الباء)) الشفوية التي هي نهايته، فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب، فإن ابتداؤها منه وانتهاؤها إليه(٢).

المطلب الثاني: المحبة شرعاً.

إن المحبة أمر داخلي متفاوت في نفسه أعظم التفاوت، حيث أولها العلاقة وأعلاها الخلة، وبينهما مراتب كثيرة(٣) كلها تدخل في المحبة، والعباد متفاوتون في درجاتهم

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس١، ٢١٩/٢، المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٢٤٨-٢٤٩، تهذيب اللغة للأزهري٧/٤، الصحاح للجوهري١٠٥/١-١٠٦، لسان العرب لابن منظور ٢٨٣/٢-٢٨٩، ومختار الصحاح للرازي ص: ٥١.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم٢٢٧/٢.

(٣) ومراتب المحبة هي: العلاقةُ، فالإرادة، فالصبابة، فالغرام، فالمودة، فالشغف، فالعِشق، فالتَّتَيّم، فالتعبد، ثم الخلة.ينظر: مدارج السالكين٢٨/٣، وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن لا يعرف حسنه إلا بالتأمل في معانيه.ينظر: شرح =

وشعورهم بالمحبة «والشيء إذا كان من الأمور الوجدانية الذوقية التي إنما تعلم بآثارها، وعلاماتها، وكان مما يقع فيه التفاوت بالشدة والضعف، وكان لوازم وآثار وعلامات متعددة اختلف العبارات بحسب اختلاف هذه الأشياء»(١)، ولهذا كان وصفها بحسب ما أدرك الواصف من آثارها وما ظهر له من علاماتها.

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال نحو ثلاثين قولاً ولا تحد المحبة بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع ونحو ذلك، (٢).

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- ثلاثين تعريفا في المحبة(٣)، وعقبها بردود وتعقيبات بأن أكثر هذه التعريفات هي إما أثارها، أو موجباتها، أو حكمها، أو مقتضياتها، أو ثمراتها، أو موجباتها.

وقال: إن الحدود والرسوم التي قيلت في المحبة صحيحة، غير وافية بحقيقتها، بل هي إشارات وعلامات وتنبيهات(٤).

ومن التعريفات التي ذكرها العلماء للمحبة ما يلي:

١- أنها عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملذّ، فإن تأكد الميل وقوي يسمى عشقاً(٥)،والعشق مقرون بالشهوة والحب مجرد عنها(٦).

=

العقيدة الطحاوية لابن أبي العز١/١٦٥-١٦٧وقد ذكر الكفوي -رحمه الله- ترتيبا آخر، وأوصل مراتبها إلى اثنتين عشرين مرتبة.ينظر الكليات للكفوي ص: ٣٩٨.

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص: ٢٩٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية١/١٦٧.

(٣) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم٢/٢٢٨وما بعدها.

(٤) طريق الهجرتين لابن القيم ص: ٤٩٥.

(٥) **العشق**: هو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولا يوصف به الرب تبارك وتعالى ولا العبد في محبة ربه لأن العبد لا يصل في محبة الله حد الإفراط ألبته.ينظر: مدارج السالكين لابن القيم٣/٢٨.

(٦) الكليات للكفوي ص: ٣٩٨.

٢- الميل الدائم بالقلب الهائم.

٣- إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

٤- موافقة المحبوب في المشهد والمغيب[(١)].

وهذا الرابع وإن كان من موجبات المحبة ومقتضياتها؛ لكنه أكمل من التعريفين السابقين فإنه يتناول المحبة الصادقة الصحيحة خاصة، بخلاف مجرد الميل والإيثار بالإرادة؛ لأنه إن لم تصحبه الموافقة فمحبة ناقصة؛ لأن من كان صادقا في الحُب مع الحِب أطاعه و لم يعصه، ولذا قال الحسن[(٢)] بن محمد ابن الحنفية -رحمه الله-:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه * عار عليك إذا فعلت شنيع.**

لو كان حبك صادقا لأطعته * إن المُحِبّ لمن أحب مطيع[(٣)].**

فالمحبة الصادقة هي: الميل إلى الله ﷻ والتعلق به، وبالتالي بذل الوسع في تحصيل رضاه بما يمكن.

المطلب الثالث: أنواع المحبة

لقد تنوعت أساليب علماء الأمة في تقسيم المحبة:

فمنهم من يقسمها إلى نوعين:

النوع الأول: المحبة الخاصة، وهي محبة عبادة.

النوع الثاني: المحبة المشتركة وهي ليست محبة عبادة، ويقسم البعض النوع الثاني إلى ثلاثة أقسام والبعض إلى أربعة أقسام[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم٢/٢٢٨.

(٢) الحسن: هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد وأبوه ابن الحنفية وكان من علماء أهل البيت، قال فيه عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم بما اختلف فيه الناس من الحسن بن محمد ما كان زهريُّكم إلاّ غلاما من غلمانه، مات سنة مائة أو قبلها بسنة. سير أعلام النبلاء للذهبي٤/١٣٠، وتقريب التقريب لابن حجر ص: ٢٤٣.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر١٣/٣٧٩والبيهقي في شعب الإيمان٢/٣٩٢(رقم٤٩٠)ونسب البيهقي الشعر إلى أبي العتاهية، لكن بعض ألفاظه مغايرة، وهو: تعصي الإله وأنت تظهر حبه ***هذا محال في القياس بديع= لو كان حبك صادقا لأطعته *** إن للمُحبّ لمن يحب مطيع. ينظر: شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٣٩٣ رقم ٤٩٢.

(٤) فمنهم من يقسمها إلى ثلاثة أقسام: وهي المحبة الطبيعية، ومحبة رحمة وإشفاق، ومحبة أنس وألفة، ومنهم من يجعلها إلى أربعة أقسام، يزيد فيها: محبة إجلال وتقدير لا محبة عبادة، كمحبة الصغير =

فالمحبة الخاصة: ويسميها البعض محبة عبادة، هي محبة التي لا تصلح إلا لله ﷻ؛ فهي خاصة بالله ﷻ، وهي محبة العبودية المستلزمة للذلّ والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة، وإيثارالله ﷻ على غيره، ومن أشرك في هذه المحبة مع الله غيره كان شركا أكبر، وهي التي سوى المشركون فيها آلهتهم مع الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (١).

والمحبة المشتركة: هي التي تصلح للخلق بعضهم بعضا، فهي مشتركة بينهم، والمحبة المشتركة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: محبة طبيعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة الظمآنِ الماءَ، والجائع الطعامَ، وكمحبة النبي ﷺ الطيبَ والنساءَ والعسلَ، وهذه لا تستلزم التعظيم.

القسم الثاني: محبة رحمةٍ وإشفاق، وهي محبة الكبير للصغير شفقة عليه، كمحبة الوالد لولده ونحوها.

القسم الثالث: محبة أنس وألفة، وهي محبة بين المشتركين في شيء مَّا كالتجار، والطلاب، والمسلمين بعضهم لبعض.

ومن العلماء من يقسم المحبة إلى خمسة أنواع:

١- **محبة الله:** وهي لا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه؛ فان المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

= للكبير، والتلميذ للشيخ، والمرؤس للرئيس، ولعل الذين يجعلونها ثلاثة أقسام يدخلونها في محبة أُلفة . والله أعلم. ينظر: طريق الهجرتين لابن القيم ص: ٢٩٥، وتيسر العزيز الحميد لسليمان آلً الشيخ ص: ٣٧٥، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين١٠/٦٢٣-٦٢٤، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ الفوزان ص:٧٤، وأعمال القلوب للعتيبي١/١٨٤، والآثار المروية عن السلف في العقيدة...لتوفيق طاس١/٤٣٤.

(١) سورة البقرة(١٦٥).

٢- **محبة ما يحبه الله:** وهي التي تُدخِل الرجل في الإسلام، وتُخرِجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة، وأشدهم فيها.

٣- **المحبة لله وفيه:** وهي من لوازم محبة ما يحب الله، ولا تستقيم محبة ما يحب الله، إلا بالحب فيه وله.

٤- **المحبة مع الله:** وهى المحبة الشركية، وكل من أحب شيئا مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه؛ فقد اتّخذَه نداً من دون الله، وهذه محبة المشركين.

٥- **المحبة الطبيعية**، وهي: ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام، ومحبة النوم، والزوجة، والولد[(١)].

والمحبة الطبيعية لا تُذَم إلا إن ألْهت عن ذكر الله، وأشغلت عن محبة الله، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[(٢)].

وقال ﷻ: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[(٣)].

وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[(٤)].

فالمحبة الطبيعية مباحة، لكنها إن أعانت على محبة الله وطاعته، دخلت في باب العبادات، وإن صدّت عن ذلك وتوسَّلَ بها إلى ما لا يحبه الله، دخلت في المنهيات[(٥)].

ومن العلماء من ذكر تقسيما آخر حيث يقسمها إلى ثلاثة أنواع[(٦)]:

١- **محبة الله لخلقه** وهذا ليس من فعل العباد.

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم ص: ٣٧٠.

(٢) سورة المنافقون(٩).

(٣) سورة النور(٣٧).

(٤) سورة التوبة(٢٤).

(٥) القول السديد للسعدي ص: ١١٢.

(٦) أعمال القلوب لمحمد دوكوري ص: ١٢٩.

٢- **محبة العباد بعضهم لبعض**، وهي على قسمين:

أ- المحبة الغريزية التي فطر الله عليها العباد، وتسمى المحبة المشتركة، كمحبة الجائع الطعام، ومحبة الأهل والأولاد ونحوها.وهذه ليست تعبدية ووجودها في العباد ليس شركا.

ب- محبة اختيارية التي تكون لله وفي الله كمحبة أولياء الله وهذه تابعةٌ لمحبة الله.

٣- **محبة العباد لربهم**، وهذه من أعلى منازل العبودية، وهي أصل العبادة، وقطب رحاها، وهي التي لا يجوز الإشراك فيها مع الله، وهي تسمى بالمحبة الخاصة.

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالمحبة

إن الأدلة كثيرة ووفيرة على أن الله ﷻ يحب بعض عباده، وأن عباده المؤمنين يحبونه فالمحبة ثابتة للخالق والمخلوق؛ لكن انحرف بعض الناس عن الصواب في هذا المجال ومن تلك الانحرافات المتعقلة بالمحبة ما يلي:

الانحراف الأول: إنكار وجود المحبة بين الخالق والمخلوق.

يزعم البعض أنه لا علاقة بين الخالق والمخلوق؛ فلا محبة بينهما، وأن الأدلة الواردة في المحبة مثل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1]وغيرها، فالمقصود منها الإرادة الصالحة، وإرادة الرحمة، والمغفرة ونحوها[2].

و يقولون: إن المحبة من جهة العبد تكون بإيثار رضاه على رضا الغير عند المقابلة، وكذا إرادة طاعته وترك مخالفته[3].

الانحراف الثاني: الإنكار من أن تكون المحبة من العبادة.

زعم البعض أن المحبة ليست بعبادة، بدليل الفرق بين المحبة والعبادة؛ حيث تجوز المحبة لغير الله، ولا تجوز العبادة لغير الله[4] فالمحبة غيرَ العبادة؛ لأن الأنبياء يُحبَوْن مع الله، ونحن مأمورون بمحبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مع أن العبادة لغير الله حرام مطلقا،

---

(١) سورة البقرة(٢٢٢).

(٢) كشف المحجوب للهجويري (بالبشتو) ترجمة فقير محمد عباس قادريه ص: ٣٩٢.

(٣) هداية القاري لمفتي محمد فريد ص: ٩٦.

(٤) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٧٠.

ولذلك ورد «**أسألك حبك وحب من يحبك**»[1].ولو كانت المحبة عين العبادة لَما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك[2].

الانحراف الثالث: الخلط بين أقسام المحبة.

بعض الناس لم يعرفوا المحبة الطبيعية من المحبة الخاصة، فعدّوا كلا منهما من الشرك في المحبة، قال بعضهم: رُوِيَ أن فُضيل بن عياض[3] -رحمه الله- أخذ ابنه في حجره وقبّله -كما يقبل الوالد ولده- فقال الابن: يا أبتِ! هل تُحبُّني؟ فقال[الوالد]: نعم! فقال الابن: يا أبتِ! هل القلب يسع لمحبتين؟ فعَلِم والده لـمَّا سمع كلامه؛ فضرب رأسه على يده، ورمى بالابنِ على الأرض، واشتغل بذكر الإله وقال: من يخاف الله لا يخاف غيره [4].

الانحراف الرابع: ترويج البدع باسم المحبة.

بعض الناس يُرَوِّجُون البدع، باسم الحب ومحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إن المحافل -التي يسمونها محفل الميلاد وعيد الميلاد- من محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[5].

---

(١) الترمذي في سننه ص: ٧٣١كتاب التفسير باب ومن سورة ص (ح٣٢٣٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في مسنده٥/٢٤٣وقال الألباني: صحيح.ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٣/ ٣١٩ رقم ٣٢٣٥.

(٢) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٤٠.

(٣) **فُضَيْل**: هو ابن عياض بن مسعود، أبو علي التميمي اليربوعي المروزي الزاهد كان أولاً شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع رجلاً يتلو﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الحديد ١٦] فقال: يا رب قد آن، فتاب ورجع، وجاور الحرم إلى أن مات في حدود التسعين ومائة. يُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي٨/٤٢٢وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/٤٧

(٤) «دخداے نيازبين» لفقير محمد عباس قادريه ص: ٩٣و٨٦.

(٥) « جشن ميلاد النبي ﷺ » لسيد همايون رشيد ص:١.

وقد عدّ بعضهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من المؤيّدين للمولد إذا كان محبة للنبي ﷺ، ولم يكن مضاهاةً للنصارى؛ فنقل قوله من كتابه اقتضاء الصراط المستقيم(١):((وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ، وتعظيما له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد)).

و **قال في ترجمته إلى الأردية**: ((ترجمہ: بعض لوگ جو محفل میلاد کا انعقاد کرتے ہیں ان کا یا تو مقصد عیسائیوں کے ساتھ مشابہت ہے کہ جس طرح وہ حضرت عیسی علیہ السلام کا دن مناتے ہیں ۔ یا مقصد فقط رسالت مآب ﷺ کے محبت اور تعظیم ہے۔ اگر دوسری صورت ہے تو اللہ تعالی ایسے عمل پر ثواب عطا فرمائے گا ۔)).

المعنى: **بعض الناس يقيمون حفل الميلاد، مقصدهم إما يكون مشابهة للعِيسَويين، كما يحتفلون بيوم عيسى عليه السلام، أو مقصدهم محبة الرسول وتعظيمه فقط ، فإن كانت الصورة الثانية فالله تعالى يُعطيهم الثواب على هذا العمل**، وقال في موضع آخر: ((فتعظيم المولد واتخاذه موسما، قد يفعله الناس ويكون له فيه أجر عظيم؛ لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ، كما قدّمته لك، أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد)) اهـ(٢).

ومن هذا النوع قول بعضهم قبل الأذان أو بعده بصوت عالٍ ومرتفع: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله!! الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله!!(٣).

الانحراف الخامس: استعمال الألفاظ التي لا تليق بالله ﷻ ولا برسوله ﷺ.

من الألفاظ التي لا يجور استعمالها في شأن الرب ﷻ ورسوله ﷺ قول بعض الناس واتصاف نفسه أو غيره أنه عاشق الله، أو عاشق الرسول، أو أنه مجنون في عشق الرب ونحو ذلك(٤).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص: ٦١٩/٢ط: الرشد و١٢٣/٢ط: الوزارة.

(٢) ((جشن عيد ميلاد النبي ﷺ)) ...لسيد همايون رشيد ص: ٢٦-٢٧.

(٣) وهو عمل منتشر في مساجد البريلوية في إقليم سرحد في باكستان وغيره.

(٤) ينظر على سبيل المثال: كتاب((دخداے نیازبین)) لفقير محمد قادريه ص: ٨٨، ٨٩ ، ((جشن ميلاد النبي ﷺ)) لسيد همايون ص: ١، ((تذكرة عاشق الرسول ﷺ)) تأليف تحسين الله، و((ملفوظات ومطالبات عاشق الرسول المقبول ﷺ)) تأليف تحسين الله.

الانحراف السادس: عدم ابتغاء الجنة بالمحبة، على زعم أن ذلك ينافي لمحبة الله.

يسمي بعض الصوفية محبة الله: المحبة الروحانية، أو الحب الخالص، ويعنون بها محبة الله لذاته، لا لثوابه وإحسانه، ولا لخوف أو أمل، حتى إن بعض الصوفية سمع قارئا يقرأ: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[1]فقال: وأين من يريد الله؟![2].

ويصف البعض عبادات المحبين لله محبةً روحانيةً بالأبيات الآتية:

فما مقصودُهم جناتُ عدنٍ * ولا الحورُ الحسانُ والخيامُ**

سوى نظرِ الجليل وذا مُناهم * وهذا مقصدُ القومِ الكرامُ[3]**

ويصفون عبادة من يعبد الله رجاء جنانه، وخوفا من عذابه بالأبيات الآتية:

كلُّهم يعبدون من خوفِ نارٍ * ويَرَوْن النجاة حظا جزيلا**

أو لكي يسكنوا الجنان؛ فيحظوا * بكؤوسٍ ويشربوا السلسبيلا**

أو يقيموا بين القصور جميعا * أنا لا أبتغي بِحِبِّي بديلا [4]**

(١) سورة آل عمران(١٥٢).

(٢) حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى الصوفي ص: ٣٣٢.

(٣) المرجع السابق ص: ٣٣٣.

(٤) المرجع السابق ص: ٣٣٥.

المبحث الثالث
موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالمحبة

لقد دلت أدلة كثيرة على أن الله ﷻ يحب بعض عباده، وأن عباده المؤمنين يحبونه ومن تلك الأدلة قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[3].

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو إنكار وجود المحبة بين الخالق والمخلوق.

ما تقدمت من الأدلة وغيرها تدل على أن الله سبحانه وتعالى، يُحبُّ بعض عباده[4] بل يحب بعضهم إلى درجة الخُلة التي هي أعلى مراتب المحبة، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة(٥٤).

(٢) سورة آل عمران(٣١).

(٣) سورة البقرة(٢٢٢).

(٤) لقد أنكر طوائف من المتكلمين حقيقةَ المحبةِ من قبل الخالق للمخلوق، وكذلك من قبل العبد له، بدعوى أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين القديم والمحدَث توجب المحبة، وأوّلُ قائلٍ بهذه المقولة فيما نعلم هو الجعد بن درهم، حيث قال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، فقتله على هذه المقولة الفاسدة يوم عيد الأضحى خالدُ بن عبدِ الله القسري.ينظر التاريخ الكبير للبخاري١/٦٤، ٣/١٥٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي٥/٤٣٣، البداية والنهاية لابن كثير ١٠/١٤٨، و١٠/١٩٨.وقال فخر الرازي –رحمه الله-: إن جمهور المتكلمين يقولون باستحالة تعلق المحبة بذات الله.ثم جاء –رحمه الله- بأدلة ترد على هذه المقولة الفاسدة. ينظر: التفسير الكبير له٤/٢٠٥، و٨/١٨.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت ابن أبي قحافة**[1]**خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله**»[2].

وكذلك وردت أدلة وفيرة تدل على أن عباده المؤمنين يحبونه محبة شديدة حيث قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[3].

وقال النبي ﷺ في شأن علي بن أبي طالب ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسولَه ويحبه الله ورسولُه**»[4].

و لم يختلف سلف الأمة، في أن الله سبحانه وتعالى محبوب محبة حقيقة.

ومحبة العبد لله من أشرف مراتب الدين وأعلى مراتب العبودية، بل هي أصل العبادة وركنها، لأن العبادة مبناها على ثلاثة أركان وهي: الحب، والخوف، والرجاء[5].

و بها تحصل حلاوة الإيمان، قال النبي ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحب إليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يَكْرَه أن يعود في الكفر...**»[6].

---

(١) هو أبو بكر الصديق ﷺ.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ١٤٨/١٥(٦١٢٥).

(٣) سورة البقرة(١٦٥).

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ ٨٩/٧(ح٣٧٠١)صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ١٧٣/١٥(ح٦١٧٣).واللفظ لمسلم.

(٥) وقد تقدم تفصيل ذلك في المطلب الثالث، من المبحث الأول في التمهيد ينظر: ص: ٥٥.

(٦) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ٨٣/١(ح١٦)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٢٠٤/٢(ح١٦٣).

وكان النبي ﷺ، يسأل اللهَ محبتَهُ ومحبةَ من يحبُهُ، حيث قال: ((**وأسألك حبَّك، وحب من يحبُّك ، وحبَّ عملٍ يقربني إلى حبِّك**))(1).

وسأل رجل النبي ﷺ عن الساعة فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ فقال: ((**وما أعددت للساعة؟**)) قال: حُبُّ اللهِ ورسولِه، قال: ((**فإنك مع من أحببتَ**))(2).

وليس معنى محبة العبد لله أو محبة رسوله، أن يفضِّل رضاه على رضا الغير عند المقابلة، أو إرادة طاعته وترك مخالفته، وإن كان هذا كله من آثار المحبة وعلاماتها، بل محبة العبد لربه، أو محبة الإنسان لنبيه، أو لولي من أولياء الله كل هذا بمعنى المحبة الحقيقية.

وقد أورد كثير من العلماء(3) أدلة على وجود محبة العبد لله، ولم يتكلّفوا التأويلات على أن المراد هو إرادة الطاعة، أو ترك المخالفة، أو تفضيل رضاه على رضا الغير عند المقابلة ونحوها؛ بل المحبة غير هذه الأشياء كلها، وإن كانت هذه الأشياء من لوازمها وعلامات على صدق دعواه في المحبة.

قال الغزالي -رحمه الله-(4): اعلم أن الأمة مجتمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ فرضٌ، وكيف يفرض ما لا وجود له؟ وكيف يفسر الحب بالطاعة، والطاعة تبع الحب

---

(1) رواه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب ومن سورة ص، صفحة: ٧٣١(ح٣٢٣٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في مسنده٥/٢٤٣ وقال الألباني: صحيح.ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني٣/٣١٩رقم٣٢٣٥.

(2) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الفضائل، باب مناقب عمر بن الخطاب...٢/٢٠٤(ح٣٦٧٩)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب١٦/٤٠٢(ح٦٦٥٥)واللفظ لمسلم.

(3) كالإمام اللالكائي -رحمه الله- في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة في بيان عدّ شعب الإيمان٢/٤١، والإمام البيهقي في شعب الإيمان، العاشر من شعب الإيمان، وهو باب محبة الله١/٤٨٩، والعلامة ابن القيم في الجواب الكافي، وروضة المحبين، في أكثر من موضع.

(4) **الغزالي**: هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد، الشافعي، الطوسي، الغَزَالي، نسبة إلى قرية يقال لها غزالة، ولد سنة٤٥٠هـ وتوفي٥٠٥هـ له نحو مأتي مصنف منها، المنقذ من الضلال، وكتاب تهافت الفلاسفة الذي كشف فيه عور الفلاسفة، ووافقهم في مواضع ظنا منه أن ذلك حق، أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على =

وثمرته؟ فلا بدّ وأن يتقدم الحبّ، ثم بعد ذلك يطيع من أحب، ويدل على إثبات الحب قوله ﷻ: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [2] وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه... [3]

ثم قال: فلا يَنْكُر إذَنْ حُبُّ الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم، فلم يجاوز إدراك الحواس أصلاً [4].

وقال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [5]: ((أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ)) [6].

وهذا نص صريح على أنه -رحمه الله- يثبت محبة العبد لله ومحبة الله للعبد على حقيقتهما.

وقال الحسن بن محمد بن الحنفية -رحمه الله-:

تَعصي الإله وأنت تظهر حُـبَّه * عـار عليك إذا فعلت شنيـع**

=

العقل، وكتابه إحياء علوم الدين قد حذر منه العلماء، لما فيه من الأحاديث الباطلة، وكان خاتمة أمره إقباله على الحديث ومجالسة أهله. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي١٩/٣٢٢برقم٢٠٤، والوافي بالوفيات للصفدي١/٢٧٤برقم١٧٦، والطبقات الكبرى للسبكي٦/١٩١برقم٦٩٤، والأعلام للزركلي٧/٢٢.

(١) سورة المائدة(٥٤).

(٢) سورة البقرة(١٦٥).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي كتاب المحبة٤/٢٥٧.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي كتاب المحبة٤/٢٦٠.

(٥) سورة آل عمران(٣١).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/٤٦.

لو كان حبك صادقا لأطعــته * إن المُحِبّ لمن أحبَّ مطيع[(1)].**

فجعل -رحمه الله- طاعة المحِبِّ علامةً على صدق دعوى المحبة، و لم يقل إن طاعتــه هي المحبة، فضلا أن تكون إرادة الطاعة محبةً، أو ترك المخالفة محبةً، أو إيثار رضاه محبةً.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو إنكار بعض الناس من أن تكون المحبة من العبادة.

إن قول المخالف: إن المحبة ليست عبادة بدليل الفرق بين المحبة والعبادة، لجواز المحبة لغير الله وعدم جواز العبادة لغير الله مغالطة، أو جهل من القائل بأنواع المحبة، وما يجــوز منها لغير الله وما لا يجوز[(2)]، ولجهله بأن محبة أولياء الله؛ إنما هي من محبة الله، ولهذا كان النبي ﷺ يسأل الله محبتَهُ ومحبةَ من يحبُهُ، حيث قال: ((**وأسألك حبك وحب من يحبــك، وحب عمل يقربني إلى حبك**))[(3)].

فتجوز المحبة في الله والمحبة لله، ولا تجوز المحبة مع الله، فالمحبة في الله أو المحبة لله هي: أن تحب من يحبه الله، والله يحب المحسنين، والمتقين، والتوابين، والمتطهرين، وإذن تكــون محبة غير الله من محبة الله ومقوية لها غير متنافية معها.

أما المحبة مع الله: فهي أن يتعلق قلبك بسواه فتغفل عن الله وتتوجه إلى غيره بالرغبة والرهبة، فتكون محبتك هذه مغنية عن محبة الله منافية لها، فالمحبة في الله محمودة متعدية إلى كل داع إلى الله من الأنبياء المرسلين والأولياء الصالحين والعلماء العاملين[(4)].

نعم هناك فرق بين العبادة والمحبة من حيث أن المحبة أصل العبادة ولُــبُّها وركنها، لأن العبادة مبناها على أركانها الثلاثة: كمال الحب، وغاية الخوف، وتمام الرجاء.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر١٣/٣٧٩والبيهقي في شعب الإيمان٢/٣٩٢رقم٤٩٠.

(٢) وقد التفصيل في ذلك في المبحث الأول.

(٣) رواه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب ومن سورة ص، صفحة: ٧٣١(ح٣٢٣٥)، وقــال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في مسنده٥/٢٤٣ وقال الألباني: صحيح.ينظــر: صحيح سنن الترمذي للألباني٣/٣١٩رقم٣٢٣٥.

(٤) رسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي ص: ١٨.

والمحبة لها أنواع: منها عبادة في ذاتها بل هي أصل كل عبادة، وهي خاصة بالله ﷻ لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ ولا يجوز الإشراك فيها معه أحد.

ومنها ما ليس عبادة في ذاتها إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة.

فأما القسم الأول: وهي محبة العبادة التي إذا أشرك مع الله فيها غيره فقد أشرك شركا محبطا للعمل، «وهي التذلل والتعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يمتثل أمره ويجتنب نهيه، وهذه المحبة خاصة بالله، فمن أحبَّ مع الله غيره محبة عبادة فهو مشرك شركا أكبر»[1] وهذا النوع كان يُشرك فيه المشركون أندادهم مع الله قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[2].

ويلتحق بهذا القسم المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله، أي كون الشيء محبوباً لله تعالى من أشخاص كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين.أو أعمال؛ كالصلاة، والزكاة، وأعمال الخير، أو غير ذلك.

وأما القسم الثاني: وهو المحبة التي ليست بعبادة في ذاتها، وهذه أنواع:

النوع الأول: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والضعفاء.

النوع الثاني: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة؛ كمحبة الإنسان لوالده، ولمعلمه، والكبير من أهل الخير.

النوع الثالث: محبة طبيعية؛ كمحبة الطعام؛ والشراب، والملبس، والمركب، ونحوه.

فهذه الثلاثة من قسم المباح؛ إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة؛ فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم؛ وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب من أجل أن يقوم

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٠/٦٢٣.

(٢)سورة البقرة(١٦٥).

بـبـرّ والده صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتـضي أن يقوم بأمر الله بإصلاح هذا الولد صارت عبادة.

وكذلك المحبة الطبيعية؛ كمحبة الأكل والشرب والملبس والمسكن إذا قـصد بهـا الاستعانة على عبادة صارت عبادة، ولهذا حُبِّبَ للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم النـساءَ والطيبَ من هذه الدنيا؛ فحُبِّبَ إليه النساء؛ لأن ذلك مقتضى الطبيعة، ولما يترتب عليـه من المصالح العظيمة، وحُبِّبَ إليه الطيبُ؛ لأنه ينشط النفس ويريحُهَا ويَشْرَحُ الصدرَ[١].

فهذه الأشياء إذا اتخذها الإنسان بقصد العبادة صارت عبادة، قال النبي صـلى الله عليه وآله وسلم: ((**إنما الأعمال بالنيات؛ وإنما لكل امرئ ما نوى**))[٢].

وقال العلماء: إن مالا يتم الواجب إلا به؛ فهو واجب، وقالوا: الوسائل لها أحكام المقاصد، وهذا أمر متفق عليه[٣].

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو الخلط بين أقسام المحبة.

المحبة الطبيعية لغير الله ليست من الشرك ومن ظنها شركا؛ فسببه الجهل بأنواع المحبة وقد تقدم التفصيل في ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل؛ فلا تتعارض محبة الولد مع محبة الله ﷻ، وقد أحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض المخلوقين غير الخالق وهو المقتدى به في كل شيء والأدلة في ذلك وفيرة منها:

يقول عمرو بن العاص ﷺ قلت لرسول الله ﷺ: ((**أي الناس أحب إليك؟ قـال: عائشة. قلت: من الرجال؟ قال أبوها. قلت: ثمَّ من؟ قال عمر**[٤]**.فعدَّ رجالا**))[٥].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين١٠/٦٢٣(بتصرف).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بـدء الـوحي...١/١٢ (ح١)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجهاد باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية ١٣/٥٥ (ح٤٩٠٤).

(٣) يُنظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين١٠/٦٢٤.

(٤) عمر: هو عمر بن الخطاب الخليفة الثاني ﷺ.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ لو كنـت متخذا خليلا٧/٢٤(ح٣٦٦٢)، وكتاب المغازي باب غزوة ذات الـسلاسل٨/٩٣(ح٤٣٥٨)، =

وقال ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنه: «**اللهم إني أحبه؛ فأحبه، وأحب من يحبه**»[1].

بل وثبت التقبيل عن النبي ﷺ وعن أصحابه -رضي الله عنهم- كما في حديث قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ ، فقالوا: «**أتقبّلون صبيانكم؟ فقالوا نعم؛ فقالوا لكنّا والله! ما نُقبّل، فقال رسول الله ﷺ: وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة؟**»[2].

فمحبة الولد وتقبيله لا تعدُّ من المحبة التي لا يجوز صرفها لغير الله، نعم هي مذمومة إذا عارضت محبة الله وزادت عن حدِّها بأن أشغلت عن طاعة الله وذكره ومحبته، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[4].

والقصة التي نسبت إلى فُضيل بن عياض-رحمه الله- أنه أخذ ابنه في حجره وقبّله فقال الابن: يا أبتِ! هل تُحبُّني؟ فقال: نعم! فقال الابن: يا أبتِ! هل يسع في القلب محبتان؟ فعَلِم والده لـمَّا سمع كلامه؛ فضرب رأسه على يده ، ورمى بالابنِ على الأرض، واشتغل بذكر الإله....كما تقدم في بيان الانحراف فلا يستدل بها؛ لأن نسبة هذه الواقعة إلى فضيل -رحمه الله- غير صحيحة، لأنها ذكرت بدون السند، ونسبة القصص إلى

=

وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق ١٤٩/١٥(ح٦١٢٧).

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب اللباس باب السخاب للصبيان٤٠٨/١٠(ح٥٨٨٤)، صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الحسن والحسين١٨٨/١٥(ح٦٢٠٦).

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ على الصبيان والعيال ٧٥/١٥ (ح٥٩٨١).

(٣) سورة التوبة(٢٤).

(٤) سورة المنافقون(٩).

الزهاد والعباد والأولياء -بدون سند صحيح كما يفعله كثير من الناس- لا حجة فيها لعدم ثبوتها عنهم أولاً، ثم ولو ثبتت لا تكون حجة شرعية لعدم عصمتهم من الخطأ، ولأن الحجة هو الكتاب والسنة لا عمل أفراد الأمة.

موقف الإسلام من الانحراف الرابع: وهو ترويج البدع باسم المحبة.

لا بد في كل عمل يرجى عليه الأجر والثواب أن يتوفر فيه الشرطان: الإخلاص والمتابعة، قال الله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]. فإسلام الوجه لله هو الإخلاص لله، والإحسان هو المتابعة للرسول ﷺ وإصابة السنة.

فالمحافل التي يسموها باسم محفل الميلاد أوعيد الميلاد، لا تكون من محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألبتة؛ لأنه لم يتوفر في ذلك شرط المتابعة، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]فلا بد من إثبات دعوى محبة الله تعالى بمتابعة الرسول ﷺ؛ كذلك لا بد لإثبات دعوى محبة الرسول ﷺ بمتابعته.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية المذكورة: «هذه الآية حاكمة على كل من ادّعى محبة الله وهو ليس على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله»[3].

والصحابة الذين هم خير هذه الأمة وأشدهم محبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة لم يثبت عن أحدهم تلك الأعياد والمحافل التي يقيمها مدعوا محبة النبي ﷺ، فهل أحدٌ يَدّعي محبة النبي ﷺ أكثر من الصحابة؛ فيقوم بعمل لم يفعله الصحابة والتابعون -مع وجود الداعي إلى ذلك وهو محبتهم له ﷺ أشد المحبة.

---

(١) سورة البقرة(١١٢).

(٢) سورة البقرة(٣١).

(٣) القرآن العظيم لابن كثير٤/٤٦.

وأما ما نقله صاحب رسالة«جشن ميلاد النبي ﷺ[1]» من كلام شيخ الإسلام -رحمه الله-: «...والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد» كما تقدم في بيان الانحرافات المتعلقة بالمحبة.

فالناقل ارتكب عدة محظورات وهي:

١- أنه عدّ شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مؤيّدي محفل الميلاد -إذا كان بقصد التعظيم والمحبة- وليس كذلك، حيث نص شيخ الإسلام على بدعية ذلك، حيث قال: «وكذلك ما يحدثه بعض الناس» والإحداث هو الابتداع، وهو لا يؤيّد البدعة أبدا.

٢- أن الناقل لم يؤدِ الأمانة العلمية في النقل حيث بَتَــرَ كلام ابن تيمية -رحمه الله- و لم ينقله بتمامه؛ حتى يتبين الحق من الباطل الذي استدل به الناقل، وكلامه بنصه -رحمه الله- هكذا: «**وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى** عليه السلام**، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيما له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ المولد عيداً؛ فإنه لم يفعله السلف...**»[2].فقد نصّ -رحمه الله- على أنهم لا يثابون على البدع من اتخاذ المولد عيداً، حيث قال: «لا على البدع من اتخاذ المولد عيداً».

٣- أن الناقل لم يراعِ الأمانة العلمية في الترجمة و لم يترجم نص كلامه، حيث قال شيخ الإسلام: «**ما يحدثه بعض الناس**».

وقال الناقل في الترجمة: بعض لوگ جو محفل ميلاد كا انعقاد كرتے ہيں، المعنى «**بعض الناس الذين يقيمون حفل الميلاد**» فأين ترجمة:**ما يحدثه**؟!، أَلَمْ يُشِرْ ابن تيمية -رحمه الله- بأن الاحتفال بالميلاد محدث من المحدثات؟!.

٤- أن الناقل زاد في الترجمة ما لم يقله شيخ الإسلام حيث قال في الترجمة «**اگر دوسری صورت ہے تو اللہ تعالی ایسے عمل پر ثواب عطا فرمائے گا**».

---

(١) وهو سيد همايون رشيد أحد الصوفية الغلاة، إمام وخطيب المسجد الجامع عند مزار علي الترمــذي، المشهور بيير بابا «الشيخ المرشد» في منطقة بُنير التابع لوادي سوات من إقليم سرحد بباكستان ومــن كتب سيد همايون رشيد الوسيلة، و«جشن عيد ميلاد النبي ﷺ كي شرعي حيثيت».

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص: ٦١٩/٢ط: الرشد، و١٢٣/٢ط: الوزارة.

المعنى: **فإن كانت الصورة الثانية؛ فالله يعطيهم الثواب على هذا العمل**، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لم يقل: إنه يثاب على هذا العمل البدعي، إنما قال: «**والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع...**» فهل قال -رحمه الله-: يثاب على عمل البدعة؟ أم قال: على المحبة والاجتهاد؟، ثم نص على أنه لا يثاب على عمله البدعي. فإحداث البدعة (من الاحتفال بالمولد) عمل بدني، والمحبة عمل قلبي. فعلى حد قوله -رحمه الله- يثاب على المحبة ولا يثاب على البدعة وهو الاحتفال بالمولد.

ثم نقول: إن شيخ الإسلام -رحمه الله- كغيره ليس بمعصوم، ونقول فيه كما قال ابن القيم -رحمه الله- في غيره: «**فشيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحبُّ إلينا منه، وكل من عدى المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك...**»[1].

وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كغيره يُعرَض على النصوص، فإن وافق النصوص أُخِذَ به، وإلا فمعلوم أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا عبرة للرأي بعد ورود النص[2].

وعند عَرْضِ قوله هذا على الأدلة، نَجِد أنه لا يوافق الأدلة الواردة في توفر الشرطين لقبول العمل عند الله وهما: الإخلاص والمتابعة. وهذا العمل لم تتوفر فيه المتابعة.

ولا يقال: يوجَّه قول شيخ الإسلام هذا: أنه لا يثاب على عمله وحفله عيدَ الميلاد، وإنما ربما يثاب على محبته للرسول ﷺ.

---

(١) قال -رحمه الله- هذا الكلام في شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي -رحمه الله- صاحب منازل السائرين، لما قال في الرجاء: إنه أضعف منازل السائرين. ينظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/٣٦.

(٢) هذا الكلام وما في معناه ينسب إلى الإمام مالك وغيره -رحمهم الله- ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/٩٣، و١٠/٧٣، ١٢/٦٨، كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ٢/٩٥٦. روح المعاني للألوسي ٨/٢٧٥ عند تفسير الآية (٩٢) من سورة يونس، وفتح المجيد لآل الشيخ ص: ٣٦٢، ٣٦٦ إرواء الغليل للألباني ٢/٢٦٥ تحت رقم (٤٩٦). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بنفسه: «كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك؛ إلا صاحب الشرع» مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٢٤٤.

لأنه يلاحظ على هذا التوجيه، ويقال: كيف يثاب على محبةٍ يدعيها أحدٌ، و لم تكن فيها متابعة النبي ﷺ، بل حب الرسول وتعظيمه واجب على كل مسلم، وإنما هو باتباع ما جاء به من عند الله كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾(1).

وقال شيخ الإسلام نفسه: «ومن صحت محبته امتنعت مخالفته، لأن المخالفة إنما تقع لنقص المتابعة، ويدل على نقص المحبة قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾(2) اهـ(3).

«**ولكن** مع هذا، ربما يقصد شيخ[الإسلام]ابن تيمية أن الشخص ربما يثاب على نية صادقة مجردة عن اقترانها ببدعة، كمن يحب النبي ﷺ، ولكنه يعمل البدع من الموالد ونحوها، فإنه يثاب على تلك المحبة المطلقة، لا المقترنة بالبدعة، فإنه لا بدّ لحسن العمل وقبوله أن يكون خالصا لله وموافقا لشريعة رسول الله ﷺ »(4).

وقد صرّح ابن مسعود ﷺ في من يريد الخير و لم يكن عمله على السنة: أنه لن يصيبه، وذلك عند ما جاء إلى أناس متحلّقين في المسجد، وبأيديهم حصىً، وفيهم رجل يقول: كبِّروا مائة؛ فيكبِّرون مائة، ويعدّون بالحصى، ويقول هلّلوا مائة، سبحوا مائة كذلك فوقف عليهم فقال: «ما الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصىً نعدّ به التكبير والتهليلَ والتسبيحَ، قال: فعدّوا سيِّـــئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيءٌ.ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: **وكم من مريد للخير لن يصيبه...**»(5).

---

(1) سورة البقرة(31).

(2) سورة البقرة(31).

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية1/16.

(4) شفاء الصدور للكرمي بتحقيق جمال صلاح(قسم الدراسة)ص: 103.

(5) سنن الدارمي1/287رقم(210)، وينظر: سلسلة الصحيحة للألباني2005.

ومما يدل على عدم الاكتفاء بحسن القصد في العمل، وأنه لا بدّ أن يكون مطابقا للسنة، قصة الصحابي أبي بردة ﷺ[١]: لّما ذبح يوم العيد الأضحى قبل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا يومٌ، اللحم فيه مكروه[٢]، وإني عجلت نسيكتي؛ لأطعم أهلي،وأهل داري، فقال رسول الله ﷺ: **أعد نسكا**))[٣].

وفي رواية ((**تلك شاة لحم.. ثم قال: من ضحى قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة، فقد تمّ نسكه وأصاب سنة المسلمين**))[٤].

---

(١) **أبو بردة**: هو هانئ بن نيار خال البراء بن عازب ﷺ شهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدرا وما بعدها ، وتوفي في خلافة معاوية ﷺ بعد شهوده ﷺ على حروبه كلها.ينظر الاستيعاب لابن عبد البر٣/١٦٠٨رقم٢٨٦٩، الإصابة لابن حجر٤/١٨رقم١١٦.

(٢) قال المباركفوري –رحمه الله– : يعني بسبب كثرة اللحم وكثرة النظر إليه يتشبع الطبع ويتنفر عنه، وفي أول اليوم لا يكثر اللحم، فلذا أني عجلت إلخ...وقد وقع في رواية لمسلم هكذا ((هذا يوم اللحم فيه مكروه)) ووقع في رواية أخرى له ((مقروم)) ومعناه يُشتهى فيه اللحم، يقال قرمت إلى اللحم وقرمته إذا اشتهيته، فهذه الرواية موافقة للرواية الأخرى، أن هذا يوم يشتهى فيه اللحم، ولذلك صوب بعض أهل العلم هذه الرواية.قلت: لا منافاة بين الروايتين وكلتاهما صواب.قال الحافظ في الفتح[١٠/١٠(ح٥٥٤٩)]: ووقع في رواية منصور عن الشعبي، كما مضى في العيدين، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب، فأحببت أن تكون شاتي أول ما يذبح في بيتي، ويظهر لي أن بهذه الرواية يحصل الجمع بين الروايتين، وأن وصفه اللحم بكونه مشتهى، وبكونه مكروها لا تناقض فيه، وإنما هو باعتبارين، فمن حيث إن العادة جرت فيه بالذبائح فالنفس تتشوق له يكون مشتهى، ومن حيث توارد الجميع عليه حتى يكثر مملولا، فانطلقت عليه الكراهة لذلك، فحيث وصفه بكونه مشتهى أراد ابتداء حاله، وحيث وصفه بكونه مكروها أراد انتهاءه، ومن ثم استعجل بالذبح ليفوز بتحصيل الصفة الأولى عند أهله وجيرانه . انتهى كلام الحافظ)).تحفة الأحوذي للمباركفوري باب في الذبح بعد الصلاة٥/٨١عند شرح حديث(١٥٤٤).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأضاحي باب وقتها١٣/١١٤(ح٥٠٤٣).

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأضاحي باب وقتها١٣/١١٤(ح٥٠٤٢).

ففي الحديث صرح أبو بردة ﷺ أنه أراد الخير وهو إطعام الجيران وأهل بيته؛ ولكن هذا كله لم يجعله مصيبا في عمله، بل قال له النبي ﷺ **تلك شاة لحم** وقال له: **أعد نسكا.**

ولو كانت النية الحسنة والمحبة موجبة للثواب على أيَّ عملٍ دون المتابعة، فَبِمَ يكون الوعيد الشديد للمبتدعة؟ ولكل منهم نية حسنة في بدعته التي أحدثها، ويريد بها التقرب إلى الله.

وهكذا الأمر في كلّ من يدعي محبته ﷺ، ويخالف هديه فيجاهر بالبدعة، أعني قولهم قبل الآذان أو بعده بصوت مرتفع: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله!! الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله!! لن يثاب به أحد بمجرد دعوى المحبة.

وفوق ذلك إن في هذا الانحراف ارتكاب جرم كبير، وهو الزيادة في نص الآذان، لأن الآذان ورد بألفاظ مخصوصة كما هو الوارد في الأحاديث المحفوظة، ولم يرد فيها هذه الألفاظ، ولا أمثالها نحو **حيّ على خير العمل، أو أشهد أن عليا ولي الله** -كما يزيدها الرافضة في الأذان والإقامة[1]- أو نحو ذلك، وإن كان المعنى صحيحا.

وقول حي على خير العمل ونحوها زيادة في الأذان وهو من أشنع البدع -وإن كانت البدع كلها شنيعة-؛ لأن الأذان شعيرة من شعائر الدين وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[2]. وفي رواية لمسلم «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»[3].

---

(١) «ابتدائي دينيات» لسيد فرمان علي ص: ١٥، ١٦.

(٢) البخاري مع الفتح كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على...٣٧٠/٥(ح٢٦٩٧)وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة٢٤٢/١١(ح٤٤٦٧).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة٢٤٢/١١(ح٤٤٦٨).

موقف الإسلام من الانحراف الخامس: وهو استعمال الألفاظ التي لا تليق بالله ﷻ ولا برسوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

إن اتصاف الناس أنفسهم أو بعضهم بصفة عشق الرسول أو عشق الرب من الانحرافات التي سبَبُها الجهل باللغة العربية وخاصة معاني المحبة، ومن ثَمَّ جهله بما يقوله تجاه ربه أو تجاه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن القيم -رحمه الله- في حقيقة العشق: ((فالذي عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وسواسي...يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل.

وسببه النفساني: الاستحسان والفكر.

وسببه البدني: ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن مَنِيٍّ محتقنٍ. ولذلك أكثر ما يعتري العزّاب، وكثرة الجماع تزيله بسرعة))[1].

وقد سبق في المبحث الأول من هذا الفصل أن العشق هو مقرون بالشهوة والحب مجرد عنها[2]وإن كان العشق أحد مراتب المحبة. لكنه لا يجوز أن يوصف به الرب تبارك وتعالى ولا العبد في محبة ربه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((لا تسمى محبة العبد لربه عشقا، لأنه إفراط المحبة، والعبد لا يصل في محبة الله إلى حد الإفراط ألبتة. والله أعلم))[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: اختلف في سبب المنع - أي منع إطلاق العشق على محبة الرب سبحانه وتعالى، فقيل: عدم التوقيف، أي عدم ورود النص بجواز ذلك.وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع الشهوة[4].

ولذلك لم يرد في النصوص الشرعية ولا كلام السلف الصالح أنه يعشق الرب ﷻ أو يعشق الرسول ﷺ، مع أنهم كانوا يحبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حبا جماً.

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ص: ١٣٧.

(٢) الكليات للكفوي ص: ٣٩٨.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم٣/٣٧.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص:١٦٦.

«والعشق اسم لما فضل عن المحبة، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما جاوز الاقتصاد، فكل عشق يسمى حبا، وليس كل حب يسمى عشقا، والمحبة جنس والعشق نوع منها»[1].

ولما كان العشق مقرونا بالشهوة؛ لا يصح لا عرفا ولا عقلا ولا شرعا، أن يقول أحد: إنني أعشق أمي، أو أعشق أختي ونحو ذلك، ويصح عرفا وعقلا وشرعا أن يقول: إنني أحب أمي، أو أحب أختي ونحو ذلك.

فكذلك لا يجوز، لا عرفا ولا عقلا ولا شرعا أن يقول أحد: إنني أعشق الرب ﷻ، أو أعشق الرسول ﷺ ونحو ذلك، ويجوز عرفا وعقلا وشرعا أن يقول: إنني أحب الرب ﷻ أو إنني أحب الرسول ﷺ، بل ويجب محبة الله ﷻ ومحبة رسوله ﷺ، ويحرم عشق الله وعشق رسوله فضلا أن يكون مجنونا في عشق الرب ﷻ ، أو عشق رسوله ﷺ .

موقف الإسلام من الانحراف السادس: وهو علم ابتغاء الجنة بالمحبة والزعم أن ذلك ينافي لمحبة الله.

إن ما يدعيه بعض المتصوفة وما يسمونه بالمحبة الروحانية التي يصرِّحون بها، من أنه يجب أن يكون قيام المكلف بالعبادات لا رغبة في الجنة، أو الرهبة من النار؛ وإنما يجب أن تكون العبادة لأجل الشوق إلى لقاء المحبوب ورؤيته ﷻ كما تقدم قولهم في بيان الانحرافات. فقولهم هذا مخالف لكثير من النصوص الشرعية حيث قال تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [2] ووصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [3]وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[4].وكان النبي ﷺ بل والأنبياء من قبله ﷺ كانوا

(١)روضة المحبين لابن القيم ص: ١٣٨.

(٢) سورة الأعراف(٥٦)

(٣) سورة الإسراء(٥٧).

(٤) سورة السجدة(١٦).

يعبدون الله رغبا ورهبا، رغبة فيما عند الله من النعيم ورهبة مما عند الله من العذاب قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (1).

قال ابن كثير –رحمه الله– في تفسير الآية: «رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا» (2).

وقال ابن القيم –رحمه الله–: «أي رغبا فيما عندنا، ورهبا من عذابنا، والضمير في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ عائد على الأنبياء المذكورين في هذه السورة عند عامة المفسرين، والرَغَب والرَهَب...رجاء الرحمة والخوف من النار عندهم أجمعين» (3).

وقال النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم لرجل من أصحابه: «**كيف تقول في الصلاة؟** قال: أتشهّد وأقول: اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أمَا إني لا أحسن دَنْدَنَتَكَ ولا دَنْدَنَةَ(4) معاذ؛ فقال النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: **حولها نُدَنْدِنُ**» (5): أي حول دخول الجنة والنجاة من النار نُدنْدِنُ.

الآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا، بل ونصوص الوعد والوعيد إنما هي الترغيب في الجنة والترهيب من النار، والقول: بأنه لا يعبد الله إلا لمحبته لا خوفا من عقابِه ولا رجاء نعيمَه، تعطيل لجميع النصوص الواردة في الوعد والوعيد.

---

(1) سورة الأنبياء(٩٠).

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٤٣٩.

(3) مدارج السالكين لابن القيم٢/٧٧.

(4) **دندنة:** الدندنة أن تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول.لسان العرب لابن منظور٣/٤٢٥، مختار الصحاح للرازي ص:٨٩.

(5) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب في تخفيف الصلاة ص: ١٤٠(ح٧٩٣)وسنن ابن ماجة كتاب الصلاة باب ما يقال بعد التشهد ص: ١٦٨(ح٩١٠)وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه له برقم(٧٤٢).

الفصل الثاني

الانحرافات المتعلقة بالخوف، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الخوف، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالخوف.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى الخوف، وأنواعه

الخوف من الله من أفضل العبادات القلبية، بل واجب على العباد أن يخافوا ربهم ولا يخافوا هذا الخوف أحدا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1]وسأبيّن إن شاء الله في هذا المبحث معنى الخوفِ وأنواعه،وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخوف لغة.

أصل الكلمة: الخاء، والواو، والفاء (خوف) أصل واحد يدل على الذعر[2] والفَزَعْ[3].

تصريف الكلمة: خاف يخاف خَوْفاً وخَيْفاً ومَخَافَةً وخِيفةً[4]، وإنما صارت الواو أَلفاً في يخاف لأنه على بناء عَمِلَ يَعْمَلُ فاستثقلوا الواو فألقوها[5]والأمر منه خَف بفتح الخاء[6].

معنى الكلمة لغة:قد ورد الخوف في القرآن الكريم على وجوه منها[7]:

الأول: بمعنى القتل والهزيمة، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[8]وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾[9].

---

(١) سورة آل عمران(١٧٥).

(٢) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٣٣٦.ومجمل اللغة لابن فارس١، ٣٠٧/٢.

(٣) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٣٣٦، ولسان العرب لابن منظور٢٥٢/٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور٢٥٢/٣، والقاموس المحيط للفيروز آبادي١٣٩/٣.

(٥) لسان العرب لابن منظور٢٥٢/٣.

(٦) مختار الصحاح للرازي ص: ٨١.

(٧) القاموس المحيط للفيروز آبادي١٣٩/٣، لسان العرب لابن منظور٢٥٣/٣.

(٨) سورة البقرة(١٥٥).

(٩) سورة النساء(٨٣).

الثاني: بمعنى الحرب والقتال، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾[(١)] أي انجلى الحرب.وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[(٢)].أي الحرب.

الثالث: بمعنى العلم والدراية، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ﴾[(٣)] أي عَلِمَ.

الرابع: بمعنى الرعب والخشية من العذاب والعقوبة قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[(٤)].

المطلب الثاني: الخوف شرعا

لقد عرف العلماء الخوف شرعا بعدة تعريفات منها:

١- توقع حلول مكروه أو فوات محبوب[(٥)].

٢- توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة...ويضاد الخوف الأمن[(٦)].

٣- عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال[(٧)].

وهذه التعريفات كلها تؤدي معاني متقاربة وهو: أنه انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى[(٨)].

والخوف له ألفاظ متقاربة وأحيانا يستعمل أحدها في معنى الأخر كالخشية، والرهبة: والوجل، والهيبة، والإشفاق، والإجلال، والرُّعْب.

فالخشية: وهي أخص من الخوف؛ لأنها خوف مقرون بعلم، فإن لم يكن علم فهو مجرد خوف.فالخشية للعلماء، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[(٩)] وكما قال النبي ﷺ: ((**فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**))[(١٠)].

---

(١) سورة الأحزاب (١٩).

(٢) سورة الأحزاب (١٩).

(٣) سورة البقرة (١٨٢).

(٤) سورة السجدة (١٦).

(٥) التعريفات للجرجاني ص:١٣٦.

(٦) المفردات للراغب ص:١٦١.

(٧) مختصر منهاج القاصدين لأحمد ابن قدامة المقدسي ص: ٣٢٨.

(٨) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص: ٥٦.

(٩) سورة فاطر(٢٨).

(١٠) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأدب باب من يواجه الناس بالعتاب١٠/٦٣٠(ح٦١٠١).

والرهبة: هي إمعان في الهروب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه، بمعنى الخوف المثمر للهرب من المخوف؛ فهي الخوف المقرون بعمل.

والوجل: هو رجَفَان القلب وانصداعه لذكر من يخاف من سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾[1]وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[2].

والهيبة: هي خوف مقارن للتعظيم والإجلال وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة.

والإشفاق: هو رقة الخوف فهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى الخوف كنسبة الرأفة إلى الرحمة، فإنها ألطف الرحمة وأرقها، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾[3]وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾[4].

الحذر: هو شدة الخوف، أو هو اجتناب الشيء خوفا منه[5] قال الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[6].

والخوف: دون التقوى ووسيلة إليها[7].

هذه جملة من الكلمات التي تؤدي معاني الخوف، وتستعمل في معناه أحيانا وإن كان بينها بعض الفروق.

---

(١) سورة المؤمنون(٦٠).

(٢) سورة الأنفال(٢).

(٣) سورة الأنبياء(٤٩).

(٤) سورة الطور(٢٦).

(٥) الكليات للكفوي ص: ٤٠٩، و٤٢٩.

(٦) سورة الزمر(٩).

(٧) تقديس الأشخاص لمحمد لوح١/١٨٦.

المطلب الثالث: أنواع الخوف

الخوف يكون مرة محمودًا، ويكون مرة أخرى مذموما، وذلك حسب متعلقاته وأسبابه.

وقد قسّم العلماء الخوف إلى عدة أنواع(1):

الأول: خوف عبادة وتذلل وتعظيم، وهو: أن يخاف من أحد أن يصيبه بما شاء متى شاء من مرض، أو فقر، أو موت ونحو ذلك، بقدرته ومشيئته، وهذا لا يجوز إلا من الله ﷻ وحده ﷻ، **و يسمى هذا بخوف السر.**

الثاني: الخوف من الناس خوفا ظاهرياً، يؤدي إلى ترك ما يجب عليه من الواجبات الثقيلة، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، وكلمة حق ونحوها، مع وجود الإمكانيات وتوفر الشروط فيه، **ويسمى هذا بالجبن والخوف الوهمي**.وسبب هذا الخوف هو ضعف الإيمان وقلة اليقين والحرص على حياة الدنيا.

الثالث: الخوف من وعيد الله الذي توعد به العصاة وهذا من أعلى مراتب الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾(2).

الرابع: **الخوف الطبيعي**: وهو الخوف مما أسبابه ظاهرة كالخوف من عدوّ أو حيوان مفترس، أو لدغ، أو هدم أو غرق ونحوها **ويسمى هذا بالخوف الجبلّي.**

---

(1) من العلماء من قسّم الخوف إلى خوف طبيعي، وخوف العبادة.ينظر: شرح الأصول الثلاثة للفوزان ص: ١٣٣ ومنهم من يقسّمه إلى خوف طبيعي، وخوف عبادة وخوف سرّ.ينظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص: ومنهم من قسّم الخوف إلى أربعة أنواع كما في المتن.ينظر: تيسير العزيز الحميد لآل الشيخ ص: ٣٨٨وما بعدها.وفتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ٢/٤٦٣وما بعدها٥٧، والتعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف ص: ١٦٨، وتقديس الأشخاص لمحمد لوح١/١٨٧.

(2) سورة الرحمن(٤٦).

المبحث الثاني
الانحرافات المتعلقة بالخوف

إن الخوف من الله والخوف من وعيده من أجلّ أنواع العبادة بل والخوف من الله هو أحد أركان العبادة التي لا تتم إلا به كما تقدم في بيان العبادة وأركانها[1].

لكن انحرف بعض الناس عن جادة الحق في هذا المجال، ومن تلك الانحرافات المتعلقة بالخوف ما يلي:

الانحراف الأول: خوف السر من المشايخ والأولياء.

يخاف كثير من الناس بطشَ المشايخ والأولياء أمواتا وأحياءً، حيث يروي البعض قصصا؛ ليثبتوا بها تصرف الأولياء في أمور الدنيا، وحتى في الآخرة، ويزرعون بها الخوف في قلوب العوام؛ فيذللونهم للمشايخ وأضرحة الأولياء؛ فيستفيدون بذلك من أموالهم وأعراضهم، بدليل أنّ من لم يتذلل أو لم يقدّم لهم شيئا؛ يصاب بمكروه في الحال أو المآل.

وقال البعض: قد تواتر عن كثير من الأولياء أنهم ينصرون أولياءهم ويدمرون أعداءهم[2].

يريدون بهذا تخويف الناس منهم، وإثبات التصرف لهم في الكون في حياتهم وبعد وفاتهم، ولذلك اشتهر بين كثير من العوام أن المشايخ وأصحاب الأضرحة يتصرفون في الأمور، ويعاقبون من يسيء الأدب معهم[3]أو مع مريديهم، أو لا يتقدم لهم بالصدقات والنذور؛ فيصيبونه بسوء في أبدانهم، أو أموالهم، أو عيالهم.

---

(١) يراجع المطلب الثالث في التمهيد ص: ٥٥.

(٢) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:١٦، تسهيل البصائر لكفاية الله الداجوي ص: ٢٨، زيارة القبور لباد شاه گل ص٢٠، ٤٧.وضياء الصدور لمنكري التوسل بأهل القبور لظاهر شاه السواتي ص: ١٩.

(٣) يحكي صاحب كتاب ((دحق گنگوُسي)) عبد الرحيم ((مسلم دوست)): أن أباه كان يأمره بأن يتعامل مع أصحاب الأضرحة والمشايخ معاملة حسنة؛ وإلا فسيُقلّب عليه سريره ليلاً، أو يصيبه بمكروه ويحزنه بما لا يحمد عقباه.ينظر: مشاعرة الولد مع الوالد.

ولذلك يتصدق بعض الناس في اليوم الحادي عشر من كل شهر قمري ويسمونها (الحادي عشر[1])؛ فمنهم من يتصدق فيها تقربا إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] ويعتقد أن بذلك يفرح روح الجيلاني وبسبب ذلك الفرح يزيد أموالَهم وأولادَهم، وإن لم يفعلوا ذلك لكان خطرا على أنفسهم وأموالهم وأولادهم أو يقع في المشاكل[3].

وحتى ألّف البعض فيما يزرع الخوف عند العوام والخواص من غير الله، كتبا مستقلة، أو خصصوا لها أبوابا، وأقساما في مصنفاتهم[4]، فيروون فيها قصصا وروايات ليخوفوا بها العوام وبعض الخواص، ومن أمثلة تلك الروايات:

١- أن أحد العلماء كان يسيء الظن في حق الشيخ الجامي[5] وكان يشنّع القول، ويطعن فيه، فناصحه الناس كثيراً ولكنه لم يمتنع؛ فلمّا توفي؛ رآه أحد العلماء الفضلاء في النوم في حالة اليأس والحزن، فسأله لماذا أنت في حالة الغم والهم؟

---

(١) **الحادي عشر**: وهو عادة التصدق باسم الشيخ عبد القادر الجيلاني؛ بحجة أنه توفي في هذا اليوم، وأنه -رحمه الله- كان يتصدق في هذا اليوم من كل شهر قمري لإيصال الثواب إلى النبي ﷺ. ينظر:((دأمت اختلاف)) ص:٢٣٦،((دوخت آواز)) لسعيد الرحمن ص: ٢٥٥.((ددولسو مياشتو فضائل او أحكام)) لسيف الحنان ص: ١٨.

(٢) **الجيلاني**: هو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله بن جنكي دوست الجيلي ولد بجيلان سنة٤٧١هـ وتوفي سنة٥٦١هـ، في الجملة هو كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد وبعض ذلك مكذوب عليه.سير أعلام النبلاء للذهبي٢٠/٤٣٩-٤٥١، فوات الوفيات للكتبي٣/٣٧٣، الأعلام للزركلي٤/٤٧.

(٣) ((اختلاف أمت)) ص:٢٣٩، ٢٤١، ((دوخت آواز)) لسعيد الرحمن ص: ٢٥٥-٢٥٦، ((ددولسو مياشتو فضائل أو أحكام)) لسيف الحنان ص: ١٨-٢١.

(٤) للإطلاع على بعض القصص التي تولد خوف السر عند العوام والخواص، يراجع البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٦٤- ٦٦.وتسهيل البصائر لكفاية الله الداجوي ص: ١٢٠- ١٢٣.

(٥) **الجامي**: هو نور الدين عبد الرحمن بن أحمد بن دشتي الجامي الحنفي من بلاد ما وراء النهر ولد سنة٨١٧ هـ وتوفي عام٨٩٨هـ وقبره في الهرات.ينظر:((دخدائ نيازبين)) لمحمد عباس قادرية ص: ٨٧-٩١.

فقال: كنت أردت أن أدخل الجنة، ولكن الشيخ الجامي أخذني بذيل ثـوبي وجرّني؛ فمنعني من الدخول إلى الجنة، ثم طلب منه أن يطلب له من مولانـا جامي العفوَ، وأن يتركه إلى دخول الجنة[1].

٢- روي: إن رجلا من الأعاجم لم يقبل عظمةَ الشيخ عبد القادر الجـيلاني ولم يخضع رقبته لطاعته؛ ففي الحال سُلِب كمالاته وأحواله وبقي خالياً (يعـني انتهت ولايته)[2].

٣- وأحيانا ينقلون بعض الأشعار:

دقارون ومال ته گوره حال ئي سه شو* راشه مه كوه انكار د درويشانو**

په هرچا چي دغضب لينده كا كشه * خطا نه درومي گذار د درويشانو**[3].

المعنى: انظر إلى مال قارون ماذا صار مصيره ،،، تعال ولا تنكر عظمة الدراويش

وكل من يشدّ عليه قوس الغضب،،، [فاعلم أنه] لا يخطئ رماية الدراويش.

وكقول بعض الرافضة يبين حاله عند وروده على الأضرحة والمشاهد:

قلت فلي ذنب فما حيلتي* بأيّ وجهٍ أتلقّاهم**

قالوا أليس العفو من شأنهم * ولا سيما عمن ترجّاهم**

فجئتهم أسعى إلى بابهم* أرجو طورا وأخشـاهم**[4].

ونتيجة لهذه الأكاذيب نجد بعض الناس يخافون من المقابر والأضرحة والأوليـاء، أشد وأكثر من خوفهم من الله، ولذا تراه مستعداً للحلف بالله ولو كان على غير الحق، ولا يحلف بالأضرحة والمزارات إذا لم يكن على الحق، وكذلك ترى البعض لا يقتنع إذا حُلِف له بالله، وإنما يقتنع ويطمئن إذا حُلِف له بالشيخ أو على حذائه، أو المقبرة ونحوها.

---

(١) ((دخداي نيازبين)) لمحمد عباس قادرية ص:٩٠.

(٢) ((دخداي نيازبين)) لمحمد عباس قادرية ص:٤٦.

(٣) هذا الشعر من كلام عبد الرحمن بابا.ينظر:((دخداۓ نيازبين)) لمحمد عباس قادرية ص: ٣.

(٤) مفاتيح الجنان للقمي الرافضي ص: ٣٧٦.

الانحراف الثاني: عدم التفريق بين الخوف الطبيعي وخوف السر.

تجاهل البعضُ الفرقَ بين الخوف الطبيعي والخوف الذي هو عبادة؛ فقالوا بجوازهما من الله ومن غير الله سواء؛ حيث قال أحدهم: الخوف على قسمين: الخوف من الله ومن غير الله وكلاهما جائزان أما جواز الخوف من غير الله كما في سورة القصص آية رقم (١٨)[١] وآية رقم(٢١)[٢] وسورة النمل آية رقم(١٠)[٣] اهـ[٤].

ثم أورد شبهة وأجاب عنها، فقال: إذا كان الخوف من الله، والخوف من غير الله جائزان فما الفرق؟ فقال:

الجواب: أنه إذا كان من الله كان عبادةً، وإذا كان من غير الله فليس بعبادة[٥].

الانحراف الثالث: الخوف في مجال الدعوة.

إن بعض الناس يخافون خوفا محرّماً في الدعوة والإرشاد، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيُهملون النهي عن المنكر كليا أو يتساهلون في ذلك، وخاصة ما يتعلق بتوحيد العبادة؛ فيرى الناس يبنون المساجد على المقابر، ويصلون فيها، والمقابر أمام المسجد أو داخله، أو داخل الصفوف ولا يُنكر هذا المنكر؛ بل يقومون بإلقاء الكلمة في ذلك المسجد، ولا يتعرض فيها لتغير هذا المنكر، بحجة الخوف من افتراق الأمة أو نحو ذلك[٦].

---

(١) نص الآية: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾

(٢) نص الآية: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾

(٣) نص الآية: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾

(٤) الدر النظيم لنادر شاه ص: ٧-٨.

(٥) الدر النظيم لنادر شاه ص: ٨.

(٦) هذا هو حال كثيرٍ ممن ينتسبون إلى جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالخوف

تمهيد

إن الخوف من الله أو الخوف من وعيده هو من صفات المؤمنين الذين مدحهم الله في كتابه العزيز، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [1].

والخوف من الله هي من عبودية القلب؛ فلا يجوز صرفه لغير الله ﷻ، ولذلك أمر الله عباده بالخوف منه وحده، قال الله تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [2].وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [3].

والخوف هو اللّجام[4]أو العِنان[5] الذي يمسك العباد عن المحرمات، ويسوق العبد إلى الطاعات، وصاحب الخوف من الله يُظله الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه، قال النبي ﷺ: «**سبعة يظلّهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه، ...ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله...ورجل ذكر الله خاليا؛ ففاضت عيناه**» [6].

---

(١) سورة المؤمنون(٥٧-٦١).

(٢) سورة البقرة(٤٠).

(٣) سورة المائدة(٤٤).

(٤) **اللّجام:** هو حبل أو عصاً تدخل في فم الدابة وتُلْزَقُ إلى قفاه.لسان العرب لابن منظور٨/٤٠.

(٥) **العِنان:** هو السير الذي تمسك به الدابة.ينظر: لسان العرب لابن منظور٦/٤٨٤.

(٦) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة٢/١٨٦(ح٦٦٠) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة٧/١٢٢(ح٢٣٧٧).

وقال النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن إلى الضرع**»[1].

وللخوف من الله فضائل كثيرة ودرجات رفيعة، لكن الانحرافات المتعلقة بالخوف أشد خطراً، لأن الخوف كما أنه زمام يمنع الرجل عن المحرمات، فإنه إذا صرف لغير الله يكون زمام المهالك والعاهات.

وهنا يجدر بنا أن نذكر حكم كل قسم من أقسام الخوف الأربعة التي ذكرت في المبحث الأول؛ لنكون على بصيرة، ونستطيع إغلاق كثير من أبواب الانحرافات التي سببها عدم معرفة حكم كل قسم من أقسام الخوف، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً:حكم خوف السر.أنه لا يجوز إلا من الله ﷻ وحده ﷻ، وقد أمر الله عباده أن يخُصُّوه بهذا الخوف وألاّ يخافوا إلا منه وحده ﷻ قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[3].وقال تعالى: ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[5].من تدبر الآيات السابقة وغيرها مما ورد في هذا المجال وهو إما بصيغة القصر أو الحصر تبـيّن له جليا أن «هذا الخوف لا يكون العبد مسلما إلا بإخلاصه لله تعالى، وإفراده بذلك دون من سواه» [6]وخلاف هذا شرك أكبر.

---

(١) سنن الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله ص: ٥٢٣(ح٢٣١١) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي له٥٢٨/٢(ح٢٣١١).

(٢) سورة النحل(٥١).

(٣) سورة آل عمران(١٧٥).

(٤) سورة البقرة(٤٠).

(٥) سورة المائدة(٤٤).

(٦) تيسر العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ٣٨٩.

ثانيا: حكم الخوف الوهمي أو الجبن: أنه حرام، وهو من أنواع الشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد[1]قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[2].وقال تعالى في وصف المؤمنين حقاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

وفي الحديث أن رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قام خطيبا، فكان فيما قال: «**أَلاَ لا يمنعنّ رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه**»[4].فمن خاف غير الله ومنعه عن التكلم بحق؛ فقد ارتكب حراما وإن لم يرتكب شركا أكبر.

ثالثا: حكم الخوف من وعيد الله، أنه مطلوب وهو من أعلى مراتب الإيمان، وقد أثنى الله ﷻ على أهل هذا الخوف: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[5].

وقال الله تعالى حكاية عن قول المُوفِّين بالنـــذور: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾[6].

---

(١) فتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ٢/٤٦٤.

(٢) سورة آل عمران(١٧٣).

(٣) سورة المائدة(٥٤).

(٤) رواه ابن ماجة وقال الألباني: صحيح ينظر: صحيح سنن ابن ماجة للألباني٢/٣٦٨(ح٣٢٣٧) والسلسلة الصحيحة له (ح١٦٨).

(٥) سورة إبراهيم(١٣-١٤).

(٦) سورة الإنسان(١٠-١١).

«وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان[1]، وإنما يكون محمودا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله»[2].

وفي هذا الكلام إشارة إلى أنه لا بدّ أن يكون هناك الرجاءُ مع الخوف، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[3].

ويجب أن يرافقهما المحبة لأن مثال أركان العبادة -المحبة والرجاء والخوف- بمثابة رأس الطائر وجناحيه، ولا يمكن لطائر يطير إلا بها جميعا، وسيأتي المزيد من التفصيل في هذا في آخر الفصل الثالث إن شاء الله.

رابعاً:حكم الخوف الطبيعي أنه ليس بعبادة ولا ينافي الإيمان ولا يضره، ولا يذم صاحبه كما ذكر الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].وقال تعالى عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾[5] وقال تعالى عنه: ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾[6].

لكن هذا الخوف الطبيعي إذا كان وهميا، كأنْ ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف، فهذا أيضا مذمومٌ، صاحبه يوصف بالجبن، وقد تعوّذ النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم من الجبن حيث كان من دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم...**»[7].

---

(١) أي: خوف السر -إذا كان من الله تعالى- بمنـزلة الإسلام، والخوف من وعيد الله، بمنـزلة الإحسان.

(٢) تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ٣٨٩.

(٣) سورة الزمر(٩).

(٤) سورة القصص(٢١).

(٥) سورة القصص(٣٣).

(٦) سورة الشعراء(١٤).

(٧) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الجهاد والسير باب ما يتعوذ من الجبن٦/٤٥ (ح٢٨٢٣).

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: وهناك ما يسمى بالوهم وليس بخوف: مثل أن يرى ظل الشجرة تَهْتَزُّ، فيظن أن هذا عدوٌّ تُهدّده؛ فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك بل يطارد هذه الأوهام؛ لأنه لا حقيقة لها، وإن لم تطاردها فإنها تُهلكك» (1).

وبعد بيان هذه الأحكام لكل قسم من أقسام الخوف يتضح لنا موقف الإسلام من الانحراف المتعلقة بالخوف إجمالا وأما التفصيل كالتالي:

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو خوف السر من المشايخ والأولياء

إن الخوف من غير الله بدون سبب ظاهر شرك لا يغفره الله إلا بالتوبة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (2).

وكما أنه شرك في توحيد العبادة؛ فهو قبل ذلك شرك في توحيد الربوبية، لأنه أثبت للمخلوق تصرفا في الكون، ولذلك خافه من دون الله، فترتب عليه عدة أنواع من الشرك في الألوهية، كالنذر لغير الله، والذبح لغير الله، وحتى أثبت له التصرف في الآخرة حيث ظن أن المخلوق يمنع أحدا من دخول الجنة كما مرّ في المبحث الثاني، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (3).

قال الشيخ سليمان آل الشيخ (4) -رحمه الله-: «وهذا القسم هو الواقع اليومَ من عُبَّادِ القبور، فإنهم يَخَافُون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشد، ولهذا إذا توجهت

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٠/٦٤٩.

(2) سورة النساء(٤٨).

(3) سورة الأعراف(٥٤).

(4) **سليمان:** هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠هـ كان بارعا في التفسير والحديث والفقه، قتله إبراهيم باشا بن محمد علي بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره، وأظهر بين يديه آلات اللهو إغاظة له، ثم أخرجه إلى المقبرة، وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعا؛ فمزّقوا جسمه سنة ١٢٣٣هـ.ينظر الأعلام للزركلي٣/١٢٩، ومقدمة تيسير العزيز الحميد بقلم إبراهيم بن محمد آل الشيخ ص: ٥.

على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبا أو صادقا، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبا، وما ذاك إلا لأنّ المدفون في التراب أخْوَفُ عنده من الله، ولا ريب أن هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمينُ بالله.

وكذلك لو أصاب أحدا منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب.

وإذا أراد أن يظلم أحدا فاستعاذ بالله أو ببيته لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة، أو بتربته؛ لم يتقدم عليه أحدا، و لم يتعرض له بالأذى.

حتى إن بعض الناس أخذ من التجار أموالاً عظيمةً أيام موسم الحج، ثم بعد الأيام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلى قبر جده يقال له: (المظلوم).فما تعرض له أحد بمكروه خوفا من سرّ (المظلوم)...

. وهذا الخوف لا يكون العبد مسلماً إلا بإخلاصه لله تعالى، وإفراده بذلك دون سواه»(1).

موقف الإسلام من الانحراف الثاني:وهو عدم التفريق بين الخوف الطبيعي وخوف السر.

إن تجاهل الفروق بين الخوف الطبيعي أو الجبلّي وبين خوف السر يجعل الناس يقعون في الطامات الكبرى وإطلاق القول: بأن الخوف إذا كان من الله كان عبادةً، وإذا كان من غير الله فليس بعبادة، مغالطةٌ وحيدة عن جادة الحق، وفتحٌ لباب خوف السر من غير الله، الذي يعدّ من الشرك الأكبر، والعياذ بالله.

والحق أن لا يعمم القول بأن كلّ خوفٍ إذا كان من غير الله فليس بعبادة، وكلّ خوفٍ إذا كان من الله فهو عبادة.

بل الحق أن يقال في فرق الخوف بين ما يجوز وما لا يجوز من غير الله:

إن الخوف الطبيعي والجبلّي ليس بعبادة أصلا، وهو الذي يجوز أن يخاف الرجل هذا الخوف من غير الله، إذا كان له سبب مؤثر كما ورد عن موسى عليه السلام: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (2).

(1) تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ٣٨٨-٣٨٩.

(2) سورة القصص(٢١).

وأما خوف السر إنما هو عبادة في كل حال ولا يجوز أن يخاف الرجل خوف السرّ من غير الله في حال من الأحوال، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١).وقال تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾(٢).

ومن خاف هذا الخوف من غير الله فقد أشرك مع الله غيره شركا محبطا للأعمال الصالحة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٣).

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو الخوف في مجال الدعوة.

إن ما يخافه الناس من الناس في الدعوة والإرشاد، أنه حرام، وهو من أنواع الشرك الأصغر الذي ينافي كمال التوحيد، قال الله تعالى في وصف المؤمنين الدعاة والمجاهدين حقاً: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ (٤).

وإن كان حجتهم في ذلك، أهم لا يريدون الاختلاف والشقاق بين صفوف المسلمين، فحجتهم هذه داحضة؛ لأن كلمة التوحيد والدعوة إليها، بها يجتمع المسلمون، وهي حبل الله الذي أمرنا أن نعتصم به، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٥).

وأما الذين يدَّعون اجتماع كلمة الناس على غير التوحيد، فلن ينقذهم من شفا حفرة من النار، ولن يصبحوا إخوانا، ولن يُؤَلّف بين قلوبهم ويكون اجتماعهم اجتماع المصالح الدنيوية التي تتنافى مع المصالح الدينية والأخروية.

---

(١) سورة آل عمران(١٧٥).

(٢) سورة البقرة(٤٠).

(٣) سورة الزمر(٦٥)

(٤) سورة المائدة(٥٤).

(٥) سورة آل عمران(١٠٣).

«فالذين يحاولون جمع الناس مع فساد العقيدة، واختلاف المنهج، يحاولون محالاً؛ لأن الجمع بين الضدين من المحال.

فلا يُؤَلِّف القلوب ويَجمعُ الكلمة، سوى كلمة التوحيد إذا عُرِف معناها، وعمل بمقتضاها ظاهرا وباطنا، لا مجرد النطق بها مع مخالفة ما تدل عليه، فإنها حينئذٍ لا تنفع»[1].

(١) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة للشيخ الفوزان ص:٢١١-٢١٢.

الفصل الثالث

الانحرافات المتعلقة بالرجاء، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الرجاء، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالرجاء.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى الرجاء، وأنواعه.

الرجاء من أركان العبادة كالخوف والمحبة، ولا بد أن نعرف معناه وأنواعه وما يجوز أن يرجى فيها المخلوق، وما يستحقه الله من هذه الأنواع، ولا يجوز أن يرجى من غير الله ﷻ؛ فنكون على بصيرة في أركان حق الله على العبيد، فلا نصرفه لغير مستحقه، وسنبيّن ذلك إن شاء الله تعالى في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرجاء لغة.

أصل الكلمة: الراء والجيم والحرف المعتل (الواو) أصلان متباينان: يدل أحدهما على الأمل ويدل ثانيهما على ناحية الشيء[1]. .

تصريف الكلمة: رجا يرجو رجواً، ورجاءً، ورَجاوة، ومَرْجاةً، ورجاةً، وهمزته منقلبة من الواو بدليل ظهورها في رجاوةً[2].

معنى الكلمة لغة: الرجاء (بالمد): التوقع والأمل يقال رجوت الأمر أَرْجُوهُ رَجاءً، ومنه قول الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [3].

والرجا(بالقصر): ناحية كل شيء، وخص البعض الناحية من البئر، وكلُّ ناحيةٍ رَجاً، والتثنية منها رَجَوَانِ والجمع أرجاء[4]، ومنه قوله تعالى:﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴾ [5].

وأما الإرجاء (المهموز) فإنه يدل على التأخير ومنه قول الله ﷻ: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ [6]. ومنه سميت المرجئة[7].

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٤٤٥، لسان العرب لابن منظور٤/٩٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور٤/٩٢.

(٣) سورة نوح(١٣).

(٤) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٤٤٥، لسان العرب لابن منظور٤/٩٣.

(٥) سورة الحاقة(١٧).

(٦) سورة الأحزاب(٥١).

(٧) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٤٤٥.مجمل اللغة لابن فارس١/٤٢٣.لسان العرب لابن منظور ٤/٩٣.

وقد جاءت مادة الرجاء في القرآن الكريم على عدة معان منها[١]:

١- بمعنى الخوف، قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [٢] والرجاء لا يكون بمعنى الخوف إلا إذا سبقه نفي[٣].

٢- بمعنى الطمع، قال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [٤].

٣- توقع الثواب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [٥].

المطلب الثاني: الرجاء شرعا

لقد عرف العلماء الرجاء شرعا بعدة تعريفات منها:

١- الثقة بجود الرب ﷻ [٦].

٢- الطمع فيما يمكن حصوله، ويرادفه الأمل[٧].

٣- ظنٌ يقتضي حصول ما فيه مسرة[٨].

٤- حادٍ يحدو[٩] القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويُطَيِّبُ السفر إليها[١٠].

٥- تأميل الخير، وقرب وقوعه[١١].

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي٣/٥٠.

(٢) سورة نوح(١).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري١١/١٨٢.

(٤) سورة الإسراء(٥٧).

(٥) سورة فاطر(٢٩).

(٦) مدارج السالكين لابن القيم٢/٣٦.

(٧) الكليات للكفوي ص: ٤٦٨.

(٨) المفردات للراغب ص: ١٩٥، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي٣/٤٦.

(٩) **حاد: اسم فاعل من الحَدْو** وهو سَوْق الإبل والغناء لها.لسان العرب لابن منظور٢/٣٦٣ والمعنى سائق يسوق القلوب.

(١٠) مدارج السالكين لابن القيم٢/٣٦.

(١١) فيض القدير للمناوي٤/٤٩٠.

٦- توقع الخير من الله للعلم بأنه بيده، ولا مالك له غيره[١].

وهذه التعريفات كلها متقاربة المعنى، وتصدق على الرجاء، فهو تعلق القلب بحصول رحمة الله وفضله، وعدم اليأس والقنوط، ويشاركه التمني في هذا، ولكن الفرق بينهما، أن التمني يكون مع الكسل والخمول، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد[٢].

والتمني مذموم، ومن صفات المغرورين، وهو توقع الخير من دون أخذ بأسبابه، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٣].

والرجاء: هو توقع الخير مع الأخذ بأسبابه الداخلة تحت اختيار المكلف.

«فالعبد إذا بثّ بذر الإيمان، وسقاه ماء الطاعات، وطهّر القلب من شَوْك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره لذلك محمودا باعثا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت.

وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات، أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق، وانهمك في طلب لذات الدنيا، ثم انتظر المغفرة، كان ذلك حمقا وغرورا. قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾[٤] وذمَّ القائلَ: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[٥]» اهـ[٦].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٥١٨/١.

(٢) فيض القدير للمناوي ٤٩٠/٤، مدارج السالكين لابن القيم ٣٧/٢.

(٣) سورة الحديد(١٣-١٤).

(٤) سورة الأعراف(١٦٩).

(٥) سورة الكهف(٣٦).

(٦) مختصر منهاج القاصدين لأحمد ابن قدامة المقدسي ص: ٣٢٣.

والرغبة تؤدي معنى الرجاء.

وهي **لغة**: الإرادة(١)، **وشرعا**: سفر القلب في طلب المرغوب فيه(٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: «والفرق بين الرغبة والرجاء، أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا شيئا طلبه»(٣).

المطلب الثالث: أنواع الرجاء.

يمكن تقسيم الرجاء إلى قسمين:

الأول: رجاء متعلق بالأغراض الظاهرة وأسبابها الجلية وهو يسمى بالرجاء الظاهري، أو ما تحت الأسباب.

الثاني: رجاء متعلق بالأمور الباطنة وأسبابها الخفية، وهو يسمى برجاء العبادة أو الرجاء السري.

فالأول: هو أن يرجو الرجلُ في حاجاته العادية أحداً فيما يقدر عليه، فلا يعد هذا الرجاء من أقسام العبادة.

مثال ذلك: أن يتوجه مريض إلى طبيب حاذق في ذلك المرض؛ فيرجو الشفاء على يده ومعالجته، أو أن يتوجه فقير وذو الحاجة المالية، في مساعدته إلى رجل غني مشهور بالسخاء، فيرجو أن يسدد عنه ديونه أو يساعده فيها؛ فحكم هذا الرجاء كحكم الخوف الطبيعي، فلا يأثم بهذا الرجاء؛ لأنه لم يصرف شيئا من العبادة لغير الله.

ولكنه يجب أن يكون الراجي على اعتقاد أن هذا مجرد الأخذ بالأسباب الجائزة، وإن استغنى الفقير عن المخلوق، وتوكّل على الله وسأله الفرج، واصطبر اعتمادا على خالق الأسباب، فهو الأفضل، بشرط أن يكون الاعتماد على الله قويا، وأن لا يخاف عليه الفتنة.

والثاني: وهو أن يرجو الرجلُ في حاجاته أحداً لا يقدر عليها، لكونه ميتا، أو غائبا أو لكون الشيء مما لا يقدر عليه إلا الله؛ كإعطاء الولد، أو إنزال المطر أو النجاة من عدو،

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس١/٣٨٨، مختار الصحاح للرازي ص: ١٠٥.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم١/٥٥٠

(٣) مدارج السالكين لابن القيم٢/٥٨.

أو من خطرٍ داهمٍ، أو الحاجات الأخروية كالتثبيت عند المسألة، أو الشفاعة في الخروج من المأزق، أوفي دخول الجنة والنجاة من النار، فهو رجاء العبادة، ويسمى **بالرجاء السري والباطني**.

فلو توجه في هذه إلى مخلوق يرجوها منه -وإن كان ملكا مقربا، أو نبيا مرسلا، أو رجلا صالحا حيا أو ميّتا، حاضرًا أو غائباً- فإنه يكون قد صَرف له عبادةً، وجعله لله نداً بصرفه له هذه العبادة.

وقسم بعض العلماء الرجاء باعتبار الشيء المُرْجو إلى أربعة أقسام:

١- رجاء الظفر بالمطلوب والوصول إلى المحبوب.

٢- رجاء دوامه بعد ما قد حصل.

٣- رجاء دفع المكروه وصرفه لئلا يقع.

٤- رجاء الدفع والإماطة لما قد وقع[1].

وقَسّم البعضُ الرجاءَ باعتبار الراجي وعمله، إلى ثلاثة أقسام: نوعان محمودان: ونوع مذموم وهو الغرور.

«**فالأولان**: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله؛ فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنبا، ثم تاب منها؛ فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل؛ فهذا هو الغرور والتمني، والرجاء الكاذب»[2].

إن الرجاء عبادة قلبية، بل من أركان العبادة، وعندما نستعرض نصوص الرجاء نجد أنه إذا لم يجتمع فيه ثلاثة أمور، لم يكن رجاء بل كان تمنياً مذموماً، وهي:

١- أن يقترن الرجاء بالعمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/٥١٧.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٣٧، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ٣/٤٨.

(٣) سورة البقرة (٢١٨).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(1).

٢- أن يكون هذا العمل مما هو سبب في نيل المرجو، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فعدم الفساد، ودعاء الرب ﷻ خوفا وطمعا، يجعل المحسنَ قريبا من رحمته، لا فقط مجرد التمني. وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(3). وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(4). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(5). فكل ما ذكر في الآيات السابقة إنما هو من أسباب نيل المرجو وهو رضا الله وثوابه.

٣- أن يجمع الراجي بين الخوف والرجاء، كما نرى في الآيات السابقة، وقول الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

---

(١) سورة الكهف(١١٠).

(٢) سورة الأنبياء(٩٠).

(٣) سورة السجدة(١٦).

(٤) سورة آل عمران(١٣٥-١٣٦).

(٥) سورة النساء (١١٠).

رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (1).وقول الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ ﴾ (2).

فباجتماع هذه الأمور الثلاثة يكون الرجاء محمودا، ويعد من أفضل العبادات، وإذا لم تتوفر فيه الأمور الثلاثة كان تمنيا مذموما لا رجاء ممدوحا.

«فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى، وشرْعُه وقدرتُه، وثوابه وكرامته» (3).

---

(1) سورة الإسراء (٥٧).

(2) سورة الزمر (٩).

(3) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي٢/٤٤٩، الجواب الكافي ص: ٣٨-٣٩.

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالرجاء

إن الرجاء المتعلق بالأمور الباطنة وأسبابها الخفية، عبادةٌ قلبية، لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ، وهو أحد أركان العبادة التي لا تتم إلا به كما تقدم في بيان العبادة وأركانها.

لكن انحرف بعض الناس في إقليم سرحد في هذا المجال عن الصراط المستقيم، فيرجون بعض المخلوقين في قضاء حاجاتهم الدنيوية، بل وفي نيل السعادة الأخروية؛ فيستغيثون بهم في حوائجهم الدنيوية والأخروية نتيجة لما يَرجُونه منهم.

ومن الانحرافات المتعلقة بالرجاء:

الانحراف الأول: التمني والغرور دون العمل الصالح.

إن بعض الناس في إقليم سرحد يتمنون على الله الأماني، وغرّهم بالله الغرور، ولا يعملون لطلب ما يَرجُونه، ثم يستدلون لتمنياتهم بأدلة الرجاء، ويقولون: إن القلب صافٍ، والأعمال بالنيات[1]، ونرجو رحمة الله، ورحمته غلبت غضبه[2].

الانحراف الثاني: الرجاء السري من دون الله.

بعض الناس في إقليم سرحد يرجون من غير الله تعالى ما لا يقدر عليه إلا الله، وقد أغراهم بذلك أقوال وأفعال بعض المنتسبين إلى العلم، التي تحثهم وتعلق قلوبهم في قضاء الحوائج بغير الله، ويصعب جمع تلك الأقوال والحكايات والمرويات، لكن للدلالة على ما يريدونه سنذكر هنا جملة منها:

---

(١) يشيرون إلى حديث: «إنما الأعمال بالنيات...» في صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي...١/١٢(ح١)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجهاد باب قوله ﷺ: أنما الأعمال بالنية١٣/٥٥(ح٤٩٠٤).

(٢) لعلهم يشيرون إلى حديث في صحيح مسلم: «لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه على نفسه، فهو موضوع عنده: إن رحمتي تغلب غضبي».ينظر: صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله، وأنها سبقت غضبه١٧/٧١(ح٦٩٠٥).

أولا: يروون أقوالا مثل: «إن الله يعطي لأرواحهم[أي الشهداء]قوة الأجياد؛ فيذهبون من الأرض إلى السماء والجنة حيث يشاءون، وينصرون أولياءهم ويدمرون أعداءهم...»[1].

وأحيانا يعممون القول في جميع الأولياء؛ فيقولون: وقد تواتر في كثير من الأولياء أنهم ينصرون أولياءهم ويدمرون أعداءهم[2].

ثانيا: ينقل بعضهم في جواز الاستمداد من الأموات والجن وغيرهم روايات ضعيفة، بل وموضوعة مثل رواية: «**إذا تحيّرتم في الأمور، أو أعيتكم الأمور فاستعينوا من أصحاب القبور، أو فعليكم بأصحاب القبور**»[3].

وكالقول المنسوب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني: «من استغاث بي في كربة كُشِفَتْ عنه، ومن ناداني باسمي في شدة فُرِجَتْ...»[4].

وكقول الرافضة في العمل السابع من الأعمال العامة في شهر رجب: «زُرْ أيَّ المشاهد كنت بحضرتها في رجب تقول: الحمد لله الذي أشهدنا مشهد أولياءه في رجب ...أنا أسألكم وآملكم، فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض، فبكم يجبر المهيض[5] ويشفى المريض، وما تزداد الأرحام وما تغيض....»[6].

---

(١) الدر النظيم لنادرشاه ص: ٤٧، وزيارة القبور لبادشاه گل ص:٢٠.

(٢) الدر النظيم لنادرشاه ص: ٤٧ محيلا إلى الصاوي١/٦٤، البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:١٦، تسهيل البصائر لكفاية الله الداجوي ص: ٢٨.وتفسير المظهري١/١٧٠.

(٣) نقله الداجوي في البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر ص: ٤٩ وقال: قيل ليس بحديث كما توهم، إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أصحاب القبور أي النفوس الفاضلة، فعلم أن المفسر[الألوسي]إنما ذكر الرد على كونه حديثا، لا على نفس مضمونه، وإلا لما ذكره في مقام التأييد.ولكن نقله هذا معارِضٌ لما ينقله في ص:٤٤ عن المفسر الألوسي -رحمه الله- حيث صرح بعد هذا الكلام بقوله: «وكل ذلك بعيد عن الحق» روح المعاني له٦/١٨٣عند تفسير الآية(٣٥) من سورة المائدة. فلا يصح دعواه أن المفسر لم يردّ على نفس المضمون.

(٤) الوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٤٤،«دخدائے نيازبين» لفقير محمد عباس قادريه ص: ٥٧.

(٥) **المهيض**: المنكسر من العظم بعد أن جُبِر، أو بعد أن تكاد تجبر.لسان العرب لابن منظور٩/١٨١.

(٦) مفاتيح الجنان للقمي ص: ١٨٥.

ثالثا: يروُون في ذلك أبياتا من الشعر منسوبة إلى بعض العلماء، فيها نداء كشف الضر أو رجاء رحمة من غير الله مثل:

قول البعض في النبي ﷺ:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم**[1]

وكذا قول من يبين رجاءه من النبي ﷺ:

پڑاہوں بےطرح گرداب غم میں ناخداکر***میری کشتی کنارےپر لگاؤ یارسول اللہ ﷺ
جهاز أمت کا حق نے کردیاہے آپ کےہاتوں***بس أب چاہو ڈباؤ یا تراؤ یا ر سول اللہ ﷺ

المعنى: إن سفينة حياتي أجريتها في البحر، إلا أن الطوفان والريح العاصف أحاط بها فأخرج سفينتي إلى الساحل يا رسول الله ﷺ !! وأنت لوحدك وُكّلت من جهة الحق ﷻ ملاّحا لسفينة هذه الأمة يا رسول الله ﷺ !!، أغرقها أو أنقذها، افعل ما تراه يا رسول الله ﷺ !! [2].

وكذا قول:« اے رسول کبریا فریاد ہے*** اے محمد مصطفی فریاد ہے
سخت مشکل میں پھنساہوں آج کل*** اے میرے مشکل کشا فریاد ہے
مدد کر اےکرم احمدي که تیرےسوا *** نهیں ہےقاسم بےکس کا کوئي حامئ کار»[3]

معناها: يارسول الكبرياء إليك أشكو*** يا محمد المجتبى إليك أشكو
لقد حفّت بي المشاكل هذه الأيام*** يا منجلي المشاكل إليك أشكو
أمدني يا كرم الأحمدي ﷺ؛ لأنه *** ليس للقاسم المنفرد المبتور أيُّ محامٍ .

وكقول البعض:مشو بمرگ ز إمداد أهل دل نوميد* كه خواب مردم آگاه عين بيداريست**

المعنى: [لا تيأس من مدد أهل القلوب بموهم، لأن نوم العارفين إنما هو عين اليقظة]

---

(١) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص:٧٦٢ والبيت من قصيدة البردة للبوصيري. ينظر: القصيدة ضمن دلائل الخيرات ص: ٢٦١، وكان بعض كبار صوفية بإقليم سرحد بباكستان يوصي بقراءة قصيدة البردة، وأن يجعل مريديه وردا لهم. ينظر: أنوار الإيمان لمطيع الله ص: ٦٧٤.

(٢) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٧٦٣ والوسيلة لسيد همايون ص: ٥٤ كلاهما أحالا إلى حاجي إمداد الله المهاجر المكي الديوبندي «كليات إمدادية» ص:٤ .

(٣) الوسيلة لسيد همايون ص٥٤، أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٧٦٣ كلاهما ينقلان عن كتاب «قصائد قاسم النانوتوي الديوبندي» ص: ٨.

ثم يقول: والشيطان الرجيم غفل عن هذا فنكل عن قبول الحق الصريح، ومثله من ينكر الأولياء وزيارة قبورهم، والاستمداد منهم[١].

وكذا قول بعض الرافضة عند زيارة الأضرحة والمشاهد:

ها عبدك واقف ذليل * بالباب يمدّ كف سائل**

قد عزّ عليَّ حالي * ما يَفْعَلُ ما فعلتُ عاقل**

يا أكرم من رجاه راجٍ * عن بابك لا يُرَدُّ سائل**[٢].

رابعا: يروي البعض قصصا كاذبة في أن الأولياء ينصرون من يناديهم في الكُرُوبات و النوازل، وهي أكثر من أن تذكر في مثل هذا المقام لأن بعضهم أفردوا فيها مؤلفات مستقلة أو أبوابا من مؤلفاتهم، ومن أمثلة هذه القصص الكاذبة التي تجعل العوام يرجون من الأولياء والمشايخ، ما لا يقدر عليه إلا الله:

١- روي أن رجلا حضر في خدمة الغوث الأعظم[٣]، وقال: إن زوجتي تصرع من المسّ، وقد حاولت معالجتها، ورقيتها كثيرا، وجميع ذلك لم تنفع، فقال له الشيخ: إذا جاء عليها تلك الحالة، فقل في أذن زوجتك: يا حانس إن الشيخ عبد القادر مقيم في بغداد، إن لم تذهب يهلكك! يقول الراوي ففعلت كما قيل لي، فلم يأت على زوجتي الصرع والمس أبداً، (والآن أيضا يمكن استعمال

---

(١) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٦٠ محيلا إلى روح البيان ص٩٠.

(٢) مفاتيح الجنان لعباس القمي ص: ٣٧٦.

(٣) هذا اللقب يطلقونه على الشيخ عبد القادر الجيلاني اعتقادا منهم، أن الشيخ هو أكبر من يغيث الناس في الشدائد والمكاره، ومنهم من يلقبونه بغوث الثقلين، اعتقادا منهم أنه يغيث الجن والإنس في المشاكل والكروبات. ينظر هذا المعنى والمعتقد في كتاب: ((دخداى نيازيين)) لفقير محمد عباس قادرية ص: ٣٣، ٣٤، ٥٧.وقال د.شمس الدين الأفغاني -رحمه الله- تعتقد فيه عامة القبورية، ولاسيما الديوبندية والبريلوية: أنه الغوث الأعظم، وغوث الثقلين، والغوث، وغوث الأقطاب، وغيث الكونين، والقطب الرباني، وينظر: جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني٢/٧٢٧وما بعدها.

هذه الوَصْفة بطريقة الرقية، لهذا المرض ويقول تلك الألفاظ كما هي -من دون التغيير-)[1].

٢- رُوِيَ أن الغوث الأعظم -رحمه الله- قال: زلّ قدم الحسين بن منصور الحلاج[2]، ولم يكن في تلك الأزمان من يأخذ بيده، ولو كنت آنذك لنصرته وقمت بمدده، ومن يزلّ من مريديَّ أدنى زلةً، فأقوم بأخذ يده ومدده. وهذه بشارة عظيمة لمريدي الشيخ -الحمد لله- ومن يكون شيخه ومرشده الغوث الأعظم، وإمامه الإمام الأعظم أبوحنيفة، ورسوله خاتم النبيين محمد رسول الله ﷺ، فطوبى له وما أكبر حظه، وما أسعده، حيث ينسب إلى هذه العتبة ويريدها، والشكر لله أنا فقير منسوب إلى هذه العتبة، وشرف خدمتها حاصل لي، وأنا من مريدي الشيخ...[3]

خامسا: من الناس من يقيس الرجاء السري والباطني على الرجاء في الأمور العادية التي تحت استطاعة بعض الناس، فيقول: فكما نحن لا نرد طلب الوجهاء عندنا إجلالا لهم واحتراما لمنـزلتهم الرفيعة عندنا؛ كذلك هو تعالى لا يرد طلب الوجيه عنده إلا لحكمة هو يعلمها، وإن اختلف المقتضى للإجابة عندنا وعنده تعالى[4].

---

(١) ((دخدائے نيازيين)) لفقير محمد عباس قادرية ص: ٥٩. وبين القوسين كلام فقير محمد عباس قادرية مؤلف الكتاب.

(٢) **الحلاج:** هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج أبو مغيث، ويقال أبو عبد الله كان جده مجوسيا اسمه محمي من أهل فارس من بلدة يقال لها البيضاء، ونشأ بواسط، والصوفية مختلفون فيه فأكثرهم نفى أن يكون الحلاج منهم وأَبَى أن يُعَدَّ فيهم، وقَبِلَه بعض متقدميهم، دخل على الحلاج الحلول والاتحاد فصار من أهل الانحلال والانحراف، واتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته، وأجمعوا على قتله، وفي السنة التاسعة وثلاثمائة كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج بأمر الوزير حامد بن العباس في زمن المقتدر. ولابن كثير -رحمه الله- كلام جميل فيه. ينظر: البداية والنهاية له١١/١٣٢، تاريخ بغداد٨/١٣٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/١٦٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٣١٣، وفيات الأعيان لابن خلكان٢/١٤٠.

(٣) يقول هذا الكلام فقير محمد عباس قادرية في كتابه((دخدائے نيازيين)) ص: ٥١.

(٤) غوث العباد للحمامي الملحق بالبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٧٠.

وقول: «من يستمد منه في حياته يستمد منه بعد وفاته قال أحد المشائخ: رأيت أربعة من المشائخ يتصرفون في القبور كما كانوا يتصرفون في حياتهم أو أقوى من ذلك، قال قوم: إمداد الحي أقوى من الأموات، وأقول: إمداد الميت أقوى، وللأولياء تصرف في هذه الأكوان، وهذا ليس إلا لأرواحهم، والأرواح باقية» [1].

هذه جملة من النقولات الكثيرة التي تشجع العوام والخواص على الرجاء من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا غيض من فيض، من الجهود التي يبذلها بعض المنحرفين في تضليل العوام، بل والخواص، وأن يتعلقوا بغير الله، وأن يرجوا منه ما لا يرجى إلا من الله ﷻ، وسيكون الكلام عن جملة منها في مبحث الاستغاثة والاستعانة إن شاء الله؛ لأن من كان يرجو أحداً يطلب الاستعانة منه ويستغيث به.

---

(١) الوسيلة لسيد همايون ص: ٥٩-٦٠.محيلا إلى أشعة اللمعات لعبد الحق الديوبندي باب زيارة القبور

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالرجاء

إن الرجاء من أفضل العبادات القلبية، بل هو أحد أركانها الثلاثة[1]، فلا يجوز صرف الرجاء المتضمن للذل والخضوع لغير الله ﷻ، وقد دلت النصوص الشرعية على أنه لابـد للرجاء أن يرافقه العمل الصالح.

لكن قد انحرف بعض الناس في هذا المجال، فيتمَنَّوْن الثواب والأجر من دون عمـلٍ موافقٍ للشرع **كما في الانحراف الأول**، وعملهم هذا مخالف للشرع والعرف:

أما الشرع: فقد قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾[2].أي ((من كان يطمع في أن يرى الله عيانا يوم القيامة؛ فليعمل عملا صالحاً. يأتي بالسبب الذي يؤهله لحصول هذا المطلوب، وهو الثواب بدخول الجنة، والنجاة من النار، والنظر إلى وجه الله، لأن هذا متلازم، لأن من دخل الجنة يرى الله ﷻ ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾[3] هذا يدل على أن الرجاء وحده لا يكفي لا بد من العمل))[4].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[5]. فالذين يؤمنون بالله حق الإيمان، ويهـاجرون فـرارا بدينهم، ويجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمته، أولئك هم الصادقون في دعوى رجـاءهم رحمة الله؛ لأنهم جاءوا بعمل صالح وبسببه ينالون ما يرجونه.

---

(١) وقد تقدم التفصيل في ذلك عند الكلام عن العبادة وأركانها راجع التمهيد ص: ٥٥.

(٢) سورة الكهف(١١٠).

(٣) سورة الكهف(١١٠).

(٤) شرح الأصول الثلاثة للفوزان ص: ١٣٦-١٣٧.

(٥) سورة البقرة(٢١٨).

قال الزركشي[1] -رحمه الله-: إن قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[2] أبلغ في التهديد مما لو قال: ذو عقوبة شديدة؛ لأنه إنما قال ذلك نفياً للاغترار بسبب رحمة الله في الاجتراء على المعصية فالمعنى لا تغتروا بسعة رحمة الله؛ فإنه مع ذلك لا يُرَدُّ عذابه[3] أي عن القوم المجرمين.

وقال النبي ﷺ «من خاف أدلج[4]، ومن أدلج بلغ المنـزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» [5].

وكل راجٍ خائف[الفوات]، والسائر على الطريق إذا خاف، أسرع السير مخافة الفوات[6].

---

(١) **الزركشي**: هو بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، الشافعي، ولد سنة٦٤٥هـ، وألّف تصانيف كثيرة في عدة فنون، وهو عالم في الحديث، والتفسير وجميع العلوم، ومن مصنفاته شرح البخاري، والتنقيح على البخاري، والبرهان، وكانت وفاته في سنة ٧٩٤هـ.ينظر: طبقات المفسرين للأدنَوي ص: ٣٠٢برقم(٣٨٣).الأعلام للزركلي٦/٦٠، ومعجم المؤلفين لكحالة٣/١٧٤.

(٢) سورة الأنعام(١٤٧).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي٤/٦٦.

(٤) الإدلاج: السير من أول الليل، يقال: أَدْلَجَ -بالتخفيف- القومُ إذا ساروا من أول الليل والاسم الدَّلَجْ -بالتحريك-. لسان العرب لابن منظور٣/٣٩٢.والمراد: التشمير في أول الأمر، فإن من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنـزل.ينظر: جامع الأصول لابن الأثير٤/٩.

(٥) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة باب منه ص: ٥٥٢(ح٢٤٥٠).قال محمد أحمد لوح في الهامش على كتابه تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي٢/١٩٧: «وضعّف إسناد هذا الحديث عبد القادر الأرناؤوط -رحمه الله- بيزيد بن سنان وبكير بن فيروز حيث لم يوثقه غير ابن حبان.انظر: «تخريج جامع الأصول(٤/٩) الهامش. قال محمد أحمد لوح: **قلت**: وفيه قصور، فإن له شاهدا عن أُبيّ بن كعب عند أبي نعيم «الحلية» (٨/٣٧٧)، والحاكم من وجه آخر ليس فيه واحد منهما، لكن فيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو صدوق. «التقريب» (رقم٣٥٩٢)، فالحديث لا ينـزل عن درجة الحسن»اهـ. وقال الألباني: فالحديث بهذا الشاهد صحيح. ينظر: السلسلة الصحيحة له ٢/٦٣٧برقم٩٥٤،٥/٤٤٢برقم٢٣٣٥.فالحديث مقبول يصح الاستدلال به.

(٦) الجواب الكافي لابن القيم ص: ٣٩.

أما العرف: «لو أن رجلا له أرض، ويؤمل أن يعود من مَغَلِّها ما ينفعه، فأهملها و لم يَحْرُثْها و لم يَبذُرْها، ورجا أنه يأتي من مَغَلِّهَا مثل ما يأتي من حَرَثَ وزَرَعَ وتعاهد الأرضَ؛ لعدّه الناس من أسفه السفهاء.

وكذا لو رجا وحسن ظنه وقوي رجاؤه أن يجيئه ولدٌ من غير جماع! أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب للعلم وحرص تام عليه وأمثال ذلك.

فكذلك من حسن ظنه، وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة، ولا تقرب إلى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه»[1].

فـ«العبد إذا بثّ بذر الإيمان، وسقاه ماء الطاعات، وطهّر القلب من شَوْك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره لذلك محمودا باعثا على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت.

وإن قطع بذر الإيمان عن تعهده بماء الطاعات، أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق، وانْهَمَكَ في طلب لذّات الدنيا، ثم انتظر المغفرة، كان ذلك حمقا وغرورا»[2].

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الرجاء السري من دون الله.

لا يجوز الرجاء من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وحده، لأن من رجا مخلوقا أو تعلق به؛ انصرف قلبه عن العبودية لله، وصار عبدا لغيره بقدر ما قام في قلبه من التعلق والرجاء؛ فذلّ لغير الله وخضع له؛ فهو أشرك مع الله غيره والله لا يغفر الشرك إلا بالتوبة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي٢/٤٤٩، والجواب الكافي ص:٣٨-٣٩.

(٢) مختصر منهاج القاصدين لأحمد ابن قدامة المقدسي ص: ٣٢٣.

(٣) سورة النساء(٤٨).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (١)

فالرجاء من عبودية القلب التي لا تصلح إلا لله تعالى.

«وعلى المسلم الناصح لنفسه أن يقوي رجاءه في الله، وأن كل ما يرجوه الإنسان في حياته الدنيا والأخرى، إنما هو بيد الله ولا يمكن أن يتحقق إلا بإذنه تعالى وقضائه وقدره.

والولي أو الرجل الصالح مهما علا مقامه عند الناس فهو عبد ذليل لله لم يصل إلى مقامه في الولاية –إن صحت ولايته– إلا بتحقيقه للعبودية الصادقة لله وبُعْدُه عن الإشراك به، وهو في حاجة دائمة مستمرة إلى الله مولاه كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾(٢).

فكل مخلوق محتاج إلى الله في كل شيء، والله لا يحتاج إلى أحد في شيء، ولا المخلوق يملك للمخلوق شيئا من النفع والضر إلا بإذن الله» (٣).

وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم الذي هو في أعلى منازل العبودية، ولم يصل أحد إلى الولاية، إلا من اقتدى بهديه واقتفى أثره ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (٦).

---

(١) سورة يونس(٧-٨).

(٢) سورة فاطر(١٥).

(٣) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح٢/١٩٩-٢٠٠.

(٤) سورة الأعراف (١٨٨).

(٥) سورة يونس (٤٩).

(٦) سورة الجن (٢١).

فهذا رسول الله ﷺ لا يملك في حياته لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، فكيف يملك لنفسه بعد وفاته، ثم هو ﷺ كيف يملك لغيره في حياته نفعا أو ضرّا، وأخيرا كيف يملك لغيره نفعا أو دفع ضرٍ بعد وفاته ﷺ.

والاعتقاد أنه ﷺ ينفع أو يضر في حياته في غير ما أقدره الله عليه من عمل البشر أو اعتقاد أنه يملك شيئا من ذلك بعد مماته، مخالف لما جاء به ﷺ من الدين القويم، بل هذا الاعتقاد كما هو مخالف لنص القرآن الكريم، مخالف لأقواله ﷺ الصريحة في هذا المجال حيث قال لأحب الناس إليه ﷺ: «**يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنْكَ من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ !لا أغني عنْكِ من الله شيئا، ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ ﷺ !سليني ما شئْتِ من مالي لا أغني عنْكِ من الله شيئا**»(1). فهذا حال رسول الله مع أحبته من قومه وأهل بيته، فكيف بحاله مع غير قومه وأهل بيته؟!.

وإذا كان الرسول ﷺ لا يستطيع أن ينفع أحدا أو يضره إلا بإذن الله فكيف ينفع غيره أحدا أو يضره من دون الله كلا وحاشا. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(3).

---

(1) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التفسير باب وأنذر عشيرتك الأقربين ٦٣٧/٨ (ح٤٧٧١). صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأيمان باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ٧٦/٣ (ح٥٠٣).

(2) سورة الأنعام (١٧).

(3) سورة يونس (١٠٦-١٠٧).

وقال تعالى: ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [1] ومن ضره أن سيلاقي جزاء إشراكه مع الله ﷻ.

فهذه الأدلة الصحيحة الصريحة، تدل دلالة واضحة على عدم جواز الرجاء من غير الله وأنه لا يستطيع أحد أن يضرّ أحداً أو ينفعه أو يحل مشاكله.

وأما ما ذكر من الروايات فرواية «**إذا أعيتكم الأمور...**»

قال الألوسي -رحمه الله-: وهو حديث مفترى على رسول الله بإجماع العارفين بحديثه، و لم يروه أحد من العلماء، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتبرة[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: « إنما هذا وضع من فتح باب الشرك» [3].

وما نُسِبَ إلى الجيلاني -رحمه الله- فلا يثبت عنه لعدم السند، ولا يقول به من هو أقل علما فضلا عن الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي قال: «طِرْ إلى الله ﷻ بجناحي الكتاب والسنة، وادخل يدك في يد الرسول ﷺ »[4] فكيف يقول للناس أن من استغاث بي في كربة كُشِفَتْ عنه، ومن ناداني باسمي في شدة فُرِجَتْ. ونص الكتاب ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

ولو ثبت لا يصح الاستدلال به لأنه مخالف لنص القرآن الكريم الصريح في عدم جواز ذلك، ولأن فيه استغاثة بغير الله، ونداء المخلوق الغائب باسمه في كشف الضر، وهو حرام بنص قول الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [6].

---

(١) سورة الحج(١٣).

(٢) روح المعاني للألوسي١٨٧/٤عند تفسير آية(٣٥) من سورة المائدة، وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية:٣٥٦/١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية٢٩٣/١١.

(٤) حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى ص: ٣٨٩ محيلا إلى الفتح الرباني للشيخ الجيلاني٢٩.

(٥) سورة الأنعام(١٧).

(٦) سورة النمل(٦٢).

والقياس أن من يستمد منه في حياته يستمد منه بعد وفاته، ففيه مساواة بين الأحياء والأموات، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ ﴾[1].

وهذا القياس باطل عقلا كذلك لأنه يجوز أن يطلب أحد قضاء الحاجة من الكافر الحي كالذمي، والخادم الكافر ونحو ذلك فيما يستطيع أن يقضيه كإحضار الطعام والماء للشرب والوضوء ونحوها- وثبت أن النبي ﷺ استعار سلاحا من صفوان بن أمية[2] في غزوة حنين وهو مشرك[3]، -ولا يجوز ذلك من الميت الكافر اتفاقا فكيف يصح القول: من يستمد منه في حياته يستمد منه بعد مماته «فمن سوى بين الحي والميت بقوله: يطلب من الميت ما يطلب من الحي، فقد سوى بين ما فرق الله والناس بينهما»[4] قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ ﴾[5].

وخلاصة الكلام:

١- الاعتقاد والقول: بأن الأولياء-أمواتا وأحياء-ينصرون أولياءهم ويدمرون أعداءهم، اعتقاد فاسد، وكلام باطل لا أساس له، بل هو مخالف لنص القرآن الكريم.

٢- ما يروُونه من الروايات في رجاء الخير أو الاستعانة من غير الله في الأمور الغيبية روايات ضعيفة، بل موضوعة ومخالفة للنصوص الصحيحة لا يصح الاستدلال بها ألبتة.

---

(١) سورة فاطر(٢٢).

(٢) **صفوان بن أمية:** هو أبو وهب صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي صحابي فصيح، كان من أشراف قريش في الجاهلية، أسلم بعد عزوة حنين وكان من المؤلفة القلوب ومات بمكة سنة٤١هـ. ينظر: الإصابة لابن حجر٢/٢٤٦(٤٠٦٨)، تهذيب التهذيب لابن حجر٤/٤٢٤رقم الترجمة(٣٠٣٨)، الأعلام للزركلي٣/٢٠٥.

(٣) الإصابة لابن حجر٢/٢٤٦ رقم(٤٠٦٨) في ترجمة صفوان بن أمية ترجمة.

(٤) دعاوى المناوئين...لعبد العزيز آل عبد اللطيف ص: ٢٧٥.

(٥) سورة فاطر(٢٢).

٣- ما نُسب من الأبيات والأشعار إلى بعض القائلين، إما لا يصح نسبتها إليهم -لمن عرف منهم الصلاح والإصلاح- ولو صح نسبتها إليهم؛ فالمعتقد لا يؤخذ من كلام الناس وأشعارهم بل يؤخذ من القرآن الكريم والسنة الصحيحة. ونقول في كل واحد منهم كما قال ابن القيم -رحمه الله-: «**الحق أحب إلينا منه، وكل من عدى المعصوم ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك...**»[١]. وكلامهم يُعرض على النصوص فإن وافقها أُخِذَ به، وإلا فمعلوم أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا عبرة للرأي بعد ورود النص[٢].

٤- القصص المروية في هذا الباب -الترغيب في الرجاء من المخلوق- قصص لا تثبت سندا، ولذا يروونها بصيغة التمريض، ولو صحت سندا لا يصح الاستدلال بها؛ لأنها مخالفة لنصوص القرآن والسنة المانعة من رجاء ونداء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٥- لا يصح قياس الرجاء السري على الرجاء في أمور الدنيا التي تحت قدرة الناس، وذلك لأن قياس هذا عليه، قياس مع الفارق فأمور الدنيا العادية في مقدور الناس والأمور الغير العادية ككشف الضر، وإعطاء الولد، والغنى والأمن من الخوف وغيرها من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله.

٦- قول من قال:« من يستمد في حياته يستمد بعد وفاته قياس مع الفارق، لأن الحي يستطيع أن يمد أحدا إن كان في مقدوره، والميت ليس في مقدوره شيء فكيف يمد غيره بعد مماته، وقد قال النبي ﷺ : «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعوا له**»[٣].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم٢/٣٨.

(٢) فتح المجيد لآل الشيخ ص: ٣٦٢، ٣٦٦.ومثل هذا تقدم في كلام العلماء في فصل المحبة ص: ١٨٩.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب١١/٨٦(ح٤١٩٩).

٧- التصرف في الكون إنما هو لله وحده لا شريك له، واعتقاد تصرف الأولياء في قبورهم، كلام لا يقرّه الشرع، ويرده قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (١).وغيره من دلائل توحيد الربوبية.

مسألة: تلازم المحبة والخوف والرجاء

إن أركان العبادة هي:المحبة والخوف والرجاء، وكل ركن من هذه الأركان مستلزم للآخر ولا بد من الجميع.

فعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، والرجاء يلازمه الخوف، فكل محبٍ راجٍ خائفٌ.

مثال ذلك أن «الخوف سوط يُضربُ به المَطِيَّةُ(٢) لئلا تخرج عن الطريق، والرجاء حادٍ يحدوها يطلب لها السير، والحُبُّ قائدها وزمامها الذي يسوقها، فإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصا تردها إذا حادت عن الطريق خَرَجَتْ عن الطريق وضَلّت عنها...» (٣).

والخوف بلا رجاء يأس وقنوط، والرجاء بلا خوف أمن من مكر الله، وكلاهما من كبائر الذنوب، لأن القنوط من رحمة الله سوء الظن بالله، ومن أمن مكر الله ساءت تصرفاته(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وإذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني، فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع إليها؛ فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه، والخائف يَفِرُّ من الخوف لينال المحبوبَ» (٥).

---

(١) سورة الأعراف(٥٤).

(٢) **المَطِيَّة**: الدابة مأخوذة من المَطْوِ أي المد وسميت الدابة مطية لأنه يركب مطاها أي ظهرها، وسمي الظهر المَطَا للامتداد الذي فيه.المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٩٨٨، لسان العرب لابن منظور٣١٤/٨مختار الصحاح للرازي ص: ٢٦١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية٢١/١٥، بدائع الفوائد لابن القيم٨٥٢/٣-٨٥٣.

(٤) أعمال القلوب للعتيبي٢٣٥/١.

(٥) التحفة العراقية لابن تيمية ص: ٧١.

وقال بعض السلف:من عَبَدَ الله بالحب وحده؛ فهو زنديق، ومن عَبَدَ الله بالرجاء وحده؛ فهو مرجئ، ومن عَبَدَه بالخوف وحده؛ فهو حروري (خارجي)، ومن عَبَدَه بالحب والخوف والرجاء؛ فهو مؤمن موحد(١).

فهو كما وصف الله بذلك خير عباده، حيث قال ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ (٢).

«فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف؛ فهذه طريقةُ عباده وأوليائه» (٣).

قال بعض العلماء: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا، استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما، وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت(٤).

فلا يغلب أحدهما على الآخر، فلا يأمن مكر الله؛ ولا يقنط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (٥)وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (٦).

وسئل النبي ﷺ عن الكبائر فقال: «**الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله**»(٧).

---

(١) العبودية لابن تيمية ص:٧٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية١٠/٨١، ٢٠٧،و ١٥/٢١، بدائع الفوائد لابن القيم٣/٨٥١، شرح العقيدة الطحاوية٢/٤٥٨، معارج القبول للحكمي١/٣٤٣، جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني١/٣٥٠، الإرشاد للشيخ صالح الفوزان ص: ٧٠.

(٢) سورة الإسراء(٥٧).

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم٣/٨٥١.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي٣/٢٤٥عند شرح حديث(٩٩٦)، مدارج السالكين لابن القيم٢/٣٧.

(٥) سورة الحجر(٥٦).

(٦) سورة يوسف(٨٧).

(٧) الدر المنثور للسيوطي٢/١٤٧، وقال الهيثمي: رواه البزّار، والطبراني، ورجاله موثقون. مجمع الزوائد له١/١٠٤(ح٣٩١).

قال ابن مسعود ﷺ: «**أكبر الكبائر الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله**»[(١)].

قال ابن القيم –رحمه الله– موضحا التلازم بين المحبة والرجاء والخوف: «القلب في سَيْرِه إلى الله ﷻ بمنـــزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان، فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان؛ فهو عرضة لكل صائد وكاسر»[(٢)].

وقال ابن رجب[(٣)] –رحمه الله–: «إن الله تعالى خلق الخلق، وأوجدهم لعبادته، الجامعة لخشيته، ورجائه، ومحبته...، وقد عُلِم أن العبادة إنما تنبني على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والمحبة، وكل منها فرض لازم والجمع بين الثلاثة حتم واجب؛ فلهذا كان السلف يذمون من تعبّد بواحد منها وأهمل الآخرَيْن، فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف، والإعراض عن المحبة والرجاء، وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف، وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن ينسب إلى التعبد نشأت من إفراد المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء»[(٤)].

---

(١) عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ٤٥٩ والطبراني في المعجم الكبير٩/١٧١(٨٧٨٣).وقـــال الهيثمـــي: إسناده صحيح.مجمع الزوائد له١/٢٩٤(ح٢٩٣).

(٢) مدارج السالكين١/٥٥٤.

(٣) **ابن رجب**: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي الدمشقي الحنبلـــي، ولد ببغداد سنة ٧٣٦هـــ محدث حافظ فقيه من آثاره جامع العلوم والحكم وغيره، وتـــوفي ســـنة ٧٩٥هـــ.ينظر الدرر الكامنة لابن حجر٢/٣٢١، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة٢/٧٤.

(٤) استنشاق نسيم الأنس لابن رجب ص: ٣-٤.

الفصل الرابع

الانحرافات المتعلقة بالتَّوَكُّل، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التَّوَكُّل، حقيقته، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالتَّوَكُّل.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

التَّوَكُل، حقيقته، وأنواعه.

التوكل على الرب ﷻ من أوجب الواجبات، وهو أعلى منازل التوحيد، ومَن حققه كان من المؤمنين الخواص، الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وبحسب قوته وضعفه يقوى إيمان العبد ويضعف، ولما كان له هذا الشأن فيجدر بنا أن نعرف حقيقته، وأنواعه، ونختصر الكلام في بيان ذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التَّوَكُل لغة.

أصل الكلمة: الواو والكاف واللام، أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك[1].

معنى الكلمة: معنى التَّوَكُّل يختلف باختلاف الحرف الذي يتعدَّى به:

فإذا تعدَّى بحرف (على)، فالمعنى الاعتماد يقال: توكلتُ عليه في أمري، بمعنى اعتمدتُ عليه[2]، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾ [3] أي اعتَمِدْ عليه.

وإذا تعدَّى بحرف (اللام) فالمعنى الولاية، والضمان، يقال: توكلت لفلان بمعنى توليت له[4].ومنه قول النبي ﷺ: «**من تَوَكَّلَ لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكَّلْتُ له بالجنة**»[5]،أي تكفلت وضمنت له بالجنة[6].

وإذا تعدَّى بحرف (الباء) فالمعنى الكفالة، والضمان أيضا، يقال: تَوَكَّل بالأمر إذا ضمن القيام به[7].

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:١١٠٢.

(٢) ينظر: المفردات للراغب ص: ٥٣١، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي٣/٣١٣.

(٣) سورة النساء (٨١).

(٤) ينظر: المفردات للراغب ص: ٥٣١، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي٣/٣١٣.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الحدود باب فضل من ترك الفواحش١٢/١٣٧(ح٦٨٠٧).

(٦) ينظر: تاج العروس للزبيدي٣١/٩٩.

(٧) النهاية لابن الأثير٢/٨٧٦، ولسان العرب لابن منظور٩/٣٩٢.

المطلب الثاني: حقيقة التَّوَكُل.

إن التَّوَكُل عمل من أعمال القلوب، وبيان حقيقة عمل من أعمال القلــوب أمــر يصعب ضبطه بحد واضح؛ ولذا عرف العلماء التَّوَكُل بتعريفات متعددة منها:

١- الثقة بالله والاعتماد عليه في الأمور[١].

٢- تفويض الأمر إلى الله جلّ ثناؤه والثقة به[٢].

٣- إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك[٣].

٤- صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطــي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[٤].

٥- القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبِّب[٥].

٦- الثقة بالله تعالى والاعتماد في الأمور عليه، وتفويض كل ذلــك إليــه، بعــد استفراغ الوسع في السعي فيما العبد بحاجة إليه من أمر دينه ودنياه على ما أُمر به من السعي فيه[٦].

وعند النظر في تعريفات العلماء -رحمهم الله- للتَّوَكُّل نجد:

منهم من اكتفى بأن التَّوَكُّل عمل قلبي، وهو الثقة بالله والاعتماد عليه وتفــويض الأمر له وهذا يكون بالقلب فقط، كما في التعريفات الأربعة الأولى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لأبي المظفر السمعاني٢/٣٩٩.

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي٣/٣٥٦.

(٣) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:١١٠٢، مجمل اللغة لابن فارس٢/٩٣٤، الكليات للكفــوي ص: ٩٤٧، مختار الصحاح للرازي ص: ٣٠٦.

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص: ٥١٦.

(٥) مدارج السالكين لابن القيم٣/٥٢٢.

(٦) ينظر: شرح ابن بطال للبخاري٩/٤٠٨.

ومنهم من زاد بيانا وصرح بأن الأخذ بالأسباب ومباشرتها لا ينافي التَّوَكُل، لدفع توهم يتوهم البعض أن التَّوَكُّل أن تترك الأسباب كليا؛ فصرحوا أن مباشرة الجوارح للأسباب لا تنافيه، كما في التعريفين الأخيرين.

قال ابن حجر -رحمه الله-: «فالتَّوَكُّل لا ينافي تعاطي الأسباب؛ لأن التَّوَكُّل من عمل القلب وهي من عمل البدن»(١)؛ لأن التَّوَكُّل يكون في القلب، وحركة الجوارح لا تتناقض معه، إذا تيقَّن الإنسان أن جميع الأمور مقدرة سابقا، فإن تيسر شيء فبتقدير الله، وإن تعسّر شيء ولم يحصل فبتقديره أيضا، وفي الحديث أن عمرو بن أمية الضمري(٢) ﷺ جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله! أُرْسِلُ ناقتي، وأتوكل؟ قال: «**أعقلها وتوكَّل**»(٣).

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: «التَّوَكُّل هو صدق الاعتماد على الله ﷻ في جلب المنافع ودفع المضار، مع فعل الأسباب التي أمر الله بها، وليس التَّوَكُّل أن تعتمد على الله بدون فعل الأسباب، فإن الاعتماد على الله بدون أسباب طعن في الله ﷻ، وفي حكمته تبارك وتعالى؛ لأن الله ربط المسببات بأسبابها.

وهنا سؤال: من أعظم الناس توكلا؟. **الجواب**: هو الرسول -عليه الصلاة والسلام-. **وهل** كان يعمل الأسباب التي يتقي بها الضرر؟.الجواب: نعم.كان إذا خرج

---

(١) فتح الباري لابن حجر كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله٦/١٠١رقم(٢٨٨٥).

(٢) **عمرو بن أمية الضمري**: هو أبو أمية عمر بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشزة الضمري من بني ضمرة بن بكر، أسلم حين انصرف المشركون من أحد، ومات في خلافة معاوية قبل سنة الستين.ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر٣/١١٦٢برقم(١٨٩٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر ٨/٦برقم(٦).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي٣/٤١٤رقم(١١٥٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد١٠/٢٩١، والسيوطي في الجامع الصغير١/١٨٠برقم(١١٩١) قال المناوي: وله شاهد وإسناده صحيح.فيض القدير للمناوي ٢/٨، وقال الألباني -رحمه الله-: **حسن**.ينظر صحيح جامع الصغير وزيادته للألباني١/٢٤٢برقم (١٠٦٨) وأخرجه الحاكم بلفظ «**بل قيدها وتوكل**» وقال الذهبي سنده جيد.المستدرك للحاكم٣/٦٢٣.

إلى الحرب يلبس الدروع ليَتَوقَّي السهامَ، وفي غزوة أحد ظاهر بين الدرعين[1] أي لبس درعين. كلّ ذلك استعدادا لما قد يحدث.

ففعل الأسباب لا ينافي التَّوَكُّل إذا اعتقد الإنسان أن هذه الأسباب مجرد أسباب فقط لا تأثير لها إلا بإذن الله» [2].

فحقيقة التَّوَكُّل هو اعتماد القلب على الله ﷻ والثقة التامة به، مع الأخذ بالأسباب المشروعة حسب المقتضى، ويُنظر إلى الأسباب أنها مجرد أسباب ولا يُعتمد عليها، بل الأمر كله بيد مسبب الأسباب الذي شرع هذه الأسباب، ولا تأثير لها إلا بإذن الله تعالى.

فالأخذ بالأسباب مشروع شرعا، كما أن الاعتماد والثقة بالله وتفويض الأمر إليه مأمور شرعا، والعمل بالنصوص جميعا حتم واجب.

ومن النصوص الآمرة بالتَّوَكُّل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [4].

ومن النصوص الآمرة بالأخذ بالأسباب قول الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [5].

---

(١) ورد في ذلك ثلاثة أحاديث **أحدها**: في سنن أبي داود كتاب الجهاد باب لبس الدروع رقم(٢٥٩٠)، وابن ماجة كتاب الجهاد باب السلاح برقم(٢٨٠٦) وقال الألباني: صحيح ينظر: صحيح سنن أبي داود له٢/١٢٠برقم (٢٥٩٠) وصحيح سنن ابن ماجه له٢/٣٩٥ برقم ٢٢٨٢. **والثاني**: في البيهقي في سننه الكبرى ٩/٤٦ ومستدرك للحاكم ٣/ ٢٥، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. **والثالث**: في مجمع الزوائد للهيثمي٦/١٠٨ وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) المجموع الثمين من فتاوى محمد بن صالح العثيمين١/٥٧ رقم الفتوى٣١.

(٣) سورة هود(١٢٣).

(٤) سورة الفرقان (٥٨).

(٥) سورة الجمعة (١٠).

وقوله تعالى: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾[2].

وقول النبي ﷺ لعمرو بن أمية ﷺ: ((**أعقلها وتوكل**))[3].

المطلب الثالث: أنواع التَّوَكُّل.

إن التَّوَكُّل وهو اعتماد القلب على الله والثقة به، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، والتوكل باعتبار المتوكلين وأعمالهم على ثلاثة أنواع نوعان مذمومان، ونوع ممدوح، وهذا كما قيل: إن الرجاءَ باعتبار الراجي وعمله، ينقسم إلى ثلاثة أقسام:نوعان محمودان: ونوع مذموم وهو الغرور[4]، كذلك نستطيع أن نقول: إن التَّوَكُّل ثلاثة أقسام: نوعان مذمومان ونوع ممدوح وهو التَّوَكُّل حقيقةً.

أما المذمومان: فهو ترك الأسباب كليا، أو الاعتماد عليها قويا.

وأما الممدوح: فهو الاعتماد على الله، والأخذ بالأسباب لا الاعتماد عليها.

وقد عدّ الشافعي -رحمه الله- المعتمد على غير الله متوكلا، حيث قال: ((نَـزَّهَ الله ﷻ نبيَّهُ ورفع قدره وعَلَّمَه وأدّبه، وقال: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾[5]وذلك أن الناس في أحوال شتى: متوكل على نفسه، أو على ماله، أو على زرعه، أو على السلطان، أو على عطية الناس، وكلٌ مستنِدٌ إلى حي يموت، أو على شيء يفني يوشك أن ينقطع به؛ فنـزّه الله نبيه ﷺ وأمره أن يتوكل على الحي الذي لا يموت))[6].

---

(١) سورة العنكبوت (١٧).

(٢) سورة البقرة (١٩٧).

(٣) تقدم تخريجه قريبا في ص: ٢٤١.

(٤) تقدم في أنواع الرجاء ضمن في كلام ابن القيم والفيروز آبادي -رحمهما الله- من مدارج السالكين لابن القيم٢/٣٧، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي٣/٤٨.

(٥) سورة الفرقان (٥٨).

(٦) أحكام القرآن للشافعي٢/١٨٠.

وكلام الشافعي -رحمه الله- هذا يبين لنا أن من الناس من يعتمد على الأسباب؛ فهو متوكل على الأسباب، كما يبين لنا أن من يترك الأخذ بالأسباب كليا فهو متوكل على عطيات الناس؛ وكل هذا مذموم شرعا كما سيأتي في المبحث الثالث عند بيان موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتوكل.

وقد قسم ابن القيم -رحمه الله- النوع الممدوح من التَّوَكُّل إلى قسمين فقال: التَّوَكُل على الله نوعان:

أحدهما: توَكُّلٌ عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والثاني: توَكُّلٌ عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه، وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله.

فمتى توكلَ عليه العبد في النوع الثاني حق توكله، كفاه النوعَ الأولَ تمام الكفاية.

ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه.

فأعظم التوكل عليه، التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم(١).

وقسّم العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- التَّوَكُّل إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الاعتماد المطلق على مَن توكل عليه، بحيث يعتقد أن بيده النفع ودفع الضرّ؛ فيعتمد عليه اعتمادا كاملا، مع شعوره بافتقاره إليه؛ فهذا يجب إخلاصه لله تعالى، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك شركا أكبر...

الثاني: الاعتماد على الشخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك، وهذا الشرك الأصغر، وقال بعضهم: من الشرك الخفي، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمدٌ على هذا اعتمادَ افتقارٍ، فيجد في

---

(١) الفوائد لابن القيم ص: ٢١١.

نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر؛ فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب بل جعله فوق السبب.

الثالث: الاعتماد على الشخص فيما فوّض إليه التصرف فيه، كما لو وكّلت شخصا في بيع شيء أو شرائه، وهذا لا شيء فيه، لأنه اعتمد عليه وهو يشعر أن المنـــزلة العليا له فوقه؛ لأنه جعله نائبا عنه...بخلاف القسم الثاني؛ لأنه يشعر بالحاجة إلى ذلك، ويرى اعتماده على المُتَوَكَّل عليه اعتمادَ افتقارٍ(1).

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٠/٦٦٨-٦٦٩. وقسّم -رحمه الله- تقسيما آخر قريبا من هذا في شرح أصول الثلاثة له ص: ٥٨-٥٩.

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالتَّوَكُّل

إن للتوكل على الله منــزلة رفيعة في الدين، ومن صفات المؤمنين الخلص، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1] ويجب إخلاص التَّوَكُّل لله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] ولكن انحرف بعض الناس في التَّوَكُّل، فمنهم من يعتمد على الأسباب اعتمادا تاما؛ فيجعل الرزق والفلاح في الأسباب، فيشرك بالله مخلوقه، والعياذ بالله. ومنهم من يترك الأخذ بالأسباب تركا كليا؛ فيكون متواكلا لا متوكلاً عليه، والعياذ بالله.

وفيما يلي بيان عن الأنواع الانحرافات المتعلقة بالتوكل:

الانحراف الأول: الاعتماد على الأسباب اعتمادا كليا.

بعض الناس يعتمدون على الأسباب اعتمادا كليا؛ ويظنون أن هذه الأسباب هــي التي تدير الأمور، لولا هي لكان ضياعا؛ فنرى من الناس من يتوكل على عمله ووظيفته، ومنهم من يتوكل على حرفته وصناعته، ومنهم من يتوكل ويعتمد على قبيلته وجماعته.

الانحراف الثاني: الاعتماد بالنفس دون الله ﷻ.

بعض الناس يعتمدون بأنفسهم دون الله ﷻ، ومن ذلك ما يتفوَّهُ به بعض قليل الحظ من العلم الشرعي: إن من أهم أسباب النجاح والفلاح **الثقة بالنفس**، ويريــدون بهــذا الاعتماد على نفسه وعمله وحرفته.

ومن هذا قول أحد الأطباء الذين لَقَيْنَاه -وهو من المتخصصين في أمراض العظــام في إقليم سرحد بباكستان- لما أُخِذَ له مريض يشتكي من مرض مزمن في عظام رجله. فقــال: سأجري له عملية جراحية في رجله وسيشفى على إثر هذه العملية، فقيل له: إن شــاء الله، فغضب الطبيب، وقال: هذا عملي وأنا على ثقة في عملي، وقد أجريت عديدا من أمثــال

---

(١) سورة الأنفال (٢).

(٢) سورة المائدة (٢٣).

هذه العملية، وشُفِيَ فلا حاجة لقولك: إن شاء الله...ثم نوقش هذا الطبيب بالأدلة حتى اقتنع.والحمد لله[1].

الانحراف الثالث: ترك الأخذ بالأسباب كليا.

إن بعض الناس يترك الأخذ بالأسباب كليا، ويظن أن هذا هو التَّوَكُّل، واعتبروا مباشرة الأسباب منافيا للتَّوَكُّل على الله، ومن أمثلة هذا، قيام بعض الجماعات الدعوية[2] في إقليم سرحد وغيره، بمحاولات إخراج بعض الناس من بيوتهم للخروج معهم؛ ليذهبوا بهم يمينا وشمالا فيما يقومون به، ويسمون عملهم هذا خروجا في سبيل الله، وقد لا يجد هذا الذي يريدون إخراجه معهم أحدا يقوم بمصالح أهل بيته، من بيع وشراء، أو تلبية حاجات المرضى، من العلاج والأخذ إلى المستشفى، أو لا يكون لزوجته أحد إلا الذرية الضعفاء، ولربما لا يجد مالا يكفي لأهله أثناء غيابه عنهم، وخروجه مع هؤلاء، لأنهم يطالبونه للخروج معهم طوال العمر، أو لمدة سنة كاملة، أو أربعة أشهر، أو أربعين يوما أو أقل.

فإن استدل الذي يحاولون إخراجه معهم ببعض ما تقدم من الأعذار قالوا له: **توكل على الله، وأخرج من قلبك اليقين الفاسد على هذه الأشياء، ولا تعتقد لهذه الأشياء تأثيرا سلبيا أو إيجابيا، وأن ذلك ينافي مقصود لا إله إلا الله.** لأن مقصود لا إله إلا الله عندهم: **إخراج اليقين الفاسد على الأشياء[3]، وإدخال اليقين الصحيح على الله.**

---

(١) هذا نموذج، والقول **بأن الثقة بالنفس من عوامل النجاح** متداول على ألسنة كثير من الناس.

(٢) مثل جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية.

(٣) وهذا القول مبني على أن الأسباب لا تأثير لها، فعندهم الطعام لايشبع، والسكين لايقطع، والنار لا يحرق، وإنما إذا حصل هذا؛ فيكون هو من فعل الله عند كسب العبد لهذه الأشياء، وهذا ما يعبر عنه بالكسب الأشعري. وهؤلاء أنكروا تأثير الأسباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها، حتى قالوا: إن انكسار الزجاجة بالحجر إذا رميتها به حصل عند الإصابة لا بها(أي بفعل الله لا بها). وهؤلاء خالفوا السمع، وكابروا الحس، وأنكروا حكمة الله تعالى في ربط المسببات بأسبابها، بهذا قالت الجهمية والأشاعرة. ويقابلهم المعتزلة القدرية فأثبتوا تأثير الأسباب، لكنهم غلوا في ذلك وجعلوها مؤثرة بذاتها، وهؤلاء وقعوا في الشرك، حيث أثبتوا موجداً مع الله تعالى وخالفوا السمع والحس. فقد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أنه لا خالق إلا الله، كما أننا نعلم بالشاهد المحسوس أن الأسباب قد تتخلف =

والأخذ بالأسباب يعتبر عندهم من اليقين الفاسد على الأشياء[(١)].

فإن قبل هذا الرجل دعوتهم وخرج معهم في سبيلهم، تجد أهله لا يتوكلون على الله كما زعموا، بل قد يتكففون الناس، لحصول ما يسد حاجاتهم من لقمة العيش، وعلاج المرضى ونحو ذلك، وقد يكون عرضة للفسق والفجور، بسبب هذا التصرف الذي زعموه توكلا.

وينقل البعض في ترك الأخذ بالأسباب قصصا وروايات منسوبة لبعض الزهاد **منها**:

ما نقله بعضهم عن أحد الزهاد أنه خرج من بيته يريد الحج، فرأى امرأة تمشي حافية بلا زاد ولا راحلة، وكانت تحمد الله وتذكره، قال: فمشيت قريبا منها، وقلت لها أي أمة الله أين تريدين؟ فقالت: أريد حج بيت الله الحرام.فقلت لها: وليست معكِ زاد ولا راحلة. فقالت: اسمع! إذا صنع أحد منكم دعوة ودعا الناس إليها، فهل المدعوين يحملون معهم آنية الأكل؟ فقلت: لا.فقالت: فدعوة الله تعالى أحق أن لا نحمل معنا شيئا من ذلك[(٢)]. وقد نقلنا قريبا من هذه القصة في أسباب الانحرافات[(٣)].

=

عنها مسبباتها بإذن الله، كما في تخلف إحراق النار لإبراهيم الخليل حين ألقي فيها فقال الله تعالى:﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فكانت برداً وسلاماً عليه و لم يحترق بها. وأهل السنة هدوا إلى الحق وتوسطوا بين الفريقين، وأخذوا بما مع كل واحد منهما من الحق، فأثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله تعالى فيها من القوى الموجبة.تقريب التدمرية لابن عثيمين ص: ١٠٦(بتصرف يسير)، وينظر: منهاج السنة لابن تيمية ٤٥٩/١، و٢٩٦/٢، و١٠٩/٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٤٦٧/٨، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني٣١١/١.

(١) ليس مقصود لا إله إلا الله ما زعموه، بل مقصودها: **أن لا يعبد إلا الله**. وأما ترك الأسباب كليا فقدح في الشرع، ونقص في العقل، كما أن الاعتماد على الأسباب دون الله ينافي التوكل على الله. كما سيأتي ذلك مفصلا في بيان موقف الإسلام من هذا الانحراف.

(٢) حكايات عجيبة للقليوبي بترجمة محمد أمير النعماني ص: ٤٨، ويُنظر: تعليم الرفق في طلب الرزق لمحمد موسى روحاني بازي ص: ٩٧-١٠٠وأنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٣٧.

(٣) يراجع أسباب الانحرافات من هذه الرسالة وأمثال هذه القصص كثيرة يُنظر: كتاب: «أحسن الحكايات» لمفتي عاصم ترجمة محمد خليل ص: ٣٠٣ و«حكايات عجيبة» للقليوبي ص:٩٠، وتعليم الرفق لمحمد موسى روحاني بازي ص: ٨، ٧٧، ٩٤، ١٤٣، وما بعدها، وأنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٣٧.

ومنها: ما ينقلونه عن الجنيد أبي القاسم[1] -رحمه الله- أنه سئل من قِبَل مريديه فقالوا: أنطلب أرزاقنا؟ فقال: إن علمتم أين هي فاطلبوها. فقالوا: أندخل بيوتنا ونتوكل؟ فقال: التجريد مع الله شكٌّ. قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة[2].

ومنها: ما يحث على ترك أفضل العبادات، أعني الدعاء وسؤال وطلب الرزق من الله ﷻ ظنا منهم أن هذا ينافي التَّوَكُّل:

نقل بعضهم عن أبي سعيد الخراز[3] -رحمه الله-: أنه قال: كنت مرة في الغابة، فجُعْت جوعا شديدا، فقالت لي نفسي: أُدعو الله أن يطعمك.فقلت لها: ما هذا من فعل المتوكلين أهل الهمم، فطالبتني نفسي أن أسأل الله الصبر. فلما أردت أن أسأل الله الصبر سمعت هاتفا غيبياً يقرأ الأشعار الآتية:

ويزعم أنه مِنَّا قريب * وإنا لا نضيّع من أتانا**

فهَمَّ أبو سعيد سُؤْلَ صبرٍ * كأنَّا لا نراه ولا يرانا[4]**

الانحراف الرابع: التوَكّل على المخلوق، كالنبي والولي أو نحوهما.

يتوَكّل بعض الناس على بعض المخلوقين، كالنبي والولي أو نحوهما ويدل على ذلك الأبيات الشعرية الآتية:

يا شفيع العباد خذ بيدي * أنت في الاضطرار مُعْتَمَدِي**

ليس لي ملجأٌ سواك أغِثْ * مسني الضرّ سيِّدي سَنَدِي**

---

(١) **الجنيد:** هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز ويقال: القواريري، شيخ الصوفية، وأصله من نهاوند، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد، توفي سنة ٢٩٨هـ.ينظر:تاريخ بغداد للخطيب ٢٤١/٧.كتاب ((دخدائے نيازبين)) لفقير محمد عباس قادرية ص: ١٨.

(٢) أحسن الحكايات لمفتي عاصم عبد الله ص: ٣٠٧، تعليم الرفق لمحمد موسى روحاني بازي ص:١٠.

(٣) **أبو سعيد الخراز:**هو أحمد بن عيسى أبو سعيد البغدادي صوفي، بل شيخ للصوفية صحب ذا النون، وصنّف أربع كتب أحدها كتاب السر، وأنكره العلماء، ونسبوه إلى الكفر والإلحاد، توفي سنة٦٨٢هـ ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم٢٤٦/١٠، السير للذهبي١٣/ ٤١٩ برقم ٢٠٧ الوافي بالوفيات للصفدي ٢٧٥/٧ برقم ٣٢٥٤.

(٤) تعليم الرفق لمحمد موسى روحاني بازي ص: ٧٧.

يا رسول الإله بابُك لي * من غمام الغموم مُلتحِدي**[1].

ومن أمثلة التَّوَكُّل على غير الله قول الرافضة في دعائهم: «**يا محمد يا علي يا محمد يا علي اكفياني فإنكما كافيَايَ**»[2].

وقولهم في العمل السابع من أعمالهم العامة في شهر رجب: «زُرْ أيَّ المشاهد كنت بحضرتها في رجب تقول: الحمد لله الذي أشهدنا مشهد أوليائه في رجب...السلام عليكم، **إني قصدتُكم واعتمدتُكم بمسألتي وحاجتي...إليكم التفويض وعليكم التعويض**، فبكم يجبر المهيض ويشفى المريض، وما تزداد الأرحام وما تغيض...» [3].

---

(١) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٧٦٥ ونَسَبَ الأبيات إلى كتاب نشر الطيب لأشرف علي التهانوي الديوبندي ص: ٢٨٢.

(٢) مفاتيح الجنان للعباس القمي في دعاء عقب صلاة القائم المزعوم ص: ٧٧.

(٣) مفاتيح الجنان للقمي ص: ١٨٥.

المبحث الثالث
موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتَّوَكُل

إن التَّوَكُّل من أعظم أنواع العبادات القلبية، ومنـــزلته من الدين كمنـــزلة الـــرأس مـــن الجسد، فالذي ليس عنده تَّوَكُّل ليس عنده دين، كالجسد الذي ليس له رأس، ومعلوم أن الجسد إذا فقد الرأس فقد الحياة؛ فكذلك الدين إذا فقد التَّوَكُّل فقد الصحة فلا يكون دينا صحيحاً[1].

وإليكم موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتوكل:

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو الاعتماد على الأسباب اعتمادا كليا

إن الاعتماد على الأسباب ينافي التَّوَكُّل، لأن الأسباب مخلوقة لله، والاعتماد على المخلوق منافي للاعتماد على الخالق ﷻ.وقد أمرنا الله ﷻ بالاعتماد والتَّوَكُّل عليه وحده، قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾[2]وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[3]وقال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[4].

وقال الشافعي -رحمه الله-: «نَـــزَّهَ الله ﷻ نبيه ورفع قدره وعَلَّمَه وأدّبه، وقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[5] وذلك أن الناس في أحوال شتى: متوكل على نفسه، أو على ماله، أو على زرعه، أو على السلطان، أو على عطية الناس، وكل مستند إلى حي يموت، أو على شيء يَفْنِـــي يوشك أن ينقطع به؛ فنـــزّه الله نبيه ﷺ وأمره أن يتوكل على الحي الذي لا يموت»[6].

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة للفوزان٣/١٣٢.

(٢) سورة المزمل (٩).

(٣) سورة هود (١٢٣).

(٤) سورة الفرقان (٥٨).

(٥) سورة الفرقان (٥٨).

(٦) أحكام القرآن للشافعي٢/١٨٠.

والاعتماد على الأسباب ينافي التَّوَكُّل، وليس من صفات المتوكلين أن يثقوا بالأسباب ويتركوا الثقة بمسبب الأسباب؛ لأن عند الثقة والاعتماد على الأسباب يميل القلب إليها، و«القلب إذا مال إلى الأسباب وُكِلَ إليها بقدر ميله، وفَقَدَ من معونة الله وتأييده على قَدْر ذلك، فكما أن البدن لا تعملُ جارحة من جوارحه، وركن من أركانه، مِنْ حركة أو سكون أو قبض أو بسط إلاّ بالروح. كذلك لا يعملُ سبب من الأسباب من نفع أو ضرٍّ إلا بالقدر والإذن من الله تعالى»[1].

فاتضح أن الاعتماد على الأسباب والثقة بها شرك في التوحيد، والتباعد عنها كليا قدح في الشرع.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الثقة على النفس.

قال ابن منظور: الثقة مصدر قولك: وَثِقَ به، يَثِق بالكسر فيهما وَثَاقةً وثِقَةً: ائتمنه[2]

وقال الجرجاني: الثقة هي التي يعتمد عليها في الأقوال والأفعال[3].

فالثقة بالنفس هي الاعتماد على النفس والاتكال عليها في الأقوال والأفعال، كما يستخدمه البعض في هذا المعنى وقد ذكرنا مثالا من الواقع[4]، وهذا من عقائد المعتزلة القدرية القائلين: إن العبد مستقل بعمله، والله تعالى ليس له أي تصرف في أعمال العباد[5].

وقد عدّ بعض العلماء **الثقة بالنفس، والإعجاب بها**، جهلاً بالله ﷻ، وبقدرته، وقد تؤدي بالرجل إلى الأمن من مكر الله، والعياذ بالله[6].

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم[7] -رحمه الله- عن قول من قال: **تجب الثقة بالنفس.**

---

(١) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة إسماعيل الأصفهاني٢/٥٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور٩/٢١٤.

(٣) التعريفات للجرجاني ص: ١٠٢.

(٤) تقدم المثال في المبحث الثاني عند ذكر الانحراف الثاني.

(٥) مدارج السالكين لابن القيم٣/٥١٧.

(٦) تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص:٤٠٩، فتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص:٣٣٥.

(٧) **محمد بن إبراهيم:** هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مفتي ديار السعودية، له مؤلفات عديدة وفتاوى في عدة مجلدات، توفي

فأجاب -رحمه الله-: ((لا تجب، ولا تجوز الثقة بالنفس، في الحديث ((...**ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين...**))[1] اهـ[2].

وعن زيد بن ثابت[3] ﷺ: أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه وأمره أن يتعاهد به أهله كل صباح ((...**وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي، تكلني إلى ضعف، وعورة، وذنب، وخطيئة، فإني لا أثق إلا برحمتك...**))[4].

=

عام ١٣٧٩هـ. يُنظر: مشاهير علماء نجد لعبد الرحمن آل الشيخ ص: ١٦٩، الأعلام للزركلي ٥/٣٠٦، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/٣٢.

(١) هذه الجملة وردت في حديثين مختلفين: **أحدها** في سنن أبي داود كتاب الدعوات باب ما يقول إذا أصبح (ح٥٠٩٠)، بلفظ: ((دَعَوَات المكروب: اللهم رحمتك أرجو؛ فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت)) وقال الألباني: حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٣/ ٩٥٩ برقم (٤٢٤٦). **والثاني** ورد في السنن الكبرى للنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا أمسى برقم (١٠٤٠٥)، بلفظ: ((ما يمنعكِ أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت، يا حي! يا قيوم! برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين))، وقال الألباني: حسن. ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني برقم (٥٨٢٠).

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ١/٧٠، ونقل فتواه الشيخ بكر عبد الله أبو زيد في معجم المناهي اللفظية ص: ١٨، ط: دار العاصمة وص: ١١٠ ط: دار ابن الجوزي.

(٣) **زيد بن ثابت**: هو زيد بن ثابت بن ضحاك بن زيد بن لوذان الأنصاري النجاري، لم يشهد بدرا لصغر سنة وكان أول ما شهد أحدا، وقيل الخندق، وكان من كتاب الوحي، وكان يكتب لأبي بكر ومن بعده لعمر، واختلف في سنة وفاته فقيل: خمس وأربعين وقيل قيل غيرها. ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٥٤٠ برقم (٨٤٠)، والإصابة ٢/ ٢٢ برقم (٢٨٧٤).

(٤) المعجم الكبير للطبراني د/١٧٥ برقم (٤٩٣٢)، ومسند الإمام أحمد ٥/ ١٩١، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادَيْ الطبراني رجاله وثّقُوا وفي بقية الأسانيد أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف، مجمع الزوائد له ١٠/ ١١٣، وسند حديث الطبراني، **قال:** حدثنا بكر بن سهل الدمياطي، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن ضمرة بن حبيب، عن زيد بن ثابت، أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه وأمره أن يتعاهد...

وبعض الناس قد يستعملون كلمة **الثقة بالنفس** في غير معناها، حيث لا يريدون بها الاعتماد على النفس والاتكال عليها، وإنما يريدون بها إزالة الوهم(١) وترك العجز الذي يجده البعض في أنفسهم من عدم استطاعة القيام على أمر من الأمور.

فمثلا: يَهِمُ البعض أنه لا يستطيع أو لا ينجح في عمل ما، ويكون عنده كفاءة للقيام به، لكن عنده وهمٌ وخيال، ويظن أنه لا يستطيع القيام بذلك العمل، فيقول له أحد **ثق بنفسك**، وابدأ بالعمل، وستستطيع إنجازه بإذن الله.

ففي الحقيقة هنا ليست الثقة بالنفس، على معنى التوكل والاعتماد عليها، وإنما القصد إزالة الوهم الذي يجده في النفس.

وكان الأولى أن يقال للواهم: إن فيك كفاءة القيام بهذا العمل، ابدأ بالعمل، واستعن بالله، ولا تعجز، امتثالاً لقول النبي ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز...**»(٢) وأن لا يقول له: ثق بنفسك أو اعتمد عليها ونحو ذلك؛ لأن لذلك معنىً غير ما يريده.

فالثقة بالنفس بمعنى الاتكال والاعتماد عليها من دون الله ﷻ شرك بالله ﷻ، كما يفهم ذلك من كلام الإمام الشافعي –رحمه الله– (٣).

وأما استعمال الثقة في غير معناها كما تقدم، فهو ليس بشرك أصلا، ولكن لا ينبغي للمسلم أن يستعمل الألفاظ في غير مواضعها، بل في استعمال الألفاظ الشرعية، براءة لذمته، وعصمة من الوقوع في المشتبهات، وأن يستعمل المسلم في مثل هذا المواضع الحرص وعدم العجز، وترك البطالة كما قال رسول الله ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**»(٤).

---

(١) **الوهم**: هو من خطرات القلب، أو المرجوح من المتردد فيه. الكليات للكفوي ص: ٩٤٣.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٤٣١/١٦ (ح٦٧١٦).

(٣) تقدم نص كلامه –رحمه الله– في تقسيم التَّوَكُّل.

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٤٣١/١٦ (ح٦٧١٦).

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو ترك الأخذ بالأسباب.

إن ترك مباشرة الأسباب كليا قدح في الشرع، والقول بتركها مُفْضٍ إلى منكرات عظام، حيث إن الشارع الذي أمر بالتوكل على الله، هُوَ الذي أمر بالتكسب والأخذ بالأسباب. قال الله ﷻ: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[(١)].

وقال ﷻ: ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ﴾[(٢)].

وقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[(٣)].

وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾[(٤)].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾[(٥)].

وقال النبي ﷺ لعمرو بن أمية الضمري ﷺ: «**أعقلها وتوكل**»[(٦)].

وقال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز**»[(٧)].

---

(١) سورة البقرة(١٩٧).

(٢) سورة العنكبوت (١٧).

(٣) سورة الجمعة (١٠).

(٤) سورة النساء (١٠٢).

(٥) الأنفال (٦٠).

(٦) تقدم تخريجه قريبا في المبحث الأول من هذا الفصل ص: ٢٤١.

(٧) تقدم تخريجه. ينظر ص: ٢٥٤.

هذه الأدلة وأحاديث أبواب البيوع، والمزارعات، والمساقات، والشركات، والكفالات وغيرها، كلها تدل على الأخذ بالأسباب المشروعة والنهي عن مباشرة الأسباب الممنوعة.

ومن الناس من يخطئ؛ فيستدل على ترك الأخذ بالأسباب من قوله ﷺ: «**لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكُّله، لرُزِقْتم كما يُرزق الطيرُ تَغْدُو خِماصا وتَرُوحُ بِطانا**»[1]، وهو يغفل عن كلمة: «**تَغْدُو...**» حيث إن الطيور لم تجلس في أعشاشها، بل أخذت بما يمكنها من الأخذ بالأسباب، فغادرت عشها صباحا باحثة عن رزقها معتمدة على ربها واثقة به، فرجعت مساء شباعا.

قال الإمام الزاهد أحمد بن حنبل -رحمه الله-: «وليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق، وإنما أراد -والله أعلم- لو توكلوا على الله في ذهابهم، ومجيئهم، وتصرفهم، ورَأَوْا أن الخير بيده، ومن عنده، لم ينصرفوا إلا سالمين، غانمين، كالطير تغدو خِماصا، وتروح بِطانا، لكنهم يعتمدون على قوّتهم وجَلدهم، ويغشون، ويكذبون، ولا ينصحون، وهذا خلاف التَّوَكُّل»[2].

وقال الغزالي -رحمه الله-: «وقد يُظَنُّ أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوَضَم[3] وهذا ظن الجُهَّال، فإن ذلك حرام فى الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين، فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين، بل نكشف الغطاء عنه، ونقول إنما يظهر تأثير التوكل

---

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الزهد باب في التَّوَكُّل ص: ٥٢٩ (ح٢٣٤٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب التَّوَكُّل واليقين برقم(٤٢٣٩) وقال الألباني: صحيح ينظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣/٣٦٣، ومسند أحمد بن حنبل ١/٥٢، وفيه زيادة(**ألا تَرَوْن أنها تغدوا خِماصا، وتروح بِطانا**) وقال محققو المسند: حديث صحيح. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ١/ ٤٣٩ برقم ٣٧٣.

(٢) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ٣/٣٨٠ تحت رقم ١١٣٩.

(٣) **الوَضَم**: هو كل شيء يوضع عليه اللحم، من خشب أو بارية، يُوَقَّى من الأرض. مختار الصحاح للرازي ص: ٣٠٣.

في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده وسعي العبد باختياره، إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو لدفع ضار لم ينـــزل به كدفع الصائل والسارق والسباع، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض، فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه»(١).

وقد ثبت عن الإمام أحمد -رحمه الله- مع ما اشتهر من زهده وورعه، أنه قال: «ينبغي للناس كلهم أن يتوكلوا على الله، وأن يُعَوِّدوا أنفسهم التكسب، ومن قال بترك التكسب فهو أحمق يريد تعطيل الدنيا» (٢).

وقال -رحمه الله-: «من جلس و لم يحترف دعته نفسه إلى ما في أيدي الناس»(٣).

وقال -رحمه الله-: «وهذا هو الأصل في هذا الباب: وهو أن يستعمل هذه الأسباب التي بينها الله تعالى لعباده، وأذن فيها، وهو يعتقد أن المسبب هو الله ﷻ، وما يصل إليه من المنفعة عند استعمالها بتقدير الله ﷻ، وأنه إن شاء حرمه تلك المنفعة مع استعماله السبب فتكون ثقته بالله ﷻ، واعتماده عليه في إيصال تلك المنفعة إليه مع وجود السبب» (٤).

فكلام أمثال هؤلاء الجهابذة الذين فهموا معاني النصوص يدل على أن التَّوَكُّل لا بدّ فيه من الأخذ بالأسباب، وإلا كان تواكلاً، لا توَكُّلاً.

وما نقل من القصص في باب ترك الأخذ بالأسباب -وإن صحت نسبتها إلى أصحابها- لا تعادل شيئا في مقابل النصوص الدالة على الأخذ بالأسباب، بل ويدل على مخالفة أصحابها لنصوص الشرع الصريحة، إما لجهلهم بمعاني النصوص ومقاصد الشريعة، أو لحملهم النصوص على ما لا تحتمله.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/١٣٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر كتاب الرقاق باب فضل الفقر ١١/٣٣٣.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي ٢/٧٩، وينظر: ٢/٧٧.

والبعض قد يخدعه الشيطان، وهو العدو اللدود للإنسان، فيزيّن له ترك الأخذ بالأسباب، ثم يزيد في خذلانه؛ فيغفله عن الالتجاء إلى الله والدعاء وسؤال الله الرزق أو النجاة.وقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1].والاستكبار: التعظُّم[2].

ويتم هذا الخداع: إما عن طريق الهواتف الغيبية من قبل شياطين الإنس أو الجن.

وإما عن طريق الاستدلال بأدلة واهية، كقول: **حسبي من سؤالي علمه بحالي**، وهو حديث موضوع[3]، ثم قد يترتب عليه خذلان آخر أكبر منه، وهو: أنه قد يقلده غيرُه في عمله هذا.نسأل الله العفو والعافية، ونعوذ به من الخذلان، وعليه التكلان، وهو ولي الغفران.

موقف الإسلام من الانحراف الرابع وهو التوكل على المخلوق.

إن التَّوَكُّل من أفضل العبادات القلبية، ولا يجوز صرف أي عبادة سواء كانت قلبية أو غيرها، إلا لله ﷻ، بل يجب إخلاصها لله ﷻ، ومن يتوكَّل على غير الله –فيما هو فوق الأسباب– سواء كان نبيا أو وليا أو نحوهما، حيا كان أو ميتا، فقد جانب الحق والصواب في باب توحيد العبادة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[4].وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾[5].

---

(١) سورة غافر (٦٠).

(٢) لسان العرب لابن منظور ٥٨٠/٧، مختار الصحاح للرازي ص: ٢٣٤.

(٣) تنـــزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة لعلي بن محمد ابن عراق ٥٢٠/١ كتاب الأنبياء والقدماء الفصل الثالث برقم (٢٣) وقال: قال ابن تيمية: موضوع. وقال الألباني –رحمه الله– في السلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة٧٤/١ برقم (٢١):لا أصل لــه، أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهــو مــن الإســرائيليات لا أصــل لــه في المرفوع...**ثم قال** –رحمه الله–: وهذا الكلام لا يصدر مسلم يعرف منــزلة الــدعاء في الإســلام، فكيف يصدر ممن سمانا المسلمين؟! ينظر:سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة له٧٦/١.

(٤) سورة هود (١٢٣).

(٥) سورة الفرقان (٥٨).

وقد كان من أدعية النبي ﷺ: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، **وعليك توكلت**، وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت»[1] وقد قدّم الخبر على المبتدأ، وتقديم ما حقه التأخير يفيد التخصيص.

ويقول الشيخ محمود شكري الألوسي الحنفي[2] -رحمه الله-: «وبالجملة فكل عبادة فهي مقصورة على الإله الواحد من أعمال القلوب والجوارح، فكما لو صلى لغير الله، أو صام على وجه التقرب إليه، كان كافرا مشركا، عند جميع الناس، فكذلك من تقرب إليه بالأعمال القلبية المذكورة من التَّوَكُّل والإنابة والخوف والرجاء وغير ذلك»[3].فكلامه هذا نص في عدم جواز صرف شيء من أعمال القلوب لغير الله ومن صرفها كان مشركا.

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ -رحمه الله-: «التَّوَكُّل في الأمور التي لا يقدر عليها إلى الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت، في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر؛ فإن هذه الأمور ونحوها، لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى »[4].

فالتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ شرك أكبر، والتوكل على الله ﷻ في الأمور كلها من أفضل العبادات، وأعلى منازل التوحيد.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التوحيد باب قول الله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح ١٥]، ١٣/٥٧٦ (ح ٧٤٩٩)، صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل٦/ ٢٩٦ (ح١٨٠٥)

(٢) **محمود الألوسي**: هو أبو المعالي محمود شكري بن سيد عبد الله بن سيد محمود شهاب الدين بن عبد الله صلاح الدين بن محمود الخطيب الألوسي، ويروى الآلوسي، والأول أصح نسبةً إلى أُلوسْ (بالقصر) قرية على الفرات بالعراق، ولد سنة ١٢٧٢هـ وقيل ١٢٧٣هـ وتوفي ١٢٩١هـ.ينظر ترجمته وافية في كتاب محمود شكري الألوسي سيرته ودراساته اللغوية، لمحمد بهجة الأثري، و أعلام العراق، لبهجة الأثري ص: ٨٧ وما بعدها، مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن آل الشيخ ص: ٤٦٨.

(٣) غاية الأماني في الرد على النبهاني لمحمود شكري الحنفي١/٣٣٨.

(٤) تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ٤٠٠.

الفصل الخامس

الانحرافات المتعلقة بالتعظيم والطاعة، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التعظيم، والطاعة، وأنواعهما.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالتعظيم، والطاعة.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى التعظيم، والطاعة ، وأنواعهما.

تعظيم الرب ﷻ، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه حق الله على العباد، ومن أجله خلقهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١).

وتعظيم شعائره مأمور به شرعا، قال الله تعالى:﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾(٢). كما أن طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ مأمور بها شرعا، ومخالفة ذلك سبب لإبطال الأعمال حيث قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾(٣)، أي ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما وكفرِكم بربكم، ثواب أعمالِكم؛ فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح(٤).

سيكون في هذا المبحث بيان معنى التعظيم، والطاعة لغة وشرعا، وأنواعهما، وما يجوز منهما، وما لا يجوز، وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعظيم، والطاعة لغة:

أصل الكلمتين:

التعظيم: العين، والظاء، والميم، أصل واحد صحيح يدل على كِبَرٍ وقوّة(٥).

والطاعة: الطاء، والواو، والعين، أصل واحد يدل على الإصحاب والانقياد(٦).

تصريف الكلمتين:

---

(١) سورة الذاريات (٥٦).

(٢) سورة الحج (٣٢).

(٣) سورة محمد (٣٣).

(٤) جامع البيان للطبري ٢٦/ ٧٧ عند تفسير الآية، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٨٧/١٩.

(٥) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٧٦٩.

(٦) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٦٢٨.

التعظيم: مصدر التفعيل من عظّمَ، يُعَظِّم، تعظيماً اسم الفاعل منه معظِّم بالكسر، واسم المفعول معظَّم بالفتح[1].

والطاعة: من طَاعَ يطُوْعُ ويَطَاعُ - جميعاً -: **بمعنى أطَاعَ**، طَوْعاً وطاعَةً، وَمَطَاعاً: اسْماً لما يكون مَصْدَرُه الإِطاعَة[2].

معنى الكلمتين:

التعظيم: التبجيل والتفخيم، يقال: أعظم الأمرَ وعظّمه تعظيما، أي فَخَّمَه[3]. فالتعظيم هو التَّبْجِيل والتَّفْخِيم. والتعظيم يكون باعتبار الوصف والكيفية، ويقابله التحقير فيهما، بحسب المنزلة والرتبة[4].

وأما الطاعة: فهي الانقياد، وموافقة الأمر[5]، يقال: هو طَوْعُ يَدَيْهِ أي منقاد له[6]. والطاعة أعم من العبادة، لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية التعظيم، والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره...وتجوز الطاعة لغير الله في غير معصية، ولا تجوز العبادة لغير الله تعالى...والعبادة أخص منها لأنه يعتبر فيها النية...والطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها[7].

المطلب الثاني: التعظيم، والطاعة شرعا.

أولا: التعظيم: يكون تعظيم كل شيء بحسبه، فتعظيم شعائر الله، احترامها وتوقيرها، وعدم امتهانها. وتعظيم حرمات الله يكون مراعاة حدودها، وعدم انتهاكها.

---

(١) المعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد السود ص: ٢٦٠ رقم (١٤١) ومعجم تصريف الأفعال العربية لأنطون الدحداح باب رقم ٢٠٠.

(٢) المحيط في اللغة لابن عباد ٢/١٢٠(طَوَعَ).

(٣) مختار الصحاح للرازي ص:١٨٥، لسان العرب لابن منظور ٦/٣٢٤.

(٤) الكليات للكفوي ص:٣٠٨.

(٥) التعريفات للجرجاني ص: ١٨٢. الكليات للكفوي ص ٥٨٣، دستور العلماء لنكري ٢/٢٧١.

(٦) مختار الصحاح ص: ١٦٨.

(٧) الكليات للكفوي ص: ٥٨٣.

وتعظيم العلماء والأمراء يكون بتبجيل قدرهم وتوقيرهم في حدود الشرع، وقبول قولهم، وطاعة أوامرهم ما لم يأمروا بمعصية.وهكذا يكون تعظيم كل شيء بقدره.

فالتعظيم في الشرع: اعتقاد توقير المعظَّم شرعا، في حدود مشروعة.

ثانيا الطاعة: الطاعة مأخوذة من الطَّوْعِ والانقياد، ومعناه تلقي الأمر بالقبول[١].

قال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-: الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي[٢].

فبالنظر في التعريف الشرعي للطاعة، يظهر أن الطاعة في الشرع: الموافقة والامتثال لما يراد من المطيع في حدود الشرع.

المطلب الثالث: أنوع التعظيم، والطاعة.

إن التعظيم والطاعة إذا كانتا موافقتين لنصوص الشرع؛ فهما عبادتان يثاب العبد عليهما، ولكنهما إذا تجاوزا الحدود التي حددها الشارع لا يثاب عليهما العبد، بل يعاقب، كأن يعظّم ما لم يأمر الشارع بتعظيمه، أو لم يأذن بتعظيمه، أو تَعَدّى العبد حدود التعظيم المسموح، وكذلك الطاعة إذا كانت لمن لم يأمر الشارع بطاعته، أو لم يأذن الله بطاعته، أو تجاوز العبد حدود الطاعة المسموحة، كأن تكون الطاعة في معصية الله لا يثاب العبد عليها بل يعاقب عليها.وعلى هذا يكون كل واحد من التعظيم والطاعة نوعان:

الأول: أن تكون بإذن من الشارع، وفي حدوده، فهذا جائز ومطلوب، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾[٤].

والثاني: أن يكون بدون إذن الشارع، أو خرج فيها العبد عن الحدود، فهذا حرام وممنوع، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ

(١) قواطع الأدلة لأبي مظفر السمعاني١/٢٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص: ٣٣٥.

(٣) سورة النساء(٥٩).

(٤) سورة الحج (٣٢).

شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢)، وقال النبي ﷺ : «**لا طاعة في المعصية إنما الطاعة في المعروف**» (٣).

ومثال التعظيم المطلوب: تعظيم العلماء والأولياء والصالحين في حدود الشرع.

ومثال التعظيم الممنوع: أن يجعل هؤلاء مشرّعين أو أربابا من دون الله.

ومثال الطاعة المطلوبة: طاعة ولي الأمر في غير معصية الله.

ومثال الطاعة الممنوعة: طاعة ولي الأمر في معصية الله، كهتك الأعراض، أو الفساد في الأرض، أو الإشراك بالله، أو ارتكاب أيِّ أمرٍ ممنوع شرعا.

فالإتيان بالمطلوب من التعظيم والطاعة امتثالٌ لأمر الله، والامتناع من الممنوع منهما امتثالٌ لحكم الله، ومخالفة ذلك يعتبر من التعدي لحدود الله.

وجَمعتُ التعظيم والطاعة هنا في فصل واحد؛ لأن التعظيم يُعتبر سببا للطاعة؛ والمطاع إذا لم يكن معظما في نظر المطيع، لا يطيعه في أمره وتنفيذ مراده، وإذا كان المطيع معظما في رأي المطاع -سواء كان معظما حقيقة أم لا- يطيعه طلبا لعرض من أعراض الدنيا أو نيل ثواب الآخرة، فيعظّمه أولا ويطيعه ثانيا، فكأن أحدهما نتيجة للآخر فكان الأولى أن يجمع في مكان واحد، والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران(٦٤).

(٢) سورة التوبة(٣١).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري،كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد ٢٨٦/١٣ (ح٧٢٥٧).

المبحث الثاني
الانحرافات المتعلقة بالتعظيم والطاعة

إن تعظيم ما شرع الشارع تعظيمه من تقوى القلوب، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[1] أي ومن يوقّر ويبجّل شعائر الله «والشعائر جمع شعيرة، **وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم**»[2] سواء أكان من الناس أو الجمادات أو الحيوانات أو غير ذلك.

ولكن بعض الناس يعظّمون ما لم يأذن الله بتعظيمه، أو يغلون في التعظيم حتى يتجاوزوا الحدود؛ فينحرفون عن الحق، ثم يطيعون ذلك المعظَّم إن كان من الناس، أو يعتقد في المعظَّم ما لا يجوز اعتقاده فيه؛ فيقع في أنواع من الانحرافات. وسنذكر هنا جملة من الانحرافات التي تتعلق بالتعظيم والطاعة.

الانحراف الأول: تعظيم آراء الرجال وأقوالهم وترك النصوص، أو تقديمها عليها، أو تأويلها لتوافق تلك الآراء والأقوال تعظيماً وطاعةً لهم.

ومن أمثلة ذلك:

أولا: منع العامي والعالم من العمل بالحديث لعدم علمه بالناسخ والمنسوخ والمؤوّل.

قال بعض الناس: العامي إذا سمع حديثا ليس له أن يأخذه بظاهره، لجواز أن يكون مصروفا عن ظاهره أو منسوخا بخلاف الفتوى[3].

وقال غيره: ليس للعامي العمل بالحديث لعدم علمه بالناسخ والمنسوخ والمؤوّل، ولكن يصح ذكر الآيات والأحاديث لتأييد وتأكيد إحدى المسائل الفقهية وتقويتها،

---

(١) سورة الحج (٣٢).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢١/٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٨٨/١٤.

(٣) كتاب «رد وهابي» لمحمود البشاوري ص: ٤،٥.

ولكن لا يلزم هذا بل هو الأولى والأفضل فقط، **والعامي يشمل العالم والجاهل** لأن المراد به غير المجتهد(١).

فإذا لا يجوز للعالم والجاهل العمل بالحديث، فبماذا يعمل يا تُرَى؟

أجاب أحدهم. **حيث قال:** (نحن مقلدون وينبغي لنا، بل ويجب علينا العمل بقول المجتهد، أو بقول الفقهاء الذين هم ناقلوا المذهب؛ لأن المقلد فمستنده قول مجتهده)(٢).

ثانيا: منع العامي والعالم والفقيه، بل وحتى المجتهد عن الانتقال من مذهب فقهي إلى آخر ولو كان ذلك باجتهاد وبرهان حيث قال أحدهم: وفي الفتح[يعني فتح القدير لابن الهمام] قالوا: المتنقل من مذهب إلى مذهب بالاجتهاد وبرهان آثم يستوجب التعزير، فبلا اجتهاد وبرهان أولى(٣).

وقال: فلو التزم أحد مذهبا كأبي حنيفة والشافعي فلزم عليه الاستمرار، فلا يقلد غيره في مسألة من المسائل(٤).

ثالثا: بعض الناس يعظمون مذهبا من المذاهب الفقهية، تعظيما لا حدّ له، حتى قال بعضهم: إنه يُسْئَل عن المذهب في القبر...وكذلك يُسْئَل عن المذهب في الحشر(٥).

وقال الآخر: «إن مذهبنا صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب»(٦).

---

(١) ينظر: أنوار الحق لشمس العارفين ص: ٤٧-٤٨.

(٢) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٤٤.

(٣) كتاب«رد وهابي» لمحمود البشاوري ص: ١٤.محيلا إلى فتح القدير لابن الهمام. وقال شمس الدين الأفغاني-رحمه الله-: «لقد ارتكب هذا القائل طامتين: **الأولى**: أنه وصل في الغلو في المذهب، وللمذهب إلى حد هو شرك وإخلال بتوحيد المتابعة عند محققي الحنفية كما سبق آنفا. والثانية: أنه أحال على فتح القدير للإمام ابن الهمام(٨٦١هـ)مع أن الإمام ابن الهمام قد ردّ على هذه الخرافة.[ثم أحال -رحمه الله- وقال]: انظر: فتح القدير ٦/٣٦٠-٣٦١ بولاق ودار إحياء التراث العربي و٧/ ٢٥٧-٢٥٨ دار الفكر». جهود علماء الحنفية١/١٠٨-١٠٩.

(٤) كتاب«رد وهابي» لمحمود البشاوري ص: ١٤.

(٥) الدر النظيم لمحمد نادرشاه ص: ٢٤. ويقصد بالمذهب أحد المذاهب الفقهية.

(٦) كتاب « رد وهابي» لمحمود البشاوري ص: ١١-١٢.

وقال الآخر في تعظيم الإمام أبي حنيفة -رحمه الله -ومذهبه: «ويحكم بمذهبه عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام»[1].

وقال غيره: **فلعنة ربنا أعدادَ رملٍ*** على من رَدَّ قول أبي حنيفة**[2].

رابعا: ردُّ الأحاديث -الصحيحة الواردة- إذا خالفها قول رجال المذهب في مسألة من المسائل الفقهية، أو حملها على النسخ أو التأويل حتى توافق قول أصحاب المذهب، وهذا هو التعظيم الممنوع لأصحاب المذهب، والطاعة العمياء لهم، وإخضاع النصوص لأقوال رجال المذهب، وما حملهم على ذلك إلا أنهم أصّلوا أصلا وهو: «**كل خبر يخالف قول أصحابنا، يُحمل على النسخ أو التأويل أو الترجيح**»[3].

ويقول في موضع آخر: «إن كل خبر يجيء بخلاف قول أصحابنا؛ فإنه يُحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله، ثم صار[4] إلى دليل آخر، أو ترجيحٍ فيه بما يَحتجّ به أصحابنا من وجوه الترجيح، أو يُحمل على التوفيق»[5].

وتطبيقا لهذا الأصل نقل أحدهم ثلاثة أحاديث، ثم ردّها وفقا لهذا الأصل حيث قال: (إن قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة مستحبة عند الإمام الشافعي والإمام أحمد -رحمة الله عليهما- تمسكا بحديث الترمذي: عن ابن عباس أنه صلى على جنازة فقرأ فاتحة

---

(١) كتاب «رد وهابي» لمحمود البشاوري ص: ١٩ محيلا إلى رد المختار ١/٦٠.

(٢) هذا البيت في در المختار للحصكفي ١/ ٦٨ ونسبه إلى ابن المبارك -رحمه الله-، ولا يخفى على المتأمل، ما فيه من الغلو، كما أن بين الحصكفي وابن المبارك عدة قرون و لم يذكر هو ولا غيره السند إليه، فلا يقبل القول بدون السند، وكيف يقبل هذا الكلام وكثير من السلف، بل وأصحاب أبي حنيفة -رحمه الله- ، خالف في كثير من المسائل رأي الإمام أبي حنيفة، وردَّ قوله، فكيف يلعن أمثال هؤلاء بمخالفتهم لرأي أبي حنيفة ورد قوله -رحمه الله- ؟! وقد ثبت عن غير واحد من السلف قولهم: كل يؤخذ من راية ويرد إلا صاحب الشرع.

(٣) أنوار الحق لشمس العارفين ص: ٤٢٩،محيلا إلى العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية ٢/٣٦٨.

(٤) هكذا في الكتاب ولعل الصواب: (يصار)كما يظهر من السياق.

(٥) أنوار الحق لشمس العارفين ص: ٤٢٩.

الكتاب، قال: لتعلموا أنها سنة. وتمسكا بحديث النسائي: عن أبي أمامة[١] ﷺ قال: السنة في الصلاة على الجنازة أن يقرأ في التكبيرة[٢] الأولى بأم القرآن مخافتةً[٣]. وتمسكا بحديث النسائي: عن طلحة بن عبد الله بن عوف[٤] قال صليت خلف ابن عباس -رضي الله عنهما- على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب وسورةً وجهر حتى أسمعنا، فلما فرغ أخذت بيده، فسألته، فقال: سنة وحق[٥].

---

(١) **أبو أمامة:** هو ابن سهل بن حنيف بن وهب الأنصاري من بني عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس، اسمه أسعد سماه رسول الله ﷺ باسم جده أبي أمامة أسعد بن زرارة -أبي أمه- وكناه بكنيته ودعا له وبرك عليه توفي سنة مائة وهو ابن نيف وتسعين سنة.قال ابن عبد البر: يعد في كبار التابعين. الاستيعاب له٤/١٦٠٢برقم٢٨٥٢. الإصابة لابن حجر٧/١٦ برقم ٩٥٤٧.وقال ابن حجر: له رؤية دون السماع، وينظر:فتح الباري لابن حجر١/١٠١ (ح٢٣).

(٢) في النسخ الثلاث لرسالة قبرية ففيها: «**يقرأ في التكبيرة بأم القرآن مخافة**»، فلا يوجد فيها كلمة «**الأولى**» وكُتِب بدل «**مخافتةً**» **مخافة**.

(٣) النسائي كتاب الجنائز باب الدعاء ص: ٣١٨برقم(١٩٧٩) وقال الألباني: صحيح.ينظر: صحيح سنن النسائي للألباني ٢/٥٥ برقم ١٩٨٨، وأحكام الجنائز له ص: ١٤١ برقم ٧٤.

(٤) **طلحة:** هو طلحة بن عبد الله بن عوف، أبو عبد الله، القرشي الزهري؛ قاضي المدينة المدني الفقيه، وهو طلحة الندى، ونقل ابن حجر عن أبي القاسم المغربي الوزير أنه ذكر ما يدل على أنه له رؤية فإنه قال مات سنة ست أو سبع وتسعين وله اثنتان وتسعون سنة.ينظر: الإصابة لابن حجر ٢/٧٥، والوافي بالوفيات للصفدي٥/ ٢٩٦.

(٥) سنن النسائي كتاب الجنائز باب الدعاء وقال الألباني: صحيح.ينظر: صحيح سنن النسائي للألباني ٢/٥٥ وصحيح سنن ابن ماجة للألباني برقم(١٤٩٥).

[قال:]**الجواب عن الحديث الأول** أنه ضعيف، وفيه إشارة إلى عدم التعامل به وعدم الشهرة، أو قرأ الفاتحة من حيث أنها ثناء، وهذا جائز، كما صرح به ابن الهمام[(١)] وغيره، أو المراد من السنة الجواز...[(٢)]

والجواب عن الحديث الثاني: أنه معارض مع آثار الأكابر[(٣)]، ومعارض مع رواية الجهر، **والجواب عن الحديث الثالث:** فيه إشارة إلى عدم العمل به، وأنه معارض مع آثار الأكابر[(٤)].

خامسا: تعظيم بعض العلماء خارج الحدود المشروعة حتى أعطوهم حق التشريع في الأذكار والأوراد حسب ما يراه مناسبا، قال أحدهم ناقلا عن الملا علي القاري: «اعلم أنه لا يلزم من كون أذكار الوضوء غير ثابتة عنه -صلى الله عليه وآله وسلّم- أن

---

(١) **ابن الهمام:** هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السواسي المصري الحنفي الفقيه من مؤلفاته فتح القدير للعاجز الفقير شرح الهداية في الفقه الحنفي، ولد عام ٧٩٠هـ وتوفي ٨٦١هـ.يُنظر: ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي٨/١٢٧، شذارات الذهب لابن العماد٩/٤٣٧، البدر الطالع للشوكاني٢/٢٠١.

(٢) رواية الترمذي ليست كما ذكرها، وإنما هي: «عن ابن عباس -رضي الله عنهما- **أن النبي ﷺ قرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب**» قال أبو عيسى.حديث ابن عباس ليس إسناده بذاك القوي.إبراهيم بن عثمان، هو: أبو شيبة الواسطي منكر الحديث، والصحيح عن ابن عباس قوله: **من السنة القراءة على الجنازة بفاتحة الكتاب**» اهـ.

قال الألباني: صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي له ١/٥٢٢(ح١٠٢٦) وصحيح سنن ابن ماجة للألباني ٢/١٧٠؛١٢٢٤) وإرواء الغليل له برقم ٧٣١، وأحكام الجنائز له برقم: ١١٩. وأخرج البخاري -رحمه الله- في صحيحه عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: صليت خلف ابن عباس -رضي الله عنهما- على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب، قال: لتعلموا أنها سنة.ينظر: صحيح البخاري مع فتح الباري ٣/٢٥٩ كتاب الجنائز باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة (ح ١٣٣٥).فالرواية التي ذكرها، أعني عمل ابن عباس -رضي الله عنهما- ليس في سنن الترمذي، وإنما هي في صحيح البخاري كما تقدم أنفا.

(٣) يقصد بآثار الأكابر: أقول رجال المذهب الكبار.

(٤) رسالة قبرية لمحمد فريد بالبشتو ص:١٣، ونسخة أخرى ص:٢٢ وباللغة الأردية ص:١١.ومثله قال محمد يوسف اللديانوي في كتابه (اختلاف أمت اور صراط مستقيم)ص: ٤٢٩وما بعدها.

تكون مكروهة أو بدعة مذمومة، بل إنها مستحبة استحبها العلماء الأعلام والمشائخ الكرام، لمناسبة كل عضو بدعاء يليق في المقام»[1].

ثم أضاف قائلا: «عُلِم من كلام الشيخ العلامة علي القاري: أن أذكار الوضوء غير ثابتة عنه ﷺ، ومع ذلك مستحبة استحبها العلماء الأعلام والمشايخ الكرام، ومن ثَمَّ قال العلامة الكشميري[2] في شرح على البخاري[3]: فمن ظن أن الفضل فيما ثبت عمله صلى الله عليه وآله وسلّم فقط، فقد حاد عن طريق الصواب وبنى أصلا فاسدا»[4].

وعدّ الآخر الأمور التي كانت بدعة في القرون الأولى، لكن للتواني في الأمور أو لمصلحة يجوز فعلها فقال: «ومن ذلك التلفظ بالنية في الصلاة، فإنه مستحسن، ومع ذلك ما نُقل عن النبي ﷺ ولا عن[5] الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- ولا التابعين كما صُرِّح به في (الدر المختار ص:٥٢) والتلفظ عند الإرادة بها مستحب، وهو المختار... وقيل سنة يعني أحبَّه السلف وسنّةُ علمائنا[6]، إذ لم ينقل عن المصطفى ﷺ ولا

---

(١) أنوار الحق لشمس العارفين ص:٥٢.

(٢) **الكشميري**: هو محمد أنور شاه بن معظم شاه الحنفي الديوبندي الهندي الكشميري، عالم، محدث، فقيه، توفي سنة ١٣٥٢هـ وعمره ستون سنة، من مؤلفاته فيض الباري شرح صحيح البخاري، التصريح لما تواتر في نزول المسيح وغيرها.يُنظر: أكابر علماء ديوبند لمحمد أكبر ص: ٩٥ ومقدمة فيض الباري بقلم محمد يوسف البنوري ٦٨/١، ومعجم المؤلفين لكحالة٣/ ١٤٩.

(٣) ولعل الصواب: في شرحه على البخاري، لأن للشيخ أنْوَرْشاه الكشميري -رحمه الله- شرحٌ على صحيح البخاري سماه (فيض الباري).

(٤) أنوار الحق لشمس العارفين ص: ٥٣.

(٥) ولعل الصواب لغة: ولا عن الصحابة.

(٦) ولا أدري من هؤلاء السلف الذين يحبون ما لم يثبت عن النبي ﷺ ولا أصحابه ولا التابعون؟!؟! وهل للعلماء والمشايخ سنة مستقلة غير سنة النبي ﷺ ؟!.

عن الصحابة والتابعين، بل قيل بدعة. فعلم من الكلام المذكور أن التلفظ ما كان في القرون المشهود لها بالخير ومع ذلك سمي سنة»[1].

وهكذا غلا بعض الناس في تعظيم أقوال المشايخ والعلماء فقالوا: إنهم لا يخطئون أو هم معصومون؛ فيطيعونهم في كل صغيرة وكبيرة تعظيما وطاعة لهم، ويظهر هذا جلياً في عقيدة الرافضة حيث إنهم جعلوا أئمتهم معصومين عن الخطأ[2].

وقد وافق الصوفيةُ الرافضةَ في الغلو في مشايخهم فاعتقدوا أنهم على الصواب المحض وأنهم لا يخطئون، حيث قالوا: «وإن خطر ببال المريد أن في العالم أحداً يوصله إلى الله غير شيخه؛ فقد تصرف فيه الشيطان...

وإن حرّم الشيخ على المريد شيئاً مباحًا فلا يُنكر عليه...

ولو احتج المريد على الشيخ بأقاويل العلماء في جواز المباح لم يفلح أبداً..

وينبغي أن يكون بين يدي الشيخ كالميّت بين يدي الغَسّال يتصرف فيه كيف يشاء...

والاعتراض على الشيوخ سم قاتل...

ويحسب حكم الشيخ في الوظائف والعبادات واجبا على نفسه...»[3].

كل هذا بل وأكثر من هذا يفعلونه ويعتقدونه تعظيما وطاعة لهم، من دون حجة وبرهان.

الانحراف الثاني: الغلو في شأن النبي ﷺ ورفعه فوق مكانته التي أعطاها الله ﷻ إياه.

لقد غلا البعض في تعظيم ذات النبي ﷺ ورفعوه فوق مكانته التي أعطاه الله ﷻ ومن صور هذا الانحراف ما يلي:

---

(١) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ١٧٦-١٧٧.

(٢) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري ٢/٩٥١-٩٧٣ محيلا إلى بحار الأنوار ٢٥/١٩١، ومجمع البيان للطبرسي ١/٢٠١ والتبيان للطوسي ١/ ٤٤٩ عقائد الإمامية للزنجاني ص:٧٧، وأصول التشيع لهاشم الحسيني ص:١٣١-١٣٢.

(٣) السلسلة القادرية الشريفة لمحمد أمين ص:٨٩-٩٢، وخير الذاكرين لنعمة الله النقشبندي ص: ٢٥٥-٢٥٧. ومثل هذا أو قريبا منه ذكر في التحفة الصندلية لسيد محمود الصندلي ص:٢٤-٢٦ والسلسلة المباركة حسب إرشاد المفتي محمد فريد ص: ٤٤.

أولا: قولهم: إن النبي ﷺ بل والأنبياء كلهم متصرفون في الكون باطنه وظاهره، حيث قال بعضهم: «اعلم أن الحكام على الخلق ثلاث طوائف...إلى أن قال: وثالثها: الأنبياء، وهم الذين أعطاهم الله من العلوم والمعارف ما لأجله يقدرون على التصرف في بواطن الخلق وأرواحهم، وأيضا أعطاهم من القدرة والمكنة ما لأجله يقدرون على التصرف في ظواهر الخلق...»[1].

ثانيا: قولهم: إن نبيّنا محمداً ﷺ **حاضر وناظر**، ومعناه موجود في كل مكان يراقب أحوال الناس، ويشاهد أعمالهم.

أورد أحد المؤلفين سؤالاً: هل النبي ﷺ حاضر وناظر؟ **ثم أجاب بقوله:** «نعم ! ولا شك فيه أن الله تعالى أرسله شاهدا ومنحه كرامة عظيمة وفَضَّله ﷺ بميزات ممتازة، واتصفه[2] بصفة الشهود، وهو ﷺ يشهد على أعمال الأمة يوم القيامة، فهذا يمكن إذا يراها وتتجلّى أمور الكون أمامه ﷺ حتى لا يخفى عليه شيء.والدليل على هذا قول الله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾[3]و قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾[4]»[5].

ولهذا قال البعض:النبي ﷺ يحضر مجالس الميلاد، أو أنه يحضر للصلاة معهم أحيانا، وقال الآخر أنه رأى النبي ﷺ يقظة لا مناما[6]، ولا تتعجّب حيث مهّد لهم البعض

---

(١) (اختلافي مسائل كا حل) لمحمد أشرف چشتى ترجمة مسائل كثر حولها النقاش والجدل تصنيف سيد زين آل سميط ص: ١٥٨-١٥٩، وفي الوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٦٢ وثالثها الأنبياء أو هم الذين...بدل وهم الذين...

(٢) هكذا في المرجع ولعل الصواب: (ووصفه).والله أعلم.

(٣) سورة البقرة (١٤٣).

(٤) سورة الأحزاب (٤٥).وهذه الجملة وردت في عدة آيات.

(٥) ((اختلافي مسائل كاحل)) لمحمد أشرف چشتى ص: ١٦١-١٦٢.

(٦) هذه الأقوال ينقلها العوام عن بعض العلماء والمشايخ، حيث يقومون جميعا- وأحيانا يطفئون الأنوار في محفل الميلاد- ويقولون: جاء ! جاء! أو حضر!، حضر! يعنون بذلك النبي ﷺ، وستأتي النقولات في رؤية النبي ﷺ يقظة لا مناما، في الكلام عن تعظيم العلماء والمشايخ، والله المستعان.

بقولهم: «أما قدوم روحه عليه الصلاة والسلام في بعض الأحيان لبعض الخواص أمر غير مستبعد، ومعتقد هذا القدر لا يعدّ مخطئا؛ لكونه أمراً ممكنا، فهو صلى الله عليه وسلّم حيٌّ في قبره الشريف يتصرف في الكون! بإذن الله تعالى كيف يشاء...!!!» (1).

وقال غيره: حياة الأنبياء متفق عليها، ولا خلاف لأحد في ذلك، [وحياتهم] حياةٌ جسمانية!، ودنيوية حقيقية!!، لا حياةً معنويةً روحانيةً!!!(2).

وقال غيره: «إن حياة الأنبياء والشهداء حياة جسدانية»(3).

---

(1) المهند على المفند لخليل أحمد السهارنپورى ص ١٥٠.

(2) ضياء الصدور لمنكري التوسل بأهل القبور للسواتي ص: ١٩

(3) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٥٨، وقال حافظ مطيع الله صاحب أنوار الإيمان في ص: ١٩٦: إن مولانا زكريا(وهو مؤسس جماعة التبليغ) قائل بحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حياة جسمانيا!!

وقال غيره: «عندنا وعند مشايخنا حضرة الرسالة ﷺ حي في قبره الشريف، وحياته ﷺ دنيوية[1] من غير تكليف، وهي مختصة به ﷺ، وبجميع الأنبياء -صلوة الله عليهم[2]- والشهداء، لا برزخية كما هي حاصلة لسائر المؤمنين، بل جميع الناس»[3].

وقال الآخر: لا يمتنع رؤية ذات النبي ﷺ بروحه وجسده [بعد مماته]؛ لأنه وسائر الأنبياء أحياءٌ ردت إليهم أرواحهم بعد ما قُبضوا، وأُذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي، ولا مانع أن يراه كثيرون في وقت واحد؛ لأنه كالشمس[4].

---

(١) **وهذا الاعتقاد باطل**؛ لأن حياته ﷺ برزخية، وهي ليست مثل حياة الدنيا أبدا، كيف تكون دنيوية ولا بدّ في الحياة الدنيوية أن يأكل ويشرب من الدنيا، وأما أمور البرزخ في غطاء وبرزخ عنا، ولعل من اعتقادهم- حياته ﷺ في القبر كحياته في الدنيا وأنه ﷺ أُذِن له بالخروج إلى الدنيا للتصرف في الملكوت العلوي والسفلي- نشأت كذبة الغلاة منهم حيث قالوا: إنه ﷺ يأتي بروحه، أو بجسده وروحه إلى بعض الخواص، أو المحافل أو أنهم استطاعوا رؤيته يقظة لا مناما.

وقد رد المحققون من أهل السنة على هذا المعتقد حيث قال شكري الألوسي: وكون الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- وكذا الخلّص من عباد الله -أحياء في قبورهم حياة برزخية- لا يقتضي أن يثبت لهم شيء من خصائص الإلهية. يُنظر: جهود العلماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ٢/٨٣٦ محيلا إلى فتح المنان لشكري الألوسي ص: ٤٨١- ٤٨٢.

وقال محمود الألوسي: «وعندي أن الحياة في البرزخ ثابتة لكل من يموت من شهيد وغيره [يعني نبيا كان أو وليا]، وأن الأرواح -وإن كانت جواهرَ قائمةً بأنفسها- مغايرةٌ لما يحس به من البدن، لكن لا مانع من تعلقها ببدن برزخي مغاير لهذا البدن الكثيف». ينظر روح المعاني للألوسي ٢/٣١ عند تفسير الآية (١٥٤) من سورة البقرة.

وقال الشيخ غلام الله خان الديوبندي: إن أرواح الأنبياء -عليهم السلام- لا توجد في أبدانهم المباركة بعد موتهم، وأن موتهم موت حقيقي، وأن حياتهم في القبور برزخية لا دنيوية ناسوتية. جهود العلماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ٢/٨٥٢ محيلا إلى جواهر القرآن لغلام الله خان ١/١٢٧.

(٢) هكذا في المرجع ولعل الصواب والأصح (صلوات الله عليهم) بصيغة الجمع.

(٣) المهند على المفند للسهارنپوري ص: ٢٥-٢٦.

(٤) زيارة القبور لبادشاه گل ص: ٥٨.

وقال آخر: إن السيوطي(1) -رحمه الله -رأى النبيَّ ﷺ اثنين وعشرين مرّةً يقظةً، وكان معه ثمانية أشخاص آخرون!!!، والإمام الشعراني(2) -رحمه الله - قرأ صحيح البخاري على النبي ﷺ !!!، وقال الشاه أنور شاه الكشميري: إن رؤية النبي ﷺ في حال اليقظة حقيقة، والإنكار منها جهل)!!!(3).

ثالثا: قولهم: إن النبي محمداً ﷺ نور، كما أنه في نفس الوقت بشرٌ(4).أورد أحدهم سؤالاً فقال: «هل النبي ﷺ نور؟ الجواب: نعم! أنه ﷺ نور وبشر ولا منافاة بينهما قال الله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾(5) ولا يخفى أن جبريل عليه السلام خلق من نور مع أنه تمثّل في صورة البشر(6)، فمن أنكر بشريته ﷺ فهو كافر، ومن أنكر نورا(7)...ﷺ فهو ضال مضل» (8).

---

(١) **السيوطي**: هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان الشافعي، ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي ٩١١هـ، ينظر ترجمته في: شذارات الذهب لابن العماد ٥١/٨، البدر الطالع للشوكاني١/٣٢٨،ومعجم المؤلفين لكحالة٢/٨٢.

(٢) **الشعراني**: هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني،الشاذلي، الصوفي، مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة٨٩٨هـ، وتوفي بالقاهرة ٩٧٣ هـ، ينظر: شذارات الذهب لابن العماد٨/٣٧٢، الأعلام للزركلي٤/١٨٠معجم المؤلفين لكحالة ٢/٣٣٩.

(٣) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٠٤ محيلا إلى فيض الباري للكشميري ١/٢٠٤.

(٤) قال هذا القائل بهذه المقولة، وغلا الآخرون حيث أنكروا كونه بشرا ،جعلوه ﷺ شفافا لا ظل له-كما سيأتي أقوالهم بعد عدة أسطر- حتى كُتِب عدة كتب في كون النبي نورا لا بشرا ولا ظليلا، والدكتور شمس الدين الأفغاني البشاوري -رحمه الله- سرد أسماء جملةٍ كبيرةٍ منها في كتابه القيم المسمى بـ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ٢/٧١٩.

(٥) سورة مريم (١٧).

(٦) يرمز ويشير القائل: أن محمدا ﷺ خُلق من نور، كما خُلق جبريل عليه السلام من نور؛ فكما أن جبريل عليه السلام نورٌ ولا منافاة لنورانيته بأن يتمثل في صورة البشر؛ فكذلك محمد ﷺ.

(٧) هكذا في المرجع، ولعل الصحيح:ومن أنكر نورانيته...أو كونه نورا...

(٨)«اختلافي مسائل كاحل» لمحمد أشرف چشتي ص: ١٥٤.

وغلا الآخرون وجزموا بكون النبي ﷺ نورا، حيث استدل على ذلك بأدلة لا تدل عليه، منها أحاديث ضعيفة، بل ومنها موضوعة على لسان النبي ﷺ كحديث «أولُ ما خَلَق الله نورَ نبيكَ يا جابر»[(١)].ونحو ذلك من الأحاديث.

وقال عبد الرحمن بابا:**نوُر هاله د محمد وُو پيداء شوي***چى بوي نه وُو دآدم او دحوا** [(٢)].

المعنى: خُلِق نورُ محمدﷺ في وقتٍ لم يكن في ذلك الوقت رائحةُ آدمٍ ولا الحوّاء!!!

وقال البوصيري[(٣)]: **وكلُّ آيٍ أتى الرسل الكرام بها *** فإنما اتصلت من نوره بهم**[(٤)].

رابعا: الغلو في تعظيمهﷺ من حيث تسميته أو توصيفه بأوصاف تنافي بشريته، كتسميته بُمشْكِلْ كُشَا[(٥)](كاشفِ الكروبِ)، رافعِ الرتبِ، صاحبِ الفَرَج[(٦)] ونحو ذلك، مما فيه غلو في تعظيم النبي ﷺ إطراء له فوق مرتبته التي أعطاها الله إياه.

خامسا: قد غلا البعض في تعظيمه ﷺ حتى جعلوه علة وسببا لوجود الدنيا كلها، يقول عبد الرحمن بابا: **كه صورت دمحمد نه وي پيدا *** پيدا كڙي به خدائي نه وه دا دنيا**
كل جهان د محمد په روي پيدا شه * محمد دي د تمام جهان آبا** [(٧)].

---

(١) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٧٠٦ محيلا إلى سيرة الحلبي ١/٥٠.و« ملفوظات محمدأمين» ص: ٢٩.قال الألباني – رحمه الله-: بعد أن ذكر حديث: «خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من نار السموم وخلق آدم عليه السلام مما قد وصف لكم».رواه مسلم (٨ / ٢٢٦)...قلت: وفيه إشارة إلى بطلان الحديث المشهور على ألسنة الناس: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر».ونحوه من الأحاديث التي تقول بأنه ﷺ خلق من نور، فإن هذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور، دون آدم وبنيه، فتنبه! ولا تكن من الغافلين.السلسلة الصحيحة له١ /٨٢٠ رقم الحديث(٤٥٨).

(٢) « دخدائے نيازبين» لفقير محمد عباس قادرية ص: ٨.محيلا إلى أشعار عبد الرحمن بابا.

(٣) **البوصيري:** هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن أبو عبد الله شرف الدين الصوفي من أهل الطرق ولد سنة ٦٠٨هـ وتوفي ٦٩٤ وقال ابن العماد: سنة٦٩٥هـ ينظر الوافي بالوفيات للصفدي ١٠٥/٣، شذارات الذهب لابن العماد٧٥٣/٧، وكشف الظنون: ١٣٣١.

(٤) قصيدة البردة للبوصيري ص: ٢٤٤، أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص:٧٠٨.

(٥) «عاشق الرسول فخر كشمير» لتحسين الله ص:٤٠٤.

(٦) دلائل الخيرات لمحمد سليمان ص: ٤٧.

(٧) « دخدائي نيازبين» لفقير محمد عباس قادرية ص: ٨، ويُنظر: ديوان محمد أمين لمحمد أمين ص: ٩.

المعنى: لو لم يُخلَق جسدُ محمدٍ!!! لما خَلقَ الله هذه الدنيا!!!خُلقت الدنيا كلها بوجه محمد!!! محمد أبٌ للدنيا كلها!!!.

ويورد البعض حديثا يزعمونه قدسيا «**لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك**»[1]. وهو حديث موضوع مختلق[2].

وتقول الرافضة عندما يروون حديث الكساء المشهور عندهم: «...قال الله ﷻ يا ملائكتي ، ويا سكان سماواتي إني ما خلقت سماءً، ولا أرضا مَدْحيَّةً، ولا قمرا منيرا، ولا شمسا مضيئة، ولا فَلَكاً يدور، ولا بحرا يجري، ولا فُلْكا يسري، إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء، فقال الأمين جبرائيل: يا رب! ومن تحت الكساء؟ فقال ﷻ: هم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، هم: فاطمة، وأبوها، وبنوها، وبعلُها...»[3]

ويقول الآخر: قد خُلِق من أجل وجهه ﷺ ثمانية عشر ألف عالَمَاً، ويقول الله تبارك وتعالى في شأنه في الحديث القدسي: من لدن العرش إلى تحت أرضين، كلهم

---

(١) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٦٧٧.

(٢) عده الصغاني من الموضوعات حيث قال: ومنها[أي من الموضوعات] قولهم: (لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك).ينظر:موضوعات الصغاني ص: ٤٦ برقم (٧٨).ووافقه الشوكاني -رحمه الله- بأن الحديث موضوع.ينظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص: ٣٢٦برقم١٨ من باب فضائل النبي ﷺ، وقال الألباني – رحمه الله -: «موضوع.كما قاله الصغاني في «الأحاديث الموضوعة» (ص ٧)، وأما قول الشيخ القاري (٦٧ – ٦٨): لكن معناه صحيح، فقد روى الديلمي عن ابن عباس مرفوعا: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد لولاك لما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار**» وفي رواية ابن عساكر: «**لولاك ما خلقت الدنيا**».فأقول: الجزم بصحة معناه لا يليق إلا بعد ثبوت ما نقله عن الديلمي، وهذا مما لم أر أحدا تعرض لبيانه، وأنا وإن كنت لم أقف على سنده، فإني لا أتردد في ضعفه، وحسبنا في التدليل على ذلك تفرد الديلمي به، ثم تأكدت من ضعفه، بل وهائه، حين وقفت على إسناده في «مسنده» ١/٤١/ ٢ من طريق عبيد الله بن موسى القرشي: حدثنا الفضيل بن جعفر بن سليمان عن عبد الصمد بن علي بن عبد الله ابن عباس عن أبيه عن ابن عباس به.**قلت**: وآفته عبد الصمد هذا، قال العقيلي: حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به».سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة له ١/ ٤٥٠ برقم ٢٨٢.-

(٣) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٣٨٩-٣٩٠.

يطلبون رضائي، وأنا أطلب رضاك يا محمد ﷺ(1). ولا يخفى على المسلم العاقل بطلان هذا الكلام(2).

سادسا: وقد غلا البعض في تعظيم النبي ﷺ وخاصة عند تقديم السلام عليه في المسجد النبوي أو خارجه، حيث يتوجه إلى القبر أو القبة المبنية على القبر بوجهه، ويقف على هيئة الصلاة أو مسترسلا الأيدي بخشوع وخضوع منكسر الرأس، أو يخرج من المسجد النبوي قهقرا، أو يتجوّل في المدينة أو عند المزارات فيها حافية الأقدام، أو جعل صورة نَعْل- يزعمونها صورة نَعْل المصطفى ﷺ- على قلنسوة أو على الجيب، أو التعمم بالعمامة الخضراء، أو تعظيماً عاماً للون الأخضر(3) من أجل لون الأخضر للقبة المبنية على قبره ﷺ، ونحو ذلك مما لم ينزل الله بها من سلطان، وليس عندهم على ذلك من برهان.

---

(1) ((ملفوظات ومطالبات محمد أمين)) لتحسين الله ص: ٤٧.

(2) وكلام الرجل هذا لم أجد له أصلا، ويرده صمدية الله ﷻ وعبودية النبي ﷺ قال تعالى:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ ﴾ وقال تعالى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [الكهف:١]، والواقع يرد هذا القول، حيث عاتب الله ﷻ نبيه ﷺ حيث قال تعالى:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝ ﴾[سورة عبس]، وقال تعالى:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال]. وعبادات النبي ﷺ كلها لم يكن عبثا، بل كان ليرضي الله؛ فهو ﷺ كان يحاول رضا الرب ﷻ لا أن الرب يحاول رضا النبي، وكان يقول: ((ولا نقول إلا ما يَرضَى ربنا)). صحيح البخاري مع فتح الباري٣/٢٢١ كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون (ح ١٣٠٣) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي١٥/٧٤ كتاب الفضائل باب رحمته الصبيان والعيال (ح٥٩٧٩).

(3) يغلب هذه الأعمال في البريلوية من الصوفية، وهم يسمون أنفسهم في شبه القارة الهندية: جماعة أهل السنة والجماعة، وأبرز صفاتهم الغلو في الأنبياء والأولياء، وخاصة في النبي محمد ﷺ، ومن عقائد هذه الفرقة أن النبي محمد ﷺ لدية قدرة يتحكم بهافي الكون، وأنه حاضر وناضر كل مكان وزمان، وأعظم أعيادهم ذكرى مولد النبوي. ينظر: جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ٢/٧٠٥ وما بعدها، والموسوعة الميسرة للجهني٢/٢٩٨.

الانحراف الثالث: الغلو في الأولياء والصالحين.

لقد غلا البعض في شأن غير الأنبياء من الأولياء والصالحين، وحتى في بعض الطالحين ورفعوهم فوق رتبهم بحجة تعظيم الأولياء والصالحين، حتى جعلوهم متصرفين في الكون كيف يشاءون، وأشركوهم مع الله في الألوهية وأعطوهم أسماء الله وصفاته بعد أن جعلوهم أربابا من دون الله، وأطاعوهم في أوامرهم، وخدموهم حتى بأبدانهم، وأموالهم، وعيالهم، ومن الأمثلة لذلك:

أولا: قال بعضهم في شأن الأولياء: (إن الله ﷻ لما صار وليا لأحد من الناس خَلق في أذن ذلك الشخص طاقةٌ وقدرةٌ يسمع بهما من بعيد، وخُلِق في عينيه قدرةٌ وطاقةٌ يبصر بهما من بعيد، وخُلِق في يديه قدرة وطاقة يُمسك ويَبطش بهما من بعيد، وخُلِق في رجليه طاقةٌ وقدرةٌ يقطع بهما مسافة بعيدة في لحظة واحدة، والله لا يكون أذنين لأحد، ولا عينين لأحد، ولا رجلين لأحد، ولكن الله يجعل له فيها قدرة وطاقة لا يكون لغيره من الناس العاديّين ويقال لهذا كرامة...

ثم قال:وقد بيّن عبد الرحمن بابا هذه الكيفية بقوله:

چي په يو قدم تر عرشه پوري رسي * ما ليدلي دي رفتار د درويشانو)** [(١)].

معناه: ويصلون بخطوة واحدة إلى العرش *** أنا الذي رأيت سرعة سير الدراويش.

وقال آخر: «ولا تباعد من الأولياء حيث طويت لهم الأرض، وحصل لهم أبدان مكتسبة متعددة، و وجدوها في أماكن المختلفة في آنٍ واحد»[(٢)].

وقال:«الولي في الدنيا كالسيف في غمده، فإذا مات تجرّد عنه؛ فيكون أقوى في التصرف »[(٣)].

ومن هنا يزيد انحرافهم في شأن الأولياء والصالحين فيعتقدون فيهم أنهم يتصرفون في الكون، ويتحركون في العالم يمينا وشمالاً، وإن استغاث بهم أحد وصلوا له في اللحظة؛ فيعظّمونهم ويستغيثون بهم أحياءً وأمواتا. والعياذ بالله.

---

(١) أنوار الإيمان ص: ٨٣٠ -٨٣١.

(٢) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ١٦.

(٣) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:١٦٦.محيلا إلى الأجهوري المالكي.

ثانيا: ومنهم من رفع شأن مشايخ الصوفية فوق رتبتهم حيث أوصلوهم مقام الصحبة، أو النبوة أو أرفع منهما، حيث قال أحدهم: (إن الله تكلم مع الجنيد - رحمه الله - ثلاثين سنة بلسان الجنيد و لم يعلم ذلك أحد)[1].

وقال آخر: (إن الجيلاني -رحمه الله- دعا على غراب كان يصوِّت عند ما كان الشيخ الجيلاني يعظ الناس في المسجد؛ فمات من فَوْره، ثم قال له الجيلاني- رحمه الله -: قم بإذن الله فأُحْيِيَ مرة أخرى، وطار)[2].

وقال: ومرّة كان الجيلاني - رحمه الله - يأكل الدجاج، ومريده كان يأكل خبز الشعير فجاءت والدة المريد واعترضت عليه، وقالت: كيف تأكل الدجاج ومريدك يأكل خبز الشعير؟ فقال للدجاج قم بإذن الله، ! فقام الدجاج، فلما تحيرت المرأة قال الشيخ الكبير[يعني الجيلاني]: إذا وصل ابنك إلى هذه المرتبة يأكل الدجاج، وأنا كنت آكل الخبز الشعير لما كنت في مرتبته) [3].

ثالثا: لقد لعب الشيطان على بعض الناس- لقلة علمهم، وبعدهم عن السنة — حيث ظنوا: أن المكلف قد يبلغ درجة من الدرجات يسقط فيها عنه التكليف، قال أحدهم: (للإحسان ثلاث درجات: الأولى درجة المشاهدة: وهي أن تعبد الله كأنك تراه، وهي عبارة عن الخضوع في العبادة كأنك ترى الله تعالى.

الثانية درجة المراقبة: «وهو[4] فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وتستحضر أن الله يراني.

الثالثة درجة صحة العبادة: «وهو أن تسقط معه التكليف[5]» وخلاصة هذا أن تريد عبادةً مّا إرادة جازمة)[6].

---

(١) «دخدائے نيازبين» لفقير محمد عباس قادرية ص:١٩.

(٢) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٣٩.محيلا إلى فيض الباري ٢/٦١.

(٣) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٤٢.

(٤) في المرجع (هو) ولعل الصحيح لغةً:(هي)؛ لأن الضمير يرجع إلى الدرجة أو المراقبة.

(٥) كذا في المرجع ولعل الصحيح لغةً: هي أن يسقط معها التكليف، لدلالة السياق عليه.

(٦) «السلسلة المباركة» حسب إرشاد المفتي محمد فريد ص: ١٣.

الانحراف الرابع: طاعة الكبراء، وتقديم كلامهم على الكتاب والسنة.

ومن الانحرافات التي تتعلق بالتعظيم والطاعة تعظيم بعض الناس للرؤساء والأمراء والوجهاء ونحوهم، حيث يعظموهم إلى حدٍّ يقدمون كلامهم وأمرهم على الكتاب والسنة، فيطيعوهم في كل ما يأمرون ويطبقون جميع ما يريدون ومن الأمثلة لهذا:

أولا: التدمير والتخريب والفساد في الأرض وما يحدث من إتلاف الممتلكات الشخصية أو الحكومية، التي يقوم بها بعض الناس طاعةً عمياء لأوامر أمير الحزب أو الجمعية أو رئيس القبيلة ونحوها[١].

ثانيا: ومن الانحرافات المتعلقة بالتعظيم والطاعة ما يقوم بها بعض الناس حين الحكم بين الناس وقبل الفصل بين المتخاصمين في أمرٍ مًّا فيخيّرون الطرفين: ويقولون لهم بأي حكم ترضون؟ أترضون بحكم الشريعة؟ أم.ترضون بحكم القوم وعاداتهم؟ فإن رضي الطرفان بحكم القوم وعاداتهم، يكونان ملزمان بالحكم، مهما كان الحكم[٢].

وهناك بعض الانحرافات المتعلقة بتعظيم القبور ونحوها من الأمور سيأتي بيانها -إن شاء الله تعالى- في الباب الثالث عند بيان الانحرافات المتعلقة بتقديس الأمكنة والأزمنة.

---

(١) وهذا مما يُشاهَد كثيراً في المظاهرات التي تخرج لنوايا المختلفة بأوامر العظماء ونحوهم.

(٢) « ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمدزي ص: ١٨٣.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتعظيم، والطاعة

لقد أباح الإسلام، بل أوجب تعظيم ما عظّمه الله ورسوله، وحث على تعظيم حرمات الله، وجعل تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، قال الله تعالى:﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ ﴾ (١) وقال ﷻ:﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (٢).

وتعظيم كل شيء حسب ما أراد الشارع تعظيمه، فأحيانا يكون التعظيم بالفعل، وأحيانا يكون بالترك، وأحيانا بالتوقير والاحترام والتبجيل في القلب والإرادة وكل ذلك حسب أمر الشارع وفي إطار توجيهاته للتعظيم.

فإذا عُظّم المعظم وفق توجيهات الشارع وفي حدوده دون إفراط أو تفريط، كان المعظّم مطيعا لله مثابا على التعظيم، وإن لم يُعظّم المعظَّم وفق توجيهات الشرع وحدود الشارع، بل تعدى المعظِّم الحدود أو عظّم ما لم يأذن الشارع بتعظيمه كان التعظيم معصية، وكان المعظِّم عاصيا لله في ذلك التعظيم.

وهكذا أمر الشارع بطاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر من المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٣)

قال ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله –: «فتأمل قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ كيف قال:﴿ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ﴾ و لم يقل: **وأطيعوا أولي الأمر** منكم؛ لأن أولي الأمر لا يُفْرَدُون بالطاعة، بل يُطاعون فيما هو طاعةٌ لله ورسوله، وأعاد

---

(١) سورة الحج (٣٠).

(٢) سورة الحج (٣٢).

(٣) سورة النساء (٥٩).

الفعل مع الرسول؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعةٌ لله ورسوله »[1].

فالطاعة إذا كانت بأمر الشارع، ولمن أمر الشارع بطاعته، وفي حدود الشارع كانت الطاعة عبادة يثاب المطيع بذلك، وإن لم تكن الطاعة بأمر الشارع، أو كانت لمن لم يأذن الله بطاعته، أو تجاوز المطيع حدود الطاعة المسموح بها، كانت الطاعة معصيةً لله، ولا يثاب عليها المطيع ، وتكون الطاعة حينئذٍ من الانحرافات. فإذا كان التعظيم والطاعة مطابقان لنصوص الشرع وأصوله، كان توحيد المرسِل والمرسَل بالفتح والكسر، وإذا لم تكن وفق نصوص الشرع سواء بزيادة أو نقصان، كان انحرافا متعلقا بذلك التوحيد. وهذا خلاصة لموقف الإسلام من الانحرافات التي تتعلق بالتعظيم والطاعة والتفصيل كالآتي:

موقف الإسلام من الانحراف الأول:وهو تعظيم آراء الرجال وترك النصوص، أو تقديمها عليها، أو تأويلها لتوافق تلك الآراء والأقوال تعظيماً وطاعةً لهم.

إن المسلم مأمور بطاعة الله ﷻ وطاعة رسول الله ﷺ وأولي الأمر من المسلمين كما أنه مطالب بأخذ الكتاب والسنة وتعظيمهما أجل التعظيم، وتعظيمهما يكون بالعمل بمقتضاهما إما العمل أو الترك، قال الألوسي- رحمه الله — في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [2].وتعظيمها بالعلم بوجوب مراعاتها، والعمل بموجبه[3].

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص:٢/٥٤٢-٥٤٣.

(٢) سورة الحج (٣٢).

(٣) روح المعاني للألوسي ١٠/٢١٩.

فالمسلم إذا بلغه الحديث الصحيح عن النبي ﷺ- سواء كان عاميا أو عالما، أو فقيها أو مجتهدا- لا يسعه إلا الأخذ به والعمل بمقتضاه قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١]. وهذا ما يسمى بتوحيد المتابعة.

قال ابن كثير – رحمه الله — في تفسير الآية: «أي عن أمر رسول الله ﷺ وسبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مَرْدُود على قائله وفاعله، كائنا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من عمل عَمَلا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ** »[٢] أي: فليحذر وليخْشَ من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حَد، أو حبس، أو نحو ذلك »[٣].

ومنع العامي والعالم وغيره من العمل بالحديث، وإلزامهم بالعمل بأقوال رجال المذهب وآرائهم –كما تقدم في بيان الانحرافات– أمرٌ مخالف لأراء وأقوال رجال المذهب، فضلا أنه مخالف لصريح المنقول لأن الله تبارك وتعالى قال:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٤]. أَمَـر الله المسلمين عموما سواء كانوا أُميّين أو علماء أو فقهاء أو غيرهم- بالأخذ والتمسك بما آتى به الرسول صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ، والاجتناب عما نُهي عنه.

---

(١) سورة النور(٦٣).

(٢) تقدم تخريجه في فصل المحبة. ينظر: ص: ١٩٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨١/١٠.

(٤) سورة الحشر (٧).

قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[١].وأرشدنا إلى التمسك بسنته وسنة خلفائه ﷺ وخاصة عند الفتن.

وقال الإمام أبو حنيفة – رحمه الله –: «إذا جاء الحديث صحيح الإسناد عن النبي ﷺ أخذنا به و لم نَعْده »[٢]، أي وقفنا عنده وأخذنا به و لم نتجاوز إلى الرأي والقياس.

وقال الشافعي لأحمد – رحمهما الله –: «أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا؛ فإذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب إليه، كوفيا كان، أو بصريا أو شاميا »[٣].

و قال الشافعي –رحمه الله –: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد[٤].

وقد خاطب الشوكاني –رحمه الله– القائلين بمنع العامي والعالم عن العمل بالحديث المتعصبين للمذاهب في كل حال، فقال: «يا من نشأ على مذهب من هذه المذاهب الإسلامية أنا لك النذير المبالغ في التحذير، من أن تقول هذه المقالة وتستمر على الضلالة، فقد اختلط الشرّ بالخير ، والصحيح بالسقيم، وفاسد الرأي بصحيح الرواية، و لم يبعث الله إلى هذه الأمة إلا نبياً واحداً أمرهم باتباعه ونهى عن مخالفته فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ

---

(١) سنن أبي داود كتاب السنة باب في لزوم السنة٥/١٣(ح ٤٦٠٧).وسنن الترمذي كتاب العلم باب في الأخذ بالسنة(ح ٢٦٧٦) ومسند الإمام أحمد ١٢٧/٤، وقال الألباني: صحيح.ينظر صحيح سنن الترمذي له ٧٠/٣(ح٢٦٧٦) وصحيح سنن ابن ماجة له٣٢/١برقم٢٢، وقال محققو مسند أحمد: حديث صحيح...ورجاله ثقات.يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣٧٣/٢٨ (ح١٧١٤٤).

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص:١٤٤،ويُنظر:عقود الجُمَان للصالحي ص:١٧٣.

(٣) يُنظر: مرقاة المفاتيح لملا علي القاري في شرح حديث القلتين(ح٤٧٧) ٣٤٢/١ الطبعة الهندية و١٧٨/٢ طبعة دار الفكر.

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم ١١/١.وقد ذُكر مجموعة من هذه الأقوال في التمهيد.

ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(١).ولو كان محض رأى أئمة المذاهب وأتباعهم حجة على العباد، لكان لهذه الأمة رسلٌ كثيرون متعــدّدون بعدد أهل الرأي، المكلفين للناس بما لم يكلفهم الله به » (٢).

ولم يقل أحدٌ من أصحاب المذاهب أنه يجب على أحد من الناس العمــل بقــول المجتهد أو بقول فقهاء المذهب الذين هم ناقلوا المذهب، بل قالوا: لا يحل لأحد أن يفــتي بكلامنا، أو يأخذ بقولنا ما لم يعرف من أين أخذناه(٣). فالمجتهد يقول-براءةً للذمة-: «لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا، حتى يعلم من أين قلناه » (٤)، وهؤلاء يقولون: يجب علينــا العمل بقول المجتهد؛ لأن مستند المقلد قول المجتهد!!!.

وما كان من أصولٍ وقواعدَ في الالتزام بالمذهب؛ لتلوّي بها أعناق النصوص تأويلا لتناسب أقوال رجال المذهب،كما تقدم في ذكر الانحراف الأول، كلها تخالف النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال مشايخ المذهب، التي تأمر بالتمسك بالكتاب والسنة، وترك قول أي إنسان إذا خالف القرآن والسنة، كما تقدم آنفا.

وأما ردّهم الأحاديث الثلاثة في قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة بالتأويلات المتعصبة للمذهب فيقال لهم: **إذا ثبت بسند صحيح** عن أحد من الصحابة كابن عباس – رضي الله عنهما–قوله: **إنها سنة**، فكيف لا يكون بها التعامل؟! وهل يشترط للعمل بالحديث – بعد ثبوت صحته– أن يكون مشهورا أو متواتراً ؟! ثم ولو صرّح ابن الهمام –رحمه الله– أو غيره، فهل قراءة الفاتحة كونها قرآنا أفضل أم قراءتها ثناء ؟!. وهل يقابل قوله ورأيــه بقول ورأي حبر الأمة وترجمان القرآن، ابن عباس– رضي الله عنهما– ؟! وكيف يَصح قول أحد: إن المراد من السنة الجواز؟! وحبر الأمة وترجمان القــرآن يــصرح ويقــول: «**لتعلموا أنها سنة**»، ومعلوم أن قول الصحابي:«**من السنة كذا** » له حكم الرفع.

---

(١) سورة الحشر (٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني٢/٢٨٩ عند تفسير الآية(٢٨)من سورة الأعراف.

(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة...لابن عبد البر ص:١٤٥، وعقود الجُمَان للصالحي ص: ١٧٣.

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم٣/٤٦٩ محيلا إلى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة – رحمهما الله –.

قال الألباني -رحمه الله- في هذه المسألة: «ولما رأى بعض المتأخرين منهم[أي الحنفية] بُعد هذا القول عن الصواب، ومجافاته عن الحديث، قال بجواز الفاتحة بشرط أن ينوي بها الدعاء والثناء على الله، وإنما اشترطوا ذلك توفيقا منهم -بزعمهم- بين الحديث وقول إمامهم، فكأن قولَه حديثٌ آخرُ صحيح، ينبغي قرنه مع الحديث الصحيح ثم الجمع بينهما! ومع أن هذا الشرط باطل في نفسه لعدم وروده، فإنه يبطله ثبوت قراءة السورة مع الفاتحة في الحديث وهي مطلقة لا يمكن اشتراط ذلك الشرط فيها أيضا! وعندهم عجيبة أخرى! وهي قولهم:«إن قراءة سبحانك اللهم- بعد التكبيرة الأولى من سنن الصلاة على الجنازة»، مع أنه لا أصل لذلك في السنة...فجمعوا بين إثبات ما لا أصل له في السنة، وإنكار مشروعية ما ورد فيها!»[1].

وأما جوابه عن الحديث الأخير كما تقدم في بيان الانحرافات فلا اعتبار له، كما لا اعتبار لجوابه عن الحديث الأول؛ لأن المسلم لا يجيبُ عن أحاديث الرسول -بعد ثبوت صحتها- بأجوبة، بل عليه أن يعمل بها، ثم ولو سلمنا قوله ذلك!! فهل يمكن لآثار أكابر العلماء أن تعارض آثار الرسول والصحابة؟! وهل الحديث يسقط الاستدلال به إذا عارضه آثار أكابر المذهب؟!**الجواب لا.وقوله**: إن الحديث معارض برواية الجهر، فيا ترى هل القائل يعمل برواية الجهر التي أشار إليها؟!. الجواب: **لا!**، فما هي إلا محاولات لتطبيق هذا الأصل الذي أصّلوه لتُلوِّيَ به عنق الأحاديث الصحيحة، والروايات المرفوعة، ويخضعها لأقوال رجال المذهب وآرائهم الذين يسمونه الأكابر.

وما قيل: إن العامي إذا سمع حديثا ليس له أن يأخذ بظاهره، فكذلك كلام مردود؛ لأن الأحاديث لم تأتي إلا للعمل بها ظاهرا وباطنا، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

(١) أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص: ١٥٢-١٥٣.

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1]. وقال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[2].

وقال محمد سلطان الخجندي الحنفي: «إن العمل بالحديث بحسب ما بدا لصاحب الفهم المستقيم من المصلحة الدينية هو المذهب عند الكل، وهذا الإمام أبو حنيفة –رحمه الله تعالى– كان يفتي ويقول: هذا ما قدرنا عليه في العلم فمن وجد أوضح منه فهو أولى بالصواب»[3].

ثانيا: قولهم في منع العامي والعالم والفقيه، بل وحتى المجتهد عن الانتقال من مذهب فقهي إلى آخر ولو كان ذلك باجتهاد، ظلم وطغيان، ورجم للعلماء والمجتهدين بالهذيان، ألم يكن أبو يوسف[4] صاحب أبي حنيفة –رحمهما الله– قد رجع عما كان يراه ويقوله في مقدار الصاع[5]

---

(١) سورة الحشر (٧).

(٢) تقدم تخريجه قريبا ينظر: ص: ٢٨٥.

(٣) هدية السلطان للخجندي ص: ٧٧، وانظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣/ ٣٥٢، وعقود الجُمَان للصالحي ص: ١٧٤.

(٤) **أبو يوسف:** هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، القاضي، الكوفي صاحب أبي حنيفة –رحمه الله– فقيه، حافظ، مجتهد، ولد سنة ١١٣هـ وتوفي ١٨٢هـ.ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٤٢/١٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٨٧/٦ برقم ٨٢٤، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ١٢٢/٤.

(٥) مسألة الصاع هي: أن مقدار الصاع عند أبي حنيفة وأصحابه ﵏ ثمانية أرطال، فكان أبو يوسف يقول برأي الإمام أبي حنيفة –رحمه الله– قبل أن يسافر إلى المدينة، فلما جاءها ودارت المناقشة بينه وبين الإمام مالك –رحمهما الله– فأمر مالك «أهل المدينة أن يأتوه بصيعانهم حتى اجتمع عنده منها شيء كثير، فلما حضر أبو يوسف قال مالك لواحد منهم: من أين لك هذا الصاع؟ قال:حدثني أبي عن أبيه أنه كان يؤدي به صدقة الفطر إلى رسول الله ﷺ.وقال الآخر: حدثني أمي عن أمها أنها كانت تؤدي به يعني: صدقة حديقتها إلى رسول الله ﷺ.وقال الآخر نحو ذلك.وقال الآخر نحو ذلك.فقال مالك لأبي يوسف: أترى هؤلاء يكذبون ؟ قال: لا والله ما يكذب هؤلاء قال مالك: فأنا حررت هذا برطلكم يا أهل العراق فوجدته خمسة أرطال =

وصدقة الخضروات[1] وغيرها، إلى ما كان يقوله مالك -رحمه الله- وقال: رجعت لقولك يا أبا عبد الله، ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت[2].

قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: «وكم خالف أبا حنيفة أبو يوسف ومحمدٌ[3] وزفرُ[4] وغيرهم من أصحابه في مسائل لا تكاد تحصى، وكم قد رجعوا عن مسألة لما ظهر لهم فيها الدليل على خلاف ما كانوا وافقوه فيه، وقد قال أبو يوسف لما رجع عن قوله في مقدار الصاع، وعن صدقة الخضروات وغيرها: لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت. وإنما قال ذلك لأنه يعلم من أبي حنيفة -رحمه الله- أنه إذا ظهر له الدليل رجع إليه» [5].

= وثلثا، فقال أبو يوسف لمالك: قد رجعت إلى قولك يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت. مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١/٥٤ وينظر: فتح القدير لابن الهمام فصل في مقدار الواجب ووقته ٢/٢٩٧.

(١) صدقة الخضروات: كان الإمام أبو يوسف يقول بقول الإمام أبي حنيفة في وجوب العشر في الخضروات، ولما ناقشه مالك -رحمه الله- رجع إلى قول مالك وهو عدم وجوب العشر في الخضروات، يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠/٣٠٦، وينظر: فتح القدير لابن الهمام باب زكاة الزرع والثمار ٢/٢٤٢-٢٤٣.

(٢) غاية الأماني لشكري الألوسي ١/٩٩.

(٣) **محمد:** هو أبو عبد الله محمد بن الحسن فَرقَد الشيباني الكوفي، أصله من دمشق قدم أبوه العراق، فولد بواسط، وصاحَب الإمام أبي حنيفة، فأخذ الفقه عنه وعن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة، وأخذ عنه الشافعي -رحمهم الله جميعا- توفي بالري ١٨٧هـ. يُنظر: الجواهر المضية لعبد القادر القرشي ٣/١٢٢(١٢٧٠)، والفوائد البهية للكهنوي ص: ١٦٣.

(٤) **زفر:** هو زفر بن الهذيل بن قيس العنبري البصري من كبار تلاميذ أبي حنيفة -رحمه الله- توفي سنة ١٥٨هـ. يُنظر: الفوائد البهية للكهنوي ص: ٧٥، والجواهر المضية للقرشي ٢/٢٠٧ (٥٩٦).

(٥) الإتباع لابن أبي العز الحنفي ص: ٤٠.

فهل يعزر أبو يوسف في انتقاله إلى مذهب مالك وتركه مذهب أبي حنيفة -رحمهم الله جميعا- في هذه المسألة، وهكذا هل يعزر الطحاوي الحنفي[(١)] -رحمه الله- ؟! أو ابن دقيق العيد[(٢)] الشافعي -رحمه الله- في تركهما المذهب الفقهي الأول؟!.

وهل الالتزام بمذهب معين من المذاهب الفقهية، واجب أو مندوب بنص من القرءان، أو السنة، أو قول أحد من الفقهاء والمجتهدين؟ **الجواب: لا**، لأن المذاهب آراء أهل العلم، وأفهامهم في بعض المسائل واجتهاداتهم، وهذه الآراء والاجتهادات والأفهام، لم يوجب الله تعالى ولا رسوله على أحد إتباعها، فإن فيها الصواب والخطأ، ولا صواب خالصا إلا ما ثبت عن رسول الله ﷺ، وكثير ما ذهب الأئمة إلى مسألة، فبان لهم الحق في غيرها فرجعوا عنها[(٣)].

وقال السلطان المعصومي: «أسألك بالله العظيم يا أيها المسلم العاقل المنْصِف: أن الإنسان إذا مات هل يسأل في قبره، أو يوم الحساب، لِمَ لَمْ تتمذهب بمذهب فلان؟، أو لِمَ لَمْ تدخل في طريقة فلان؟ والله إنك لا تسأل ذلك أصلا، بل تسأل لِمَ التزمت المذهب الفلاني؟ أو سلكت الطريقة الفلانية؟ لأن هذا ولا شك من اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله...» [(٤)].

---

(١) تقدم في ترجمته أنه كان صاحب المزني وكان شافعياً يقرأ على المزني فقال له يوماً: واللّه لا جاء منك خير، فغضب من ذلك، وانتقل إلى ابن أبي عمران الحنفي، فلما صنف مختصرة قال: رحم اللّه أبا إبراهيم لو كان حياً لكفّر عن يمينه.يُنظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٢٣/٣.

(٢) ابن دقيق العيد:هو أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع، المنفلوطي، المالكي، ثم الشافعي، ولد سنة ٦٢٥هـ بالحجاز، تفقه على المذهب المالكي على يد والده، ثم تفقه على يد عز الدين ابن عبد السلام في المذهب الشافعي ولي قضاء مصر وتوفي بالقاهرة سنة ٧٠٢هـ.يُنظر ترجمته في: شذارات الذهب لابن العماد١١/٨، والوافي بالوفيات للصفدي١٩٣/٤ برقم(١٧٤١)، ومعجم المؤلفين لكحالة ٥٥٣/٣.

(٣) يُنظر: هدية السلطان للخجندي ص: ٥٥.

(٤) هدية السلطان للخجندي ص: ٦٥.

والعاقل سليم العقل يعرف بعقله، أنه لا يسأل عن المذاهب الفقهية والطرق الصوفية في القبر ولا الحشر؛ لأن المذاهب الفقهية، والطرق الصوفية لم تحدث إلا بعد أصحابها الذين ينسب إليها المذهب والطرق[1]، وكل هذا لم يكن إلا بعد الصحابة، فهل يُسئل الصحابة ﷺ أو أبو حنيفة، أو ملك، أو الشافعي أو أحمد -رحمهم الله- أو غيرهم من أقرانهم أومن قبلهم، عن التمذهب بأحد المذاهب الفقهية؟! أو التمسلك بأحد الطرق الصوفية؟! الجواب: لا؛ لأنها لم تكن موجودة، ولم يقل النبي ﷺ أنكم ستُسئلون عنها.

وأما القول بأنه يجوز لأحد -كائنا من كان- أن يحد ث شيئا لم يفعله النبي ﷺ أو لم يرد منه ﷺ، أو يسنن أذكارا وأورادا للوضوء، أو الصلاة أو غيرها، أو يخترع لها طريقة لم يبيّنها النبي ﷺ للأذكار أو لأيّ عبادة أخرى، وثم يتجرأ أحدٌ ويقول: هذا سنة أو مستحب، أو يتجرأ أكثر ويقول: من ظن أن الفضل فيما ثبت عمله ﷺ فقد حاد عن طريق الصواب وبنى أصلا فاسدا، أو يقول: التلفظ بالنية في الصلاة مستحسن، ومع ذلك ما نقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ﷺ[2]، فما هذا إلا تشجيع على الابتداع في الدين الذي حذر النبي ﷺ عنها بقوله: «**إياكم ومحدثات الأمور**»[3].

ودیننا كامل لا يحتاج إلى الترقيع أو تكميل، وما من خير إلا ودلّنا عليه النبي ﷺ، وما من شرّ إلا وقد حذرنا منه، و«لم يمت النبي ﷺ حتى أتى ببيان جميع ما يُحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة »[4] ومن لم يكتف بما جاء به النبي ﷺ، وأراد الترقيع أو الاستدراك عليه، فقد زعم أن النبي ﷺ خان الرسالة، كما قال مالك -رحمه الله-:

---

(١) قال محمد سلطان المعصومي الخجندي الحنفي: «فتدبر وتأمل أنها ما شاعت إلا بعد خير القرون، وما ألزمت إلا من الأمراء الغاشمين، والحكام الجاهلين، والعلماء المضلّين» ينظر: هدية السلطان للخجندي ص: ٦٩.

(٢) لقد أقرّ القائل: بأن التلفظ[بالنية في الصلاة] ما كان في القرون المشهود لها بالخير، ولم ينقل عن المصطفى ﷺ ولا عن الصحابة، ومع ذلك تجرأ فقال: ومع ذلك سمي سنة، فلا أدري من سنّها؟ ومتى ؟.

(٣) تقدم تخريجه في ص: ٢٨٥.

(٤) الاعتصام للشاطبي ١/ ٦١.

«من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا»[2].

إن نبينا ﷺ علّمنا طريقة قضاء الحاجة، وكيفية النوم، والاستيقاظ وما يقال عند ذلك من الأدعية والأذكار، وبل وعلّمنا كل شيء نحتاج إليه في الدين، فهل يعلّمنا آداب قضاء الحاجة والدعاء عند دخول الخلاء والخروج منه، ويعلمنا الوضوء وكيفيتها، فلو كان لكل عضو دعاء فهل كان يبخل علينا بها؟! كلا وحاشاه، وهو ﷺ يعلمنا كيفية الصلاة وشروطها وسننها وواجباتها وأركانها فلو كان التلفظ بالنية مستحسن أو محبوب هل كان يبخل علينا بتعليمه؟! كلا وحاشاه.

إن جميع ما يبتدعه المبتدع من البدع، يظنها حسنة، ويريد بها الأجر والفوز بالجنة، ولكن «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[3].

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الغلو في شأن النبي ﷺ ورفعه فوق مكانته التي أعطاها الله ﷻ إياه.

أولا: أن الغلو والإطراء في حق النبي ﷺ ليس تعظيما له، وإنما تعظيمه قبول قوله والعمل بمقتضاه، وترك ما نهى عنه، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله**»[4].

والاعتقاد بأن النبي ﷺ متصرف في الكون ظاهره وباطنه، غلو في شأنه فوق غلو النصارى، لأنهم اعتقدوا في ابن مريم فوق مرتبته بأن ظنوه ابن الله -سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا- وهؤلاء أعطوا لمحمد ﷺ الربوبية في الكون، وجعلوه متصرفا في

---

(١) سورة المائدة (٣).

(٢) الاعتصام للشاطبي ١/٦٢.

(٣) سنن النسائي كتاب صلاة العيدين باب كيف الخطبة؟ ص: ٢٦٠ وقال الألباني: صحيح. ينظر صحيح سنن النسائي للألباني ١/٥١٢ برقم ١٥٧٧.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى واذكر في الكتاب مريم ٦/ ٥٨٣ (ح٣٤٤٥).

ظاهر الكون وباطنه، وقد قال الله تعالى مبينا أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فكيف يتصرف في غيره قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾[1].

وسجّل التاريخ أنه ﷺ شُجَّ رأسه وكسر رباعيته يوم أحد، وما هذا إلا ثبوت لبشريته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولو كان متصرفا في الكون، لأهدى الكفار جميعا، أو لأهلكهم جميعا، وأنقض نفسه من الغم، وعمَّهُ حمزة[2] من الموت حيث حزن لموته أشد الحزن، ولكنه لم يستطيع أن يحدث في الأمور الكونية شيئا، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[4].

ثانيا: الاعتقاد بأنه ﷺ حاضر وناظر، اعتقاد باطل، لأن قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[5] لا يدل على قولهم: إن النبي ﷺ يشهد على أعمال الأمة يوم القيام؛ **لأن الشهادة** هنا ليست شهادةً على الأعمال، وإنما هي شهادة التبليغ كما فسرها النبي ﷺ بنفسه حيث قال: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم! فيقال لأمته هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلّغ، ويكون الرسول

---

(١) سورة يونس (٤٩).

(٢) **حمزة**: هو ابن عبد المطلب القرشي عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، لأن ثوبية مولاة أبي لهب أرضعتهما، استشهد في معركة أحد سنة الثالثة للهجرة، ولقبه النبي ﷺ بأسد الله، وسماه سيد الشهداء. يُنظر: أسد الغابة لابن الأثير ٢/٦٧(١٢٥١)، الاستيعاب لابن عبد البر ١/٣٦٩ (٥٤١)، الإصابة لابن حجر ٢/١٠٥(١٨٣١).

(٣) سورة قصص (٥٦).

(٤) سورة الأعراف (١٨٨).

(٥) سورة البقرة (١٤٣).

عليكم شهيدا، فذلك قوله جلّ ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١) والوسط: العدل» (٢).

وجميع ما ورد من كونه ﷺ شاهدا على أمته يراد به هذا المعنى؛ لأن القرءان الكريم يفسّر بعضه بعضا؛ والتفسير المأثور عن النبي ﷺ لكلام الله تعالى -إذا ثبت بسند صحيح كهذا التفسير- هو التفسير الذي يفسر به كلام الله ﷻ و يؤخذ به لا غير.

ثم ولو سلمنا أن المراد من الشهادة في الآية الشهادة على الأعمال، فهل أمة محمد ﷺ أيضا كانت حاضرة وناظرة في الأزمان السابقة؟! حتى قال الله تعالى في شأنها: ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (٣).وهل القائل بهذا القول من أمة محمد ﷺ أم لا؟ وهل كان حاضرا وناظرا لأعمال الأمم السابقة؟! فما يكون جوابهم، هو جوابنا.

والقول بأن النبي ﷺ حيّ في قبره، وحياته دنيوية، يرده النصوص الكثيرة منها:

قول الله تعالى:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (٦).

وأما القول بقدوم النبي ﷺ بجسده أو روحه لبعض الخواص، أو محافل المملوءة بالعوام، كالصلوات، ومحافل الميلاد ونحوها، قول باطل لا أساس له، بل ويرده بشرية خير الأنام، و لم يثبت أبدا على مرّ العصور والأعوام، لما يلي:

---

(١) سورة البقرة (١٤٣).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التفسير باب وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ٨/ ٢١٥ (ح ٤٤٨٧).

(٣) سورة البقرة (١٤٣).

(٤) سورة الزمر (٣٠).

(٥) سورة الأنبياء (٣٤).

(٦) سورة آل عمران (١٨٥)، وسورة الأنبياء (٣٥)، وسورة العنكبوت (٥٧).

أولا: أن هؤلاء الذين يرمزون لهم بالخواص، ما كانوا ولن يكونوا بأفضل من أصحاب الرسول ﷺ أبدا، و لم يأت النبي ﷺ لا بروحه ولا بجسده إلى الصحابة ﷺ مع وجود الحاجة إلى إتيانه ﷺ إما بروحه أو بجسده ليحلّ ما حصل من الخلاف والنقاش بين الصحابة ﷺ، أو يرشدهم إلى ما ينبغي اتخاذه في مثل هذه المواقف الحرجة، مثل حادثة الجمل والصفين، أو حين كان الصحابة ﷺ يجمعون القرآن في زمن أبي بكر الصديق ﷺ، أو في عهد عثمان بن عفان ﷺ، أو أيام محنة أحمد بن حنبل -رحمه الله- عندما قال الجهمية بخلق القرآن، وأجبر كثير من الناس على هذه المقولة الباطلة، ونحوها من الحوادث والوقائع، لما ذا لم يأت النبي ﷺ بجسده أو روحه حتى يتكلم بينهم بالقول الفصل وتنتهي به المشكلة، أليس هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، ولو كان بإمكانه الإتيان إلى الدنيا مرّة أخرى بجسده أو روحه لما حدث ما حدث من البدع والانحرافات، من التشيع والاعتزال وغيرها، ولكان قوله عند مجيئه قولا فصلا في الحال.

إن القول بإتيان النبي ﷺ بجسده أو روحه هو امتداد لعقيدة الرجعة التي تعتقدها اليهود والرافضة، حيث تعتقد اليهود أن بعض الأموات ترجع إلى الدنيا مرة أخرى قبل يوم القيامة[(١)]، كما توارثت الشيعة هذه العقيدة من اليهود وقالوا: إن بعض الأموات يعودون إلى الدنيا قبل قيام الساعة، وذلك عند قيام القائم -وهو مهديهم المزعوم[(٢)] الذي يلقبونه بالحجة على الخلق- [(٣)].

---

(١) ينظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود. للجميلي ٢٨٣/١ محيلا إلى الإصحاح الحادي والعشرين سفر الخروج فقرات (٤-٨) والإصحاح السادس والعشرين من سفر إشعيا فقرتا (١٩،٢٠) والإصحاح السادس والستين من سفر إشعيا فقرات (١٢-١٤) وغيرها.

(٢) تزعم الرافضة: أنه وُلِد لحسن العسكري -الإمام الحادي عشر للإمامية الاثني عشرية- ولدٌ اسمه محمد وقد اختفي في السرداب في العراق، وأنه سيرجع في آخر الزمان وهو المهدي المنتظر، وليس هذا هو المهدي المنتظر عند أهل السنة لأن النبي ﷺ أخبر به وباسمه واسم أبيه، وأن اسمه محمد واسم أبيه عبد الله كما أن اسم النبي ﷺ محمد واسم أبيه عبد الله.قال النبي ﷺ **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوَّل الله ذلك اليوم، حتى يَبْعَثَ رجلا مني أو من أهل بيتي، يواطيء اسمه اسمي، واسم أبيه اسمَ أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا»**.سنن أبي داود أول كتاب المهدي ص: ٧٦٥(ح٤٢٨٢) وقال الألباني حسن صحيح.يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (ح١٥٢٩).

(٣) أصول مذهب الشيعة للقفاري١١٠٣/٢، بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود. للجميلي ٢٨٣/١، كلا هما أحالا إلى مصادر الرافضة.

وعقيدة الرجعة باطلة قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[1]. هذه الآية قطعت كل أمل في الرجعة إلى الدنيا مرة أخرى سواء كانت للعمل الصالح أو غيره.

ثم إن من المعلوم أن من رأى النبي ﷺ يقظة وآمن به ومات على الإسلام فهو صحابي، فهل هذا الذي يروى عنه رؤية النبي ﷺ يقظة لا مناما هل يُعَدُّ من الصحابة؟! ولا يقول بهذا قائلٌ، ولا أعتقد أن يقول بهذا أحدٌ، لعدم وجود الصحابة بعد القرن الأول بإجماع المسلمين.

قال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- فيمن زعم أنه رأى النبي ﷺ يقظة وحصل بينهما كلام: «**قلت**: وهذا مشكل جداً، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يومْ القيامة، ...وقد اشتد إنكار القرطبي[2] على من قال: من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة كما تقدم قريبا»[3].

ونقل ابن حجر -رحمه الله- شدة إنكار ابن العربي[4] -رحمه الله- على من زعم رؤية النبي بعيني الرأس بعد وفاته ودفنه حيث قال: «وشَذّ بعض القدرية فقال: الرؤيا لا حقيقة لها أصلا وشَذّ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة»[5].

---

(١) سورة المؤمنون (٩٩-١٠٠).

(٢) **القرطبي**: هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، يعرف بابن المزين، الفقيه، المحدث، صاحب المفهم شرح صحيح مسلم ولد سنة٥٧٨هـ وتوفي ٦٥٦هـ.ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٨/٤، والأعلام للزركلي ١٨٦/١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التعبير باب من رأى النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم في المنام٤٨١/١٢عند شرح حديث (٦٩٩٣).

(٤) **ابن العربي**: هو محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي صاحب أحكام القرآن، وعارضة الأحوذي في شرح الترمذي توفي ٥٤٣.يُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي١٩٧/٢٠.

(٥) فتح الباري لابن حجر كتاب التعبير باب من رأى النبي ﷺ في المنام٤٨٠/١٢ (ح٦٩٩٣).

فلم يبق إلا أن نقول: إن نقل قول رؤية النبي ﷺ يقظة لا مناما، إما كـذب علـى القائل، أو صدر منه القول في حالة الإغماء أو نحوها من الأحوال التي لا يؤخذ بها القائل، أو هو صادق فيما قال لكنه رأى شيطانا أو جنيا تمثل بصورة مّا، فظن أنه رسـول الله، أو كذب الشيطان وقال: إني رسول الله– لأن الشيطان وإن كان لا يتمثل بـصورته، لكنـه يستطيع أن يكذب عليه؛ فانخدع به الرائي وقال: رأيت رسول الله ﷺ يقظة لا مناما.

وقد أورد الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود ﷺ حيـث قـال: إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل، فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب، فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث[1].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عدة أمثلة، بأن الشيطان جاء حالة اليقظة لبعض الناس وادّعى أنه النبي الفلاني أو الشيخ الفلاني...ثم قال –رحمه الله-: «وإذا كان يقول أنا المسيح أو إبراهيم أو محمد فغيرهم بطريق الأولى والنبي قال:"من رآني في المنام فقـد رآني حقـا فـإن الشيطان لا يتمثل في صورتي"[2]وفي رواية "في صورة الأنبياء" [3] فرؤيا الأنبياء في المنام حـق وأما رؤية الميت في اليقظة فهذا جني تمثل في صورته، وبعض الناس يسمي هذا روحانية الشيخ وبعضهم يقول هي رفيقه...» [4].

ثالثا: أما كونه ﷺ نورا بمعنى أنه ﷺ جاء في وقت ظلام الشرك والكفر فـأزال الله بـه الظلام، فهو ﷺ نور بهذا المعنى لا ينكره أحد، وبهذا المعنى تفسر جميع النصوص التي ورد أنـه

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء١/٣٧رقم(١٧).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/٢٦٧(ح١١٠).

(٣) لم أجد هذه الرواية بهذا اللفظ، ولكن العيني –رحمه الله– أيد هذه الرواية في عمدة القاري في كتاب الرؤيا باب الطواف بالكعبة في المنام٢٤/٢٣٩ عند شرح حديث (٧٠٢٦).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣٢٦/٢. وللتفصيل المزيد يراجـع مجمـوع فتاوى ابن تيمية١/١٧١، وما بعدها.

ﷺ نور، أو أن القرءان نور كما في قوله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ [3]

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [4].

وأما أن يكون النبي ﷺ جسدا نورانيا، أو أنه خلق من نور -كما يعتقد البعض- فهـذا زعم باطل يردّه نص القرآن والسنة والعقل.

أما نص القرآن فقول الله تعـالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [5]. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [6].

وأما من السنة قوله ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم؛ فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها» [7].

ومثله قوله عندما نسي في الصلاة: «إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون» [8].

---

(١) سورة النساء (١٧٤).

(٢) سورة المائدة (١٥).

(٣) سورة الأنعام (٩١).

(٤) سورة الشورى (٥٢).

(٥) سورة الكهف (١١٠).

(٦)سورة فصلت (٦).

(٧) صحيح البخاري مع الفتح كتاب المظالم باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه٥/ ١٣٣ (ح٢٤٥٨)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ٢٣١/١٢ (ح٤٤٤٨).

(٨) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة حيث كان ٦٥٣/١ (ح٤٠١)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب السهو في الصلاة ٥/ ٦٤ (ح١٢٧٤).

«فمن أنكر بشرية رسولِ الله ﷺ وجعله نورا لا ظل له، كنور الشمس والقمر والنجوم مثلا- فقد استخف برسول الله ﷺ في صورة التعظيم، وصار هذا المحب كالصديق الأحمق الذي يضر بصديقه لحماقته وبلادته؛ فهو أخس من العدوّ العاقل وأضرّ، فإن الله تعالى قد أمر الملائكة أن تسجد لآدم؛ فدل هذا على أن الأنبياء أفضل من الملائكة؛ فلا منافاة بين كونه ﷺ بشرا، وبين كونه نبيا رسولا، كما أنه لا منافاة بين كونه ﷺ نورا بمعنى هاديا وبين كونه بشرا؛ والحقيقة: أن من يعتقد أن رسول الله نور لا بشر، ويرى المنافاة بين البشرية والرسالة؛ فقد اعتقد عقيدة الكفار السابقين المنكرين للرسل -عليهم السلام- الذين كانوا يرون المنافاة بين الرسالة والبشرية، وقد ردّ الله عليهم في عدة مواضع من كتابه الحكيم» (١).

وكذا العقل يدل على أنه ﷺ بشر، لأنه ﷺ وُلِدَ من أبوين بَشَرَيْنِ، ونسبه ﷺ معروفٌ مُدَوَّنٌ في كتب التاريخ والسيرة إلى جده الأعلى، فكيف يكون هو نور ولم يكن آباؤه وأجداده أنوارا، والفرع يتبع الأصل في الخلق.

والقول:إنه ﷺ نور ولد من أبوين بشرين، يشابه قول النصارى الذين يقولون: إن عيسى هو ابن الله ولد من مريم، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومن المعلوم المقطوع به بين العلماء أن الأحاديث الضعيفة لا يستدل بها في الدين فضلا عن الأحاديث الموضوعة، أو الأبيات الشعرية المنقولة من الصوفية والشعراء.وما استدلوا به من كونه ﷺ نورانيا من الأحاديث منها ضعيف ومنها موضوع، أو أشعار الصوفية والغلاة من القبورية، فلا يستدل بها أصلا.

رابعا: إن تسمية أو توصيف النبي ﷺ أو غيره من الأولياء والصالحين وغيرهم لا يجوز شرعا إلا بما يناسب قدرهم ومكانتهم، وأما الغلو في شأن الأنبياء والأولياء فممنوع شرعا بجميع أشكاله سواء كان بالاسمية أو الوصفية، أو نسبة شيء إليهم ينافي بشريتهم، أو يوهم الشرك والعياذ بالله.

---

(١) جهود العلماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني٢/٨٩٠-٨٩١ محيلا إلى أحسن الفتاوى لرشيد أحمد اللديانوي١/٥٥-٥٧ وأحال كذلك على الفتاوى الرشيدية للجنجوهي ص: ٢١٤.

وقد أنكر النبي ﷺ التسميات المشبوهة والممنوعة مما كان موهما للشرك والغلو، وسيأتي تفصيل هذا في الباب الثالث، في فصل التعبيد في الأسماء إن شاء الله تعالى.

وأما القول: بأنه ﷺ أو بنيه وذويه علة لخلق الكون كما يزعمه غلاة الصوفية والرافضة فباطل بنص القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) فالآية تنص أن علة خلق الجن والإنس ليست إلا عبادة الله، وخلق الله الأرض وما فيها للإنس والجن قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (٢).فليس علة الخلق جسد النبي ﷺ أو غيره.

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو الغلو في الأولياء والصالحين.

إن تعظيم وطاعة من أَمَر الله ورسوله بتعظيمه وطاعته، أمر مندوب بل واجب، ولكن الغلو في تلك الطاعة والتعظيم حرام وممنوع، وإعطاء الأولياء أو غيرهم حق التصرف في الكون، كأن يبطش بمن يشاء، أو أن يصل إلى العرش بخطوة واحدة، أو أن يُرى في أمكنة متعددة في آنٍ واحد، وأن يغيث من استغاث به ونحو ذلك من التصرفات في الكون جهل بحقوق الله، وإعطاءٌ لحقه للمخلوق، وهذا ظلم عظيم قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣).

ثانيا: لم يكن هؤلاء الدراويش أفضل من الرسول ﷺ حتى يصلوا إلى العرش بخطوة واحدة، والنبي ﷺ أسري به أولا إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء، ولم يصل إلى العرش بخطوة واحدة.

---

(١) سورة الذاريات (٥٦).

(٢) سورة البقرة (٢٩).

(٣) سورة لقمان (١٣).

والقول بأن فلانا من الناس تكلم معه الله بلسانه ثلاثين سنة -كما تقدم في بيان الانحرافات- و لم يعرف ذلك أحد هذا الكلام لا سند له و لله درّ القائل: «لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[1].

وهذا القول يرده العقلُ فضلا أنه باطلٌ بالنقل قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾[2].

والعقلُ يرده حيث يقول القائل بنفسه: (و لم يعلم بذلك أحد)؛ فمن أنبأ هذا القائل أن الله تكلم مع الجنيد -رحمه الله-.

والقول: بأن الجيلاني -رحمه الله- أحيا الغراب أو الديك -كما تقدم في بيان الانحرافات- كلام باطل؛ لأن إحياء الأموات -بإذن الله تعالى- كانت معجزة لنبي الله عيسى ﷺ، وإثبات هذا الفعل لغيره يحتاج إلى دليل نقلي صحيح السند، والقصص المتقولة عن الأولياء والمشايخ وغيرهم، لا تجد لها سندا أصلا فضلا أن تجد لها سندا صحيحا، مع أن اعتقاد كونهم متصرفين في الكون بالإحياء والإماتة، غلو في شأنهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾[3].وقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[4].وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾[5].

ففي الآيات السابقة أثبت الله ﷻ إحياء الأموات لنفسه على سبيل الحصر والقصر، فلا يثبت لغيره أبدا.

---

(١) القول لعبد الله بن المبارك -رحمه الله- حيث قال: «الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال: من شاء ما شاء».مقدمة ابن الصلاح ص: ٢٧١، فتح المغيث للسخاوي٣/٣٣١.

(٢) سورة الشورى (٥١).

(٣) سورة يس (١٢).

(٤) سورة الشورى (٩).

(٥) سورة ق (٤٣).

ثالثاً: قولهم بإسقاط التكليف عن البعض -كما تقدم في بيان الانحرافات- باطل كذلك؛ لأنه ليس أحد من الدراويش أو غيرهم أرفع منزلة، من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، حتى يسقط عنه التكليف، وكان النبي ﷺ أكمل الناس في الإحسان و لم يسقط عنه التكليف بل أُمر بالعبادة حتى الموت، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[1].واليقين في الآية المراد به الموت[2].كما فسّر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم اليقين بالموت، حيث قال في عثمان بن مظعون[3] رضي الله عنه لما مات: «أما هو فقد **جاءه اليقين**، والله إني لأرجو له الخيرَ» [4].ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴾ [5] فالمراد باليقين في الآيتين الموت، وبه فسرّه المفسرون[6].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «ويستدل من هذه الآية الكريمة وهي قوله:﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [7] على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتا فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري، عن عمران بن حصين -

---

(١) سورة الحجر (٩٩).

(٢) قال البخاري: قال سالم:اليقين، الموت.صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب التفسير باب﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ ٨/٤٧٨وبهذا فسّره، مجاهد، والحسن، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وغيره ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/ ٢٨٧.

(٣) عثمان بن مظعون: هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي يكنى أبا السائب، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر هجرتين، وشهد بدرا، وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعد ما رجع من بدر. الاستيعاب لابن عبد البر ٣/١٠٥٣ برقم (١٧٧٩) وأسد الغابة لابن الأثير ٣/٤٩٤ برقم(٣٥٨٨).

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت٣/١٤٧ (ح١٢٤٣).

(٥) سورة المدثر (٤٧).

(٦) جامع البيان للطبري ١٤/٢٠٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١/٣٩٨.

(٧) سورة الحجر (٩٩).

رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «صَلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جَنْب»[1]. ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر ضلال وجهل، فإن الأنبياء -عليهم السلام- كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة. وإنما المراد باليقين هاهنا الموت، كما قدمناه. ولله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية»[2].

فمن «زعم أن له مع الله تعالى حالا أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم شرب الخمر وجب قتله، وإن كان في الحكم بخلوده في النار نظر، وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لأن ضرره أكثر»[3].

إن التكليف لا يسقط من المكلف قبل الموت، وجميع المكلفين مكلفون حسب طاعتهم وقدرتهم، سواء كان نبيا، أو وليا، أو من دونهم.

موقف الإسلام من الانحراف الرابع: وهو طاعة الكبراء، وتقديم كلامهم على الوحي.

أوجب الشارع طاعة ولي الأمر وتعظيم الأمراء والوجهاء، لكن ليس بإطلاق، بل أوجب طاعتهم وتعظيمهم في حدود الشرع، فإذا تعدى حدود الشرع فلا سمع ولا طاعة، قال النبي ﷺ: «**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمِرَ بمعصية؛ فلا سمع ولا طاعة**» [4].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب تقصير الصلاة باب إذا لم يُطِق قاعدا صلى على جنب ٧٥٨/٢ (ح١١١٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨٧/٨.

(٣) روح المعاني للألوسي ٢٨/١٦ عند تفسير الآية(٨٢) من سورة الكهف.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة ١٥١/١٣ (ح٧١٤٤). صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء ٤٣٠/١٢ (ح٤٧٤٠).

وقال ﷺ «**إنما الطاعة في المعروف**»(1).

فإذا أمر أحد بالفساد وإتلاف الأموال والتخريب، فلا طاعة له بحجة أنه ولى الأمر أو أمير أو رئيس أو نحو ذلك، لأن الذي أوجب علينا طاعة هؤلاء إنما أوجبها في معروف لا في معصية الله كالتدمير والتخريب والفساد في الأرض وما يحدث من إتلاف الممتلكات الشخصية أو الحكومية ونحو ذلك.

ولكن عدم طاعتهم في المعصية لا يستوجب الخروج على ولاة أمور المسلمين، أو عدم اعتقاد إمامتهم، لقوله ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكروها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم»(2).ولقوله ﷺ: «من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتةً جاهلية» (3).

وأما الاحتكام إلى غير ما أنزل الله، فموقف الإسلام منه واضح، حيث قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (4).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (5).

---

(1) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة١٣/١٥١ (ح٧١٤٥).وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء ١٢/٤٣٠ (ح٤٧٤٢)و(ح ٤٧٤٣)..

(2) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ سترون... ١٣/٧(ح٧٠٥٢).

(3) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ سترون... ١٣/٧(ح٧٠٥٣).

(4) سورة النساء (٦٥).

(5) سورة الأحزاب (٣٦).

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية:«فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول»[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[2]وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3]وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[4].

فالحكم بغير ما أنزل الله أمر خطير غاية الخطر، لأن أقل درجاته أنه فسق، إن لم يكن كفرا مخرجا من الملة، والآيات الثلاث منزّلة على أحوال ثلاث:

١- من حكم بغير ما أنزل الله مستبدلا به دين الله؛ فهذا كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأنه جعل نفسه مشرّعا مع الله ﷻ.

٢- من حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه أو خوفا عليها، أو ما أشبه ذلك فهذا لا يكفر -كفرا مخرجا من الملة- ولكنه ينتقل إلى الفسق، أو يقال: كفر دون كفر.

٣- من حكم بغير ما أنزل الله عدوانا وظلما، وهذا لا يتأتى في حكم القوانين، ولكن يتأتى في حكم خاص، مثل أن يحكم على إنسان بغير ما أنزل الله، لينتقم منه فهذا يقال: إنه ظالم[5].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/١٧٠.

(٢) سورة المائدة (٤٤).

(٣) سورة المائدة (٤٥).

(٤) سورة المائدة (٤٧).

(٥) ملحق ضوابط تكفير المعين لعبد الله بن عبد العزيز الجبرين ص:٤٣، فقه العبادات لابن عثيمين ص:٦١.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: من جحد ما أنزل الله؛ فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم؛ فهو ظالم فاسق[(١)] اهـ[(٢)].

فعلم أن من يحكم بغير ما أنزل الله ليس كافرا خارجا من الملة إلا في حالات خاصة كأن يظن: أن حكم الله في هذا المسألة غير صحيح -والعياذ بالله-، أو يعتقد أن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله فهو كافر خارج عن الملة، وليس كل من يحكم بغير ما أنزل الله كافرا خارجا عن الملة، ولكنه على خطر عظيم [(٣)].

قال ابن عباس حبر الأمة ومفسر القرآن -رضي الله عنهما- في تفسير آية المائدة: «ليس بالكفر الذي يذهبون إليه[(٤)].وفي رواية عنه وعن طاوس[(٥)] «هي به كفر، وليس كفرا بالله وملائكته، وكتبه ورسله »[(٦)]، وقال طاوس: ليس بكفر ينقل عن الملة[(٧)].

---

(١) الفرق بينهما: أن الظالم يحكم على غير ما أنزل الله لطلب عدوان على المحكوم عليه، سواء كان له فيه منفعة أم لا، والفاسق هو ينظر لمصلحة المحكوم له سواء ظلم المحكوم عليه أو لا.

(٢) جامع البيان للطبري ٣٥٧/١٠ رقم ١٢٠٦٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ١١٤٢/٤ رقم ٦٤٢٧، ابن كثير في تفسيره ٢٣٠/٥.

(٣) للمزيد في مسألة (الحكم بغير ما أنزل الله) ومعرفة أقوال أهل العلم فيه يراجع: ضوابط تكفير المعين للدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، والتكفير وضوابطه للدكتور إبراهيم الرحيلي، تسهيل العقيدة للدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، ونواقض الإيمان القولية والعملية للدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف، وغيرها من كتب التي لها صلة بهذا الموضوع الحساس.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١١٤٣/٤ برقم ٢٤٣٤،وتفسير ابن كثير ٢٣٢/٥ ورواه الحاكم في مستدركه ٣١٣/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) **طاووس**: هو ابن كيسان اليماني مولدا ومنشئا، أبو عبد الرحمن الحميري من أبناء الفرس، قيل اسمه ذكوان وطاووس لقبه، تابعي مشهور روى عن جماعة من الصحابة توفي سنة١٠٦هـ حاجا أو معتمرا بمكة.يُنظر: ٣/٤(٢٤٩)، ووفيات الأعيان لابن خلكان٥٠٩/٢(ت٣٠٦)، وميزان الاعتدال للذهبي٩٠/١(ت٧٩)، وتهذيب التهذيب لابن حجر٩/٥(ت٣١٠٩).

(٦) جامع البيان للطبري ٣٥٦/١٠ رقم(١٢٥٣)، و(١٢٠٥٥).

(٧) جامع البيان للطبري٣٥٥/١٠ رقم(١٢٠٥٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٢/٥.

الحكم بالقوانين الوضعية من الرسومات القبلية، والدساتير الوضعية، والتغافل عما أنزله الله ﷻ أمر خطير غاية الخطر، والمسلم هو المستسلم لحكم الله وشرعه، ويكون هواه تبعا لما جاء به الرسول محمد ﷺ، ويطيعه في المنشط والمكره، ولا يجد في نفسه حرجا مما قضى الله ورسوله، ويسلم تسليما.

قال الشيخ ابن باز[1] -رحمه الله-: يجب على المسلمين أن يتحاكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في كل شيء، لا القوانين الوضعية والأعراف والعادات القبلية، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2].وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3].

فيجب على كل مسلم أن لا يقدم حكم غير الله على حكم الله ورسوله كائنا من كان، فكما أن العبادة لله وحده، فكذلك الحكم له وحده، كما قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ﴾[4] فالتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أعظم المنكرات، وأقبح السيئات، وفي كفر صاحبه تفصيل، قال الله تعلى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[5]. فمن تحاكم إلى غير الله ورسوله؛ فقد تحاكم إلى الطاغوت.

---

(١) **ابن باز:** هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن باز، العالم الرباني، المفتي العام بالديار السعودية، ولد سنة ١٣٣٠هـ بالرياض وبالطائف توفي سنة ١٤٢٠هـ ودفن في مكة المكرمة.ينظر ترجمته في: الانجاز في ترجمة الإمام ابن باز لعبد الرحمن يوسف الرحمة ص: ٢٦ وما بعدها، وإمام العصر عبد العزيز ابن باز تأليف ناصر بن مسفر الزهراني ص: ٩ وما بعدها.

(٢) سورة النساء (٦٠).

(٣) سورة المائدة (٥٠).

(٤) سورة يوسف (٤٠).

(٥) سورة النساء (٦٥).

وعلى هذا يجب على مشايخ القبائل، ألا يحكموا بين الناس بالأعراف التي لا أساس لها في الدين، وما أنــزل الله بها من سلطان، بل يجب عليهم أن يردوا ما تنازع فيه قبائلهم إلى المحاكم الشرعية، ولا مانع من الإصلاح بين المتنازعين بما لا يخالف الشرع المطهر، بشرط الرضا وعدم الإجبار لقوله ﷺ «**الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا حرم حلالا، أو أحلّ حراما**»(١).

كما يجب على القبائل جميعا ألا يرضوا إلا بحكم الله ورسوله(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الأحكام عن رسول الله باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح ص: ٣١٧(ح١٣٥٢)، وابن ماجه في سننه كتاب الأحكام باب الصلح ص: ٤٠٢(ح٢٣٥٣)، وقال الألباني صحيح. يُنظر: إرواء الغليل للألباني برقم(١٣٠٣)

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ١٤٢/٥-١٤٣.

الفصل السادس

الانحرافات المتعلقة بعلم الغيب،وموقف الإسلام منها،
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علم الغيب،حقيقته، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بعلم الغيب.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

علم الغيب، حقيقته، وأنواعه.

إن علم الغيب من الأمور التي اختص الله تعالى بها نفسه، و لم يعطه أحدا سواه، ولكن بعض الناس لم يعرفوا حقيقته فاختلط عليهم الأمر؛ فأثبتوه لغير الله ﷻ، ووقعوا في انحراف عظيم، وفي هذا المبحث بيان لمعنى علم الغيب، وحقيقته، وأنواعه وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: علم الغيب لغة.

إن كلمة علم الغيب مركبة من الكلمتين -تركيبا إضافيا- وهما: العلم والغيب وفي هذا المطلب سأقوم بتعريف كلٍ من الكلمتين من حيث الأصل والتصريف، ثم بيان معناهما.

أولا: أصل الكلمتين:

أصل كلمة علم: العين واللام والميم، أصل صحيح، واحد، يدل على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره[1].

أصل كلمة الغيب: الغين والياء والباء، أصل صحيح يدل على تستّر الشيء عن العيون أو ما غاب عنك[2].

ثانيا: تصريف الكلمتين:

١- العلم: مصدر من عَلِم يَعْلم عِلْماً[3].

٢- الغيب: مصدر من غَابَ يَغِيبُ غَيبةً وغَيْباً وغُيوباً ومَغيباً[4].

معنى الكلمتين:

العلم نقيض الجهل[5]، وهو معرفة الشيء على ما هو به، والاعتقاد الجازم المطابق للواقع [6].

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٦٨٩.

(٢) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٨٠٨. لسان العرب لابن منظور ٦/٧٠٤.

(٣) كتاب العين للفراهيدي بترتيب الهنداوي٣/٢٢١.

(٤) الصحاح للجوهري١/١٩٦.

(٥) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٦٨٩، لسان العرب لابن منظور ٦/٤١٥.

(٦) ينظر:الكليات للكفوي ص:٦١٠، ٨٦٨، والتعريفات للجرجاني ص:٢٠٠.

والغيب ما غاب عن العيون(١)، أو ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر (٢).

المطلب الثاني: حقيقة علم الغيب، وأنواعه.

لقد عرفنا في المطلب الأول معنى العلم والغيب، وفي هذا المطلب سنتعرف على علم الغيب أي إذا أضيف العلم إلى الغيب وصار مركبا إضافيا، وبيان حقيقة علم الغيب وأنواعه، يحتاج إلى مقدمة يُبيّن فيها أمران:

الأول: سمي الغيب غيباً باعتباره غيبا عن الناس ونحوهم، لا باعتباره غيبا عن الله ﷻ؛ فإنه سبحانه لا يغيب عنه شيء، لكن لا يجوز أن تقول: إنه -جل وعلا- لا يعلم الغيب تقصد أنه لا غيب بالنسبة إليه، لأن ذلك من سوء الأدب(٣).

الثاني: أن الغيب ينقسم باعتبار المعلوم إلى قسمين:غيب مطلق، وغيب مقيد.

الغيب المطلق:ما غاب علمه عن جميع المخلوقات، وهو ما يتعلق بحقيقة ذات الله ﷻ، وكيفية صفاته.

الغيب المقيد: ما عَلِمَه بعض خلق الله، وغاب علمه عن البعض، وهو ما يتعلق بمخلوقات الله من أمور الدنيا والآخرة(٤).

حقيقة علم الغيب:

علم الغيب في الشرع قسمان: علمٌ بالمغيب علما حقيقيا مطلقا، وهذا العلم غائب عن جميع المخلوقات، ولا يثبت إلا لله ﷻ.

علمٌ بالمغيب علما إضافيا مقيدا[أو علم الغيب النسبي] وهو ما يعلمه بعض المخلوقين دون بعض(٥).

---

(١) لسان العرب لابن منظور٦/٧٠٤، الكليات للكفوي ص: ٦٦٣،

(٢) أحكام القرآن لابن العربي١/١٥عند تفسير الآية (٣)من سورة البقرة.

(٣) يُنظر: روح المعاني للألوسي ٢٠/ ١٧ عند تفسير الآية ٦٥ من سورة النمل.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/١١٠.(بتصرف).

(٥) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٧/٤٢٢.

والمراد عند الإطلاق، هو علم الغيب الحقيقي المطلق، لا علم الغيب النسبي، وعلم الغيب الحقيقي المطلق لا يثبت إلا لله وحده ﷻ، وعلى هذا تدل آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3].

وقال تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

أما علم الغيب النسبي، وهو ما يعلمه بعض المخلوقين دون بعض، كعلم الملائكة بأمور أهل السماء التي لا يعلمها أهل الأرض، وكذا اطلاع بعض البشر على أشياء تغيب على الآخرين، كعلم الجن بأمورهم التي لا يعلمها الإنس فهذا العلم يُثْبَت لبعض المخلوقات دون البعض، ولتوضيح هذا النوع نستطيع أن نمثل بأسئلة الاختبارات -إذا وضعت من قبل المدرسين، وسُلِّمت إلى إدارة الاختبارات- فإن علمها قبل توزيع الأسئلة غيب بالنسبة للطلبة ومن في حكمهم، لكنها في الوقت نفسه ليس غيبا عن المدرسين ولجنة الاختبارات.

ومن هذا النوع، الغيب المكاني: فهو غيب عمن غاب عن المكان، دون من كان فيه، فمثلا من كان في مكة المباركة ويرى الطوافين بالبيت، وما يحدث حول الكعبة المشرفة؛ فهو يعلم هذه الأمور بخلاف من ليس فيها، ولا يرى ما يحدث فيها.

---

(١) سورة النمل (٦٥).

(٢) سورة هود (١٢٣).

(٣) سورة الأنعام (٥٩).

(٤) سورة الأعراف (١٨٨).

ومن علم الغيب النسبي، ما يختص الله به بعض رسله؛ فيوحي إليه ويخبره بما لا يعلمه غيره، قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴾[١].ومن هذا الباب جميع ما أخبر به الرسول ﷺ من أمور اليوم الآخر، والجنة والنار، والحشر والصراط ونحوها من الأمور الغيبية، وكذلك إخباره ﷺ بالأمور الماضية أو الآتية في الدنيا في حياته أو بعد مماته ﷺ، ونحوها مما لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق الوحي، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[٢]، ولكن لا يراد بعلم الغيب -عند الإطلاق- هذا النوع، بل يراد بعلم الغيب -عند الإطلاق- علم الغيب الحقيقي المطلق.

وعلى هذا لا يعلم الغيب الحقيقي المطلق إلا الله ﷻ، وأما ما أخبر الله به بعض خلقه من الغيب صار من الغيب النسبي، وخرج من الغيب الحقيقي المطلق، والله أعلم.

وأما علم الغيب النسبي- وهو ما يغيب عن البعض دون البعض- قد يُثبت للأنبياء والرسل والملائكة وغيرهم، وذلك بإخبار الله تعالى إياهم ببعض الأمور التي لا يعرفها كل واحد، و فيه يقال: **أطلعه الله على الغيب**، ويسمى هذا: الإطلاع على الغيب، ولا يقال: فلان عَلِمَ الغيب؛ لأن علم الغيب -إذا أُطلِق- يراد به علم الغيب الحقيقي المطلق -كما تقدم آنفا- وهو لله وحد لا شريك له.

وبهذا العرض الموجز قد عرفنا حقيقة علم الغيب، وأنواعه، وما يثبت لله وحده، وما يجوز أن يطلع عليه غير الله، ونلخصه فيما يلي:

١- أن الغيب غيب باعتبار المخلوق لا الخالق، فإنه بكل شيء عليم.

٢- لا يقال: إن الله لا يعلم الغيب -ويقصد أنه لا يغيب عنه شيء- لأن ذلك سوء أدب ومخالفة لنصوص الشرع.

---

(١) سورة الجن (٢٦-٢٨).

(٢) سورة آل عمران (١٧٩).

٣- أن الغيب قسمان:

أ- الغيب المطلق لا يعلمه إلا الله كحقيقة ذاته وصفاته،

ب- الغيب المقيد يعلمه البعض دون البعض، وما أطلع الله عليه بعض مخلوقاته من الغيب المطلق، خرج من الغيب المطلق ودخل في الغيب النسبي.

٤- أن علم الغيب كذلك قسمان: علم الغيب الحقيقي المطلق، وهو المراد عند الإطلاق، وعلم الغيب النسبي المقيد، ويقال له: الإطلاع على الغيب، لا علم الغيب.

٥- أن علوم الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم تدخل في علم الغيب النسبي.

٦- أن علم الغيب الحقيقي المطلق يشمل علم الغيب النسبي وغيره، لا العكس.

المبحث الثاني
الانحرافات المتعلقة بعلم الغيب

إن علم الغيب من خصائص الله ﷻ، ولا يعلم الغيب إلا هو، بدليل قول الله ﷻ: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١].

وعلم الغيب: هو معرفة حقيقة ما غاب عن الحواس معرفة مطلقة، وهذا لا يثبت إلا لله ﷻ، ولكن انحرف بعض الناس في إقليم سرحد وغيره عن الصواب، وأثبتوا علم الغيب لغير الله، وآخرون ادعوه لأنفسهم أو لغيرهم -والعياذ بالله-.

الانحرافات المتعلقة بعلم الغيب في إقليم سرحد أنواع كثيرة نجملها فيما يأتي:

الانحراف الأول: الاعتقاد بأن الرسول ﷺ يعلم الغيب.

لقد شاع عند بعض الناس في إقليم سرحد الاعتقاد بأن الرسول ﷺ يعلم الغيب بمعنى علم الغيب الحقيقي المطلق، حيث قال أحدهم:(علم النبي ﷺ علمٌ كليٌ -لا جزئي - بالنسبة إلى علم المخلوق، كما يظهر من قول صاحب البردة[٢]: ومن علومك علم اللوح والقلم[٣]، قال شيخ زاده[٤] في شرح هذا البيت: إن كلمة {مِنْ} تبعيضية، والمراد أنّ من بعض علم النبي ﷺ علوم اللوح المحفوظ، ويعني هذا أن علمه أكثر من علم اللوح، وفي اللوح المحفوظ جميع المقدرات إلى يوم القيامة) [٥].

---

(١) سورة النمل (٦٥).

(٢) هو البوصيري تقدمت ترجمته في الفصل الخامس في ص: ٢٧٦.

(٣) قال البوصيري: **ولن يَضيْقَ رسولَ الله جاهُك بي *** إذا الكريم تجلى باسم منتقمِ**

فإن من جودك الدنيا وضرها * ومن علومك علم اللوح والقلمِ.**

ينظر: قصيدة البردة للبوصيري ضمن كتاب دلائل الخيرات لمحمد سليمان ص:٢٦١-٢٦٢.

(٤) **شيخ زاده:** هو محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي، صوفي، كان مدرسا في استانبول، توفي عام ٩٥٠هـ من آثاره شرح وقاية في الفقه الحنفي، وشرح البردة للبوصيري، وغيرها.ينظر: البدر الطالع للشوكاني ص: ٨٧٨ برقم ٥٢٣، والأعلام للزركلي ٩٩/٧، ومعجم المؤلفين لكحالة ٧٢١/٣.

(٥) الذخائر للداجوي ص: ٣٩. وضياء الصدور لمنكري التوسل بأهل القبور للسواتي ص: ٢٢.

قال أحدهم معقبا على هذا القول: (فإن قيل:إذا كان علم اللوح والقلم من بعض علومه ﷺ، فما البعض الآخر؟ أجيب بأن البعض الآخر: هو ما أخبره الله تعالى من أحوال الآخرة، لأن القلم إنما كتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة)(١).فصار- باعتقادهم- له ﷺ علوم ما كان وما يكون في الدنيا والآخرة كلها.

وقال: (إن الله أعطى لآدم علم ما كان وما يكون،...لكن الآن انظر إلى علوم سيدي ومولاي [محمد] ﷺ، والحق أن علم آدم، قطرة من بحر علوم سيدي، أو ذرة في الميدان)(٢).

ولم يكتف البعض في النبي ﷺ -حسب زعمهم- أنه عالم بالغيب، بل زادوا وقالوا: هو ﷺ حاضر وناظر(٣) وقد فسر يوسف اللديانوي -رحمه الله- مقولتهم هذه بقوله: (معناها: «موجود ويرى». وباستعمال اللفظين معاً، يراد الذي لا يكون وجوده في مكان واحد بل وجوده في الوقت الواحد محيط لجميع الكائنات، وينظر حالات الكائنات كلها فردا فردا...)(٤).

الانحراف الثاني: الاعتقاد بأن الأولياء ومشايخ الصوفية يعلمون الغيب.

يعتقد البعض في إقليم سرحد أن غير الأنبياء من الأولياء ومشايخ الصوفية وغيرهم يعلمون الغيب ومن أمثلة هذا الاعتقاد:

١-قول أحدهم: (وأهل السنة والجماعة(٥)يثبتون علم الغيب للأولياء...)(٦).

---

(١) «جاء الحق» لأحمد يار خان نعيمي ص: ٦٧.

(٢) «جاء الحق» لأحمد يار خان نعيمي ص: ٤٣.

(٣) وقد تقدم التفصيل في هذا الموضوع في فصل التعظيم والطاعة ص: ٢٧٢، ٢٩٣.

(٤) «اختلاف امت» للديانوي بالأردية ص:٣٧، وبالبشتو ص: ٥٧.

(٥) يقصد بأهل السنة الفرقة البريلوية ومن يعتقد عقيدتهم في إثبات علم الغيب لغير الله؛ وأما أهل السنة والجماعة – على الحقيقة- فلا يثبتون علم الغيب إلا لله ﷻ وحده لا شريك له.

(٦) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص:٣٧.

٢- اعتقاد الرافضة في سلمان الفارسي ﷺ[١]: «أنه كان يعلم الغيب والمنايا...وأن النبي ﷺ، وأمير المؤمنين[٢] -عليهما السلام- قد علّماه من عِلم الله المخـــزون المكنون، ما لا يطيق حمله سواه، وأنه بلغ مبلغا شهِد في حقه الصادق[٣] عليه السلام قائلاً: أدرك سلمان العِلْمَ الأولَ، والعِلْمَ الآخرَ، وهو بحر لا يُنْـــزَحُ، وهو منّا أهل البيت...»[٤].

٣- قول الغلاة عن عبد القادر الجيلاني: (إن الشمس والقمر يُسلّمان عليَّ عنـــد الطلوع، وكذلك السَّنَة، والشهر والجمعة واليوم كل ذلك تحضر للسلام عليّ، وما يكون مقدرًا فيها -من الله تعالى- خيراً كان أو شراً يُطْلِعُني به)[٥].

٤- لم يكتفوا بهذا القدر بل زادوا وقالوا بمعرفة شقاوة الرجل وسعادته، وزادوا أكثر حتى ادّعَوا الإطلاع على اللوح المحفوظ، والتغيير في القضاء المبرم.حيـــث قـــال

---

(١) **سلمان:** هو الصحابي الجليل أبو عبد الله يعرف بسلمان الخير، أصله من بلاد فارس، وهو الذي أشار بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، وإذا قيل له من أنت؟ قال: سلمان ابن الإسلام من بني آدم، وفيه قال أبو هريرة ﷺ : سلمان صاحب الكتابين، قال قتادة: يعني الإنجيل والفرقان، توفي في آخر خلافة عمر أو أول خلافة عثمان ﷺ ، يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٢/٦٣٤ برقم (١٠١٤)، والإصابة لابن حجر٣/١١٨ برقم (٣٣٦٦)، وأسد الغابة لابن الأثير٢/٥١٠ برقم(٢١٥٠).

(٢) يقصدون بأمير المؤمنين: علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) **الصادق:** هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر؛ ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر مرّتين، ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة وتوفي بها سنة ١٤٨هـ.يُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/٢٥٥ برقم ١١٧، والأعلام للزركلي٢/١٢٦.

(٤) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٥٦٧.

(٥) ((دخدائے نيازبين)) لفقير محمد عباس قادرية ص: ٥٤.

بعضهم: (إن مجدد الألف الثاني(١) -رحمه الله- رأى ببصيرة الكشف مكتوبا في ناصية مُلاّ طاهر اللاهوري(٢)شَقِيٌّ، وكان ملا طاهر معلما لابنَيْه(٣) فذكر لابنَيْه شقاوة مُلاّ طاهر، فالتمس الاثنان من والدهما أن يدعو الله -سبحانه- أن يُبَدِّل شقاوته بالسعادة، فقال المجدد -رحمه الله-: إني نظرت في اللوح المحفوظ: أن هذا قضاءٌ مبرمٌ الذي لا يُبَدَّل؛ فألجأ ولداه في الدعاء والتمسا منه، فقال المجدد -رحمه الله-: تذكرت ما قاله غوث الثقلين(٤)محي الدين عبد القادر الجيلاني -رحمه الله: أن قضاء المبرم أيضا يُبَدَّل بدعوتي؛ فقال المجدد -رحمه الله- فدعوت الله وقلت: اللهم! إن رحمتك واسعة جدا، وليس فضلك موقوفا على أحد الناس (بل يَصِلُ لكل واحد)، وأنا أرجوك وأسألك أن تقبل التجائي بفضلك العميم، أن تمحو من ناصية ملا طاهر لفظ الشقي واكتب عليه لفظ السعيد محكماً، كما قبلت دعاء الغوث الأعظم(٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- قال المجدد -رحمه الله-: وبعد هذا لّما نظرتُ إلى ناصيته، رأيت قد مُحِيَ عنها لفظ الشقي، وكُتِبَ عليها لفظ السعيد!!!)(٦).

---

(١) **مجدد الألف الثاني**: الديوبندية يلقّبون به أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين يصل نسبه إلى الفاروق، الصوفي، النقشبندي، من علماء الهند من منطقة السرهند (بين دهلي ولاهور)، ولد ٩٧١هـ وتوفي سنة ١٠٣٤هـ يُنظر: ترجمته في أبجد العلوم للقنوجي٣/١٨٠، والأعلام للزركلي١/١٤٣.

(٢) **ملا طاهر** اللاهوري: لم أقف على ترجمته.

(٣) هما محمد سعيد ومحمد معصوم ابنا مجدد الألف الثاني -رحمهم الله-.ينظر: أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٨٥.

(٤) هذا من الألقاب والصفات التي يطلقونه على الشيخ الجيلاني -رحمه الله- ولا يخفى ما فيه من الغلو.

(٥) هذا أيضا من الألقاب التي يلقبون ويصفون بها الشيخ الجيلاني -رحمه الله- ولا يخفى ما فيه من الغلو والمعاني الباطلة، لأنه لا يغيث العباد إلا الله ﷻ.

(٦) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٨٥-٨٨٦، والوسيلة لسيد همايون رشيد ص:٧٤-٧٥ كلاهما أحالا إلى تفسير المظهري ٥/٢٤٦ عند تفسير الآية (٣٩) من سورة الرعد.

وقال غيره فيمن يزعمه وليا من أولياء الله: (ومن أُعطي له علم اللوح أولاً، فهو الشيخ محي الدين ابن عربي)[1] اهـ[2].

الانحراف الثالث: الاعتقاد بأن عوام المسلمين يعلمون الغيب.

لقد أخطأ بعض الناس في إقليم سرحد حيث اعتقدوا أن عوام المسلمين يعلمون الغيب، وفي هذا قال أحدهم: اعلم أن علم الغيب ثابت للنبي ﷺ والأولياء، بل ولعوام المسلمين[3].

وقال: وعلم الغيب لعوام المسلمين يُعْلَم من قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[4]؛ لأن يؤمنون مشتق من الإيمان، والإيمان عبارة عن التصديق، والتصديق أعلى درجات العلم، فمعنى يؤمنون بالغيب: يعلمون بالغيب[5].

وقال غيره: ويعلم من هذه الآية[6] أن لدى المؤمنين علم بالأشياء الغائبة والمستورة؛ لأن التصديق [والإيمان] بالغيب يأتي بعد إتيان العلم به أولاً[7].

الانحراف الرابع: ادعاء بعض الناس علم الغيب صراحة أو تلميحا.

إن بعض الناس في إقليم سرحد يدّعون علم الغيب صراحة أو تلميحا كإدعاء

---

(١) **ابن عربي**: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي ولد بالأندلس، وتوفي في دمشق سنة ٦٣٨هـ صوفي متكلم صدر عنه شطحات فسجن في مصر، وأرادوا قتله مثل الحلاج وأشباهه، ولكن سعى في خلاصه علي بن فتح البجائي؛ فنجا، له مؤلفات كثيرة، قال الذهبي: ومن أردإ تواليفه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كُفْر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله! وقد عظّمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات.سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨/٢٣ برقم ٣٤، الوافي بالوفيات للصفدي ١٧٣/٤.

(٢)الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٤٠.

(٣) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٣٧.

(٤) سورة البقرة (٣).

(٥) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٤٠.

(٦) يشير إلى قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[سورة البقرة الآية(٣)].

(٧) الدر النظيم لمحمد نادر شاه ص: ٣٢.

السحرة والمنجمين والكهنة والعرافين[1]وغيرهم، معرفة الأمور والأحوال الغيبية الماضية والمستقبلية، وطرق حل المشاكل، وكيفية الحصول على الممنوع عادة أو عرفا ونحوها، ولهم فيها طرق مختلفة، وحيل متنوعة، في اصطياد الناس وادعاء علم الغيب، وبها يضلون عوام المسلمين، ويفسدون عقائدهم، ويأكلون بها أموالهم بالباطل.

فمنهم: من يقرأ في الكف والفنجان، وينظر في الظفر أو الزجاج بعد تلوينه بأيّ لون غامق فيدعي معرفة السارق أو القاتل أو الزاني ونحوهم.

ومنهم: من يخط خطوطا في الرمل والتراب ويُجَدْول الجداول أو يضرب بالحصى أو النواة والحبوب ويدّعون بها علم الغيب ومعرفة المستور ونحوها.

ومنهم: من يقرأ الطلاسم والأذكار، أو يكتبها في الأوراق أو الأواني، أو يأمر بإحراق الأشياء وإتلافها، أو دفنها في مكان محدد مهجور أو الصحراء عند شيء معين لحصول المقصود، أو الفوز بالمطلوب ونحوها. كل هذا وغيرها [2] طرق وحيل ومكائد على العوام لأكل أموالهم بالباطل، ومحاولات ليصلوا بها إلى دعوى علم الغيب، وقد كتب البعض في هذا المجال مؤلفات عديدة[3].

---

(١) قد تقدم التعريف بهذه الكلمات كلها في التمهيد ص: ٣١، ٣٢.

(٢) منهم: من يستدل بالنجوم والأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية أو يكتب حروف أباجاد والأرقام و يجعل لكل حرف منها قدرا محددا من العدد ويقابلها بأسماء البشر والأزمنة والأمكنة، ثم يحكم عليها بالسعادة أو الشقاوة ونحو ذلك.

ومنهم: من يستعين بالجن وما يعرف بالأرواح الخبيثة في الإخبار عن شيء مفقود أو مال مسروق ونحو ذلك.

ومنهم: من يزعم استحضار أرواح الموتى، ويسألوها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب، وغير ذلك.

ومنهم: من يكتب أشياء عامة –مما لكل أحد من بني البشر، كالفرح والسرور أحيانا والغم والهم الخفيف أحيانا، أو مشاكل يهتم بها كل واحد من البشر– ويجعل الكتابة في مظروف، ويكون عنده طيراً معلّما في قفص وغالبا يكون ببغاءً؛ فيخرجه من القفص بعد أخذ شيء من المال- فيقرأ الرجل ما في المظروف، ثم يرد المظروف و الطير إلى مكانه.

(٣) من تلك المؤلفات:((بهار تعويذات)) (بالبشتو) لحاجي حليم السرحدي، ومخزن الحسنات و((تعويذات سليماني)) (بالبشتو) كلاهما لفقير محمد عباس قادرية، و((دمونه او تعويذونه)) لمحمد =

وقد كثرت هذه الظاهرة في إقليم سرحد في الآونة الأخيرة، حتى ظن البعض أن هذا من ضروريات المعيشة والحياة، فكثر محلات المنجمين والكهان والعرافين وغيرهم، ويُنْشرُ لهم الدعايات في الجرائد والدوريات وغيرها من وسائل الإعلام تحت عنوان: الأبراج، أو الحظ والأبراج، أو حظك والنجوم وغيرها، وحتى يأخذ هؤلاء أعمدة مستقلة في الجرائد اليومية، بل ويأخذوا الصفحات، ويقرأ من قبل الناس باعتقاد صحة المكتوب مائة في المائة، أو قريبا منها.

= أشرف علي التهانوي (بالبشتو) المترجم سيف الحنان موسى زئي، وشمس المعارف الكبرى لعلي البوني (بالبشتو) المترجم گل رحمن گل، كنز الحسين لسيد غلام رسول روال (بالبشتو) والتحفة الصندلية (بالأردية) لسيد محمود الصندلي، و((أعمال روحاني بالأردية)) إفادات مولانا عبدالحق باني دار العلوم حقانية أكوڑه، تأليف شوكت علي الحقاني، وغيرها من المؤلفات في هذا المجال.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بعلم الغيب

لقد بيّن القرآن والسنة موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بعلم الغيب أتم البيان، ولم يترك مجالاً لأحدٍ أن يدعيه، أو يثبته لأحدٍ من دون الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (١).

فهذه الآية نص صريح في نفي علم الغيب عن جميع من في السماء والأرض من مخلوقات الله كالملائكة والأنبياء والأولياء وغيرهم، ولم يترك مجالاً للتأويل فيها، بل وزاد في الوضوح فنفَى عنهم الشعور بوقت البعث والنشور وهو أحد الغيوب، والشعور دون العلم، فليس لهم العلم بالغيب ولا دونه.

ومن أدلة الكتاب على إثبات علم الغيب لله وحده دون سواه، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾(٢). وتقديم ما حقه التأخير يفيد التخصيص؛ فعلم الغيب خاص بالله وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ (٣). و(إنما) أداة الحصر؛ فالغيب خاص بالله وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾(٤)، والإثبات بعد النفي يفيد الحصر والاختصاص، فعلم الغيب خاص بالله ﷻ ولا يثبت لغيره ألبته.

ويظهر للقاري المتأمل لآيات كتاب الله، أن الله وحده يعلم السر وأخفى، وهو وحده يعلم ما في الصدور، وهو وحده لا تخفى عليه خافيه، وقد قص الله تبارك وتعالى

---

(١) سورة النمل (٦٥).

(٢) سورة هود (١٢٣).

(٣) سورة يونس (٢٠).

(٤) سورة الأنعام (٥٩).

في كتابه عدة قصص كلها تبين أن غير الله -من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم- لا يعلمون الغيب والله ﷻ وحده علام الغيوب.

فالملائكة لم يعرفوا أسماء الأشياء وأقروا بعدم علمهم إلا بما علّمهم الله و﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾(1) وأصحاب الكهف ما عرفوا مدة مكثهم في الكهف قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾(2)، ومريم -عليها السلام- لم تعرف جبريل عليه السلام من البشر و﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴾(3) وآدم ﷺ نسي قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾(4) فكيف يكون له علم الغيب، وإبراهيم ﷺ لم يعرف الملائكة وأوجس منهم خيفة ولم يعرف خطبهم، فـ: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(5)، ولوط ﷺ لم يعرف الملائكة، وضاق بهم ذرعا، حتى أخبره الملائكة ﴿ قَالُواْ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾(6)، ويعقوبُ ﷺ لم يعرف أن يوسفَ ﷺ أُلقي في الجب، ولم يعرف حالَ يوسف لمّا كان في السجن، وموسى ﷺ لم يعرف تأويل الأمور التي فعلها الخضر ﷺ حتى أخبره وقال له﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾(7)، ولم يعرف حقيقة النور الذي رآه بجانب الغربي، وظنه نارا قال الله تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا

---

(1) سورة البقرة (٣٢).

(2) سورة الكهف (١٩).

(3) سورة مريم (١٨-١٩).

(4) سورة طه (١١٥).

(5) سورة الذاريات (٣١).

(6) سورة هود (٨١).

(7) سورة الكهف (٨٢).

بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[1]، وسليمان ﷺ لم يعرف مكان الهدهد، ولا أنباء أهل سبأ حتى أخبره الهدهد قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]، والجن لم يعلموا الغيب ومادلّهم على موت سليمان ﷺ إلا دابة الأرض تأكل مِنْسأَتَهُ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[3].

هذه الأدلة وغيرها تدل دلالة واضحة على نفي علم الغيب عن غير الله، وأن الله وحده هو علام الغيوب، والآن من الإجمال إلى التفصيل.

موقف الإسلام من الانحراف الأول:وهو الاعتقاد بأن الرسول ﷺ يعلم الغيب.

الأدلة السابقة كلها تدل دلالة واضحة أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، كما أن غيره لا يعلم الغيب، وفوق ذلك هناك أدلة كثيرة تدل على أن النبي ﷺلا يعلم الغيب، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾[4]، فهذا نص صريح في نفي علم الغيب عنه ﷺ؛ فإذا نُفِيَ علم الغيب عن أفضل الرسل بلسانه ﷺ؛ فلم يبق أحد يكون أفضلَ منه حتى يعلم الغيب.

---

(١) سورة طه (١٠-١٤)

(٢) سورة النمل (٢٠-٢٢)

(٣) سورة سبأ (١٤).

(٤) سورة الأنعام (٥٠).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾(1). فإذا كان النبي ﷺ لا يعلم المنافقين -الساكنين معه في المدينة- فكيف يعلم الغيب الغائب؟!!

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(2). نفى عنه ﷺ العلمَ بما يُفعَل به أو بهم؛ فكيف يعلم الغيب؟.

أما الأدلة من السنة فهي كثيرة جدا:

منها: قول النبي ﷺ في حديث جبريل لـمّا سأله عن الساعة قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»(3).

ومنها: واقعة الإفك لم يعلم النبي ﷺ حقيقتها؛ حتى أنزل الله الوحي ببراءة الصديقة بنت الصديق -رضي الله عنهما-.

ومنها: حديث الحوض واختلاج أناس يظنهم النبي ﷺ من الأصحاب، فيقال له: «إنك لا تدري ما عملوا بعدك»(4) وفي رواية: «فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(5)، وفي رواية: «قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك»(6) وفي رواية: «إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك»(7)، وفي رواية: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(8)

---

(1) سورة التوبة (101).

(2) سورة الأحقاف (9).

(3) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان 1/152 (ح50) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو؟ 1/117 (ح97) .

(4) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الفضائل إثبات حوض نبينا ﷺ 15/56 (ح5929).

(5) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ 15/56 (ح5930).

(6) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الرقاق باب في الحوض 11/566 (ح6587).

(7) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الرقاق باب في الحوض 11/565 (ح6585).

(8) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الرقاق باب الحوض11/564 (ح6576)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الفضائل إثبات حوض نبينا ﷺ 15/59 (ح5934).

وفي رواية « هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم»[1].
كل هذه الروايات وغيرها تدل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب.

ومنها: بحث النبي ﷺ عن علي ﷺ يوم خيبر حتى يعطيه الراية،كما في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال:« **لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه**» . قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال:« **أين علي بن أبي طالب**». فقالوا يشتكي من عينيه يا رسول الله! قال: «**فأرسلوا إليه فأتوني به**» . فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية... [2]، فلو كان يعلم الغيب لما سأل عنه ولعَلِم بعلمه بالغيب أنه مريض، هذه الرواية ترويها الرافضة في فضل علي ﷺ على غيره، ومع ذلك يعتقدون في النبي ﷺ أنه يعلم الغيب!!! بل ويعتقدون ذلك في أئمتهم[3].

ومنها: قول النبي ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، ولعل بعضكم أبلغ من بعض، فأحسبه أنه صدق[4]؛ فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم؛ فإنما هي قطعة من النار» [5].دلّ الحديث أنه ﷺ لا يعلم الغيب، ولذلك صرح بقوله: (فأحسبه أنه صَدَق، أو فأحسب أنه صادقٌ) أنه يحكم على حسب ما يظهر له من حجج الطرفين، ولا يعلم الغيب؛ وعلاّم الغيوب فقط هو الله ﷻ.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الرقاق باب في الحوض ٥٦٧/١١ (ح٦٥٩٣).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي ﷺ ٨٩/٧ (ح٣٧٠١) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي ﷺ ١٧٣/١٥ (ح٦١٧٣).

(٣) وقد بوب الكليني في(الكافي) وهو من أوثق المصادر لديهم، بعنوان: باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا...وباب أن الأئمة – عليهم السلام- يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، وباب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء- صلوات الله عليهم- الأصول من الكافي للكليني- كتاب الحجة(٢٥٨/١و٢٦٠).

(٤) في رواية صحيح مسلم: (فأحسب أنه صادق).

(٥)صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب المظالم باب إثم من خاصم في باطل١٣٣/٥ (ح٢٤٥٨)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر ٢٣٢/١٢ (ح٤٤٥٠).

هذه الأدلة وهناك أدلة كثيرة تدل دلالة واضحة على أن علم الغيب خاص بـالله ﷻ، ولا يعلم الغيب لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل ولا غيره من الإنس والجن.

وما قاله المخالف: إن النبي ﷺ أو غيره من الخلق كان يعلم ما كان وما يكـون، وأن عنده علم الغيب المطلق، فمخالفة صريحة للمعقول، كما يرده صحيح المنقـول، والأمـور العقدية لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والواهية، فضلا عن الروايات والقصص الوهمية، وإنمـا يُستدَل من الكتاب والسنة على العقائد وغيرها، لا من الأبيات والقصائد ونحوها.

واستدلال البعض بكلام صاحب البردة على أن النبي ﷺ يعلم الغيب كله، ومـن بعض علومه ما في اللوح وما سطره القلم، سفاهة وجهالة، وذلك لأمور:

أولا: لأن صاحب البردة ليس ممن يستدل بكلامه وأبياته، وإنما يستدل بكلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ.

ثانيا: إن صاحب البردة ليس معصوما من الخطأ، ولم يدَّعِ هو بنفسه، ولا غيره: أنه معصوم لا يخطئ، و من أكبر أخطائه هذا الكلام، واللَّوذ بغير الله(1)، ونحوها من الأخطاء الفاحشة التي يطلع عليها القارئ لقصيدته.

ثالثا: أن صاحب البردة نفسه من الغلاة في شأن الرسول ﷺ، وشارح قصيدته مثله من الغلاة، فلا عجب من أن يكون في شرح كلامه الغلو.

رابعا: إذا ثبت بنصوص القرآن والسنة الصحيحة أن النبي ﷺ وغيره لا يعلمون الغيب، كما تقدم مجموعة منها؛ فلا يلتفت إلى كلام أمثال هؤلاء الغلاة؛ لأن الأمة المحمدية مأمورة بالتمسك بالكتاب والسنة، وسنة الخلفاء الراشدين بعد النبي ﷺ والعض عليهـا بالنواجـذ، وينبغي بل ويجب ترك كلام الغلاة؛ لأن كلامهم مخالف لما أمر التمسك بها.

---

(١) قال قبل هذا: **يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ***سواك عند حلول الحادث العمم**. ينظر: قصيدة البردة للبوصيري ضمن دلائل الخيرات لمحمد سليمان ص: ٢٦١.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الاعتقاد بأن الأولياء ومشايخ الصوفية يعلمون الغيب.

إن علم الغيب من خصوصيات الله ﷻ، وثبت بالأدلة الصريحة الصحيحة أنه لا يعلم الغيب الحقيقي المطلق إلا الله ﷻ، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقد تقدم بعض هذه الأدلة في بداية هذا المبحث، وهذه الأدلة كلها كما تدل على نفي علم الغيب عن الملائكة والأنبياء، تدل بطريق الأولى على نفي علم الغيب عن مشيخة الصوفية والأولياء؛ لأن هؤلاء ليسوا بأفضل منهم حتى يكون لديهم علم الغيب، ولا يكون لدى الملائكة والأنبياء، ولذا أفتى العلماء -وخاصة الحنفية منهم- بأن «من قال: إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر»(١).

وما ذكره البعض من النقولات كما تقدم في بيان انحرافاتهم يقال:

١- أن ما ذكروا من القصص والروايات، والوقائع والحكايات، فلا تثبت لعدم السند، ولذلك يروونها بصيغة التمريض، مثل يُروى، يُحكى، وحكاية، وقيل، ونحوها من ألفاظ التمريض.

٢- وما قاله الرافضة في سلمان ﷺ أنه يعلم الغيب، فيقال: غالبا تجد روايات الرافضة بدون السند إلى من يروونها عنه، فلا يُستدل بها كما لا يُستدل بروايات أهل السنة إذا لم يكن لها سند صحيح، ولو سلّمنا أن له سندا، ثم فرضنا صحته، وقبلنا أن جعفر الصادق -رحمه الله- قال: «أدرك سلمان العِلْمَ الأولَ، والعِلْمَ الآخرَ...» فمعناه أن سلمان ﷺ أدرك علم ما جاء به النبي الأول يعني عيسى ﷺ؛ لأنه آمن به وعاش في متابعته، ثم أدرك العلم الآخر أي العلم الذي جاء به محمد ﷺ، فهو جمع بين العلمين الأول والآخر حيث حصل على الدين السابق واللاحق،كما قال أبو هريرة ﷺ: «سلمان

---

(١) الفتاوى البزازية على هامش الفتاوى الهندية ٣٢٦/٦، البحر الرائق لابن نجيم باب أحكام المرتدين٤٨٧/١٣ « اختلاف أمت» بالأردية ص: ٣٨ وبالبشتو ص: ٥٨.

صاحب الكتابين» يعني الإنجيل والفرقان[1]، فهو أدرك العلم الأول والعلم الآخر بهذا المعنى، ولم يقل: عَلِم، أو عُلِّم عِلْم الأولين والآخرين أو علوم الأولِين والآخرِين، ومعنى الإدراك: الوصول إلى الشيء[2] هذا كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [3].

٣- وما ادعاه البعض في الجيلاني -رحمه الله- من سلام الدهر والأزمان عليه، ومعرفة ما قُدّر في الليل والنهار، فهذا غير معقول كما هو غير ثابت شرعا، وأمثال هذه القصص من أكاذيب الغلاة في حق المشايخ والأولياء؛ وهذه الأشياء التي ذُكِرَتْ وغيرها، كلها تابعة لله وحده، لا لأحد من مخلوقه، كما أنه لا يعلم مقادير الخلائق إلا خالقُهم.

٤- إطلاع بعض الناس -الذين يزعمونهم أولياء- على اللوح المحفوظ، ومحو وتغيير القضاء المبرم، ينفيه اسمه فضلا عن الأدلة، فمن ظن: أن أحدا اطّلع أو يَطّلع على اللوح المحفوظ، فلم يبق اللوح محفوظا، بل زالت محفوظيته بالإطلاع عليه، وكذا لم يبق القضاء مبرما، إذا حصل التغير والمحو فيها.ثم كتابة السعادة والشقاوة تكون عند نفخ الروح في الإنسان حسب علم الله، فلا يُمسح ولا يُمحى؛ لأن ذلك كتبها الله بعلمه وعدله، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [4].هذا من جهة

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٢/٦٣٤.

(٢) النهاية لابن الأثير ١/٥٦٥.

(٣) سورة الشعراء (٦١).

(٤) سورة الكهف (٤٩).

ومن جهة أخرى هذه قصص وحكايات لا أصل لها ولا سند، وصدق ابن المبارك[1] -رحمه الله- حيث قال: «الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» [2].

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو الاعتقاد بأن عوام المسلمين يعلمون الغيب.

لقد تقدم جملة من الأدلة على أن الله وحده يعلم الغيب الحقيقي المطلق، ولا يعلمه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي من الإنس ولا الجن، أما علم الغيب النسبي وهو الذي يسمى بالإطلاع على علم الغيب، قد يطلع الله عليه من يشاء من عباده، وكذلك قد يعرف بعض الناس ما هو غيب بالنسبة للبعض وليس غيبا حقيقيا، ومثال ذلك كأنْ يعرف مجموعة من السارقين ما سرقوا من الأموال، ومكانها بعد السرقة، وإن كان السارق ومكان الأموال بعد السرقة غيبا بالنسبة لغير السارقين، ولكن ليس غيبا بالنسبة للسارقين. ولهذا لا يقال: إن السارق يعلم الغيب لكونه عرف ما لا يعرفه غيره، أو عرف ما غاب عن غيره.

وعلى هذا غلط وأخطأ من قال:إن عوام المسلمين يعلمون الغيب؛ لأن ما عرفوه أو علموه ليس غيبا حقيقيا، وإنما هو غيب نسبي، وفيه لا يقال علم الغيب، بل يقال: عنده إطلاع على كذا، أو عنده خبر عما خفي على كثير من الناس.

وأما قول المخالف: إن المسلمين يعلمون الغيب، مستدلا بقول الله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[3] فهو مغالطة وتجاهل أو جهل؛ ولا يقول أحد من العوام: أن عوام المسلمين يعلمون الغيب فضلا عن العقلاء والعلماء، ولا يأتي الإيمان بمعنى العلم عند أهل اللسان الفصيح.

---

(١) **ابن المبارك**: هو الحافظ العالم الناقد المجاهد أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي الحنظلي مولاهم، ولد سنة ١١٨هـ، وتوفي سنة ١٨١هـ ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨٨/٦، تاريخ بغداد للخطيب ٥٣/١٠، والإمام عبد الله بن المبارك المروزي المحدث الناقد لمحمد سعيد بخاري من ص: ٧، وما بعدها.

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص:٢٧١، فتح المغيث للسخاوي٣٣١/٣.

(٣) سورة البقرة (٣).

ثم الاستدلال على أن المسلمين يعلمون الغيب -لأنهم يؤمنون بالغيب، والإيمان من التصديق، والتصديق لا يكون إلا بعد العلم، أو هو أعلى مراتب العلم- من أعجب الاستدلالات، **ويقال له:** هل أنت من المؤمنين أم لا؟ فإن كنت منهم، فهل تعلم علم الغيب أم لا؟ فإن كنت لا تعلمه فلست على قاعدتك مؤمنا، وإن كنت تعلمه، فهل تعلم حقائق صفات الله؟ وأحوال الأموات في القبور؟ وأحوال الأمم السابقة؟ وأحوال عالَم الجن التي هي من جملة المغيبات أم لا؟ فإن كان الجواب (لا)، فخرجت بقاعدتك من الإيمان، وإن كان الجواب، (نعم)! كذّبكَ النقل الصريح، والعقل الصحيح، واللسان الفصيح.

موقف الإسلام من الانحراف الرابع:وهو ادعاء علم الغيب صراحة أو تلميحا.

إن الإسلام أبطل دعاوى الناس لعلم الغيب كما تقدم في الأدلة، فلم يُثْبِتْ علم الغيب لا للملائكة والأنبياء والأولياء، ولا لغيرهم من صالحي الجن والإنس، بل نفاه عنهم بشتى الطرق، وأثبته لله وحده ﷻ؛ فلم يبق مجال أن يكون ثابتا للفسقة و الفجرة من السحرة والكهنة والعرافين أو غيرهم.

ولكي يظهر حقيقة هؤلاء كلِّهم، وطرق اصطيادهم الناسَ؛ لابد هنا من التفصيل، ولو بشيء قليل؛ ليسهل معرفة موقف الإسلام منها، والتخلص من مكائدهم وحيلهم.

إن الإسلام حرّم السحر[1] وتعليمه وتَعلُّمه قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ

(١) **السحر:**هو مزاولة النفوس الخبيثة لأفعالٍ وأحوالٍ يترتب عليها أمور خارقة للعادة لا يتعذّر معارضته . ينظر: الكليات للكفوي ص: ٥١٠.

ويكون عمل السحر بعدة طرق أشهرها:

- أن يكون بالأكل أو الشرب؛ ليدخل جوف المسحور؛ فيؤثر السحر بإذن الله، وقد لا يؤثر بحكم الله.
- أن يكون بالرش على الأرض أو الدفن فيها: فيوضع في الأرض أو عليها، أو يجعل في ماء أو نحوها فيُرشُّ على مكان، فإذا وطئه المسحور، أثّر بإذن الله، وقد لا يُؤَثِّر بحفظ الله للعبد.

=

أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وقال النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(٢). فجعل النبي ﷺ السحر في الدرجة الثانية بعد الشرك، وقدّمه على قتل النفس وغيرها ليدل على شناعته ووَقاحته.والأدلة في هذا كثيرة نكتفي بهذا القدر منها.

=

- أن يكون بالعقد والنفث: وذلك بأن ينفُث الساحر في شيء من آثار المسحور كالنعل والقلنسوة ونحوها، أو يعقد الشَّعر أو خيوط لباسه ونحوها ويقرأ وينفث فيها؛ فيؤثر عليه وقد ينجيه الله برعايته.
- أن يكون بالكتابة: وذلك بأن يكتب الساحر الطلاسم والجداول أو استغاثات بغير الله في ورق أو نحوه فيؤثر على المسحور، وهذا -غالبا- تأثيره ضعيف لأنه بدون أثر المسحور، قد لا يؤثر أصلا بأمر الله.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وغالب ما يؤثر -أي السحر- في النساء والصبيان والجهال، وأهل البوادي، ومن ضعف حظه من الدين، والتوكل، والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات، والتعويذات النبوية [زاد المعاد لابن القيم٤/١٢٧] وسبب هذا أن هؤلاء قلّ تعبدهم لله، وقراءة الأذكار المحصَّنة، ويكثر فيهم الفسق والفجور من المعازف والأغاني واقتناء الكلاب والصور ونحوها.

(١) سورة البقرة (١٠٢).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ [النساء:١٠] ٥/٤٨١ (ح ٢٧٦٦).وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها١/٢٧٣ (ح٢٥٨).

وكذلك الكهانة والعرافة محرمة: والكهانة أن يزعم أحدهم أن له رئيا[(١)] من الجن وتابعا، يلقي إليه الأخبار بما يسرقه من السمع من السماء، أو بما يطلع عليه مما يغيب على الناس غالباً[(٢)].

وقيل: الكهانة: تعاطي الأخبار عن الكوائن في المستقبل، وادعاء معرفة الأسرار[(٣)].

والعرافة: ادعاء العراف معرفة الأمور بمقدمات أسباب استدل بها، كمعرفة من سرق الشيء الفلاني، ومعرفة من يتهم به المرأة، ونحو ذلك[(٤)].

قال ابن حجر -رحمه الله-: « والكهانة ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض، مع استناد إلى سبب، والأصل فيها استراق الجنيّ السمعَ من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن، والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه» [(٥)].

فبَيْنَ الكهانة والعرافة عموم وخصوص، فكل عرافة كهانة ولا عكس، والكاهن يشمل جميع من يَدّعِي معرفة علم الغيب بأي شكلٍ كان.

قال النووي -رحمه الله-: «وقد يُعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك، بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم»[(٦)].

يشير النووي -رحمه الله- إلى أحاديث وآثار منها:

---

(١) الرِّئِيُّ: جني يتعرض للرجل، يريه كهانة وطبا. ينظر: لسان العرب لابن منظور١٧/٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٥/٥(ح١١٩٩)، و٤٤٢/١(ح٥٧٧٤).

(٣) معالم السنن للخطابي كتاب البيوع باب حلوان الكاهن١٠٥/٣، وشرح النووي على صحيح مسلم ٢٥/٥ عند شرح حديث رقم (١١٩٩).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٥/٥ شرح حديث رقم (١١٩٩)، و٤٤٢/١٤ (ح٥٧٧٤).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر كتاب الطب باب الكهانة٢٦٦/١٠.

(٦)شرح النووي على صحيح مسلم٤٤٣/١٤عند شرح حديث (٥٧٧٤).

قول النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**من أتى عرافا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»(١).

وقول ابن مسعود ﷺ: من أتى[عرافا] أو ساحرا أو كاهنا، فسأله عن شيء فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ (٢).

وقوله ﷺ: «ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تَكهّن أو تُكهِّن له، أو سحر أو سُحِر له، ...ومن أتى كاهنا فصدقه بما قال؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» (٣).

وقوله ﷺ: «**من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» (٤).

ولعِظَم جرم الكهانة والسحر لا تجد أحداً في إقليم سرحد ينتسب إلى هذين القسمين صراحة، -وإن كانوا يزاولون السحر والكهانة حقيقة-؛ فلا يسمي نفسه كاهنا، أو ساحراً بل يسمي نفسه مرشد الطريقة (پير) أو طبيبا شعبيا، وأما غيرها من

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب باب تحريم الكهانة... ١/٤٤٦ (ح٥٧٨٢).

(٢) البحر الزخار المعروف بمسند البزار٥/ ٢٥٦ برقم ١٨٧٣، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن يَريم وهو ثقة. يُنظر: مجمع الزوائد للهيثمي٥/١١٨.

(٣) البحرالزخار المعروف بمسند البزار(٣٠٢٣) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن ربيع وهو ثقة. مجمع الزوائد للهيثمي٥/ ١١٧.

(٤) رواه أبو داود في سننه كتاب الكهانة والتطير باب في الكهان ص:٧٠١(ح٣٩٠٥) وابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب تعلم النجوم ص:٦١٧ (ح٣٧٢٦)، وأحمد١/٢٢٧بألفاظ متقاربة. قال محققو مسند أحمد: إسناده صحيح ورجاله ثقات. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣/٤٥٤ برقم(٢٠٠٠)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات.يُنظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٤٢٠ برقم(٧٩٣) .

التنجيم، وكتابة الطلاسم، واستخدام الجن[1] ونحوها[2]؛ فيتجرءون على الانتساب إليها

(١) استخدام الجن إنما هو عن طريق السحر، أو عن طريق التقرب إلى الشياطين، وذلك بفعل ما تحبه مَرَدَةُ الجن، من الكفر والشرك بالله، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾[الأنعام :١٢٨] فيستمتع الجني بإشراكه مع الله من الاستعانة والاستغاثة به، ويستمتع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء يغيب على الإنسان.

(٢) كعلم الأسارير وعلم خط الرمل وغيرها: وعلم الأسارير هو الاستدلال -على حد زعمهم- بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام والجباه، بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر، وبحسب ما بينها من الفروج المتسعة أو المتضائقة على أحوال الناس من طول الأعمار وقصرها، والسعادة والشقاوة، والغنى والفقر وما أشبه ذلك، ينظر: مفتاح السعادة لطاش كبري زاده١/٣٢٧.وأكثر من يقوم بهذا العمل أهل الهند والسند والبنغال وتلاميذهم من المنجمين والكهان، ويسمون علم الأسارير(علم الفأل) تلبيسا على الناس لأن النبي ﷺ كان يعجبه الفأل كما في الحديث، ومن كتب هذا الفن:((سچا فالنامه مع علم قيافه شناسى)) (بالأردية) لمعظم جاويد البخاري، و((فالنامه قرآن شريف)) لمستقيم (بالبشتو) وغيرها.

وعلم خط الرمل: خط الرمل نسبة إلى المادة التي يضعون فيها عملهم. ومحصول هذه الصناعة أنهم صيروا من النقط ستة عشر شكلاً ميزوها كلها بأسمائها وأنواعها إلى سعود ونحوس، شأن الكواكب، وجعلوا لها ستة عشر بيتاً طبيعية بزعمهم، وكأنها البروج الاثنا عشر التي للفلك والأوتاد الأربعة، وجعلوا لكل شكل منها بيتاً وخطوطاً ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به، وهو مرتبط بعلم التنجيم والكهانة ينظر: مقدمة ابن خلدون عند فصل أشخاص يخبرون بالكائنات قبل وقوعها ص:١١٢، التنجيم والمنجمون للمشعبي ص:٣٠، القبورية لأحمد المعلم ص:٤٢٦.

وعلم أسرار الحروف أو خواص الحروف، وهو المسمى -عندهم- بالسيميا.قال ابن خلدون: حدث هذا العلم في الأمة بعد صدرها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة، وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام.والأكوان من لدن الإبداع الأول تتنقل في أطواره وتعرب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهذا العلم لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بعدد مسائله. تعددت فيه تأليفات علي البوني وابن عربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما.وحاصله عندهم وثمرته: تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان.ينظر: مقدمة ابن خلدون الفصل التاسع والعشرون علم الحروف ص: ٤١٣(بتصرف).ومن جملة المؤلفات في هذا العلم: حرز الغياث وخواص الحروف المقطعات...تأليف سعد الدين أنصاري، وشمس المعارف الكبرى لعلي البوني (بالبشتو) المترجم گل رحمن گل وغيرها من كتب الفن.
=

البعض، فيسمي نفسه نجومياً -بالإضافية إلى إدعائه أنه مرشد الطريقة-، ويفتخر بهذه النسبة وينشر الدعايات: أنه هو النجومي المشهور فلان، تتلمذ على يد النجومي الشهير فلان ونحوها، ومنهم من ينشر في دعاياته -المطبوعة، والمرئية، وغيرها- أنه صاحب الكمالات، والعامل الروحاني المجرب، وتعلم علم النجوم، ويحل جميع المشكلات بمساعدة الجن، ويجري العمليات ويداوي المرضى بمساعدتهم وغيرها مما يروج به أعماله بين الناس، وكذا لا يتورع من قراءة الطلاسم، والجداول الأبجدية ونحوها -جهرا وعلناً- أمام زبائنهم ومرتاديهم.

=

وعلم أباجاد وهو أن يجعل لكل حرف منها قدرا من العدد معلوما، ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعا معروفا عنده، ويطرح منه طرحا خاصا، ويثبت إثباتا خاصا، وينسبه إلى الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان.ينظر: معارج القبول للحكمي١/٤٤٩.ومن جملة الكتب التي تستفيد من هذا العلم: ((بهار تعويذات)) (بالبشتو) لحاجي حليم سرحدي، ومخزن الحسنات (بالبشتو) لفقير محمد عباس قادرية، و((دمونه او تعويذونه)) لمحمد أشرف علي التهانوي (بالبشتو) المترجم سيف الحنان موسى زئي وغيرها من الكتب.

الفصل السابع

الانحرافات المتعلقة بالتطيّر، والتشاؤم بالأزمنة والأمكنة، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التطيّر، والتشاؤم.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالتطيّر، والتشاؤم بالأزمنة والأمكنة.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى التطيّر، والتشاؤم.

إن الخير والشرّ مقدران من الله ﷻ، وليس في الأزمنة والأمكنة نحوس ولا سُعُود، والمسلم مأمور بالتوكل على الله ﷻ في أمور حياته كلها، ولكن بعض الناس في إقليم سرحد انحرفوا عن الصواب في هذا المجال، وتطيروا بالطيور والحيوانات، وتشاءموا بالأمكنة والأوقات، فأخطأوا سواء الصراط، وسيكون في هذا المبحث بيان معنى التطير والتشاؤم لغة، ثم المراد بهما شرعا، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: التطير والتشاؤم لغة

أولا :أصل الكلمتين:

التطير: (الطاء، والياء، والراء) أصل واحد يدل على خِفّة الشيء في الهواء، ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة[1].

التشاؤم: (الشين، والهمزة، والميم) أصل واحد يدل على جانب اليسار ومن ذلك المشأمة وهي خلاف الميمنة[2].

ثانيا: تصرف الكلمتين:

التَّطَيُّر: مصدر من تَطَيَّر يَتَطَيَّرُ تَطَيُّراً وطِيَرَةً.مثل تَخَيَّرَ يَتَخَيَّر تَخَيُّراً وخِيَرَة، لم يجئ من المصادر هكذا غيرهما[3].

التشاؤم: مصدر من تَشَاءَمَ، يَتَشَاءَمُ، تَشَاؤُماً[4].

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٦٣٠.

(٢) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٥٤٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور٥/٦٨٢

(٤) ينظر المعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد السود ص: ٤٣٥ رقم(٢٧٣).

ثالثا معنى الكلمتين:

التشاؤم: خلاف التيامن، والشُؤْم خلاف اليُمْن، واشتق الشؤم من الشأمة وهـــي الشمال؛ لأن العرب كانت تنسب الخير إلى اليمين والشر إلى الشمال(١).

قال ابن الأثير(٢) -رحمه الله-: التشاؤم من الشؤم، وهو ضد اليُمْن، يقال: تشاءمت بالشيء، وتَيَمَّنْت به(٣).

التّطَيُّر: اشتق من الطائر، كالغراب وما أشبهه(٤)، **والطيرة:** بوزن العِنَبَة، وهي: ما يتشاءم به من الفأل الرديء (٥)

وكذلك الطائر يكون بمعنى الحظ الذي تسميه العرب البَخْتَ، وطائر الإنسان أي ما حصل له في علم الله مما قُدّر له(٦).

والتطير: هو الظن السيء الكائن في القلب، والطيرة: هو الفعل المرتب على هـــذا الظن من فرار أو غيره(٧).

وقيل: للشؤم طائرٌ وطيرٌ وطِيَرةٌ، لأن العرب كان من شأنها عِيافةُ(٨) الطيرِ وزَجْرُها(٩).

---

(١) درة الغواص في أوهام الخواص لقاسم الحريري ص: ٢١٥.

(٢) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم مجد الدين أبو السعادات الجزري المشهور بابن الأثير ولد عام ٥٤٤هـ وتوفي ٦٠٦هـ من تأليفاته جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث والأثر. يُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٨٨/٢١.(٢٥٢).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥١١/٢.

(٤) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس ٥٩١/٢، المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٦٣٠.

(٥) لسان العرب لابن منظور ٦٨٢/٥ ومختار الصحاح للرازي ص: ١٦٩.

(٦) لسان العرب لابن منظور ٦٨١/٥.

(٧) الفروق للقرافي- ٤٠٣/٤الفرق السادس والستون والمائتان.

(٨) **العيافة:** هو زجر الطير.لسان العرب لابن منظور٥٤٨/٦.

(٩) لسان العرب لابن منظور ٦٨٢/٥.

وقال الشافعي -رحمه الله- في سبب التسمية: «كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمرا نَظَر أول طائر يراه، فإن سنح[1]عن يساره واجتاز عن يمينه، قال: هذه طير الأيامن فمضى في حاجته ورأى أنه سيستنجحها، وإن سنح عن يمينه فمرّ عن يساره قال: هذه طير الأشائم؛ فرجع وقال: هذه حاجة مشئومة...وإذا لم يَرَ طائرا سانحا فرأى طيرا في وَكْرِه[2]حرّكَهُ من وَكْره فيُطَيِّرُه؛ لينظره أَسَلك طريق الأشائم أو طريق الأيامن؟»[3].

المطلب الثاني: التطير والتشاؤم شرعا

ولا يختلف المعنى الشرعي لكلمتي التشاؤم والتطير عن معناهما اللغوي، وذلك لأن العرب قبل الإسلام كانوا يستعملون الكلمتين في حالاتٍ وأشياء خاصة؛ فلما جاء الإسلام أبطل ما كان يريده العرب من النحوس والشؤم في الحيوانات والأزمنة والأمكنة، قال النبي ﷺ: «**أقروا الطير على مكناها**»[4].قال الشافعي -رحمه الله-: أي لا تحركوها فإن تحريكها وما تعملون به من الطيرة لا يصنع شيئا وإنما يصنع فيما تتوجهون له قضاء الله ﷻ[5].

فالتشاؤم والتطير لفظان مترادفان بمعنى واحد، وهو ضد اليُمْنِ[6].

---

(١) في بعض النسخ: سبح ولعل الصواب: سنح أي عَرَضَ. يُنظر المعنى في مختار الصحاح للرازي ص: ١٣٣، فالمعنى ما عرض لك سواء جاءك عن اليمين أو اليسار، فكل ما عرض أمامك، فقد سَنَحَكَ.وقال ابن منظور: السانح ما أتاك عن يمينك، والبارح ما أتاك عن يسارك. يُنظر: لسان العرب لابن منظور٤/٧٠٢.

(٢) وَكْر الطائر بفتح الواو:عُشّه حيث كان في جبل أو شجر. مختار الصحاح للرازي ص: ٣٠٥.

(٣) السنن المأثورة للشافعي ص: ٣٤٢-٣٤٣.برقم ٤١٥، و٤١٨.

(٤) سنن أبي داود كتاب الضحايا باب العقيقة ص: ٥٠٣(ح٢٨٣٥)، وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٢/١٩٥ برقم(٢٨٣٥).

(٥) السنن المأثورة للشافعي ص: ٣٤٣ برقم (٤١٨).

(٦) لسان العرب لابن منظور٥/٧، و٦٨٢، ومختار الصحاح للرازي ص: ١٣٨، و١٦٩.وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٦/٧٦عند شرح حديث(٢٨٥٩).شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/٤٣٨ عند شرح حديث (٥٧٥٩).

ومما يدل على أن التشاؤم والتطير بمعنى واحد، قول النبي ﷺ: «...إن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار»(١).فعبّر ﷺ عن الشؤم بالطيرة فهما شيء واحد.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- «وأصل التطير: التشاؤم.لكن أضيفت إلى الطير؛ [فقيل: التطير] لأن غالب التشاؤم عند العرب بالطير، فعلقت به، وإلا فإن التعريف العام: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم »(٢).

فإذا ذكر أحدهما لوحده شمل الثاني، وإذا ذكرا معاً، فقد يراد بالتطير التشاؤم بالطيور، بينما يكون التشاؤم نسبة الشؤم إلى غير الطيور.

والطيرة لا تكون طيرة ممنوعة التي هي من الشرك، إلا إذا ردّت صاحبها عن حاجته، فإذا تشاءم وحمله ذلك التشاؤم على أن يحجم عن الفعل أو يمضي؛ فإنه يكون متطيرا.لما ورد أن النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم سئل عن الطيرة فقال: «**ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يَصُدنَّكم**» (٣). وقال صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**من ردّته الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك**»(٤).

ففي هذه الأحاديث ضابط الطيرة التي تكون شركا، وهو أن ترد المتطير عن حاجته، فإذا لم ترده عن حاجته، ولم يستجب لها، فلا حرج عليه في ذلك، إلا أن عظمت في قلبه، فربما دخلت في أنواع محرمات القلوب، والذي يذهب ذلك كله هو التوكل على الله، وتعظيم الرغب فيما عنده وحسن الظن بالله -جلّ وعلا- (٥).

---

(١) سنن أبي داود كتاب الطب باب الطيرة ص: ٧٠٣(ح٣٩٢١)، وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٢/٤٧٧ برقم ٣٩٢١.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عيثمين ٩/٥١٥.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب باب تحريم الكهانة١٤/٤٤٢ (ح ٥٧٧٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده ٢/٢٢٠ وقال محققو المسند: حسن. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ١١/٦٢٣ برقم (٧٠٤٥).

(٥) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص: ٣٤٢.

المبحث الثاني:

الانحرافات المتعلقة بالتطيّر، والتشاؤم بالأزمنة والأمكنة

كلٌّ مِنَ التطير والتشاؤم ممنوع شرعا، وأبطلهما النصوص أمثال قوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**لا عدوى[١] ولا طيرة ولا هامة ...**»[٢]، ولكن بعض الناس في إقليم سرحد انحرفوا عن الصواب في هذا المجال حيث يتشاءمون بالأمكنة والأزمنة والحيوانات وغيرها، ومن هذه الانحرافات:

الانحراف الأول: التشاؤم بالأيام والشهور.

لقد كثر بين بعض العوام في إقليم سرحد التشاؤم بالأيام والشهور، ومن ذلك:

١- التشاؤم بشهر صفر[٣] بأنه شهر الهوام والابتلاءات[٤]، فلا يتزوجون في النصف الأول منه، ويعتقدون فيه نحوسة[٥]، وإذا جاء يوم الأربعاء الأخير من نفس الشهر، تقوم ربة البيت بضرب الأواني لتخرج أصواتها، وتكنس كل

---

(١) **عدوى:** المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده، أن المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى، **والهامة:** قيل هي البومة كانوا إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية، وقيل أن عظام الميت، أو روحه تنقلب هامة، ويجوز أن يكون المراد النوعين فإنهما جميعا باطلان، يُنظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٤٣٣/١٤ عند شرح حديث(٥٧٤٩).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الطب باب الجذام ١٩٥/١٠ (ح٥٧٠٧) وفي باب ولا هامة (ح٥٧٥٧) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب باب لا عدوى ٤٣٣/١٤ (ح٥٧٥٠).

(٣) مفاتيح الجنان لعباس القمي ص: ٣٦٠.(دوخت آواز) لسعيد الرحمن ص: ١٤٢.

(٤) ومنهم يسمونه شهر الغائبين يعني الجنيات، فيحتاطون في المشي والحركة خوفا من الجن، وكذلك يمسكون الأولاد، ويخوفونهم بأنواع من الكلام المخوف.يُنظر:(دوخت آواز) لسعيد الرحمن ص: ١٤٢.

(٥) ((ناروابدعتونه)) لزاهدي أحمدزئي ص:٦٢.

البيت[باعتقاد أن لا يبقى في البيت آثار وبقايا شهر صفر]، وتقول: خرج صفر، خرجت الهوام(١).

٢- اعتقاد البعض أن شهر صفر شهر نحس(٢)، والبعض يروُون فيه حديثا موضوعا(٣)، أن النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قال: «من بَشّرني بخروج صفر بَشّرتُهُ بالجنة»(٤).

٣- الاعتقاد بأن يوم عاشوراء(٥)يوم نحس قال أحد الرافضة في شأن يوم عاشوراء: « فإن استطعت أن لا تخرج في يومك[عاشوراء]في حاجة فافعل؛ فإنه يوم نحس لا يُقضى فيه حاجة مؤمن، وإن قضيت لم يبارك له فيما ادخر، ولم يبارك في أهله، فإذا فعلوا ذلك كتب الله لهم ثواب ألف حجة، وألف غزوة كلها مع رسول الله ﷺ.وكان له أجر وثواب مصيبة كل نبيّ ورسول ووصيٍّ، وصديق وشهيد، مات أو قتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة»(٦).

---

(١) وفي اليوم الثالث عشر يطبخون الحنطة على أصله غير مجروشة مثل(البليلة) ويقسّمونها صدقة على الناس والجيران، للخلاص من نحسته.يُنظر: «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص: ١٤٢، و«ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمدزئي ص: ١١٠.

(٢) مفاتيح الجنان لعباس القمي ص:٣٦٠.

(٣) قال علي القاري: لا أصل له.يُنظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة له ص: ٣٢٤ برقم ٤٧٣، وكشف الخفاء للعجلوني ٣٠٩/٢ برقم ٢٤١٨.

(٤) «ددولسو مياشتو فضائل او أحكام» لسيف الحنان ص:١٣، «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص:١٤٢، ١٤٥وقد ردّ المؤلفان على هذا المعتقد، وإنما أوردتُه هنا ليدل على وجود هذا المعتقد في بعض الناس في إقليم سرحد.

(٥) وهو اليوم العاشر من شهر المحرم.

(٦) مفاتيح الجنان لعباس القمي ص: ٥٢٩.

٤- اعتقاد أن شهر المحرم شهر حزنٍ فلا يتزاوجون فيه، ويتركون ختان الأولاد في شهر المحرم لنحوس الشهر بزعمهم، ولا تكتحل[ولا تتجمل] النساء، ولا يغتسلن ولا يلبسن اللباس النظيف[ولا الجديد] وخاصة في الأيام الاثني عشر الأُوَل؛ لأن ذلك جفاء للحسين ﷺ، حيث استشهد فيها(١).

٥- اعتقاد بعض الناس أن حلق الرأس وغسله يوم الخميس، يمرض فاعله ويبلى لباسه سريعا، كما أن من لبس ثوبا جديداً في يوم الأربعاء يكون دائما حزينا، وسيُمَزّقُ لباسه في أقرب الأوقات(٢).

٦- اعتقاد بعض الناس أن بعض الليالي يكره فيها أن يجامع الرجل أهله، وهي الليلة الأولى من الشهر وليلة نصف الشهر، والليلة الأخيرة من الشهر، وليلتي العيدين، وليلة الأربعاء ، والليلة التي يريد أن يسافر في غدها(٣).

٧- اعتقاد بعض الناس أن بعض أيام الشهر نحسة؛ فلا يخرج الرجل للسفر والعمل فيها جمعها أحدهم في بيت شعر فارسي:

« هفت روزي نحس باشد در مهي *** زان حذر كن تا نيابي هيچ رنج

سه ، وپنج، وسيزده، با شانزده*** بيست يك، بيست چار، وبست پنج» (٤).

المعنى: سبعة أيام نحسات في الشهر، فكن منها حذرا لئلا تلق أية مشكلة، وهي الثالث، والخامس، والثالث عشر، مع السادس عشر، والحادي والعشرون، والرابع والعشرون، والخامس والعشرون.

---

(١) « ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمدزئي ص:٦٢، و١٠٥.

(٢) (كيميائے سعادت» المنسوب إلى الغزالي ص: ٤٢.

(٣) « آداب مباشرت» لآفتاب أحمد شاه ص:١٨-١٩.وعباس القمي ذكر كراهية الجماع في أوائل سائر الشهور، ما عدا شهر رمضان، قال: فإنه يستحب.يُنظر: مفاتيح الجنان لعباس القمي ص: ٢٧٢.

(٤) مفاتيح الجنان لعباس القمي ص: ٣٧١.

الانحراف الثاني: التشاؤم بالحيوانات وأصواتها

بعض الناس في إقليم سرحد يتشاءمون بالحيوانات وأصواتها، ذكر الشيخ زاهدي أحمدزئي جملة من هذه الانحرافات ثم ردّ عليها فممّا ذكر:

١- قول بعض عوام الناس: إن نباح الكلاب[١] إخبار بأنه سيحدث وباء أو مرض آخر يتسبب في هلاك كثير من الناس[٢].

٢- اعتقاد بعض العوام أن الديك إذا أذّن بين العصر والمغرب فلابدّ أن يموت في البيت أحد، وكذلك إذا صوتت الدجاجة كأذان الديك في أي وقت من الأوقات، لكن إذا ذبح ذلك الديك أو الدجاجة، فلا يحدث شيء[٣].

٣- اعتقاد بعض الناس أنه إذا جلس الغرابُ على جدار البيت، أو غصن شجرة البيت وبدأ ينعق،[فيتشاءمون به[٤]] ويعتقدون أنه سيأتي ضيفٌ إلى بيتهم [٥].

الانحراف الثالث: التشاؤم بالأفعال والأمور.

اعتقد بعض الناس في إقليم سرحد التشاؤم ببعض الأفعال والأمور، ومن الأمثلة على ذلك:

١- تكنيس البيت في اليوم الذي سافر فيه أحد من ذلك البيت، فلا يكنس أهل البيت بيتهم في نفس اليوم؛ لاعتقادهم أنهم إذا كنّسوا البيت فيموت ذلك المسافر ولا يرجع، وهذه عقيدة مخالفة للشرع مأخوذة من دساتير الهنود[٦].

---

(١) المراد هنا صوت يخرجه الكلب أحيانا يشبه عواء الذئب.وليس المراد هنا النباح العادي.

(٢) ((ناروا بدعتونه)) لزاهدي أحمدزئي ص:١٣٠.

(٣) المرجع السابق ص: ١٣٠.

(٤) ولذلك اشتهر بين بعض العوام من العجم عند نعيق الغربان قول: أبشر يا غراب ببشارة حلوة طيبة، كما اشتهر عند بعض العوام من العرب قول: خير يا طير.

(٥) ((ناروا بدعتونه)) لأحمدزئي ص: ١١٣.

(٦) المرجع السابق.

٢- عدم ترك العروسة في أوائل أيام زفافها أن تغلق صندوقها الخاص، لاعتقادهم أنها إذا أغلقت صندوقها الخاص بالقفل، أو أغلقت باب غرفتها الخاصة بالقفل، سيهلك هذا البيت تماما، وهذا من عقائد المبتدعة(١).

٣- اعتقاد حصول الخير أو الشر إذا تحركت أجفان العين، فإن كانت لليمنى سيحصل خير وفرح، وإن تحرك الجفن الأيسر؛ فيتشاءمون ويقولون سيحدث أمر مكروه لا يحمد عقباه وهذا أيضا من عقائد المبتدعة(٢).

٤- تشاؤم بعض الناس على زوجة الميت، والنظر إليها بنظر الكراهة، ويقولون لها: إن جبينكِ مشئوم، وقدمكِ قبيح وقد تطيرنا بكِ، من أجلكِ مات قريبنا الفلاني، لولا أنتِ لَمَا مات فلان(٣).

٥- اعتقاد بعض الناس في بعض الأمور أنها تسبب التضييق في الرزق، سرد أحدهم أمورا، وقال: **هذه الأشياء تسبب التضييق في الرزق وهي**: النوم عريانا، التبوّل عريانا بلا حاجة، الأكل وهو جنب، الأكل متكئا، عدم رفع ما سقط على المائدة أثناء الأكل، إحراق قشور البصل، والثوم، تنظيف البيت بالمنديل أو خرقة قماش، تكنيس البيت ليلا، ترك القمامة في البيت، المشي في الطريق قبل الأساتذة وأمامهم، نداء الوالدين بأسمائهما، تعفير الأيدي بالتراب، الجلوس على عتبة الباب، الاتكاء على فلقة الباب، الوضوء في الحمام، خياطة الثوب الممزق على البدن(ملبوساً)حالة القيام، تنشيف الرجل وجهه على لباسه، ترك بيوت العنكبوت في البيت، الكسل في الصلاة، الخروج بعد صلاة الفجر مسرعا، الخروج إلى السوق قبل صلاة الفجر، التأخير في المجيء من السوق عند الرجوع، شراء قطع الخبز من السائل، إطفاء السراج بنفخ الهواء من الفم...وكذلك تصليح القلم المكسور

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) المرجع السابق ص: ٨٣.

واستعماله، استعمال المشط المكسور، عدم الدعاء للوالدين بالخير، تعمم العمامة جالسا، لبس السروال قائما، البخل، والتقليل في المصاريف، الإسراف، الكسل، الوهن، والغفلة[1].

---

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي ص: ٦٧-٦٨.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتطيّر، والتشاؤم بالأزمنة والأمكنة.

إن التشاؤم والتطير كانا من عادات العرب في الجاهلية، فجاء الإسلام وأبطلهما بنصوص صريحة، وأرشد النبي ﷺ أصحابَه ﷺ إلى عدم الالتفات إلى ما يعتقده الناس في الجاهلية من زجر الطير من وكناها، والتشاؤم بأصواتها وقال ﷺ: «**أقروا الطير على مكناها**»[1].لأن الأمور كلها مقدّرة ولا يأتي بشيء منها الطير ولا غيره، لا بشرٌ ولا بخيرٍ، إنما كل ذلك من عند الله، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[2].وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [3].

ونفى النبي ﷺ التشاؤم بالأزمان، والطيرة بالحيوان ونحوه، حيث قال ﷺ: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**[4]...» [5].

---

(١) تقدم تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل ينظر: ص: ٣٤٠.

(٢) سورة النساء (٧٨).

(٣) سورة الحديد (٢٢).

(٤) **صَفَر**: قيل:داء يأخذ البطن، وقيل:أن المراد به شهر صفر حيث كانوا يحرمونه بدل المحرم.ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/٤٣٣عند شرح حديث (٥٧٤٩) **ويحتمل** كذلك أن يراد به التشاؤم بشهر صفر كما كان يفعله البعض، ويقولون: إنه شهر مشئوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك، قال ابن رجب -رحمه الله-: ولعل هذا أشبه الأقوال.وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينتهي من السفر فيه. والتشاؤم بصفر من جنس الطيرة المنهي عنها.يُنظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص:٣٤٥.

(٥) تقدم تخريجه في بداية المبحث الثاني من هذا الفصل ص: ٣٤٢.

وقال أحد الصحابة ﷺ للنبي ﷺ: كنا نتطيّر فقال ﷺ: «**ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يَصُدنَّكم**»[(١)]. فأمره أن يمضي في حاجته ولا يمنعه التطير، فإنه لا طيرة، ومن ردته الطيرة فقد ارتكب الشركَ الأصغرَ، وهو من كبائر الذنوب.

وقال النبي ﷺ: «**من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «**أنْ تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك** »[(٢)].

فمن وقع في قلبه شيء من الطيرة أو التشاؤم فليقل الدعاء المذكور، وليتوكل على الله، فيذهب عنه ما يجده بإذن الله كما قال ابن مسعود ﷺ: «**الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يُذهبه بالتوكل**» [(٣)].

قال الإمام أحمد -رحمه الله- في شرح الحديث: يريد -والله أعلم- الطيرة شرك على ما كان أهل الجاهلية يعتقدون فيها، ثم قال: «وما منّا إلا...» يقال: هذا من قول عبد الله بن مسعود، وليس من قول النبي ﷺ، وقوله: وما منّا إلاّ وقع في قلبه شيء عند ذلك على ما جرت به العادة، وقضت به التجارب، لكنه لا يقرّ فيه، بل يحسن اعتقاد أن لا مدبر سوى الله تعالى؛ فيسأل الله الخير ويستعيذ به من الشرّ، ويمضي على وجهه متوكلا على الله ﷻ[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه في المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا الفصل ص: ٣٤١.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢/٢٢٠ وقال محققو المسند: حسن. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٦٢٣/١١ برقم(٧٠٤٥).

(٣) سنن أبي داود كتاب الطب باب في الطيرة ص:٧٠٢(ح٣٩١٠)، وسنن الترمذي كتاب السير عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الطيرة ص:٣٨٠ (ح١٦١٤)، وأحمد ٣٨٩/١، وقال الألباني صحيح. يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٤٧٤/٢ برقم ٣٩١٠، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير عيسى بن عاصم وهو الأسدي، فقد روى له أصحاب السنن عدا النسائي، وهو ثقة. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٢١٣/٦ برقم (٣٦٨٧)، و٢٥٠/٧ برقم(٤١٩٤).

(٤) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ٦٢/٢ برقم١١٦٧.

فهذه الأدلة وغيرها تنفي التشاؤم والتطير بالأزمنة والأمكنة والأشخاص، وبهذا بطل زعم كل من يزعم أن بعض الأزمنة مشئومة **كما في الانحراف الأول**، أو ظن أن بعض الحيوانات مشئومة **كما في الانحراف الثاني**، أو اعتقد أن بعض الأشياء والأمور مشئومة **كما في الانحراف الثالث.**

فالتشاؤم والتطير ليس من صفات المؤمن المتوكل على الله، وإنما ورد في القرآن الكريم منسوبا إلى مخالفي الرسل وأعدائهم كقوم ثمود وفرعون وغيرهم.

قال الله تعالى عن قوم ثمود: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾[1] أي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشرّ هو قَدَرُه الله، أو عملكم المكتوب عند الله ﷻ[2]

وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾[3]، أي ما قُدّر لهم وعليهم وما لحقهم من القحط والشدائد، إنما هو من عند الله ﷻ بذنوبهم لا من عند موسى وقومه[4].

وقال تعالى عن أصحاب القرية الذين كذّبوا المرسلين: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ

---

(١) سورة النمل (٤٥-٤٧).

(٢) روح المعاني للألوسي ١١/ ٣١٥ عند تفسير الآية (٤٧) من سورة النمل.

(٣) سورة الأعراف (١٣٠-١٣١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٩م٣٠٨ عند تفسير الآية (١٣١) من سورة الأعراف.

تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾[1] أي حظكـــــم ونصيبكم من الخير والشر معكم من أفعالكم، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر[2].

ففي هذه الآيات بيان واضح أن أعداء الرسل ومخالفيهم كانوا يتطيرون برســلهم، وقد أنكر الله عليهم معتقد تطيرهم بالرسل وأتباعهم، وأضاف التطير إلى هؤلاء المتطيرين؛ لأن هذه النحوسة، والضيق، والقحط، والشدائد وغيرها، قدّرها الله علـيكم بـسبب أعمالكم، وليس بسبب الأنبياء ومن معهم. وبهذا تتضح كيفية طائرهم عند الله، لأنه ﷻ قدّره عليهم، وكيفية طائرهم معهم؛ لأنهم تسببوا بأعمالهم.

وقد يشتبه على البعض إضافة اليوم إلى النحس كما يشكل عليهم وَصْفُ بعضِ الأيام بالنحوسة في القرآن الكريم كما في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[3]. وقوله تعــالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[4]. قــال مجاهــد وقتادة: كُنَّ آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعــاء وذلــك ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾[5]وقال ابن عباس ﷺ: ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء[6].

يقال في دفع هذا الإشكال: إن اليوم ليس في نفسه نحسا، لكنه نحسٌ على المعذبين بسبب أعمالهم، ومعاصيهم؛ فيحصل لهم النحوسة بسبب أعمالهم، وليــست النحوســة خاصية اليوم، كذلك نفس اليوم سعيدٌ على الرسل وأتباعهم لنجاتهم، وهلاك عــدوهم، وذلك بسبب طاعتهم للرحمن فيحصل لهم السعادة بسبب أعمالهم، وليــست الــسعادة

---

(١) سورة يــس (١٣-١٩).

(٢) روح المعاني للألوسي١٢/ ٣٣٤ عند تفسير الآية (١٩) من سورة يــس.

(٣) سورة القمر (١٩).

(٤) سورة فصلت (١٦).

(٥) سورة الحاقّة (٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/٤٠٢ عند تفسير الآية (١٦) من سورة فصلت.

خاصية اليوم، فاليوم الواحد يكون سعيدا ومنحوسا، وذلك بسبب عمل كل من العاملين، كما هو ظاهر من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

وقد يُشكِل على بعض الناس بعض الأحاديث كقوله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة إنما الشؤم في ثلاث: في الفرس والمرأة والدار»[1]. وحديث: «إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس والمسكن والمرأة»[2] ونحوها مما يثبت الشؤم في بعض الأشياء. فللعلماء تجاه هذه النصوص عدة مسالك[3]، أحسنها الجمع بين الأحاديث، حيث أن الطيرة والتشاؤم المنفي بالأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ، هو الشؤم بمعنى النحوسة والفأل القبيح الرديء، الذي يُنسِب المتطيِّر فيها النحوسة إلى أسباب خفية في زعمه وهو ليس سببا في الحقيقة، كمن ترك السفر لا لشيء في السفر، وإنما لأنه رأى طائرا يطير إلى جهة معينة فتشاءم منه وترك السفر، فإنه منفي بهذا المعنى وهذا ما كان يعتقده أهل الجاهلية.

أما ثبوت الشؤم في بعض الأشياء كما ورد بذلك أحاديث صحيحة، فليس المراد بالشؤم النحوسة والفأل الرديء، بل المراد كراهة الشيء لسبب ظاهر موجود في نفس المشؤم، أو ملازم له، كمن يكره المرأة، لا لسبب خارجي خفي، بل لسبب ظاهر وهو سوء خُلُق المرأة أو لصفة ذميمة أخرى، وبسبب هذه الصفة الذميمة في المرأة والدار والدابة؛ يرتكب صاحبه زلاّت ومخالفات تتسبب له في بعض المصائب، فهذا الشؤم بهذا المعنى ثابت، وعلاجه أن يبتعد من المشؤم.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الطب باب لا عدوى ١/ ٢٩٩ (ح٥٧٧٢) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي الطب باب الطيرة والفأل١٤/٤٤٠ (ح ٥٧٦٦).

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب باب الطيرة والفأل١٤/٤٤١ (ح ٥٧٦٦) ونحوه رواه البخاري يُنظر: صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب النكاح باب من شؤم المرأة ١٧٢/٩ (ح٥٠٩٤).

(٣) لقد ذُكر جملة من تلك المسالك في كتاب أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين لسليمان الدبيخي ص: ١٢٨ وما بعدها. وكتاب الطيرة والفأل لسعاد السويد ص: ١٣٦ وما بعدها.

فالشؤم المنفي غير الشؤم الثابت: المنفي أن ينسب الشؤم إلى أشياء يظنها أسبابا، أو يعتقد فيها تأثيرا ذاتيا لا بقدرة الله.**ومن علامات هذا الشؤم:**

أ- **أن يكون قبل الإقدام على الشيء غالبا**؛ ويدل عليه عملهم حيث كان يتم زجر الطير ونحوه أولا ثمّ يتشاءمون، وقال النبي ﷺ «**أقروا الطير على مكناها**»(١).

ب- **أن يعتقد أن الشيء المتشاءم به مؤثر بنفسه في الضرر**.ويدل عليه حديث الكفارة: «من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أنْ تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»(٢).ومن اعتقد أن ذلك الشيء مؤثر بنفسه، فقد ارتكب شركا أكبر؛ فليتُب وليقل الدعاء، وفيه أن لا شيء مؤثرا إلا أن يجعل الله فيه تأثيرا.

ت- **أن يعتقد أن هذا الشيء سبب في جلب الضرر**.ويدل علي هذا عمل أهل الجاهلية حيث كانوا يتركون السفر بسبب طيران الطير يمينا أو يساراً ونحوها، واعتقاد شيء لم يجعله الله سببا لا شرعيا ولا قدريا شرك أصغر، ولهذا قال العلماء الطيرة شرك أصغر.

ث- **أن يمنع من الإقدام على العمل من أجل هذا التشاؤم**.وإذا عرضه شيء ولم يمنعه؛ فليس من التشاؤم الذي هو شرك، ويدل عليه قول النبي ﷺ: «**ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه، فلا يَصُدنَّكم**»(٣).وقوله ﷺ في صدر حديث الكفارة: «**من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**» (٤).

---

(١) تقدم تخريجه في المبحث الأول من هذا الفصل ص: ٣٤٠.

(٢) تقدم تخريجه في نهاية البحث الأول من هذا الفصل ص: ٣٤٩.

(٣) تقدم تخريجه في المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا الفصل. ص:٣٤١.

(٤) تقدم تخريجه في المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا الفصل. ص: ٣٤١.

أما الشؤم الثابت في الأحاديث الصحيحة، فهو غير الشؤم المنفي، وهو ما يجده الإنسان من الكراهة في نفسه، لبعض الأشياء بعد حصول الضرر المتكرر، **ومن علاماته:**

أ- **أن لا يكون إلا بعد وقوع الضرر وتكراره**، ويدل عليه حديث: قال رجل يا رسول الله -ﷺ- إنا كنا في دار كثير فيها عددنا وكثير فيها أموالنا فتحولنا إلى دار أخرى فقَلّ فيها عددنا وقَلّتْ فيها أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ذروها ذميمة**» (١).

ب- **أن يكون لصفة مذمومة في الشيء**.كما في حديث «**ذروها ذميمة**» أو أن تكون المرأة سيئة الخلق أو لا تلد ونحوها، بخلاف التطير فيتشاءم الناس لا لصفة مذمومة في الشيء بل لشيء خارج عن الشيء، كترك السفر لأن الطير طار شمالا ونحوه، فطيران الطير ليس من صفات السفر ولا دخل له فيه.

ت- **أن الأثر المترتب على هذا التشاؤم هو الابتعاد عن المتشاءم به بعد حصول الضرر المتحقق**، كما يدل عليه حديث «**ذروها ذميمة**»، بخلاف التشاؤم الممنوع، فإن الناس يبتعدون عن المتشاءم به قبل حصول الضرر المزعوم.

ث- **أن يكون الاعتقاد أن الله ﷻ هو مسبب الأسباب، قد يجعل شيئا سببا لشيء آخر** -كمن يُرزق بولد صالح يلحق خيرُه بالوالدين وغيرهم وعلى العكس يُعطى للبعض ولدٌ عاقٌ فاجرٌ يلحق شرّه بالوالدين وغيرهم- لا لأن الشيء هو مؤثر بنفسه، كما يُعتقد في التشاؤم الممنوع.

وبالجملة إن الطيرة والتشاؤم منفيان بنصوص القرآن وكلام سيد الأنام، وما ذكر من إخبار الشؤم في الدار والدابة والمرأة ونحوها، فهي ليس من الطيرة التي نفاها النبي ﷺ، وإنما غايته أن الله ﷻ قد يخلق من هذه الثلاثة أعيانا مشئومة على من قاربها وسكنها،

---

(١) سنن أبي داود كتاب الطب باب الطيرة ص:٧٠٤ (ح٣٩٢٤)، وقال الألباني: حسن.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٤٧٨/٢(ح٣٩٢٤).

وأعيانا مباركة لا يلحق من قارها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي الرب ﷻ للوالدين ولدا مباركا يُرى الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولدا يُرى الشر على وجهه، فكذلك الدار والمرأة والفرس، والله ﷻ خالق الخير والشرّ، والسعود والنحوس، فيَخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة ويقضي سعادة من قارنها ويحصل له منه البركة واليُمن، ويَخلق بعض هذه نحسا يتنحس من قارنها، وكل ذلك بقضاء الله وقَدَرِه، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المختلفة، فكما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذّذ بها من قارنها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سببا لإيذاء من قارنها من الناس، والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس، فكذلك في الدار والنساء والخيل، فهذا لون والطيرة لون آخر[1].

ونختم هذا الفصل بقول ابن رجب -رحمه الله- حيث قال: والتحقيق أن يقال في إثبات الشؤم في هذه الثلاث، ما ذكرناه في النهي عن إيراد المريض على الصحيح، والفرار من المجذوم، ومن أرض الطاعون، إن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن ويقرنه بها، ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة، أو أَمَة، أو دابة، أن يسأل الله من خيرها وخيرما جُبِلَتْ عليه، ويستعيذ من شرها وشرّ ما جُبِلَتْ عليه كما في الحديث[2]...، فترك ما لا يجد الإنسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة غير منهي عنه[3].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم٢/٢٥٧.

(٢) يشير -رحمه الله- إلى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك...يُنظر: سنن أبي داود كتاب النكاح باب جامع النكاح ص: ٣٧٤(ح٢١٦٠). وسنن ابن ماجة كتاب النكاح باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله ص: ٣٣٣(ح١٩١٨) وفي كتاب البيوع باب شراء الرقيق ص:٣٨٦(ح٢٢٥٢).وقال الألباني -رحمه الله-: حسن.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني برقم(١٨٧٦).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب ص: ٨٣.

الباب الثاني

الباب الثاني

الانحرافات المتعلقة بأعمال اللسان، في إقليم سرحد في (باكستان)، وموقف الإسلام منها، وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: الانحرافات المتعلقة بالذكر،والدعاء، وموقف الإسلام منها.

الفصل الثاني: الانحرافات المتعلقة بالاستغاثة، والاستعانة، وموقف الإسلام منها.

الفصل الثالث: الانحرافات المتعلقة بالنذر، وموقف الإسلام منها.

الفصل الرابع: الانحرافات المتعلقة بالتوسل، والشفاعة، وموقف الإسلام منها.

الفصل الخامس: الانحرافات المتعلقة بالحلف، وموقف الإسلام منها.

الفصل السادس: الانحرافات المتعلقة بالرقى، وموقف الإسلام منها.

الفصل السابع: الانحرافات المتعلقة بالتعبيد في الأسماء، وموقف الإسلام منها.

الفصل الأول

الانحرافات المتعلقة بالذكر، والدعاء، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الذكر والدعاء، وأقسامهما.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالذكر، والدعاء.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول
معنى الذكر والدعاء، وأقسامهما.

إن المسلم لا يستغني عن الذكر والدعاء في أحوال معيشته كلها على اختلاف أقسامها، وأوقاتها، فيذكر العبد ربه في حال قيامه وقعوده، وحركته وسكونه، وخروجه ودخوله، بل في سائر شؤونه، وسيكون في هذا المبحث بيان معنى الذكر والدعاء لغة وشرعا، ثم أقسام كل منهما، وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذكر، والدعاء لغة

أصل الكلمتين:

الذكر: الذال والكاف والراء أصلان: الأول: ما يقابل المؤنث، والثاني: ما يقابل النسيان(1).

الدعاء: الدال والعين والحرف المعتل، أصل واحد، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك(2).

تصريف الكلمتين:

الدعاء:مصدر دَعا يَدْعُو دَعْوَةً ودُعاءً(3).**والذكر**: مصدر ذَكَرَ يَذْكُرُ ذِكْرًا (4).

معنى الكلمتين:

الذِّكْر -بكسر الذال وسكون الكاف- له معنيان:

أحدهما: التلفظ بالشيء. أو الشيء يجري على اللسان يقال: ذكرت لفلان كذا وكذا، أي تلفظت به له، أو قُلته له، وليس من الذكر بعد النسيان(5)، ومنه سمي المتلفظ بتكبير الله وتحميده وتسبيحه ونحوِه ذاكراً لله تعالى.

---

(1) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٣٨٨.

(2) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٣٥٦.

(3) لسان العرب لابن منظور٣/٣٦٩، تاج العروس للزبيدي ١٩/٤٠٥.

(4) المعجم المفصل لتصريف الأفعال لمحمد السود ص: ٦٣٤.

(5) تاج العروس للزبيدي ٦/٤٤٠، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير١/ ٦٠٧.

ثانيهما: إحضار الشيء في الذهن بحيث لا يغيب عنه، وهو ضد النسيان(١)، ومنه سمي القائم على حدود الله ذاكراً لله تعالى، ولهذا قال سعيد بن جبير-رحمه الله-: «الذكر طاعة الله، من أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه، فليس بذاكرٍ، وإنْ أكثر التسبيح وتلاوة الكتاب» (٢).

و قيل: الذِّكر بالكسر ما يكون باللسان، وبالضم ما يكون بالجنان(٣).

الدُّعاء: بضم الدال ممدودًا، واحد الأدعية، يأتي بمعنى السؤال والطلب والرغبة والنداء، يقال: دعوت الله أدعوه دُعاءً أي ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً، أي ناديته وطلبت إقباله، ودَعَا المؤذن الناس إلى الصلاة؛ فهو داعيُ الله(٤).

فالدعاء والدعوة بمعنى الطلب والنداء يقال: دعوت القوم إلى الطعام، أي طلبتهم إليه وناديتهم لأكله. ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾(٥).

المطلب الثاني: الذكر، والدعاء شرعا

أولا: الذكر لقد عرّفه العلماء بتعريفات عديدة منها:

١- الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وما

(١) الكليات للكفوي ص: ٤٥٦.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/٢٧٦، وشرح السنة للبغوي٥/١٠الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢/٤٥٩ عند تفسير الآية(١٥٢) من سورة البقرة.

(٣) دستور العلماء للنكري٢/١٢٤.

(٤) المصباح المنير للفيومي١/٢٦٤.

(٥) سورة النور (٦٣).

يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة[1].

٢- طاعة الله، ومن أطاع الله، فقد ذكره[2].

٣- الطاعة، والشكر، والدعاء، والتسبيح، وقراءة القرآن، وتمجيد الله، وتسبيحه، وتهليله، والثناء عليه بجميع محامده[3].

٤- المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه، كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث ومدارسة العلم، والتنفل بالصلاة، وغيرها[4].

يظهر من تعريفات العلماء أن الذكر لا يختص بعمل القلب أو اللسان فقط، بل يشمل جميع الطاعات، فهو مرادف للعبادة بهذا المعنى. لكن عند الإطلاق لا ينصرف الذهن إلا إلى التلفظ بالتحميد والتكبير والتهليل ونحوها من ألفاظ الذكر؛ ولذلك جعلته في باب ما يتعلق باللسان.

ثانيا الدعاء: لقد عرفه العلماء بتعريفات منها:

١- إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له[5].

٢- الرغبة إلى الله ﷻ فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال[6].

٣- استدعاء العبد ربه ﷻ العناية واستمداده إياه المعونة[7].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١١/٢٥٠ كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله ﷻ عند شرح العنوان.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/٢٧٦، وشرح السنة للبغوي ٥/١٠.

(٣) تاج العروس للزبيدي ٦/٤٤١، وينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٦٠٧.

(٤) فتح الباري لابن حجر ١١/٢٥٠ كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله ﷻ عند شرح العنوان.

(٥) فتح الباري لابن حجر ١١/١١٤ كتاب الدعوات عند شرح العنوان.

(٦) تاج العروس للزبيدي ٩/٤٠٥.

(٧) صيانة الإنسان للسهسواني ص: ٤٤١.

يظهر من تعريفات العلماء السابقة، أن الدعاء قد يكون فيه طلب شيء كما يظهر من التعريف الثاني والثالث، وقد لا يكون فيه ذلك بل فيه إظهار الافتقار والتذلل دون الطلب كما في التعريف الأول، وهذا يشير إلى أقسام الدعاء كما سيأتي في المطلب الثالث.

المطلب الثالث: أقسام الذكر والدعاء

ينقسم الذكر والدعاء إلى أقسام متنوعة باعتبارات مختلفة، وهي كالتالي:

أولا: أقسام الذكر

ينقسم الذكر إلى عدة أنواع باعتبارات متعددة منها:

الأول: باعتبار ما يقع به الذكر ينقسم إلى قسمين: ذكر اللسان، وذكر القلب(١)، وقسّمه البعض بنفس الاعتبار إلى ثلاثة أقسام: ذكر اللسان والقلب والجوارح(٢)، فيكون ذكر اللسان بالتلفظ بالألفاظ الواردة من التسبيح والتهليل، وقراءة القران ومدارسة العلم، وذكر القلب بالتفكر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكليف، وفي أسرار المخلوقات، أما ذكر الجوارح فبالاستغراق في الطاعات، والخلوّ عن المنهيات، وعلى ذلك يأتي تفسير قوله تعالى:﴿ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾(٣)وهذا أيضا يصبح قول الله ﷻ: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾(٤) متضمناً لجميع أنواع الطاعات(٥).

وينفرد كل من اللسان، والقلب، والجوارح بالذكر أحيانا، ويجتمع الاثنان عليه أحيانا، وقد يجتمع عيه الجميع أحيانا.

الثاني: الذكر باعتبار هيئة الذاكر ينقسم إلى قسمين:

---

(١) يُنظر: المنهاج لشعب الإيمان للحليمي١/٥٠٣، والأذكار للنووي ص: ٣٣، فتح الباري لابن حجر١١/٢٥٠.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٤/١٤٣.

(٣) سورة الجمعة (٩).

(٤) سورة البقرة (١٥٢).

(٥) التفسير الكبير للرازي٤/١٤٣(بتصرف).

١- **الذكر الفردي**: وهو ذكر العبد ربه لوحده -كما هو الغالب-، ويدل عليه قوله ﷺ: «...**ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه...**»[(١)].

٢- **الذكر الجماعي**: وهو ما يكون في حِلَقِ الذِّكر من تلاوة القرآن، ومدارسة العلم، ونحوها كما في الحديث«**ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حَفَّتْهُم الملائكة، وتَغَشَّتْهم الرحمة، ونزلتْ عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(٢)]وفي رواية «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(٣)].هذه الرواية تفسر الرواية الأولى.

الثالث: الذكر باعتبار صوت الذاكر ينقسم إلى قسمين:

١- **الذكر الخفي**: وهو مالا يسمعه غير الذاكر إلا الله، ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[(٤)].

٢-**الذكر الجلي**: وهو ما يسمعه الذاكر وغيره من العباد كما في التلبية وتكبيرات أيام التشريق ونحوها.

الرابع: الذكر باعتبار التقيّد وعدمه ينقسم إلى **قسمين**:

١- **الذكر المقيد** وهو: الذكر الذي قيّده الشارع بالمناسبة، والحال، مع بيان الكم، والكيف، وبعبارة أخرى هو: ما ثبت عن النبي ﷺ قولا أو أرشد

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر...١٨٧/٢(ح٦٦٠)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الزكاة باب إخفاء الصدقة ٧/ ١٢٣(ح٢٣٧٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده٩٤/٣، وقال محققو المسند:حديث صحيح.ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٣٨٩/١٨برقم (١١٨٩٢)

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر٢٤/١٧(ح٦٧٩٣)، وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب في ثواب قراءة القرآن ص: ٢٥١(ح١٤٥٥).

(٤) سورة الأعراف (٢٠٥).

إليه في أوقات مخصوصة أو لسبب، أو مناسبة، كأذكار الصباح والمساء، وأذكار الصلاة، وبعد التسليم ونحوها.

٢- **والذكر المطلق** وهو: ما ليس مقيدا بسبب أو حال أو عدد أو كيفية، كالتسبيح، والتهليل، والتكبير، ونحوها، مطلقا من دون التقييد، كما في الحديث: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»(١)

ثانيا:أقسام الدعاء

ينقسم الدعاء إلى قسمين(٢):

١- دعاء مسألة

٢- دعاء عبادة(٣).

أما دعاء مسألة: فهو طلب جلب نفع أو دفع ضر، وهو من أقسام العبادة لأن فيه تضرعاً وافتقاراً إلى الله.

وأما دعاء عبادة: فهو ما ليس فيه سؤال ولا طلب، ولكنه ثناء على الله يَتَعبّد به العبد طلبا لثواب الله وخوفا من عقابه.

وبين هذين القسمين من الدعاء تلازم من حيث أن **دعاء العبادة** مستلزم لدعاء المسألة، وذلك لأن الداعي إذا عبد الله بالثناء عليه والتحميد ونحوه، ويعتقد أنه لا بد للمعبود أن يكون مالكا للنفع والضر؛ فيستلزم منه أن لا يطلب شيئا إلا منه.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم١١/٦٩٠(ح٦٦٨٢)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الذكر والدعاء١٧/٢١(ح٦٧٨٦).

(٢) لقد قسم الشيخ رشيد رضا الدعاء إلى دعاء عادة، ودعاء عبادة، ودعاء عادة: هو ما يطلبه الناس بعضهم بعضا مما يقدرون عليه بالأسباب التي سخرها الله لهم.فدعاء العبادة ينقسم إلى دعاء مسألة، ودعاء عبادة. يُنظر: تعليق محمد رشيد رضا على صيانة الإنسان للسهسواني ص: ٣٧٤.

(٣) يُنظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ٢٠٨، حاشية الأصول الثلاثة لعبد الرحمن النجدي ص:٤٩، مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/٥٢، شرح الأصول الثلاثة للفوزان ص: ١٢٧.

ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، لأن السائل إذا أخلص سؤاله من الله فهذا من أفضل العبادات، وكذلك الذاكر لله والتالي لكتابه طالب في المعنى فيكون داعيا عابدا(١).

وسيكون الكلام في هذا الفصل إن شاء الله فيما يتعلق بدعاء العبادة، إذ هو والذكر شيء واحد؛ لأن في كل منهما ثناء على الله بما هو أهل له، وأما ما يتعلق بدعاء المسألة فسيأتي الكلام عنه في فصل الاستغاثة والاستعانة إن شاء الله؛ لأنهما من أقسام دعاء المسألة.

---

(١) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية٢/٣١٢، وبدائع الفوائد لابن القيم ٣/٨٣٥، وتيسر العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ١٧٠، وفتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص: ١٥٠.

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالذكر، والدعاء

إن الذكر والدعاء من أفضل العبادات اللسانية، وبهما يتم إظهار العبودية لله ﷻ، لكن كثرت الانحرافات في إقليم سرحد في هذا المجال من عدة نواحٍ، ومن ذلك الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة ما يلي:

الانحراف الأول: المواظبة على أوراد لم ترد في الشرع.

بعض الناس في إقليم سرحد يتلفظون بأشياء لم ترد في الشرع الحنيف، ويقولون: هذا وِردٌ مشروع أو أفضل الأوراد ومن هذا النوع:

١- التلفظ بأسماء الأنبياء والأولياء، بقصد التقرب إلى الله، حيث يقول بعض المخالفين: (إذا كان الرجل يقرأ ورداً له[1]: «**يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله، اقض حاجاتي بإذن الله، بحرمة محمد بن عبد الله...**» وكان يظن أن الله يُسمعه بطريق الكرامة، فهذا الفعل جائز، وشيئا مصدر من شَوَى، يَشْوِي، شَيْئاً[2]!!، والمعنى أنه شُوِي في محبة الله، ونسبة قضاء الحاجات إليه مجاز، كما

(١) **الوِرْد** بالكسر: وهو الجزء المعلوم، والنصيب المقرر، والحزب المحدد، يقال: لفلان كلّ يوم ورد من القرآن يقرؤه أي مقدار معلوم، وقرأ وِرده وحزبه بمعنى واحد.يُنظر: لسان العرب لابن منظور٩/٢٧٢، وتاج العروس للزبيدي٥/٣١٠.ويطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه[ومريده] بذكرها صباحا ومساء. يُنظر: حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى ص: ١٨٦.

(٢) **شيئاً** ليس مصدر شَوَي يَشْوِي كما زعم الرجل بل مصدر شَوَي يَشْوِي **شِيَةً وشِيَّةً، شَوايَة، وشِوايةً**؛ لأنه لفيف مقرون مثل نَوَى يَنْوِي، **وشيئا مصدر من شاء يشاء شيئا، مشيئة،** لأنه مهموز، يُنظر: المعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد السود ص: ٦٤١ باب رقم (٢٧،٥٩) ويقال: شوى اللحم يشويه شيّا، يُنظر: كتاب الأفعال لسعيد بن محمد المعافري ٢/٣٦١، ومختار الصحاح للرازي ص: ١٤٨، ولا يقال فلان يشوي اللحم شيئا، ولو فرضنا وسلمنا أن شيئا مصدر شوى يشوي فلا يقال: فلان شوي لله، بل يقال: شوي في الله وفي محبته. فليس المراد ما زعمه بال المراد أعطني شيئا من أجل الله. وسيأت الرد على هذه المقولة الباطلة.

ذكر ملا علي القاري في الحزب الأعظم[1]: **اللهم صلّ على محمد كاشف الغم**[2]، والكاشف الحقيقي هو الله لكن هذه النسبة مجازية، وكما في[الصلاة على النبي ﷺ الذي يسمى بـ]صلاة التاج: **يا دافع البلاء والوباء**[3]، فالنسبة إلى النبي ﷺ مجازية، وكما في قصيدة البردة:

«يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به* سواك عند حلول الحادث العمم»** [4]، والنسبة مجازية، أو المراد الشفاعة)[5].

---

(١) حزب الأعظم كتاب لملا على القاري – رحمه الله- جمع فيه بعض الأوراد، منها ما هو ثابت عن النبي ﷺ، ومنها ما هو ليس بثابت، ولكن هذه الأوراد قسمها المؤلف علىٰ أيام الأسبوع، بحيث خص لكل يوم منها وردا خاصا، وذكر فيه أدعية لم يذكرها في ورد يوم آخر، ومن المتفق عليه بين أهل السنة أن تخصيص العبادات بالأزمان والأماكن من حق الشرع، ولا يجوز التعدي على ما هو حق الشرع.

(٢) لم أجد هذه الجملة في الحزب الأعظم لعلي القاري –رحمه الله– ولا في الكتاب الذي هو ترجمة للحزب الأعظم«خدائي ته جڑا» ، وإنما وجدت فيهما جملة: اللهم صلّ على محمد نور الهدى والقائد إلى الخير، والداعي إلى الرشد نبي الرحمة وكاشف الغمة...) يُنظر: الحزب الأعظم لملا على القاري ص:١٠٨ وكتاب ترجمة الحزب الأعظم«خدائي ته جڑا» للقاري المترجم معز الدين ص: ١٦٤. ومع ذلك يقال: المجاز لا يجيز الممنوع شرعا، وسيأتي المزيد من التفصيل في الرد على هذا في المبحث موقف الإسلام من هذا الانحراف.

(٣) صلاة التاج «درود تاج» يبدؤون بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب (٥٦)] ثم يقولون:اللهم صلّ على سيدنا ومولانا محمد صاحب التاج والمعراج، والبراق والعَلَم، دافع البلاء والوباء والقحط والمرض والألم...وفي آخره محمد بن عبد الله نور من نور الله يا أيها المشتاقون بنور جماله، صلوا عليه وآله وأصحابه وسلموا تسليما. ولا يوجد فيه نداء (يا) في قوله دافع البلاء...يُنظر: مجموعة وظائف لرضاء المصطفى الأعظمي ص: ١٧٢، وتعويذات السليماني لصوفي محمد نديم ص: ٧٨-٨١.

(٤) قصيدة البردة ضمن دلائل الخيرات لسليمان ص: ٢٦٢-٢٦٣.

(٥) يُنظر: الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٢٦-٢٧.

٢- التلفظ بجملة غير مفيدة: كالتلفظ بالإثبات المجرد عن النفي، كقولهم: (**إلا الله**).وهذا ما يسميه الصوفية بالذكر الملكوتي، ويتلفظون أحيانا بضمير الغائب المنفصل لوحده، وهو قولهم: (**هو**) ويسمونه: الذكر اللاهوتي، ويتلفّظون أحيانا بلفظ الجلالة مع ضمير الغائب المنفصل، وهو قولهم: (**الله هو**) ويسمونه: الذكر المركب المرتب، والذكر العروجي، وعند تقديم الضمير على لفظ الجلالة (**هو الله**)يسمونه: الذكر المركب غير المرتب، والذكر التنزلي، ويتلفّظون أحيانا بلفظ الجلالة المفرد، (**الله**) فإن كان في القلب والتصور، فيسمى عندهم: الذكر القلبي، التصوري، الفكري، النفسي، وإن كان باللسان؛ فيسمى عندهم: الذكر الجبروتي [١].

٣- التلفظ بالأحزاب والأدعية التي فيها ألفاظ لا تُفهم معانيها، وأسماء لا تُعرف مدلولاتها، ويقولونها كوردٍ أو دعاء لحاجة مخصوصة،كقولهم في أذكارهم: «لا، لا، لا، أو آه، آه، آه، أو عا، عا، عا، أو آ، آ، آ...أو ها، ها، ها، أو صوت بغير حرف...» [٢] وكقولهم: «...يا هُطْفَدٍ يا ذَعْفَدٍ يا بُدُجُزْفٍ يا شَتَتْمِدُ يا ضَنَّط يا مُنْتَقِمُ يا ذا انتقام خذ انتقامي(من فلان بن فلان)...» [٣] وكحزب البحر [٤]لتسخير البحر، بل لتسخير كل شيء [٥]، ودعاء حزب

---

(١) يُنظر: التحفة الصندلية لسيد محمود الصندلي ص: ٢٧. إرشاد السلوك لخان بهادر مارتونجي ص:١٣-١٤، ٤٦-٤٧، هداية السالكين لسيف الرحمن ص: ٣٠٧-٣١٠.السلسلة القادرية لمحمد أمين ص: ١٠-١٨.

(٢) يُنظر: هداية السالكين لسيف الرحمن بير أرتشي ص: ٢٣٧.

(٣) يُنظر: «حرز الغياث» لسعد الدين الأنصاري ص: ١٦-١٧.

(٤) قد تقدم التعريف به يراجع أسباب الانحرافات الفرع التاسع ص: ١٠٦.

(٥) يُنظر: دعاء حزب البحر المرفق لإرشاد السلوك لمارتونجي ص:٧ ما بعدها، والمرفق لكتاب «خدائي ته جڑا» ترجمة الحزب الأعظم للقاري المترجم معز الدين ص: ١٨٠ وما بعدها.

النصر، أو حزب القهر[1] للانتصار على العدوّ وهلاكه[2]، وچهل كاف (أربعون كافاً)[3]. لكل مقصد يريده المريد، هذه نماذج وما يذكرون من الأوراد أكثرها مخترعة غير شرعية[4].

---

(١) وهو عندهم: أن يقوم الرجل بعد صلاة العشاء وبعد أن ينام الناس، فيتوضأ ويصلي ركعتين، ثُم يجلس على هيئة التشهد ويقرأ آية: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[آل عمران:١٧٣] (٤٥٠) مرة، ثم يقرأ حزب النصر أو القهر، وهو قولهم: ((**اللهم بسطوة جبروت قهرك**...[دعاء طويل وفيه]:..**ولا تسلطهم علينا بذنوبنا حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، الأمر وجاء النصر؛ فعلينا لا ينصرون**:﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾[الشورى:١-٢]**حمايتنا مما نخاف**...إلى آخره)) للإطلاع على الدعاء بتمامه مع جدول فيها حسابات أبجدية، وتقطيع الآية، وكتابتها بتقديم وتأخير في الجدول، يراجع: مجموعة الكمالات العزيزية لظهير الدين ولي اللهي قام بترجمته إلى البشتو عبد الكريم صديقي ص: ٩٤-٩٨.

(٢) يُنظر: ((كمالات عزيزي)) لظهير الدين ولي اللهي بترجمة عبد الكريم صديقي ص: ٩٤-٩٨.

(٣) وچهل كاف: عبارة عن ثلاثة أبيات جمعوا فيها حرف الكاف أربعين مرّة، وهي: **كَفَاكَ ربُّكَ كَمْ يَكْفِيكَ واكِفةً *** كِفكَافُها كَكَمِينٍ كانَ من لُكَك،،، تَكرُّ كَرّاً كَكَرِّ الكَرِّ في كَبدٍ*** تَحْكِيْ مُشَكْشَكَةً كَلُكْلُكِ لَكَك،،، كَفَاكَ ما بِيْ كَفَاكَ الكَافُ كُرْبَتُه *** يا كَوْكَباً كَانَ يَحْكِيْ كَوْكَبَ الفَلَكِ))** فسموها(چهل كاف) يعني (أربعين كافا) ونسبوها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله-.يُنظر:السلسلة المباركة حسب الإرشاد مفتي محمد فريد ص: ٨٢ – ٨٤، وفي كتاب(كميائي سعادت)المنسوب للغزالي ص: ٨٨-٨٩ عجز البيت الأول: **كِفْكَافُها كانَ مِنْ كَلِكٍ،،،** وعجز البيت الثالث: **يَا كَوْكَباً كَانَ يَحْكِيْ كَوْكَبَ الفَاكاً**، وطريقة هذا الورد أن يقوله المريد كورد في أول ليلة الجمعة من الشهر بعد الغُسل وأن يصلي ركعتين، ثم يصلي على النبي ﷺ إحدى عشرة مرة، لمدة أربعين يوما.يُنظر: (كيمائي سعادت) المنسوب للغزالي ص: ٨٨- ٨٩.وفي السلسلة المباركة حسب الإرشاد مفتي محمد فريد ص:٨٤ يقوله الرجل على حافة الماء الجاري أربعين مرّة مع أدعية أخرى ذكرها.

(٤) ينظر على سبيل المثال: ((دُرُودِ مَاهِيْ)) يعني صلاة الحوت أو السمكة ونحوها في كتاب ((كيمائي سعادت)) المنسوب للغزالي بالبشتو ص: ٧٩، واعتصام حزب البحر، ودعاء اختتام حزب البحر في كتاب((خدائي ته جڑا)) ترجمة الحزب الأعظم لعلي القاري المترجم معز الدين =

الانحراف الثاني: تحديد الأذكار بالكيف والكَمْ المعين لم يرد في الشرع.

لقد اخترع كل واحد من أصحاب الطرق الصوفية في إقليم سرحد وغيره طريقة مخترعة من عند نفسه بأعداد متفاوتة وكيفيات عجيبة، ولا يستند كل منهم فيها إلى دليل شرعي، ولذلك ترى الاختلاف الواضح بين كل طريقة وضرّها، فأحدهم يحدّد للذكر عددا وكيفا معينا، بينما الآخر يخالفه في الكم والكيف، وفيما يلي نماذج من ذلك:

أولا: ما يذكرونه في دروس كل طريقة من الطرق الصوفية التي يسموها «أسباقا»:
ففي أسباق الطريقة الجشتية الصوفية[1] قولهم: (**حسبي ربي جلّ الله نور**[2]**محمد صلّ الله حق الله، موجود الله**[3]**لا إله إلا اللهْ**) في اليوم والليلة إحدى عشرة مرة، و(**إلا اللهْ، إلا اللهْ**) مائة مرّة، و(**الله، الله، الله**)، مائة مرّة، و(**هُوْ الله**)مائة مرّة، و(**الله هُوْ**) مائة مرة [4].بينما نصَّ آخر منهم في أسباق الطريقة الجشتية نفسها بأوراد لم يذكرها هذا، وفي بعض هذه الأوراد نصّ على غير هذه الأعداد، حيث لم يذكرقولهم: حسبي ربي جلّ الله...، وذكر قولهم: (**لا إله إلا الله**) بأن يقول (**لا إله**) في الأذن اليمنى و(**إلا الله**) في

=
ص: ١٧٥، ١٩٠وما بعدها.وكتاب حرز الغياث لسعد الدين الأنصاري ص: ١٦وما بعدها، وكتاب دلائل الخيرات الذي يجعلونه وردا لهم، ويوصون به أتباعهم يُنظر: البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٥٧، وأنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٦٧٤.

(١) **الجشتية**: هي الطريقة المنسوبة إلى الشيخ معين الدين حسن السجزي الجشتي المتوفى عام ٦٢٧هـ الذي اعتكف على قبر علي الهجويري في لاهور مدةً، ومدار هذه الطريقة على الذكر الجلي بحفظ الأنفاس، وربط القلب بالشيخ...يُنظر:معجم الفرق الإسلامية لعارف تامر ص: ١٠٣، ومقدمة كشف المحجوب للهجويري للمترجم فقير محمد عباس قادرية ص: ٢٢.

(٢) القول: بأن النبي ﷺ نوراني الجسم، قول باطل.يراجع التفصيل في فصل التعظيم والطاعة.

(٣) قوله: موجود الله، لا مدح فيه، كما أن فيه محاذير أخرى سيأتي مفصلا في ص: ٣٩٤.

(٤) يُنظر:السلسة القادرية الشريفة لمحمد أمين ص: ١٠١-١٠٢.

الأذن الأيسر عشر مرات، و(**إلا الله، إلا الله**) عشر مرّات في الأذن اليسرى[1]، وعـــشر مرّات في القلب و(**اللهْ، اللهْ، اللهْ**) عشر مرّات أيضا في الأذن اليسرى[2].

وفي دروس(أسباق) الطريقة القادرية الصوفية[3] نص أحدهم بأن ورْد: (**إلا اللهْ، إلا اللهْ**) يكون خمسمائة مرّة، و(**اللهُ اللهُ اللهْ**)مائتا مرّة في القلب، وثلاثمائة مرّة على اللـــسان، و(**الله هُوْ**) ثلاثمائة مرّة و(**هُوْ الله**) مائتا مرّة[4]. بينما ذكر الآخر: (**إلا اللهْ، إلا اللهْ**) يكون ألف مرّة في القلب، وألف مرة على اللسان، و(**اللهُ اللهُ اللهْ**) مائة مرّة في القلب، وزاد ذكرا محدثا آخرا وهو ضمير(**هُو**) على طريقة مخترعة ألف مرّة[5].هذه نماذج مما يذكرونه مـــن الأعداد للأوراد، ومن أراد التوسع فليراجع كتبهم[6]المليئة بالأذكار التي لم ترد في الشرع.

ثانيا: ما يذكرون من الكيفية، للأوراد الصوفية، لم ترد بها النصوص الشرعية، ومن تلك الكيفيات والهيئات المخترعة قولهم: إن طريقة ذكر النفي والإثبات(**لا إله إلا الله**) أن تبدأ (**لا**) من السُّرّة وتمده إلى القفا، ثم تجر (**إله**) من القفا إلى الكتف الأيمن، وتضرب (**إلا**

---

(١) من المعلوم أن التلفظ بالشيء يكون باللسان دون الأذن؛ ولا يُعلم كيفية الـــتلفظ بالـــذكر في الأذن اليمنى أو اليسرى؟!.

(٢) يُنظر: إرشاد السلوك لمارتونجي ص: ٤٤-٤٩.

(٣) **القادرية**: طريقة صوفية تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني المولودعـــام٤٧١هـــــ وتـــوفي عـــام ٥٦١هــ ولها أتباع في العراق، و شبه القارة الهندية وغيرها. يُنظر: معجم الفرق الإســـلامية لعـــارف تامر ص: ١٠٠، والطرق الصوفية لعبدالله السهلي ص: ٨٤، وأنوار الإيمان لحـــافظ مطيـــع الله ص: ٩٩٣. والسلسة القادرية الشريفة لمحمد أمين ص: ٨ وما بعدها.

(٤) يُنظر:إرشاد السلوك لخان بهادر مارتونجي ص: ١٣-١٤.

(٥) يُنظر:هداية السالكين لسيف الرحمن ص: ٣٠٨-٣٠٩.

(٦) ككتاب هداية السالكين لسيف الرحمن ص: ٣٠٤-٣١٢، و((إرشاد السلوك)) لمـــارتونجي ص: ٣-٥٠، و((السلسلة المباركة)) حسب الإرشاد مفتي محمـــد فريـــد ص:٢٨-٢٩، و٤١-٤٣، والسلسلة القادرية الشريفة لمحمد أمين٤١-٤٦، و١٠٠-١٠٣.

الله) على القلب، ثم تأتي بمرة أخرى إلى السُّرّة[1]، وتبدأ مرّة أخرى كالسابقة، يذكر هذا الذكر مع إمساك التنفس، ويكون في قصده ونيته أحد معانيها الأربعة وهي:

١- لا معبود إلا الله. ٢- لا مقصود إلا الله. ٣- لا مطلوب إلا الله. ٤- لا موجود إلا الله[2].

وقال الآخر: (إن طريقة ذكر النفي والإثبات(**لا إله إلا الله**) أن تبدأ من القلب، وهو يقع تحت الثدي اليسرى بمقدار إصبعين، وتمدّه إلى الكتف الأيمن، ثمّ تقرأ همزة(**إله**)على الكتف الأيمن وترفع لام (**الإله**) إلى الدماغ، وهاء (**الإله**) توصلها إلى الكتف الأيسر، و(**إلا الله**) تبدؤها من الكتف الأيسر، وتضربها على القلب بقوّة وشدة)[3].

هذان نموذجان من الكيفيات المخترعة لهذا الذكر، و لم يتفق فيها أصحاب الطرق الصوفية أنفسهم -مع أن غيرهم لا يقرّون لهم بذلك أصلا-، وقد اخترعوا لكل ذكر من أذكارهم كيفية تختلف عن كيفية الذكر الآخر، وأحيانا يذكرون الذكر الواحد بعدة كيفيات، فالله المستعان، ولمزيد من الاطلاع على أمثال هذه الكيفيات المخترعة التي ما أنزل الله بها من سلطان تراجع كتبهم[4].

---

(١) ولا يمكن هذه الكيفية إلا في التصور دون الحقيقة، لأن المتفق عليه بين العقلاء أن التلفظ بالشيء يكون باللسان؛ فكيف يمكن للرجل أن يبدأ اللفظ من القلب! ويمده إلى القفا!، ويلفه على الكتف! ويضربه على القلب بشدة! فهذه الكيفيات المخترعة للذكر لا حقيقة لها في الخارج إنما هي أمور ذهنية، زُيِّن في قلوب بعض الناس.

(٢) يُنظر:هداية السالكين لسيف الرحمن پير أرتشي ص: ٣١٢ والمعاني الأربعة كذلك في كتاب السلسلة القادرية الشريفة لمحمد أمين ص: ٤٢.

(٣) يُنظر:إرشاد السلوك لخان بهادر مارتونجي ص: ١٥-١٦.

(٤) يُنظر:كتاب ((السلسلة المباركة)) حسب إرشاد مفتي محمد فريد ص: ٢٨-٣١،و٦٤-٦٧، و ((إرشاد السلوك)) لمارتونجي ص: ١٩-٣٢، ٤٤-٤٩، و((السلسلة القادرية الشريفة)) لمحمد أمين ص: ١٥-١٦، وهداية السالكين لسيف الرحمن ص: ٣١٢-٣١٣.

ويستدل البعض على رفع الرأس وانخفاضه عند الذكر، بالقياس على رفع السبابة في التشهد، حيث قال أحدهم: «رفع الرأس وخفضه في الذكر بأن يرفع رأسه عند النفي ويخفضه عند الإثبات؛ فإنه ذكر في الطريقة المحمدية[للبركوي] أن هذه ليست ببدعة، بل له سند، وهي رفع المسبحة عند النفي، ووضعها عند الإثبات، حيث قال: وأما تحريك الرأس فقط (من دون تحريك البدن) يمنة ويسرة تحقيقا لمعنى النفي والإثبات في (لا إله إلا الله) فالظن الغالب جوازه بل استحبابه، إذا كان مع النية الصالحة لوجه الله، من غير قصد الرياء، فيخرج عن حد اللعب والعبث؛ فيكون فعلا دالا على التوحيد، مقارنا للقول الدال عليه؛ فتكون كلمتين، وأصله رفع المسبحة في الصلاة في التشهد عند أشهد أن لا إله إلا الله»(1).

ثالثا: الذكر على الهيئة الجماعية بصوت واحد ومرتفع، حيث يجتمع بعض الناس في المسجد أو مكان آخر ليلة الجمعة أو الخميس ونحوها، ويذكرون جهرا بصوت واحد ومرتفع، وقد يكون في مكبرات الصوت، ويخلطون معها بعض الأشعار والأبيات في مدح النبي ﷺ وغالبا لا يخلو من الغلو في شأنه، ويستدلون لهذا العمل بأدلة لا تدل عليه، كقوله تعالى:﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾(2)، قال أحدهم: (يعلم من هذه الآية أن الذكر بالجهر جائز، لأن الله تعالى ذَكَر الذكر مطلقا، سواء كان جهرًا أو سرًا، وقال ﷺ «**أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون**» (3).

---

(1) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ١٧٧ محيلا إلى الطريقة المحمدية للبركوي ٢٦٨/٢.

(2) سورة البقرة (١٥٢).

(3) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦٨/٣، وابن حبان في صحيحه يُنظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان ٩٩/٣برقم(٨١٧) والحاكم في المستدرك٤٩٩/١برقم(١٨٣٩) والبيهقي في الشعب٣٩٧/١ برقم (٥٢٦)، وأبو يعلى في مسنده١٣٠/٢ برقم(١٣٧١)، كلهم من طريق أبي السمح درّاج.قال الهيثمي في مجمع الزوائد١٠/٧٥ رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه دراج، قد ضعّفه جماعة، وقال فيه الذهبي:قال النسائي:منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف. وساق له الذهبي أحاديث منكرة، منها هذا الحديث. يُنظر: ميزان الاعتدال للذهبي٢٤/٢ رقم الترجمة(٢٦٦٧)، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ١٩٥/١٨برقم (١١٦٥٣) و٢١٢/١٨ برقم (١١٦٧٤).

وقال محمد زكريا الديوبندي[1]، إنما يقال: إنه مجنون، إذا كان يذكر بكثرة وجهراً، ولا يقال هذا الكلام فيمن يذكر الله خفية[2]، وفي البخاري باب الذكر بعد الصلاة[3]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- كنت أعرف انقطاع صلاة النبيﷺ بالتكبير. وفي صحيح مسلم[4]: يقول بصوته الأعلى: لا إله إلا الله ثلاثا)[5] وسيأتي الرد على هذه الاستدلالات في المبحث الثالث إن شاء الله.

رابعا: الدعاء بعد الصلوات بهيئة جماعية وهو أن يحول الإمام وجهه بعد أداء الصلاة المكتوبة أو الرواتب[6]ويرفع هو والمأمومون أيديهم جميعا؛ فيدعُون ثلاث مرات[7]،

---

(١) **محمد زكريا:** هو ابن محمد يحيى الديوبندي، النقشبندي، من مشايخ جماعة التبليغ، في شبه القارة الهندية، وهو مؤلف كتاب(تبليغي نصاب) -منهج جماعة التبليغ- وهي عبارة عن مجموعة من الرسائل في فضائل الأعمال، ولد عام ١٣١٥هـ بالهند وتوفي عام ١٤٠٢هـ بالمدينة النبوية، ودفن بالبقيع. يُنظر: أكابر علماء ديو بند لمحمد أكبر البخاري ص: ٢٧٤.

(٢) يُنظر: فضائل أعمال لمحمد زكريا (بالبشتو) فضائل الذكر ص: ٥٥(ح١٥).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأذان باب الذكر بعد الصلاة٢/٤١٩ (ح٨٤٢) بلفظ: كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير.

(٤) لا يوجد في صحيح مسلم ما يدل على هذا، لا لفظا ولا معنىً، وإنما فيه عدة أحاديث كلها بلفظ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير...، ولا يوجد في صحيح مسلم ولا في غيره من كتب السنة لفظ: «**بصوته الأعلى**».يُنظر: صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة ٥/٩٣-٩٤.

(٥) يُنظر: الدر النظيم لمحمد نادر شاه ص:٤٦.

(٦) يُشاهد في أكثر هؤلاء الناس:أنهم يفعلون هذا الفعل بعد الرواتب، وطائفة من الناس يسمون أنفسهم بجماعة إشاعة التوحيد والسنة، واشتهروا بالفنجفيرين- نسبة إلى قرية شيخهم، شيخ القرآن محمد طاهر بن آصف -رحمه الله- وهؤلاء يَدعُون مع الإمام بعد الصلاة المكتوبة وقبل الرواتب، ويُنكرون على من يدعو مع الإمام بعد السنن أو الرواتب.

(٧) وذلك بأن يدعوا بأدعية مرة ويختموها بمسح اليدين على الوجه، ومباشرة يرفعون الأيدي مرة أخرى ويدعون ثم يختموها كالمرة الأولى، ثم مباشرة يرفعون الأيدي للمرة الثالثة ويفعلون مثل المرّتين السابقتين وهذا هو الغالب، ومنهم من يكتفي بمرة أو مرتين.

وأغلبهم يدعون بعد السنة، حتى نقل بعضهم: «يكره الفصل بين الفرض والسنة بالأدعية على الراجح»[1]، واستدلوا على هذا بحديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ إذا سلّم، لم يقعد، إلا مقدار ما يقول: **اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام**» وفي رواية «**يا ذا الجلال والإكرام**»[2]، وزعموا أن الدعاء سنةٌ، إذا كان بعد الصلاة، وإنما يكون بعد الصلاة إذا اكتملت الصلاة، والصلاة تكتمل بالسنن، والمقصود أنه إذا فرغ الرجل من السنة (الراتبة) بعد المكتوبة؛ فليدعُ مع الإمام بهيئة جماعية[3].

الانحراف الثالث: الأوراد والأدعية في أوقات وأماكن لم يرد بها الشرع .

إن بعض الناس يأتون بأوراد وأدعية صحيحة أو غير صحيحة في أوقات وأماكن مخصوحة لم ترد في الشرع، ومن ذلك:

١- تخصيص كل ليلة، أو كل يوم من أيام الأسبوع بدعاء خاص[4]، وكذلك تخصيص كل يوم وليلة من شهر رمضان بأدعية خاصة[5] أو اختصاص دبر كل صلاة من الصلوات الخمس بذكر خاص يختلف عن أذكار الصلوات الأخرى[6].

---

(١) يُنظر: أنوار الحق لشمس العارفين ص: ٣٧٤.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ٥/٩٢(ح١٣٣٤).

(٣) يُنظر: أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨٧٧-٨٧٨، ويُنظر: الدر النظيم لنادر شاه ص: ١٩، ومخزن الدلائل لمحمد فاضل عتيق ص: ٦٩وما بعدها، وأنوار الحق لشمس العارفين ص: ٣٦٣ وما بعدها.

(٤) ينظر لمجموعة من هذه الأذكار المقيدة بالأيام دلائل الخيرات لمحمد سليمان ص: (٧٠-٩٠) وكتاب«خدائي ته جڑا» ص: ٦وما بعدها، والحزب الأعظم لملا على القاري ص: ١١ وما بعدها، و«وظائف محمدية» لسيد حامد حسين [الرافضي] ص: ٣٨-٥٧. مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: ٥٠ وما بعدها.

(٥) يُنظر: مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: ٢٧٢-٣٠٠.

(٦) يُنظر: «وظائف محمدية» لسيد حامد حسين ص:٢٨-٣٦، ومفاتيح الجنان للقمي ص: ٤٢-٥٠.

٢-قول «**لا إله إلا الله**» بعد التسليم من الصلاة المكتوبة بصوت واحد مرتفع ثلاث مرات، وفي ذلك يقولون: «كان النبي ﷺ يقول: بعد أداء المكتوبة بصوت رفيع: «لا إله إلا الله محمد رسول الله »[(١)] وفي الحديث قال النبي ﷺ: من قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، بعد كل فريضة ثلاث مرات، حرم الله عليه النار بالمرة الأولى، وأعطاه الحسنة بالمرة الثانية، وأنعمه بنعمة الجمال بالمرة الثالثة)[(٢)] أهـ[(٣)].

٣-كتابة بسم الله الرحمن الرحيم على جبين الميت، ولا إله إلا الله محمد رسول الله، على صدر الميت بواسطة الأصبع المسبحة بدون حبر ومداد، حيث زعم أحدهم وقال: إذا جاء ملائكة العذاب ورأوا المكتوب رجعوا ، وقالوا: أمنت من عذاب الله[(٤)]. وكذا كتابة ما يسمى بالعهد (عهد نامه[(٥)]) على كفن الميت، يزعمون: أنه إذا جاء منكر ونكير ورَأَيا الكتابة رجعا و لم يسألاه[(٦)]. وهذه الأمور كلها مما لا دليل عليه من الشرع.

---

(١) ذكر هذا في درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٣٩.ولم أجد هذه الرواية ولا غيرها مما يدل على أن النبي ﷺ قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله بصوت رفيع بعد أداء الصلاة المكتوبة في كتب الحديث، ولو ثبت عنه لنقله الصحابة الذين نقلوا كيفية الأذكار بعد الصلوات المكتوبة بكل دقة وأمانة فرضي الله عنهم حملة الدين الصحيح.

(٢) بذلت أقصى جهدي، ولم أجد هذه الرواية، في كتب السنن، والمعاجم، والمسانيد، ولا غيرها. ولا ما يدل على هذا الذكر بعد كل فريضة بصوت منخفض، فضلا عن صوت مرتفع.

(٣) يُنظر: درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٣٩.

(٤) يُنظر: درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٥٥، وأنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٢٠٥.

(٥) «عهد نامه» قالوا: هو: «الله لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».وقيل: إنه «اللهم فاطر السماوات عالم الغيب والشهادة...» يُنظر: درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٥٥.

(٦) يُنظر: درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٥٥.

٤-قراءة القرآن على القبر، فإن لم يستطع بنفسه استأجر من يقرأ له على القبر سورا مخصصة أو يختم القرآن كله، ويهدي ثوابه إلى الميت[(١)] ولربما استدلوا بحديث: ضعيف «**اقرؤوا يس على موتاكم**»[(٢)].

٥-النداء (والأذان) للصلاة في القبر بعد دفن الميت، قال بعضهم: (إن الأذان عند إدخال الميت في القبر بدعة، وبعد إغلاق اللحد عليه ليس ببدعة[(٣)]، وقال: ومن فوائد الأذان للميت، أنه إذا أُذّن له في قبره حين يُسأل؛ فيفرّ الشيطان، ولا يستطيع الحضور[عند السؤال؛ فلا يخطئ الميت في الجواب]لأن الشيطان يفرّ من النداء كما في الحديث المتفق عليه[(٤)]، والفائدة الأخرى: أن الميت يتذكر جواب السؤالين[من ربك، ومن نبيك] والجواب هو: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)[(٥)].

٦- تلقين الميت بعد الدفن الشهادتين ونحوهما، استدل أحدهم: لذلك بحديث – مع إقراره بأنه حديث ضعيف- وهو:«إذا مات أحد من إخوانكم، فسوِّيتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان بن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان بن فلانة! فإنه يستوي قاعدًا، ثم يقول: يا فلان بن فلانة! فإنه يقول:

---

(١) يُنظر: درر الفرائد لغلام حيدر ص: ٢١١، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٠٨، ٢١٣، وسيف المقلدين لمحمد عبد الجليل البشاوري ص: ٣٨٢، « رسالة قبرية» لمفتي محمد فريد ص: ١٦، ٢٠ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت ص: ٥٦٢(ح٣١٢١) وقال الشيخ الألباني: ضعيف.يُنظر: ضعيف سنن أبي داود للألباني٣١٦/١(ح٣١٢١).

(٣) يُنظر: أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٢١٥.

(٤) وهو قوله ﷺ: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى» صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأذان باب فضل التأذين١١٢/٢(ح٦٠٨)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان٣١٢/٤ (ح٨٥٤).

(٥) يُنظر: أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٢١٩.

أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن إماما، فإن منكرا ونكيرا يأخذ واحد منهما بيد صاحبه، ويقول: انطلق بنا ما نقعد عند من قد لُقّن حجته، فيكون الله حجيجه دونهما» فقال رجل: يا رسول الله! فإن لم يعرف أمه؟ قال: «**فينسبه إلىَ حواء**»[1]وهذا الحديث وإن لم يثبت باتصال، العمل به في سائر الأمصار والأعصار ومن غير إنكار يكفي في العمل به... **ثم قال:** فعُلم من هذا الكلام أن التلقين بعد الدفن وتسوية التراب، عمل الناس قديما وحديثا، وسنة الأوائل والأواخر سيما وفيه حديث ضعيف الجبر[2]ضعفه بعمل الناس قاطبة، سيما إذا استحسنه من[3] هو جبل في الحديث»[4].

هذه جملة من الانحرافات المتعلقة بالذكر والدعاء لدى بعض الناس في إقليم سرحد، وما لم يذكر من الانحرافات المتعلقة بالذكر والدعاء؛ فهي إما داخلة تحت بعض ما ذُكر، أو سيُذكر مع غيرها من الانحرافات المتعلقة بالعبادات اللسانية، كالاستعانة، والاستغاثة، وغيرها، لشدة التزامها أو مشابهتها بها.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني٨/٢٩٨ برقم (٧٩٧٩).

(٢) هكذا في المرجع ولعل الصواب: يُجبر. لدلالة السياق عليه.

(٣) **استحسنه:** أي تلقين الميت بعد الدفن، ويقصد بالجبل في الحديث، الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- لأن الناقل، قال قبل إيراده الحديث: وقد سئل الإمام أحمد -رحمه الله- [أي التلقين] فاستحسنه، واحتج عليه بالعمل، ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني...ثم جاء بالحديث المذكور أعلاه.

(٤) يُنظر: البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ١١٧ محيلا إلى كتاب الروح لابن القيم ١٧.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالذكر والدعاء

دين الإسلام كامل، وتوجيهاته السديدة شاملة لكل ما يحتاجه البشر في كل زمان ومكان، ولهذا امتنّ الله ﷻ على أهله حيث قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(١) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾(٢) ورسولنا الكريم أدّى الأمانة ونصح الأمة، وقد أقرّ على ذلك أمته ﷺ لما قال في حجته الوداع: «**أنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغتَ وأدّيتَ ونصحتَ، فقال: بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد- ثلاث مرات-...**»(٣).

وكون الدين كاملا غير ناقص، وأن النبي ﷺ بلّغ أمّته أتم البلاغ، يدل على أنه لا يحتاج إلى الزيادة ولا النقصان، لا في الأدعية والأذكار، ولا في غيرها من الأمور التعبدية في الليل والنهار، ومن حيث أن أدعية وأذكار النبي ﷺ شاملة لجميع أمور الحياة، نجد بعض مؤلفات علماء الأمة في الأدعية والأذكار، تسمى بـ«عمل اليوم والليلة» لأنه لا وقت غير الليل والنهار، فالأذكار الشرعية، والأدعية النبوية شاملة لجميع ما يفعل في الليل والنهار.

الأدعية والأذكار الشرعية منها مطلقة ومنها مقيدة كما تقدم بيانها في أقسام الذكر، فالمقيدة يأتي بها الذاكر والداعي حسب التقييد من دون زيادة ولا نقصان، مقيدة بالكم والكيف والأمكنة والأزمان. وكذا المطلقة يأتي بها كما وردت في أي وقت شاء، وبأي عدد شاء، وأينما شاء.

ويجوز للرجل أن يدعو الله بما يراه مناسبا لحاله، مع العلم بأن الأفضل والأولى هو الأخذ بما ورد في الشرع؛ لأن ذلك أسلم من الوقوع في المحظور، وفيه اقتداء بالرسول ﷺ

---

(١) سورة المائدة (٣).

(٢) سورة المائدة (٦٧).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ٨/٤١٣(ح٢٩٤١).

المبعوث بجوامع الكلم[1]، وما الذي يدفعه إلى إنشاء الذكر والأوراد، مع وجود الأذكار المأثورة بألفاظ جامعة وموفورة؟!، وهل يأتي هو بالثناء الأتم مما جاء به النبي ﷺ الذي أظهر العجز في الثناء على الله حيث قال: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» ![2]، ولْيعلم هذا الذي كلّف نفسه على إنشاء الأدعية والأذكار، أنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، لأن كلامه لن يبلغ إلى معشار كلام الله ﷻ ولا كلام رسوله ﷺ ولا أقل من ذلك.

وبعد هذا العرض الموجز عن الأدعية والأذكار، يأتي دور بيان موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالذكر والدعاء، فأقول وبالله التوفيق.

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو المداومة على أوراد لم ترد في الشرع.

إن تقييد الأذكار والأدعية بأزمنة وأمكنة، من خصوصيات الشرع، والأوراد والأذكار التي لم ترد في الشرع، لا تخلو من محاذير شرعية، حيث نرى في هذا الانحراف:

أولا: في قول المخالف: «**يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله، اقض حاجاتي بإذن الله، بحرمة محمد بن عبد الله**» و قوله: **يا دافع البلاء والوباء**. وقول صاحب البردة: **يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به*** سواك عند حلول الحادث العمم**، فيها استغاثات بالمخلوق، والاستغاثة بغير الله لا تجوز بنص الكتاب والسنة وسيأتي التفصيل في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله.

كما أن فيها توسلا بدعيا وذلك في قول المخالف:«**بحرمة محمد بن عبد الله**» وهذا أيضا منهي عنه شرعا، وسيأتي التفصيل فيه في الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله،

---

(١) قال النبي ﷺ: «**بعثت بجوامع الكلم**» يُنظر:صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الجهاد باب قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب» (٦/١٥٥(ح٢٩٧٧)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جعلت لي الأرض مسجداً ٥/٨ (ح١١٦٨).

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الصلاة باب ما يقال: في الركوع والسجود٤/٤٢٦(ح١٠٩٠).

وكذا نسبة كشف الغم -فوق الأسباب- من الأمور التي تختص بالله وحده لا شريك له. ولهذا أفتى العلماء بعدم جواز قراءة الوِرْد الذي يكون باسم غير الله:

قال الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي(1): (قراءة «**يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله**» لا يجوز بوجه من الوجوه)(2).

وقال الشيخ محمد يوسف اللديانوي -رحمه الله-: (ذكر شأن أحد الأكابر، وجعل اسمه وظيفة، [ووردا] لم يجزه الإسلام؛ لأن هذا الفعل من العبادات، والعبادات حق لله ﷻ فقط.ورسول الله ﷺ، والصحابة الكرام، وأولياء الأمة لم يجعل أحدٌ منهم اسم أحدٍ من الأكابر، وظيفةً[ووردا له])(3).

وقال القاضي ثناء الله الحنفي(پاني پتي)(4) -رحمه الله-: «ولا يصح الذكر بأسماء

---

(1) **رشيد أحمد**: هو ابن هداية أحمد بن پيربخش بن غلام حسن الديوبندي النقشبندي ولد سنة١٢٤٤هـ وتوفي سنة ١٣٢٣هـ من آثاره الفتاوى الرشيدية وغيرها.يُنظر: أكابر علماء ديوبند لمحمد أكبر البخاري ص: ٢٧، ونزهة الخواطر لعبد الحي الحسني اللكهنوي ١٦٣/٨(ت١٤٣).

(2) لقد أورد -رحمه الله- الوجوه المحتملة، والتأويلات المتصورة في ذلك، ثم ردّ على جميعها بأنها لا تجوز. يُنظر: الفتاوى الرشيدية للجنجوهي(بالبشتو) ص: ١٥٣،١٢٠،١١٩، ١٥٩.

(3) «اختلاف أمت» للديانوي (بالبشتو) ص: ٦٧-٦٨، و(الأردية) ص: ٤٦.

(4) هو القاضي محمد ثناء الله(پاني پتي)، الحنفي، المظهري، الديوبندي النقشبندي، الملقب عند الديوبندية بـ(بيهقي الوقت) ولد عام ١١٤٣هـ وتوفي عام ١٢٢٥هـ من آثاره: تفسير المظهري في حوالي عشر مجلدات، وهو من التفاسير التي نهج منهج الصوفية.يُنظر ترجمته في: مقدمة تفسير المظهري ص: ٧، ونيل السائرين في طبقات المفسرين لمحمد طاهر الفنجفيري ص: ٣٣٣- ٣٣٤، وجهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ص: ٧٨٣، و١٨٢٢.

الأولياء على سبيل الوظيفة، أو السيفي[1] لقضاء الحاجة، كما يقرؤونه الجهال»[2].

هذا من جهة ويقال من جهة أخرى: لا يستدل بأقاويل العلماء، أو زلاتهم على المحذورات الشرعية، فلا يقال: إن الشيخ الفلاني أو صاحب الكتاب الفلاني قال كذا؛ إذن فيجوز، لأن مصدر التشريع هو الوحي لا أقاويل العلماء، وقول العالم والشيخ يعرض على الكتاب والسنة، فإن وافقهما أخذ به، وإلا فكلامه مردود عليه، كما قال الإمام مالك -رحمه الله- وغيره[3].

وأما قول المخالف: إن نسبة قضاء الحاجات إلى الجيلاني -رحمه الله- مجاز، وكذلك: **يا دافع البلاء والوباء**، فالنسبة إلى النبي ﷺ مجازية، وكذا قول صاحب البردة: **يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به** مجاز، ونحو ذلك.

فيقال: إن المجاز بابٌ تمسك به كثير من المنحرفين؛ والمجاز باب اختلف فيه أراء الناس، وليس هذا موضع تفصيله، والحق عدم وجوده في الاعتقادات، ولذلك لم يؤثر عن السلف الصالح القول بالمجاز في العقائد، وهم أعلم الناس باللغة ومجازاتها.

---

(١) **السيفي**: هو دعاء يزعم بعض الناس أن الله أنزله بواسطة جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ، وهو علّمه عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، و يقولون في سبب تسميته بالسيفي: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان أكثر الناس قراءة لهذا الدعاء، وكان عاملا كاملا لهذا الدعاء، فصار كلامه ودعاؤه كالسيف المسلول على المدعو عليه، ويزعم بعض الناس: أن سبعين ألفا من الجن، وسبعين ألفا من الملائكة، وسبعين ألفا من الروحانيين، مقرّرون، ومأمورون، وموكّلون لخدمة هذا الدعاء، ويحضرون لعاملي هذا الدعاء حسب قوة استعداد العامل وقابليته، ويقومون بمساعدته ومدده الظاهري، والباطني في الأمور الدينية والدنيوية.... يُنظر لهذا وكثير من المزاعم الأخرى مع نص الدعاء السيفي في«تعويذات السليماني» تأليف صوفي محمد نديم محمدي ص: ٢٩-٦٧،«وموكلات كي الدنيا» تأليف صوفي محمد نديم محمدي ص: ٣٥-٧٠).

(٢) نقل فتواه محمد يوسف اللديانوي في كتابه «اختلاف أمت» (بالبشتو) ص: ٦٧-٦٨، و(الأردية) ص: ٤٦. والشيخ رشيد أحمد الجنجوهي.يُنظر: الفتاوى الرشيدية(بالبشتو) ص: ١٢٠، و(١٥٣- ١٥٩).

(٣) تقدم في الباب الأول في فصل المحبة جملة من هذه الأقوال. ص: ١٨٩.

ومما يدل أنه لا مجاز في العقيدة إنكار النبي ﷺ على الصحابة لمّا قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى:﴿ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[1] والذي نفسي بيده لتركبن سُنَّة من كان قبلكم**»[2]، ولو كان المجاز جائزا في الأمور العقدية لَمَا أنكر عليهم النبي ﷺ ولحمل كلامهم على المجاز.

ثم ولو قال به بعض الناس، فلم يقل أحد منهم بوجوبه في الكلام، بل غاية ما قالوا هو الجواز، والأمر إذا دار بين الجواز والمنع، على المسلم أن يأخذ بالمنع براءة لدينه، كما قال النبي ﷺ «**فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**»[3].

ثم لو قلنا بالمجاز، فهل المجاز جائز بجميع أقسامه؟ وفي كل كلام؟ فإن قلنا: إنه جائز في كلام الناس كله لَمَا استطعنا أن نخطِّئَ أحدا، ولا أن نعارض أحدا، لأن من أقسام المجاز مجاز الحذف، مثل «واسأل القرية»، أي وسأل أهل القرية -بحذف المضاف- وقلنا: إن نسبة السؤال إلى القرية مجاز، **فكذلك قد يقول قائل**: عيسى ابن الله، وغيره يقول: محمد خالق العالم ونحوها، ولكان هذا كلاما صحيحا -غير مخالف للعقيدة الصحيحة-، لأنه سيدعي أنه من مجاز الحذف، ويقول:إن المضاف فيه محذوف، أي عيسى ابن الله مجاز من عيسى ابن أمة الله، ومحمد خالق العالم حذف فيه المضاف، وهو مجاز عن محمد رسول خالق العالم، أو محمد حبيب خالق العالم، وهكذا تكون أقاويل المشركين كهؤلاء، من أقاويل المؤمنين الخلص، وذلك لأن جميع أقوالهم قد تحمل على المجاز الذي له معنى صحيح.

---

(١) سورة الأعراف (١٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ص: ٤٩٣(ح٢١٨٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ١/١٦٧ (ح٥٢).صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساقات باب أخذ الحلال وترك الشبهات١١/٢٩(ح٤٠٧٠) واللفظ لمسلم.

وإن قلنا إن المجاز في بعض الكلام دون البعض، وأن منه ممنوع ومنه الجائز، فهذا الذي في باب دعاء غير الله من المجاز الممنوع؛ لورود أدلة كثيرة ووفيرة على منع دعاء غير الله؛ إذن فلا يصح دعاء غير الله بحجة المجاز[1].

ثانيا: أذكار الصوفية كـ«ذكر مجرد إثبات» نحو قولهم: «**إلا الله**» أو «ذكر الضمير الغائب المنفصل» نحو قولهم:«**هو**» وذكر «لفظ الجلالة مع ضمير الغائب المنفصل» نحو قولهم: «**الله هو**» ونحوها من أذكار الصوفية، كلها جمل غير مفيدة، أو ألفاظ مفردة، ولا يجوز ذكر الله إلا بما هو الأكمل لفظا، والأحسن معنىً، وما لا يدل على مفيد من ألفاظ مفردة، أو جمل ناقصة لا يصلح أن يُتكلم بها المخلوق، فبالأولى أن لا يُعبد بها الخالق.

وقد استدل بعض الصوفية[2] على جواز الذكر بالاسم المفرد(الله) بحديث «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**»[3].

ولكن الحديث لا يدل على جواز الذكر بالاسم المفرد، كما يفعله بعض الناس، لأن مراد الحديث تفسره الرواية الثانية «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض:لا إله إلا الله**»[4]، فالمراد أن القيامة لا تقوم وفي الأرض موحد، كما في هذه الرواية الثانية، ولأن الذكر بالاسم المفرد أو معرفة الخالق فقط دون توحيده بالعبادة، لا ينفع كما لم ينفع أهل مكة إقرارهم بأن الله ﷻ خالقهم: قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ

---

(١) وسيأتي المزيد من التفصيل في باب المجاز ونحوه، في فصل الاستغاثة و ص: ٤٤٠ وما بعدها.

(٢) منهم عبد القادر عيسى في كتابة حقائق عن التصوف ص: ١٥١.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان٢/٣٥٥ (ح٣٧٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/٢٦٧وقال محققو المسند: صحيح على شرط مسلم يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٢١/٣٣٢برقم (١٣٨٣٣)، وإلى هذه الرواية عند مسلم أشار النووي بقوله: قال قاضي عياض- رحمه الله- وفي رواية ابن أبي جعفر «**يقول: لا إله إلا الله**» شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٣٥٦(ح٣٧٣)، إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض١/٤٥٩.

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1]، ولأن الذكر بالاسم المفرد ليس كلاما مفيدا، فكيف يكون دليلا على توحيد العبادة الذي به ينجي العبد من العذاب.

ولم يثبت عن النبي ﷺ، ولا أصحابه، ولا غيرهم من السلف الصالح، أنهم ذكروا الله بالاسم المفرد لا مظهرا ولا مضمرا؛ فيدل هذا على أن هذا الذكر مبتدع.

ثم هؤلاء المخالفون الذاكرون بالاسم المفرد لا يتركون الاسم المفرد على حاله اسما مفردا، بل يحرفونه، فيذكرون **هو، هو، هو، أو ها، ها، ها أو آه، آه، آه،** أو يحرفونه تماما فيذكرون **عا، عا، عا، أو هُ، هُ، هُ أو هُوْعَا، عاآ، آهُوْ، لاآ، آها، الله ها،** وغيرها[2] حتى يصل بهم الأمر أن يتلفظوا بأصوات تشبه أصوات الحيوانات[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «والذكر بالاسم المفرد مظهرا ومضمرا بدعة في الشرع، وخطأ في القول واللغة؛ فإن الاسم المجرد ليس هو كلاما، لا إيمانا ولا كفرا...وأما ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان؛ ولهذا

---

(١) سورة الزخرف (٨٧).

(٢) مجموعة من هذه الألفاظ التي لها أصوات، ولا معاني لها.يُنظر: هداية السالكين لسيف الرحمن ص: ٢٣٧.

(٣) ومما يدل على أن أصواتهم بالذكر المحرف تشبه أصوات الحيوانات واقعة ذكرها صاحب كتاب «تبريد الخاطر في توضيح ذكر الذاكر» -وهو الشيخ عبد المقدس من سكان إقليم سرحد بباكستان: (ذهبت يوما إلى مدينةٍ؛ فتأخرت في الرجوع كثيرا، ولّما نزلت من السيارة بعد صلاة العشاء، وكان علي أن أذهب من الشارع العام إلى القرية ماشيا، ولّما قربت من القرية سمعت نباح الكلاب؛ فخفت خوفا شديدا، ولم يكن في يدي شيء لأَقِيَ به نفسي، وأضرب به الكلاب أو أرميها به، ولا يوجد الطريق المؤدي[إلى البيت]إلا هذا الطريق الوحيد، وأصحاب البيت الفلاني أيضاً فكّوا كِلابهم من القيود [والسلاسل]، وخرجتْ إلى الطريق وتنبح، أمشي خائفا خائفا، ولّما قربت اتضح الأمر بأنه ليس كلبا، وإنما هو ذاكر مشغول بالذكر!! وصل تحريف كلمة التوحيد إلى هذا الحدّ، أن يلوّي وجهه ويقول:«**أَلْ**» ويلوّي وجهه إلى الجهة الثانية ويقول «**هُوْ**».والله والله صوته بـ «**أَلْ**» كأنه نباح الكلب مرة، وصوته بـ «**هُوْ**» كأنه نباح الكلب مرة أخرى. أيها القراء الكرام! والله ما كذبت فيها قط) انتهى كلامه. يُنظر: تبريد الخاطر لعبد المقدس ص: ٢٥٩.

صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبيّن أنه ليس قصدنا ذكر الله تعالى، ولكن جمع القلب على شيء معين، حتى تستعد النفس لما يرد عليها، فكان يأمر مريده بأن يقول هذا الاسم مرات، فإذا اجتمع قلبه أُلقى عليه حالا شيطانيا فيلبسه الشيطان، ويخيّل إليه أنه قد صار في الملأ الأعلى وأنه أعطي ما لم يعطه محمد ﷺ ليلة المعراج ولا موسى عليه السلام يوم الطور، وهذا وأشباهه وقع لبعض من كان في زماننا.وأبلغ من ذلك من يقول: ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان، حتى يقول: لا فرق بين قولك: يا حي! وقولك: **يا جحش!!**. وهذا مما قاله لي شخص منهم وأنكرت ذلك عليه، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتنزل عليها الشيطان» (1).

وقال -رحمه الله-: «الاسم المفرد مظهراً مثل: «الله، الله»، أو مضمراً مثل: «هو، هو»؛ فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم وإنما لَهَج به قوم من ضلال المتأخرين»(2).

ثالثا: أوراد الصوفية وأحزابهم فيها مخالفات عديدة:

١- أن فيها ألفاظا ركيكة تخالف فصاحة اللغة، وألفاظا لا تعرف معانيها.

٢- أن فيها إثبات أجر محدد، أو حصول شيء معلوم، لمن قرأه بصفة مخصوصة، كأن يقيدها بعمل كالاغتسال قبله، والصلاة بعده، وتكراره عددا معلوما، أو قراءتها على حافة الماء الجاري ونحوها، أيضا من خصوصيات الشرع.

هذه الأمور وغيرها تجعل هذه الأذكار والأوراد، مما لا يجيزها الشرع.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو تحديد الأذكار بالكم والكيف الذي لم يرد به الشرع.

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٦/١٠، وينظر: العبودية لابن تيمية ص: ٩٤.

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٥٦/١٠. وقد فصّل -رحمه الله- في هذا المجال.

سبق وأن عرفنا أن تحديد الأذكار بالكم والكيف من خصوصيات الشرع، ومن يحدد الأوراد بالكم المحدود والكيف المعلوم – فهو معتد على حق الشرع، وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (1).

ولذا اشتد إنكار ابن مسعود رضي الله عنه على الذين أحدثوا للذكر الثابت(2) هيئة محدثة وعدداً معلوما لم يثبت في الشرع، حيث جاء إلى أناس متحلّقين في المسجد، وبأيديهم حصىً، وفيهم رجل يقول: كبِّروا مائة؛ فيكبِّرون مائة، ويعدّون بالحصى، ويقول هلّلوا مائة، سبحوا مائة كذلك فوقف عليهم فقال: «**ما الذي أراكم تصنعون؟** قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصىً نعدّ به التكبير والتهليلَ والتسبيحَ، قال: فعدّوا سيِّئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيءٌ. وَيْحَكم يا أمة محمد! **ما أسرع هلَكَتُكم!** هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: **وكم من مريد للخير لن يصيبه...**»(3).

وقال رضي الله عنه: «اتبعوا، ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم كل بدعة ضلالة»(4).

وقال حذيفة رضي الله عنه: «كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تعبّدها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا بطريق من كان قبلكم»(5).

وقال رضي الله عنه: «استقيموا، فقد سبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا، ضللتم ضلالا بعيدا»(6).

---

(1) سورة التوبة (٣١).

(2) حيث كانوا يكبرون ويهللون ويسبحون، والتسبيح والتكبير والتهليل ثابت شرعا، لكن الهيئة والعدد كانا مستحدثان؛ فأنكر عليهم فعلهم هذا.

(3) تقدم تخريجه في الباب الأول فصل المحبة ص:١٩٠.

(4) البدع لابن وضاح ص:٢٦(١٤) والإبانة الكبرى الكتاب الأول١/٣٢٧(١٧٥)، وقال الهيتمي: رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد باب الإقتداء بالسلف١/١٨١.

(5) الاعتصام للشاطبي ص: ٣٧٦.

(6) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ١٣/٣٠٧(ح٧٢٨٢)، وروَى ابن بطة بلفظ: «اتبعوا، ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، اتبعوا آثارنا، فقد سبقتم سبقا بعيدا، وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالا بعيدا» يُنظر: الإبانة الكبرى لابن بطة الكتاب الأول١/٣٣٥(١٩٧).

والجهر بالذكر بدعة إلا في أماكن مخصوصة، على ما وردت بها السنة، كتكبيرات العيدين، والأذان، والإقامة، والتلبية ونحوها، ومما يدل على منع الجهر بالذكر حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه[1] قال: كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هلّلنا وكبّرنا ارتفعت أصواتنا فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنه معكم إنه سميع قريب**»[2].

واستدلال المخالف على الجهر بالذكر بقول الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[3]، غير صحيح من وجوه:

١- أن الآية مطلقة يفسرها قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[4].

٢- أن الآية عامة في جميع الأذكار سواء كانت قلبيا، أو لسانيا، فلا تخصص بالذكر اللساني وبالذكر الجهري دون السري.

٣- ولا ينكر ذكر الذاكر جهراً على الإطلاق، كما لا يحمل عليه أدلة الذكر المطلقة، بل هناك أذكار يسن الجهر بها كالتلبية، وتكبيرات العيدين ونحوها، وإنما يُنكر على الأذكار الصوفية المبتدعة التي تكون بصوت جهوري مزعج.

ولا يصح الاستدلال على الجهر بالذكر بحديث: «**أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون**» لأنه حديث ضعيف كما تقدم بيان درجته عند تخريجه[5].

---

(١) **أبو موسى:** هو عبد الله بن قيس بن سُلَيم بن حضار صحابي جليل مات بالكوفة قبل خمسين من الهجرة. يُنظر: أسد الغابة لابن الأثير٣/٣٦٤(٣١٣٧)، الاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٧٦٢(٣١٩٣)، والإصابة لابن حجر ٧/٣٢٢(١٠٥٩٠).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير٦/١٦٣(ح٢٩٩٢)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر١٧/٢٨(ح٦٨٠٢).

(٣) سورة البقرة (١٥٢).

(٤) سورة الأعراف (٢٠٥).

(٥) مر تخريجه والحكم عليه عند بيان الانحرافات.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يمكن أن يراد به الذكر الخفي دون الجهري، لأن من يحرك شفتيه، ويتلفظ بشيء مع نفسه ولا يعرفه الناس، ويكون هذا شغله الشاغل يقول الناس: مجنون. فكيف يصح الاستدلال بهذا على الجهر بالذكر، أو على الذكر بصوت مرتفع جدا ؟!.

والذكر المروج الذي تأتي به طوائف الصوفية بدعة يقينا بدون شك وذلك للأمور الآتية(١):

١- أنهم يقومون به في ليلة الجمعة أو الخميس غالبا دون باقي الأوقات، وهذا تخصيص للذكر بهذا الوقت، وتخصيص زمان أو مكان بعبادة من حق الشارع.

٢- أنهم يبتدعون للذكر ألفاظا بأعداد مخصوصة، فيكون من الذكر المقيد، ولا يجوز إنشاء ذكر المقيد ألبته.

٣- أنهم يأتون فيها بألفاظ مهملة، أو أصوات لا معنى لها، أو ألفاظ مشبوهة، وكل هذا لا يجوز في ذكر الله.

٤- أنهم يسيئون الأدب مع المساجد التي يقومون فيها بهذا العمل، بالشغب والرقص، وقد يؤدي إلى توسيخ المسجد بالقاذورات.

٥- أنهم يأتون فيه بنعوت النبي ﷺ بصوت يشبه الغناء، ويشبهون النبي ﷺ بالمعشوقة، وقد يغالون في أوصافه فيجعلونه فوق مكانته التي أعطاها الله إياه.

ولهذا جاءت فتاوى كثير من العلماء -وخاصة الحنفية منهم- بتحريم الهيئات المخترعة للأذكار والأوراد كالرفع بالصوت(٢)عند الذكر، والاجتماع له في أوقات مخصوصة كليلة الخميس أو الجمعة ونحوها، أو تحريك البدن أو الرأس عند الذكر، ومن تلك الفتاوى مايلي:

(١) ذكر صاحب كتاب التبريد الخاطر في ص: ١٧٢خمسة عشر وجها في بدعية الذكر المروج إجمالا، ثم فصل القول في ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال وفتاوى علماء الأمة، من ص: ١٧٣-٢٩٢.

(٢) المراد بذلك: ما لم يثبت فيه رفع الصوت، كما يفعله بعض الصوفية، وأما ما ورد كالتلبية وتكبيرات العيدين ونحوها فالجهر بها سنة.

١-قال العيني الحنفي -رحمه الله-: «إن النبي ﷺ كره رفع الصوت بالذكر والدعاء»[١].

٢-قال ابن الهمام -رحمه الله-: «قال أبو حنيفة -رحمه الله-: رفع الصوت بالذكر بدعة يخالف الأمر من قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٢]؛ فيقتصر فيه على مورد الشرع» [٣].

٣-قال القرطبي -رحمه الله-: «إن رفع الصوت بالذكر ممنوع »[٤]. وقال في تفسير الآية الثانية من سورة الأنفال: «فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام[٥] من الزعيق والزئير[٦]ومن النُّهاق الذي يشبه نُهاق الحمير»[٧].

٤- قال الملا علي القاري الحنفي -رحمه الله-: «مذهب أبي حنيفة -رحمه الله- كراهية رفع الصوت في المسجد ولو بالذكر» [٨].

٥- قال القاضي ثناء الله الحنفي-رحمه الله-: «أجمع العلماء على أن الذكر سراً هو الأفضل، والجهر بالذكر بدعة، إلا في مواضع مخصوصة مست الحاجة فيها إلى الجهر كالأذان والإقامة...ونحو ذلك»[٩].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢٤٤/١٤.
(٢) سورة الأعراف (٢٠٥).
(٣) فتح القدير لابن الهمام ٧٢/٢. صلاة العيدين. وينظر: رد المحتار حاشية الدر المختار لابن عابدين١٨٥/٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٤/٩ عند تفسير الآية(٢٠٥)من سورة الأعراف.
(٥) **الطغام:** أرذال الطير والسباع، والواحدة طغامة، للذكر والأنثى. لسان العرب لابن منظور ٦١٠/٥.
(٦) **الزعيق:** الصياح، والزئير صوت الأسد في صدره. مختار الصحاح للرازي ص: ١١٣، و١١٥.
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٥٠/٩.
(٨) المرقاة شرح المشكاة للقاري٤١٩/٢ (ح٧٤٤).
(٩) تفسير المظهري ٣٨٥/٣.

٦- سئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية عن ذكر الله مع التمايل يمينا وشمالا، فأفتت: «لا يجوز؛ لأنه بهذه الكيفية بدعة محدثة، وقد قال النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» [(١)] وبالله التوفيق[(٢)].

ثانيا: ما ذكروا من الأوراد بأعداد هائلة كما تقدم في بيان الانحرافات، فيقال لهم: إن النبي ﷺ كان أعبد الناس على الإطلاق، فهو ﷺ كان أكثر الناس ذكرا، ولم يثبت عنه ﷺ الأذكار المقيدة بحال، أو زمان أو مكان أكثر من المائة، وثبت في الحديث أنه جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادةِ النبي ﷺ، فلما أُخبِروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ ؟! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: أحدهم أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا!، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أُفطِر!، وقال الآخر: أنا أعتزِلُ النساء فلا أتزوَّج أبدا! فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أَمَا والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطِر، وأصلي وأَرقُدُ وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(٣)].فيلزم الاقتداء بهﷺ في كل شيء.

وأما الأذكار المطلقة فقد ورد الحث في التكثير منها قدر المستطاع، قال الله في ذلك: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾[(٥)] فيذكر الله كثيرا ما استطاع.

ثالثا: ما ذكروه من الكيفيات والهيئات لذكر «لا إله إلا الله» بأن تبدأ بـ (**لا**) من السرة وتمده إلى القفا، وتنزل (**إله**) إلى الكتف، وتضرب (**إلا الله**) على القلب، أو

---

(١) تقدم تخريجه في ص:١٩٢.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة٢/٥٢٩ رقم فتوى(٦٦٨٢) وينظر: البدع والمحدثات للمطر ص: ٤٤٨.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح٩/١٣١ (ح٥٠٦٣) و صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب النكاح باب استحباب النكاح ٩/١٧٨ (ح٣٣٨٩) واللفظ للبخاري.

(٤) سورة النساء (١٠٣).

(٥) سورة الأحزاب (٤١).

الذكر بإمساك التنفس، أو طريقة أخرى مخترعة كما تذكرها الصوفية، كلها من الكيفيات والهيئات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وقد قال النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» [(١)].

واستدلال المخالف لرفع الرأس وخفضه عند الذكر برفع الأصبع المسبحة -كما تقدم في بيان الانحرافات- استدلال باطل من وجوه:

أ: أن الصوفية عند ذكرهم لا يحركون الرأس فقط، بل يُحركون جميعَ البدن في جميع النواحي يمنة ويسرة، أعلى وأسفل، وحتى يصعقون، ويتمرّغون، ويقفزون، يرقصون كما هو الواضح لمن رأى حالهم، أو قرأ شيئا من مقالهم.

ب: أنه ليس رفع الشيء وخفضه في أحد الأمكنة والأحوال، دليلا للرفع والخفض في جميع الأمكنة والأحوال، فرفع النبي ﷺ أصبعه في الخطبة ودعا بها، وليس هذا دليلا لرفع الأيدي في الخطبة، لذا أنكر عمارة الثقفي[(٢)] ﷺ على بِشْر بن مروان[(٣)] رفع يديه وهو يدعو في يوم جمعة حيث قال: قبح الله هاتين اليدين! «لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو على المنبر ما يزيد على هذه يعني السبابة التي تلي الإبهام»[(٤)].وقد ثبت في حديث آخر أنه

---

(١) تقدم تخريجه في ص: ١٩٢.

(٢) **عمارة**: هو عمارة بن رويبة الثقفي الكوفي صحابي جليل يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١١٤٢/٣ برقم(١٨٦٩)، وتجريد أسماء الصحابة للذهبي٣٩٥/١ برقم(٤٢٦٦).

(٣) **بِشر**: هو بِشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي أخو خليفة وابن الخليفة، وتوفي بالبصرة عام ٧٥هـ يُنظر ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر٢٥٣/١٠ برقم(٩٠١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي١٤٥/٤ برقم(٤٩)، والوافي بالوفيات للصفدي ١٥٢/١برقم (٤٦١٦).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب رفع الأيدي على المنبر ص: ١٩٠(ح١١٠٤).والترمذي في سننه كتاب الجمعة، باب ما جاء في كراهية رفع الأيدي على المنبر.قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.ص: ١٣٥(ح٥١٥) وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود له(ح١١٠٤).

ﷺ رفع يديه في الاستسقاء[1]، فعلم أن رفع السبابة في الخطبة لا يدل على جواز رفع الأيدي فيها، كما أن حديث الاستسقاء دلّ على جواز رفع الأيدي في حالة الاستسقاء، ولا يدل على جواز رفعهما في الخطبة للدعاء غير الاستسقاء، فكيف يصح الاستدلال على جواز تحرك الرأس أو البدن عند الذكر، بتحريك السبابة في التشهد؟؟!!

ج: لا يصح استدلالهم برفع الرأس عند النفي، وخفضه عند الإثبات، بحديث تحريك السبابة في التشهد، لأن الوارد في التشهد الإشارة بالسبابة، أو تحريكها[2]، في حال الجلوس في التشهد، لا رفعها وخفضها عند النفي والإثبات في صيغة التشهد فقط، كما يظهر من الأحاديث الصحيحة منها حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- «أن النبي ﷺكان إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه ورفع إصبعه اليمنى التي تلي الإبهام فدعا بها ويده اليسرى على ركبته اليسرى باسِطُها عليها»[3]، وفي رواية «أن النبي ﷺ كان

(١) كما في حديث صحيح «...أتى رجل أعرابي من أهل البدو إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: يا رسول الله! هلكت الماشية! هلك العيال! هلك الناس! فرفع رسول الله ﷺ يديه يدعو ورفع الناس أيديهم معه يدعون...» يُنظر: صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الاستسقاء، باب رفع الناس أيديهم مع الإمام ٦٦٥/٢(ح١٠٢٩).

(٢) ورد في صفة التشهد أنه ﷺ «...قعد وافترش رجله اليسرى، ووضع كفه اليسرى على فخذه، وركبته اليسرى وجعل حد مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى ثم قبض اثنتين من أصابعه وحلق حلقة ثم رفع إصبعه فرأيته يحركها يدعو بها» أخرجه النسائي في سننه كتاب الافتتاح باب موضع اليمين من الشمال ص: ١٤٧(ح٨٨٩).وقال الألباني: صحيح.ينظر صحيح سنن النسائي له ٢٩٥/١(٨٨٨) وفي رواية: «أشار بإصبعه التي تلي الإبهام[السبابة]...» يُنظر: سنن النسائي كتاب السهو باب قبض الأصابع ص: ٢٠٦ (ح١٢٦٧). وقال الألباني صحيح.يُنظر: صحيح سنن النسائي له٤٠٦/١(ح١٢٦٧).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد باب صفة الجلوس في الصلاة ٨٢/٥ (ح١٣٠٩).

إذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى، ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى، وعقد ثلاثة وخمسين، وأشار بالسبابة»[1].

ولا يخرج عملهم هذا -أعني تحريك الرأس أو البدن- من حد اللعب والعبث، بمجرد إخلاص النية كما يزعم بعضهم؛ لأن المتابعة شرط ثانٍ لقبول العمل، ولا بدّ لقبول العمل من هذين الشرطين معا، كما هو المعلوم وقد تقدم التفصيل في التمهيد[2].

رابعا: ما يذكرونه من المعاني الأربعة[3] لكلمة التوحيد كلها من المعاني التي لا تدل على إخلاص التوحيد، ولا يدخل بها القائل الكافر في الإسلام؛ مع أن بعضها كلمات حسنة، لأن قولهم:«**لا معبود إلا الله**» -من دون أن يلاحظ خبر لا(بحق)- يبطله الواقع، حيث يوجد معبودون من دون الله، والقرآن شاهد على أن بعض الناس يعبدون من دون الله، ونرى أن بعض الناس يعبدون المسيح ابن مريم، ومنهم من يعبد البقر، وغيره يعبد الحجر أو الشجر، فلا يصح القول: بأنه لا معبود إلا الله -أعني بدون الخبر(حق)-؛ لأن الواقع يبطله، إلا إذا كانوا يقصدون أن كل من يُعبَد هو الله، كما هو عقيدة وحدة الوجود[4].وهي أيضا عقيدة باطلة، كما سيأتي في الفقرة التي الآتية.

وهكذا القول: **لا موجود إلا الله** قول باطل، وهو عقيدة وحدة الوجود القائلين بأن كل موجود مظهر من مظاهر الإله؛ وهذا المعتقد كفر، وإنكار للفارق بين الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود، فيكون كل موجود - سواء كان مخلوقا أو غيره- هو الله، وبالتالي كل ما عُبد فقد عُبد الله، وحسب هذا المعتقد تكون تلك العبادة صحيحة؛ لأنها

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد باب صفة الجلوس في الصلاة ٨٢/٥ (ح١٣١٠).

(٢) يراجع شروط قبول العمل في التمهيد آخر المطلب الثاني (التوحيد وأنواعه).

(٣) وهي: لا معبود إلا الله.ولا مقصود إلا الله. ولا مطلوب إلا الله.ولا موجود إلا الله كما تقدم بيان الانحرافات.

(٤) **وحدة الوجود**: هو قولهم إن الله سبحانه حقيقة كل موجود، من جسم وعرض، ومخيل وموهوم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص: ١٠٩.

عبادة الله، ولذا قال بعض من اعتقد هذا المعتقد: سبحان من خلق الأشياء وهو عينها[1]، والعياذ بالله.

والقول: **لا مقصود إلا الله، أو لا مطلوب إلا الله**: من انحرافات الصوفية، لأنهم يزعمون أنهم لا يعبدون الله طمعا في الجنة، أو نجاةً من النار، بل لا يقصدون بالعبادة إلا الله ولا يطلبون بالعبادة شيئا غير الله، لكن قولهم هذا مخالف لنصوص القرآن حيث قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2] ووصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[4]، والطمع في جنته أو الخوف من عذابه، لا ينافيان طلب رضاه ومحبته وقد تقدم شيء من التفصيل في فصل المحبة.

خامسا: الدعاء بعد الصلوات بالهيئة الجماعية، بأن يرفع الإمام والمأمومون أيديهم؛ فيدعون مرّة أو مرّتين أو ثلاث مرات، لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ لا قبل السنن والرواتب ولا بعدها.

قال ابن القيم –رحمه الله–: «وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة، أو المأمومين، فلم يكن ذلك من هديه ﷺ أصلا، ولا روي عنه بإسناد صحيح، ولا حسن...

---

(١) هذه المقولة الكفرية الصريحة قالها ابن عربي الصوفي المعروف عند الصوفية بالشيخ الكبير، وقد ردّ الملا علي القاري الحنفي–رحمه الله– عليه بعد نقل مقولته من كتاب «الفتوحات المكية لابن عربي». يُنظر: إبطال القول بوحدة الوجود، ونقض نصوص ابن عربي لملا علي القاري ص: ١٠٢ وما بعدها.

(٢) سورة الأعراف (٥٦)

(٣) سورة الإسراء (٥٧).

(٤) سورة السجدة (١٦).

وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فَعَلَها فيها(١)، وأمر بها فيها(٢)، وهذا هو اللائق بحال المصلي؛ فإنه مقبل على ربه، يناجيه ما دام في الصلاة، فإذا سلم منها انقطعت تلك المناجاة، وزال ذلك الموقف بين يديه، والقرب منه، فكيف يَترك سؤاله في حال مناجاته، والقرب منه، والإقبال عليه، يسأله إذا انصرف عنه؟!»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الأحاديث المعروفة في الصحاح والسنن والمسانيد تدل على أن النبي ﷺ كان يدعو في دبر صلاته قبل الخروج منها، وكان يأمر أصحابه بذلك ويعلمهم ذلك، ولم يَنْقُلْ أحدٌ أن النبي ﷺ كان إذا صلى بالناس يدعو بعد الخروج من الصلاة هو والمأمومون جميعا لا في الفجر، ولا في العصر، ولا في غيرهما من الصلوات، بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه، ويذكر الله ويعلّمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة»(٤).

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية عن الدعاء بعد الصلاة المكتوبة، أو بعد السنن الرواتب بالهيئة الجماعية، مع رفع الأيدي، وهذا نص السؤال والفتوى «اختلف الناس في الدعاء بعد السنن الرواتب بالهيئة الجماعية فئة تقول: إن ذلك لم ينقل فيه عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة شيء، ولو كان خيرا لسبقوا إليه؛ لأنهم أحرص الناس على إتباع الحق، وفئة تقول: الدعاء بعد السنن الرواتب بالهيئة

---

(١) وردت عدة أحاديث في هذا المعنى منها: أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم».صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد باب ما يستعاذ في الصلاة ٨٩/٥ (ح١٣٢٥).

(٢) من ذلك قوله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخِر؛ فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال».صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد باب ما يستعاذ في الصلاة ٨٩/٥(ح ١٣٢٦).ونحوه (ح١٣٢٤).

(٣) زاد المعاد لابن القيم١/٢٥٧-٢٥٨.

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية٢/٢٠٨ مسألة (١٧٨-٩٤).

الجماعية مستحب ومندوب بل مسنون؛ لأنه ذكر وعبادة، وكل ذكر وعبادة لا أقل من أن يكون مستحبا ومسنونا، وهؤلاء يلومون الذين لا ينتظرون الدعاء ويقومون بعد الفراغ من الصلاة.

الجواب: الدعاء عبادة من العبادات، والعبادات مبنية على التوقيف، فلا يجوز أن يقال: إن هذه العبادة مشروعة من جهة أصلها، أو عددها، أو هيئاتها، أو مكانها إلا بدليل شرعي يدل على ذلك، ولا نعلم سنة في ذلك عن النبي ﷺ، لا من قوله، ولا من فعله، ولا من تقريره تدل على ما ادعته الفرقة الثانية، والخير كله بإتباع هديه ﷺ، وهديُه في هذا الباب ثابت بالأدلة الدالة على ما كان يفعله ﷺ بعد السلام، وقد جرى عليه خلفاؤه، وصحابته، ومن بعدهم التابعون لهم بإحسان، ومن أحدث خلاف هدي الرسول ﷺ؛ فهو مردود عليه، قال ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1] فالإمام الذي يدعو بعد السلام ويؤمن المأمومون على دعائه -والكل رافع يديه- يطالب بالدليل المثبت لعمله، وإلا فهو مردود عليه، **وهكذا من فعل ذلك بعد النوافل يطالب بالدليل**، كما قال تعالى في مثل هذا: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، ولا نعلم دليلا من الكتاب، ولا من السنة يدل على شرعية ما زعمته الفرقة الثانية، من الاجتماع على الدعاء والذكر على الوجه المذكور في السؤال» [3].

وقد أجابت اللجنة الدائمة بمثل الجواب المتقدم، عن سؤال ورد عن الدعاء برفع اليدين بالهيئة الجماعية، مع الإمام بعد الصلاة المكتوبة[4].

وتشتد كراهية الدعاء بعد الصلوات بالهيئة الجماعية إذا كان جهرا، لأن الأصل في الذكر والدعاء الإخفاء إلا ما ورد به النص، وهذا ليس منها؛ فإذا اجتمع فيه الجهر والهيئة الجماعية، وكلاهما غير وارد في هذا المقام، كانت الكراهية شديدة.

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ٢٤٢/١١ (ح٤٤٦٨).

(٢) سورة البقرة (١١١).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ٩٨/٧ -٩٩.

(٤) يُنظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٩٨/٧ و٩٩.

والقول بكراهية الفصل بين الفرض والسنة بالأدعية والأذكار الواردة بعد التسليم، مخالف لنصوص السنة الصحيحة، حيث أمر النبي ﷺ «**أن لا توصل صلاة بصلاة، حتى نتكلم أو نخرج**»(١).

والاستدلال بحديث: كان النبي ﷺ إذا سلّم، لم يقعد، إلا مقدار ما يقول: « **اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام**» (٢)، على كراهية الأذكار بعد الصلاة المفروضة وقبل السنة، غير صحيح من وجوه:

١- أن النبي ﷺ كان بنفسه يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» (٣)أي كان يقول هذا إذا فرغ من الصلاة وسلّم، كما في رواية صحيح مسلم(٤).

٢- أرشد النبي ﷺ أصحابه إلى التسبيح والتحميد، والتكبير دبر كل صلاة مكتوبة، حيث قال: «**معقبات لا يَخيب قائلهن -أو فاعلهن- دبر كلّ صلاة مكتوبة، ثلاث وثلاثون تسبيحةً، وثلاث وثلاثون تحميدةً، وأربع وثلاثون تكبيرةً**»(٥).

٣- والمراد بقول عائشة -رضي الله عنها-: لم يقعد إلا مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام... أنه ﷺ لم يلبث بعد السلام تلقاء جهة القبلة، إلا مقدار اللهم أنت السلام...ثم ينصرف إلى القوم، وليس المراد أنه كان يقوم مباشرة إلى النوافل بعد هذا الذكر والدعاء، وبهذا يجمع بين هذا الحديث والأحاديث التي

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة ٤٠٩/٦(ح٢٠٣٩) وسنن أبي داود كتاب الصلاة، باب الصلاة بعد الجمعة ص: ١٩٤(ح ١١٢٩).

(٢) تقدم تخريجه في ص:٣٧٥.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأذان باب الذكر بعد الصلاة٤٢٠/٢ (ح٨٤٤)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة(ح١٣٣٧).

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح١٣٣٧).

(٥) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح١٣٤٨).

وردت في ثبوت الأذكار الأخرى عنه ﷺ بعد السلام من الصلاة المكتوبة، وأحاديث انصراف النبي ﷺ بعد الصلاة يمينا أو شمالا. وإلى هذا أشير في حديث أم سلمة –رضي الله عنها– قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه، ويمكث هو في مقامه يسيرا قبل أن يقوم. قال[الزهري]:نرى– والله أعلم – أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن أحد من الرجال»[1].

٤– كان النبي ﷺ يصلي غير الفرض في البيت غالبا كما هو المعلوم من هديهﷺ، وأرشد أصحابه إلى صلاة التطوع في البيت[2]، حيث قال: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيبا من صلاته؛ فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا»[3] فكيف يصح دعوى أن النبي ﷺ كان لا يمكث بعد الصلاة المكتوبة، إلا مقدار اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، وبعدها– متصلا–كان يقوم إلى أداء الراتبة.

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو الأوراد والأدعية في أوقاتٍ وأماكنَ لم يرد بها الشرع.

لقد بيّن الشرع أوقات الأذكار المقيدة بحال أو وقت، كما بيّن الألفاظ الواردة لكل ذكر مقيد، فلا يجوز تخصيص شيء من الأذكار أو الأدعية بوقت أو حال أو هيئة إلا بالشرع، هذا هو موقف الإسلام من هذا الانحراف إجمالا، وأما التفصيل فهو كما يلي:

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأذان باب صلاة النساء خلف الرجال ٤٥٢/٢(ح٨٧٠)، وباب مكث الإمام في مصلاه ٤٣٣/٢(ح٨٤٩).

(٢) قال ﷺ: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورا».صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب التهجد باب التطوع في البيت٨١/٣(ح١١٨٧)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته ٣٠٨/٦(ح١٨١٧).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته ٣٠٩/٦(ح١٨١٩).

١- ما ذكره المخالفون من الأوراد والأدعية المقيدة وتخصيص كل يوم من أيام الأسبوع بدعاء خاص لم يرد به الشرع، وكل ما لم يرد به الشرع مردود لقوله ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١).

٢- ما قاله المخالف في ذكر: «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» بعد أداء المكتوبة بصوت رفيع، فقول مردود، لعدم ثبوت هذا الذكر بعد الصلاة بصوت منخفض فضلا أن يكون ثابتا بصوت رفيع.

٣- كتابة البسملة، أو كلمة التوحيد أو غيرها مما يسموها بالعهد، بالأصبع على جبين الميت، أو الكفن بالحبر والمداد، أو بدون الحبر والمداد، لا فائدة فيها، وهو أمر بدعي لا دليل عليه من الشرع، وكل أمر ليس عليه دليل من الكتاب والسنة باطل مردود، لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢)، ولربما يذكر البعض فيها منامات عن بعضهم، ولكن العمل الشرعي يحتاج إلى دليل شرعي من الكتاب والسنة، وليست المنامات والرؤى من أدلة الشرع اتفاقا، كما تقدم تفصيله في التمهيد(٣).

ثم القول بأن نكيرا ومنكرا لا يسألان من كُتب على جبينه أو كفنه تلك الكتابة، أو ملائكة العذاب لا يعذبانه إذا رأوا الكتابة قول بلا علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾(٤)، ولا يقال في الأمور العقدية وخاصة فيما يتعلق بما بعد الموت إلا بالأدلة النقلية فقط لا غير، وهذا المعتقد يجعل في الناس جرأة ارتكاب المعاصي؛ لأنه سيوصي بتلك الكتابة على الجبين أو الكفن، أو يعتقد أن الناس سيكتبونها بدون الوصية، فلا تقترب -على زعمه- منه ملائكة العذاب وكذلك النكير والمنكر لا يسألانه، فكيف

---

(١) تقدم تخريجه ص: ١٩٢.

(٢) تقدم تخريجه ص: ١٩٢.

(٣) يراجع الفرع الثامن من أسباب الانحرافات.

(٤) سورة الإسراء (٣٦).

يعتقد في الملائكة هذا المعتقد، وقد قال الله تعالى في وصف الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(1)، فهم مأمورون بسؤال الميت، فلا يعصون الله ما أمرهم.

٤- قراءة القرآن على القبر: إذا نظرنا إلى هدي النبي ﷺ وآثار الصحابة ﵃ لا نجد حديثا صحيحا ولا أثرا يدل على قراءة القرآن عند المقابر.

قال محمد شفيع الديوبندي مفتي عام دولة باكستان: «الدعاء للميت وقراءة شيء من القرآن، بعد صلاة الجنازة لإيصال الثواب إلى الميت، لم يثبت عمن هو أشفق على أمته وآله وأصحابه، من سائر الآباء والأمهات، ولا عن أحد من خلفائه الراشدين، ومن بعدهم من الصحابة والتابعين؛ فلو كان في ذلك حسنى لسبقونا إليها، فعرفنا من ههنا أنها بدعة وضلالة، وليس بعمل صالح» (2).

وأما استئجار الناس للقراءة على القبر، فليس فيها أجر للقاري ولا للميت ولا المستأجِر، أما القاري فلم يقرأ لله، وإنما لحصول مال، والعمل الصالح إذا قصد به عرض الدنيا، فلا يتقرب به إلى الله، لعدم وجود أحد شرطي قبول العمل وهو الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (3).

وأما الميت فلا ينتفع بعمل غيره إلا ما ورد به الشرع(4) هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يرد في الشرع أن النبي ﷺ قرأ بنفسه أو استأجر غيره للقراءة على قبر الميت،

---

(1) سورة النحل (٥٠).

(2) فتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع٢/١٦٤ فتوى رقم (٦٠).

(3) سورة الإسراء(١٨-١٩).

(4) كالحج والاعتمار، والصدقة والصيام، لثبوتها في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ دون غيرها من الأمور ولا يقاس عليها غيره.

ولم يثبت هذا عن الصحابة والتابعين مع وجود المقتضي، لأن كل واحد يحرص أن ينفع من يحبه من الأموات بما استطاع من الأمور المشروعة.

وأما المستأجِر فقد أتلف ماله في عمل بدعي، ومعلوم أنه لا يؤجر الرجل بما أنفق في المعاصي والمخالفات، والبدع من أخطر المعاصي والانحرافات.

سئل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- عن حكم الاجتماع عند القبر والقراءة؟ وهل ينتفع الميت بالقراءة أم لا؟

فأجاب بقوله: «هذا العمل من الأمور المنكرة التي لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح، وهو الاجتماع عند القبر والقراءة، وأما كون الميت ينتفع بها، فنقول: إن كان المقصود انتفاعه بالاستماع، فهذا منتفٍ؛ لأنه مات، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[(1)] فهو وإن كان يسمع -إذا قلنا أنه يسمع في هذه الحال[(2)]-، فإنه لا ينتفع؛ لأنه لو انتفع لزم منه ألا ينقطع عمله، والحديث صريح في حصر انتفاع الميت بعمله بالثلاث التي ذكرت في الحديث، وأما إن كان المقصود انتفاع الميت بالثواب الحاصل للقارئ بمعنى أن القارئ ينوي بثوابه، أن يكون لِهَذا الميت، فإذا تقرر أن هذا من البدع،

---

(١) لم أجد الحديث بلفظ «**إذا مات العبد**» وفي صحيح مسلم بلفظ «إذا مات الإنسان انقطع/عنه/عمله إلا من ثلاثة...» صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان١١/٨٧(ح٤١٩٩).

(٢) مسألة سماع الموتى مسألة خلافية بين العلماء، والراجح -والله أعلم- أن الأصل عدم سماع الأموات إلا في بعض الأحوال التي خَصّها الدليل كما في حديث خفق النعال ونحوه، فالأصل عدم السماع، وما ورد به الدليل في بعض الأحوال، يستثنى من هذا الأصل. وسيأتي المزيد من التفصيل في الفصل الرابع: التوسل والشفاعة ص:٥١٦ وما بعدها، ويراجع في هذه المسألة: رسالة الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، لنعمان الألوسي الحنفي بتحقيق الألباني ص:٣٧ وما بعدها.

فالبدع لا أجر فيها «**كل بدعة ضلالة**»[1] كما قال النبي ﷺ، ولا يمكن أن تنقلب الضلالة هداية، ثم إن هذه القراءة في الغالب تكون بأجرة، والأجرة على الأعمال المقربة باطلة، والمستأجر للعمل الصالح إذا نوى بعمله الصالح -هذا الصالح من حيث الجنس، وإن كان من حيث النوع ليس بصالح كما سيتبين إن شاء الله- إذا نوى بالعمل الصالح أجر الدنيا، فإن عمله هذا لا ينفعه، ولا يقربه إلى الله ولا يثاب عليه لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]، فهذا القارئ الذي نوى بقراءته أن يحصل على أجر دنيوي، نقول له هذه القراءة غير مقبولة، بل هي حابطة ليس فيها أجر ولا ثواب، وحينئذٍ لا ينتفع الميت بما أهدي إليه من ثوابها؛ لأنه لا ثواب فيها، إذن فالعملية إضاعة مالٍ، وإتلاف وقتٍ، وخروج عن سبيل السلف الصالح ﷺ، لاسيما إذا كان هذا المال المبذول من تركة الميت، وفيها حق قُصَرٍ وصغار وسفهاء؛ فيأخذ من أموالهم ما ليس بحق، فيزداد الإثم إثما، والله المستعان»[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: «وأما استئجار قومٍ يقرؤون القرآن وإهداؤه للميت. فهذا لم يفعله أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخّص فيه، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف، وإنما الخلاف في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه...»[4].

---

(١) تقدم تخريجه في المقدمة. ص: ٥.

(٢) سورة هود (١٥-١٦).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين٢/٣٠٧-٣٠٨ رقم الفتوى(٣٦٠) و١٧/٢٢٤رقم الفتوى(٢٢٨).والبدع والمحدثات لحمود المطر ص: ٢٧٠، وبمثله أفتى الشيخ ابن باز -رحمه الله-، ينظر فتواه في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ١٣/٢٦٤.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي لابن أبي العز الحنفي ص: ٦٧٢.

ولا يصح الاستدلال على قراءة القرآن عند القبر بعد الدفن بحديث «**اقرؤوا يس على موتاكم**»؛ لأمور:

أولا: أنه حديث ضعيف[(١)]، فلا يصح الاستدلال به.

ثانيا: إنه يحمل على المحتضر، حال الاحتضار، باعتبار أنه سيموت كما قال النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**» [(٢)]، بمثابة قوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**من قتل قتيلا له عليه بيّنة فله سلبه**» [(٣)].

٥- الأذان في القبر بعد دفن الميت من البدع السيئة، سواء كان قبل إغلاق القبر على الميت أو بعده، ولم يثبت ذلك عن النبي ﷺ ولا الصحابة ﷺ ولا عن غيرهم من السلف الصالح، مع وجود المقتضى لذلك، وهو حرصهم على نفع أمواتهم، بكل ما هو جائز ومشروع، ولذا صرح كثير من العلماء أن الأذان عند القبر بعد الدفن بدعة[(٤)].

ولا يقاس الأذان عند القبر بعد الدفن على الأذان للصلاة؛ لأن النداء للصلاة من أجل معرفة الناس دخول وقت الصلاة، وليحضروا المسجد لأداء الصلاة، وهذان الأمران لا يُتصوران عن الميت، ولا يقال: إنه بذلك يتذكر جواب أسئلة المنكر والنكير، لأن الأمور العقدية لا يدخلها القياس، وخاصة ما يتعلق بأمور الآخرة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى مسألة سماع الموتى مسألة خلافية والراجح عدم السماع كما أشير إلى هذا سابقا.

---

(١) تقدم تخريجه والحكم عليه في بيان الانحرافات الانحراف الثالث ص: ٣٧٧.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز، باب تلقين الميت ٤٥٨/٦، ٤٥٩ (ح٢١٢٠، ٢١٢٢).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب المغازي باب قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾[سورة التوبة(٢٥)] (ح ٤٣٢١)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القتيل٢٨٥/١٢(ح٤٥٤٣).

(٤) رد المختار لابن عابدين٢/ ٢٥٥، فتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع٣٤٤/١، «آپ كے مسائل» لمحمد يوسف اللديانوي١١٠/٣، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ١٩٥/١٣، البدع والمحدثات لحمود المطر ص: ٢٧٧.

ومن جهة ثالثة هذه المسألة ليست كالمسائل الدنيوية التي قد يستطيع الرجل أن ينجح فيها بالغش والتلقين، وإنما النجاح يتوقف على معيشته التي عاشها في الدنيا، فإن كانت وفق الشريعة بأن قرأ كتاب الله وآمن بما فيه، وصدّقه وعمل بمقتضاه، أجاب عن الأسئلة ولو لم يعرف اللغة العربية، وإن لم تكن معيشته موافقة للدين، لم يستطع الجواب ولو كان من أفصح العرب، وقد أتقن حفظاً قول: ربي الله، ونبي محمد ﷺ، وديني الإسلام، كما يدل على هذا حديث المسألة: «...**ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله؛ فآمنت به وصدّقتُ...**»[1]، وفي رواية «**يقال له على يقين كنت، وعليه مُتَّ، وعليه تُبعث إن شاء الله**» [2].

٦- تلقين الميت الشهادتين بعد الدفن، عمل لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن السلف الصالح، ولا يفيد الميت هذا التلقين؛ لأنه لا يسمعه أولا، ولو سمعه ما نفعه ذلك؛ لأن أجوبة أسئلة النكير والمنكر لا يجاوب عليها بالغش والتلقين، بل بما كان عليه في الدنيا من العقيدة والعمل، كما تقدم في الفقرة السابقة.

وأما حديث أبي أمامة رضي الله عنه الذي ينقله المخالفون في تلقين الميت كما تقدم في ذكر الانحرافات، فهو حديث ضعيف جداً، إن لم يكن موضوعا.

قال الهيثمي[3] -رحمه الله-:«في إسناده جماعة لم أعرفهم »[4].

---

(١) رواه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب المسألة في القبر ص: ٨٦٠(ح٤٧٥٣)، وقال الألباني: صحيح. ينظر صحيح سنن أبي داود للألباني٣/١٦٥(٤٧٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ذكر القبر والبلى ص: ٧٠٧(ح٤٢٦٨).وقال الألباني: صحيح.ينظر صحيح سنن ابن ماجه له ٣/٣٨٨برقم(٣٤٦٢).

(٣) **الهيثمي**: هو نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي الشافعي محدث حافظ، من آثاره مجمع الزوائد، موارد الظمْآن، توفي بالقاهرة عام ٨٠٧هـ.يُنظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي٥/٢٠٠، وشذارات الذهب لابن العماد٩/١٠٥، والأعلام لزركلي٤/٢٦٦.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ٣/ ٤٥.

وقال ابن حجر -رحمه الله-: «غريب وسند الحديث من الطريقين ضعيف جدا»(١).

وقال ابن القيم -رحمه الله- في «زاد المعاد» : «الحديث لا يصح رفعه، وضعفه النووي وغيره»(٢) و أشار في كتابه «الروح» بأن الحديث لم يثبت باتصال(٣).

وقال الألباني -رحمه الله-: «منكر عندي إن لم يكن موضوعا» (٤).

وقال الصنعاني -رحمه الله- «ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف، و العمل به بدعة، ولا يُغتر بكثرة من يفعله»(٥).

ولكن قال ابن حجر -رحمه الله- في التلخيص: «إسناده صالح، وقوّاه الضياء(٦) في أحكامه، وهو الصواب، لأن له طرقا وشواهد» (٧).

---

(١) نقل قوله ابن علان في الفتوحات الربانية ١٩٦/٤.

(٢) زاد المعاد لابن القيم ١/ ١٤٥، ويُنظر: تضعيف النووي له في المجموع له ٢٧٤/٥.

(٣) الروح لابن القيم ص:١٣.

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني٢/ ٦٥ برقم(٥٩٩).

(٥) سبل السلام للصنعاني ٣٠٤/٢.

(٦) **الضياء**: هو الإمام، الحافظ، محدث الشام، شيخ السنة، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن إسماعيل بن منصور السعدي الحنبلي ولد سنة ٥٦٩هـ وتوفي سنة ٦٤٣ هـ ينظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٠٥/٤(١١٢٩)، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٦/٢٣(٩٧) والوافي بالوفيات للصفدي ٦٥/٤(١٥١٥).

(٧) تلخيص الحبير لابن حجر٢٧٠/٢ رقم(٧٩٧).**قال الألباني** -رحمه الله- معقبا على هذا: «العجب من قول الحافظ في "التلخيص"(٢٤٣/٥) بعد أن عزاه للطبراني: "وإسناده صالح، وقد قوّاه الضياء في" أحكامه"...و الراوي عن أبي أمامة سعيد الأزدي بيّض له ابن أبي حاتم"! فأنّى لهذا الإسناد الصلاح والقوة وفيه هذا الرجل المجهول؟! بل فيه جماعة آخرون مثله في الجهالة، كما يشير لذلك كلام الهيثمي السابق، وهذا كله إذا لم يكن في إسناد الطبراني عتبة بن السكن المتهم، وإلا فقد سقط الإسناد بسببه من أصله! وقد قال النووي في "المجموع" (٣٠٤/٥) بعد أن عزاه للطبراني: وإسناده ضعيف.وقال ابن الصلاح: ليس إسناده بالقائم.وكذلك ضعفه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء(٤٢٠/٤) وقال ابن القيم في "الزاد" (٢٠٦/١): "لا يصح رفعه».سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٦٥/٢.

قال الألباني -رحمه الله- معقبا على كلام ابن حجر -رحمه الله-: «واعلم أنه ليس للحديث ما يشهد له، وكل ما ذكره البعض إنما هو أثر موقوف على بعض التابعين الشاميين لا يصلح شاهدا للمرفوع بل هو يَعُلُّه، وينزل به من الرفع إلى الوقف، و في كلمة ابن القيم السابقة ما يشير إلى ما ذكرته عند التأمل. على أنه شاهد قاصر إذ غاية ما فيه: "أنهم كانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان قل لا إله إلا الله، قل أشهد أن لا إله إلا الله (ثلاث مرات)، قل: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد".فأين فيه الشهادة على بقية الجمل المذكورة في الحديث؟ مثل "ابن فلانة "و"أرشدني..." و قول الملكين: "ما نصنع عند رجل...

ولا يرد هنا ما اشتهر من القول بالعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال[1]، فإن هذا محله فيما ثبت مشروعيته بالكتاب أو السنة الصحيحة، أما ما ليس كذلك فلا يجوز العمل فيه بالحديث الضعيف، لأنه تشريع ولا يجوز ذلك بالحديث الضعيف، لأنه لا يفيد إلا الظن المرجوح اتفاقا فكيف يجوز العمل بمثله؟! فليتنبه لهذا من أراد السلامة في دينه، فإن الكثيرين عنه غافلون.نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق» [2].

---

(١) إن القول المشهور وهو: (العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال) ليس محلا للاتفاق بين العلماء، فالإمام البخاري، ومسلم، وابن منده، وابن أبي حاتم الرازي، وابن حبان، والخطابي غيره وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي -رحمهم الله تعالى- وغيرهم من الأعلام ورجال فن الحديث وعلومه لا يرون العمل بالحديث الضعيف أصلاً يُنظر: يُنظر:قواعد التحديث للقاسمي (ذكر المذاهب في الأخذ بالضعيف، واعتماد العمل به في الفضائل) ص:١٦٥، ومقدمة صحيح مسلم باب النهي عن الرواية عن الضعفاء١/٣٥وما بعدها، شرح علل الترمذي لابن رجب (رواية الضعفاء) ١/٧٤، والمراسيل لابن أبي حاتم الرازي آخر باب ما ذكر في الأحاديث المرسلة) ص:٧، والحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به للدكتور عبد الكريم الخضير ص:٢٥٩.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ٢/٦٥برقم (٥٩٩).

والقول: «بأن العمل به في سائر الأمصار والأعصار، من غير إنكار كاف في العمل» يرده الكلام الثابت عن ابن القيم في «زاد المعاد» حيث قال: «قال الأثرم[١]: قلت لأبي عبد الله[٢]: فهذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت، يقف الرجل ويقول: يا فلان بن فلانة! أذكر ما فارقت عليه الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله؟ فقال: ما رأيت أحدا فعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة[٣] جاء إنسان فقال ذلك...»[٤].

فعلم أن التلقين لم يكن في سائر الأمصار والأعصار بدليل قول أبي عبد الله أحمد بن حنبل الذي نقله ابن القيم عن الأثرم -رحمهم الله-: «ما رأيت أحدا فعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة فجاء إنسان وقال ذلك»[٥] فلم يرى أحمد -رحمه الله- هذا العمل إلا حين مات أبو المغيرة، و لم يره إلا في الشام فقط لا في جميع الأمصار والأعصار، ولكراهيته لهذا الفعل قال: «جاء إنسان» و لم يسمه، والله أعلم.

وقد أنكره العلماء حيث قالوا: بدعة، والحديث منكر، وقد تقدمت جملة من أقوالهم. فكيف يقال: العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار...!!! وهل قولهم: (**بدعة**) ليس من إنكار هذا الفعل؟! وهل أمة محمد مجتمعة على عمل بدعي لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن السلف الصالح ؟! كلاّ وألفْ كلاّ.

---

(١) **الأثرم:** هو أحمد بن محمد بن هاني الطائي أبو بكر الأثرم من حفاظ الحديث، كان تلميذا للإمام أحمد بن حنبل -رحمهما الله- توفي عام ٢٦١هـ.ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب٥/١١٠ وسير أعلام النبلاء للذهبي١٢/٦٢٣ برقم (٢٤٧)، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢/٥٧٠.

(٢) **أبو عبد الله:** هو الإمام أحمد بن حنبل.

(٣) **أبو المغيرة:** هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني أبو المغيرة الشامي الحمصي توفي عام ٢١٢هـ وصلّى عليه أحمد بن حنبل -رحمهما الله-.يُنظر: تهذيب الكمال للمزي١٨/٢٣٧ برقم (٣٤٩٥)، تهذيب التهذيب لابن حجر٦/٣٢٤برقم(٤٢٩٨)، تذكرة الحفاظ للذهبي١/٣٨٦ برقم٣٨٥، تقريب التهذيب لابن حجر ص: ٤٢٢برقم٤١٤٥.

(٤) زاد المعاد لابن القيم١/١٤٥.

(٥) زاد المعاد لابن القيم١/١٤٥.

الفصل الثاني

الانحرافات المتعلقة بالاستغاثة، والاستعانة، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الاستغاثة والاستعانة، وأنواعهما .

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالاستغاثة والاستعانة.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى الاستغاثة والاستعانة، وأنواعهما.

إن المؤمن المخلص لا يستغيث ولا يستعين في أمر من الأمور إلا بالله العظيم، لأن الاستغاثة والاستعانة من أقسام دعاء المسألة، ولكن زلت أقدام بعض الناس في إقليم سرحد وغيره، حيث يستغيثون بغير الله، ويستعينون به، جهلا بمعناهما، أو اختلط عليهم الأمر فلم يفرقوا بين أنواعهما، ولم يميّزوا ما يجوز طلبه من المخلوق، وما لا يجوز؛ فوقعوا في الانحرافات، وفي هذا المبحث سيكون بيان معنى الاستغاثة، والاستعانة، وأنواعهما وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستغاثة، والاستعانة لغة.

أصل الكلمتين

الاستغاثة: الغين، والواو، والثاء، كلمة واحدة وهي الغوث من الإغاثة، وهي الإعانة والنصرة عند الشدّة[1].

الاستعانة: (العين، والواو، والنون) يدل على المساعدة والمظاهرة[2].

تصريف الكلمتين: الاستعانة والاستغاثة مصدران من استغاث يستغيث استغاثة، واستعان يستعين استعانة.

معنى الكلمتين: الاستغاثة والاستعانة طلب الغوث والعون[3]؛ لأنه زيدت فيهما على أصل الكلمة ثلاثة أحرف وهي الألف والسين والتاء، وهي تدل على الطلب[4].

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٧٠٨.

(٢) المفردات للراغب ص: ٥٩٨، لسان العرب لابن منظور٦/٥٣١.

(٣) المفردات للراغب ص: ٥٩٨، ٦١٧، لسان العرب لابن منظور٦/٥٣١، ٦٩٣.

(٤) يُنظر: المعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد باسل السود ص: ٣٠.

ورد في القرآن الكريم الاستغاثة في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ (٢)، وقوله تعالى في الاستعانة: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾(٣).

المطلب الثاني: الاستغاثة والاستعانة شرعا.

قال الزبيدي -رحمه الله-: الاستغاثة هي طلب الغوث وهو التخليص من الشدة والنقمة والعون على الفكاك من الشدائد(٤).

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: «الاستغاثة طلب الغوث وهو إزالة الشدة»(٥).

وقال الألوسي -رحمه الله-: «الاستعانة هي طلب ما يتمكن به العبد من الفعل، ويوجب السير عليه» (٦)وقيل الاستعانة: طلب العون(٧).

الفرق بين الاستعانة والاستغاثة:

عرفنا في تعريف الاستغاثة أنها طلب الغوث والتخليص من الشدة، والنقمة، أو طلب العون على فكاك الشدائد، والاستعانة هي طلب العون، ففي كل منهما طلب العون والمدد ولا ريب أن من استغاث بك فأغثته؛ فقد أعنته، فعلى هذا يكون كل استغاثة استعانة، إلا أن طلب العون في الاستغاثة قُيّد بحالة الشدة والنقمة والكرب

---

(١) سورة الأنفال (٩).

(٢) سورة القصص (١٥).

(٣) سورة البقرة (٤٥).

(٤) تاج العروس للزبيدي٣/ ٢٤٣.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية١/١٠٣، وتيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ١٧٠.

(٦) روح المعاني للألوسي١/١٤٥.عند تفسير سورة الفاتحة.

(٧) شرح ثلاثة أصول لابن عثيمين٦٢، وشرح الأصول الثلاثة للفوزان ص: ١٤٤.

ونحوها، ولم يُقيَّد في الاستعانة بشيء منها، فطلب العون في الاستغاثة مخصوص في حالة الشدة والكرب دون الاستعانة(1).

فبينهما عموم وخصوص: وهو أن كلَّ استغاثة استعانة، وليست كلُّ استعانة استغاثة، فالاستغاثة خاصة بالشدائد والمكروبات، والاستعانة عامة فيها وفي غيرها، كما أن الدعاء أعم من الاستغاثة، حيث إن الدعاء يكون في المكروبات وغيرها، بينما الاستغاثة خاصة بالمكروبات والشدائد.

والدعاء والاستعانة بمعنى واحد إذا كان الدعاء دعاء مسألة، فبين دعاء المسألة والاستعانة نسبة مطابقة، وبين الدعاء -إذا لم يقيد بدعاء المسألة- والاستعانة عموم وخصوص من وجه، كما أن بين الاستغاثة والاستعانة عموم وخصوص.

فنستطيع أن نقول: كل استغاثة دعاءٌ، وليس كل دعاء استغاثة.كما نستطيع أن نقول: كل استغاثة استعانة، لا العكس، فبعض الاستعانة استغاثة وبعضها ليست باستغاثة، فقد يكون استعانة فقط لا استغاثة.

المطلب الثالث: أنواع الاستغاثة والاستعانة.

أولاً: الاستغاثة: تنقسم الاستغاثة إلى قسمين:

الأول: الاستغاثة بالله ﷻ، وهذه من أفضل العبادات، وهذا دأب الأنبياء وأتباعهم، كما استغاث النبي ﷺ وأصحابه في بدر، قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾(2).

الثاني: الاستغاثة بغير الله ﷻ، وهذه تنقسم إلى نوعين(3):

---

(1) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠٣/١، وتيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ١٧٠(بتصرف).

(2) سورة الأنفال (٩).

(3) يُنظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني ص:٦٧، وشرح ثلاثة أصول لابن عثيمين ص:٦٥، وشرح الأصول الثلاثة للفوزان ص:١٥٢، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص: ١٧٨.

النوع الأول: الاستغاثة بمخلوق لاعتقاد أن له قوة خفية يُغيثُ بها، كأن يعتقد في الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين قوة خفية يقدرون بها على إغاثة الملهوف؛ فهذه لا تجوز، وهي شرك، قال الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(١).

النوع الثاني: الاستغاثة بمخلوق لأسبابٍ ظاهرةٍ، وقوةٍ أعطاها الله له يستطيع بها إغاثة المكروب، كأن يستغيث الرجل الضعيف بالقوي في الخلاص من ظلم القوي الآخر، أو الاستغاثة برجال الدفاع المدني(٢) على الخلاص من الحريق ونحو ذلك، واستغاثة الغريق بصاحب السفينة أو من يستطيع إنقاذه لمعرفته السباحة ونحوها، فهذه جائزة، كما في قصة موسى ﷺ: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾(٣).

ثانيا: الاستعانة: تنقسم الاستعانة كالاستغاثة إلى قسمين(٤):

الأول: الاستعانة بالله ﷻ المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه واعتقاد كفايته، قال الله في تعليم المسألة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(٥).

الثاني: الاستعانة بالمخلوق، وهذه أيضا تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الاستعانة بمخلوق لاعتقاد أن له قوة خفية يقدر من خلالها على القيام بالعون، كأن يعتقد في الأولياء والأموات قوة خفية للعون والمدد؛ فيستعين بهم،

---

(١) سورة النمل (٦٢).

(٢) **رجال الدفاع المدني**: هم رجال من الدولة يقومون بمساعدة ومعاونة من وقع في المهالك والشدائد كالحريق أو الهدم، الغرق ونحوها، وذلك بما لديهم من الأسباب والخبرة في هذا المجال.

(٣) سورة القصص (١٥).

(٤) يُنظر: شرح ثلاثة أصول لابن عثيمين ص:٦٢، وشرح الأصول الثلاثة للفوزان ص: ١٤٥.

(٥) سورة الفاتحة (٥).

فهذه لا تجوز؛ لأنها استعانة، والاستعانة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، قال النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: «**إذا استعنت فاستعن بالله**»(١).

النوع الثاني: الاستعانة بمخلوق لأسباب ظاهرة أو لقوة بدنية أو مالية يستطيع بها العون والمساعدة، فهذه يختلف حكمها باختلاف المستعان عليه، فإن كانت على البر والتقوى فهي جائزة للمعين والمستعين، وإن كانت على أمر حرام فلا تجوز؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(٢).

فالخلاصة: أن كلا من الاستغاثة والاستعانة على قسمين:

الأول: الاستغاثة والاستعانة بالله مع كمال الذل والمحبة لله، ولقدرته على كل شيء، ولكون الأمور كلها بيده، وهذا النوع منهما عبادة، فلا يجوز صرفها لغير الله.

الثاني:الاستغاثة، والاستعانة بغير الله، فهذه **إن كانت** لاعتقاد قوة خفية للغوث والمعين، أو كانت مع الذل والمحبة؛ فهذه لا تجوز لأنها عبادة في هذه الحالة ولا يجوز صرف العبادة لغير الله.

وإن كانت لأسباب عادية، بأن كانت فيما يقدر عليه المخلوق، فهذه إن كانت في الأمور الجائزة أو المباحة فهي جائزة، وإلا فلا.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقاق، باب(٦٠) (ح٢٥١٦)، والإمام أحمد في مسنده١/٢٩٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصحححه الألباني وأحمد محمد شاكر، يُنظر: صحيح سنن الترمذي للألباني٢/٦١٠(ح٢٥١٦) ومسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر٣/١٩٤(ح٢٦٦٩).

(٢) سورة المائدة (٢).

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالاستغاثة، والاستعانة

الاستعانة والاستغاثة من أجلّ العبادات، والانحراف فيهما من أخطر الانحرافات، ولكن لم يعرف بعض الناس في إقليم سرحد الفرق بين التوسل، والشفاعة، والاستغاثة، كما لم يعرفوا الفرقَ بين الاستغاثة بمخلوق والاستغاثة بالخالق، ومنهم من يرى أن الشرك لا يكون إلا في اعتقاد أن المخلوق يخلق العون؛ فهذا الاعتقاد شرك، ويقولون: إن مَنْ اعتقد أن غير الله ليس بخالقٍ للعون، وإنما هو من مظاهر العون؛ فمن استغاث به أو استعان به باعتقاد أنه هو يشفع عند الله، أو يطلب لنا ما سألناه من الله، فهذا ليس بشرك[1]؛ فوقعوا في الانحرافات المتعلقة بالاستغاثة والاستعانة، ويمكن إجمال تلك الانحرافات فيما يلي:

الانحراف الأول: الاستغاثة والاستعانة بالأنبياء – صلوات الله عليهم وسلامه–.

لقد لعب الشيطان ببعض الناس في إقليم سرحد؛ فجعلهم يستغيثون ويستعينون بالنبي ﷺ، واستدلوا لعملهم هذا بما لا يدل على دعواهم منها:

حديث: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ»[2].قال أحدهم: «أجمع أهل الموقف كلهم على جواز الاستغاثة بالأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وذلك بإلهام من الله لهم، وفي ذلك أدلُّ دليل على ندب التوسل والاستغاثة بهم في الدنيا والآخرة»[3].فلم يفرق هؤلاء بين ما يقدِر عليه المخلوق وما لا يقدِر، وقالوا بمشروعية الاستغاثة بالمخلوق من دون الله –قولا واحدا.

---

(١) وهذا المعتقد الخاطئ هو السبب الأساسي للوقوع في الانحرافات المتعلقة بالاستغاثة والاستعانة، –وسيأتي الرد على هذا المعتقد في المبحث الثالث إن شاء الله– وقد تناقلوا هذا الأساس في كتب عديدة منها «اختلافي مسائل كاحل» لمحمد أشرف چشتی ص:٢٤، والوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ١٤، درر الفرائد لغلام حيدر ص:١٦٦، غوث العباد للحمامي الملحق بالبصائر للداجوي ص: ٣١٢.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الزكاة باب من سأل الناس تَكَثُّراً ٤٢٦/٣(ح١٤٧٥).

(٣) «اختلافي مسائل كاحل» لمحمد أشرف چشتی ص: ٢٦-٢٧.

واستدل البعض بأقوال منسوبة إلى بعض العلماء، وقالوا:إن هؤلاء كانوا يستغيثون ويستعينون بالنبي ﷺ فلو لم تكن جائزة لما فعلوها، ومن تلك الأقوال المنسوبة إلي بعضهم:

قول أحدهم: «وما ذكر أن ابن تيمية نقل عدم جواز التوسل عن الإمام الهُمَام أبي حنيفة، والقاضي أبي يوسف -رحمهما الله رحمة واسعة- كيف يصح ذلك مع نقل القصيدة المشهورة عن الإمام أبي حنيفة عند حضور الروضة الشريفة:

شعر: يا أكرم الثقلين يا كنز الورى *** جُد لي بجودك وأرضني برضاك

أنا طامع بالجود منك لم يكن *** لأبي حنيفة في الأنام سواك[(١)]

وقال زين العابدين[(٢)] -رحمه الله-: يا رحمةً للعالمين *** أدرك لزين العابدين

محبوس أيدي الظالمين *** في موكب والمزدحم »[(٣)].

ونقل أحدهم :عن أشرف على التهانوي [(٤)] -رحمه الله- أبياتاً:

دستگيري كيجئے ميرى نبي *** كشمكش ميں تم ہى ميرے ولي

جزتمارے ہے كہاں ميرے پناہ *** فوج كلفت مجه پرآ غالب ہوئی[(٥)].

الترجمة: أيها النبيّ خذ بيدي(أغثني)!!، أنت وحدك وليٌّ في الشدائد والمشاكل!!،وأين لي ملجؤٌ غيرك؟! وقد غلبني جيش وجند الكلفة.

ونقل غيره عن رشيد أحمد الجنجوهي – رحمه الله- قوله:

قصوى مرادي قصارى منيتي أبدا* غوثي ملاذي ومعاذي منتهى أملي**

---

(١) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ١٣٤،٥٣ وينظر: ضياء الصدور للسواتي ص: ١٣.

(٢) **زين العابدين:** هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، العالم العابد الفقيه، ولد عام٣٨هـ وتوفي سنة٩٤هـ ودفن بالبقيع.ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨٦/٤ برقم(١٥٧) وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٦٠/٤١ برقم(٤٨٧٥).

(٣) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٥٣ وفي آخر هذا الكتاب ألحق كتاب غوث العباد للحمامي فيه جملة كبيرة من الأبيات التي فيها استغاثات بغير الله.يُنظر: ص:٣١٣ -٣١٦.

(٤) **أشرف علي:** هو أشرف علي بن عبد الحق التهانوي الديوبندي الملقب بحكيم الأمة، ولد سنة ١٢٨٠هـ وتوفي عام ١٣٦٢هـ يُنظر: أكابر علماء ديوبند لمحمد أكبر بخاري ص: ٦٠ونزهة الخواطر لعبد الحي اللكنوي ٦٥/٨.

(٥) يُنظر: الوسيلة لسيد همايون رشيد ص٥٤.محيلا إلى(شميم الطيب نشر الطيب) لأشرف علي التهانوي ص١٤٥.

كنـــز العلوم وكهف الناس قاطبة * بحر الفهوم وعون الخلق في الخيلي[(١)].**

وما أكثر ما يستغيثون بالنبي في قصائدهم النعتية[(٢)]التي يقرؤنها في محافل الميلاد، وقد نقلتُ جملة كبيرة من أمثال هذه الأبيات والنقولات في الباب الأول، في مبحث الرجـــاء والخوف والتوكل ما يغني عن إعادتها هنا، فليراجع هناك.

وقال بعضهم: (وقول: **(يا رسول الله)** عند الروضة المقدسة (يعني قبر النبي ﷺ)أو غائبا يجوز في الحالتين كلتيهما، وقائله ليس بآثم ولا كافر)[(٣)].

الانحراف الثاني: الاستغاثة والاستعانة بمن دون الانبياء كالأولياء والمشايخ.

لقد غلط بعض الناس في إقليم سرحد في استغاثتهم واستعانتهم بغير الله، لاعتقادهم في الأموات قوة خفية يتصرفون بها في الكون ويمدون بها من استغاث بهم:

وقالوا: (من يستمد منه في حياته يستمد منه بعد وفاته)[(٤)].

وقال أحدهم: (رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في القبور، كما كانوا يتصرفون في حياتهم أو أقوى، يقولون مدد الحي أقوى، وأقول مدد الميت أقـــوى، والتـــصرف في الكون حاصل للأولياء، وهذا ليس إلا لأرواحهم، وأرواحهم باقية)[(٥)].

وقال غيره: (وإن سَلَّمْنَا أن الأولياء اندثرت لحومهم، مع ذلك يمدّون)[(٦)].

---

(١) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٦١ محيلا إلى القصيدة المدحية للجنجوهي ص: ٣.

(٢) ومن ذلك ما ذكره صاحب كتاب تذكرة فخر كشمير من القصائد التي في عجز كل بيت منها (أغثني يا رسول الله).يُنظر: ص: ٤٠٥، وص: ٤٠٤، وص: ٤٠٢ وغيرها.

(٣) يُنظر: سيف المقلدين لمحمد عبد الجليل البـــشاوري ص: ٣٨٢، درر الفرائـــد لغـــلام حيـــدر ص:١٨٠، خير الذاكرين لنعمة الله مجاهد النقشبندي ص: ١٩٥.

(٤) يُنظر:الوسيلة لهمايون رشيد٥٩، ودرر الفرائد لغلام حيدر ص:١٦٧، كلاهما أحالا إلى الإحياء للغزالي.

(٥) الوسيلة لسيد همايون ص: ٥٩-٦٠.محيلا إلى أشعة اللمعات لعبد الحق باب زيـــارة القبـــور، وضياء الصدور لمنكر التوسل بأهل القبور لظاهرشاه السواتي ص: ١٢-١٣.

(٦) يُنظر: الدر النظيم لنادر شاه ص: ١٥.محيلا إلى تفسير المظهري عند تفسير الآيـــة(٨٢) مـــن ســـورة الكهف، وفضائل الصدقات لمحمد زكريا التبليغي الحصة الثانية ص: ٥١٦.

وقال غيره: «الولي في الدنيا كالسيف في الغمد، فإذا مات تجرد فيكون أقوى في التصرف» (١).

وقال الآخر: «وقد تواتر عن كثير من الأولياء أنهم ينصرون أولياءهم، ويدمرون أعداءهم» (٢).

ولذلك قال أحدهم: (ومن قال: (ياپير بابا) يا أيها الشيخ -مرشد الطريقة- أعطني ولدا، أو افعل لي الأمر الفلاني، فهذا جائز نظراً إلى قوله تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾(٣)، حيث طلب قوم فرعون من موسى عليه السلام أن يكشف عنهم الرجز، وما طلبوه من موسى عليه السلام كان مما فوق الأسباب، و لم يكن مما تحت الأسباب، والقرآن يفرّق بين الجائز وغير الجائز[فإذا لم ينكر على هذه المقولة، لا موسى عليه السلام ولا القرآن] علم من جهة الشريعة بأن هذا جائز، ويعدّ هذه العقيدة من أنواع الوسيلة؛ لأن القدرة لله جميعا، وما كان عند الولي فهو عطاءٌ من الله)(٤).

وقال بعضهم في تأويل ورْد هم(٥): «**يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله**» فقال أحدهم: معنى هذه الكلمة المحترمة على وجهين: **الأول**: يا الشيخ عبد القادر أعطني شيئا إكراما لله تعالى مما أعطاك الله من الفيوض الباطنة...**والثاني**: أمدني شيئا لله إكراما لله بالدعاء من الله وفي كلتا الصورتين استعانة من غوثيته(٦).

وقال الآخر: (قولهم يا الشيخ عبد القادر.فهو نداء أُضيف إليه شيءٌ لله؛ فهو طلب شيء إكراما لله، فما الموجب لحرمته؟!)(٧).

---

(١) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص:٨، محيلا إلى الطريقة المحمدية وشرحها البرقية١/٢٠٣.

(٢) الدر النظيم لنادر شاه ص: ٤٧، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ١٦ محيلا إلى تفسير المظهري١/١٦٩ عند تفسير الآية (١٥٤) من سورة البقرة.

(٣) سورة الأعراف (١٣٤).

(٤) يُنظر:الوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ١٤.

(٥) وقد تقدم بعض التأويلات في فصل الذكر والدعاء مع الرد عليها.

(٦) يُنظر: «رد وهابي» لمفتي محمود البشاوري ص: ٣١.

(٧) هكذا في الوسيلة لسيد همايون رشيد ص:٤٧، وهو ركيك والأولى (لتحريمه).

وقال الآخر في تأويله: (شيئا مصدر من شَوَى، يَشْوِي، شَيْئاً[١]!!، فشيئا لله معناه أنه شُوِي في محبة الله، ونسبة قضاء الحاجات إليه مجاز)[٢].

وزعموا أن من اعتقد في غير الله أنه هو يخلق العون، فهذا الاعتقاد شرك، كما زعموا أن من اعتقد أن غير الله ليس خالق العون، وإنما هو من مظاهر العون؛ فمن استغاث به أو استعان به، باعتقاد أنه هو يشفع عند الله، أو يسأل سؤالنا من الله، فهذا ليس بشرك.

وقد أورد أحدهم في هذا سؤالا: (هل يجوز الاستعانة والاستمداد من أرواح الأولياء، والمناداة بأسمائهم في المشاكل أم لا؟.

ثم أجاب بقوله: **الجواب**: الاستعانة والاستمداد على وجه أن المستعان منه يخلق العون فهذا منحصر في ذات الحق ﷻ سواء كان هذا في الأمور الدنيوية، أو الأخروية، أما الاستعانة بمعنى أن المستعان منه من مظاهر العون، فالاستعانة على هذا المعنى ليست ممنوعة من الأولياء الكرام؛ لأن ذلك في الحقيقة توسل، وهو ثابت بالنصوص القطعية، وأورد في

---

(١) **وقد تقدم في فصل الذكر والدعاء أن شيئاً** ليس مصدر شَوَي يَشْوِي كما زعم الرجل بل مصدر شَوَي يَشْوِي **شِيَةً وشِيَّةً، شَوايَة، وشِوايةً**؛ لأنه لفيف مقرون مثل نَوَى يَنْوِي، **وشيئا مصدر من شاء يشاء شيئا، مشيئة**، لأنه مهموز، يُنظر: المعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد السود ص: ٦٤١ باب رقم(٢٧،٥٩) ويقال: شوى اللحم يشويه شيّا، ولا يقال شيئا.يُنظر: كتاب الأفعال لسعيد بن محمد المعافري ٣٦١/٢، ومختار الصحاح للرازي ص: ١٤٨، ولو فرضنا وسلمنا أن شيئا مصدر شَوَى يشوي فلا يقال: فلان شوي لله، بل يقال: شوي في الله وفي محبته، فظهر بطلان التأويل الفاسد، ونسأل الله أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل.

(٢) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٢٦-٢٧، وقد سبق هذا النقل في فصل الذكر والدعاء، يراجع الرد عليه هناك.

إحياء العلوم: «**أن من يستمد منه في حياته يستمد منه بعد مماته**»[١] والأولياء وأكابر الدين أحياء عند الله؛ فالاستمداد منهم والنداء بأسمائهم بطريق التوسل ليس بممنوع)[٢].

وقال غيره: (كثيرا ما ترى بعض الناس يستغيث بـــنبي أو ولي، فتسأله ماذا يعمـــل لك هذا؟ وهو مثلك أيخلق لك؟ ما لك تستغيث به؟ فيبادر في الحال بقوله: إني أستغيث به لأنه أقرب إلى ربي مني، فلعله يتوجه إلى ربه، بوجهه الوجيه عنده، ويبتهل إليه بلسانه، الظاهر أن يقضي حاجتي)[٣].

ونقل البعض في الاستغاثة من غير الله أبياتا:

نيست خلل هيج ولي را بموت * قوت آمد نه زو گشت فوت**

موت ولي ست حيات أبد * هركه نه إقرار كند گشت رد**

گو نه مدد ها رسند از أولياء * غير ولي جون ز ولي شد جدا**

خاصه تر آن شاه أولياء * نائب كامل ز شد أنبياء**

قطب جهان غوث زمان محي دين * فيض أزو تا بقيامت يقين**

هر كه بود منكر إمداد أو* باد برو لعنت وأولاد أو**

پير گرد شاه بود نقشبند* هس ز بسيار مشائخ بلند**

هم مددش تا بقيامت بود* إين همه آثار كرامت بود**

جملة ولي راست مدد بيگمان* بهر مريدان خود اندر جهان**[٤].

الترجمة: لا يحصل خلل لأي ولي بموته، بل يضاف له قوةٌ بموته و لم يذهب شـــيء منها، وموت الولي حياة أبدية له، ومن لا يقرّ له بذلك فهو مردود، وإن لم يصل المدد من الأولياء، فما الفرق بين الولي وغير الولي؟! وخاصةً مَلِكُ جميع الأولياء، الذي هو النائب الكامل عن الأنبياء، وهو قطب الدنيا، غوث الزمان[٥] محي الدين، وفيوضاته جارية إلى

---

(١) درر الفرائد لغلام حيدر ص:١٦٧، والوسيلة لهمايون رشيد٥٩ كلاهما أحالا إلى الإحياء للغزالي.

(٢) درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٦٦-١٦٧.

(٣) يُنظر: غوث العباد للحمامي الملحق بالبصائر للداجوي ص: ٣١٢.

(٤) درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٦٨. محيلا إلى نور الهدى لغلام محي الدين قصوري ص: ٦٤.

(٥) يريد بغوث الزمان الشيخ عبد القادر الجيلاني، والغلو ديدن هؤلاء الغلاة، ومن هذا قولهم «**غوث خراســـان**» ويلقبون به الشيخ علي الترمذي -رحمه الله- المدفون في(منطقة بونير)من إقليم سرحد بباكـــستان يُنظـــر: =

القيامة يقينا، ومن ينكر مدده فلعنة الله عليه وعلى أولاده، وملك المشايخ إنما هو النقشبدي، الذي هو الأعلى من كثير المشايخ، ومدده يكون جاريا إلى يوم القيامة، وهو من آثار كراماته، ولجميع الأولياء مدد بلا شك، لكل واحد من مريديهم في الدنيا.

وقال بعضهم: «ويحسن التوسل والاستغاثة بالأولياء والأنبياء، و لم ينكر أحد حتى جاء ابن تيمية فابتدع ما لم يقل عالم قبله...والاستغاثة بغير الله في كشف الشدائد [أمر]محمود»[1].

وقال أحدهم: (إن كثيرا من العلماء يعدون رفع الصوت بـ «يا رسول الله ﷺ» كفرا وشركا، ولكن انظروا إلى الحاج إمداد الله[2] المهاجر المكي بأنه يطلب المدد من مرشده- دون الرسول ﷺ - في الدنيا والآخرة،[أي لو كانت هذه الاستغاثة والاستعانة غير جائزة لما استغاث!!] قال:

آسرا دنيا میں ہے از بس تماری ذات کا***تم سوا اوروں سے ہے ہرگزنہیں کچه التجا
بلکه دن محشرکے بهی جس وقت قاضي هو خدا ***آپ کا دامن پکڑ کر یه کهوں گا برملا
أي شاه نورمحمد وقت هے امداد کا)(٣)

الترجمة: ذاتك وحده فقط ملجئي في الدنيا ، وليس لي أي التجاء غيرك، بل وفي يوم المحشر عندما يكون الله قاضيا، سآخذ بثوبك وأقول علنا وجهارا، أيها السيد نور محمد[4] هذا هو وقت المدد.

وينقل بعضهم -بدون سندٍ كذبا وبهتانا- عن الإمام الشافعي -رحمه الله- أنه قال:

=

كتاب «پير بابا» لسيد بهادر شاه ص: ٤٣، ٥٢، وبعضهم بالغوا في الشيخ علي الترمذي هذا ووصفوه **بغوث الزمان**.يُنظر: «ذكرة سادات ترمذي» لمحمد عارف شاه الناظري ص: ٢٣وما بعدها.

(١) الدر النظيم لنادر شاه ص: ١٣، و«فقهي كشكول» لرشيد أحمد حقاني زروبوي ١٤٤، والذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٨، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:٥٠.

(٢) **إمداد الله:** هو إمداد الله بن محمد أمين التهانوي الصوفي شيخ الديوبندية المهاجر إلى مكة، توفي سنة ١٣١٧هـ.يُنظر ترجمته في: نزهة الخواطر لعبد الحي اللكنوي ٧٩/٨.

(٣) يُنظر: أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص:٧٦٤ محيلا إلى«ضياء القلوب» لإمداد الله المهاجر المكي ص: ٥٥.

(٤) **نور محمد:** هو مرشد الطريقة للحاج إمداد الله الديوبندي ثم المكي كما أشار إليه صاحب أنوار الإيمان، و لم أقف على ترجمته.

قبر موسى الكاظمِ[1] ترياقٌ[2] مجرّبٌ لإجابة الدعاء[3].

وقال البعض: قال الغوث الأعظم[4] -رحمه الله-: «من استغاث بِي في كربة كُشِفَتْ عنه، ومن ناداني باسمي في شدة فُرِجَتْ عنه، ومن توسل بي إلى الله في حاجة قُضِيَتْ»[5].

هذا عن المنتسبين إلى أهل السنة والجماعة، أما استغاثات الرافضة، واستعانالهم بغير الله فحدث ولا حرج؛ ومنها:

١- يقولون في عقب صلاة قائمهم المزعوم: «...يا محمد يا علي! يا علي يا محمد! اكفياني فإنكما كافياي، يا محمد يا علي! يا علي يا محمد! انصراني فإنكما ناصراي، يا محمد يا علي! يا علي يا محمد! احفظاني فإنكما حافظاي، يا مولاي يا صاحب الزمانِ، يا مولاي يا صاحب الزمان، يا مولاي يا صاحب الزمانِ، الغوث الغوث الغوث، أدركني أدركني أدركني، الأمان الأمان الأمان»[6].

---

(١) **موسى الكاظم**: هو أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي أمير المؤمنين الهاشمي ولد ١٢٨هـ وتوفي ١٨٣هـ يُنظرترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب١٣/٢٧، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٥/٣٠٨ والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/٦٢٣ في حوادث سنة ١٨٣.

(٢) **الترياق**: بكسر التاء، دواءُ السمومِ (فارسي معرب)، وهو معجون مركب من أجزاء كثيرة، ويطلق على ما لَهُ زهريةٌ ونفعٌ عظيمٌ سريعٌ.يُنظر: النهاية لابن الأثير١/١٨٨، ولسان العرب لابن منظور١/٦٠٦، وتاج العروس للزبيدي ١٣/٥٤.

(٣) ينظر: الوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٦١، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص٦٠.

(٤) يلقبون بهذا اللقب عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- ولا شك أنه لا يجوز لما فيه من الغلو.

(٥) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٧٣، ويُنظر: الوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٤٤ محيلا إلى نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة السيد عبد القادر لعلي القاري ص: ٤١.وكتاب «دخدائے نيازيين» لفقير محمد عباس قادريه ص: ٥٧.وقد سبق هذا النقل في باب الرجاء، والرد عليه من قول الشيخ الجيلاني.

(٦) مفاتيح الجنان للقمي ص:٧٧.

٢- وفي صلاتهم التي يسمونها بصلاة الاستغاثة بالبتول -عليها السلام- «فإذا سلّمت [من الصلاة] كبّر ثلاثا وسبح تسبيح فاطمة -سلام الله عليها- ثم اسجد، وقل: مئة مرة **يا مولاتي يا فاطمة أغيثيني**، ثم ضع خدّك الأيمن على الأرض وقلها مئة مرة، ثم ضع خدّك الأيسر وقلها مئة مرة، ثم عُد إلى السجود وقلها مئة وعشر مرات واذكر حاجتك...»[1] فهذه استغاثات بغير الله مجموعها أربعمائة وعشرة استغاثة.

٣- طريقة الاستغاثة بالله عند الرافضة من كتبهم المعتبرة أن «يصلي ركعتين ثم يسجد ويقول: **يا محمد!يا رسول الله! يا عليٌّ ! يا سَيِّدَيِ المؤمنين والمؤمنات بكما أستغيث إلى الله تعالى يا محمد! يا عليّ! أستغيث بكما يا غوثاه! بالله وبمحمدٍ وعليٍّ وفاطمةَ** وتسمي كُلاًّ من أئمتك، **ثم تقول: بكم أتوسل إلى الله تعالى**؛ فإنهم يغيثونك لساعتك إن شاء الله»[2].

الانحراف الثالث: الاستعانة والاستغاثة بالجن والأموات من مسافة بعيدة.

لقد لعب الشيطان على بعض الناس فجعلهم يستغيثون ويستعينون بالجن والأولياء الميّتين، من بُعْدٍ بعيدٍ وينادونهم بصوت جهوري مديد، ويغفلون عن الاستعانة والاستغاثة بالحي الذي لا يموت، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، ومن نماذج أقوالهم:

قال أحدهم: (إن الإنسان إذا ضاع له شيء وأراد أن يرده الله عليه، فليقف على مكان عالٍ مستقبل القبلة، ويقرأ الفاتحة، ويهدي ثوابها للنبي ﷺ، ثم يهدي ثواب ذلك

---

(١) كتاب الباقيات الصالحات الملحق بمفاتيح الجنان لعباس القمي ص: ٧٢٧.

(٢) كتاب الباقيات الصالحات الملحق بمفاتيح الجنان للقمي ص:٧٢٧.محيلا إلى كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

لسيدي أحمد بن علوان[١]، ويقول: «يا سيدي أحمد يا ابن علوان، إن لم ترد عليّ ضالتي، وإلا نزعتك من ديوان الأولياء» فإن الله يرد على من قال ذلك ضالته)[٢].

ونقل بعضهم في هذا حديثا ضعيفا[٣]وهو«إذ انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أحبسوا عليّ، يا عباد الله احبسوا عليّ، فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه»[٤].

وبعضهم نقل حديثا آخر وهو أيضا ضعيف:«إذا أضلّ أحدكم دابة، أو أراد عونا، وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل يا عباد الله! أعينوني، يا عباد الله أعينوني، يا عباد الله أعينوني، فإن لله عبادا لا تروهم» وهذا حديث حسن، ويحتاج إليه جميع المسافرين، وهذا مجرب[٥].

قال بعضهم عقب نقل هذا الحديث: (ثبت من هذا الحديث الاستمداد من الأحياء، وكذلك ثبت من الأموات بالموت الدنيوي، وذهب بعض الأفاضل إلى أن الاستمداد من الأموات بدعة، ولم يفعله أحد في الأزمنة الثلاثة المتبركة، فلعلهم لم يطلعوا على هذا الحديث، أو نُسّي منهم.والله أعلم)[٦].

---

(١) **أحمد بن علوان:** هو أبو العباس صفي الدين أحمد بن علوان اليماني الصوفي توفي عام ٦٦٥هـ يُنظر ترجمته في: طبقات الخواص للزبيدي ص: ٦٩، الأعلام للزركلي ١/١٧٠، ومعجم المؤلفين لكحالة ١/١٩٤ برقم(١٤٤٨).

(٢) يُنظر: الوسيلة لهمايون رشيد ص: ٤٣، وفي الذخائر لكفاية الله الداجوي: **إذا انفلتت دابة أحدكم فليصل ركعتين وليقرأ الفاتحة، فليقل يا سيدي أحمد بن علوان إن لم ترد عليّ ضالتي لنزعتك عن ديوان الأولياء** وهذا مجرب. يُنظر ص: ٨-٩. محيلا إلى رد المختار نهاية باب اللقطة(الهامش).

(٣) سيأتي الكلام عليه تفصيلا في المبحث الثالث إن شاء الله.

(٤) درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٦٨، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٧٣.

(٥) ينظر: سيف المقلدين لمحمد عبد الجليل البشاوري ص: ٣٨٤، ودرر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٦٨، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٧٤، و«خير الذاكرين» لنعمة الله المجاهد النقشبندي ص: ١٩٨، و«اختلافي مسائل كاحل» لمحمد أشرف چشتي ص:٢٧، وضياء الصدور للسواتي ص: ١٤.

(٦) يُنظر:سيف المقلدين لمحمد عبد الجليل البشاوري ص: ٣٨٥، و«خير الذاكرين» لنعمة الله النقشبندي ص: ١٩٨.

ويُورد بعضهم حديثا موضوعا[١] وهو «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور»[٢].

وصرح الأخر بأنه ليس بحديث لكن المعنى صحيح حيث قال: «قيل: وليس بحديث كما توهم: "إذا تحيّرتم في الأمور فاستعينوا من أصحاب القبور" أي أصحاب النفوس الفاضلة، فعلم أن المفسر[٣]، إنما ذكر الرد على كونه حديثا لا على نفس مضمونه »[٤].

---

(١) قد تقدم تخريجه والحكم عليه ص: ١٠٠، و٢٢٢ .

(٢) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٨.

(٣) يقصد بالمفسر الألوسي صاحب روح المعاني، ولكن نقله هذا معارض لما ينقله في ص:٤٤ والمفسر الألوسي -رحمه الله- لا يوافق على مضمونه كما ادعاه حيث قال -رحمه الله-: ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله الصالحين:يا فلان! ادع الله تعالى ليرزقني كذا وكذا، ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة، ويروون عن النبي ﷺ أنه قال: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور، أو فاستغيثوا بأهل القبور وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل.يُنظر: روح المعاني للألوسي عند تفسير الآية(٣٥) من سورة المائدة.فكيف يصح دعواه أن المفسر لم يرد على نفس المضمون!!!.

(٤) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٤٣.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالاستعانة، والاستغاثة

إن الله ﷻ خلق العباد لعبادته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ومن تلك العبادات التي خلق الله عباده من أجلها الاستعانة به في جميع الأمور، والاستغاثة به في الشدائد والمكروبات، ودعاؤه عند الحاجات ونحوها. ووصف الله نفسه أنه يجيب دعوة من دعاه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2].

وقد حرّم الله ﷻ دعاء غيره في الملمات وغير الملمات في أكثر من موضع في كتابه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[4]، فإذا حرم دعاء غير الله والدعاء يكون في حالة الرخاء، حرم الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله بطريق أولى؛ لأن الدعاء جنس والاستغاثة من أفراد دعاء المسألة، وإذا حرم الأصل حرم الفرع إلا إذا دل دليل على الاستثناء وهو لا يوجد هنا، بل أكد الله ﷻ تحريم الاستغاثة بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[5].

وكما حُرِّمت الاستغاثة بغير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله حُرّمت الاستعانة بغيره كما في حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تَجِدْهُ تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا**

(١) سورة الذاريات (٥٦).

(٢) سورة البقرة (١٨٦).

(٣) سورة يونس (١٠٦).

(٤) سورة الجن (١٨).

(٥) سورة النمل (٦٢).

استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وجَفَّتِ الصحفُ»(١).

وقال النبي ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز...**»(٢).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له! من يسألني فأعطيه! من يستغفرني فأغفر له!**»(٣).

فهذه الأدلة وغيرها تحث على الاستعانة والاستغاثة بالله، ودعاء الله وحده، مباشرة من دون جعل المخلوقاتِ وسائطَ، فضلا أن يستغاث أو يستعان بغير الله.

وأما ما استدل به المنحرفون في إقليم سرحد وغيره من الأدلة على جواز الاستعانة والاستغاثة بغير الله في الشدائد والمكروبات؛ فهي كما تقدم إما قصص وروايات بدون إسناد، أو أسندوها إلى من ليس قوله مستندا شرعيا، أو أحاديث ضعيفة، وبعضها موضوعة متقوَّلة على سيد البشر ﷺ، أو نصوص صحيحة، لكن استدلالهم بها على الاستغاثة والاستعانة بغير الله خطأ فاحش، كما سيظهر ذلك في تفنيد استدلالاتهم الباطلة وبالله التوفيق.

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو الاستغاثة والاستعانة بالأنبياء.

إن موقف الإسلام في الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو ما هو فوق الأسباب الظاهرة- واضح وهو عدم جواز الاستغاثة والاستعانة بغير الله سواء كان هذا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقاق، باب (٦٠) (ح٢٥١٦)، والإمام أحمد في مسنده١/٢٩٣، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني وأحمد محمد شاكر، يُنظر: صحيح سنن الترمذي للألباني٢/٦١٠(ح٢٥١٦)، ومسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر٣/١٩٤(ح٢٦٦٩).

(٢) سبق تخريجه في فصل التوكل.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل٣/٣٨(ح١١٤٥)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء...٦/٢٧٩(ح١٧٦٩).

الغير نبيا أو وليا أو ملكا أو جنيا، كما تقدمت جملة من الأدلة عليها، بل المقصد الأسمى من إرسال الرسل هو إفراد الله بالعبادة، والاستغاثة والاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله من أجلّ العبادات، ولذلك قال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[(1)]»[(2)].

وما استدل به المخالف من حديث الشفاعة من استغاثة أهل الموقف بآدم ثم موسى ثم محمد صلّى الله عليهم وسلّم كما تقدم في بيان الانحرافات، فلا يدل على الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ لأن غاية ما في الحديث جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ فيما يقدر عليه، وهو أن يشفع لهم عند الله ليقضي بين الخلق كما يفسر الحديث الرواية الثانية عند البخاري نفسه وليس فيها لفظ «**استغاثوا بآدم**»، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك ؟ يُجمَع الناسُ – الأولين والآخرين– في صعيد واحد يُسمِعهمُ الداعي، ويَنْفَذُهُمُ البصر، وتدنو الشمسُ فيَبْلُغُ الناسَ من الغمِ والكربِ ما لا يطيقون، ولا يَحتمِلون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم** عليه السلام **فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بِيدِه، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يَغْضَبْ قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى**

---

(١) سورة غافر (٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير باب ومن سورة المؤمن ص٧٣٤(ح٣٢٤٧) وأبو داود في سننه كتاب الصلاة باب الدعاء ص: ٢٥٥(ح١٤٧٩) وابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب فضل الدعاء ص: ٦٣١(ح٣٨٢٨) وأحمد في مسنده٤/٢٦٧، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وصححه الألباني يُنظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٣/٣٢٤ برقم(٣٢٤٧) وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين، غير يُسيع، ويقال: (أسيع) وهو ثقة.ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنوؤط٣٠/٢٩٨ برقم(١٨٣٥٢).

غيري...» [1]، فالحديث لا يدل على الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وغاية ما فيه هو الطلب من المخلوق مما يقدر عليه المخلوق، وهو دعاء الله ليقضي بين المخلوقات، وهذا جائز، بأن يطلب أحد ممن ترجى إجابة دعائه أن يدعو، كما في أحد أنواع التوسل المشروع وهو التوسل بدعاء رجل صالح[2].

وما استدل به المخالف من الأقوال المنسوبة إلى العلماء على جواز الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهي حكايات منسوبة إلى العلماء ولا أسانيد لها، ولا يقبل في الدين أحاديث منسوبة إلى المصطفي ﷺ إذا لم يكن لها أسانيد معروفة صحيحة، فما بالك بقصص منسوبة بدون أسانيد إلى من ليس قوله ولا فعله حجة؟!، ثم على فرض صحة أسانيدها؛ فكل قول يُعرض على الكتاب والسنة، فإن وافقهما قُبل، وإلا رُدّ على صاحبه، كما قال الإمام مالك وغيره -رحمهم الله-: كل أحد يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول ﷺ[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً﴾[4] «ففي هذه الآية إنكار عام على كل من دعا من دون الله شيئا، جنيا كان أو نبيا، فكلمة (الذين) في الآية اسم موصول، والأسماء الموصولة من صيغ العموم عند الأصوليين والنحويين، كما هو مقرر في هذين العِلْمَين. فقوله يعم كل من دعي من دونه تعالى في كشف الضر أو تحويله، فعمَّ الأنبياء والصالحين وغيرهم من الملائكة والجن، فدعاء هؤلاء لا يجوز، فإنه دين الجاهلية والمشركين، وصور هذا الدعاء كثيرة: فمنها: النداء

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب التفسير باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ٥٠٢/٨ (ح٤٧١٢).

(٢) سيأتي بيان التوسل المشروع من الممنوع في فصل التوسل والشفاعة ص: ٤٨٧.

(٣) هذا الكلام وما في معناه ينسب إلى الإمام مالك وغيره-رحمهم الله- ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٩٣/٨، و٧٣/١٠، ٦٨/١٢، كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني٩٥٦/٢.روح المعاني للألوسي ٨/ ٢٧٥ عند تفسير الآية (٩٢) من سورة يونس، وفتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص: ٣٦٢، ٣٦٦.إرواء الغليل للألباني ٢/ ٢٦٥ تحت رقم(٤٩٦) ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤٤/٦.

(٤) سورة الإسراء (٥٧).

للموتى أنبياء أو غيرهم كما هو ظاهر الآية، ومنها الاستغاثة فالأنبياء والصالحون بعد مماتهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا، فكيف يملكون لغيرهم؟!»[1].

وما نُسب إلى أشرف علي التهانوي -رحمه الله- كما تقدم في بيان الانحرافات مخالف لنص القرآن الكريم وهو قولة تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

وتكبُر الفرية إذا نُسبت الأقوال المنحرفة إلى أولئك الأعلام، الأئمة كزين العابدين، وأبي حنيفة، والشافعي، وأبي يوسف وأمثالهم، وقد صح عنهم إنكارهم على من توجه إلى غير الله في طلب الحوائج.

حيث كان من أدعية زين العابدين -رحمه الله- « **اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكلني إلى مخلوقين فيُضيّعوني**»[5]، فهو -رحمه الله- يسأل الله أن لا يَكِلَهُ إلى المخلوقين، فهل يُعقل بعد هذا أن ينادي أحد المخلوقين ويقول: أدركني!! هذا من جهة.

ومما يدل أن هذا الكلام متقوَّل عليه -رحمه الله- ركاكة اللفظ والعجمة اللتان قد لا يتلفظ بهما طالب علم، فضلا أن يتلفظ بهما الإمام زين العابدين العربي القرشي.

---

(١) كتاب« هذه مفاهيمنا» لصالح آل الشيخ ص: ٤٦-٤٧.

(٢) سورة النمل (٦٢).

(٣) سورة التوبة (١١٨).

(٤) سورة المؤمنون (٨٨).

(٥) يُنظر كلامه هذا وغيره مما يدل على تقواه، ولجوئه إلى الله دون سواه، في مصادر ترجمته مثل: سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٩٦/٤، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٨٢/٤١، وغيرها.

ومن جهة أخرى كيف يقول هو: «**أدرك لزين العابدين**» مع أن اسمه عليٌّ، وزين العابدين لقبٌ اشتهر به بين الناس لِحُسن عبادته وكثرتها، وهو لم يلّقب به نفسه، لما فيه من التزكية، فكيف يقول لنفسه زين العابدين، وهو من أورع الناس وأبعدهم من الرياء والسمعة!!.

ولا يرى أبو حنيفة وصاحباه -رحمهم الله- أن يسأل أحدٌ شيئا من الله بحق المخلوق، وقالوا: «يُكره للرجل أن يقول في دعائه: أسألك بحق أنبيائك ورُسُلك وبحق فلان؛ لأنه لا حق لأحد على الله ﷻ»[1].فهم لا يرون أن يسأل أحدٌ ربه بحق مخلوقه، فكيف يُظَن بأحدهم أنه يطلب شيئا من المخلوق؟! أو يقول للرسول ﷺ: جُد لي بجودك وأرضني برضاك؟! أو يطمع في الجود منه؟!

وهكذا الشافعي -رحمه الله- يرى كفر من اعتقد **أن غير الله يفعل ما يُلتمس منه**، قال -رحمه الله- في حكم الساحر: «قلنا له صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل[2]من التقرب إلى الكواكب السبعة، **وأنها تفعل ما يلتمس منها**؛ فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته فهو كافر»[3].

فمن يقول: إن أبا حنيفة أو الشافعي أو غيرهما من الأئمة كانوا يستغيثون أو يستعينون بغير الله في أمورهم ومشكلاتهم، فقد افترى عليهم، ونقول في شأن من كذب على هؤلاء الأئمة والعلماء ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[4] ولا تدل نسبة الأبيات أو الأقوال إليهم بدون السند، أن يكون معتقدهم ما نسب إليهم، بل هو من البهتان عليهم، إن لم يأتوا عليه بالشهادة من كتبهم أو كتب تلاميذهم المعروفين.

---

(١) بدائع الصنائع للكاساني كتاب الاستحسان، ما يكره من الدعاء ٥٠٤/٦ وينظر كذلك: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص: ٢٩٧.

(٢) **بابل**: اسم لناحية من الكوفة والحِلة ينسب إليها السحر والخمر، وقيل: اسم للعراق، وقيل: للكوفة.يُنظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٦٧/١ برقم (١٢٦٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٤٧/١ عند تفسير الآية(١٠٢) من سورة البقرة.والمغني لابن قدامة٣٠١/١٢ فصل في السحر.

(٤) سورة النور (١٦).

وقد تقدم أن الكلام المنسوب إلى الرسول ﷺ الذي أمرنا بأخذ كلامه والعض عليه بالنواجذ، لا يقبل بمجرد النسبة إليه- كالأحاديث المتقولة والموضوعة- بل لا بد من ثبوتها، فما بالك بكلام غيره من الأئمة، ثم العلماء المتأخرون كلامهم دون كلام المتقدمين، فلمّا لم يُقبل أيُ قولٍ منسوب إلى الأئمة المتقدمين، إلا بعد ثبوته عنهم، وأن يوافق كلامهم الكتاب والسنة، فالقول المنسوب إلى أي عالم متأخر أولى أن لا يقبل إلا بالشرطين المذكورين.

وأما استدلال المخالف بجواز قول: «**يا رسول الله**» فهذه المسألة تحتاج إلى مقدمة موجزة لتسهل معرفة موقف الإسلام من هذا النداء لأن كلمة «يا» حرف نداء ومعناها: «أدعو» وللنداء أو الخطاب بدون حرف النداء صور متعددة، ولكل صورة حكم يختلف عن حكم الصورة الأخرى وهي:

١- أن يخاطب تخيلا كما يخاطب الشعراء تَخَيُّلاً، بأن يستحضر شيئا من الأشياء فيخاطبه كأنه يتكلم معه وهو حاضر، كقول:

فيا شجر الخابور مالك مورقا...كأنك لم تجزعْ على ابن طريفِ (١)

فالمتكلم لا يعتقد في هذا أن المخاطب يسمع كلامه، أو يجيب ما يريد منه، وليس فيه طلب شيء، بل هذا مجرد خيال واستحضار ذهني لا غير، فهذا ليس مما نحن فيه، فإن قال أحد: «يا رسول الله» بهذه الصورة فلا بأس به. واجتنابه أولى وأحوط، لانتشار الاستغاثة به ﷺ عند بعض الناس، فيظن ظان أنه يستغيث به ﷺ.

٢- أن ينادي المحب محبوبه بصيغة الخطاب، ولا يعتقد أنه يسمعه أو يجيب ما يريد منه، كما ينادي النادب تفجعا على المندوب(٢) وإعلاما منه، أنه قد وقع في أمر عظيم وخطر جسيم،

---

(١) البيت لفارغة بنت طريف الشيبانية، قالته في أخيها الوليد بن طريف الشيباني الشاري رأس الخوارج، لما قتله يزيد بن مزيد بأرض يقال لها الخابور في زمن هارون الرشيد، يُنظر: البداية والنهاية لابن كثير١٣/٥٩٧ حوادث سنة ١٧٩، وفيات الأعيان لابن خلكان٦/٣١ رقم(٧٧١).

(٢) **المندوب**: هوعند النحاة: الاسم المتفجع عليه بـ (يا) أو (وا) يُنظر: التعريفات للجرجاني ص: ٢٨٧، ودستور العلماء للنكري ٣/٣٥٠.

كقول البعض: (وا إسلاماه) فهو يعلم ويعتقد أن من يناديه لا يسمع ولا يستطيع إجابته في شيء، لكن لإظهار الحزن يستعملون هذه الصيغة، وهذا أيضا ليس مما نحن فيه؛ فإن استعمل « يا رسول الله » بهذا المعنى، فهذا أيضا لا بأس به، ولكن اجتنابه أولى وأحوط، وأبعد من الشبهة؛ لانتشار الاستغاثة به ﷺ عند بعض الناس، فيظن ظان أنه يستغيث به ﷺ.

٣- أن يقول الرجل في الصلاة على النبي المختار خارج الصلوات: «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» ويعتقد أن لله ملائكة مكلفون بإبلاغه صلاة أمته عليه إذا صلوا عليه، وهؤلاء الملائكة سيبلغون هذه الصلاة بهذه الصيغة إلى النبي ﷺ، فهذا وإن كان جائزا، لكن الأفضل ما كان بصيغةٍ غير الخطاب، وخاصة عند انتشار العقيدة الباطلة عند بعض الناس، أن النبي ﷺ حاضر وناظر في كل مكان كما تقدم بيان هذا المعتقد والرد عليه في فصل التعظيم والطاعة.

٤- أن ينادي الرجل «**يا رسول الله**» ويعتقد أن رسول الله يسمعه في قبره -وإن كان هذا القائل بعيدا عن قبره- فهذا الكلام بهذا المعتقد غير جائز، وقد تقدم التفصيل فيه في فصل التعظيم والطاعة. ويؤيد عدم سماع النبي ﷺ سلام وصلاة أمته عليه مباشرة -دون تبليغ الملك- الأحاديث الصحيحة المروية، كحديث: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»(١)، وحديث: «**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام**»(٢) فهذه الأحاديث وغيرها دالة على أن صلاة وسلام أمته عليه تبلغه الملائكة؛ لأنه إذا كان يسمعه لم تكن حاجة إلى مبلِّغٍ من الملائكة لِيبلغه الصلاة والسلام عليه.

---

(١) رواه أبو داود في سننه كتاب المناسك باب زيارة القبور ص: ٣٥٣(ح٢٠٤٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود له ٥٧١/١ برقم ٢٠٤٢.

(٢) رواه النسائي في سننه كتاب السهو باب السلام على النبي ﷺ ص: ٢٠٨ (ح١٢٨٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن النسائي للألباني٤١٠/١ برقم (١٢٨١).

٥- أن ينادي الرجل «يا رسول الله» باعتقاد أن النبي ﷺ حاضر وناظر، ويسمع كلام كل أحد حيث كان؛ لأنه معه على زعمه، فهذا المعتقد باطل ومخاطبته ﷺ بهذا المعتقد غير جائزة وقد تقدم التفصيل فيه في فصل التعظيم والطاعة.

٦- أن ينادي الرجل عند قبره ﷺ بقوله: «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» ويعتقد أن الملائكة المكلفين بإبلاغه صلاة أمته عليه سيبلغونه، فهذه الصورة مثل الصورة الثالثة في الحكم، وإن اعتقد أن النبي ﷺ يسمعه بنفسه، ويجيب على من سلّم عليه عند قبره، فهذا يلحق بالصورة الرابعة.

٧- ويعتقد بعض الناس أن النبي ﷺ حي في قبره كحياته في الدنيا غير الحياة البرزخية، وهي أيضا عقيدة باطلة، وقد تقدم التفصيل فيها في فصل التعظيم والطاعة، ولم يرد دليل صحيح يفرِّق بين الصلاة والسلام عليه من مكان بعيد أو عند قبره ﷺ.

وأما حديث: «**من صلّى عليَّ عند قبري سمِعْتُهُ، ومن صلّى عليَّ نائيا أُبْلِغْتُهُ**»[١]، فضعيف[٢] وأما بلفظ: «**من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيا وُكِّل بها ملك يبلغني، وكفي بها أمر دنياه وآخرته، وكنت له شهيدا أو شفيعا**»[٣] فقد قال الألباني -رحمه الله-: «موضوع بهذا التمام»[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/٢١٨ (ح١٥٨٣).

(٢) الحديث ضعيف؛ لأن في سنده العلاء بن عمرو الحنفي، قال الذهبي: متروك. ينظر ميزان الاعتدال للذهبي ٣/١٠٣ برقم ٥٧٣٧، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال. يُنظر: المجروحين لابن حبان ٢/ ١٨٥.

(٣) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٣/٢٩١، وقال ابن الجوزي: وهذا الحديث لا يصح. يُنظر: الموضوعات له باب ذكر سماعه لصلاة من يصلي عليه ١/٣٠٣ برقم (٥٦٢).

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/٣٦٦ برقم (٢٠٣)، وفي تعليقه على الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات للألوسي، قال -رحمه الله-: «وأما حديث " من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا أبلغته " فهو **موضوع** كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى "٢٧/٢٤١وقد خرجته في " الضعيفة" (٢٠٣). ولم أجد دليلا على سماعه ﷺ سلام من سلم ». الآيات البينات بتحقيق الألباني ص: ١١٢-١١٣.

٨- أن يعتقد الرجل أن النبي ﷺ يسمع كلامه -عند قبره أو بعيدا عنه-، ويستطيع إغاثة من استغاث به، فيستغيث به ويقول: «**يا رسول الله**» بنية الاستغاثة منه، أو يستغيث صريحا بأن يقول: «**أغثني يا رسول الله**» ونحوها من الاستعانات والاستغاثات به، فهذا مما نحن فيه وهذا الكلام بهذا المعتقد باطل من وجوه عديدة من أهمها:

الأول: أن سماع النبي ﷺ -بعد موته- لأصوات أمته لم يرد فيه شيء إلا تبليغ الصلاة والسلام عليه بواسطة الملائكة، فلا يقاس عليه غيرهما، لأن هذا ليس مجالا للقياس.

ثانيا: لم يثبت عن أحد من الصحابة أو غيرهم من السلف الصالحين أنهم نادوا رسول الله ﷺ، واستغاثوا به، أو بغيره عند المشاكل والملمات، مع كثرة الوقائع الملمة!!!.

ثالثا: لقد ورد في القرآن صريحا منع دعاء غير الله، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾(١).

وقوله تعالى: «من دون الله» يشمل كل من هو دون الله من نبي، أو ولي، أو ملك، أو غيرهم، لأن كل هؤلاء دون الله، ولذلك جاء بكلمة «مَن» في قوله:«**من لا يستجيب**» وكلمة«**من**» التي هي لذوي العقول، دون كلمة «ما» التي تستعمل غالبا لغير ذوي العقول، والدعاء يشمل الاستغاثة والاستعانة وغيرهما مما فيه طلب العون والمدد؛ فمُنع دعاء كل من هو دون الله سواء كان ملكا، أو نبيا، أو وليا، أو غيرهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(٢).

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره : «"**إِن تَدْعُوهُمْ**" لا يسمعوكم لأنهم ما بين جماد، وأموات، وملائكة، مشغولين بطاعة ربهم. "**وَلَوْ سَمِعُوا۟**" على وجه الفرض والتقدير "**مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ**" لأنهم لا يملكون شيئا، ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عَبَدَه، ولهذا قال:

---

(١) سور الأحقاف (٥).

(٢) سورة فاطر (١٣-١٤)

"وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ" أي: يتبرؤون منكم، ويقولون: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾[1] "وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ" أي: لا أحد ينبئك، أصدق من الله العليم الخبير، فاجزم بأن هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا تمتر. فتضمنت هذه الآيـات، الأدلة والبراهين الساطعة، الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئا من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده شيئا»[2].

وأتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: أنت رسول الله؟ قال: «**أنا رسـول الله الـذي إذا أصابك ضرٌّ؛ فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام سنة فدعوته أنْبَتَهَا لك، وإذا كنت في أرض قفر أو فلاةٍ فضلت راحلتك، فدعوته ردها عليك**» [3].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الله هو وحده يكشف الضر دون من سواه، فهو وحده المستحق أن يستغاث به دون أيِّ مخلوق مهما كان، ولم يرشد الرجل إلى دعوة نفسه في الشدائد والمكاره، حيث لم يقل النبي ﷺ : كشفتُه، ولا قال: أنبتُها ، ولا قال رددتُها بل أرشده إلى من يستطيع كشف الضر، وإنبات النبات، و ردّ الضالة، وهو الله وحده لا شريك له.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الاستغاثة والاستعانة بالأولياء.

إن موقف الإسلام من هذا الانحراف كموقفه من الانحراف السابق، لأننا إذا علمنا أن الاستغاثة بالأنبياء محرمة؛ فبغيرهم محرمة بطريق الأولى، لأن الأولياء ما صاروا أوليـاء إلا بشدة التمسك بما جاء به الأنبياء، فإذا حرمت الاستغاثة والاستعانة بالأنبياء فـبمن دونهم أولى أن تكون محرمة.

---

(١) سورة سبأ (٤١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص:٨٠٦، ويُنظر: روح المعاني للألوسي٢٢/٢٧٠عند تفسير الآية (١٤) من سورة فاطر.

(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب اللباس باب ما جاء في إسبال الإزار ص: ٧٣٠(ح٤٠٨٤) والإمام أحمد في مسنده ٤/٦٥ وصححه الألباني ومحققو المسند يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٢/٥١٦ (ح٤٠٨٤) والمسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٢٧/١٦٤ برقم (١٦٦١٦).

وما استدل به المخالف من الأقوال والقياسات، فالاستدلال به باطل، لأن الدليل الشرعي هو الكتاب والسنة الصحيحة كما تقدم الكلام عليه بالتفصيل في الفقرات السابقة.

وقول المخالف: «**من يستمد منه في حياته يستمد منه بعد وفاته**» أو «إن الأولياء يدمرون أعداءهم وينصرون أولياءهم، أو أنه بعد الموت أقوى في التصرف، أو أرواحهم يمدون من استغاث بهم ونحو ذلك من الأقوال[1] التي تقدمت في بيان الانحرافات كلها باطلة، يبطلها القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[2].وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾[3].

ومن السنة قوله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[4].

والأولياء ليس لهم تصرف في الكون، لا في حياتهم ولا بعد مماتهم، بل وليس لهم التصرف في أنفسهم، ولو كان لهم ذلك ما ماتوا، فكيف يكون لهم تصرف في الكون أو في غيرهم، وإنما الذي يتصرف في الكون هو الله ﷻ يتصرف فيه كيف يشاء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[5] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى

---

(١) سبق الرد على بعض هذه الأقوال يراجع فصل الرجاء.

(٢) سورة الأعراف (١٩٤).

(٣) سورة الأعراف (١٩٧).

(٤) سبق تخريجه في أول المبحث الثالث.

(٥) سورة القصص (٦٨).

ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(1). والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

وقول المخالف: إن تصرف الميت أقوى من تصرف الحي، كما هو باطل شرعا، كذلك هو باطل عقلا، والميت ليس له تصرف أصلا، ألا ترى أن الميت -ولو كان وليا- يُغَسِّله الناس، ويجرّده من اللباس، ويحملونه على الأكتاف، ويدفنونه تحت التراب، فكيف يعقل له تصرف!! ثم كيف يقال: إن تصرف الميت أقوى من الحي؟!؟! والحي على أقل التقدير يستطيع أن يستنقذ نفسه من الحشرات، وأما الميت فلا يستطيع ذلك، بل جميع ما يدعونه من دون الله لا يستنقذون شيئا من الذباب، وهو أضعف الحشرات، فليس لهم أي تصرف فضلا أن يكون تصرفهم أقوى، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾(2).

وكيف يقال: إنهم ينصرون أولياءهم، ويدمرون أعداءهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾(3)وقال تعالى: ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(4)؛ فالناصر هو الله ﷻ.

ولو كانت للأولياء والشهداء تصرف في الكون لدمروا أعداهم الذين قتلوهم في المعركة، فإذا لم يفعلوا ولن يفعلوا، لأن الأمر كله لله، عُلِم أن القول بتصرف الأولياء أو الشهداء أو غيرهم من دون الله، من أبطل الأقوال التي لا تستند إلى عقل سليم، ولا إلى نقل

---

(1) سورة الأعراف (٥٤).

(2) سورة الحج (٧٣).

(3) سورة آل عمران (١٣).

(4) سورة الروم (٥).

صحيح. ولهذا أفتى المحققون من العلماء –وخاصة من الحنفية– بتكفير من اعتقد تصرف الأموات في الأمور، حيث قالوا: (من ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله كفر)(١).

وهذا المعتقد الباطل لم يأت إلا لاعتقادهم أنهم يعلمون جميع ما في الدنيا، أو هم حاضرون بأرواحهم، وقد ردّ علماء الحنفية على هذا المعتقد حيث قالوا: (من قال أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر)(٢).

وأما الشبهة التي استدل بها المخالف على جواز طلب كشف الضر من المشايخ والأموات، بما جاء عن قوم فرعون حيث قالوا لموسى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ (٣) كما تقدم في بيان الانحرافات، فشبهتهم داحضة، لأنهم لم يطلبوا أن يكشف عنهم موسى ذلك، وإنما طلبوا من موسى ﷺ أن يدعوَ ربه ليكشف عنهم ما نزل بهم، كما هو مصرح به في الآية نفسها قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾(٤). فقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ﴾ يدحض شبهتهم واستدلالهم بالآية، ولم يبق مجال أن يقال: إن موسى ﷺ لم ينكر عليهم طلب كشف الرجز من المخلوق، لأنهم لم يطلبوا كشف الرجز من المخلوق أصلا، ولهذا فسر القرطبي –رحمه الله– قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ (٥)بقوله أي: « بدعائك لإلهك حتى

---

(١) البحر الرائق لابن نجيم كتاب الصوم باب النذر٢/٥٢٠ وحاشية رد المحتار لابن عابدين، مطلب النذر الذي يقع للأموات ٢/٤٨٣، وحاشية الطحطاوي على المراقي كتاب الصوم باب ما يلزم به الوفاء ص: ٦٩٣، والفتاوى الرشيدية لرشيد أحمد الجنجوهي(بالبشتو) ص: ١٢٠،١١٨، ١٥٣.

(٢) الفتاوى البزازية على حاشية الفتاوى الهندية ٦/٣٢٦، البحر الرائق لابن نجيم كتاب السير باب أحكام المرتدين٥/٢٠٩، ومجمع الأنهر للكليبولي كتاب السير، باب المرتد، ألفاظ الكفر٢/٥٠٥، و((اختلاف أمت)) للديانوي بالأردية) ص: ٣٨ و(بالبشتو) ص: ٥٨.

(٣) سورة الأعراف (١٣٤).

(٤) سورة الأعراف (١٣٤-١٣٥).

(٥) سورة الأعراف (١٣٤).

يكشف عنّا»[1]. فهو من باب التوسل بدعاء رجل صالح قادر على الدعاء وهو جائز كما سيأتي مفصّلا في فصل التوسل، والآية التي بعد ها أيضا تدل دلالة واضحة على دحض شبهتهم هذه؛ حيث قال تعالى:﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ ﴾ ولم يقل: فلما كشف موسى عنهم الرجز.

وأما تأويلات المخالفين التي ذكروها في قولهم: «**يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله**» كلها باطلة ومردودة، ولا يجوز هذا القول بحال من الأحوال، ولا تأويلٍ من التأويلات، لأن فيه طلب شيء من المخلوق مما لا يقدر عليه إلا الله، سواء طلب منه إعطاء شيء أو إمداد شيء، أو غيرها مما ذكروا من التأويلات، وقد فصّل القول في عدم جواز هذا القول الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي -رحمه الله- في فتاواه وقال: (قراءة «**يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله**» لا يجوز بوجه من الوجوه، ثم سرد -رحمه الله- الوجوه المحتملة وردّ على كل وجه تلو الآخر، وأبطلها كلها [2].

ولا يقال إن طلب قضاء الحاجات من المخلوق مجاز؛ لأن المجاز -وإن قلنا بجوازه[3]- لا يصار إليه إذا كانت فيه مفسدة، أو خطر على المعتقد كما هو موجود ههنا، ولا يقاس هذا على قول الناس: أنبت الربيع البقل، أو أنبت الماء العُشبَ، لأنه لا يمكن أن يعتقد الناس في الربيع والماء، بأنهما ينبتان العشب والبقل -الإنبات الحقيقي-، وأما الأنبياء والصالحون فيمكن أن يعتقد فيهم بعض الناس أنهم شركاء لله، بل وفعلاً جعلهم البعض آلهة مع الله؛ فيمنع المجاز في قول البعض: أَنْزَلَ الشيخُ الفلاني المطرَ، وأنبت محمد رسول الله العُشبَ، أو أنبت الشيخ الجيلاني البقلَ. دون قولهم: أَنْبَتَ الربيع البقل.أو أنبت الماء العشبَ؛ لوجود العقيدة الفاسدة في المشايخ والأنبياء دون الربيع والماء.هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: هناك فرق بين الإخبار والطلب، فيجوز في الإخبار ما لا يجوز في الطلب، فلا مانع أن يقول أحدٌ: أنبتَ الربيعُ البقلَ -إخبارا-، ولا يجوز أن يقول

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٥/٩.

(٢) يُنظر: الفتاوى الرشيدية للجنجوهي(بالبشتو) ص: (١٥٣- ١٥٩).

(٣) والصحيح الأرجح عدم جواز المجاز في باب العقائد يراجع فصل الذكر والدعاء.

أحد: يا ربيعُ أَنْبِتِ البقلَ -طلبا- لأن المخبر في الإخبار يخبر عما يظهر له ويبدو له، والطالب كطالب الاستغاثة والمدد من المشايخ والأموات يكون راجيا ضارعا مؤملا أن ينال أو يدرك المطلوب، وهذه المعاني كلها من معاني العبادة، فلا يجوز صرفها لغير الله.

ومن جهة ثالثة يقال: ما الذي جعل هؤلاء الذين يدعون المشايخ والأموات يعدلون عن الحقيقة إلى المجاز؟ ولماذا لا ينطقون ويصرحون بما يريدون؟ إن كانوا يريدون بكلامهم هذا البلاغة، فلا ريب أن الذي يتفوهون به لا بلاغة فيه، وإن كانوا يزعمون أن هذا أقرب إلى الإجابة، فهذا هو الغلط والانحراف، لأن دعاء الأموات بزعم أنهم يشفعون لهم، أو يرفعون حاجاتهم إلى الله، يكون مثل قول المشركين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(١) ولمزيد من التفصيل يقال:

إن السبب الحقيقي الذي تسبب في انحراف كثير من هؤلاء الناس، زعمهم أن من اعتقد في غير الله أنه يخلق العون، أو يخلق الشيء المطلوب فهو شرك، وأما من اعتقد أن غير الله ليس بخالق لكن المستعان به من المخلوق هو من مظاهر العون، فمن طلب منه العون أو استغاث به فهذا ليس بشرك، فلذلك يستغيثون بالمخلوقات من الأولياء وغيرهم ويستنجدون بهم في المهلكات والملمات، ويقولون: إننا لم نطلب منهم أن يخلقوا لنا العون أو الشيء المطلوب بل هو خاص بالله، وإنما نطلب منهم؛ لأنهم مظاهر العون أو يشفعون لنا عند الله، ونحو ذلك كما تقدم في بيان الانحرافات.

فيقال: إن هذا القول مثل قول مشركي مكة الذين كانوا يُقرّون بخالقية الله ﷻ حيث قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾(٣)ومع ذلك قالوا عما اتخذوا من دون الله أولياء: هؤلاء شفعاؤنا عند الله أو هؤلاء يقربوننا إلى الله زُلفى، قال الله تعالى عنهم:

---

(١) سورة يونس (١٨).
(٢) سورة الزخرف (٩).
(٣) سورة الزخرف (٨٧).

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[(٢)].فهم قاموا بعبادتهم؛ لظنهم أنهم يقربوهم إلى الله زلفى، وهؤلاء أيضا يصرفون لهم الدعاء الذي هو من أفضل أقسام العبادات اللسانية، فينادونهم بقولهم: «**يا شيخ الفلاني أعطني ولدا**[(٣)]، أو **يا شيخ الفلاني شيئا لله**[(٤)]» لزعمهم أن عندهم قوة الإعطاء، ولظنهم أنهم يشفعون لهم، أو يقدمون أسئلتهم إلى الله ويقربهم إليه. والاستغاثة بهم، أو النداء بأسمائهم من أقسام الدعاء، وقد تقدم في المطلب الأول من هذا الفصل أن الدعاء من أفضل العبادات القولية.

وما استدلوا به من الأبيات المنسوبة إلى بعض العلماء والمشايخ، وهي وإن كانت عن أمثالهم، بل ومشايخهم من المستغيثين والمستعينين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مع ذلك يقال لهم -كما مر مراراً-: إن الدليل الشرعي على جواز الشيء أو عدمه، إنما هو ما كان من الكتاب والسنة، لا أقوال أفراد الأمة، بل كل قول غير قول الله، وقول رسوله، يعرض على الكتاب والسنة فإن وافقهما أخذ به، وإلا ردّ القول على صاحبه كما قال ذلك الإمام مالك وغيره -رحمهم الله- [(٥)]. وقد منع الله ورسوله الاستعانة والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وقد سبق جملة من الأدلة في هذا.

وخلاصة الكلام في المجاز: أنه لو فتح باب هذا التأويل على مصراعيه كما يدَّعون، لما صح حكم الكفر والشرك على أحد ممن يصرفون العبادة لغير الله، وإن سبّ الله ورسوله، أو ادعى الألوهية لجواز أن يريد هو المجاز فقول فرعون: أنا ربكم الأعلى يكون

---

(١) سورة يونس (١٨).

(٢) سورة الزمر (٣).

(٣) كما صرح به البعض يُنظر الانحراف الثاني من المبحث الثاني ص: ٣٩٧.

(٤) كما في وردهم:« يا شيخ عبد القادر شيئا لله» يراجع فصل الأول من هذا الباب.

(٥) وقد تقدم نقل أقوالهم في فصل المحبة ص: ١٨٩.

مجازا عن أنا عبد ربكم الأعلى، وقول الرجل: أنا أعبد الشيطان، يكون مجازا عن: أنا أعبد خالق الشيطان، ونحو ذلك من الكلام.

ثم يقال: إن أكثر الذين يدعون الأموات من الأولياء والشهداء، عوام لا يعرفون المجاز العقلي ولا غيره أصلا، فكلامهم يحمل على الحقيقة لعدم معرفتهم المجاز البتة.

ويقال أيضا: إن هؤلاء الذين يَدْعُون الأمواتِ يعتقدون لهم التصرف في الكون، وكما يعتقدون فيهم أنهم أهل للإعطاء والإيجاد كما تقدم نص كلامهم في بيان الانحرافات[1].

كل هذه الأمور وغيرها تبطل دعوى أن طلب الشيء من الأموات من قبيل المجاز[2].

وما قاله بعض المخالفين: «يحسن التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء، ولم ينكر أحد حتى جاء ابن تيمية فابتدع ما لم يقل به عالم قبله...والاستغاثة بغير الله في الشدائد[أمر] محمود» كما تقدم قولهم في بيان الانحرافات.

فيقال لهم: أتظنون أن السلف ﷺ كلهم كانوا مشركين قبل ابن تيمية ؟! أم ترونهم جُهَّالاً لا يعرفون معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].أم تزعمون أنهم ما كانوا يعرفون معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[4].ألم يقل النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[5].

(١) ينظر أقولهم الدالة على هذا المعتقد في الانحراف الثاني.

(٢) ينظر للمزيد: البصائر للمتوسلين بأهل المقابر لمحمد طاهر الفنجفيري ص: ١١٨.

(٣) سورة يونس (١٠٧).

(٤) سورة البقرة (١٨٦).

(٥) سبق تخريجه في أول هذا المبحث.

وفي إبطال دعوى أن ابن تيمية هو أول من قال بعدم جواز الاستغاثة بالأنبياء والأولياء أكتفي بذكر أقوال بعض أهل العلم ممن كان قبل ابن تيمية -رحمه الله- بأنه لا يُدعَى إلا الله ولا يستغاث إلا بالله:

قال صاحب الدر المختار[(1)] عن الإمام أبي يوسف(١٨٢هـ) -رحمه الله- عن الإمام أبو حنيفة (١٥٠هـ) -رحمه الله- «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله تعالى إلا به»[(2)] قال ابن عابدين الشامي -رحمه الله-: « (**إلا به**) أي: بذاته وصفاته وأسمائه»[(3)].

وقال قوام السنة الأصبهاني (٥٣٥هـ) -رحمه الله-: «ومن أسمائه الوهاب، يهب العافية، ولا يقدر المخلوق أن يهبها، ويهب القوة، ولا يقدر المخلوق أن يهبها، تقول: يا ربِّ! هب لي العافية، ولا تسأل مخلوقا ذلك، وإن سألته لم يقدر عليه، وتقول عند ضعفك: يا ربِّ! هب لي قوةً، ولا يقدر المخلوق على ذلك» [(4)].

وقال فخر الرازي(٦٠٦هـ)[(5)] -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(6)]: «يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله، فأنت من الظالمين؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فإذا

---

(١) وهو الإمام علاء الدين محمد بن علي بن عبد الرحمن الدمشقي الحصني من كبار أئمة الحنفية يُنظر: ترجمته في مقدمة رد المحتار لابن عابدين١/١٥.والأعلام للزركلي٦/٢٩٤.

(٢) الدر المختار للحصكفي مع رد المختار لابن عابدين كتاب الحظر والإباحة فصل في البيع ٦/٧١٥.

(٣) رد المحتار لابن عابدين كتاب الحظر والإباحة فصل في البيع ٦/٧١٥.

(٤) الحجة في بيان المحجة للأصفهاني ١/١٥٦.

(٥) **فخر الرازي:** هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الشافعي خطيب الري، المفسر توفي عام٦٠٦هـ ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٤/٢٤٨ برقم (١٧٨٩)، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/٥٥٨ برقم (١٥٠٠٧).

(٦) سورة يونس (١٠٦).

كان ما سوى الحق معزولا عن التصرف، كانت إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعا للشيء في غير موضعه، فيكون ظلما» [1].

فهذه عدة نقولات عمن كان قبل ابن تيمية -رحمه الله- تحرّم جواز طلب الدعاء[2] من غير الله، وإلا فعلماء الأمة مجمعون على عدم جوازه من دون الله-إذا كان مما لا يقدر عليه إلا الله- وقد أشار إلى هذا الإجماع ابن خزيمة (٣١١هـ) -رحمه الله- بقوله: «**هل سمعتم عالما يُجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله؟ أو يجيز أن يقول: أعوذ بالصفا والمروة؟ أو أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خَلَقَ؟ هذا لا يجيزه ولا يقول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه**»[3] فتأمل كلام ابن خزيمة -رحمه الله- وهو من علماء القرن الرابع، وخاصة قوله «**هل سمعت عالما**» ففيه دلالة ظاهرة أن علماء الأمة مُجمعون على عدم جواز الدعاء بأقسامه من دون الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، **فظهر بطلان قول من يقول**: يحسن التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء، ولم ينكر أحد حتى جاء ابن تيمية فابتدع ما لم يقل به عالم قبله...والاستغاثة بغير الله في الشدائد أمر محمود. كما تقدم في بيان الانحرافات.

وجميع ما مضى من الأدلة التي ذكرت في منع الاستعانة والاستغاثة بغير الله هي نفسها ترد على انحرافات الرافضة الذين يستغيثون بغير الله -كما تقدم كلامهم في بيان الانحرافات- ويضاف إليها كلام من لا يمكن للرافضة ردّ كلامه حيث يدّعون فيهم العصمة- ولا عصمة إلا لله ولكتابه، ولرسوله- وهو علي بن أبي طالب ﷺ حيث قال وهو يوصي ابنه الحسن[4] ﷺ:

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٨١/١٧.

(٢) ومن أقسام الدعاء: الاستعانة والاستغاثة والاستعاذة والاستمداد وغيرها، فإذا حرم الدعاء من غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، حرم جميع أقسامها الداخلة تحته.

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص: ١٦٥-١٦٦.

(٤) **الحسن**: هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي سبط رسول الله ﷺ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ولد ١٣هـ وبويع بالخلافة بعد والده علي بن أبي طالب، ثم تنازل عنها لمعاوية =

«واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض، قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينه وبينك من يحجبك عنه، ولم يلجأك إلى من يشفع لك إليه، ...فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته[1] ذات نفسك[2]، وشكوت إليه همومك واستكشفته كروبك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيرُه، من طول الأعمار، وصحة الأبدان،وسعة الأرزاق» [3].

وقال علي بن الحسين زين العابدين -رحمه الله-: «جاءني رجل، فقال: جئتك في حاجة، وما جئت حاجاً ولا معتمرا، قلت: وما هي؟ قال: جئتك لأسألك، متى يبعث عليٌّ؟ فقلت: يُبعث -والله- يوم القيامة، ثم همّه نفسه»[4]، فعلي ﷺ وغيره لا يسمعون نداءهم ولو سمعوا ما استجابوا لهم؛ لشغلهم بأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ ﴾[5].ويقولون: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ ﴾[6].

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو الاستعانة والاستغاثة بالجن وغيرهم من البعد البعيد.

إن الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله لا تجوز، ولو كان ذلك الغير قريبا، وأما من كان بعيدا-وإن كان حيا- فلا تجوز أيضا، ومن كان ميتا فأولى من هذين بعدم الجواز، لعدم سماع نداء المستغيث أولا، ولو سمعوا ما استطاعوا الاستجابة وتحقيق الرغبة ثانيا، وقد صُرِّح بها في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن

=

بن أبي سفيان ﷺ حقنا لدماء المسلمين وجمعا لكلمتهم، وتوفي ﷺ عام ٥٠هـ أو ٥١هـ ينظر ترجمته في تاريخ دمشق لابن عساكر١٣/١٦٣-٣٠٥ برقم(١٣٨٣) وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣/٢٧٧.

(١) أي: كاشفته.

(٢) أي: حالتها.

(٣) نهج البلاغة للشريف الرضي(وقد جمع فيه الكلام المنسوب إلى علي بن أبي طالب ﷺ) ص: ٤٦٥

(٤) تهذيب الكمال للمزي٢٠/٣٩٦، سير أعلام النبلاء للذهبي٤/٣٩٦، وتاريخ دمشق لابن عساكر٤١/٣٩٠.

(٥) سورة فاطر (١٣-١٤).

(٦) سورة سبأ (٤١).

دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [(١)].

وأما دعاء الجن كالاستعانة بهم، والاستغاثة بهم، أو الاستعاذة بهم ونحوها، فيزيدهم رَهَقاً كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [(٢)]، والرهق فسره المفسرون بالجرأة والطغيان والإثم ، والشر والغي[(٣)].

قال ابن جرير الطبري –رحمه الله–: كان أهل الجاهلية إذا نزلوا بالوادي قالوا: نعوذ بسيّد هذا الوادي، فيقول الجنيّون: تتعوّذون بنا ولا نملك لأنفسنا ضرّاً ولا نفعا[(٤)].

وأما ما ذكره المخالف من أن الإنسان إن ضاع له شيء وأراد أن يرده الله عليه، فليقرأ الفاتحة، ويهدي ثوابها إلى النبي ﷺ، ثم يهدي ثوابها لأحمد بن علوان ويقول: يا أحمد بن علوان إن لم تردَّ علي ضالتي، لنـزعتك عن ديوان الأولياء...فهذه الطريقة والمكيدة فيها عدة مخالفات شرعية:

١- أن هذه الطريقة المخترعة –من قراءة القرآن أو الصلاة على مكان عالٍ- لم ترد في الشريعة لرد الضالة، فهي بدعة شنيعة.

٢- أن إهداء ثواب قراءة القرآن أو إهداء أجر الصلاة إلى النبي ﷺ أيضا لم يرد في الشرع، و لم يفعله الصحابة الذين هم أقرب الناس إلى النبي ﷺ وأكثرهم حبا له، ومع ذلك لم يثبت إهداء ثواب قراءة القرآن أو أجر الصلاة منهم إليه.

٣- إذا أهدى الرجل ثواب شيء إلى شخص لم يبق له ثواب حتى يهديها مرة ثانية لشخص ثانٍ، فماذا يهب بعد أن وهب ثوابه كله إلى الأول!!!.

---

(١) سورة فاطر (١٣-١٤).

(٢) سورة الجن (٦).

(٣) يُنظر: تفسير القرطبي ٢٨٢/٢١، وتفسير ابن كثير ١٤٨/١٤، وتفسير المظهري ٤٥/١٠.

(٤) جامع البيان للطبري ١٣١/١٤.

٤- إنْ كان هذا الذي يهدد أحمد بن علوان بنــزعه عن ديوان الأوليــاء، يــستطيع حقيقة فعل ما يقول، فلماذا لا يردّ ضالته بنفسه؟!؟! وإن كان لا يــستطيع فهــو المتشبع بما ليس فيه، وقال النبي ﷺ: «**المتشبع بما لم يُعطَ كلابسِ ثوبَيْ زُورٍ**»[١].

٥- أن أحمد بن علوان وغيره من الأموات لا يسمعون نداءه -ولو كان قريبا منــه فما بالك وبينهما بُعْدٌ شاسع- ولو فرضنا سماع ندائه ما استجاب له كما قال تعــالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢].وإن الله وحده يسمع النداء ويجيــب الدعاء قــال تعــالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣].

٦- أن الله وحده يستطيع ردّ الضالة، كما أرشد النبي ﷺ الناس إلى الالتجاء إلى الله في جميع الأمور، حيث قال لمّا أتاه رجل وقال: أنت رسول الله؟ قــال: «**أنــا رسول الله الذي إذا أصابك ضرٌّ؛ فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصــابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت في أرض قفــر أو فــلاةٍ فــضلت راحلتك، فدعوته ردها عليك**»[٤].

وكل ما ذُكر مما يخالف هذا الأصل الأصيل، فهو إما ضعيف أو موضوع كما نراه فيما يلي:

١- حديث: «**إذا تحيّرتم في الأمور فعليكم بأصحاب القبور، أو فاستعينوا مــن أهل القبور**» قال العلماء: موضوع. وقد تقدم الكلام عليه بالتفصيل[٥].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب النكاح باب المتشبع بمــا لم يَنَــلْ ٩/٣٩٤ (ح٥٢١٩)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب اللباس باب النهي عن التزوير في اللباس ١٤/٣٣٦ (ح٥٥٤٨).

(٢) سورة فاطر (١٤)

(٣) سورة البقرة (١٨٦).

(٤) تقدم تخريجه في بيان موقف الإسلام من الانحراف الأول ص: ٤٣٦.

(٥) تقدم الحكم عليه في ص: ١٠٠، وفصل الرجاء ص: ٢٢٢، وفي هذا الفصل ص:٤٢٥.

٢- حديث: «**إذ انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أحبسوا عليّ، يا عباد الله احبسوا عليّ، فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه**»(١).

قال الألباني: رواه الطبراني٣/٨١/١وأبو يعلى٢٥٤/١ كلا هما(٢)من طريق معروف بن حسان السمرقندي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الله بن بُريدة عن عبد الله ابن مسعود. وهذ سند ضعيف، وفيه علتان:

الأولى: معروف هذا فإنه غير معروف.

الثانية: الانقطاع بين ابن بُريدة وابن مسعود (٣).

وقال الهيثمي: فيه معروف بن حسان وهو ضعيف(٤).

وقال الذهبي في ترجمة معروف هذا: قال ابن عدي: منكر الحديث(٥).

وقال الشيخ الألباني -رحمه الله-: «للحديث طريق آخر وهو معضل ومع إعضاله فيه ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن» (٦).فالحديث لا يصح الاستدلال به، وخاصة في باب الاستغاثة والاستعانة، وهو من أهم أبواب العقيدة.

٣-حديث «**إذا أضل أحدكم شيئا وأراد عونا، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله! أغيثوني يا عباد الله أغيثوني فإن لله عبادا لا نراهم**» رواه الطبراني بسنده قال: حدثنا الحسين ابن إسحاق، قال: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال حدثني أبي عن عبد الله بن عيسى، عن ابن علي عن عتبة بن عزوان، عن نبي الله، قال: فذكر...وزاد وقد جرب ذلك(٧).

---

(١) تقدم تخريجه من كتب المخالفين في بيان الانحرافات ٤٢٢.

(٢) ينظر المعجم الكبير للطبراني ٢٦٧/١٠ برقم (١٠٥١٨) ومسند أبي يعلى ١٧٧/٩ برقم(٥٢٦٩).

(٣)سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني١٠٨/٢ رقم ٦٥٥.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ١٣٢/١٠.

(٥)ميزان الاعتدال للذهبي ٤٦٧/٦ برقم ٨٦٦٠[٨٥٣٥].

(٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١٠٨/٢رقم ٦٥٥.

(٧) المعجم الكبير للطبراني ١١٧/١٧-١١٨برقم (٢٩٠).

قال الألباني: «هذا سند ضعيف وفيه علل:

١، ٢- عبد الرحمن بن شريك وهو ابن عبد الله القاضي [هو] وأبوه كلاهما ضعيف.

٣- الانقطاع بين عتبة وابن عليّ» (١).

وابن علي اسمه زيد قال الهيثمي: زيد بن علي لم يدرك عتبة (٢).

وما قاله البعض بعد ذكر الحديث السابق: ثبت من هذا الحديث الاستمداد من الأحياء والأموات بالموت الدنيوي...ولم يفعله أحد في الأزمنة الثلاثة المتبركة يعني خير القرون، فلعلهم لم يطلعوا على هذا الحديث أو نسي منهم، كما تقدم قولهم هذا في مبحث الانحرافات.

فيقال: بئس هذا الظن السيئ بسلف الأمة وأئمتها، فمن أين جاء هذا الحديث إذا هم لم يطلعوا عليه؟! ومن أوصله إلى المتأخرين إذا نسي منهم أو لم يطلعوا عليه؟! والأمر ليس كما زعم هؤلاء، بل الحديث ضعيف ولم يثبت لديهم، كما تقدم بالتفصيل، لذلك لم يعملوا به، وقد ثبتت لديهم أدلة كثيرة وصريحة في عدم جواز الاستعانة، والاستغاثة والاستنجاد بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله كما تقدمت جملة منها.

---

(١) ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١١٠/٢ رقم (٦٥٦).

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ١٣٢/١٠.

الفصل الثالث

الانحرافات المتعلقة بالنذر، وموقف الإسلام منها،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى النذر وأنواعه.

المبحث الثاني : الانحرافات المتعلقة بالنذر.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى النذر وأنواعه.

مدح الله تعالى الموفّين بالنذر في كتابه الحكيم حيث قال عن صفات عباده المؤمنين: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[1].فما هو النذر؟ وما أنواعه؟ سيكون بيان هذين الأمرين في ثلاثة مطالب إن شاء الله.

المطلب الأول: النذر لغة.

أصل الكلمة: (النون، والذال، والراء) كلمة تدل على تخويف أو تخوّف، ومنه الإنذار: الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف، ومنه النَّذْرُ: وهو أنه يخاف إذا أَخْلَفَ، ومنه النذير: وهو المنذر[2].

تصريف الكلمة: نَذَرَ ينذِرُ ينذُرُ نذْرًا ونُذُورًا، بفتح الذال في الماضي وبضمه وكسره في المضارع[3].

معنى الكلمة: يأتي النذر على عدة معانٍ منها:

١- النَّذْرُ بمعنى النَّحْب، وجمعه النُّذُور، وهو ما يَنْذُرُهُ الإنسانُ فيجعله على نفسه نحباً واجباً[4].

٢- النَّذْرُ بمعنى العِلْم، ونَذِر بالشيء وبالعدو عَلِمَ به[5]، والإنذار: الإعلام، وجمعه النُّذُر ومنه حديث: «فلما عرف أنهم قد نَذِرُوا به هرب»[6] أي علموا وأحسوا بمكانه[7].

---

(١) سورة الإنسان (٧).

(٢) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ١٠٢١.

(٣) مختار الصحاح للرازي ص: ٢٧٢. وتاج العروس للزبيدي ٥١٧/٧.

(٤) لسان العرب لابن منظور٥١٢/٨، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص: ٤٤٧، والتاج للزبيدي ٥١٧/٧.

(٥) لسان العرب لابن منظور ٥١٢/٨، وتاج العروس للزبيدي ٥١٧/٧،

(٦) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب الوضوء من الدم ص:٣٨(ح١٩٨) وقال الألباني: حسن. ينظر صحيح سنن أبي داود للألباني٦٢/١(١٩٨).

(٧) النهاية لابن الأثير ٧٢٨/٢.

٣- النَّذْرُ بمعنى الخوف، يقال تناذر بنو فلان هذا الأمر إذا خوّف بعضهم بعضاً[١]، ومعنى أنْذَرَه بالأمر إنْذَارا ونُذْراً قيل: حذَّرَه وخوَّفَه في إبلاغه[٢]، وبهذا المعنى فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٤].

المطلب الثاني: النذر شرعا.

لقد عرف العلماء النذر بعدة تعريفات منها:

١- إلزام مكلف مختارٍ نفسه لله تعالى بالقول شيئا غير لازم بأصل الشرع[٥].

٢- إيجاب عبادة في الذمة بشرط أو بغير شرط[٦].

٣- أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر[٧].

فيظهر من تعريفات العلماء للنذر أنهم على مذهبين: منهم من يشترط في النذر الاشتراط، كما في التعريف الأخير، وقد صرح بعضهم حيث قال: «**ما كان وعداً على شرط فـ « عليَّ إن شفى الله مريضي كذا» نذر، و«عليَّ أن أتصدق بدينار» ليس بنذر**»[٨].

و لم يشترط الآخرون هذا الشرط كما في معظم تعريفات العلماء للنذر، وقد صرح بعضهم بعدم اشتراط الشرط كما في التعريف الثاني، وقال البعض: «**من نذر نذرا مطلقا أو معلقا بشرط...**»[٩]، فهذا تصريح منهم بأن النذر ينعقد بشرط وبدون شرط.

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس ٨٦٣/٢.
(٢) لسان العرب لابن منظور ٥١٣/٨، وتاج العروس للزبيدي ٥١٧/٧.
(٣) سورة غافر (١٨).
(٤) سورة القمر (١٦).
(٥) الإقناع للحجاوي ٣٧٩/٤. وينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٥٧/٢١، والروض المربع للبهوتي٣٧٥/٣ التعريفات الاعتقادية لسعد آل الشيخ ص: ٣١٥.
(٦) التعريفات لسعد آل الشيخ ص: ٣١٥
(٧) المفردات للراغب ص: ٧٩٧، وينظر الكليات للكفوي ص: ٩١٢.
(٨) قاله الكفوي في الكليات ص: ٩١٢.
(٩) بدائع الصنائع للكاساني ٩٠/٥، والدر المختار للحصكفي مع رد المحتار لابن عابدين ٣٨/٤ كتاب الأيمان. والمغني لابن قدامة ١٣/ ٦٢٢.

ولعل الراجح والله تعالى أعلم: أن النذر يصح بشرط وبدون شرط،كما نذرت امرأة عمران و لم تشترط، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ﴾(١) وهكذا ورد ذكر النذر في بعض الأحاديث بدون ذكر أيّ شرط كما في حديث: **إن أمي نَذَرتْ أن تَحُجَّ، فلم تَحُج حتى ماتت أفأحجُّ عنها؟ قال** صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**نعم...**»(٢).ولكن الواقع أن الناس يشترطون في النذر غالبا، فيقولون: إن حصل كذا فعليَّ كذا.

ويعلم من كلامهم أيضا: أن النذر يكون في عبادات غير واجبة؛ لأن الواجب لا معنى لإنشاء إيجابه على النفس، لأنه أوجبه من لا معقب لحكمه، فيدخل النذر في القرب غير الواجبة؛ يوجبها الناذر على نفسه.

ولما كان النذر ينعقد بالكلام والقول كما صُرِّح به في التعريف الأول، وصرّح بعض العلماء بأن النذر «**لا يصح إلا بالقول، فإن نواه من غير قول، لم يصح**»(٣)كان من المناسب أن يذكر الانحرافات المتعلقة به، في باب الانحرافات المتعلقة بتوحيد عبودية اللسان، وإن كان المنذور قد يتعلق بالجوارح، لكن النذر لم ينعقد إلا بالقول والكلام، فمن هذا الوجه جاء ذكره في هذا الباب دون غيره.

المطلب الثالث: أنواع النذر.

ينقسم النذر بالنظر إلى نية الناذر إلى قسمين: **نذر معلق بشرط، ونذر غير معلق بشرط، والأول**: أن يقول: إن شفى الله مريضي فلله عليَّ كذا ويسمى هذا بنذر المجازاة،

---

(١) سورة آل عمران (٣٥).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب جزاء الصيد باب الحج والنذور ٨٤/٤ (ح١٨٥٢).وكتاب الاعتصام باب من شبه أصلا معلوما بأصل مبين ١٣/(ح٧٣١٤).

(٣) المقنع لموفق الدين ابن قدامة، والشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة، والإنصاف للمرداوي١٧٠/٢٨.

أو النذر المعلق. **والثاني**: أن يقول لله عليَّ أن أصوم كذا يوم -بدون اشتراط شيء- ويسمى بالنذر المنجَز أو النذر المطلق(١).

وقسم العلماء النذر باعتبار المنذور إلى قسمين: **نذر طاعة، ونذر معصية**(٢).

ومنهم من قسمه إلى خمسة أقسام:

١- النذر المطلق وهو أن يقول: لله علي نذر، وكفارته كفارة اليمين.

٢- نذر اللَّجَاج والغضب، وهو ما يقصد به المنع من شيء، أو الحمل عليه، كأن يقول: إن فعلت كذا؛ فلله عليّ الحج، أو إن لم أفعل كذا فعليَّ كذا، وحكمه حكم اليمين.

٣- نذر الشيء المباح كقول: لله عليَّ أن أركب دابتي، فيخير بين فعله وكفارته.

٤- نذر معصية كنذر شرب الخمر، ويحرم الوفاء به.

٥- نذر التَّبَرُّر كنذر الصلاة والصيام ونحوها على وجه التقرب، سواء نذره مطلقا كأن يقول: لله عليَّ كذا، أو علَّقه بشرط كأن يقول: إن شفى الله مريضي فلله عليّ كذا(٣).

ومنهم من ذكر الأقسام السابقة إلا أنه ذكر بدلا من نذر التَّبَرُّرْ النذرَ المكروه، كأن ينذر المشي إلى مكة حافيا(٤).

وقسّم بعضهم النذر إلى ستة أقسام:

١- ما يجب الوفاء به وهو نذر طاعة، كأن يقول: لله علي صوم يوم.

٢- ما يحرم الوفاء به وهو نذر معصية، كأن يقول: إن جاء غائبي لأشربن الخمر.

---

(١) يُنظر فتح الباري لابن حجر شرح كتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر ٧٠٥/١١ عند شرح حديث رقم (٦٦٩٢)، والمفهم للقرطبي ٦٠٦/٤-٦٠٧ عند شرح حديث رقم (١٧٣٩).

(٢) تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي ص: ٣٧١، والثمر الداني شرح رسالة أبي زيد القيرواني لصالح الأزهري ص: ٤٢٨.

(٣) ينظر: المقنع لموفق الدين ابن قدامة، والشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة، والإنصاف للمرداوي ١٧٣/٢٨-١٩٥.

(٤) الإقناع لطالب الانتفاع للحجاوي ٣٧٩/٤.

٣- ما يجري مجرى اليمين وهو النذر المباح فيخير بين فعله وكفارة اليمين.

٤- نذر اللجاج والغضب لأنهما يحملان عليه، وحكمه حكم اليمين.

٥- النذر المكروه، فيكره الوفاء به، وعليه كفارة اليمين.

٦- النذر المطلق، وهو أن يذكر فيه صيغة النذر، كأن يقول لله على نذر، فكفارته كفارة يمين[١].

ومنهم من قسمه إلى سبعة أقسام، فلم يذكر نذر الشيء المباح، وزاد نَذْرَ الواجب وهو أن يقول: لله عليَّ أن أصوم رمضان[٢]، ونذر المستحيل، وهو أن يقول: لله أن أصوم أمس، فيحتمل أن يوجب عليه الكفارة، كاليمين الغموس[٣].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢٣١/٩-٢٣٢.

(٢) سبق الكلام على أن النذر يكون في القُرَب غير الواجبة؛ لأن الواجب لا معنى لإنشاء إيجابه على النفس، لأنه أوجبه من لا معقب لحكمه، وإنما يدخل النذر في القرب غير الواجبة يوجبها الناذر على نفسه.

(٣) الكافي لابن قدامة ٦٥/٦-٧٢.

المبحث الثاني
الانحرافات المتعلقة بالنذر

إن النذر عبادة، ولا يجوز صرف العبادة لغير الله، ولكن كيف يكون النذر عبادةً؟ الجواب: العبد لا ينذر نذر مجازاة –معلقا بشرط – إلا ليقينه بكمال قدرة الله تعالى وأنه يُسهِّل ويوفر ما نذر لأجله، ولا ينذر نذرا منجزا – مطلقا عن الشرط– إلا ليحمل نفسه على عبادة يَعْلَم أن في فعلها إرضاء للرب ﷻ، وفي كلا النوعين يكون العبد في حالٍ من الذلة والخضوع والانكسار، ويحاول أن يجد سُبُلا يُرضي بها الرب، وتقربه من الله تعالى، وهذه المعاني أعني الانكسار والخضوع والذلة ومحاولات إرضاء الرب كلها من معاني العبادة فلا يجوز صرفها لغير الله، لأن الله وحده مستحق للعبادة.

ولكن انحرف بعض الناس في إقليم سرحد في هذا المجال، عن سواء السبيل حيث لم يفردوا الله ﷻ بالنذر، ووقعوا في أنواع من الانحرافات منها:

الانحراف الأول: النذر لغير الله كالأولياء والقبور وغيرها.

إن بعض عوام الناس ينذرون لغير الله، باعتقاد أنهم يقضون الحاجات، قال الشيخ زاهدي أحمدزي: (أكثر العوام يعتقدون أن الأولياء يقضون الحاجات، ويحلون المشاكل، فمن أجل هذه العقيدة ينذرون لهم، ويتقربون إليهم، بأنهم يجعلون البركة في الأموال والأولاد والأعمال والأرزاق، وأنهم يزيدون في أعمار الأولاد، وكل مسلم يعرف أن هذا شرك محض، والقرآن الكريم كله مليء بإبطال هذه العقيدة)(١).

ويدل على أن بعض الناس ينذرون لغير الله قول بعضهم: «والنذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء، ويرفع ستره على رأسه قائلا: يا سيدي فُلان! إن قَضَيْتَ حاجتي كردّ الغائب ومعافاة المريض فلك مني من الذهب أو من الطعام أو من الكسوة أو من الشمع –مثلاً –كذا [فهذا النذر]باطل إجماعا...وإذا عرف هذا فما

---

(١) يُنظر: ((ناروا بدعتونه)) لزاهدي أحمدزئي ص: ١٠٨.

يؤخذ من الدراهم ونحوها ويُنقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليهم فحرام بالإجماع، ما لم يقصد صرفها إلى الفقراء الأحياء قولا واحداً، **وقد ابتُلِيَ الناس بذلك**»[1].

قال أحدهم في مدح (پير بابا) الشيخ المرشد الكبير:(وشهرته تفوق الزمان والمكان، والناس يفدون إلى مزاره جماعات جماعات، من المناطق المختلفة، واسمه موجود معروف في داخل الدولة وخارجها، والناس إلى عُرسه[2]يفدون في الربيع على الباصات والشاحنات الكبيرة والسيارات الصغيرة وغيرها، رافعين الرايات الخضراء، ويفدون إلى بونير الشريف[3]...ويقدمون النذور والقرابين)[4].

وقال الآخر وهو يمدح أفعال الرافضة من المأتم وحمل الراية أو العَلَم معهم أثناء التظاهر بالمأتم، وتقديم الناس النذورَ لهم، وأخذ النذور من بعض الناس وأكله بعد تمسحه بالعلم أو الراية في ليلة عاشوراء: (وفي هذه الليلة تكون المدينة[5] كلها مستيقظة، وفي كثير من الأمكنة يوزّع على شركاء المأتم، والمتظاهرين به، الحليب البارد أو الحار -حسب الموسم- وكذا مرق الدجاج، والحلاوة، وغير ذلك مما نذروه، وينتظر آخذوا النذور والصدقات إلى أن يصل المتظاهرون بالمأتم، فيتمسح ذو الحاجة[الذي في قلبه بعض الحوائج يريد قضاءها] الفواكه بأسفل العَلَم[الذي عند المتظاهرين بالمأتم تبركا] فإن حصل مراده في العام المقبل؛ فيصنع من الفضة على شكل ما أكله من الفاكهة، ويقف في نفس المكان الذي أكل فيه الفاكهة[منتظراً أهلَ المأتم ليدفعه إليهم] أو يسأل عند أخذ فاكهة النذر وأكلها، بأن هذا العَلَم لأي إمام من مراكز

---

(١) سيف المقلدين لعبد الجليل البشاوري ص:٣٩١، البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:٢٣٨-٢٣٩، الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ١٩،وهذا يدل على وجود هذا الأمر عند البعض.

(٢) **العُرْس**: هو الحفل على القبر باجتماع الناس، وبتاريخ معين وغالبا يكون سنويا، فيقرؤون القصائد ونحوها مع الدفوف والمزامير، ويُنَوِّرُون المكان بأنواع من اللمبات الملونة،وقد أفتى عدد من العلماء بتحريم هذا العمل.ينظر: الفتاوى الرشيدية للجنجوهي (بالبشتو) ص: (٢٢٤-٢٢٨).

(٣) **بونير**: منطقة من مناطق إقليم سرحد، وفيها قبر الشيخ علي الترمذي -رحمه الله- المعروف عند الناس بـ ((پيربابا)) يعني الشيخ المرشد.

(٤) يُنظر: ((پير بابا)) لسيد بهادر شاه ص: ٤٨.

(٥) المراد بها:مدينة بشاور التي هي أكبر مدن إقليم سرحد في باكستان، وعاصمة هذا الإقليم.

الحسينيات، ففي ليلة السابعة من المحرم[من العام المقبل]وعند ارتفاع العَلَم في ذلك المركز[يحضر و]ينثر على العَلَم ما صنعه من الفضة على شكل الفاكهة التي أكلها...وبعض الناس في هذه الليلة يذهبون إلى أقرب مركز من مراكز الحسينيات، ويجعلون لأبنائهم الرضع الأطواق والكشكولات[1] في أعناقهم، والخلاخل في أرجلهم، والقيود في أيديهم (تذكارا لقيود زين العابدين آنذاك) وغالبا تكون هذه الأشياء من الفضة، وكلما يزيد عمر الولد، يزيدون في وزن هذه الأشياء من سنة إلى سنة تولةً واحدة[وهي تساوي١١غراما تقريبا] حتى يصل عمر الولد اثنا عشر عاما، وعند ذلك يقدمون هذه الأشياء كلها لإمام [وزعيم] أقرب مركز الحسينيات، احتراما ونذرا لهم؛ ويحرّرون أبناءهم...)[2].

نقل أحدهم عن الخطيب -رحمه الله- أنه كان ينذر للقبور، مع أن الحقيقة ليست كذلك[3] حيث قال الناقل: (النذر باسم الولي ثابت كما يعلم من هذه العبارة «وعند المصلى الموسوم بصلاة العيد كان قبر يُعرف بقبر النذور، ويقال: إن المدفون فيه رجل من أولاد عليٍّ ﷺ يتبرك الناس بقبره(بزيارته[4]) ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته» تاريخ بغداد للخطيب(١/ ١٢٣) الحاصل أن هذا القبر كان لسيّد، وكان مشهورا بقبر النذور، ومن نذر له شيء كان يُقْضَى حاجته،[ثم قال هذا الكاتب كذباً وبهتانا على الخطيب -رحمه الله-] قال الخطيب: وأنا أيضا نذرت له مرارا كثيرة، فحلت مشكلتي!!!)[5].

---

(١) **الكشكولات:** جمع كشكول، وهو شيء يصنعونه على شكل القارب، أو السفينة الصغيرة، أو الحفنة، يكون عند بعض الفقراء والمتسولين المنسوبين إلى عتبات وقبور بعض المشايخ، يعلقونه في أعناقهم، ويجمعون في كشكوله هذا كل ما يتصدق الناس عليهم، على مختلف الأنواع والأشكال، والكشكول هذا صار علامة للفقر والمسكنة عند الناس.

(٢) يُنظر: «عالم ميں انتخاب پشاور» تصنيف الدكتور سيد أمجد حسين ص: ١٧٣-١٧٤.

(٣) لأن الخطيب -رحمه الله- لم يقل أنه كان ينذر للقبر، وإنما نقل الخطيب -رحمه الله- كلام بعض الرافضة أثناء نقله الواقعة، وسيأتي كلامه بالتفصيل في المبحث الثالث إن شاء الله ص: ٤٦٧.

(٤) الزيادة من الحافظ كفاية الله صاحب كتاب تسهيل البصائر، يريد بها تأويل الكلام.

(٥) يُنظر: تسهيل البصائر لكفاية الله الداجوي ص: ٤٣٥.

وينقل البعض: «البقرة المنذورة للأولياء كما هو الرسم في زماننا حلال طيب»[1].

ومن هذا النوع الممنوع من النذر ما يتصدق به البعض من الصدقات في بعض أيام السنة بأسماء بعض المخلوقين من الأولياء والصالحين، كطبخهم الأرز في الحليب (شير برنج) أو غَلْيِهم الخبز في الزيت ويسمونه(چوري) ويُقسِّمونه في يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر، نذرا باسم فاطمة[2] -رضي الله عنها-، أو ذبحهم حيوانا باسم الشيخ عبد القادر الجيلاني في اليوم الحادي عشر من الشهر القمري ويسمونه (يوولسمه، أو گيارهوين شريف)[3] ونحوها من النذور لغير الله[4].

الانحراف الثاني: الحيل الباطلة لتجويز النذر لغير الله.

إن بعض الناس ينذرون لغير الله ﷻ، ثم يستفتون بعض المنتسبين إلى العلم، فيقوم هؤلاء المفتون بتأويلات بعيدة؛ ليُجَوِّز لهم ذلك، ومن أمثلة ذلك الاستفتاءات والفتاوى:

١- (من يقول ابتداءً: إن هذا الكبش للشيخ -پير دستگير قُدس سرّه-[5]، ثم يقول وقتَ الذبح: بسم الله، الله أكبر، فهذا اللحم حلال أم حرام؟! **الجواب:** إن نَذَرَ لله ثم قال: هذا كبش

(١) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:٢٣٩، و تسهيل البصائر لكفاية الله الداجوي ص: ٤٣٥.

(٢) **فاطمة:** هي فاطمة الزهراء أحد بنات الرسول ﷺ الأربع، وأمها خديجة بنت خويلد، زَوَّجَهَا رسول الله من علي بن أبي طالب ﷺ، فهي أم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ماتت في خلافة أبي بكر ﷺ في السنة الأولى من خلافة أبي بكر الصديق ﷺ يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٦١٤، وأسد الغابة لابن الأثير١/ ١٣٩٥.

(٣) وسبق الكلام على هذا النذر في فصل الخوف ص: ٢٠٢.

(٤) يُنظر: الفتاوى الرشيدية للجنجوهي (بالبشتو) ص:٢٣٠ و«اختلاف أمت» للديانوي (بالبشتو) ١/٢٣٩، ٢٤١، «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص: ٢٥٥-٢٥٦، و«ددولسو مياشتو فضائل أو أحكام» لسيف الحنان ص: ١٨-٢١ و«ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمدزي ص: ١١٠.

(٥)«پير دستگير» يلقبون به الشيخ عبد القادر الجيلاني، والمعنى: (الشيخ الآخذ باليد) ويقصدون بهذا أنه يمسك بيد من يحتاج إليه في شيء من الأشياء. يُنظر: «دخدائي نيازيين» لفقير محمد عباس ص: ٥٠.

الشيخ فلا يحرم!!!.ولمّا يذبحه بقوله: بسم الله؛ فحلال لا يدخل في ما أهل[به] لغير الله)(1)، يظهر الحيدة عن الجواب جلية، لأن الاستفتاء عن شيء، والجواب عن شيء آخر.

٢- «ما حكم تقديم النذور إلى الأولياء؟ **الجواب**: ذكر العلماء -نفع الله بهم- أن النذر لمشاهد الأولياء والعلماء جائز صحيح، إن قصد الناذر أهل المحل من أولادهم أو الفقراء الذين عند قبورهم أو قصد صرفه في عمارة ضرائحهم...وكذا يصح إن أطلق و لم يقصد شيئا من ذلك ويصرف فيما تقدم من المصالح...»(2).يظهر هنا أيضا الحيدة عن الجواب، لأن الاستفتاء عن تقديم النذور إلى الأولياء، والجواب عن شيء آخر.

٣- (هل يجوز النذر لغير الله أم لا؟ **الجواب**: إن اعتقد الناذر في غير الله أنه معبود، ففي هذه الحالة النذر باسم غير الله شركٌ صريحٌ فهو حرام، وإن لم يعتقد في غير الله أنه معبود بل يريد إيصال ثواب نذره لروحه، ففي هذه الصورة النذر لغير الله جائز بلا شبهة ولا شك، لأن ثواب النذر يصل للأحياء والأموات، فيكون في حق الميت صدقة، والحي يملك النذر[أي المال المنذور])(3) هنا أيضا حيدة عن جواب المستفتي، لأن الاستفتاء عن النذر لغير الله، والجواب عن شيء آخر.

هذه نماذج من انحرافات بعض الناس في إقليم سرحد مما يتعلق بالنذر، ونسأل الله تعالى أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل.

---

(١) يُنظر:درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٩٢.

(٢)«اختلافي مسائل كاحل»لمحمد أشرف جشتي ص: ٧١-٧٢.ويُنظر: الدرر الفرائد لغلام حيدر ص:١٩١.

(٣) يُنظر:درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٩٢.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالنذر

إن النذر نوع من أنواع العبادة، ولكن هنا سؤال يطرح نفسه كيف يكون النذر عبادة؟ وقد نهى النبي ﷺ عن النذر كما في حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– أنه قال: «نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال:«**إنه لا يَرُدُّ شيئا، ولكنه يُستَخْرَجُ به من البخيل**»[1]، وقال النبي ﷺ: «**لا تَنذُروا، فإن النذرَ لا يغني من القدر شيئا، وإنما يُستَخرَجُ به من البخيل**»[2].

الجواب: إن النذر على نوعين كما تقدم في بيان أنواع النذر، نوع مقيد بشرط إن حصل الشرط جاء الرجل بالمنذور وإلا فلا، كأن يقول رجل: لله عليّ كذا إن حصل لي كذا، وهذا النوع يحمل عليه النهي عن النذر؛ لأن البخيل لا يعمل العبادة حتى يقاضى عليها، فصار بما أعطاه الله من النعمة، أو بما دفع عنه من النقمة كأنه –في ظن الناذر –قد أُعطي ثمن تلك العبادة.

أما النذر المطلق: وهو أن يلزم العبد نفسه بعبادة معينة بلا قيد، كأن يقول: لله عليّ أن أصلي ركعتين، وليس هذا النذر في مقابل شيء يحدث له في المستقبل أو الماضي، فلم يكره الرسول ﷺ هذا النوع من النذر، لأنه ليس في مقابل شيء يخرج به العبادة من البخيل، وإنما أراد قربة لله فجعلها لازمة على نفسه بالنذر.

«كثير من العوام الذين يستعملون النذور، فإنهم يظنون أن حاجتهم لا تحصل إلا بالنذر، وقد قال شيخ الإسلام[3] –رحمه الله– وغيره من أهل العلم: إن من ظن أنه لا

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأيمان والنذور باب الوفاء بالنذر١١/٧٠١ (ح٦٦٩٣) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب النذر باب النهي عن النذر ١١/ ١٠٠(ح٤٢١٣) بنحو حديث البخاري.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب النذر باب النهي عن النذر ١١/ ١٠١(ح٤٢١٧).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/١٣٧، ١٠/ ٤٢٠، ٢٥/٣١٣-٣١٤.

تحصل حاجاته إلا بالنذر، فإن اعتقاده هذا مُحرَّم؛ لأنه ظن أن الله لا يعطي إلا بمقابل، وهذا سوء ظن بالله -جل وعلا- وسوء اعتقاد فيه ﷻ، بل هو المتفضل المنعم على خلقه.

فإذا تبين لك ذلك فاعلم أن النذر المطلق لا يدخل في الكراهة، لكن إذا أطلقنا القول بأن: النذر عبادة، فهل يدخل في هذا الإطلاق النذر المقيد؟ **والجواب**: أن النذر المقيد له جهتان: الأولى: وفاؤه بالنذر الذي ألزم نفسه به فإنه يكون بذلك قد تعبد الله عبادة من هذه الجهة فيما يظهر.

الجهة الثانية: جهة الكراهة المتعلقة بهذا النذر المقيد، وهي إنما جاءت لصفة الاعتقاد لا لصفة أصل العبادة، فإنه في النذر المقيد إذا قال: إن كان كذا وكذا فلله علي نذر كذا وكذا، كانت الكراهة راجعة إلى ذلك التقييد، لا إلى أصل النذر، دلّ على ذلك: التعليل؛ حيث قال: " **فإنما يُستخرج به من البخيل** ". فلا إشكال إذًا. فالنذر عبادة من العبادات العظيمة»[1].

والنذر عهد من الناذر مع الله ﷻ فيلزمه الوفاء بما عهد لقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾[3].

واختلف العلماء في حكم النذر فكرهه البعض لأحاديثَ منها حديث ابن عمر أنه قال: «نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال: «**إنه لا يَرُدُّ شيئا، ولكنه يُستَخْرَجُ به من البخيل**»[4]، وحديث:«**لا تَنذُروا، فإن النذرَ لا يغني من القدر شيئا، وإنما يُستَخرَجُ به من البخيل**»[5].

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص: ١٦٠.

(٢) سورة النحل (٩١).

(٣) سورة التوبة (٧٥-٧٧).

(٤) تقدم تخريجه قريبا في بداية المبحث الثالث ص: ٤٦٢.

(٥) تقدم تخريجه قريبا في بداية المبحث الثالث ص: ٤٦٢.

وخَصّص البعض النهي بالنذر المعلق بشرط، الذي يسميه العلماء نذر المجازاة، وأما النذر غير المعلق بشرط، الذي يسمونه نذراً منجزاً فلا يكره، لعدم وجود العلة التي كره من أجلها النذر المعلق، وهي إخراج المال من البخيل، لأن ناذر القربة في النذر المنجز يريد الإتيان بالقربة و لم يعلقها بشيء، فلا يكره والله أعلم.

وبهذا التفريق بين النذر المعلق وغير المعلق جمع بعض العلماء[١] بين نصوص النهي عن النذر[٢]، وبين امتداح الله عباده الموفين بالنذر[٣] وهذا جمع جيد والله أعلم.

أو يقال: مدح الله للموفين بالنذر، و لم يمدح الناذرين، والنصوص تنهي عن النذر، و لم تنه عن الوفاء به، بل تحث على الوفاء بالوعود، ومنها الوعد بالإتيان بالمنذور.

والنذر بعد انعقاده يجب الوفاء به إذا لم يكن معصية، وأما ما كان فيه معصية فلا يجوز الإتيان بالمعصية، لقول النبي ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»[٤]، و قوله ﷺ: «**لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد**» وفي رواية: «**لا نذر في معصية الله**»[٥].

وبهذا العرض الموجز عن حكم النذر يتضح موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالنذر إجمالا، وأما التفصيل فهو كالآتي:

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو النذر لغير الله.

لقد عرفنا أن النذر عبادة، ولا يجوز صرف العبادة لغير الله، فدخل النذر في هذا؛ فلا يجوز النذر لغير الله بالإجماع، وما نقله بعض المخالفين جواز النذر للأولياء، **فإن كان المراد** بالأولياء

---

(١) كابن دقيق العيد في إحكام الأحكام ص: ٦٧٠، وابن حجر في فتح الباري١١/٧٠٥، والقرطبي في المفهم٤/٦٠٦.

(٢) كما في حديث ابن عمر المتقدم: «نهى النبي ﷺ عن النذر » وغيره.

(٣) كما في سورة الإنسان: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ ﴾ .

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأيمان والنذور باب النذر في الطاعة (ح٦٦٩٦).

(٥) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب النذر باب لا وفاء لنذر في معصية الله١١/١٠٣ (ح٤٢٢١).

هم الفقراء فلا حرج في أداء النذر إليهم، لكن تعبيرهم: «النذر للأولياء» موهم للشرك؛ فهذا غلط في الكلام والتعبير، فيجب الاجتناب عنه، وخاصة عند وجود من ابتُليَ بالنذر للأولياء في هذه الأزمان، ووجود من يقول عند قبر الولي: يا سيدي فلان! إن قَضَيتَ حاجتي -كرد الغائب أو إعطاء الولد، أو شفاء مريض ونحوها- فلك مني كذا من الذهب أو لأذبحنَّ الكبش الأقْرَن باسمك ونحو ذلك، كما تقدم عند ذكر الانحرافات.

وإن كان المراد أنه يصرف النذر إلى قبره أو يشترى الشموع أو الزيت لإنارة قبره أو يعطيه إلى أوليائه وأحفاده، ففيه مخالفات عديدة سيأتي بيانها في بيان موقف الإسلام من الانحراف الثاني.

وإن كان المراد بتقديم النذر إلى الأولياء، أن الأولياء يتصرفون في الكون، ويقضون الحاجات، ويحلون المشاكل، ومن أجل هذه العقيدة ينذرون لهم، ويتقربون لهم بالنذر ليقضوا حوائجهم، أو ليبارك الولي في أموالهم، ونحوها من المزاعم[(١)]، فهذا المعتقد باطل وهذا المنذور مما أهل لغير الله به لا يجوز أخذه، ولا أكله، والناذر مشرك بهذا لأنه صرف عبادة النذر لغير الله، كما أنه اعتقد الربوبية في غير الله، فوقع في الشرك في الألوهية والربوبية.

وما ذكر من السفر إلى ضرائح أحد المشايخ من الأماكن البعيدة، والوفود إلى عرسه، وتقديم القرابين والنذور له، ففي هذا عدة مخالفات منها:

١- السفر بنية العبادة إلى بقعة من البقاع غير المساجد الثلاثة أو المشاعر في الحج، ممنوع شرعا، لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ: مسجدِ الحرام، ومسجدِ الأقصى، ومسجدِي هذا**»[(٢)]. وقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ

---

(١) ولزيادة معرفة هذه المزاعم الباطلة لدى بعض الناس يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص:١٨٨، وما بعدها و(بالبشتو) ص: ٢٣٨وما بعدها.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الصوم باب صوم يوم النحر ٣٠٥/٤ (ح١٩٩٥)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ١٦٩/٩ (ح٣٣٧٠) بنحو حديث البخاري.

مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾[1].

٢- إقامة الحفل والأعراس على القبور مخالفة شرعية، وتحديد وقت معين لهذه الأعراس مخالفة شرعية أخرى، ولم يحتفل هذه الاحتفالات والأعراس النبي ﷺ لا على عمه سيد الشهداء حمزة ﷺ ولا أصحابه على رسول الله ﷺ ولا غيرهم من سلف الأمة على الخلفاء الراشدين، ولا على غيرهم، وهم أحرص الناس على الخير، فإذا لم يفعلوا دل أنها بدعة.

٣- تقديم النذور إلى الأموات لا يجوز، لأن النذور إن كانت لله؛ فالأموات ليسوا من مصارفها، وإن كانت النذور للأموات فهي شرك بالله، ففي كلتا الحالتين لا تجوز النذور للأموات، وقال بعض علماء الحنفية -رحمهم الله- في النذر للأموات: « **هذا النذر باطل وحرام** لوجوه **منها**: أنه نذر للمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق، **ومنها**: أن المنذور له ميت والميت لا يملك[ولا يمتلك]. **ومنها**: أنه إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى، واعتقادُهُ ذلك كفر»[2].

وأما قول بعض المخالفين: إن النذر باسم الولي ثابت كما يعلم من هذه العبارة «وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور...» كما تقدم النقل في بيان الانحرافات ففي الاستدلال بهذا النقل على جواز النذر باسم الولي عدة مخالفات:

١- جعل الكلام هذا بمثابة النص في الاستدلال به، ومعلوم أنه لا يستدل على مسائل الدين إلا بالكتاب والسنة، وفق فهم السلف الصالح.

---

(١) سورة الحج (٢٧-٢٩).

(٢) البحر الرائق لابن نجيم كتاب الصوم فصل في النذر٢/٥٢٠، رد المحتار لابن عابدين ٢/٤٨٣ قبيل كتاب الاعتكاف، فتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع ٢/١٦٤.

٢- أن معرفة القبر بصفة ما عند العوام لا يدل على جواز ذلك الشيء، كما اشتهر بين كثير من العوام الذين لا علم لهم بأمور الدين أن القبر الفلاني ضامن لكذا، والقبر الفلاني ترياق مجرب لكذا.

٣- الخطيب -رحمه الله- ذكر هذه القصة في تاريخه، ولم يقل -رحمه الله- إنه أيضا نذر له مرات كثيرة -كما زعمه الناقل عن الخطيب- لأن شأن الخطيب أرفع من أن ينذر للقبور، وإنما الكلام لغيره والخطيب ناقل فقط، ونص الكلام هكذا: «وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور ويقال: إن المدفون فيه رجل من ولد علي بن أبي طالب ﷺ، يتبرك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته، حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي(١)، قال: حدثني أبي(٢)، قال: كنت جالسا بحضرة عضد الدولة(٣) ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام(٤) نريد الخروج معه إلى هَمَذَان(٥)، في أول يوم نزل المعسكر، فوقع طَرْفُه

---

(١) هو عليّ بن المحسِّن بن علي التنوخي القاضي أبو القاسم معتزلي رافضي، ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي ٤٤٧هـ.ينظر ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي ١٥٢/٣ برقم(٥٩٢٠)، ولسان الميزان لابن حجر ٢٩٣/٤ برقم(٥٩٤٧) والوافي بالوفيات للصفدي٤٠٢/٢١ برقم(٢٨٢) .

(٢) **أبوه:** المحسِّن بن علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي القاضي، ولد بالبصرة عام٣٢٧هـ وتوفي ٣٨٤هـ ينظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ١٥٥/١٣ برقم(٧١٣٤).وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٢٤/١٦ برقم(٣٨٦).

(٣) عضد الدولة: هو أبو شجاع فنَّا خسرو بن ركن الدولة أبي الحسن بن بويه، وكان شيعيا جلدا أظهر بالنجف قبرا زعم أنه قبر علي ﷺ، وبنى عليه المشهد، وأقام شعار الرفض، ومأتم عاشوراء، والاعتزال، نُقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩] مات بعلة الصرع سنة ٣٧٢هـ يُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٤٩/١٦رقم(١٧٥)، ووفيات الأعيان لابن خلكان٥٠/٤.

(٤) **مدينة السلام:** هي مدينة بغداد.يُنظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٦٤/٣ برقم (٦٥١٦).

(٥) **هَمَذان:** بالتحريك مدينة في الشرق فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٣هـ في خلافة عثمان ﷺ يُنظر: معجم البلدان للحموي ٤٧١/٥ برقم(١٢٧٤٥)

على البناء الذي على قبر النذور، فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور -ولم أقل: قبر.لعلمي بطيرته من دون هذا، واستحسن اللفظة -وقال: قد علمت أنه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره، فقلت: هذا يقال: إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويقال: إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وإن بعض الخلفاء أراد قتله خَفِياً، فجُعلت له هناك زُبْيَةٌ[1] وسُيِّر عليها، وهو لا يعلم، فوقع فيها، وهِيلَ[2] عليه التراب حيا، وإنما شهر بقبر النذور، لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صح، وبلغ الناذر ما يريد، ولزمه الوفاء بالنذور[3]، وأنا أحد من نذر له مرارا لا أحصيها كثرةً، نُذُوراً على أمور متعذرة؛ فبلغتُها ولزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبل هذا القول، وتكلم بما دلّ أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقا، فَيَتَسوَّقُ العوام بأضعافه، ويسيرون الأحاديث الباطلة فيه، فأمسكت. فلما كان بعد أيام يسيرة، ونحن معسكرون في موضعنا، استدعاني في غدوة يومٍ، وقال: اركب معي إلى مشهد النذور، فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد...» [4].

٤- القصة المذكورة أوردها الخطيب -رحمه الله- عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه أن أباه كان جالسا عند عضد الدولة...، وعلي بن المحسن أبو القاسم

---

(١) **الزُبْيَة**: الحفرة. مختار الصحاح للرازي ص: ١١٣.

(٢) **الهيل**: من هال يهيل هيلاً، وكل شيء أرسلته من التراب أو الرمل، أو طعام، يقال أهاله فانهال، وهو ما لم ترفع به يدك، والحَثْيُ ما رفعت به يدك، فما يسيل بدون دفع يسمى الهَيلان، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾[المزمل(١٤)] ينظر لسان العرب لابن منظور ١٨٣/٩، وتاج العروس للزبيدي ٨٢١/١٥.

(٣) هذا قول هذا القائل، والصحيح أنه لا وفاء في نذر المعصية كما تقدم في أنواع النذر ص:٤٥٥.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب ١٢٣/١ وما بعدها.

التنوخي كان رافضيا معتزليًا[(١)] وعضد الدولة، أيضا رافضي جَلد، أقام شعار الرفض والاعتزال في زمن حكمه[(٢)]. والرافضة معروفون بعبادة القبور عند من عاشرهم، أو شاهد حالهم عند القبور، وقد تقدم نموذجا في القصة آنفا، فكيف يستدل بكلامهم.

٥- يقال: ولو صحت القصة سندا -ولأي أحد من الناس كانت- فكل واحد يعرض فعله وقوله على الكتاب والسنة، فإن وافقهما، أخذ به وإلا ردّ عليه، وهو يتحمل مسئوليته، وقد دلّ الكتاب والسنة على أن النذر عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله.

وقول بعض المخالفين: «**البقرة المنذورة للأولياء كما هو الرسم في زماننا حلال طيب**» كما تقدم في ذكر الانحرافات، فقولهم هذا مخالف لما أجمع عليه المحققون من عدم جواز النذر للمخلوقين، وكيف يكون حلالا طيبا وقد أهل به لغير الله، وإن كان قصده أن البقرة منذورة لله ومصرفه الأولياء -**هذا وإن كان الكلام لا يحتمله**؛ لأن صاحب القول[(٣)]، أبطل هذا الاحتمال حيث قال: «**البقرة المنذورة للأولياء كما هو الرسم**[(٤)] **في زماننا حلال طيب، لأنه لم يذكر اسم غير الله عليها وقت الذبح؛ وإن كانوا ينذروها له[إي للولي]...**»[(٥)] فعلم أنه لا يقصد أن يكون النذر لله ومصرفه الولي، بل هو يقصد

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ١٥٢/٣ برقم(٥٩٢٠)، ولسان الميزان لابن حجر ٢٩٣/٤ برقم(٥٩٤٧) والوافي بالوفيات للصفدي٤٠٢/٢١ برقم(٢٨٢) .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٤٩/١٦

(٣) القول لأحمد بن أبي سعيد بن عبيد الله بن عبد الرزاق الأميتهوي الجشتي المشهور بملا جِيْوَن«لغة هندية معناه الحياة» وكان شيخا للسلطان عالمگير الهندي، من أشهر كتبه نور الأنوار شرح المنار للنسفي، المتوفى سنة ١١٣٠هـ يُنظر: ترجمته في نزهة الخواطر لعبد الحي اللكنوى ٢١/٦، وأبجد العلوم للقنوجي ص: ٧٠٤. ونقل صاحبا كتابي البصائر، وتسهيل البصائر بعض القول وترك بعضه، لما في تمام القول ما يدل على الجهل المحض.

(٤)يقصد الرسم العادة التي اتفق الناس عليها بصفة معينة، وتوارثوها الأصاغر عن الأكابر.

(٥) يُنظر: (التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية) لأحمد بن أبي سعيد المعروف بملا جِيْوَنْ ص: ٤٥ من الطبعة الباكستانية، وص:٣٦ من طبعة (الحجرية).

النذر للولي ولكن يُذبح باسم الله!! ولكن لمّا كان فيه ما فيه، بُترَ القولُ و لم يُنْقَلْ بتمامه، وذلك لأن النذر لغير الله ليس محرما من حيث كونه لا يذكر اسم الله عليه وقت الذبح، بل من حيث أنه نذر لغير الله أهل به لغير الله، ولا يشترط في المنذور أن يكون حيوانا يُذبح، بل قد يكون غير حيوانٍ كالمشروب والمطعوم الذي لا يحتاج إلى الذبح، أو الملبوس والعطور، أو المعادن كالذهب والفضة، أو الأوراق النقدية، وغيرها مما لا يُذبح أو لا يحتاج في الاستفادة منها إلى الذبح أصلا، بل كل ما نذر لغير الله يدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾[(1)] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[(2)]، «فمن زعم أن معنى قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾[(3)]، ما ذبح باسم غير الله بأن يذكر اسمه عليه وقت الذبح، فقد غلط غلطا مبينا، وقيّدَ مطلق الكتاب، وخَصّصَ عامه بدون دليل مسوغ، وتقوّلَ على اللغة العربية ما لا يعرفه العرب، فإن الإهلال لم يُعرف عند العرب بمعنى الذبح، وأما ما ذكره بعض المفسرين في تفسير هذه الآية: "وما ذبح للأصنام والطواغيت" ونحو ذلك، فليس هذا معناها اللغوي الكامل، بل قصدهم بيان فرد من أفراد ﴿مَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ فإن المشركين السابقين –كانوا عادةً– إذا نذروا شيئا من الأنعام لآلهتهم ذبحوها بأسمائها»[(4)].

قال السيوطي –رحمه الله– بعد أن بين بدعة تخصيص مكان كالقبور والأضرحة بالدعاء والذكر:« وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتنويرها، أو شمعا، ويقول: إنها تقبل النذور، كما يقوله بعض الضالين، أو ينذر ذلك لقبر، أيّ قبرٍ كان، فإن هذا نذر معصية باتفاق العلماء...

وكذا إذا نذر خبزا، أو غيره للحيتان التي في عين أو بئر، [وكذا للطيور كالحمام عند القبور] وكذا إذا نذر مالاً: دراهم، أو ذهبا، أو غنما، أو بقراً، أو جملا، أو معزاً

(١) سورة البقرة (١٧٣).

(٢) سورة المائدة (٣) وسورة النحل (١١٥).

(٣) سورة البقرة (١٧٣).

(٤) جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ١٥٦٢/٣.

للمجاورين عند القبور، أو عن هذه الأماكن المنذور لها، ويسمونه «السدنة» فهذا أيضا نذر معصية، وفيه شبهة من النذر لسدنة الأصنام»[1].

وبعض الناس في هذا الزمان ينذرون للقبور والأولياء باعتقاد أهم يقضون الحاجات، ويحلون المشاكل، ويجعلون البركة في الأرزاق، ويطولون الأعمار، كما صرح كثير من العلماء على وجود هذا المعتقد لدى بعض الناس[2]، وكما يعلم من القصة التي أوردها الخطيب عن قبر النذور[3]، وكما يعلم من قول المخالفين: «وقد ابتُلِيَ الناسُ بذلك»[4].

ومع ذلك كله ولو سلمنا الاحتمال الذي ذكروه من أن المراد بالنذر للولي أن يكون مصرفه الولي يقال: كيف يكون حلالا طيبا، ومصرفه الولي، فبأي حق يُحَلُّ ويُطابُ وهو ملك للمنذور له بعد النذر، وملك للناذر قبل النذر، فكيف يحل أكله لغير هذين الصنفين، وكيف يَطِيْبُ لغيرهما.

وهكذا جميع النذور لغير الله لا تجوز، وأكلها حرام، حيوانا حيا كان أو مذبوحا، أو كان المنذور طعاما أو نقودا، سواء خصصوا لها الأيام كما يفعلونه في الأربعاء الأخير من شهر صفر باسم فاطمة -رضي الله عنها-، أو يوم الحادي عشر من الأشهر باسم الجيلاني، أو خصصوا لها الأماكن كما يفعلونه عند القبور والأضرحة، وإن أفتى به من أفتى بجواز تقديم النذور للأولياء -كما تقدمت نقولاتهم في بيان الانحرافات.

---

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص: ١١٧-١١٨.

(٢) ينظر: «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص: ٧٤وما بعدها و(بالبشتو) ص: ٩٩ وما بعدها، «نارواه بدعتونه» لزاهدي أحمدزي ص:١٠٨ وما بعدها، الفتاوى الرشيدية للجنجوهي (بالبشتو) ص: ٢٣٠ ما بعدها، «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص: ٢٥٥وما بعدها، «ددولسو مياشتو فضائل أو أحكام» لسيف الحنان ص: ١٨وما بعدها.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ١/١٢٣. وقد تقدم نقل القصة بتمامها قريبا.

(٤) لقد تقدم نقل هذا الكلام عن سيف المقلدين لعبد الجليل البشاوري ص: ٣٩١، والبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:٢٣٨-٢٣٩، والذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ١٩.ونقلهم هذا يدل على أن بعض العوام يفعلون هذا الفعل!!.

قال الأمير الصنعاني -رحمه الله-: «وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات، فلا كلام في تحريمها لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع ويضر، ويجلب الخير ويدفع الشر، ويعافي الأليم ، ويشفي السقيم، وهذا هو الذي كان يفعله عباد الأوثان بعينه؛ فيحرم كما يحرم النذر على الوثن، ويحرم قبضه لأنه تقرير على الشرك، ويجب النهي عنه وإبانة أنه من أعظم المحرمات، وأنه الذي كان يفعله عباد الأصنام، لكن طال الأمد حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا، وصارت تعقد اللواءات لقباض النذور على الأموات، ويجعل للقادمين إلى محل الميت الضيافات، وينحر في بابه النحائر من الأنعام، وهذا هو بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام. فإنا لله وإنا إليه راجعون» (1).

وقال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(2) «إن عديَ بن حاتم(3) قال: "يا رسول الله! ما عبدوهم، قال: **بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**"(4) فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين، فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به، وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه، وبلغتهم إياه رسله الكرام»(5).

---

(1) سبل السلام للصنعاني باب حكم النذر ٣٦٠/٤ (ح١٢٧٤).

(2) سورة التوبة (٣١).

(3) **عدي**: هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَجْ بن امرئ القيس الطائي أسلم عام التاسع وقيل: العاشر للهجرة، وكان من قبل نصرانيا، توفي سنة ٦٧هـ وكان له من العمر ١٢٠ سنة، ينظر ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير ٩/٤ برقم (٣٦١٠) والاستيعاب لابن عبد البر ١٠٥٧/٣برقم (١٧٨١).

(4) سنن الترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة التوبة ص: ٦٩٤ (ح٣٠٩٥)، وقال الألباني حسن يُنظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٥٦/٣ برقم (٣٣٠٦).

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩٨/٣ عند تفسير الآية(٨٠) من سورة آل عمران.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الحيل لتجويز النذر لغير الله.

إن كل شيء حرمه الله تعالى فهو حرام، لا يحل وإن أفتى العلماء بتحليله خطأ، أو عمداً قال النبي ﷺ: «**إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم؛ فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها**»(١)، فإذا لم يحل الحرام بقضاء أو حكم النبي ﷺ فكيف بغيره؟!.

فما ذكره المخالف في جواب من يقول ابتداء: إن هذا الكبش مثلا للشيخ دستگير – قُدس سرّه– ثم قال وقت الذبح: «بسم الله، الله أكبر» هل هذا حلال أم حرام؟ فقال: «الجواب إن نذر لله ثم قال: هذا كبش الشيخ فلا يحرم» كما تقدمت هذه الفتوى في بيان الانحرافات.فانظر إلى الحيدة في الجواب، لأن سؤال السائل واضح، وقد صرّح بأنه قال ابتداءً: إن هذا الكبش للشيخ دستگير!! فكيف يقال في الجواب: إنْ نَذَر لله، ثم قال: هذا كبش الشيخ...!! بل إنما هو نَذَر للشيخ ابتداءً، ثم قال وقت الذبح: بسم الله، الله أكبر!

حِيدةُ هذا المفتي قريبة من القصة التي ذكرها محمد يوسف اللديانوى –رحمه الله– حيث قال: (كان أحد المشايخ يعظ بعض الناس، [الذين يقدمون الصدقات في اليوم الحادي عشر باسم الجيلاني] فقال لهم: أيها الإخوة مهما أنكم تقدمون الصدقات في يوم«الحادي عشر»(٢)باسم شيخ المشايخ[الجيلاني] فاجعلوا في نيتكم أنها صدقه لله وحده، وثوابها إلى روح شيخ المشايخ، فقال أحد السامعين: يا فضيلة الشيخ! إن الصدقة التي كانت لله، قد أعطيناها بالأمس، وهذا الذي نخرجه اليوم ليس صدقة لله، بل هي باسم

---

(١) تقدم تخريجه في فصل التعظيم ص: ٢٩٩.

(٢) **الحادي عشر**: هو التاريخ الحادي عشر من كل شهر قمري، ويصنع بعض الناس فيه طعاما، باسم شيخ عبد القادر الجيلاني –رحمه الله– وبعضهم بتاريخ الحادي عشر من شهر رجب. لكن أكثرهم يهتمون بالتاريخ الحادي عشر من ربيع الثاني على شكل خاص يُنظر: «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص: ٢٥٥، و«د دولسو مياشتو فضائل اوأحكام» بترجمة سيف الجنان ص:١٨،«ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص:(١١١)، و«**عالم انتخاب مين پشاور**» لأمجد حسين ص:١٧٩.

شيخ المشايخ [الجيلاني])[1]، فالناس يصرحون باسم غير الله، وغيرهم يؤولون كلامهم: ويقولون بما لا يحتمله الكلام.

والجواب الصحيح: إذا قال ابتداءً: إن هذا الكبش مثلا للشيخ الفلاني! فهو نذرٌ لغير الله، والنذر لغير الله حرام، لا يجوز الوفاء به، ولا يحلُّ المنذور لغير الله ولو ذبح بقوله: **بسم الله، الله أكبر**، فهو كمن يذبح الخنزير بقوله: **بسم الله، الله أكبر**، أي كما لا يحل الخنزير إذا ذبح بقوله: باسم الله، الله أكبر، كذلك لا يحل ما نُذر لغير الله إذا ذبح باسم الله، الله أكبر، بل ما أهل به لغير الله أشد تحريما من لحم الخنزير، وعلى الناذر للمشايخ أن يتوب من عمله هذا، وأن لا ينذر إلا لله ﷻ.

«فمن نذر لنبيٍّ من الأنبياء، أو وليٍّ من الأولياء، لا يلزم عليه شيء، فإن أعطي ذلك الشيء لأحد من الناس، لا يجوز أخذه -إن علم الآخذ بذلك- وإن كان طعاما لا يحلّ أكله، وإن كان ذبيحة فهي ميتة، وإن أكلوا وسمو الله تعالى كفروا جميعا...»[2].

وما قاله المخالف: إن النذر لمشاهد الأولياء صحيح إن قصد الناذر أهل المحل من أولادهم، أو الفقراء الذين عند قبورهم، أو قصد صرفه في عمارة ضرائحهم...إلى آخر ما قاله كما تقدم في بيان الانحرافات، أو قال: اللهم إني نذرت لك إن شفيت مريضي أن أطعم الفقراء بباب سيدي فلان، فجائز...إلى آخر ما قاله الرجل، كما تقدم نقل القول بتمامه في ذكر الانحرافات.

فيقال: إن النذر -إن كان لله خالصا- فلا يُصْرَفُ فيما ذُكر من القبور وسدنة المقابر، سواء كانت السدنة أغنياء أو فقراء، ولا في عمارة الأضرحة، ولا إطعام الفقراء الذين عكفوا عند المقابر، ولا في شراء الزيت والشمع للمقابر ونحوها، والتفصيل كالتالي:

١- أما عدم جواز النذر لأهل المحل أي من في داخل القبر، لأن أهل المحل ميت لا يملك ولا يمتلك شيئا بعد مماته، وما كان في ملكه في حياته ينتقل إلى ورثته، فكيف يمتلك

---

(١) «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية)ص: ١٩٠ و(بالبشتو) ص: ٢٤٠.

(٢) درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٩٢ محيلا إلى نور الهدى ص: ٢٨٨.

أهل المحل المال المنذور في قبره حال مماته حتى ينتقل إلى أولاده، قال العلماء -رحمهم الله- : «إن المنذور له ميت والميت لا يملك»[(١)].

٢- أما عدم جوازه للفقراء الذين عند قبور الأولياء، **فإن كان يقصد بالفقراء** زوار القبور، فهذا خطأ؛ لأن زوار القبور لا يحتاجون إلى الصدقة، إلا إذا كانوا عاكفين عليها، فيحتاجون إلى الأكل والشرب والإنارة في الليل، والعكوف على القبور منهي عنه شرعا كما سيأتي التفصيل في فصل الاعتكاف- فالمتصدق على هؤلاء يرتكب محذورين:

الأول: إقرارهم على العكوف عند المقابر، وقال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٢)].

والثاني: إعانتهم على العكوف على المقابر، فهي من التعاون على الإثم والعدوان، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[(٣)].

وإن كان يقصد بهم السدنة والمجاورين فأيضا لا يجوز إعطاء النذور لهم، لأن في الإعطاء لهم تشجيعهم على البطالة وعدم العمل، ويتصور فيهم المحذورين السابقين في الفقرة السابقة.

٣- أما جعله في عمارة الأضرحة فلا يجوز أيضا؛ لأن عمارة القبور والأضرحة أيضا منهي عنها شرعا؛ لحديث: «**نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**»[(٤)]، كما أنها تكون محل عكوف المنحرفين، والقبور ليس محلا للسكنى، حتى يبنى عليها السكن، وإنما الزائر يسلم على أهلها ويدعو لهم وينصرف.ولذلك أفتى كثير من العلماء بتحريم البناء على القبور منهم ابن عابدين الحنفي -رحمه الله- حيث قال: «**أما البناء عليه[أي على القبر] فلم أَرَ من اختار جوازه...وعن أبي حنيفة: يكره أن**

---

(١) البحر الرائق لابن نجيم كتاب الصوم فصل في النذر٢/٥٢٠، و رد المحتار لابن عابدين ٢/٤٨٣ قبيل كتاب الاعتكاف، وفتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع ٢/١٦٤.

(٢) تقدم تخريجه في التمهيد في مطلب معالجة الانحرافات. ص: ١٤٧

(٣) سورة المائدة (٢).

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ٦/٤١ (ح٢٢٤٢).

يبنى عليه بناء من بيت، أو قبة، أو نحو ذلك، لما روى جابر: " نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها" رواه مسلم[1]وغيره»[2].

٤- أما جعله في شراء الزيت والشموع والحصير ونحوها للقبور، ففيه أيضا معونة على الإثم والعدوان، ولا يقال: إن الزيت والشموع ليستفيد منه الزائر ليلا، لأن النبي ﷺ خرج إلى زيارة مقبرة البقيع ليلا وقد تكرر منه ﷺ ذلك، ومع ذلك لم يرشد أمته لإنارة المقابر، مع وجود الحاجة إلى ذلك، قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: «كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[3].

قال الملا علي القاري الحنفي -رحمه الله-: «والنهي عن اتخاذ السراج[على القبور] لما فيه من تضييع المال، **لأنه** لا نفع لأحد من السراج [هناك]، **ولأنها** من آثار جهنم، **وإما** للاحتراز عن تعظيم القبور، كالنهي عن اتخاذ القبور مساجدَ» [4].

٥- لا يجوز الوفاء بالنذر لله إذا كان خصص للوفاء بالنذر مكانا وفي هذا المكان عيد من أعياد غير الإسلامية سواء كان عيداً مكانيا أو عيداً زمانيا، ومعلوم أن ما يحدث عند القبور من محافل الميلاد، وأعراس المشايخ وما يسمى بالأربعينية[5]، أو السنوية[6] أو عاشوراء ونحوها كلها من الأعياد غير الإسلامية، لأنه لا عيد في الإسلام غير عيد الفطر والأضحى ويوم الجمعة[7].

---

(١) رواه مسلم بلفظ«نهى رسول الله ﷺ: أن يجصصَ القبرُ، وأن يُقعد عليه ، وأن يُبنى عليه» كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ٧/ ٤٠ رقم(٢٢٤٢).

(٢) رد المحتار لابن عابدين كتاب الجنائز ٢/ ٢٥٧، و«اختلاف أمت» للديانوي بالأردية ص: (٦٤) وبالبشتو ص: (٨٨).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور ٧/ ٤٥ (ح٢٢٥٢).

(٤) المرقاة لعلي القاري كتاب الصلاة باب المساجد ومواضع الصلاة٣/ ٢٢٨(اختلاف أمت)للديانوي (بالأردية) ص: ٦٥ و(بالبشتو)ص: ٨٩محيلا إلى المرقاة.

(٥) الأربعينية: هو رسم المأتم بيوم الأربعين من موت الشخص، فيجتمعون ويقرؤن القرآن والقصائد ونحوها، وأحيانا يطبخون أشياء ويأكلونها.

(٦) **السنوية:** هو الاجتماع بتمام السنة لموت الشخص والاحتفال بذلك.

(٧) سيأتي التفصيل في ذلك في الباب الثالث: تقديس الأزمنة.

فإذا ثبت أن جميع ما يُحتفل بها عند القبور من الأعراس ونحوها ليس من الأعياد الإسلامية، فلا يجوز الوفاء لمن نذر شيئا لهذه المحافل والأعياد التي تقام عند القبور، ولو كان النذر لله خالصا، لأن في ذلك تشبه بالجاهلين وأعيادهم.وقد نذر رجل على عهد النبي ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة[1]فأتى النبي ﷺ، فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة.فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟**" قالوا: لا.قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟**» قالوا لا. قال النبي ﷺ: **أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**»[2].

وما قاله المخالف: إن النذر إن كان لغير الله باعتقاد أن هذا المنذور له معبود، ففي هذه الحالة النذر حرام، وإن لم يعتقد في المنذور له أنه معبود بل يريد إيصال ثواب نذره لروحه فجائز...إلى آخر ما قال كما تقدم في بيان الانحرافات.

فهذا الكلام باطل، لأن صرف العبادة لغير الله لا يجوز -سواء اعتقدتَّه معبودا، أم لم تعتقده معبودا- كالسجود لغير الله، والاستغاثة بغير الله، والنذر لغير الله والذبح لغير الله ونحوها من العبادات.وإذا صرفتَ العبادة لغير الله فقد جعلتَه معبودا، لأنك صرفتَ له عبادة، والمعبود هو من تُصرف له عبادة.

وقد جاء في حديث روي مرفوعا وموقوفا، والموقوف صحيح لكن له حكم المرفوع لأن هذا الأمر لا مجال فيه للاجتهاد «**دخل رجل الجنة في ذبابٍ، ودخل رجل النار في ذبابٍ. قالوا: وما الذباب؟ فرأى ذبابا على ثوب إنسان، فقال: هذا الذباب.قالوا: وكيف ذاك؟ قال: مرَّ رجلان مسلمان على قوم يعكفون على صنم لهم. فقالوا لهما: قرِّبا لصنمنا**

---

(١) **بوانة**: بضم الباء وقيل بفتحها هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر. معجم البلدان لياقوت الحموي١/٥٩٩ برقم(٢٢١٣) والنهاية لابن الأثير ص: ١٦٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤمر به من وفاء النذر ص: ٥٩٤ (ح٣٣٠٥)، وابن ماجه في سننه كتاب الكفارات باب الوفاء بالنذر ص: ٣٦٧(ح٢١٣٠، ٢١٣١) والإمام أحمد في مسنده ٣٦٦/٦، وقال الألباني: صحيح.وحسَّنَ إسناده محققو المسند. يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٣٢٨/٢(ح٣٣١٣)، والمسند المحقق٦٢٣/٤٤ برقم (٢٧٠٦٦).

قربانا. قالا: لا نشرك بالله شيئا. قالوا: قرِّبا ما شئتما ولو ذبابا. فقال أحدهما لصاحبه: ما ترى؟ قال أحدهما: لا نشرك بالله شيئا. فقُتِل فدخل الجنة. فقال الآخر بيده على وجهه فأخذ ذبابا؛ فألقاه على الصنم فدخل النار»[1].ففي هذا تصريح أن الرجلين كانا مسلمين، والمسلم لا يعتقد أن يكون غير الله معبودا حقا، ثم الذي قرّب ذبابا لم يعتقد أن الصنم إلهٌ؛ لمعرفته أن الصنم لا يكون معبودا حقا، ومع ذلك دخل النار، فما الفرق بين هذا الذي قرَّب لغير الله، وبين هذا الذي نَذَرَ لغير الله، و يعتقد كلاهما أن المنذور له أو المذبوح له ليس معبودا حقا. **الجواب: لا فرق.**

وأخيرا يقال: إن كان المراد إيصال الثواب إلى الميت، فليتصدق عنه في أي مكان على الفقراء والمساكين، أو بناء المساجد أو غيرها مما يكون عن الميت صدقة جارية، بعيداً عن التشبه بالمشركين والجهال، وأن لا تكون المعاونة على البطالة والفساد وغيرها مما تقدم من المحذورات الشرعية.

---

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد ص:١٧ برقم (٨٤)، والبيهقي في شعب الإيمان١٣/٤٠ برقم (٦٩٦٢) وابن أبي شيبة في مصنفه١٧/٥٣٧ برقم (٣٣٧٠٩) وأبو نعيم في الحلية١/٢٠٣، وقال مختار الندوي محقق الشعب: **إسناده حسن**.يُنظر: شعب الإيمان للبيهقي بتحقيق مختار الندوي ١٣/٤٠ برقم (٦٩٦٢).

الفصل الرابع

الانحرافات المتعلقة بالتوسل، والشفاعة، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التوسل، والشفاعة وأقسامهما.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالتوسل، والشفاعة.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى التوسل، والشفاعة، وأقسامهما.

قد وقع الاشتباه لدى بعض الناس في إقليم سرحد في معنى التوسل والشفاعة، والمراد بهما، فزعموا بعض الأشياء من التوسل أو الشفاعة وهي ليست منهما، فيجدر هنا بيان معنى التوسل والشفاعة لغة وشرعا، ثم أقسامهما، وما يجوز منهما شرعا، وما لا يجوز؛ لئلا يخطئ أحد في هذا، وليظهر حقيقة كل نوع منهما، وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوسل، والشفاعة لغة.

أولا: أصل الكلمتين:

التوسل: (الواو، والسين، واللام)كلمتان متباينتان جداً، **الأولى**: الرغبة والطلب، ومنها الوسيلة، **والثانية**: السرقة يقال: أخذ فلانٌ إبلَ فلانٍ توسلاً أي سرقة[(١)].

الشفاعة: (الشين، والفاء، والعين) أصل صحيح يدل على مقارنة شيئين، وضم الشيء إلى مثله، ومن ذلك الشفع خلاف الوتر، والشفعة في الدار ونحوها[(٢)].

ثانيا: تصريف الكلمتين:

التوسل: مصدر توسَّل يتوسَّل، توسُّلا(فهو مثال[(٣)]) زِيدَ على أصله حرفان، هما التاء، وتضعيف العين (**السين**)[(٤)].

الشفاعة: مصدر شَفَعَ، يَشْفَع، شَفْعاً، وشفَاعَةً، صحيح سالم مثل: منع، يمنع، منعاً، ومناعةً.

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ١٠٩١، مجمل اللغة لابن فارس٤/٩٢٥، تاج العروس للزبيدي١٥/٧٧٤-٧٧٥.

(٢) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٥٣١، المفردات للراغب ص: ٤٥٧.

(٣) المثال: هو ما يكون فاء كلمته أحد أحرف العلة يُنظر: التعريفات للجرجاني ص: ٢٥٤.

(٤) المعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد باسل عيون السود ص: ٣٤٦ جدول رقم (٢٠٣).

ثالثا: معنى الكلمتين.

أولا التوسل:

التوسل مصدرُ تَفَعّلَ، والوسيلة فعيلة، وهي في اللغة وردت على معانٍ منها:

١- الرغبة، والطلب، ومنه قول الشاعر[(١)]:

أرى الناس لا يَدْرُونَ ما قَدْرُ أمرِهم * بلى كلُّ ذي دينٍ إلى الله واسل**[(٢)]أي راغب، وطالب.

٢- ما يتقرب به إلى الغير[(٣)] وما يتوصل به إلى الشيء[(٤)].وقال الراغب: الوسيلة، التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة[(٥)].

٣- المنـزلة عند الملك، والدرجة، والقربة[(٦)] ومنه حديث «**اللهم آت محمداً الوسيلة ...**»[(٧)]وبذلك فُسِّر في حديث«**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ؛ فإنه من صلىّ عليّ صلاة صلّ الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منـزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو...**» [(٨)].

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة.ينظر:ديوانه مع شرح الطوسي ص:١٤٥، وورد عند البعض: (كل ذي لب) بدل (كل ذي دين). وعند البعض: (كل ذي رأي).

(٢) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ١٠٩١، مجمل اللغة لابن فارس ٩٢٥/٤.

(٣) الصحاح للجوهري١٨٤١/٥، ولسان العرب لابن منظور ٣٠٥/٩تاج العروس للزبيدي ٧٧٤/١٥.

(٤) النهاية لابن الأثير ٨٤٩/٢.

(٥) المفردات للراغب ص: ٨٧١.

(٦) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص:٩٨٥. ولسان العرب لابن منظور ٣٠٥/٩.

(٧) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء ١٢٤/٢(ح٦١٤).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن...٣٠٨/٤ (ح٨٤٧).

٤- الحاجة، قال ابن عباس ﷺ الوسيلة: الحاجة فقال نافع الأزرق[١]: هل تعرف العرب ذلك؟ قال: أما سمعت عنترة[٢] وهو يقول:

إن الرجال لهم إليكِ **وسيلةٌ** *** أن يأخذوكِ تكحلي وتخضبي[٣].أي لهم إليك حاجة[٤].

وقد فسّر بعضُ المفسرين الوسيلة في قول عنترة هذا بالقربة [٥].

ثانيا: الشفاعة:

الشفاعة: مصدر من شفع، والشفع خلاف الوتر، وهو الزوج[٦].

وقيل:الشفع ضم الشيء إلى مثله[٧]، ومنه الشُفعة، وهي: «أن تشفَع فيما تطلب، فتضمه على ما عندك» [٨].

---

(١) **نافع الأزرق:** هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي أبو راشد الحروري من رؤوس الخوارج، وإليه تنسب فرقة الأزارقة، كان يطلب العلم، وله أسئلة عن ابن عباس ﷺ مجموعة في جزء من روايته عن نافع المذكور وأخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير.قتل عام ٦٥هـ، ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء. يُنظر: ميزان الاعتدال للذهبي٧/٦ رقم(٨٩٩٨)، ولسان الميزان لابن حجر ٨/٢٤٦(٨٠٨٨).

(٢) **عنترة**: هو عنترة بن شداد بن عمرو، وقيل عنترة بن عمر بن شداد العبسي الشاعر الجاهلي، قيل كان من أحسن العرب توفي قبل البعثة. يُنظر: هدية العارفين للبغدادي١/٨٠٤، مقدمة شرح ديوان عنترة ص: ٣.

(٣) ينظر ديوان عنترة ص: ١٨.

(٤) الدر المنثور للسيوطي٥/ ٢٩٢ تحقيق التركي، روح المعاني للألوسي٦/١٨٣ وأضواء البيان للشنقيطي ٢/٧٦، جميعهم عند تفسير الآية ٣٥ من سورة المائدة، ولشمس الدين الأفغاني كلام جميل في هذا يراجع كتابه: جهود علماء الحنفية٣/١٤٤٣.

(٥) يُنظر: جامع البيان للطبري٤/٢٩٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٤٤٨.

(٦) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٥٣١، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص: ٦٧٧، وتاج العروس للزبيدى ١١/٢٤٦.

(٧) يُنظر: المفردات للراغب ص: ٤٥٧.

(٨) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص: ٦٧٧.

والشفاعة: انضمام الرجل إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، ويكثر استعمال الشفاعة في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى[١].

فكلام الشافع للملِك في حاجة يسألها لغيره شفاعةٌ[٢]، والشافع غالبا يكون أعلى مرتبة وحرمة عند الملك من هذا المشفوع له.

المطلب الثاني: التوسل، والشفاعة شرعا.

المعاني اللغوية للتوسل من الرغبة، والطلب، والقربة، والحاجة، والدرجة، والمنـزلة عند الملك، يصح أن تراعيَ كلها في المعنى الشرعي للتوسل، وكلها يمكن أن ترجع إلى معنى القربة والتقرب، لأن من يرغب شيئا ويطلبه يقترب منه، وكذا ذو الحاجة يقترب من حاجته، وليست المنـزلة عند الملك والدرجة عنده إلا القرب منه، ولذا ترى أكثر المفسرين[٣]يفسرون الوسيلة بالقربة، والتوسل بالتقرب كما فسروا بذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٥].

وحقيقة الوسيلة إلى الله: ((مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة))[٦].

وقيل: ((التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله))[٧].

---

(١) يُنظر: المفردات للراغب ص: ٤٥٨.

(٢) يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٥/١٤٥.

(٣) كقتادة، وعطاء، ومجاهد، وعبد الله بن كثير، والسدي، وابن زيد، والحسن البصري وغيرهم ونقل عنهم ذلك الطبري، وابن كثير، والقرطبي، والجلالين، وأبو سعود، والسعدي، والألوسي، والمظهري وغيرهم عند تفسير الآية(٣٥) من سورة المائدة و الآية(٧٥) من سورة الإسراء.

(٤) سورة المائدة (٣٥).

(٥) سورة الإسراء (٧٥).

(٦) المفردات للراغب ص: ٨٧١.

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/٢٤٧.

وقيل: ما يتوسل به، ويتقرب إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي(١).

وقيل: «الوسيلة هي السبب الموصل إلى المقصود» (٢).

وقيل: «الوسيلة قربة مشروعة، وتوصل إلى أمر مرغوب، والتوسل هو التقرب إلى الله بتلك القربة، **وتوسل الداعي**: هو طلبه المبني على تلك القربة» (٣).

أما الشفاعة فهي: «سؤال فعل الخير وترك الضر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة، ولا تستعمل لغة إلا بضم الناجي إلى نفسه مَنْ هو خائف من سطوة الغير» (٤).

وقيل: «ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك» (٥).

وقيل:«السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم» (٦).

وقيل: «سؤال الخير للغير»(٧).

إن تعريفات العلماء للشفاعة متقاربة المعنى، لأن التعريفات كلها تشير إلى أن الشافع يضم نفسه في طلب الخير للمشفوع له، وهي عن طريق التضرع والسؤال لا عن طريق القهر والغلبة، وفي الشفاعة كما أن الشافع يضم نفسه إلى المشفوع له في طلب مراده وحصوله، كذلك الشافع يضم نفسه إلى المشفوع إليه.

قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعة في الطلب بمعنى أنه صار شفعا فيه بعد أن كان وترا، فهو أيضا قد شفّع المشفوع إليه، وبشفاعته صار فاعلا للمطلوب، فقد شفّع الطالب والمطلوب منه، والله تعالى وتر لا يشفعه

(١) يُنظر: تفسير أبي سعود٢/٢٦٦، وينظر: تفسير الطبري و الجلالين والسعدي عند الآية(٣٥) من سورة المائدة.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٥/٢٧٩.

(٣) الشرك ومظاهره للمبارك الميلي ص: ٢٩٣.

(٤) الكليات للكفوي ص: ٥٣٦.

(٥) تفسير القرطبي ٢/٧٦عند تفسير الآية (٤٨) من سورة البقرة، و٦/٤٨٤ عند تفسير الآية (٨٥) من سورة النساء.

(٦) النهاية لابن الأثير ١/٨٧٧، ولسان العرب لابن منظور ٥/١٤٥، وينظر التعريفات للجرجاني ص: ١٦٧.

(٧) لوائح الأنوار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية للسفاريني ٢/٢٤٦، والتعريفات لسعد آل الشيخ ص:٢١٢.

أحد، فلا يشفع عنده أحد، إلا بإذنه[﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[1]]فالأمر كله له فلا شريك له بوجه[2] قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[3].

المطلب الثالث: أنواع التوسل والشفاعة

أولاً: أنواع التوسل

التوسل الشرعي ينقسم بالنظر في نصوص الشرع إلى نوعين:

١- التوسل الشرعي العام: وهو العبادات كلها، ونقول:

العبادات وسيلة العبد إلى رضوان الله والجنة، والنجاة من النار، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[4]. فإذا صمت رمضان وكذا قمت رمضان، وقمت ليلة القدر كل ذلك إيمانا واحتسابا فهي كلها وسائل إلى مغفرة الذنوب، وهكذا جميع الأعمال الصالحة وسائل للنجاة من النار والدخول إلى الجنة.

٢- التوسل الشرعي الخاص: وهو التوسل في الدعاء، وهو ما يتخذه العبد وسيلة لإجابة الدعاء[5]، وهو أنواع ثلاثة:

١-توسل العبد إلى الله ﷻ بذاته وأسمائه وصفاته.

٢-توسل العبد إلى الله ﷻ بأعماله الصالحة.

٣-توسل العبد إلى الله ﷻ بدعاء رجل صالح حيٍّ.

---

(١) سورة سبأ (٢٣).

(٢) يُنظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص: ٣٠٠.

(٣) سورة الزمر (٤٤).

(٤) سورة الإسراء (٥٧).

(٥) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٥/٢٨٠.

والأدلة على كل نوع من هذه الأنواع في القرآن والسنة كثيرة جدا، وهنا سأكتفي بذكر بعضها خشية الإطالة، ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى كتب العلماء المؤلفة في هذا الموضوع[1]:

فمما يدل على جواز توسل العبد إلى الله بذاته، وأسمائه، وصفاته، قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾[2]، ومنها دعاء النبي ﷺ عند النوم «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة، والإنجيل، والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقْضِ عنّا الدَّيْنَ، وأَغْنِنَا من الفقر**»[3].

ومما يدل على جواز توسل العبد إلى الله بعمله الصالح، حديث أصحاب الغار قال النبي ﷺ: «**انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى آوَوُا المبيتَ إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل فسدَّتْ عليهم الغارَ، فقالوا: إنه لا يُنْجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم** وفي رواية لمسلم: **فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها، لعل الله يفرجها عنكم...**»[4].

---

(١) كالتوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي من ص١٥-١٦٩، والتوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص: ٣١-٤١، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٥/٢٨٠-٢٨٧، والشرك ومظاهره للمبارك الميلي ص: ٢٩٣- ٢٩٩، والبصائر للمتوسلين بالمقابر لمحمد طاهر الفنجفيري ص: ٩٩ -١٠٨، وغيرها من الكتب المؤلفة في التوسل.

(٢) سورة الأعراف (١٨٠).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم١٧/٣٨(ح٦٨٢٨).

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإجارة باب من استأجر أجيرا فترك أجره ٤/٥٦٧(ح٢٢٧٢) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب التوبة باب قصة أصحاب الغار ١٧/٥٩ (ح٦٨٨٩).

ومن هذا النوع، توسل العبد إلى ربه بالإيمان به، وبالإيمان بكتبه، وإتباعه لرسله ونحو ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[2].

ومنه: التضرع إلى الله وبيان حاجته وحاله إلى الله وحده لا إلى غيره، كقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[3].

ومما يدل على جواز توسل العبد إلى الله بدعاء رجل صالح حي، قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾[4].

ومن هذا النوع توسل عمر بن الخطاب بدعاء العباس للاستسقاء[5]، وأمر النبي ﷺ من أمته أن يسألوا له الوسيلة، كما في حديث: «**ثم سلوا الله لي الوسيلة...**»[6]، ومنه قول النبي ﷺ في أويس القرني: «**إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أمٍّ له، قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقِيَهُ مِنْكم؛ فليستغفر لكم**»[7]، ويعلم من هذه كلها جواز التوسل الأعلى بدعاء الأدنى[8].

هذه الأنواع الثلاثة من التوسل المشروع، وما عداها يُعتبر من التوسل الممنوع وهو على قسمين:

---

(١) سورة آل عمران (١٦).

(٢) سورة آل عمران (٥٣).

(٣) سورة القصص (٢٤).

(٤) سورة يوسف (٩٧).

(٥) ينظر الحديث في صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا ٢/٦٣٧ (١٠١٠).

(٦) تقدم تخريجه قريبا في ص: ٤٨١.

(٧) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أُويس القرني ١٦/٣١١ (ح٦٤٣٧).

(٨) يُنظر: التوصل إلى حقيقة التوصل لمحمد نسيب الرفاعي ص: ١٥٢، ١٤٩.

١- توسل بدعي: كأن يتوسل الرجل في دعائه بذات الشخص، أو بجاهه عند الله، أو بحرمته عند الله أو بحقه على الله، أو يُقْسِمُ على الله بأحد من مخلوقاته(١).

٢- توسل شركي كأن يتوسل إلى الله بذات شخص من الأشخاص، ويعتقد أن لذلك المتوسل به تأثيرا بذاته، فيجعله فاعلا مع الله، أو أن له حقا مع الله في جلب نفع أو دفع ضر، فيجعل إرادة الله متأثرة بإرادة غيره، أو يقول في دعائه: أعطني يا شيخ الفلاني كذا وكذا، أو يقول: للميت أربد منك أن تطلب لي من الله، وفي الحقيقة هذان الأخيران لا يعدان من التوسل، بل هما من طلب الدعاء، لكن بعض الناس يزعمون أنها من التوسل فيقال له: هذا من دعاء غير الله ﷻ وإن تعده من التوسل، فهو من التوسل الشركي.

قال الشيخ شمس الدين الأفغاني -رحمه الله-(٢): «كل توسل فيه نداء الأموات لدفع المضرات، وجلب الخيرات، أو فيه طلب الشفاعة من الموتى لقضاء الحاجات، كأن يقول: اشفني، واقض حاجتي، واكشف كربتي، أو يقول: يا فلان أدع الله تعالى أن يزيل همي، ويدفع عني، ويغفر حوبتي...هو شرك بواح برب البريات، بل هو أمٌّ لعدة أنواع من الشرك بخالق الكائنات»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن بين أحوال المشركين في طلب الحوائج من غير الله تعالى: «وقد يخاطبون الميت عند قبره: سل لي ربك، أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرا حيا، وينشدون قصائد يقول أحدهم فيها يا سيدي فلان! أنا في حسبك، أنا في جوارك، اشفع لي إلى الله، سل الله لنا، أن ينصرنا على

---

(١) سيأتي الرد إن شاء الله في فصل الحلف بغير الله على من أجاز الإقسام على الله بمخلوقاته.

(٢) **شمس الدين الأفغاني:** هو أبو عبد الله شمس الدين بن محمد أشرف بن قيصر، مؤسس الجامعة الأثرية في بشاور باكستان، ولد حوالي سنة ١٣٧٢هـ له عدة مؤلفات مفيدة منها: الماتريدية، وجهود علماء الحنفية في الرد على القبورية، وغيرهما توفي عام ١٤١٧هـ.ينظر ترجمته بقلمه في: مقدمة كتابه الماتريدية١/١٧٢-١٨٢.

(٣) جهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ١٤٧٢/٣، وينظر: ١٤٨٤/٣.

عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكوا إليك كذا وكذا، فسل الله أن يكشف هذه الكربة، أو يقول أحدهم سل الله أن يغفر لي.

ومنهم من يتأول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[(١)] ويقولون إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة، ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين؛ فإن أحدا منهم لم يطلب من النبي بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئا، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم، وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء، وحكوا حكاية مكذوبة على مالك ﷺ سيأتي ذكرها وبسط الكلام عليها إن شاء الله تعالى[(٢)]، فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موقم، عند قبورهم، وفى مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، **هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين** من غير أهل الكتاب، وفى مبتدعة أهل الكتاب، والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[(٣)] فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موقم، وفى مغيبهم وسؤالهم، والاستغاثة بهم، والاستشفاع بهم في هذه الحال، ونصب تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم، هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولا، ولا أنزل به كتابا، وليس هو واجبا، ولا مستحبا باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد ويذكرون فيه حكايات ومنامات فهذا كله من الشيطان»[(٤)].

---

(١) سورة النساء (٦٤).

(٢) ينظر ص:٥٥٢ وما بعدها.

(٣) سورة الشورى (٢١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية١/١٥٨-١٦٠.

وقال الشيخ الألباني –رحمه الله– «الخلاصة: أن طلب الدعاء والشفاعة ونحو ذلك من الأنبياء والصالحين بعد موتهم لا يجوز، لأنه شرك أو ذريعة إلى الشرك»(١).

ثانيا: أنواع الشفاعة.

تنقسم الشفاعة إلى نوعين:

١–**شفاعة المخلوقين بينهم في حقوقهم**، وهي من مظاهر التعاون إذا كان المشفوع إليه يملك التصرف فيما طلب منه على مقتضى الأسباب العادية، ويدل على استحبابها قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾(٢)، وكان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو صاحب الحاجة، قال: «**اشفعوا فلتؤجروا، وليقض الله على لسان رسوله ما شاء**»(٣).

٢–**شفاعة المخلوق عند الخالق**، وهي على نوعين: أ –في الدنيا.ب– في الآخرة.

أ–**الشفاعة عند الله في الدنيا** فهي تكون بالدعاء للمشفوع له، سواء كان المشفوع له حيا أو ميتا، وسواء كانت الشفاعة في أمور الدنيا، أو أمور الآخرة، بشرط أن يكون الشافع حيا، لأن الشفاعة لا تتصور من الميت.

ومن أمثلة شفاعة الحي للحي في أمور الدنيا والآخرة: دعاء النبي ﷺ لأنس بن مالك ﷺ بقوله: «**اللهم! أكثر ماله وولده، وأطل حياته، واغفر له**» قال أنس ﷺ: فدعا لي بثلاث،

---

(١) مقدمة الشيخ الألباني لكتاب الآيات البينات، في عدم سماع الأموات، عند الحنفية السادات لنعمان الألوسي ص:٣٤.

(٢) سورة النساء (٨٥).

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأدب باب قول الله: «من يشفع شفاعة» ١٠/ ٥٥٥(ح٦٠٢٨)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب البر والصلة باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام ١٦/٣٩٣ (٦٦٣٤).

فدفنت مائة وثلاثة، وإن ثمرتي لتطعم في السَّنَة مرتين، وطالت حياتي حتى استحييت من الناس، وأرجوا المغفرة(١).

ومن أمثلة شفاعة الحي للميت عند الله في أمور الآخرة حديث: «**ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يَشْفَعُونَ له إلا شُفِّعُوا فيه**»(٢)، وفي رواية: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا، لا يشركون بالله شيئا إلا شفّعهم الله فيه**» (٣).

ب-الشفاعة عند الله في الآخرة: وهي تكون بدعاء الشافع وسؤاله التجاوز عن سيئات المشفوع له، أو التجاوز به إلى الدرجة الأعلى(٤).

وهذه الشفاعة منها خاصة بالنبي محمد ﷺ كالشفاعة العظمى وغيرها، ومنها ما يشارك فيه النبيُّ ﷺ وغيره، وللاستزادة يراجع كتب العقيدة في هذا الشأن(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد كتاب الأذكار باب من دعا بطول العمر، وقال الشيخ الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح الأدب المفرد للألباني ص: ٢٤٣(ح ٥٠٨).

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب من صلى عليه مائة ٢٠/٧(ح٢١٩٥).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب من صلى عليه مائة ٢١/٧(ح٢١٩٦).

(٤) الشرك ومظاهرة لمبارك الميلي ص: ٣٢٢.

(٥) يُنظر: التذكرة للقرطبي ٦٠٧/٢، وفتح الباري لابن حجر ٥٢٠/١١، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص: ٢٨٨-٢٩٣، وأعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي ص: ٦٨.

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالتوسل، والشفاعة.

لقد كثرت الانحرافات المتعلقة بالتوسل والشفاعة في إقليم سرحد في باكستان وغيره، ولم يعرف بعض الناس المعنى الشرعي للتوسل ولا أنواعه، ولم يعرف الآخرون شروط الشفاعة، ولا أقسامها، ومن الانحرافات المتعلقة بالتوسل والشفاعة:

الانحراف الأول: تعريف الوسيلة بعلماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة، والتوسل هو السؤال بأسمائهم وحقوقهم ونحو ذلك.

قال بعضهم في حقيقة الوسيلة الشرعية: (الوسيلة علماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة،[١] وقالوا في كيفية التوسل: أن يذكر نبياً، أو ولياً، أو عالما صالحا، ويسأل الله بحقه، كما طلب الأعرابي من النبي ﷺ أن يستغفر له[٢]، أو كقول الشامي[٣]: يا سيدي أحمد بن علوان![٤]، وإن قال للميت: افعل لي هذا الفعل! ويعني: ادع الله لي، فهذا أيضا جائز، وإن طلب من الولي ما ليس في وسعه، كشفاء المرضى، وإعطاء الولد، وردّ الغائب، فهذا أيضا جائز، لأن هذا مجاز، وفي الحقيقة هذه الأمور يفعلها الله تعالى)[٥].

وقال غيره في معنى التوسل: «معناه التبرك بذكر أحباء الله تعالى! لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم، فمعنى التوسل بهم:أن يتخذهم وسيلة، أي واسطة إلى الله جل وعلا

---

(١) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٢ محيلا إلى تفسير روح البيان للبروسوي ١/٥٦٠.

(٢) يشير إلى حديث ضعيف، سيأتي قريبا بتمامه، مع بيان استدلالهم والرد عليه. ص:٥٣٩.

(٣) يقصد بالشامي: ابن عابدين -رحمه الله- مؤلف كتاب رد المختار في الفقه الحنفي.

(٤) يشير إلى ما نقله الشامي في كتابه رد المحتار: «يا سيدي أحمد يا ابن علوان، إن لم ترد عليّ ضالتي، وإلا نزعتك من ديوان الأولياء، فإن الله يرد على من قال ذلك ضالته» وقد سبق ترجمة أحمد بن علوان، والرد على هذه المقولة، يراجع فصل الاستغاثة والاستعانة ص:٤٢٤، ٤٧٧.

(٥) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ١-٢.

في قضاء الحوائج، وحصول المطالب؛ لكونهم أقرب إلى الله منّا، فهو يجيب دعاءهم، ويقبل شفاعتهم»[(١)].

الانحراف الثاني: التوسل الشركي وهو على نوعين:

١-توسل شركي صريح.

ومن هذا النوع ما قاله يوسف اللديانوي -رحمه الله-: (**والصورة الثانية للوسيلة**: ما يظنه بعض الناس: أنهم لا يمكن لهم الوصول إلى الله ﷻ، فإن كان لهم حاجات فيقدمها إلى عباد الله المقبولين [عندهم]، ويطلبون من هؤلاء الصالحين قضائها؛ فهؤلاء يريدون مطالِبَهم من الأولياء، ويظنون بأن هؤلاء الأكابر يُوَفُّون حاجاتهم بعطاء الله لهم، وهم قادرون على قضاء الحوائج، ولقد رأيت كثيراً من الناس على قبور بعض الأكابر[(٢)] طالبين أدعيتهم[وحاجاتهم]منهم)[(٣)].

٢-توسل شركي غير صريح.

ومن هذا النوع طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو من غيره بعد وفاته، قال أحدهم في النبي ﷺ: (وعقيدتي في الأنبياء وخصوصا في سيد الكائنات ﷺ: «**حياة النبي**» [أي أنه ﷺ حي في قبره] ومسالة قراءة الصلاة والسلام عليه، وطلب الشفاعة عند حضور الرجل على روضة النبي المقدسة[(٤)]، كَتَبها كُتُبُنَا[(٥)]، فإذا قُدّر لصاحب الحظ السعيد، الحضور على

---

(١) «اختلافي مسائل كا حل» لمحمد أشرف جشتي ص:١٢-١٣.

(٢) ذكر اللديانوي -رحمه الله- هنا أسماء بعض المشايخ كبهاء الحق الملتاني -رحمه الله-، فريد الدين گنج شكر -رحمه الله-، وعلي الهجويري -رحمه الله- المعروف بين الناس بـ «داتا گنج بخش» وغيرهم، ثم قال: **وأنا أرى هذا الفعل جهلا محضا**.يُنظر: «اختلاف أمت» (بالأردية) ص: ٤٩، و(بالبشتو) ص: ٧١.

(٣) يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص: ٤٩-٥٥، و(بالبشتو) ص:٧١-٧٨.

(٤) الروضة المقدسة: لا يقصد هذا الرجل بالروضة المقدسة البقعة التي بين بيت النبي ﷺ ومنبره التي قال فيها النبي ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**» [متفق عليه]، بل يقصد بالروضة المقدسة قبر النبي ﷺ كما هو المعلوم عند العوام، وكما يظهر من سياق الكلام.

(٥) يقصد بكتبه: كتب الديوبندية؛ لأنه ديوبندي.

مقام النبوة العالي[يعني قبر النبي ﷺ]، فإن قدّم في خدمته طلبُ الدعاء والشفاعة، فأنا أرى هذا جائزا(١)، بل مستحسنا)(٢).

وأكثر الناس طلبا للشفاعة من غير الله هم الرافضة، وكتبهم مليئة بذلك منها ما في دعائهم المسمى بدعاء التوسل حيث يطلبون من الذين يعتقدون فيهم العصمة وفي بعضهم الإمامة(٣)،

---

(١) الاستدلال بحياة النبي ﷺ على جواز طلب الدعاء والشفاعة من الأنبياء بعد وفاتهم، استدلال باطل؛ لأن الشهداء أيضا أحياء عند ربهم -حياة برزخية- بنص قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، [البقرة(١٥٤)]وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران(١٦٩)]، ومع ذلك لم يقل أحد من السلف بجواز طلب الشفاعة والدعاء منهم، حتى إن الشيخ محمد يوسف اللديانوي بنفسه- ردّ على من طلب الدعاء من الشهداء حيث قال: (نُقل عن النبي ﷺ أنه قال لعمر رضي الله عنه عندما استأذنه في الذهاب إلى العمرة، فقال له: «**يا أخي لا تنسانا من دعائك**» [مسند أحمد ٣٩/١،و٥٩/٢] ولم يثبت من النبي ﷺ عند ذهابه إلى قبر نبي أو صدّيق، أنه طلب منه الدعاء، وكذا الصحابة والتابعون كان أحدهم يطلب الدعاء من الأخر، **ولم يثبت من أحد عند ذهابه إلى قبر أحد من شهداء، أنه طلب منه الدعاء**.يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص:٥٦-٥٧ و(بالبشتو) ص: ٧٩-٨٠.

(٢)يُنظر: «اختلاف أمت» لمحمد يوسف اللديانوي بالأردية ص: ٥٩، وبالبشتو ص: ٨٢.

(٣) يعتقدون العصمة في علي بن أبي طالب، وابنيه الحسن والحسين، و علي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، وابنه موسى الكاظم، وابنه علي الرضا، وابنه محمد الجواد، وابنه علي الهادي، وابنه الحسن العسكري، وفي طفل يزعمون ولادته للحسن العسكري وأن اسمه محمد وأنه المهدي المنتظر، يعتقدون في هؤلاء الاثني عشر العصمة والإمامة، و يضمون معهم رسول الله ﷺ وابنته فاطمة في العصمة دون الإمامة، والحق والصواب: أنه لا عصمة لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وما يذكرون فيهم من الإمامة، فمنهم إمام المسلمين وأمير المؤمنين على الحقيقة، ومنهم عالم من علماء المسلمين، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم من لا وجود له أصلا كالطفل المزعوم، فكيف يوصف بأنه معصوم أو إمام أو عالم.

ويخاطبونهم بقولهم: «**اشفع لنا عند الله**»[١]، ويقولون في زيارة حمزة عـــم الرســـول ﷺ مخاطبا حمزة ﷺ: «**فكن لي شفيعا يوم فقري وحاجتي**» [٢].

ومنها ما قال اللديانوي -رحمه الله-: (ويمكن أن تكون **الصورة الثالثة للوسيلة:** أن بعض الناس لا يطلبون حاجاتهم من الأكابر [والأولياء] إلا أنهم يطلبون منهم أن يقدموا حوائجهم إلى الله تعالى)[٣].

وقال آخر: (فمن ذهب إلى قبور الأولياء والصالحين، وقال لهم: «**سلوا الله لي**» فهؤلاء عباد الله الصالحين والأولياء، بل وجميع[أموات]المسلمين يسمعون كلام الأحياء)[٤].

ثم استدل على جواز طلب الدعاء من الأموات بقوله: (كَتَبَ تفسير المظهري[٥]: إن الله أعطى لأرواح أوليائه قوة أجسادهم، يذهبون حيث شاءوا، ويَمُدُّون أولياءهم، ويدمرون أعدائهم)[٦].

وفي الحقيقة ليس هذا من التوسل في شيء بل هذا من شرك الشفاعة، لكنه خفي على البعض فزعموا أن هؤلاء الأكابر والأولياء شفعاؤهم عند الله، أو يقدمون مطالبـــهم وحاجاتهم إلى الله، وهو كما قال الله تعالى عن مشركي مكـــة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[٧].

الانحراف الثالث: التوسل البدعي.

انحرف بعض الناس في إقليم سرحد في باكستان حيث يصرِّحون في كتبـــهم المؤلفـــة، وفتاواهم المتبعة، ودروسهم في المدارس للطلبة، بجواز التوسل بذات الشخص الفاضل حيا كان أو ميتا، وبحقه، وحرمته، وجاهه، وصورة نعله، ونحو ذلك، وأن ذلك أرجى لقبول الدعوات:

---

(١) «وظائف محمدية» لحامد حسين ص: ١٢٤-١٣٣، ومفاتيح الجنان للقمي ١٥٤-١٥٦.

(٢) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٤٠٤.

(٣) يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص: ٥٥، و(بالبشتو) ص:٧٨.

(٤) يُنظر:«أنوار الإيمان» لحافظ مطيع الله ص:٨٢٠.

(٥) تفسير المظهري لمحمد ثناء الله باني بتي المظهري١/١٦٩ عند تفسير الآية (١٥٤) من سورة البقرة.

(٦) يُنظر: «أنوار الإيمان» لحافظ مطيع الله ص: ٨٢٠.

(٧) سورة يونس (١٨).

١- قال أحدهم ونقل الآخرون عنه مستدلين بقوله: «عندنا وعند مشايخنا[١] يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء، والصالحين من الأولياء، والشهداء، والصديقين في حياتهم، وبعد وفاتهم، بأن يقول في دعائه، اللهم إني أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي، وتقضي حاجتي إلى غير ذلك» [٢].

٢- وقال بعضهم: (التوسل جائز سواء كان بالأحياء أو الأموات، وسواء بالذوات أو الأعمال، وسواء بأعمال الغير أو بعمل نفسه، لأن كل هذا يرجع في الأصل إلى التوسل برحمة الله، ...والتوسل بالأنبياء والصالحين في الدعاء مستحب، وأقرب إلى الإجابة؛ لأن المسئول هو الله ﷻ) [٣].

٣- وقال الآخر في الرد على من جعل الدعاء والاستعانة من العبادة: «ما المراد من الدعاء والاستعانة؟ إن كان المراد أن مجيب الدعوات والمستعان هو الله تعالى فلا ريب فيه أنه صحيح، عقيدة أهل الإسلام كافة، وإن كان المراد أن طلب إجابة الدعاء من الله بوسيلة أَحَدٍ [من الصالحين] وحرمته وبركته، وطلب العون والنصرة من الله بواسطة الذوات الفاضلة وحرمتهم شرك، فهذا أمر باطل» [٤].

٤- وقال الآخر: (التوسل جائز بحرمة النبيﷺ، والصحابة العظام، وغيرهم من المقبولين عند الإله، **وصورتها** أن تقول: اللهم! بحرمة عبدك الصالح هذا، وعبادك المقبولين اقبل دعائي، أو اقض حاجتي كذا وكذا...[٥].

ويكثر هذا النوع من التوسل عند الصوفية، كما في سلاسل الطرق الصوفية حيث يذكرون فيها إلهي بحرمة فلان -ويذكر اسم شيخه- ثم يقول إلهي بحرمة فلان -ويذكر اسم شيخ شيخه، إلهي بحرمة فلان- ويذكر اسم أستاذ شيخ شيخه- وهكذا يذكرون أسماء جميع

---

(١) يقصد بمشايخه، مشايخ الديوبندية.

(٢) «عقائد علماء ديوبند» لخليل أحمد ص: ٢٣-٢٤، و«فقهي كشكول» لرشيد أحمد حقاني ص: ١٤٦.

(٣) يُنظر: «فقهي كشكول» لرشيد أحمد حقاني ص: ١٤٢-١٤٣.

(٤) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٣٦.

(٥) يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص: ٤٧، ٥٤، و(بالبشتو) ص:٦٨، ٧٧.

مشايخ الطريقة ويتوسل بحرمته إلى الله ويقول: افعل لي كذا وكذا [1] ومنهم من يقول:(إلهي بجاه فلان ويذكر اسماً من أسماء مشايخ السلسلة مكان قوله: بحرمة فلان)[2].

٥- التوسل بصورةٍ يعتقدونها صورة نعل رسول الله ﷺ، حيث يصوِّرون صورةً، يزعمونها صورة نعل الرسول ﷺ، ثم يتوسلون بتلك الصورة إلى الله تعالى لقبول أدعيتهم.

وكيفية التوسل بتلك الصورة -عندهم- على النحو الآتي: (الأفضل أن تقوم في آخر الليل، وتتوضأ وتصلي صلاة التهجد ما أمكن لك، ثم تصلي على النبي ﷺ إحدى عشرة مرّة، ثم تقرأ الكلمة الطيبة[3] إحدى عشرة مرّة، ثم تستغفر إحدى عشرة مرة، ثم تضع هذه الصورة[يعني صورة نعل المصطفى ﷺ]بأدب كامل على رأسك، وتقول بتضرع تام: اللهم! أنا من أدنى درجة عبيد[وخدام]الرسول الأقدس الذي وضعتُ صورة نعله على رأسي، اللهم بسبب هذه العبودية انظر إليّ، وببركة هذا النعل الشريف اقض حاجتي الفلانية -ولا تطلب ما يخالف الشرع- ثم أنزلها من رأسك وأدلكها بوجهك، وقبّلها بمحبة تامة، واقرأ أشعار الذوق والشوق لغرض زيادة العشق[4] المحمدي، تجد إن شاء الله حالة عجيبة[5]) اهـ[6].

---

(١) يُنظر: ((إرشاد السلوك مع السلسلة القادرية الغفورية)) لمارتونجي ص: ٣٧-٤٧، و((السلسلة المباركة)) حسب الإرشاد مفتي محمد فريد ص: ٢٠-٢٧، وغيرها.

(٢) يُنظر: ((التحفة الصندلية)) لسيد محمود الصندلي ص: ٧٤-٧٦.

(٣) المراد بالكلمة الطيبة كلمة التوحيد: وهي لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

(٤) تقدم في فصل المحبة، أن العشق يستعمل في محبة ترافقها قضاء الشهوة، فلا يناسب استعمال هذا اللفظ في محبة الله ومحبة رسوله، ومحبة الوالدة والأخت، ونحوها من المحارم للمزيد من التفصيل يراجع ص:١٩٣-١٩٤.

(٥) يذكرون البعض هنا قصصا منسوبة إلى بعض الناس: بأنهم توسلوا بصورة النعل المذكور فشُفي له مريض، وقال غيره: إنه نُجّي من الغرق في البحر بالتوسل به، حتى قال البعض: من توسل بصورة هذا النعل في أيّ مقصد من المقاصد، يحصل له مراده، ويفوز بحاجته مهما كانت الحاجة. زاد السعيد مع نيل الشفاء ص: ٥٣، ٥٤.

(٦) يُنظر: ((زاد السعيد مع نيل الشفاء بنعل المصطفى ﷺ)) لأشرف على التهانوي قام بترجمة إلى اللغة البشتو معز الدين الكشميري ص: ٥٢، والوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٦٦.

ونقل بعضهم في كيفية التوسل بصورة نعل الرسول ﷺ أبياتا من الشعر:

يا طالباً تِمْثَال نعل نبيه ***هَا قد وجدتَ إلى اللقاء سبيلا

فاجعله فوق الرأس واخضَعن له * وتَغَالَ فيه وأَوْلِهِ التَّقْبيلا**

مَنْ يدَّعي الحب الصحيحَ فإنه * يُثبِتْ على ما يدّعيه دليلا[1].**

وقال الآخر في ذلك: لمـّا رأيت مثال نعل المصطفى * المسند الوضع الصحيح معرّفاً**

فمسحت وجهي بالمثال تبركا * فشفيتُ من وقتي وكنت على الشفا**

وظفرت بالمطلوب من بركاته * ووجدتُ فيه ما أريد من الصفا[2].**

الانحراف الرابع: استدلال بعضهم على جواز التوسل البدعي بما لا يدل عليه.

يستدل بعض الناس في إقليم سرحد على جواز التوسل بذات الشخص، وجاهه، أو حرمته ونحو ذلك بأدلة لا تدل عليه، وهذه الأدلة إما نصوص صحيحة، ولكن لا تدل على دعواهم، أو أدلة غير صحيحة، كأحاديث موضوعة، أو ضعيفة، أو أقوال منسوبة لبعض العلماء، ومن المعلوم المتفق عليه بين العلماء قاطبة أن المسائل الدينية كالتوسل والشفاعة، وسماع الأموات ونحو ذلك، لا يستدل فيها إلا بأدلة صحيحة.

ومما يستدلون به على جواز التوسل بذات الشخص، وحرمته، وجاهه:

١- قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].قال بعضهم في تعريف الوسيلة: (الوسيلة: ما يتوسل به إلى الله يعني يحصل به التقرب سواء كان بالعمل الصالح، أو الذوات الفاضلة، لأن بعض المفسرين يفسرون الوسيلة بالأعمال الصالحة، وبعضهم يفسرونها بالأشخاص الفاضلة

---

(١) «زاد السعيد مع نيل الشفاء بنعل المصطفى ﷺ» لأشرف على التهانوي (بترجمة البشتو) لمعز الدين الكشميري ص: ٥٤-٥٥ محيلا إلى أبي الخير الجزري.

(٢) «زاد السعيد مع نيل الشفاء بنعل المصطفى ﷺ» لأشرف على التهانوي (بترجمة البشتو) لمعز الدين الكشميري ص:٥٦ محيلا إلى السيد محمد الحمازي الحسيني المالكي.

(٣) سورة المائدة (٣٥).

كما ذكر[صاحب] روح البيان: الوسيلة علماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة، ومن يخصصها بالعمل الصالح لا دليل لهم على ذلك»[1].

٢- قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]، قال بعضهم في تفسير الكلمات: «رأى [آدم ﷺ] مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفّع به، فهي الكلمات»[3].ونقل البعض في تأييد ما يذهبون إليه بعض الروايات **الضعيفة** بل **والموضوعة** كقولهم: «قال رسول الله ﷺ: لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى السماء، فقال: أسألك بحق محمد ﷺ إلا غفرت لي ، فأوحى الله إليه مَنْ محمدٌ؟ فقال: تبارك اسمك لَمَّا خلقتني، رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوبٌ، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً عمن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه، يا آدم! إنه آخر النبيين من ذريتك، ولو لا هو ما خلقتك!!»[4] نقل جملة من الناس في إقليم سرحد في باكستان هذا الحديث بألفاظ مختلفة، وزاد بعضهم بعد نقل هذا الحديث: «**هذا حديث صحيح الإسناد**.[انظر]**مجموعة الفتاوى لابن تيمية**»[5].وقال البعض: الحديث ضعيف، ولكنه يجاب عن هذا بأن الحديث الضعيف حجة في فضائل الأعمال والأخبار، والجواب الثاني أن الراوي[عبد الرحمن بن زيد بن أسلم] ليس من الرواة المتفق على ضعفه، حيث قال ابن حجر -

---

(١) يُنظر: الذخائر لكفاية الله الداجوي ص:٢.

(٢) سورة البقرة (٣٧).

(٣) الفائدة الجميلة في التوسل والوسيلة لغلام محمد ص: ٢٢.محيلا إلى القرطبي، وروح المعاني.

(٤) الوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٥٠، والدر النظيم لنادرشاه ص:٣٥،٩، وضياء الصدور لمنكري التوسل بأهل القبور لظاهر شاه السواتي ص: ٥، والفائدة الجميلة لغلام محمد ص: ٢٢-٢٣ وأنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٨١٤.

(٥) الوسيلة لسيد همايون رشيد ص:٥٠ محيلا إلى مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/٢!!! ولما راجعت إلى مجموع فتاوى ابن تيمية لم أجد فيه هذا الكلام، بل فيه عكس هذا تماما كما سيأتي في المبحث الثالث من هذا الفصل عند الرد على هذا الانحراف.

رحمه الله-: «قال ابن عدي: له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله الناس، وصدقه بعضهم، وهو ممن يكتب حديثه»[١].

٣- قوله تعالى: ﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢].نقل بعضهم بعد نقل هذه الآية: «عن العتبي[٣]قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله! سمعت الله يقول ﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٤]وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي! الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له»[٥] وذكر البعض أنه نودي من القبر:« قد غُفر لك»[٦].وروَى البعض: أن رجلا جاء -ولم يذكر أنه كان أعرابيا[٧]- ونقل البعض عن علي رضي الله عنه قال: «جاء أعرابي بعد ما دفن رسول الله بثلاثة أيام، فرمى نفسه على قبر النبي ﷺ، وألقى على رأسه من ترابه...»[٨].

---

(١) الفائدة الجميلة لغلام محمد صادق ص: ٢٤ محيلا إلى تهذيب التهذيب لابن حجر ٦٧٨/٦.

(٢) سورة النساء (٦٤).

(٣) ستأتي ترجمته في المبحث الثالث عند الرد على هذا الانحراف.

(٤) سورة النساء (٦٤).

(٥) الدر النظيم لنادر شاه ص: ١١، والفائدة الجميلة لغلام محمد ص: ٣٣.

(٦) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص:٥، الفائدة الجميلة لغلام محمد ص: ٣٤.

(٧) يُنظر:ضياء الصدور لظاهر شاه السواتي ص:٦-٧. الفائدة الجميلة لغلام محمد ص: ٣٥.

(٨) الدر النظيم لنادر شاه ص:١١، الوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٥.

ويستدل الرافضة بهذه الآية عند زيارتهم النبيَّ ويقولون: «اللهم إنك قلت: ﴿ ...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[1] وإني أتيتك مستغفرا تائبا من ذنوبي، وإني أتوجه بك إلى الله ربي وربك؛ ليغفر لي ذنوبي»[2].

٤- حديث «عثمان بن حنيف[3]: أن رجلا ضرير البصر، أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم! إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك، محمد نبي الرحمة، إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه، لتُقْضَى لي، اللهم! فشفعه فيَّ »[4]، قال بعضهم بعد نقلهم لهذا الحديث: (ثبت من هذا الحديث التوسل بـ[ذات]الرسول ﷺ صراحة، لعدم ثبوت الدعاء النبي ﷺ لهذا الشخص البتة، فثبت أنه كما يجوز التوسل بالدعاء، كذلك يجوز التوسل بذات الشخص)[5].

٥- حديث «عن عثمان بن حنيف: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف، فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين، ثم قل: اللهم! إني أسألك، وأتوجه إليك، بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد! إني أتوجه بك إلى ربك، ربي جل وعز -فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي حتى

---

(١) سورة النساء (٦٤).

(٢) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٣٨٤، وينظر: ٣٩٤.

(٣) **عثمان**: هو عثمان بن حنيف بن واهب بن العكيم الأنصاري الأوسي أبو عمرو المدني أخو سهل بن حنيف وعباد بن حنيف له صحبة، مات في خلافة معاوية رضي الله عنه.ينظر: تهذيب الكمال للمزي ٣٥٨/١٩، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٠٠/٨، وتقريب التهذيب لابن حجر ص:٦٦١ برقم (٤٤٩٤).

(٤) «الفائدة الجميلة» لغلام محمد ص: ٤٣، محيلا إلى سنن الترمذي، وابن ماجه، والمعجم الصغير للطبراني، والمستدرك للحاكم وغيره.

(٥) يُنظر:«الفائدة الجميلة» لغلام محمد ص: ٤٥، محيلا إلى نشر الطيب لأشرف علي التهانوي ص: ٣٠٠.

أروح معك، فانطلق الرجل، فصنع ما قال له عثمان، ثم أتى باب عثمان؛ فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطِّنْفِسة[١] وقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي، ولا يلتفت إلي حتى كَلَّمْتَه، في فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمتُه، ولكن شهدت رسول الله ﷺ، وأتاه ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: أفتصبر ؟ فقال: يا رسول الله! إنه ليس لي قائد، وقد شق عليّ، فقال له النبي ﷺ: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات...»؛ فثبت من هذا الحديث التوسل بذات النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم بعد وفاته[٢].

٦- «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم! إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ؛ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا؛ قال: فيسقون»[٣] قالوا: (وعلم من هذا الحديث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من الصحابة الكرام ما استسقوا مباشرة، بل توسلوا في دعائهم للاستسقاء بالعباس رضي الله عنه، وقالوا: اللهم! كنا دائما نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، والآن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) وقالوا أيضاً: (إن بعض الناس يعترضون ويقولون: إن عمر رضي الله عنه لم يتوسل بالنبي ﷺ لأنه مات فلا يجوز التوسل بالنبي بعد وفاته، ففي الحقيقة هذا سوء التفاهم من هؤلاء؛ لأن التوسل بالعباس في الحقيقة توسل بالنبي ﷺ، وذلك لقرابة العباس للنبي ﷺ، وإلا فغيره من أصحاب الرتب العالية من الصحابة كثيرون، فلم يكن التوسل بالعباس إلا من أجل قرابته للنبي ﷺ، وما نقوله ليس ظنا محضا، بل ورد بذلك روايات «...فقال كعب: يا أمير

---

(١) الطُّنْفُسَةُ: بكسر الطاء والفاء وضمهما، وبكسر الطاء وفتح الفاء: البساط الذي له خَمْل رقيق وجمعه طَنَافِس. النهاية لابن الأثير ١٢٤/٢.

(٢) يُنظر: الفائدة الجميلة لغلام محمد ص:٤٥-٤٧، ويُنظر: «فقهي كشكول» لرشيد أحمد حقاني ص: ١٤٤-١٤٥، والوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٢١.

(٣) الفائدة الجميلة لغلام محمد ص: ٣٨، محيلا إلى صحيح البخاري ١٣٧/١.

المؤمنين! إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا، استسقوا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عم رسول الله ﷺ وصنو أبيه، وسيد بني هاشم، فمشى إليه عمر، وشكا إليه ما فيه الناس من القحط، ثم صعد المنبر ومعه العباس، فقال: اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين...»(١).

٧- قالوا: إن كثير من العلماء قالوا بجواز التوسل بالذوات الفاضلة، ولو كان ذلك شركا لما قالوا بذلك؛ لأنهم أبعد الناس من الشرك فعُلم أن هذا التوسل ليس بشرك، بل هو أمر مندوب إليه، ومن ذلك العلماء:

- قال ابن حجر المكي: «اعلم أنه لم يزل العلماء، وذوو الحاجات يزورون قبره [أي قبر الإمام أبي حنيفة]، ويتوسلون[بـ]قبره في قضاء حوائجهم، ويرون نجح ذلك(٢)، منهم الإمام الشافعي -رحمة الله تعالى عليه- لمّا كان ببغداد فإنه جاء عنه أنه قال: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين، وجئت إلى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعا»(٣).
- وقال الإمام مالك -رحمه الله- لـمّا سأله المنصور(٤): أ أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله ﷺ؟: «ولِمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك، ووسيلة أبيك

---

(١) الفائدة الجميلة لغلام محمد صادق ص: ٣٩-٤٠ محيلا إلى الاستيعاب لابن عبد البر ٤٨٦/٢.

(٢) النجح: الصواب والصدق، يقال: رأي نجيح أي صواب. لسان العرب لابن منظور ٤٥٦/٨. هكذا في كتاب الخيرات الحسان لابن حجر (١٢٩).

(٣) الفائدة الجميلة لغلام محمد صادق ص: ٥٩، محيلا إلى الخيرات الحسان لابن حجر الهيتمي ص: ٢٣، ويُنظر: الوسيلة لهمايون رشيد ص: ٥٨، والذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ٨، والمقالات لمفتي محمد فريد ص: ٦٩، مع الاختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) **المنصور**: هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثاني خلفاء بني العباس ولد سنة ٩٥هـ وتوفي ١٥٨هـ . تاريخ بغداد ٥٣/١٠(٥١٧٩) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١٤/٧(٧٤)، والأعلام للزركلي ١١٧/٤.

آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة، بل استشفع به؛ فيشفعه الله فيك»[1]

هذه هي أبرز الانحرافات وأقوى شبه وأدلة المنحرفين في باب التوسل والشفاعة، وقد يذكر بعضهم بعض الأشياء تركتها؛ لأنها لا تساوي في الاستدلال جناح بعوضة، كالقصص والمنامات والأحاديث الضعيفة والموضوعة يعرفها العوام والخواص، وأقوالا منسوبة إلى العلماء والأسلاف، حتى يقول البعض: إنه جربّ التوسل بقبر فلان، فأجيب دعاؤه، ولا يدري أن التجارب والقصص وغيرها ليست من أدلة الشرع، فلا يستدل بها.

---

(١) «المقالات» لمفتي محمد فريد المجددي ص: ٦٧، و«الفائدة الجميلة» لغلام محمد ص: ٥٨، محيلا إلى شرح الشفاء للخفاجي٣/٣٩٨، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ٨/ ٣٥٧، وفاء الوفاء للسمهودي ص: ٦ مع الاختلاف في بعض الألفاظ.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتوسل والشفاعة

تمهيد:

لا ريب أن التوسل أنواع منها ما هو مشروع، ومنها ما ليس بمشروع، فمن الجائز التوسل الشرعي العام، وهو التقرب إلى الله تعالى، وهو جائز ومطلوب بجميع أنواع العبادات، وكذلك يجوز التوسل الخاص إلى الله في الدعاء، وذلك بذات الله ﷻ وأسمائه وصفاته، أو يتوسل الداعي في دعائه بعمله الصالح، أو كان بدعاء رجل صالح ممن يمكن وتصور منه الدعاء، أما غيرها فليس بجائز؛ لأنه ليس عليه دليل شرعي صحيح يدل عليه. كما تقدم التفصيل في أقسام التوسل المشروع.

وما لم يرد به الشرع من التوسلات كالتوسل بعمل الغير، أو بذات شخص فاضل أو بجاهه، وحرمته، أو منزلته عند الله، ونحو ذلك فهو توسل غير مشروع.

والتوسل غير المشروع نوعان: شركي، وبدعي

فأما الشركي فهو ما كان فيه الطلب من غير الله ﷻ.

وأما البدعي: فهو التوسل في الدعاء بأمور لم ترد في الشرع من غير أن يكون فيه الطلب من غير الله.

وأما الشفاعة فقد تقدم أنها على نوعين:

أ-الشفاعة الجائزة: وهي التي تكون بين المخلوقين في حقوق بعضهم على بعض.

ب-الشفاعة التي فيها تفصيل: وهي شفاعة المخلوق إلى الخالق، وهي نوعان:

١- الشفاعة في الدنيا فهي جائزة من الحي للحي والميت، في أمور الدنيا والآخرة.

٢- الشفاعة في الآخرة وفيها تفصيل: فهي جائزة إذا توفرت فيها شروطها، وممنوعة إذا لم تتوفر فيها الشروط.

وشروط الشفاعة منها ما يشترط في الشافع، ومنها ما يشترط في المشفوع له.

أما شروط الشافع فهي ثلاثة:

١-أن يرضى الرب عنه.

٢-أن يأذن الله له.

٣-يحد له حدا، أي يُعَيِّنُ له من يشفع في حقه.

ودليل الشرط الأول: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[(١)].

ودليل الشرط الثاني: قوله تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[(٣)] قال ابن كثير -رحمه الله-: «وهذا من عظمته وجلاله، وكبريائه ﷻ أن لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد، إلا بإذنه له في الشفاعة»[(٤)].

ودليل الشرط الثالث: حديث الشفاعة وفيه «فيأتوني فأنطلق فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجدا، فيَدَعُني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك.وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع، **فيحد لي حدا**، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أرجع ...»[(٥)] ثلاث مرات أو أربع

ويشترط في المشفوع له أن يكون من المؤمنين الموحدين، ولا يكون من المشركين والدليل على ذلك قوله تعالى في شأن الملائكة: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[(٦)]وقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[(٧)] ومعلوم أن الله لا يرضى عن المشرك.

---

(١) سورة طه (١٠٩).

(٢) سورة يونس (٣).

(٣) سورة البقرة (٢٥٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤٠/٢.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ١١/ (ح٦٥٦٥) ونحوه صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب حديث الشفاعة ٥٤/٣ (ح٤٧٤).

(٦) سورة الأنبياء (٢٨).

(٧) سورة النجم (٢٦).

فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر فإن الشفيع عند البشر، يشفع من دون إذن المشفوع إليه، بخلاف الشفاعة عند الله ﷻ.

وذلك لأن الشافع يضم نفسه في الطلب إلى صاحب الطلب الاصلي، بمعنى أن المشفوع له صار شفعا فيه بعد أن كان وترا في طلبه هذا من جهة.

ومن جهة أخرى شفع الشفيعُ المشفوعَ إليه، وصار بشفاعته فاعلا لأمر مطلوب؛ لأنه لو لم يشفع هو، لم يكن المشفوع إليه يفعل هذا الأمر، فمن هذا الوجه شفع المطلوب منه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد؛ فلا يشفع عنده أحد، إلا بإذنه فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه.وسيد الشفعاء يوم القيامة، إذا سجد وحمد الله تعالى، قال له الله: «**ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع**» فيحد له حدا فيدخلهم الجنة، فالأمر كله لله كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1].

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباسُ بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ !لا أغني عنكِ من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ !سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا**»[2] وفي رواية: «**يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا**»[3]فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: «**لا أملك لكم من الله من شيء**» فكيف يملك غيره لغيرهم شيئا؟ [4].

وطلب الشفاعة الأخروية على أربعة أنحاء[5]:

---

(١) سورة آل عمران (١٥٤).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب التفسير باب ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء٢١٤] ٦٣٦/٨(ح٤٧٧١).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ ٧٥/٣ (ح٥٠٠).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص:(٣٠٠-٣٠٢)بتصرف يسير.

(٥) يُنظر: رسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي ص: ٣٢٩-٣٣١

١- طلبها من الله، كأن نقول: اللهم شفّعْ فينا خاتم النبيين، فهذا طلب صحيح ودعاء مشروع، لأن الشفاعة لله جميعا.

٢- طلبها في هذه الحياة ممن علم أنه من أهلها وهو حي حاضر، كأن يقول الصحابي: يا رسول الله! أسألك الشفاعة غدا. وهذا أيضا صحيح؛ لحديث أنس ﷺ أنه سألها من رسول الله ﷺ فقال: «**أنا فاعل**»[(١)]، ولا يجوز هذا الطلب من غير الرسول، كما لا يجوز لغير الرسول الوعد بها؛ لأن ذلك يتوقف على العلم بالإذن بها للمطلوب منه، وكونه هو والطالب من أهل الجنة، ولا يجزم بشيء من ذلك إلا بالوحي، ولا يتصور ذلك كله إلا للنبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم فقط.

٣- طلبها من الشفيع يوم القيامة، وهو جائز وثابت بحديث الشفاعة الطويل في الموقف وغيره حيث يطلبونها الناس من آدم ﷺ، ثم من إبراهيم ﷺ، ثم من موسى ﷺ، ثم من عيسى ﷺ، ثم من محمد ﷺ... [(٢)].

٤- طلبها اليوم ممن انتقل إلى عالم البرزخ، فهذا لا يجوز، وذلك لأمور[(٣)]:

أ- لم ينقل عن الصحابة ﷺ طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد وفاته ﷺ، ولا عن الأئمة الأربعة ولا من غيرهم من أئمة المسلمين. وغير النبي ﷺ من البشر كلهم دونه، فلا يجوز طلب الشفاعة منه بطريق الأولى؛ لأن في ذلك مفاسد كثيرة منها: اعتقاد علم الغيب للمدعو. والجزم له بالجنة،

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة والرقائق باب ما جاء في شأن الصراط ص: ٥٤٨ (ح٢٤٣٣)، والإمام أحمد في مسنده ١٧٨/٣ وقال الألباني: صحيح. يُنظر: صحيح سنن الترمذي له٥٧٨/٢(ح٢٤٣٣). وقال محققو المسند: رجاله رجال الصحيح ومتنه غريب. ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٢١٠/٢٠(ح١٢٨٢٥).

(٢) تقدم الحديث بطوله في فصل الاستغاثة موقف الإسلام من الانحراف الأول ص:٤٢٩.

(٣) يُنظر: «هذه مفاهيمنا» لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص:١٤٨ وما بعدها.

والجزم له بالإذن من الله في الشفاعة، وإدخال طالب الشفاعة في المأذون فيهم، وكل هذه من لوازم الشرك.

ب- اتفق أهل السنة على أن للنبي ﷺ أنواعا من الشفاعة، ولم يذكر أحد منهم شفاعة النبي ﷺ لأمته في قبره، أو طلبها منه في قبره، بل كلها في يوم القيامة، فينبغي تأمل هذا، ولا يجوز خلاف إجماع أهل السنة.

ت- قال النبي ﷺ: ((**أنا أول شافع، وأول مشَفَّع**)) [1]، فلو قلنا أن النبي ﷺ يشفع لأمته في قبره، والصالحون من الأولياء يشفعون بعد موهم في قبورهم، فلم يبق معنًى لقوله: ((أنا أول شافع))، ولو كان ﷺ يشفع في قبره، لانتفى خصوصيته بهذه الفضيلة يوم القيامة!

ث- الشفاعة دعاء، وطلب الدعاء مأذون فيه من الحي القادر، والميت غير قادر على ذلك، وإذا سألته أن يدعو لك فذلك شرك، ولو كان دعاء النبي ﷺ أو غيره من الصالحين لهم بعد وفاقم مقدورا مستديما، كما كان في حياقم؛ فلأي مانع لم يطلب صحابة رسول الله ﷺ منه، أن يدعو لهم، ولم عدلوا عنه إلى عمه العباس ليستسقي لهم، والصحابة أعلم الناس، وأحرصهم على الخير، وكان حالهم أدعى إلى طلب الدعاء منه، فإذا لم يفعلوا دل أن ذلك لا يجوز.

فالاستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء، كالميت، أو الغائب، أو نحوهما: شرك أكبر؛ لأنه طلبٌ ودعاءٌ لغير الله.

فالتوسل -بحسب العرف- هو من البدع المحدثة، ومن وسائل الشرك، وأما طلب الشفاعة من غير الله؛ فهو دعاء غير الله، وهو شرك أكبر [2].

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ١٥/٣٩ (ح٥٨٩٩).

(٢) ينظر: ((أسئلة وفوائد)) الملحقة بالتمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص: ٦٢٠

قال محمود الألوسي الحنفي -رحمه الله-: «الالتجاء بطلب الشفاعة ورجائها: عبادة، لا تصلح إلا لله، وهي حقه على خلقه بصفة ربوبيته، وتفضله ورحمته، لا ينبغي أن يصرف منها شيء لغيره، فمن صرف شيئا من حق الله لغيره؛ فقد أشرك شرك الأولين»(١).

«والخلاصة: أن الشفاعة دعاء، وهي طلب الدعاء -أيضا- وقد سبق أن قررنا أن كل دليل ورد في الشرع على إبطال أن يُدعَى مع الله -جل وعلا- إله آخر، فإنه يصلح أن يكون دليلا على إبطال الاستشفاع بالموتى الذين غابوا عن دار التكليف؛ لأن حقيقة الشافع -كما تقدم آنفا- أنه طالب. ولأن حقيقةَ المستشفِع أنه طالب أيضا، فالشافع في ظن المستشفع يدعو، والمستشفع يدعو من أراد منه الشفاعة، يعني: إذا أتى آتٍ إلى قبر نبيٍ، أو قبر وليٍ أو نحو ذلك، فقال:أستشفع بك، أو أسأل الشفاعة، فمعناه أنه طلب منه، ودعا أن يدعو له؛ فلهذا كان صرفها، أو التوجه بها إلى غير الله- جل وعلا- شركا أكبر؛ لأنها في الحقيقة دعوة لغير الله، وسؤال من هذا الميت، وتوجه بالطلب والدعاء منه»(٢).

وبعد هذا التمهيد الموجز، جاء وقت بيان أخطاء استدلالات المنحرفين مع التفنيد فأستعين بالله ذي العرش المجيد:

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو تعريف الوسيلة بعلماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة، والتوسل هو السؤال بأسمائهم وحقوقهم ونحو ذلك.

لقد عرفنا فيما سبق تعريف الوسيلة لغة وشرعا، ولم يوجد لا من علماء اللغة ولا أهل التفسير من السلف الصالح، من عرّف الوسيلة الشرعية بعلماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة، ولأن قولهم: علماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة مصطلح مستحدثٌ، لا يعرفه العلماء في القرون المفضلة، وما يكون أمراً مستحدثا؛ فهو بدعة؛ فكيف يُعرَّف به مصطلحات القرآن والسنة.

(١) فتح المنان تتمة منهاج التأسيس، رد صلح الإخوان لمحمود الألوسي الحنفي ص: ٤٦٦، ويُنظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان ابن الألوسي الحنفي ص:٥٠٩

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص:٢١٣.

وقد تقدم الرد في فصل الاستغاثة على من يستعين بغير الله، ويقول عند فقدان شيء: (**يا سيدي أحمد بن علوان إن لم ترد ضالتي ...**) (1).

وأما قول بعض المخالفين: (وإن قال للميت: افعل لي هذا الفعل، ويعني ادع الله لي، فهذا أيضا جائز، وإن طلب من الولي ما ليس في وسعه، كشفاء المرضى، وإعطاء الولد، وردّ الغائب، فهذا أيضا جائز، لأن هذا مجاز...) كما تقدم في بيان الانحرافات.

فيقال لهم: وإذا جاز من الولي طلب مثل هذه الأشياء التي هي ليست في وسعه، فما هو الفرق بين هذا وبين ما كان يطلبه مشركو مكة من أصنامهم من شفاء المرضى، وإعطاء الولد، وردّ الغائب؟!

ويقال لهم : إذا كان صرف أفضل العبادات ومخها -أعني الدعاء- جائزا من غير الله بحجة المجاز، فليكن صرف السجود والركوع والذبح ونحوها من العبادات جائزة لغير الله أيضا بحجة المجاز، ولا يقول بهذا أحد من المسلمين، فصرف الدعاء لغير الله أيضا لا يجوز بحجة المجاز.

وما يقوله بعض المخالين في التوسل بالأولياء: (هو أنْ يتخذهم وسيلة أي واسطة إلى الله جل وعلا في قضاء الحوائج، وحصول المطالب؛ لكونهم أقرب إلى الله منا، فهو يجيب دعاءهم، ويقبل شفاعتهم كما تقدم في بيان الانحرافات؛ فإن كان مراده بذلك طلب الحوائج منهم -مع كونهم أمواتا غير أحياء-؛ لأنهم أقرب منّا إلى الله، والله تعالى يجيب دعاءهم ويقبل شفاعتهم)؛ فهذا قول يشبه قول مشركي مكة الذين قال الله عنهم: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ ﴾ (2).

وإن كان مراده أن يتوسل بذواتهم وجاههم وحرمتهم عند الله؛ فهذا قول مبتدع لم يقل به أحد من العلماء المحققين، وما ثبت عن أحد من السلف الصالح.

---

(1) يراجع فصل الاستغاثة، والاستعانة ص:٤٢٧ وما بعدها.

(2) سورة الزمر (٣).

وإن كان المراد أن أحياء الصالحين والأولياء يتوسطون لنا، ويشفعون لنا بدعواتهم الصالحة من الله في قضاء حوائجنا، وحصول مطالبنا، فقول صحيح، كما توسل عمر بن الخطاب بالعباس عم الرسول ﷺ كما سيأتي قريبا.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو التوسل الشركي.

زعم بعض الناس في إقليم سرحد في باكستان: أنهم لا يمكن لهم الوصول إلى الله ﷻ، فإذا كان لأحدهم حاجة يقدمها إلى عباد الله الصالحين، ويطلب منهم قضاءها؛ ويزعمون أن هؤلاء يُوَفُّون حوائجهم بعطاء الله لهم، وهم قادرون على ذلك، كما تقدم في بيان الانحرافات. فهذا ليس من التوسل في شيء، وإن قيل: فيه التوسل، فهو إذن يعد من التوسل الشركي؛ لأن فيه طلب قضاء الحاجة من غير الله تعالى، زاعما أن الله تعالى أشركهم في قضاء الحاجات استقلالا، أو نيابة. والعياذ بالله.

فالذين يدعون الأولياء والصالحين والأنبياء والمرسلين في قضاء الحوائج، ويطلبون منهم الشفاعة، فهذا شرك؛ لأنهم لا يملكون من ذلك شيئا، بل يطلب كل واحد منهم إلى ربه الوسيلة، أي القربة، ويتسابقون إلى الله في القرب قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا﴾[1].

وقد تقدم بالتفصيل الرد على من يطلب قضاء الحوائج من دون الله في فصل الاستعانة والاستغاثة.

وقول المخالف: في «**حياة النبي** ﷺ» خصوصا، وفي غيره من الأنبياء عموما: ثم استدلاله من القول بحياتهم، على جواز طلب الشفاعة منهم بعد وفاتهم، وخاصة وقت الحضور عند قبره، فهذا قول باطل، بُني على كلام باطل، فالمقدمة والنتيجة باطلتان:

لأنه **إن كان مراده** بحياة الأنبياء «**حياة برزخية**» وأنها أكمل حالا من حال الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ

---

(١) سورة الإسراء (٥٧).

بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾(1)، وقال تعالى فيهم:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(2)، فهم في حال نعمة أتم وأكمل من حال الشهداء **فهذا كلام صحيح**، ومع ذلك هذا كله لا يخرجهم عن كونهم أموات -بمعنى قطع علاقاتهم بالدنيا-؛ لأنهم كانوا بشرا، وجميع البشر يطرأ عليه الموت لقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾(3)بمعنى قطع علاقتهم من الدنيا.

وقال الصديق ﷺ: ((ألا من كان يعبد محمدا ﷺ؛ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (4).وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(5)...))الحديث(6).

وحياتهم البرزخية لا تسوغ لنا أن نطلب منهم الشفاعة، أو نطلب منهم أن يدعوَ لنا في حوائجنا، وقد أنكر القائل بنفسه(7) على من يطلب الدعاء من الشهداء مع أنهم أحياء بنص القرآن، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ (8) وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

---

(1)سورة البقرة (154).

(2) سورة آل عمران (169).

(3) سورة الزمر (30).

(4) سورة الزمر (30).

(5) سورة آل عمران (144).

(6) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا 7/25 (ح3668).

(7) القائل هو: الشيخ محمد يوسف اللديانوي –غفر الله لنا وله- كما تقدم كلامه في بيان الانحرافات.

(8) سورة البقرة (154).

يُرْزَقُونَ﴾[1] ومع ذلك لم يقل أحد من السلف بجواز طلب الشفاعة والدعاء منهم، حتى إن الشيخ محمد يوسف اللديانوي بنفسه- ردّ على من طلب الدعاء من الشهداء[2].

وإن كان المراد بحياتهم «الحياة الجسدية» كما كان في الدنيا[3]، وأنهم يسمعون، ويجيبون عما يسألون، ويشفع للناس في قبورهم بعد وفاتهم قبل يوم القيامة، وأنهم يستغفرون لأفراد من أممهم، فإن قلنا بهذا فقد أثبتنا لهم الأعمال بعد الممات، وأبقينا عليهم التكليف بعد الوفاة، فلماذا انقطع الوحي مع بقاء حياته ﷺ إلى يوم القيامة؟ ولماذا تجرأ الصحابة ﷺ أن يدفنوه تحت التراب، إذا كان حياً «حياةً جسدانية» -كما يزعمونها-.

وقد أدت هذه العقيدة إلى الشرك، وهو طلب الشفاعة من غير الله، مع أن الشفاعة لله جميعا، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[4].فطلب الشفاعة من النبي ﷺ حال وفاته قبل يوم القيامة عمل محرم كما تقدم بيان ذلك[5]، ولن يكون العمل المحرم جائزا، أو مستحسنا، فطلبُ الدعاء والشفاعة من الرسول ﷺ عند حضور الرجل إلى قبره ﷺ قول منكر، وليس بجائز، فضلا أن يكون مستحسنا.

ومما يدل على أن النبي ﷺ لا يطلب منه الدعاء بعد موته، ما رواه البخاري في صحيحه[6]عن عائشة – رضي الله عنها- أنها قالت:«وارأساه! **فقال رسول الله ﷺ: ذلك لو كان وأنا حي فاستغفر لكِ، وأدعو لكِ،** فقالت عائشة: واثكلياه! والله إني لأظنك تحب موتي...» فلو كان يحصل منه ﷺ الدعاء والاستغفار بعد موته ﷺ، لم يكن

---

(١) سورة آل عمران (١٦٩).

(٢) يُنظر كلامه في: «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص:٥٦-٥٧ و(بالبشتو) ص: ٧٩-٨٠، وقد نقلت كلامه في الهامش ص:٤٧٣ الهامش(١).

(٣) وقد تقدم الرد على هذه العقيدة في فصل التعظيم ٢٧٤.

(٤) سورة الزمر (٤٤).

(٥) يراجع أنواع الشفاعة.

(٦) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب المرضى باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع، أو وارأساه...١٥٢/١٠(ح٥٦٦٦).

هناك فرق بين أن تموت قبله، أو يموت ﷺ قبلها، وهذا الحديث مبيّن لقول الله ﷻ، وأن المجيء إليه وحصول الاستغفار والدعاء منه يكون في حياته، وليس بعد موته ﷺ، والسنة تفسّر القرآن وتبيّنه وتوضّحه[1] .

وقد عدّ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذا العمل من أعظم أنواع الشرك حيث قال: «ومنهم من يتأول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2] ويقولون إذا طلبنا منه الاستغفار **بعد موته** كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة، **ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين، فإن أحدا منهم لم يطلب من النبي بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئا، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم**، وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء، وحكوا حكاية مكذوبة على مالك رضي الله عنه سيأتي ذكرها وبسط الكلام عليها إن شاء الله تعالى، فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم، عند قبورهم، وفى مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، **هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين** من غير أهل الكتاب، وفى مبتدعة أهل الكتاب، والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[3] فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم، وفى مغيبهم وسؤالهم، والاستغاثة بهم، والاستشفاع بهم في هذه الحال، ونصب تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم، هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولا، ولا أنزل به كتابا، **وليس هو واجبا، ولا مستحبا باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين**»[4].

---

(١) أهمية توحيد العبادة للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر ص: ٧٢.

(٢) سورة النساء (٦٤).

(٣) سورة الشورى (٢١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/١٥٩-١٦٠.

وقال العلامة محمود الألوسي الحنفي -رحمه الله- «الالتجاء بطلب الشفاعة ورجائها: عبادة، لا تصلح إلا لله، وهي حقه على خلقه بصفة ربوبيته، وتفضله ورحمته، لا ينبغي أن يصرف منها شيء لغيره، فمن صرف شيئا من حق الله لغيره فقد أشرك شرك الأولين.

فإن قلت: إن الأولين كانوا يعبدونهم، ونحن لا نعبدهم.

فالجواب: أن عبادتهم، هي نداء الالتجاء الذي أنت فيه، وكما أنك تدعو النبي ﷺ الذي بُعث بإخلاص الدعوة لله، وحاشاه أن يرضى بذلك، ولا يرضيه إلا ما يُرضي ربه من التوحيد، فإنه قد أمر ونهى، وحذَّر وبصّرَ وأرشد، وبلّغ ونصح الأمة، وأزال عنها الغمة فهدانا إلى الصراط المستقيم، والنعيم المقيم، وتدعو غيره، ملتجئا إليهم بطلب الشفاعة منهم، كذلك الأولون كانوا يدعون صالحين وأنبياء ومرسلين، طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين، فبهذا الالتجاء والتوكل على هذه الشفاعة والرجاء أشركوا»(١).

هنا **مسألة مهمة** وهي سماع الأموات كلام الأحياء، ولهذه المسألة ارتباط قوي بوقوع بعض الناس في أنواع من الشرك، وأن الرد عليها يبطل السبب الأقوى للوقوع في الشرك، لأن المستغيثين بالأولياء والصالحين، يعتقدون أنهمّ يسمعون كالأحياء، فينادونهم ويستغيثون بهم من دون الله، وقد ألف بعض العلماء في الرد على من يقول بسماع الأموات -مطلقا-، منهم الشيخ نعمان خير الدين ابن المفسر الألوسي، فقد ألف رسالة باسم: الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، وقد حققها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- فأود أن أنقل الرد على مسألة السماع الأموات من كلام الشيخ العلامة الألباني -رحمه الله- وهو أحد العلماء المحققين في هذه المسألة، و قد جمع شتاتها، فأفاد وأجاد حيث يقول(٢): اعلم أن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون

(١) فتح المنان تتمة منهاج التأسيس، رد صلح الإخوان لمحمود الألوسي ص: ٤٦٦.ويُنظر:جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان ابن الألوسي الحنفي ص: ٥٠٩.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق الألباني لرسالة الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات لنعمان ابن المفسر الألوسي ص:٣٧ وما بعدها.

إنما هو أمر غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها إلا الله -عز و جل- فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء، وإنما يوقف فيه مع النص إثباتا ونفيا...

ثم قسم -رحمه الله- الناس في هذه المسألة إلى قسمين:

١- قسم يقول بعدم سماع الأموات كلام الأحياء.

٢- وقسم يقول بسماع الأموات كلام الناس.

فقال: استدل الأولون بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[1] وقوله ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾[2] وأجاب الآخرون[3] بأن الآيتين مجاز وأنه ليس المقصود بـ(الموتى) وبـ(من في القبور) الموتى حقيقة في قبورهم، وإنما المراد بهم الكفار الأحياء شبهوا بالموتى"والمعنى من هم في حال الموتى، أو في حال من سكن القبر" كما قال الحافظ ابن حجر [4].

قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: لا شك عند كل من تدبر الآيتين وسياقهما أن المعنى هو ما ذكره الحافظ رحمه الله تعالى، وعلى ذلك جرى علماء التفسير لا خلاف بينهم في ذلك فيما علمت، ولكن ذلك لا يمنع الاستدلال بهما على ما سبق؛ لأن الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة، وكان ذلك معروفا عند المخاطبين، شبه الله تعالى بهم الكفار

---

(١) سورة فاطر (٢٢).

(٢) سورة النمل (٨٠) وسورة الروم (٥٢).

(٣) يقصد بالآخرين: القائلون بسماع الأموات كلام الأحياء.

(٤) قال -رحمه الله- : قد اختلف أهل التأويل في المراد بـ{الموتى} في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ وكذلك المراد بـ﴿ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته أصلا احتاجت معه إلى تأويل قوله عليه الصلاة و السلام: " **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم** " وهذا قول الأكثر. وقيل هو مجاز والمراد بـ{ الموتى } وبـ{ من في القبور } الكفار شبهوا بالموتى وهم أحياء، والمعنى من هم في حال الموتى[أو في حال] من سكن القبر. وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته عائشة رضي الله تعالى عنها والله تعالى أعلم "فتح الباري لابن حجر كتاب المغازي باب قتل أبي جهل ص: ٣٨٠.

الأحياء في عدم السماع؛ فدل هذا التشبيه على أن المشبه بهم- وهم الموتى في قبورهم - لا يسمعون، كما يدل مثلا تشبيه زيد في الشجاعة بالأسد على أن الأسد شجاع، بل هو في ذلك أقوى من زيد ولذلك شبه به، وإن كان الكلام لم يسق للتحدث عن شجاعة الأسد نفسه، وإنما عن زيد، وكذلك الآيتان السابقتان وإن كانتا تحدثتا عن الكفار الأحياء وشبهوا بموتى القبور، فذلك لا ينفي أن موتى القبور لا يسمعون، بل إن كل عربي سليم السليقة، لا يفهم من تشبيه موتى الأحياء بهؤلاء، إلا أن هؤلاء أقوى في عدم السماع منهم، كما في المثال السابق، وإذا الأمر كذلك فموتى القبور لا يسمعون. ولما لاحظ هذا بعض المخالفين لم يسعه إلا أن يسلم بالنفي المذكور ولكنه قيده بقوله:"سماع انتفاع" يعني أنهم يسمعون، ولكن سماعا لا انتفاع فيه، وهذا في نقدي قلب للتشبيه المذكور في الآيتين، حيث جعل المشبه به مشبها، فإن القيد المذكور يصدق على موتى الأحياء من الكفار، فإنهم يسمعون حقيقة، ولكن لا ينتفعون من سماعهم، كما هو مشاهد، فكيف يجوز جعل المشبه بهم من موتى القبور مثلهم في أنهم يسمعون، ولكنهم لا ينتفعون من سماعهم، مع أن المشاهد أنهم لا يسمعون مطلقا، ولذلك حسن التشبيه المذكور في الآيتين الكريمتين فبطل القيد المذكور.

ولقد كان من الممكن القول بنحو القيد المذكور في موتى القبور لو كان هناك نص قاطع على أن الموتى يسمعون مطلقا إذن لوجب الإيمان به، والتوفيق بينه وبين ما قد يعارضه من النصوص كالآيتين مثلا، ولكن مثل هذا النص مما لا وجود له، بل الأدلة قائمة على خلافه وإليك البيان:

الدليل الأول: قوله تعالى في تمام الآية الثانية:﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ فقد شبههم الله تعالى- أعني موتى الأحياء من الكفار بالصم أيضا، فهل هذا يقتضي في المشبه بهم (الصم) أنهم يسمعون أيضا، ولكن سماعا لا انتفاع فيه أيضا، أم أنه يقتضي أنهم لا يسمعون مطلقا، كما هو الحق الظاهر الذي لا خفاء فيه. وفي التفسير المأثور ما يؤيد هذا

الذي نقول، فقال ابن جرير في" تفسيره" لهذه الآية[1]:"هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنـــزيله كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعا.

وقوله:﴿ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾يقول: كما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع إذا ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فَهْمَ آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه". **ثم روى بإسناد الصحيح عن قتادة** قال:"هذا مثل ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر ﴿ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ يقول:لو أن أصم ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما سمع"[2]...

فثبت من هذه النقول عن كتب التفسير المعتمدة أن الموتى في قبورهم لا يسمعون كالصم إذا ولوا مدبرين.

وهذا هو الذي فهمته السيدة عائشة رضي الله عنها واشتهر ذلك عنها في كتب السنة وغيرها...

الدليل الثاني: قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ﴾ [3].

قال الشيخ الألباني –رحمه الله– : فهذه الآية صريحة في نفي السمع عن أولئك الذي كان المشركون يدعونهم من دون الله تعالى، وهم موتى الأولياء والصالحين الذين كـــان المشركون يمثلونهم في تماثيل وأصنام لهم يعبدونهم فيها وليس لذاتها...

---

(١) جامع البيان للطبري ٦٨/١١ .

(٢) جامع البيان للطبري ٦٨/١١ عند تفسير آية(٥٣) من سورة الروم.

(٣) سورة فاطر (١٣-١٤)

ومما يؤيد أن المقصود بقوله في الآية المتقدمة: ﴿ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ إنما هم المعبودون من دون الله أنفسهم وليست ذوات الأصنام تمام الآية﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ والأصنام لا تبعث؛ لأنها جمادات غير مكلفة كما هو معلوم، بخلاف العابدين، والمعبودين؛ فإنهم جميعا محشورون قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ (١)...

الدليل الثالث: حديث قليب بدر وله روايات مختصرة ومطولة أجتزئ(٢) هنا على روايتين منها:

الأولى: حديث ابن عمر قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟" ثم قال:" إنهم الآن يسمعون ما أقول" فذُكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: **إنهم الآن يعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق،** ثم قرأت:﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٣) حتى قرأت الآية... (٤)

والأخرى: حديث أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فقذفوا في طوي من أطواء بدر(٥) خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته، فشد عليها رحلها ثم مشى، واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة

---

(١) سورة الفرقان (١٧-١٨).

(٢) **أجتزئ:** أي أكتفي. تاج العروس للزبيدي١/١٢٥.

(٣) سورة النمل (٨٠).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح لابن حجر كتاب المغازي باب قتل أبي جهل ٧/٣٧٦ (ح٣٩٨٠)

(٥) الأطواء: جمع طوى وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار.

الركي[1] فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ قال : فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال رسول الله ﷺ : **"والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم "**. قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما. أخرجه الشيخان وغيرهما [2]...

ووجه الاستدلال بهذا الحديث يتضح بملاحظة أمرين:

الأول: ما في الرواية الأولى منه من تقييده ﷺ سماع موتى القليب بقوله: **"الآن"** فإن مفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت. وهو المطلوب. وهذه فائدة هامة نبه عليها العلامة الآلوسي - والد المؤلف رحمهما الله - في كتابه "روح المعاني"[3] ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ﷺ، وبإسماع الله تعالى إياهم خرقا للعادة ومعجزة للنبي ﷺ ...

---

(١) **شفة الرَّكِيّ:** أي على طرف البئر، و الركي:هي البئر قبل أن تطوى أي تثبت بالأحجار. والجمع بين هذا وأنها كانت طوى أن البئر كانت مطوية فاستهدمت فصارت كالركي. فتح الباري لابن حجر ٣٧٧/٧.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح لابن حجر كتاب المغازي باب قتل أبي جهل ٣٧٥/٧(ح٣٩٧٦) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة٢٠٣/١٧ (ح٧١٥٣).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني٨٦/١٢ عند تفسير آية(٥٢) من سورة الروم.

قال -رحمه الله- : وفي " تفسير القرطبي[1]:" قال ابن عطية[2]: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن رد الله إليهم إدراكا سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بي من الكفرة، وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين" [3].

قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: ولذلك أورده الخطيب التبريزي[4] في" باب المعجزات " من " المشكاة[حديث]رقم ٥٩٣٨.

والآمر الآخر : أن النبي ﷺ أقر عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقرا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون...

الدليل الرابع: قول النبي صلى الله عليه و سلم: " إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام "[5].

قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي ﷺ لا يسمع سلام المسلمين عليه، إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه كما هو ظاهر لا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٦/٢٠٥ عند تفسير آية (٨٠) من سورة النمل.

(٢) **ابن عطية:** هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي، عالم مجاهد فقيه، عارف بالحديث والتفسير والأحكام. ولد بغرناطة بالأندلس سنة ٤٨١هـ ترك ابن عطية هذا كتابين فقط، أحدهما فهرست في ترجمة شيوخه، وقد ترجم فيه لنفسه. وكتاب المحرر الوجيز في التفسير، توفي سنة ٥٤١هـ . الأعلام للزركلي٣/٢٨٢، معجم المؤلفين لكحالة٥/٩٣.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٤/٣٢٠ (عند تفسير آية(٨٠) من سورة النمل).

(٤) **الخطيب التبريزي:** هو ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي الشهير بخطيب الفخرية، توفي ٧٤١هـ وقيل٧٤٩هـ صاحب المشكاة الذي كمل به المصابيح للبغوي. ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة١٦٩٩، وهدية العارفين للبغدادي٢/٢٨.

(٥) رواه النسائي في سننه كتاب السهو باب السلام على النبي ﷺ ص: ٢٠٨ (ح١٢٨٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن النسائي للألباني١/٤١٠ برقم (١٢٨١).

يخفى على أحد إن شاء الله تعالى.وإذا كان الأمر كذلك فبالأولى أنه ﷺ لا يسمع غير السلام من الكلام وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى.

ثم إن الحديث مطلق يشمل حتى من سلم عليه ﷺ عند قبره ولا دليل يصرح بالتفريق بينه وبين من صلى عليه بعيدا عنه والحديث المروي في ذلك موضوع ...

أدلة المخالفين:

قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: لم أر فيها من صرح بأن الميت يسمع سماعا مطلقا عاما كما كان شأنه في -حياته ولا أظن عالما يقول به، وإنما رأيت بعضهم يستدل بأدلة يثبت بها سماعا لهم في الجملة وأقوى ما استدلوا به سندا حديثان:

الأول: حديث قليب بدر المتقدم وقد عرفت مما سبق بيانه أنه خاص بأهل القليب من جهة وأنه دليل على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون من جهة أخرى وأن سماعهم كان خرقا للعادة فلا داعي للإعادة.

والآخر: حديث : " إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا "(١).وفي رواية " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان..." الحديث(٢)...

وهذا كما ترى خاص بوقت وضعه في قبره ومجيء الملكين إليه لسؤاله" فلا عموم فيه وعلى ذلك حمله العلماء...

ولهم من هذا النوع أدلة أخرى ولكن لا تصح أسانيدها وفي أحدها التصريح بأن الموتى يسمعون السلام عليهم من الزائر وسائرها ليس في السماع وبعضها خاص بشهداء أحد وكلها ضعيفة وبعضها أشد ضعفا من بعض... (٣)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار١٧/ ٢٠٠ (ح٧١٤٦) بلفظ:إن الميت إذا وضع فى قبره إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح لابن حجر كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال٣/ ٢٩٤ (ح١٣٧٤) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار١٧/ ٢٠٠(ح٧١٤٥).

(٣) ينظر مقدمة تحقيق الشيخ الألباني لرسالة: الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية لنعمان الألوسي ص:٣٧ وما بعدها.

اتضح من هذا البيان أن الأموات - نبيا كان أو وليا أو غيرهما- لا يسمعون إلا فيما خصه الدليل وقد تقدم بيان ذلك.

ثم ولو سلمنا، وقلنا: إن النبي ﷺ وغيره من الأموات يسمع كلام الأحياء، فهل يدل هذا على أن يطلب منهم الشفاعة؟ ويستغاث بهم؟ كما يفعله عامة الرافضة والجهال الآخرون من المسلمين؟ **الجواب: لا.**

لأن طلب الدعاء، والشفاعة، والاستغاثة، مسائل اتفقت عليها آراء السلف الصالح بعدم جوازها من الميت.

وأما مسألة سماع الموتى فمسألة تنازعت فيها الآراء، ثم الذين قالوا بسماع الموتى، لم يثبت عن أحد منهم، أنه قال بجواز طلب شيء من الشفاعة، والدعاء كالاستعانة والاستغاثة من أحد من الأموات -حتى من النبي ﷺ بعد وفاته.

وهكذا الصورة الأخرى التي ذكرت في بيان الانحرافات، وهي: أن يطلب الرجل من الولي الميت أن يقدم مسألته إلى الله، لأن طلب الدعاء، أو طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد موته لا يجوز، ولم يثبت عن أحد من السلف الصالح فِعْلُها أو القولُ بها؛ فطلب ذلك ممن دونه من أمته أولى أن لا يجوز، لأن هذا عمل يشابه عمل الذين قال الله عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(١)، ولا يتصور أن يدعو الأمواتُ، والأحياءُ الغائبون لأحدٍ، إلا إذا أثبتنا لهم علم الغيب، وبقاء العمل بعد الممات، وأثبتنا لهم العلم بحال ومراد المتوسِّل، وقلنا بسماعهم الكلام الخفي والجهوري، مع وجود الحواجز والمسافات، وهذا كله منفي لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٢) وقال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٣) فإذا انقطع عمل الميت؛ فكيف يمكن له أن يتوسل

(١) سورة يونس (١٨).

(٢) سورة النمل (٦٥).

(٣) قد تقدم تخريجه ص: ٢٣٤.

لأحد في إجابة الدعاء، وإذا كان لا يدري عن حال الداعي لعدم علمه بما غاب عنه؛ فكيف يدري أن فلانا من الناس يطلب منه التوسل إلى الله في إجابة الدعاء وحصول المطلوب، وبالإضافة أنه لا يسمع نداءه للحواجز الحسية والمعنوية بينه وبين المتوسل به، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ (١).

قال ابن القيم -رحمه الله- «طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه إليهم وهذا **أصل شرك العالم**، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، فضلا عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، **أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها**»(٢).

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو التوسل البدعي.

التوسل بذات الشخص وجاهه عند الله وحرمته وصورة نعله ونحو ذلك، كما تقدم في بيان الانحرافات، من الأمور التي لم يقم عليها دليل شرعي و لم يثبت عن السلف الصالح التوسل بذلك -مع قيام المقتضى وهو حرصهم على قبول دعواهم لخيري الدنيا والآخرة- فهو توسل بدعي لا ينبغي للمسلم أن يتوسل به، والشريعة الغراء في غِنًى عن مثل هذه البدع والمحدثات، وأجاز الشرع ما يكفي أن يتوسل به العبد إلى ربه في قبول دعواته، كتوسل الداعي إلى الله بذاته وأسمائه وصفاته، وتوسل الداعي إلى الله بعمله الصالح، وتوسله بدعاء رجل صالح حي؛ لأن الأموات انقطعت أعمالهم الصالحة بنص الحديث إلا من ثلاث: «**صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٣)، وما قالوه في التوسل البدعي، مخالف للمنقول والمعقول والتفصيل كالآتي:

أولا: التوسل بالأنبياء والصالحين في حياتهم، وبعد وفاتهم، بالكيفية التي يذكرها المخالفون: «بأن يقول في دعائه، اللهم إني أتوسل إليك بفلان[ويعني بذلك ذاته

(١) سورة النمل (٨٠)، وفي سورة الروم:﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾ آية رقم (٥٢).
(٢) مدارج السالكين لابن القيم أنواع الشرك١/٢٩٠.
(٣) تقدم تخريجه ص:٢٣٤.

وشخصه]أن تجيب دعوتي، وتقضي حاجتي إلى غير ذلك» مما تقدم في بيان الانحرافات؛ لم يثبت عن أحد من السلف الصالح أنه توسل بهذه الكيفية البتة.

بل كانوا يتوسلون بالأنبياء حال حياتهم، ويقولون لهم: أدع لنا في كذا، كما في حديث الضرير المشهور: أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال: **ادع الله أن يعافِيَني**، قال: «**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك**» قال: «**فادعه**»[1].

وفي حديث الاستسقاء «أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسولَ الله ﷺ قائما، فقال: يا رسول الله! هلكت المواشي، وانقطعت السبل؛ **فادع الله يغيثنا**»[2].

ولم يثبت بسند مقبول عن أحد من الصحابة ﷺ، أنه طلب الدعاء من النبي ﷺ بعد وفاته، أو توسل به، أو بقبره، أو بصورة نعله، أو صورة عمامته أو جبته أو غير ذلك، مع شدة محبتهم للنبي ﷺ، وشدة حاجتهم إلى قبول دعواهم لنزول المطر، أو دفع القحط، أو هلاك العدوّ ونحو ذلك.

وما يُذكر من القصص والروايات في جواز طلب الدعاء منه بعد وفاته؛ فكلها ضعيفة أو موضوعة كما سيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله، ولا يستدل على مسائل الدين بالواهي الضعيف والمكذوب المخترع.

ثانيا: ما قاله المخالف: (التوسل جائز سواء كان بالأحياء أو الأموات، وسواء بالذوات أو الأعمال، وسواء بأعمال الغير أو بعمل نفسه) فهذا كلام جُمع فيه الحق

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب(١١٩) ص: ٨١٣ (ح٣٥٧٨)، وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة باب صلاة الحاجة ص: ٢٤٥ (ح١٣٨٥)، والإمام أحمد في مسنده ١٣٨/٤، وقال الألباني: صحيح.ينظر صحيح سنن الترمذي٤٦٩/٣(ح٣٥٧٨).وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات.يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنوط٢٨ /٤٧٨ (ح١٧٢٤٠).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الاستسقاء باب الاستسقاء في المسجد الجامع ٦٤٦/٢(ح١٠١٣)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء ٤٣٢/٦ (ح ٢٠٧٥).

والباطل، لأن التوسل بأعمال الداعي الصالحة، جائز ومشروع، كما يجوز التوسل بدعاء رجل حي حاضر كما صرحت الأدلة بذلك، ووردت أمثلتها عن سلف الأمة.

أما التوسل بالذوات، وأعمال الغير، والأموات؛ فغير مشروع، لعدم وجود مثال ذلك في الكتاب والسنة، ولا من أقوال وأفعال السلف الصالح لهذه الأمة.

وكيف يصح التوسل بعمل الغير، وهو عَمِلَهُ لنفسه، فهو يستفيد منه لا غيره، ومثال هذا في أمور الدنيا: أن يقول أحد الطلاب: اللهم إني أتوسل إليك بما يقوم به فلان من تضرعه إليك، وابتهاله الدائم إليك في النجاح، وما يبذله من جهد واجتهاد في مذاكرة دروسه، أن تجعلني من المتفوقين، و أن تُنْجِحَني في الاختبار؛ لأن فلانا يجتهد في دروسه، ويبتهل إليك بالليل والنهار، ويسعى للحصول على الدرجات العالية...!! فهذا الفعل ليس بالتوسل أصلا، ولا يجيزه العقل ولا النقل، قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[(١)].

قال ابن عثيمين -رحمه الله- في ما ليس بوسيلة في الواقع: «مثل أن تتوسل بالنبي ﷺ بذاته، أو تتوسل بجاه النبي ﷺ؛ لأن ذلك لا ينفعك أنت؛ فجاه الرسول ﷺ ومنزلته عند الله ينتفع بها الرسول ﷺ نفسه، أما أنت فليس لك فيها منفعة، وكذلك ذاته من باب أولى»[(٢)].

ثالثا: أما قول بعض المخالفين: (ومن قال: إن طلب إجابة الدعاء من الله بوسيلة أحد الصالحين وحرمته وبركته، وطلب العون والنصرة من الله بواسطة الذوات الفاضلة، وحرمتهم شرك، فهذا أمر باطل)كما تقدم في بيان الانحرافات -فيقال: إن هذا النوع من التوسل من التوسل البدعي الذي لم يكن معروفا في عهد النبي ﷺ، وأصحابه، فالكيفية والواسطة ليست شرعية فهي بدعة، وهذا التوسل بدعي من جهة، ومن جهة أخرى هو شرك؛ «لأن كل من اعتقد أمرا من الأمور أنه سببٌ، ولم يكن سببا شرعيا، فإنه قد أتى نوعا من أنواع الشرك، وعلى هذا لا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ»[(٣)].

---

(١) سورة النجم (٣٩).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين٥/٢٨٧-٢٨٨.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين٢/٣٤٦.

رابعا: وأما التوسل بصورة النعل المزعوم، بأنه صورة نعل المصطفى ﷺ، ثم بيان كيفية مخترعة لذلك، ففيه أنواع من الانحرافات:

١- إن ما استدلوا به من قول أشرف علي التهانوي -رحمه الله- وأحالوا على كتابه زاد السعيد مع نيل الشفاء، فهذا استدلال على قول قائل ثبت رجوعه عن رسالته المسماة بـ «نيل الشفاء بنعل المصطفي ﷺ» حيث ألحق -رحمه الله- ضميمةً وملحقا بكتابه زاد السعيد مع نيل الشفاء وفيه: (**كنت أنشرها**[يعني رسالة نيل الشفاء] **دائما في تحريراتي، كما كتبتها واضحة في مكتوبات الخبرة الحصة الثالثة الصفحة: ١٥ لعام ١٣٣٣هـ، ولم يكن لي شك في هذه المسألة، ولكن الآن، لاختلاف الخواص، وجدت الشك في نفسي في المسألة نفسها، وثم كان ذهني خاليا من شهوات العوام واختلاق الأهواء.والمصالح الدينية وضروراها تطالب أن أعمل بـ «دع ما يريبك على ما لا يريبك» الحديث**[(١)] **فأنا أراجع من رسالتي نيل الشفاء، وإن تسبَّبَتْ في خسارة الدرجة؛ فأكرر الاستغفار واستحضر قضاء العاشق الصادق الذي يقول: على أنني راض بأن أحمل الهوى *** وأخلص منه لا عليّ ولا ليا.**

تنبيه: هذا المضمون بكامله أو خلاصته ينشر عاجلا مهما أمكن، ثم إن نُشر المضمون مستقلا فهو أحسن- أو في الجريدة. أشرف على[التهانوي] ٤جمادى الأولى عام ١٣٥٦هـ)[(٢)].

فصاحب القول يتبرأ مما قال، وغيره يستدل بما رجع القائل عنها، إنما يفعلون هذا لنوايا الله أعلم بها.

ثم ولو قال التهانوي -رحمه الله- ما قال، فلا يستدل بأقاويل العلماء، أو زلاّتهم على المحذورات الشرعية، فلا يقال: إن الشيخ الفلاني أو صاحب الكتاب الفلاني قال كذا؛ إذنْ فيجوز؛ لأن مصدر التشريع هو الكتاب والسنة، لا أقاويل العلماء والمشايخ،

---

(١) أخرجه النسائي في سننه كتاب الأشربة باب الحث على ترك الشبهات ص: ٨٥٥ (ح٥٧١١)، وأخرج الإمام أحمد هذه الجملة في عدة مواضع منها في المسند١/ ٢٠٠، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم يُنظر المسند المحقق بإشراف الأرنوط٣/ ٢٤٩(ح١٧٢٣).

(٢) كتاب « زاد السعيد في الصلاة على النبي الوحيد مع نيل الشفاء بنعل المصطفى ﷺ» مع الإضافات الجديدة قام بترجمته إلى اللغة البشتو الحافظ معز الله جان الكشميري ص: ٦٠-٦١.

وقول كل أحد يعرض على الكتاب والسنة، فإن وافقهما أخذ به، وإلا فكلامه مردود عليه، كما قال مالك -رحمه الله- وغيره[1]. ومع هذا كله يقال:

٢- الصورة التي يزعمون أنها صورة نعل المصطفى ﷺ، لا تشبه صورة نعل أصلا بل تشبه صورة سمكة[2].

٣- ثم وإن سلمنا أنها صورة نعل، فلا يسلم أنها صورة نعل المصطفى ﷺ؛ لأن الصحابة والتابعون ما صوّروا الأشياء التي لها تعلق ببدن النبي ﷺ كالعصا والنعال، والجبة ونحوها، فمن أين لهم أن هذه صورة نعله ﷺ؟.

٤- ولو فرضنا وسلمنا أنها صورة نعل، وسلمنا أنها صورة نعل المصطفى ﷺ؛ فلا يجوز التوسل بها؛ لأنه لا يجوز التوسل بذات المصطفى ﷺ،[3] فكيف يجوز التوسل بنعله.

٥- ولو سلمنا التوسل بذاته ﷺ، ثم سلمنا جدلا جواز التوسل بنعله؛ فلا يجوز التوسل بصورة نعله ﷺ، لأن صورة الشيء ليس الشيء نفسه، ولعدم ثبوت هذا الفعل عمن هو أفضل منا متابعة واقتداءً بالنبي ﷺ، وهم الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان.

٦- وإن قلنا بجواز هذا، فكيف ننكر على من يصورون الأنبياء والصالحين وغيرهم ويجعلون لهم تماثيل، ويتوسلون بها إلى الله؟ ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[4]،

---

(١) تقدم في الباب الأول فصل المحبة جملة من هذه الأقوال في ص:١٨٩.

(٢) وهذه الصورة مصورة في بعض الكتب، منها في كتاب نيل الشفاء المترجم إلى اللغة البشتو للمترجم معز الله الكشميري ص: ٦٣، وكما يشاهد على قلانس بعض الصوفية فهي أشبه بالسمكة من النعل، كما يظهر ذلك جليا للناظر إليه.

(٣) كما لا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ فلا يجوز التوسل بما خرج من ذاته كالبصاق، والعرق، والدم ونحوها، مع جواز التبرك بها كما كان الصحابة يتبركون بما يلتصق ببدنه أو يخرج منها ولا يتوسلون بشيء من ذلك فلا يجوز لأحد أن يقول: اللهم! إني أتوسل إليك ببصاق النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم أو دمه ونحو ذلك، مع جواز التبرك بها.

(٤) سورة الزمر (٣).

فهم يصورون ذات رجل صالح ويتوسلون بتلك الصورة، وهؤلاء يصورون نعله ونحوه، ويتوسلون بتلك الصورة. وذات الرجل أفضل من نعله بلا نزاع.

٧- ثم كيفية التوسل بصورة النعل المزعوم، كما تقدم ذكره في بيان الانحرافات، كيفية مخترعة ، والاختراع في الدين بدعة وضلالة، لأن بيان كيفية العبادات، وتحديد الأوراد والأذكار بعدد معيّن، تشريع في الدين، والتشريع حق لله، وبيان ذلك يكون من النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم لا غيره.

٨- وما ذكر من القصص والحكايات ودعوى من ادعى: أنه توسل بصورة نعل المصطفى، وحصل له كذا وكذا...أو أنه جرّبه في كذا...؛ فمعلوم أن جواز الشيء مبني على الأدلة الشرعية لا على التجربة والحكايات.

٩- وأما حصول المطلوب أحيانا عند الدعاء جنب القبر، أو بتوسل بدعي كالتوسل بنعل الرسول أو قبره ونحو ذلك من التوسلات البدعية أو الشركية، فنقول: «قد يحدث هذا الشيء عند الدعاء لا بالدعاء امتحانا للداعي؛ فقد يأتي الإنسان ويدعو هذا الولي صاحب القبر بدعاء، ثم يحدث له ما دعا به امتحانا من الله ﷻ، لا أن هذا الولي هو الذي أعطاه إياه؛ لأننا نعلم علم اليقين أن هذا الولي لن ينفعه، ولن يستجيب له، لكن الله قد يبتلي، والابتلاء بتسهيل المعصية واردٌ في الأمم السابقة وفي هذه الأمة، ففي الأمم السابقة قال الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [(١)]...

وفي هذه الأمة ابتلى الله ﷻ أصحاب النبي ﷺ ببلوى؛ إذا أحرم الإنسان بحج أو عمرة حرم عليه الصيد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [(٢)] فأراد الله أن يبتلي أصحاب الرسول ﷺ، فأرسل إليهم صيداً تناله أيديهم ورماحهم...: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) سورة الأعراف (١٦٣).

(٢) سورة المائدة (٩٥).

ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾(1) والحكمة من يخافه بالغيب» (2).

وقال الشوكاني -رحمه الله-: «...السنة لا تثبت بمجرد التجربة، ولا يخرج الفاعل للشيء معتقدا أنه سنة عن كونه مبتدعا، وقبول الدعاء لا يدل على أن سبب القبول ثابت عن رسول الله ﷺ؛ فقد يجيب الله الدعاء من غير توسل بسنة، وهو أرحم الراحمين، وقد تكون الاستجابة استدراجا...»(3).

وحصول المراد أحيانا والتجارب لا يدل على جواز الشيء شرعا، بل ما وافق القرآن والسنة فهو جائز مشروع، وما لم يوافقهما فغير جائز وممنوع.

موقف الإسلام من الانحراف الرابع: وهو استدلالهم على التوسل البدعي بما لا يدل عليه.

أحكام الدين الإسلامي الحنيف وأدلته الصحيحة القوية متوافرة، وتكفي لإثبات ما فيه الخير والصلاح، والاستدلال على جواز المحرمات، يكلف الكثير من الجهد بلا جدوى، وإذا وضع هذه الاستدلالات والشبهات في ميزان الشريعة، فلا يصلح لإثبات دعواهم ومن ذلك الاستدلالات:

أولا: تفسير المخالفين للوسيلة الواردة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(4) قالوا: الوسيلة: ما يتوسل به إلى الله يعني يحصل به التقرب سواء كان بالعمل الصالح، أو **الذوات الفاضلة**، لأن بعض المفسرين يفسرون الوسيلة بالأعمال الصالحة، وبعضهم يفسرونها **بالأشخاص**، ...والوسيلة هم علماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة، ومن يخصصها بالعمل الصالح لا دليل لهم على ذلك...، كما تقدم الكلام بتمامه في بيان الانحراف الرابع.

---

(1) سورة المائدة (٩٤).

(2) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٥/ ٢٨٩-٢٩٠.

(3) تحفة الذاكرين للشوكاني ص:١٤٠.

(4) سورة المائدة (٣٥).

فهذا الكلام جَمَعَ الحق والباطل، لأن الوسيلة إلى الله هي كل ما يتقرب به العبد إلى الله ﷻ وهذا كلام حق، لكن ليس كل ما يظنه الرجل أنه يتقرب به إلى الله ﷻ، فهو يتقرّب به على الحقيقة؛ وإنما يتقرب الرجل إلى الله إذا كان هذا المتقرب به وسيلة شرعية، وأقره الكتاب والسنة، وذوات الأشخاص وجاههم، وأعمال الغير لم يعدها الشرع من الوسيلة الشرعية؛ لأن أعرف الناس بمصطلحات الشرع هم الصحابة الذين نزل فيهم الوحي، فكانوا أدرى بمدلولات النصوص، والمصطلحات الشرعية، ولم نجد أحدا من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنهم فسروا الوسيلة بعلماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة.

وأما الحقيقة والطريقة، فهي من مصطلحات الصوفية، والصوفية لم تكن موجودة في زمنهم، بل إذن مستحدثة، وكل محدثة بدعة. ولا تفسر مصطلحات القرآن والسنة، بالمحدثات والبدع، وليس بلازم أن يكون كل ما يكتبه الناس ويُدَوِّنونَه في تفاسير الآيات القرآنية حقا وصوابا، فما قاله صاحب روح البيان أو غيره يعرض على الكتاب والسنة، فإن وافقهما قُبل وإلا رُدّ، وأُخذ بما يوافق الوحي.

وأما قول المخالف: ومن يخصص الوسيلة بالعمل الصالح فلا دليل عليه...

يقال له: لا نقول بتخصيص الوسيلة بالعمل الصالح فقط، بل يصح التوسل بذات الله ﷻ وأسمائه وصفاته، وبدعاء العبد الصالح الحاضر الحي، كما يدل على هذه الثلاثة القرآن والسنة، ووردت بذلك أقوال سلف هذه الأمة، وغير هذه الثلاثة كالتوسل بالذوات الفاضلة، وجاه الصالحين، وأعمال الغير، وغير ذلك، لا يوجد عليها دليل شرعي صحيح، ولم يرد به قول أحد من السلف الصالحين كما تقدم في بيان أنواع التوسل.

ثانياً: ما ذكره المخالف في تفسير **الكلمات**(١) في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).قال بعض الناس: رأى آدم عليه السلام مكتوبا

---

(١) والقرآن قد فسر المراد بالكلمات التي تلقاها آدم من ربه، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف :٢٣].وهذا هو المروي عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والحسن، والضحاك، وقتادة، وابن وهب، وعطاء الخراساني، وغيره.يُنظر: تفسير الطبري ١/٣١٩-٣٢٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٤٨١، وتفسير ابن كثير ١/٣٧٠.

(٢) سورة البقرة (٣٧).

على ساق العرش «محمد رسول الله» فتشفَّع به فهي الكلمات، وذكروا لهذه الدعوى بعض الروايات الضعيفة كما تقدمت في بيان الانحراف الرابع.

وهذا التفسير للكلمات رواه الحاكم في مستدركه وصحح إسناده، ومعلوم لدى العلماء، بل وطلبة العلم أن الحاكم -رحمه الله- متساهل في التصحيح، ولذلك تعقبه الذهبي -رحمه الله- بقوله: **بل موضوع**[(١)].

وضعّف هذا الحديث البيهقي[(٢)] والهيثمي[(٣)] والسيوطي[(٤)] وغيرهم.

ثم الرواية التي يستدلون بها فيها مخالفات شرعية عديدة منها:

١-العرش وصفاته من مسائل العقيدة، ولم يرد أن قوائم العرش عليها كتابة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فكيف يثبت شيء غيبي من أمور العقيدة[(٥)] بحديث **ضعيف بل موضوع**. كما نص على وضعه الإمام الذهبي -رحمه الله-[(٦)].

٢-قول المخالف في الحديث «**فأوحى الله إليه، يا آدم! إنه آخر النبيين من ذريتك، ولو لا هو ما خلقتك**» هذا كلام باطل، كما ورد في حديث باطل، لأن فيه

---

(١) تلخيص المستدرك للذهبي على هامش المستدرك للحاكم كتاب تواريخ المتقدمين...، ومن كتاب آيات رسول الله٢/٥٦١، وفي طبعة دار الكتب العلمية٢/٦٧٢ رقم (٤٢٢٨).

(٢) قال في دلائل النبوة له: تفرّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه، وهو ضعيف. يُنظر: كتاب جُمّاع أبواب غزوة تبوك، باب ما جاء في تحدث رسول الله ﷺ رقم٥/٤٨٩ (٢٢٤٣).

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي كتاب علامات النبوة، باب عظم قدره ﷺ ٤/٩ أو ٨/٤٥٣(١٣٩١٧)

(٤) مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي ص: ٩٤ برقم(٣٨١).

(٥) وقد تقدم في التمهيد أن هؤلاء يؤسسون أصلا: أن العقيدة لا تثبت بأخبار الآحاد -وإن صحت- لأنها لا تفيد إلا الظن، وقولهم هذا وإن كان غير صحيح، لكن الأصل عندهم أنهم لا يثبتون العقائد بالآحاد -وإن صحت- فكيف أثبتوا هنا صفات العرش -وهي من صميم أمور العقيدة- بحديث موضوع. فإلى الله الشكوى.

(٦) تلخيص المستدرك للذهبي على هامش المستدرك للحاكم كتاب تواريخ المتقدمين...، ومن كتاب آيات رسول الله٢/٥٦١، وفي طبعة المكتبة العلمية٢/٦٧٢ رقم (٤٢٢٨).

إثبات لعقيدة باطلة، وهي أن الإنس كلهم من لدن أبيهم آدم ﷺ إلى آخر أولاده خُلقوا من أجل محمد ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١). فبالنظر في الآية الكريمة يتبيّن جليا، أن علة الخلق؛ إنما هي عبادة الله وحده لا شريك له، ليست علة الخلق أحد من خلقه، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب.

وزاد الطين بلّة لما نسبوا تصحيح هذا الحديث الموضوع إلى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وإلى مجموع فتاواه حيث قالوا كذبا وزورا في الإحالة: «**هذا حديث صحيح الإسناد. مجموع الفتاوى لابن تيمية**» كما تقدم في بيان الانحرافات.

فكيف يقال هذا الكلام عن إمام ابن تيمية – رحمه الله- وأمثاله من جهابذة العلم؟ وهو يقول بعد نقله لهذه الرواية: «**قلت**: ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم: "عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة، أن الحمل فيها عليه"(٢). **قلت**: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم **ضعيف باتفاقهم**، يغلط كثيرا، ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم، وقال أبو حاتم بن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك، وأما تصحيح الحاكم- رحمه الله- لمثل هذا الحديث وأمثاله، فهذا مما أنكره عليه أئمة علم الحديث، وقالوا إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث» (٣).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر بعد نقل هذه الرواية: «ومثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة، ولا يحتج به في الدين باتفاق المسلمين، فإن هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها التي لا تعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي [ﷺ] وهذه لو نقلها مثل كعب

---

(١) سورة الذاريات (٥٦).

(٢) المدخل إلى الصحيح من السقيم للحاكم ص: ١٥٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية١/٢٥٤-٢٥٥.

الأحبار[١] ووهب ابن منبه[٢] وأمثالهما ممن ينقل أخبار المبتدأ، وقصص المتقدمين عن أهل الكتاب لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين، فكيف إذا نقلها من لا ينقلها لا عن أهل الكتاب، ولا عن ثقات علماء المسلمين بل إنما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح، ضعيف، لا يحتج بحديثه، واضطرب عليه فيها اضطرابا، يعرف به أنه لم يحفظ ذلك» [٣].

وأعجب من هذا قول بعض المخالفين لما رأى أن في سند الرواية، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والحديث ضعيف.فقال: **يجاب عن هذا بأن الحديث الضعيف حجة في فضائل الأعمال والأخبار،** فيا للأسف!!كيف يقول من ينتسب إلى العلم، ويتكلم في أمور عقيدة المسلمين، ويتفوه بهذا الكلام الباطل؟!! فبالله هل مسألة التوسل من فضائل الأعمال، والقصص، وأخبار الملوك؟، أم هي من مسائل العقيدة التي لا تقبلون فيها أخبار الآحاد، على قاعدتكم الباطلة في ذلك -كما في كتبكم- أن أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن[٤].فكيف تقبل هذا الحديث الضعيف بل الموضوع كما قاله الذهبي -رحمه الله- [٥].

---

(١) **كعب الأحبار:** هو كعب بن ماتع يكنى أبا إسحاق، مخضرم، أدرك عهد النبي ﷺ و لم يره، كان إسلامه في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، توفي في خلافة عثمان بن عفان ﷺ وقد تجاوز عمره مائة سنة.يُنظر: أسد الغابة لابن الأثير٤/١٨٧ رقم (٤٤٧٧)، وتهذيب التهذيب لابن حجر٨/٣٨٢ برقم (٥٨٧٢)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص:٨١٢ برقم (٥٦٨٤).

(٢) **وهب بن منبه:** وهب بن منبه بن كامل بن سِيَج بن سيحان من أبناء فارس،كنيته أبو عبد الله يقال ذماري لأنه كان ينزل ذمارا- يبعد مرحلتين من صنعاء -يَرْوِي عن جابر بن عبد الله وابن عباس، وكان عابدا فاضلا، مات سنة ١١٣، أو ١١٤هـ، وهو ابن ثمانين سنة.يُنظر: الثقات لابن حبان ٥/ ٤٨٧. تهذيب التهذيب ١١/١٤٧برقم (٧٨٠٧).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/١٥٧-١٥٨.

(٤) كقولهم: إن الخبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط المذكورة في أصول الفقه، لا يفيد إلا الظن، ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات، خصوصا إذا اشتمل على خلاف الرواية، والفعل بموجبه ما يفضي إلى مخافة ظاهر الكتاب. يُنظر: شرح العقائد للتفتازاني ص: ١٠١.

(٥) تقدم تخريجه قريبا ص: ٥٣٣.

وكذا جوابه الثاني أن الراوي[عبد الرحمن بن زيد بن أسلم] ليس من الرواة المتفق على ضعفه، حيث قال ابن حجر -رحمه الله-: «قال ابن عدي: له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله الناس، وصدقه بعضهم، وهو ممن يكتب حديثه» كما تقدم في بيان الانحرافات.وإذا تأملنا في ألفاظ ابن عدي -رحمه الله- لعرفنا أنه أيضا يضعّفه، كما يظهر من قوله: **له أحاديث حسان**، ومعنى هذا أن هذا أعلى درجة لأحاديثه، وإلا ففيها ضعيفة، ومنكرة، بل وموضوعة، كما نص عليها العلماء، ومنها هذا الحديث الذي نحن بصدد الحديث عنه.ويظهر كذلك من قوله: وهو ممن احتمله الناس، وصدقه بعضهم، ويكتب أحاديثه، أنه من الضعفاء؛ لأن هذه الأوصاف كلها للضعفاء في الأحاديث، فلا ينقض قول ابن الجوزي -رحمه الله- (١) الذي قال: «**أجمعوا على ضعفه**»(٢).فلا يقال: إن الراوي ليس من الرواة المتفق على ضعفه؟!

ويظهر من تمسك هذا الرجل بكلام ابن عدي -رحمه الله- الذي ليس معه في هذا غيره، وتركه لكلام عشرات من أئمة الجرح والتعديل الذين هم أعلى منزلة في هذا الشأن من ابن عدي -رحمه الله- كالبخاري(٣) وغيره، أن دأب هؤلاء التمسك بأدلة واهية وترك الأقوى منها مع علمهم بضعفها، لأمور ونوايا يخفونها الله أعلم بها، وإلا كيف يخرج كلام ابن عدي -رحمه الله- من بين عشرات الأقوال؛ فيستدل به ويترك ما سواه(٤)!!!.

---

(١) **ابن الجوزي**: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن جعفر الجوزي، ولد ببغداد وتوفي بها، صاحب المؤلفات كثيرة، كالموضوعات وغيرها. ينظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٤٢/٤(١٠٩٨)، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١٤٠/٣(٣٧٠) ومقدمة كتابه الموضوعات بقلم نورالدين جيلار ص:٩.

(٢) تهذيب التهذيب لا بن حجر١٦٣/٦ برقم (٤٠٠٣).

(٣) الضعفاء الصغير للبخاري ص: ٢٠٦(٣٦٠).

(٤) نص كلام ابن حجر -رحمه الله- في عبد الرحمن هذا «عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني...قال أبو طالب عن أحمد: ضعيف.وقال أبو حاتم: سألت أحمد عن أولاد زيد أيهم أحب إليك؟ =

ثالثا: ما ذكره بعض المخالفين من الاستدلال بآية﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(١)، فاستدلالهم بها غير صحيح، لأن هذا خاص في حال حياة الرسول ﷺ، «لأن إذ ظرف لما مضى، وليست

=

قال: أسامة قلت: ثم من؟ قال: عبد الله. ثم ذكر عبد الرحمن وضجع في عبد الرحمن! وقال الميموني عن أحمد: عبد الله أثبت من عبد الرحمن.قلت: فعبد الرحمن؟ قال: كذا ليس مثله. وضعف أمره قليلا.وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يضعّف عبد الرحمن.وقال: روى حديثا منكرا أحلت لنا ميتتان ودمان، وقال عمرو بن علي: لم أسمع عبد الرحمن يحدث عنه، وقال الدوري عن ابن معين: ليس حديثه بشيء.وقال البخاري وأبو حاتم: ضعفه علي بن المديني جدا، وقال أبو داود: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف. وأمثلهم عبد الله. وقال أيضا: أنا لا أحدث عن عبد الرحمن، وعبد الله أمثل منه، وقال النسائي ضعيف، وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك حديثا منقطعا، فقال أذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح، وقال خالد بن خداش: قال لي الدراوردي، ومعن، وعامة أهل المدينة: لا ترد عبد الرحمن أنه كان لا يدري ما يقول، ولكن عليك بعبد الله.وقال أبو زرعة: ضعيف.وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث، كان في نفسه صالحا، وفي الحديث واهيا.وقال في موضع آخر: هو أحب إليّ من بن أبي الرجال وقال بن عدي: له أحاديث حسان! وهو ممن احتمله الناس! وصدقه بعضهم! وهو ممن يكتب حديثه! قال البخاري قال لي إبراهيم بن حمزة: مات سنة اثنتين وثمانين ومائة.**قلت:** وقال ابن حبان:كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل، وإسناد الموقوف فاستحق الترك.وقال بن سعد: كان كثير الحديث ضعيفا جدا. وقال ابن خزيمة: ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه هو رجل صناعته العبادة والتقشف ليس من أحلاس الحديث، وقال الساجي: ثنا الربيع ثنا الشافعي قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين قال نعم! قال الساجي: وهو منكر الحديث.وقال الطحاوي: حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف. وقال الحربي غيرُه أوثق منه.وقال الجوزجاني: أولاد زيد ضعفاء. وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة.وقال ابن الجوزي: **أجمعوا على ضعفه**».يُنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١٦٢/٦-١٦٣ رقم (٤٠٠٣).

(١)سورة النساء (٦٤).

ظرفا للمستقبل، ولم يقل الله «ولو أنهم إذا ظلموا»، بل قال تعالى: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ[1]، واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر»[2].

والدليل على أن هذا أمر متعذر حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «**وارأساه! فقال رسول الله ﷺ: ذلك لو كان وأنا حي فاستغفر لكِ، وأدعو لكِ، فقالت عائشة: واثكلياه! والله إني لأظنك تحب موتي...**»[3] فلو كان يحصل منه ﷺ الدعاء والاستغفار بعد موته ﷺ، لم يكن هناك فرق بين أن تموت قبله، أو يموت ﷺ قبلها، وهذا الحديث مبيّن لقول الله ﷻ، وأن المجيء إليه وحصول الاستغفار والدعاء منه يكون في حياته، وليس بعد موته ﷺ، والسنة تفسّر القرآن وتبيّنه وتوضّحه[4].

ولأن أن النبي ﷺ مات، وإذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث كما قال صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[5].

وما ذكروا من قصة الأعرابي فهي مروية بثلاث روايات وكلها لا تخلو من الكلام يدل على بطلانها والتفصيل كالتالي:

١- رواية منسوبة إلى علي ﷺ، قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام؛ فرمى نفسه على قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه من ترابه، وقال: يا رسول الله! قلت فسمعنا، وعيتَ من الله ﷻ ما وعينا عنك، وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى

---

(١) أخرج ابن جرير بسنده إلى مجاهد في قول الله تعالى: ظَّلَمُوٓاْ ﴿ أَنفُسَهُمْ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ قال: إن هذا في الرجل اليهودي والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف.ينظر جامع البيان للطبري ٤/٢٠٩.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/٣٤٥.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح كتاب المرضى باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع، ١٠/١٥٢(ح٥٦٦٦).

(٤) أهمية توحيد العبادة للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر ص: ٧٢.

(٥) قد تقدم تخريجه في فصل الرجاء ص:٢٣٤.

عليك: ﴿ ...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(١)، وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي؛ فنودي من القبر: أنه غفر لك.

قال ابن عبد الهادي -رحمه الله-: «وهذا خبر منكر موضوع، وأثر مختلق، لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض، والهيثم [أحد رجال الإسناد]جدُّ أحمد بن الهيثم أظنه ابن عدي الطائي، فإن يكن هو فهو متروك كذاب، وإن يكن غيره فمجهول... »(٢).

فـ(حديث توسل الأعرابي هذا...) ورد في روايات عدة بعضها بلا إسناد، والبعض الآخر بأسانيد مظلمة!!! كما أن ألفاظها جاءت مختلفة ومضطربة...مع زيادة ونقصان في جميع ألفاظ متونه، وفي جميع رواياته وأسانيده مما يدل دلالة واضحة صريحة، على أن هذا الحديث في جميع رواياته مختلق موضوع، وخبر مكذوب مصنوع، وأن صنعة الكذب والوضع ظاهرة عليه، وأنها بينة، جلية، واضحة فيه وضوح الشمس (٣).

٢- رواية العتبي(٤) قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ ...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٥)، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك...

---

(١) سورة النساء (٦٤).

(٢) الصارم المنكي لابن عبد الهادي ص: ٣٢١.

(٣) التوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي ص: ٢٧٣.

(٤) **العتبي**: قال السبكي في ترجمته: اسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب كان من أفصح الناس رواية للأدب وحدّث عن أبيه، وسفيان بن عيينة توفي سنة ٢٢٨هـ يكنى أبا عبد الرحمن. ينظر شفاء السقام للسبكي ص: ٥٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان٣٩٨/٤ برقم(٦٦٣، وتاريخ بغداد للخطيب٣٢٤/٢ برقم (٨١٤) والوافي بالوفيات للصفدي ٣/٤ برقم(١٤٥٦).

(٥) سورة النساء (٦٤).

فهذه الرواية أيضا غير ثابتة، قال ابن عبد الهادي -رحمه الله-: «وأما حكاية العتبي التي أشار إليها[1]، فإنها حكاية ذكرها بعض الفقهاء والمحدثين، وليست بصحيحة، ولا ثابتة إلى العتبي، وقد رُوِيتْ عن غيره بإسناد مظلم...، وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي لا سيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعا مندوبا؛ لكان الصحابة والتابعون أعلمَ به واعملَ به من غيرهم، وبالله التوفيق »[2].

وقال -رحمه الله-: «هذه الحكاية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد[3]، وبعضهم يرويها عن محمد[4] ابن حرب الهلالي [5]، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني[6] عن الأعرابي...»[7].

---

(١) يقصد ما أشار إليه السبكي في كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام، وقد رد عليه ابن عبد الهادي بكتاب جليل سماه: الصارم المنكي في الرد على السبكي.

(٢) الصارم المنكي لابن عبد الهادي ص: ٣٢١.

(٣) كابن كثير في تفسيره ٤/١٤٠عند تفسير الآية الرابعة والستين من سورة النساء.

(٤) لم أجد له الترجمة، ونقل الألباني -رحمه الله- هذه الرواية في السلسلة الصحيحة عن البيهقي وسماه أيوب الهلالي، وقال لم أعرفه.يُنظر: السلسلة الصحيحة للألباني ٦/ ٤٢٧.وقال الشيخ محمد نسيب الرفاعي: «اضطرب في اسم محمد بن حرب الهلالي، فتارة يقولون: هو محمد بن حرب الهلالي، وتارة يذكره الزبيدي في كتابه شرح أحياء علوم الدين أنه محمد بن كعب الهلالي».يُنظر: التوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي ص: ٢٨٠.

(٥) كالبيهقي في شعب الإيمان الباب الخامس والعشرون في المناسك فضل الحج والعمرة٨/١٠٨ (ح٣٨٨٠)، **فقد رواه عن أبي حرب الهلالي بدل ابن حرب الهلالي**، وهذا أيضا يدل على الاضطراب في السند، وقال مختار أحمد الندوي محقق شعب الإيمان: إسناده ضعيف، وفيه من لم أعرفه، وقال في أبي حرب الهلالي: لم أجده. يُنظر: تحقيق الندوي على شعب الإيمان للبيهقي ٨/١٠٨ (ح٣٨٨٠).

(٦) **الزعفراني**: هو الحسن بن محمد بن الصباح أبو علي الزعفراني، من أجلّ أصحاب الإمام الشافعي -رحمه الله- توفي عام ٢٥٩، وقيل: ٢٦٠ هـ.يُنظر: تاريخ بغداد للخطيب ٧/٤٠٧ برقم(٣٩٥٣)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢/٢٧٥ برقم (٥٥٢).

(٧) الصارم المنكي لا بن عبد الهادي ص: ٢٥٣.

كل هذا الاختلاف والاضطراب يدلنا على عدم صحة القصة، ولـذا لم يـذكرها أصحاب الكتب الستة، ولم يصححها علماء الحديث، ولم يُحَسّنْها المعروفون بـالجرح والتعديل، وإنما يذكرونها بصيغة التمريض.

ولو سلمنا -تنـزلا- صحةُ الرواية إلى الأعرابي، فهو رجل مجهول، وليست الأمة المحمدية مأمورة بأخذ أقوال وأعمال الأعراب، وما فعله هذا الأعرابي عند قبر النبي ﷺ يكون من منكرات الأعراب التي يكثر منهم ارتكابها، ولا يقال: يمكن أن يكون الأعرابي من الصحابة والصحابة كلهم عدول، وذلك:

لأن العتبي الذي يروي عن هذا الأعرابي مات سنة ٢٢٨هـ[(١)]، ولم يعمر من الصحابة أحد عمرا يروي عنه من مات في القرن الثالث الهجري.وكذا الهلالي الذي يروي عن الزعفراني لعل وفاته تأخرت عن شيخه الزعفراني الذي مات في منتصف القرن الثالث وذلك في عام ٢٥٩، وقيل عام٢٦٠هـ[(٢)].

فكيف يمكن للزعفراني، أو لتلميذه من بعده أن يروي من أحد من أعراب الصحابة، فعلم أن الأعرابي ليس من الصحابة فهو أعرابي مجهول، ولا يستدل في دين الله بأفعال وأقوال المجهولين من الأعراب وغيرهم.

وتبيّن كذلك أن الرواية المنسوبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه -بأنه رأى هذا الأعرابي وشاهد فعله عند قبر النبي ﷺ- كذب وافتراء، ولذا قال ابن عبد الهادي -رحمه الله- في القصة: «وقد وضع لها بعض الكذابين إسنادا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[(٣)].

وهناك أمور أخرى تدل على عدم صحة القصة منها:

١-ورد في الرواية المنسوبة إلى علي رضي الله عنه «قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم بثلاثة أيام؛ فرمى نفسه على قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه

---

(١) يُنظر: شفاء السقام للسبكي٥٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان٤/٣٩٨ برقم (٦٦٣، وتاريخ بغداد للخطيب٢/٣٢٤ برقم(٨١٤) والوافي بالوفيات للصفدي ٤/٣ برقم (١٤٥٦).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٧/٤٠٧ برقم (٣٩٥٣)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢/٢٧٥ برقم (٥٥٢).

(٣) الصارم المنكي لابن عبد الهادي ص: ٢٥٣.

من ترابه». وفي رواية العتبي «كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله!...» فهل يمكن للعتبي الذي توفي سنة ٢٢٨هـ أن يحضر حادثة وقعت بعد دفن رسول الله ﷺ بثلاثة أيام؟!.

٢- تقول الرواية المنسوبة إلى علي رضي الله عنه «فرمى نفسه على قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه من ترابه» فهل يعقل أن أعرابيا يدخل بيت عائشة الذي دفن فيها رسول الله بدون إذن أحد، وهل يعقل أن عليا رضي الله عنه كان حاضرا والأعرابي يرمي نفسه على قبر الرسول ويحثوا التراب منه على رأسه ولا ينكر عليه علي رضي الله عنه ولا غيره من الصحابة رضي الله عنهم ؟!.

٣- ورد في الرواية المنسوبة إلى علي رضي الله عنه «فنودي من القبر: أنه غفر لك» بينما تقول رواية العتبي «ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني... فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي! الحق الأعرابي فبشره، أن الله قد غفر له» وكم من الفرق الشاسع بين النداء من القبر، وبين الرؤيا والحلم؟!.

هذه الأمور وغيرها تدل على عدم صحة القصة؛ فلا يصح الاستدلال بها.

رابعا: حديث الضرير حديث صحيح، وإن كان بعض العلماء قد ذهبوا إلى تضعيفه[1]، لكن ليس فيها التوسل بذات الرسول ﷺ، وإنما فيه التوسل بدعائه ﷺ،

كما يظهر جليا من قول الضرير للرسول ﷺ: «**ادع الله أن يعافيني**»

ومن جواب الرسول ﷺ «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير**» ففيها وعد أن الضرير إن أراد الدعاء؛ فيدعو له النبي ﷺ، وهو أفضل من وفّى بالوعد.

---

(١) من الذين نصوا بتضعيف الحديث الشيخ بشير السهسواني حيث قال في كتابه «صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ الدحلان» ص:[١٣١-١٣٢]: «في سند هذا الحديث أبو جعفر فإن كان هو أبو عيسى بن عيسى ماهان أبو جعفر الرازي التميمي كما ظنه الحافظ ابن حجر في التقريب فالأكثرون على ضعفه، ...وإن كان أبا جعفر المدني فهو مجهول، وإن كان رجل آخر فلابد من تعيينه» اهـ. لكن جزم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بأنه أبو جعفر الخطمي المدني.يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية١/٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨ ،٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤.وهو ثقة يُنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١٣٤/٨.فعلى هذا يكون الحديث صحيحا.كما صححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني والرفاعي.يُنظر: المستدرك للحاكم وبهامشه تلخيص المستدرك للذهبي١/٤٥٨(ح١١٨٠) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص: ٧٥-٧٦ والتوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسب الرفاعي ص: ٢٢٩.

ومن إصرار الضرير على الدعاء له بقوله: «**فادعه**» وهذا أيضا يدل أنه لم يتوسل بذاته، بل كان توسل بدعائه.

ومن قول الضرير «**اللهم شفعه فيّ**» والمعنى: اللهم اقبل شفاعته التي يطلبها منك في حقي، والشفاعة لا تكون بدون الطلب، وهو الدعاء.

ومن الزيادة التي وردت في رواية الترمذي والحاكم(1)، وهي قول الضرير: «**وشَفِّعْنِي فيه**» فالضرير دعا الله تعالى أن يقبل الله شفاعة النبي ﷺ فيه، والنبي دعا له بالشفاء، فليس فيه التوسل بالذات إنما فيه التوسل بدعاء رجل صالح يرجى إجابة دعائه.

ولو كان المقصود التوسل بالذات لَمَاَ جاء الضرير إلى النبي ﷺ، ولَمَا طلب منه الدعاء، بل لَجلس في بيته وتوسل بذاته ﷺ، ولَقال: اللهم ردّ إلي بصري بجاه النبي ﷺ، أو أتوسل إليك بذاته ونحو ذلك، ولكن لم يحصل ذلك كله، بل أمره النبي ﷺ أن يتوضأ، وعلّمه الدعاء.

ولا يصح أن يقال: إن النبي ﷺ لم يدعُ له، أو لم يثبت عن النبي ﷺ الدعاء له؛ لأن النبي ﷺ وعده بالدعاء له، إن لم يصبر وأراد الدعاء، فلا بدّ أنه وفّى بما وعد معه من الدعاء له؛ لأنه صادق الوعد، وفي لا يخلف الميعاد، وثبت أن الضرير لم يصبر، بل طلب منه الدعاء وقال: **فادعه**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: «**الأعمى** سأل منه الشفاعة؛ فأمره أن يدعو الله بقبول هذه الشفاعة، وهو كالشفاعة في الشفاعة؛ فلهذا قال: اللهم! **فشفعه فيّ وشفعني فيه**، وذلك أن قبول دعاء النبي ﷺ في مثل هذا هو من كرامة الرسول على ربه، ولهذا عُدَّ هذا من آياته ودلائل نبوته؛ فهو كشفاعته يوم القيامة في الخلق، ولهذا أَمَر طالبَ الدعاء أن يقول: **فشفعه في، وشفعني فيه**...ولو لم يدع له النبي ﷺ كان سائلا مجردا كسائر السائلين

(1) سنن الترمذي كتاب الدعوات باب (119) ح(3578) وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن الترمذي للألباني3/469(ح3578)، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب صلاة التطوع1/458(ح1180) وكتاب الدعاء والتكبير، دعاء رد البصر1/700(ح1909)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك على هامش المستدرك1/458(ح1180).

ولا يسمى مثل هذا شفاعة، وإنما تكون الشفاعة إذا كان هناك اثنان يطلبان أمرا فيكون أحدهما شفيعا للآخر بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره»[1].

وأهل السنة وغيرهم متفقون على أنّ في قوله:«**أتوسل إليك بنبيك**» شيئا محذوفا لا بد من التقدير، ولكن ما هو هذا المقدر؟

فالقائلون بالتوسل البدعي يقولون: بجاه نبيك، أو ذاته، أو مكانته، أو منزلته، ولكن لا دليل على هذا التقدير لا من الآيات القرآنية ولا السنة النبوية، لا صريحا ولا تلميحا.

وأهل السنة يقولون: إن التقدير هو: أتوسل إليك بدعاء نبيك، وقد دلّ ألفاظ الحديث وسياقه على هذا التقدير كما تقدم بيان ذلك قريبا، كما أن هناك أدلة كثيرة من القرآن والسنة على جواز التوسل بدعاء رجل صالح بدون خلاف.

خامسا: وأما زيادة قصة رجل كان يختلف إلى عثمان ﷺ، وهو لا يلتفت إليه...مع الحديث الصحيح فغير صحيحة، فهي رواها الطبراني[2] وغيره، وفي سندها شبيب بن سعيد الحَبَطي البصري. قال فيه الذهبي -رحمه الله-: «صدوق يُغرِب[3]. ذكره ابن عدي في كامله، فقال: نسخةٌ عن يونس بن يزيد[4] مستقيمة. حدث عنه ابن وهب[5] بمناكير. وقال ابن المديني: شبيب بن سعيد ثقة، كان يختلف في تجارة إلى مصر،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/٢٧٦-٢٧٨، والتوسل والوسيلة لابن تيمية ص:١٥٨.

(٢) معجم الكبير للطبراني الباب الثاني ٩/١٧ (٨٣١١)، ومعجم الصغير للطبراني باب من اسمه طاهر ١/٣٠٦ رقم (٥٠٨).

(٣) **يُغْرِب**: أي يأتي بالغرائب والعجائب، من الأقوال والأحاديث التي لم يسمعها كثير من الثقات.

(٤) **يونس**: هو يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي مولى معاوية بن أبي سفيان، ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهمًا قليلا، وفي غير الزهري خطأ، مات سنة ١٥٩هـ الكاشف للذهبي ٣/٢٦٧(٦٥٩٨) وتهذيب التهذيب لابن حجر ١١/٣٩٣(٨٢٤٤) وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ١١٠٠(٧٩٧٦).

(٥) **ابن وهب**: هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الفقيه، ثقة حافظ عابد ولد ١٢٥هـ وتوفي ١٩٧هـ.يُنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٦٦(٤٨١٨)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص:٥٥٦ (٣٧١٨).

وكتابه صحيح، قد كتبته عن ابنه أحمد.قال ابن عدى: كان شبيب لعله يغلط ويهم إذا حدث من حفظه، وأرجو أنه لا يَتَعمّدُ، فإذا حدث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس، فكأنه شبيب آخر- يعنى يجود»[(١)].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: «ولعل شبيبا لما قدم مصر في تجارته، كتب عنه ابن وهب من حفظه؛ فغلط ووهِم، وأرجو أن لا يَتَعَمّد الكذب، وإذا حدث عنه ابنه أحمد فكأنه شبيبٌ آخر يعني يجود»[(٢)].

وقال-رحمه الله-: «شبيبُ بن سعيد التميمي الحَبَطي بفتح المهملة والموحدة البصري أبو سعيد لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه، لا من رواية ابن وهب»[(٣)].

وشبيب هذا روايته في الحديث مقبولة بشرطين:

١- أن تكون عن ابنه أحمد عنه.

٢- أن يرويها هو عن يونس بن يزيد.

وهذه الزيادة **رواها عنه ابن وهب** الذي قال فيه ابن عدي -رحمه الله-: حدّث عنه ابن وهب بمناكير، ولم يروِ عنه هذه الزيادة ابنه أحمد حتى يكون مجودا.**هذا من جهة.ومن جهة أخرى** شبيب هذا روى هذه الزيادة عن روح بن القاسم، وعُرِف له عن روح هذا أحاديثَ منكرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فيها عدة علل:

-إنفراد هذا [أي شبيب] بها عَنْ مَنْ هو أكبر وأحفظ منه.

-وإعراض أهل السنن عنها.

-وإضطراب لفظها.

-وأن راويها[شبيب] عُرِف له عن روح هذا أحاديث منكرة.

(١) ميزان الاعتدال للذهبي٢/٢٦٢ برقم ٣٦٥٨.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/٣٠٦(ح٥٢٤).

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر ص: ٢٦٣ (ح٢٧٣٩).

ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة فلا حجة فيها إذ الاعتبار بما رواه الصحابي، لا بما فهمه، إذا كان اللفظ الذي رواه لا يدل على ما فهمه بل على خلافه، ومعلوم أن الواحد بعد موته إذا قال: اللهم! فشفعه في وشفعني فيه، مع أن النبي لم يدع له، كان هذا كلاما باطلا...» [1].

قال الألباني –رحمه الله–[2] «وخلاصة القول: إن هذه **القصة ضعيفة منكرة** لأمور ثلاثة: ضعف حفظ المتفرد بها، والاختلاف عليه فيها، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث، وأمر واحد من هذه الأمور كافٍ لإسقاط هذه القصة فكيف بها مجتمعة؟»[3].

فثبت أن الزيادة التي أضيفت مع الحديث ليست بصحيحة، ثم نقول: لو كان الدعاء الذي علمه الرسول ذلك الضرير ﷺ ينفع في كل زمان– من دون دعاء النبي ﷺ –لما وجد الآن على وجه الأرض ضريرا ولَدَعا كل ضرير بهذا الدعاء ولارتد بصيرا، ولكان هذا الدعاء علاجا شافيا من العمى بل ولقُضي كل حاجة تخطر في بال الرجل– كما أشارت إليها الزيادة.

سادسا: توسل عمر ﷺ في الاستسقاء بالعباس ﷺ يدل دلالة واضحة أن التوسل إنما يكون بدعاء الرجل الصالح لا بذات الرجل الصالح، وذات الرسول ﷺ أشرف وأجل من ذات العباس ﷺ، ولو كان التوسل بذات الشخص جائزا لما عدل عمر ﷺ عن التوسل بذات النبي ﷺ إلى التوسل بدعاء العباس في وقت شدة وقحط.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٨/١.

(٢) **الألباني:** هو محمد ناصر الدين بن نوح بن آدم نجاتي الألباني، المحدث الفقيه الداعية السلفي، ولد في أشقورة عاصمة ألبانيا سنة ١٣٣٢هـ وتوفي سنة ١٤٢٠هـ ينظر ترجمته في: محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني تأليف سمير بن أكين الزهيري ص:٨ وما بعدها، ومع شيخنا ناصر السنة والدين تأليف على حسن الأثري ص: ٥ وما بعدها، وحياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه (مجلدين) تصنيف محمد إبراهيم الشيباني.

(٣) التوسل للألباني ص: ٩٦.

ثم لم يكن توسل عمر بذات العباس، لقول عمر ﷺ: **يا أبا الفضل قم فادع**.فقام العباس فقال: بعد حمد الله تعالى والثناء عليه اللهم! إن عندك سحاباً، وعندك ماءً؛ فانشر السحاب، ثم أنزل الماء منه علينا؛ فاشدد به الأصل، وأدر به الضرع...[1]وإلا لما كان حاجة إلى دعائه.

قال الألباني -رحمه الله-: «في هذا الحديث:

أولا: التوسل بدعاء العباس ﷺ لا بذاته كما بينه الزبير بن بكار[2] وغيره[3]وفي هذا رد واضح على الذين يزعمون أن توسل عمر كان بذات العباس لا بدعائه إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة ليقوم العباس فيدعو بعد عمر دعاء جديدا.

ثانيا: أن عمر صرح بأنهم كانوا يتوسلون بنبينا ﷺ في حياته، وأنه في هذه الحادثة توسل بعمّه العباس، ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع واحد: توسلهم بالرسول ﷺ وتوسلهم بالعباس...، وتوسلهم به ﷺ، إنما كان توسلا بدعائه ﷺ[4]؛ فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما هو توسل بدعائه أيضا، بضرورة أن التوسلين من نوع واحد»[5].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر٨١٤/٢ رقم: ١٣٧٨ في ترجمة العباس ﷺ.وعمدة القاري للعيني ٣٢/٧ عند شرحه للحديث رقم(١٠١٠).

(٢) **الزبير**: هو الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت من آل الزبير بن العوام قاضي المدينة، ثقة، توفي سنة ٢٥٦هـ.يُنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٧٧/٣ برقم (٢٠٧٣) وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٣٣٤رقم(٢٠٠٢).

(٣) يُنظر: فتح الباري لابن حجر٦٤١/٢.

(٤) كما في صحيح البخاري: «أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر -ورسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قائم يخطب- فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال: يا رسول الله! هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا.قال فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللهم اسقنا اللهم، اسقنا اللهم اسقنا**» يُنظر: صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الاستسقاء باب الاستسقاء في المسجد ٦٤٦/٢(ح١٠١٣).

(٥) التوسل للألباني ص: ٦٨-٦٩.

سابعا: لا يصح أن يقال: إن من العلماء من قال بجواز التوسل بالذوات الفاضلة، ولو كان ذلك شركا لما قالوا بذلك؛ لأهم أبعد الناس من الشرك؛ فعُلم أن هذا التوسل ليس بشرك بل هو أمر مندوب؛ كما مرّ في بيان الانحرافات.

وسبب عدم صحة هذا الكلام أنه لا يوجد في شيء من القرآن والسنة الصحيحة، وأقوال الصحابة ﷺ وأفعالهم، ما يدل على جواز التوسل بالمقابر والمزارات، وذوات الأشخاص الفاضلة وغيرهم، والأئمة والعلماء الربانيون لا يقولون ولا يفعلون أمرا ليس عليه دليل من القرآن والسنة، وقد قال النبي ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(١)].

ولو سلمنا جدلاً ثبوت ما نسب إليهم من التوسل البدعي؛ فلا يؤخذ به، بل ربما يعتذر لهم ويستغفر لهم، وإنما يؤخذ بكلام الرسول فقط لا غيره، لأنه ما أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد، إلا رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم[(٢)].

وإذا نظرنا ما نسب إلى هؤلاء الأئمة العظام من الأئمة الأربعة وغيرهم نجد أنه لا صحة لنسبة هذه الأقوال إلى أصحابها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الحمد لله. لم ينقل هذا عن إمام معروف، ولا عالم متبع، بل المنقول في ذلك: **إما أن يكون كذباً** على صاحبه مثل ما حكى بعضهم عن الشافعي -رحمه الله- أنه قال: إذا نزلت بي شدة، أجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة -رحمه الله- فأجاب أو كلاما هذا معناه، وهذا كذب، معلوم كذبه بالاضطرار عند من له أدنى معرفة بالنقل؛ فإن الشافعي لمّا قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل و لم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين، من كان

---

(١) تقدم تخريجه ص:١٩٢.

(٢) هذا الكلام وما في معناه ينسب إلى الإمام مالك وغيره -رحمهم الله- ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٩٣/٨، و٧٣/١٠، ٦٨/١٢، كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني٩٥٦/٢.روح المعاني للألوسي ٨/ ٢٧٥ عند تفسير الآية (٩٢) من سورة يونس، وفتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص: ٣٦٢، ٣٦٦.إرواء الغليل للألباني٢/ ٢٦٥ تحت رقم (٤٩٦)مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤٤/٦.

أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء، فما باله لم يتوخ[(١)] الدعاء إلا عند قبر أبي حنيفة، ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه، مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد[(٢)] وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة ولا غيرِه، ثم قد تقدم عن الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور الصالحين خشية الفتنة بها[(٣)]، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه.**وإما أن يكون المنقول** من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف، ونحن لو رُوِيَ لنا مثل هذه الحكايات المسيّبة أحاديثُ عمن لا ينطق عن الهوى، لما جاز التمسك بها حتى تثبت. فكيف بالمنقول عن غيره؟! **ومنها ما قد يكون** صاحبه قاله أو فعله باجتهاد يخطئ فيه ويصيب أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرف النقل عنه كما أن النبي ﷺ، لمّا أذِن في زيارة القبور بعد النهي عنها، فَهِم المبطلون أن ذلك، هو الزيارة التي يفعلونها، من حجها للصلاة عندها والاستغاثة بها» [(٤)].

ومعلوم أن أبا حنيفة -رحمه الله- يكره كراهة التحريم أن يتوسل أحد بذات شخص أو بقبر شاخص، ولذا نقل صاحب الدر المختار عن الإمام أبي يوسف -رحمه الله- عن الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه، المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[(٥)]» اهـ[(٦)] قال ابن عابدين الشامي -رحمه الله-: «(إلا به) أي بذاته وصفاته وأسمائه»[(٧)].

---

(١) أي لم يتحر، و لم يقصد.يُنظر: لسان العرب لابن منظور٢٤٨/٩، المختار الصحاح للرازي ص:٢٩٧.

(٢) **الحسن**: هو الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي من أصحاب أبي حنيفة ولي القضاء بالكوفة مات سنة ٢٠٤هـ.يُنظر: الفوائد البهية للكهنوي ص: ٦٠، والجواهر المضية لعبد القادر القرشي ٥٦/٢(٤٤٨).

(٣) وسيأتي نص كلام الإمام من كتابه الأم ٢٤٦/١ قريبا إن شاء الله ينظر: ص: ٥٥٠.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢٠٥/٢-٢٠٧، ومنهاج التأسيس والتقديس لعبد اللطيف آل الشيخ ص:١٢١-٢٢٢.

(٥) سورة الأعراف (١٨٠).

(٦) الدر المختار للحصكفي مع رد المختار لابن عابدين كتاب الحظر والإباحة فصل في البيع ٧١٥/٦.

(٧) رد المحتار لابن عابدين كتاب الحظر والإباحة فصل في البيع ٧١٥/٦.

كذلك ورد عنه كراهية أن يقول الرجل في دعائه: «أسألك بحق أنبيائك ورُسُلك وبحق فلان؛ لأنه لا حق لأحد على الله تعالى»(١).

فإذا عرفنا أن الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- لا يرضى أن يتوسل أحدٌ في دعائه بأحد من مخلوقاته، فكيف نصدِّق قول من قال: إن الإمام الشافعي كان يتوسل به؟!

فهل من معقول أن يعرف الشافعي -رحمه الله- رأيَ أبي حنيفة -رحمه الله- في التوسل بالمخلوقين، بأنه التحريم، ثم يتوسل به؟! وبعد مماته!! ولم يكن به هو، بل بقبره؟!!

وهل كان الإمام الشافعي -رحمه الله- يفعل ما كان يُغضب الإمام أبا حنيفة -رحمه الله- ؟!! حاشاه من ذلك ،وهو بريئ من ذلك الفعل براءة الذئب من دم يوسف.

وقد قال الشافعي -رحمه الله-: «وأكره أن يبنى على القبر مسجد، وأن يسوى، أو يصلى عليه، وهو غير مسوى، أو يصلى إليه... **قال:** وأكره هذا للسنة والآثار، وأنه كُرِه -والله تعالى أعلم- أن يُعَظَّم أحد من المسلمين يعني: يتخذ قبره مسجدا، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعدُ، فَكرِه»(٢).

فالإمام الشافعي -رحمه الله- يخاف على الناس من الفتنة بالمقبور، ثم هل هو بنفسه يفعل ذلك؟ ويُعرض الناس للوقوع في الفتنة؟ ويجعل قبر الإمام أبي حنيفة مسجدا ويصلي عنده؟ ويتوسل به؟ ويتبرك به؟ كما زعم هؤلاء الناس؟!.

واشتهر في المذهب الشافعي كراهية قصد الدعاء عند القبور فضلا عن الصلاة عندها، وفضلا أن يتوسل بها أحد، ومن الأمثلة لذلك قول **السيوطي الشافعي** -رحمه الله-: «فأما قصد الإنسان الصلاة عندها[أي عند القبور] أو الدعاء لنفسه في مهماته، وحوائجه، متبركا به، راجيا الإجابة عندها؛ فهذا عين المحادّة لله ولرسوله، ومن المخالفة لدينه وشرعه، وابتداع دين لم يأذن به الله ولا رسوله، ولا أئمة المسلمين المتبعين آثاره وسننه؛ فإن قصد القبور للدعاء عندها رجاء الإجابة منهي عنه، وهو إلى التحريم أقرب

---

(١) بدائع الصنائع للكاساني كتاب الاستحسان، ما يكره من الدعاء ٥٠٤/٦ وينظر كذلك: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص: ٢٩٧.

(٢) الأم للشافعي كتاب الجنائز باب ما يكون بعد الدفن ٤٦٥/٢.

والصحابة ﷺ قد أجدبوا مرّات ودهتهم نوائب بعد موته ﷺ فهلا جاءوا فاستسقوا، أو استغاثوا عند قبره ﷺ؟؟ وهو أكرم الخلق على الله ﷻ بل خرج فيهم عمر بن الخطاب بالعباس عم النبي ﷺ إلى المصلّى فاستسقى به، و لم يستسقوا عند قبر النبي ﷺ» (١).

ولذا قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: «والحكاية المنقولة عن الشافعي: أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر» (٢).

وبهذه النقولات تبيّن أن نسبة إتيان الإمام الشافعي -رحمه الله- إلى قبر الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- والتوسل به أو الدعاء عنده، كذب وافتراء لا حقيقة لها.

كذلك قصة الإمام مالك مع المنصور لا تثبت ولا أصل لها لأمور منها:

أولا: القصة ذكرها القاضي عياض(٣) المالكي -رحمه الله- ورجال سندها مجهولون(٤) غير يعقوب بن إسحاق(٥) وشيخه محمد بن حُميد الذي يروي هذه القصة عن

---

(١) الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص: ١٣٩.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢١٨/١.

(٣) **عياض:** هو عياض بن موسى بن عياض بن عمر اليحصبي البستي القاضي ولد عام ٤٧٦هـ وكان إماما في الحديث والنحو واللغة، له مصنفات جيدة كمشارق الأنوار، وشرح صحيح مسلم، والشفاء. ينظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان٤٨٣/٣(٥١١)، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٠٤/٤(١٠٨٣)، والأعلام للزركلي٩٩/٥.

(٤) قال القاضي عياض -رحمه الله-: حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري، وأبو القاسم أحمد بن بقيّ الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه، قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دِلْهاث، قال حدثنا عبد الله بن المنتاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق...الخ.يُنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٤٠/٢-٤١.

(٥) **يعقوب:** هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن كامجر المعروف والده بأبي إسرائيل المروزي البغدادي من مشايخ الطبراني، لم يُذكر له تاريخ الميلاد ولا الوفاة، قال الدارقطني: لا بأس به، تاريخ بغداد للخطيب٢١٩/١٤ ذكر من اسمه يعقوب.

الإمام مالك، وابن حُميد هذا غير متعين، قد ظن السبكي[1] -رحمه الله-: أنه المعمري[2] حيث قال: «أظن أنه: أبو سفيان محمد بن حُميد المعمري»[3].وجزم شيخ الإسلام، وابن عبد الهادي -رحمهما الله- أنه محمد بن حُميد الرازي[4]، وهو ضعيف[5]، وروايته عن الإمام مالك منقطعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «هذه الحكاية منقطعة، فإن محمد بن حُميد الرازي لم يدرك مالكاً، لا سيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة١٥٨هـ، وتوفي مالك سنة ١٧٩هـ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة٢٤٨هـ، و لم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث...وفى الإسناد أيضا من لا تعرف حاله، وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه»[6].

وقال ابن عبد الهادي -رحمه الله-: «إسنادها مظلم منقطع، وهو مشتمل على من يتهم بالكذب، وعلى من يجهل حاله، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف

---

(١) **السبكي**: هو أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف السبكي الشافعي ولد سنة ٦٨٣هـ وتوفي ٧٥٦هـ.مؤلف كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام الذي ردّ عليه ابن عبد الهادي -رحمه الله- بكتابه: الصارم المنكي في الرد على السبكي.ينظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ٦٣/٣ رقم ١٤٨.

(٢) محمد بن حُميد اليشكري أبو سفيان المعمري البصري، ثقة، مات ١٨٢هـ.يُنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ١١١/٩ برقم ٦٠٨٢، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٨٣٩ برقم (٥٨٧٢).

(٣) شفاء السقام للسبكي ص: ١٣٠ الفصل الثاني في تتبع كلماته.

(٤) محمد بن حُميد بن حيان التميمي الرازي حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه، مات سنة ٢٤٨هـ.تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠٨/٩ برقم (٦٠٨١)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٨٣٩ برقم (٥٨٧١).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢٨/١، والصارم المنكي لابن عبد الهادي ص:٢٦٠.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢٨/١.

كثير المناكير غير محتج بروايته، لم يسمع من مالك شيئا و لم يلقه، بل روايته عنه منقطعة غير متصلة، وقد ظن المعترض[1] أنه أبو سفيان محمد بن حميد المعمري أحد الثقات المخرج لهم في صحيح مسلم، قال: فإن الخطيب ذكره في الرواة عن مالك، وقد أخطأ فيما ظنه خطأ فاحشا، ووهِم وهما قبيحا؛ فإن محمد بن حميد المعمري رجل متقدم لم يدركه يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل راوي الحكاية عن ابن حميد، بل بينهما مفازة بعيدة، ...وقد تُكُلِّم في محمد بن حميد الرازي -وهو الذي رُوِيَت عنه هذه الحكاية- من غير واحد من الأئمة، ونسبه بعضهم إلى الكذب»[2].

وسند القصة منقطع سواء أكان ابن حُميد هذا، هو الرازي أم كان هو المعمري؛ **لأنه إن كان** هو المعمري البصري، كما ظنه السبكي -رحمه الله- فالسند منقطع؛ لأنه توفي سنة١٨٢هـ[3] قبل أن يولد يعقوب بن إسحاق بن أبي إسزائيل كما قال ابن عبد الهادي -رحمه الله- فكيف يروي يعقوب عن ابن حُميد وهو لم يولد بعد؟!.

وإن كان ابن حُميد هو الرازي فرواية يعقوب بن إسحاق عنه ممكنة، لكن الرازي هذا ضعيف تكلم فيه كثير من العلماء. كما مرّ جملة من أقوالهم.

ثانيا: يدل على عدم صحة القصة ما هو مدون في مذهب الإمام مالك من استقبال القبلة عند الدعاء[4]، فابن حُميد هذا ولو صحت روايته هذه عن مالك فهي مخالفة لما

---

(١) يقصد بالمعترض السبكي صاحب شفاء السقام.

(٢) الصارم المنكي لابن عبد الهادي ص: ٢٦٠.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ١١١/٩ برقم ٦٠٨٢، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٨٣٩ برقم (٥٨٧٢).

(٤) **قال ابن عبد الهادي** -رحمه الله- «لا يختلف مذهبه أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء، وقد نص على أنه لا يقف عند الدعاء مطلقا، وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنو من القبر ويسلّم على النبي ﷺ ثمّ يدعو مستقبل القبلة، ويوليه ظهره، وقيل لا يوليه ظهره، فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء» . الصارم المنكي لابن عبد الهادي ص: ٢٦٤.

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: «قال مالك في **المبسوط**: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء، وقال فيه أيضا: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له، ولأبي بكر وعمر، فقيل له: إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه، يفعلون ذلك في =

يرويه الثقات من تلاميذ مالك- كما أشار إليه شيخ الإسلام[1]، ومعلوم أن رواية الثقة تترك إذا خالفت رواية الثقات، فما بالك بمن ضعفه أكثر علماء الحديث.

ثالثا: ولو سلمنا صحة القصة، وثبوتها عن الإمام مالك -رحمه الله- فليس فيها ما يدل على التوسل البدعي، بل فيها إشارة إلى الشفاعة العظمى التي يقوم بها النبي ﷺ يوم القيامة عندما يشتد على الناس هول الموقف، كما صرح الإمام مالك بها بقوله: **هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم** عليه السلام **إلى الله يوم القيامة**، وقد تقدم تفصيل هذه الشفاعة.

هذا جملة من الردود السنية[2] على أشهر وأقوى الشبه البدعية التي استدل بها بعض الناس في طلب الشفاعة المنهية، والتوسلات الشركية والبدعية، وقد رأينا أنها لا تساوي شيئا أمام الأدلة الشرعية، فتنقضها نقضا، وتنسفها نسفا.

=

اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعو ساعة فقال لم يلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع **ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك:** ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده...».يُنظر: الشفا للعياض ٢/٨٨.

ونقل القاضي عياض-رحمه الله- أيضا : قال مالك في المبسوط: «لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو، بل يسلم ويمضي» ونقل - رحمه الله- رواية ابن وهب عن مالك أيضا: «إذا سلّم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلّم ولا يمس القبر بيده » .يُنظر: الشفا للعياض ٢/ ٨٦.

(١) تقدم النقل عن مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٢٨، وينظر:اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية٢/ ٢٨٧.

(٢) هذه جملة قليلة من الردود القوية على أدلة المخالفين في باب الشفاعة والتوسل، وللمزيد من الردود على شبههم يراجع: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص: ٨٣ وما بعدها، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/ ٢٨٥ وما بعدها، والصارم المنكي لابن عبد الهادي ص:٧٦ وما بعدها، وصيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان ص: ٣٠ وما بعدها، وفتح المنان نقض شبه الضال دحلان لزيد بن محمد آل السلمان ص:٦٥ وما بعدها، ومنهاج التأسيس والتقديس لعبد اللطيف آل الشيخ ص: ٩٥ وما بعدها، وفتح المنان تتمة منهاج التأسيس ورد صلح الإخوان لمحمود الألوسي ص:٣٣٥ وما بعدها، غاية الأماني لمحمود الألوسي٢/ ٣٥٠ وما بعدها، جلاء العينين لنعمان الألوسي ص:٤٩٥وما بعدها، والبصائر للمتوسلين بأهل المقابر لمحمد طاهر الفنجفيري ص:١١٢ وما بعدها، التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص:٥٥ وما بعدها، التوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي ص: ٢٠٠ وما بعدها، وجهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ٣/ ١٤٧٠ وما بعدها.

الفصل الخامس

الانحرافات المتعلقة بالحلف، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الحلف، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالحلف.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى الحلف، وأنواعه.

كثير من الناس يؤكدون كلامهم بالحلف، بما يكون معظماً عندهم، فيجب أن يكون حلفهم بما يجوز الحلف به شرعا، وأما الحلف بغير الله فهو منهي عنه شرعا، ولكن ما هو الحلف؟ وما هي أقسامه، سيكون بيان هذين الأمرين في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الحلف لغة

أصل الكلمة: الحاء، واللام والفاء أصل واحد يدل على الملازمة[1].

تصريف الكلمة: حَلَفَ يَحْلِفُ حَلْفاً، وحِلْفاً، وحَلِفاً، ومَحْلُوفَةً، ومَحْلُوفاً.هذا من المصادر التي جاءت على وزن مفعول[2].

معنى الكلمة: يأتي الحلف، واليمين، والقَسَم بمعنى واحد[3]، قال النبي ﷺ: «والله **لا أحلف على يمين**؛ فأرى غيرَها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللْتُها»[4] فأكّد ﷺ الحلف باليمين، وخالف بين اللفظين فدل على أنهما بمعنى واحد، كما أُكِّدَ القسم بالأيمان في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾[5] قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره: «حلفوا واجتهدوا في الأيمان»[6].

---

(١) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٢٨٠.

(٢) يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٥٥٤/٢، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص: ٧٣٩، تاج العروس للزبيدي ١٤٦/١٢.

(٣) يُنظر: دستور العلماء للنكري ٥٥/٢، بدائع الصنائع للكاساني ٥/٣ كتاب الأيمان.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأيمان والنذور باب لا تحلفوا بآبائكم ٦٤٦/١١ (ح٦٦٤٩)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الأيمان باب ندب من حلف يمينا ١١٥/١١ (ح٤٢٤١).

(٥) سورة المائدة (٥٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٠/٨.

والقَسَم بفتح القاف والسين: أصله من القَسَامَة، وهي الأيمان تُقَسَّم على أولياء المقتول إذا ادَّعَوْا دم مقتولهم على ناس اتهموهم به[1].

واليمين: هو اليد اليمنى، ويقال: القوة، وسمي الحلف يميناً؛ لأن المُتَحَالفَيْنِ كان أحدهما يصفق يمينه على يمين صاحبه[2] وفُسِّرَ اليمينُ في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾[3] بيده اليمين، وبالقوة، وبالحلف[4].

والحَلِفُ: ((يدل على الملازمة، يقال: حالف فلان فلانا، إذا لازمه...يقال: حَلَفَ، يَحْلِفُ، حَلِفا، [بمعنى القسم] وذلك أنَّ الإنسان يلزمه الثبات عليها)) [5].

المطلب الثاني: الحلف اصطلاحا

عرّف العلماء الكرام -رحمهم الله- الحلف بعدة تعريفات منها:

١- ((تحقيق الأمر أو توكيده بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته))[6].

٢- ((توكيد الحكم بذكر معظم على وجه مخصوص))[7].

يظهر من تعريفات العلماء أن الحلف يأتي به الرجل لتأكيد الكلام، وتقويته بما هو معظم عنده، والمعظم في الحقيقة هو الله ﷻ، فالواجب أن لا يؤكد الكلام إلا بذكر اسم الله ﷻ أو صفة من صفاته، وأما المخلوق فليس بمعظم إلى حدٍ يُحلف به، نعم ربما يُعَظَّم بعض المخلوقين تعظيما يناسبهم، ولكن لا يبلغ هذا التعظيم إلى حدٍ حتى يُحْلَف به.

ويكون الحلف بثلاثة أحرف: الباء، والواو، والتاء.

---

(١) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٨٨٧، المفردات للراغب ص: ٦٧٠.

(٢) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص:١١١١.

(٣) سورة الصافات (٩٣).

(٤) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٤/١٨، وروح المعاني للألوسي١٨٠/٢٣.

(٥) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٢٨٠.

(٦) يُنظر: روضة الطالبين للنووي ٣/١١، وذكر ابن حجر نحوه في فتح الباري له ٦٢٩/١١.

(٧) الإقناع للحجاوي ٣٢٩/٤.

«والباء أعمها لأنها تدخل على[الاسم] الظاهر، والمضمر، وعلى اسم الله وغيره، ويذكر معها فعل القسم ويحذف، فيذكر معها فعل القسم كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾(١)، ويحذف مثل قولك: بالله لأفعلنَّ، وتدخل على المضمر، مثل قولك: الله العظيم أحلف به لأفعلنَّ، وعلى الظاهر كما في الآية، وعلى غير لفظ الجلالة، مثل قولك: بالسميع لأفعلنَّ.**وأما الواو** فإنه لا يذكر معها فعل القسم، ولا تدخل على الضمير ويحلف بها مع كل اسم، **وأما التاء** فإنه لا يذكر معها فعل القسم وتختص بالله والربِّ»(٢).

المطلب الثالث: أنواع الحلف

تقدم أن اليمين والحلف والقسم تأتي بمعنى واحد، وفي هذا المطلب بيان لأنواع الأيمان، وهي باعتبار حكمه على ثلاثة أنواع: اليمين الغموس، واليمين المنعقدة، واليمين اللغو.

فاليمين الغموس: هو الحلف على أمر ماض يتعمد الكذب فيه.

والمنعقدة: هي الحلف على أمر في المستقبل(٣).

واليمين اللغو: ما لا يعقد الرجل قلبه عليه كقوله: لا والله وبلى والله. وقيل: هو الحلف على أمر ماض ظانا أنه كذا وهو خلافه(٤).

ويذكر البعض قسما آخر سموه بيمين الصبر وهو ما «يكون الرجل فيه متعمدا الكذب قاصدا لإذهاب مال مسلم، سميت بذلك لصبر صاحبه على الإقدام عليها، مع وجود الزواجر من قبله»(٥).ولكن هذا القسم يدخل في اليمين الغموس قال رسول الله ﷺ لّما قيل له: ما اليمين الغموس؟ قال: «**الذي يقتطع مال امرئ مسلمٍ، هو فيها كاذب**»(٦).

---

(١) سورة الأنعام (١٠٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين١٠/٧٩٧.

(٣) يُنظر: الهداية للمرغيناني كتاب الأيمان ٤/٣، والتعريفات للجرجاني ص: ٣١٧.

(٤) يُنظر: التعريفات للجرجاني ص: ٣١٧.

(٥) التعريفات للجرجاني ص: ٣١٧.

(٦) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب استتابة المرتدين باب إثم من أشرك بالله١٢/ ٣٣١(ح٦٩٢٠).

وفي رواية: «**من حلف على يمينِ صبرٍ، يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان**»(1).

وذكر البعض تقسيما آخر للأيمان وذلك باعتبار الحكم التكليفي، فقسمها إلى خمسة أنواع(2):

١- **اليمين الواجب**: وهو الحلف الذي تُنجي به إنسانا معصوما من هلكته، كما في حديث سويد بن حنظلة ﷺ (3) قال: خرجنا نريد رسول الله ﷺ ومعنا وائلُ بن حُجْرٍ(4) فأخذه عدُوٌّ له فتحرَّجَ القوم أن يَحلِفوا، وحلفتُ أنه أخي.فخَلَّى سبيله؛ فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرته أن القوم تحرَّجوا أن يحلفوا وحلفتُ أنه أخي قال: «**صدقت المسلم أخو المسلم**» (5).

قال موفق الدين ابن قدامة(6)-رحمه الله-: «فهذا واجب، لأن إنجاء المعصوم واجب، وقد تعين في اليمين؛ فيجب، وكذلك إنجاء نفسه» (7).

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم ٢/٣٣٩(ح٣٥٣).

(٢) المغني لابن قدامة ١٣/٤٤٠-٤٤٤.

(٣) **سويد بن حنظلة**: هو سويد بن حنظلة الجعفي أبو جدة إبراهيم بن عبد الأعلى له صحبة، يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٢/٦٧٦ برقم(١١١٥)، والإصابة لابن حجر ٣/١٨٦ برقم(٣٦١٠)، أسد الغابة لابن الأثير٢/٥٩٥ برقم(٣٤٥).

(٤) **وائل بن حُجْر**: هو وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي أبو هنيدة الصحابي الجليل.يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٥٦٢ برقم (٢٧٣٦)، والإصابة لابن حجر٦/٤٦٦ برقم(٩١٢٠).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأيمان باب المعاريض في الأيمان ص: ٥٨٦(ح٣٢٥٥)، وابن ماجه في سننه كتاب الكفارات باب من ورَّى في يمينه ص: ٣٦٦ (ح٢١١٩) والإمام أحمد في مسنده ٤/٧٩، وصححه الألباني.يُنظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ١/٢٠١ برقم (١٧٣٥).

(٦) ابن قدامة: هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي صاحب المغني، ولد سنة ٥٤١هـ وتوفي ٦٢٠هـ يُنظر: سير أعلام النبلاء٢٢/١٦٥ برقم (١١٢)، الوافي بالوفيات للصفدي ١٧/ ٣٧ برقم (٣٠)، وفوات الوفيات للكتبي ٢/١٥٨ برقم(٢١٤).

(٧) المغني لابن قدامة ١٣/٤٤١.

٢- **اليمين المندوب**: وهو الحلف الذي تتعلق به مصلحة كإصلاح بين الناس ونحو ذلك.

٣- **اليمين المباح**: وهو الحلف على شيءٍ مباحٌ فعله وتركه، والحلف على خبر شيء وهو صادق فيه ونحو ذلك.

٤- **اليمين المكروه**: وهو الحلف على فعل مكروه، أو ترك مندوب، كالحلف على عدم الإنفاق على الفقراء.

٥- **اليمين المحرم**: وهو الحلف الكاذب، والكذب حرام، فالحلف عليه أشد في التحريم، وهو يمينُ صبرٍ[1].

---

(١) يُنظر: المغني لابن قدامة ٤٤٤/١٣.(بتصرف)

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالحلف

يجب أن يكون الحلف باسم الله تعالى، أو صفة من صفاته، إذا احتاج الأمر إلى الحلف، لكن بعض الناس في إقليم سرحد من باكستان يحلفون بغير الله عز وجل، ويتمسكون بفتاوى بعض مشايخهم في جواز الحلف بغير الله كالحلف بالولي، أو القبور، أو المساجد، أو المشايخ ونحوها، وحتى وصل الأمر ببعضهم في تعظيم غير الله، أنه إذا طُلِب منه أن يحلف بالله عز وجل يكون مستعدا أن يحلف به -وإن كان كاذبا وغير محق فيما يدّعي- بينما لا يحلف بالولي، والمقبور إذا طُلب منه ذلك -ولو كان صادقا ومحقا في دعواه، ومنهم من يتجرأ على إقسام الله بالأولياء والمقبورين، بحجة أنهم أولياء الله ومعظمون عند الله تعالى، فالناس في مجال الحلف بغير الله على نوعين من الانحراف:

الانحراف الأول: الحلف بغير الله.

يغلو بعض من ينتسب إلى العلم في تعظيم الأولياء والمشايخ...بحيث يوصلهم ذلك إلى حدّ الفتوى بجواز الحلف بهم من دون الله عز وجل ويؤولون الأحاديث رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم لتقرير ذلك.

أورد أحدهم سؤالا: «ما حكم الحلف بغير الله عز وجل؟[ثم أجاب بقوله]: اختلف العلماء في الحلف بمن له حرمة كنبيٍّ، ووليٍّ ونحوهما، فقال بعضهم: مكروه، وقال الآخرون: حرام، والمشهور من مذهب الإمام أحمد بن حنبل جواز اليمين برسول الله، ولزوم الحنث بمخالفته؛ لأن ذلك أحد ركني الشهادة، ولم يقل أحد من العلماء: إن الحلف بغير الله تعالى كفر[1]، إلا إن قصد الحالف تعظيم المحلوف به كتعظيم الله، ولا

---

(١) سيأتي بيان خطأ هذه الدعوى في المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذا الانحراف.

يتعاطى ذلك أحد من أهل الإسلام، قالوا: وعلى ذلك حمل ما ورد في الخبر: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[1] اهـ[2].

ومن أجل تلك الفتاوى يتجرأ بعض الناس بالحلف بغير الله ﷻ من المعظمين كالملائكة والأنبياء، والأولياء، والكعبة والمساجد وغيرها، والذين يحلفون بغير الله ﷻ أكثرهم من الكهنة والعرافين، وذلك للاستعانة بالجن والشياطين في دعواهم علم الغيب، وزعمهم حل مشاكل مرتاديهم، فيحلفون بغير الله شفاهة، أو يكتبونها في التمائم كتابةً، **كقول بعضهم**: «أقسمت عليكم يا جبريل، (بحق اجهرط[3])، أقسمت عليكم يا دردائيل[3]، أقسمت عليكم يا ميكائيل (بحق اجهرط) أقسمت عليكم يا رفتمائيل[3]» اهـ[4].

وقال البوصيري: **أقسمت بالقمر المُنْشَقِّ إنَّ له *** من قَلْبِه نسْبَةً مبرورَةَ القسمِ**[5].

هذه نماذج من أقوال من ينتسب منهم إلى العلم الشرعي، أما عوامهم الذين لا معرفة له بالعلوم الشرعية -ولو كانوا أعلم الناس في غيرها- فحدث ولا حرج، فيحلفون بالآباء والأجداد، والمساجد والمحاريب، وشيخ الطريقة الذي يسمونه(**پير صيب**) وقد يبلغ بهم تعظيمهم إلى حد أنهم يحلفون برأسه أو لحيته، أو ردائه أو عمامته، أو نعله أو حذائه ونحو ذلك مما يعظمونه، ويغلون فيه.

الانحراف الثاني: الإقسام على الله بغيره ﷻ.

لقد انحرف بعض الناس في إقليم سرحد نوعا آخر من الانحراف في الحلف بغير الله حيث يتجرؤون بالإقسام على الله بالمخلوقات كقولهم: اللهم إني أقسمتُ عليك بفلان، أو

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الإيمان والنذور باب اليمين بغير الله ص: ٥٨٥ (ح٣٢٥١)، والترمذي في سننه كتاب النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحَلِف بغير الله ص: ٣٦٣(ح ١٥٣٥) وقال الترمذي هذا حديث حسن، وصححه الألباني.ينظر صحيح سنن الترمذي للألباني٢/١٧٥برقم(١٥٣٥).

(٢) ((اختلافي مسائل كاحل...)) لمحمد أشرف جشتي ص: ٧٤-٧٥.

(٣) لم أعرف مدلول هذه الكلمات الثلاث، و لم أدرِ هل يقصدون بها الملائكة أو الجن، والشياطين؟.

(٤) ((كمالات عزيزي)) لظهير الدين ولي اللهي (بالبشتو) ص: ١٣٩، و(بالأردية)ص: ١٢٨.

(٥) قصيدة البردة للبوصيري ضمن دلائل الخيرات ص: ٢٤٧.

أُقسم عليك بصاحب هذا القبر، ونحوها، ويسمون هذا العمل: «القسم على الله بالغير »[1]، ويقولون: هذا العمل جائز لا يؤدي إلى الحرام فضلا أن يؤدي إلى الشرك.

قال أحدهم في جواب سؤال: «ما قصد بعض الناس من الحلف بالقبور، أو بأصحابها؟[قال] اعلم أنهم لا يقصدون بذلك حقيقة الحلف الذي هو اليمين، وإنما ذلك من باب التوسل والتشفع إلى الله بمن له منزلة عنده والكرامة لديه، في حياتهم وبعد وفاتهم؛ لأن الله قد جعلهم أسبابا لقضاء حوائج عباده بشفاعتهم، ودعائهم، كأن يقول أحدهم: أقسمت عليك، أو أُقسم عليك بفلان، أو صاحب هذا القبر ونحو ذلك من الألفاظ التي لا تؤدي إلى الحرام، فضلا عن الكفر والشرك»[2].

وقال غيره: «أما القسم على الله بالغير من خلقه مثل: اللهم إني أقسم عليك أو أسألك بفلان إلا ما قضيت لي حاجتي) فعن ابن عبد السلام[3]جواز ذلك في النبي –عليه الصلاة والسلام– دون غيره لأن الغير ليس بدرجته »[4].

هذه بعض الانحرافات التي تتعلق بالحلف، ونسأل الله –سبحانه وتعالى- أن يجنبنا من زلة الأقدام والأقوال، وأن يحفظ لنا أَيْمانَنا وجميع إِيْمانِنا، إنه ولي ذلك، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٤٥، وتسهيل البصائر لكفاية الله الداجوي ص: ٨٤، و«اختلافي مسائل كاحل...» لمحمد أشرف جشتي ص: ٧٦.

(٢) «اختلافي مسائل كاحل...» لمحمد أشرف جشتي ص: ٧٦-٧٧.

(٣) **ابن عبد السلام:** هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن الشافعي، العلامة عز الدين أبو محمد ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسائة، وتوفي في مصر سنة ستين وستمائة. ينظر ترجمته في: فوات الوفيات للكتبي ٢/٣٥٠(٢٨٧) هدية العارفين للبغدادي١م٥٨٠، الأعلام للزركلي٣/٢١، ومعجم المؤلفين لكحالة ٢/١٦٢(٧٣٣٧).

(٤) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٤٥.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالحلف

تمهيد:

ورد النهي عن الحلف بغير الله في نصوص كثيرة منها: حديث ابن عمر –رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ: أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر ﷺ يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله، أو ليصمت**»(١)، وقوله ﷺ : «**من حلف بغير الله، فقد كفر، أو أشرك**»(٢).

وورد في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ قال في الذي جاءه وسأله عما يجب عليه، فذكر له الصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، والزكاة، فقال هل لِيّ غيرها؟ فقال النبي ﷺ: «**لا إلا أن تطوع**» فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله ﷺ: «**أفلح وأبيه إن صدق، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق**»(٣).

وفي حديث آخر جاء رجل إلى النبي ﷺ وسأله عن أحق الناس بحسن صحبته، فقال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**».قال: ثم من؟ قال: «**أمك**».قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**» وفي رواية، قال يعني النبي ﷺ: «**نعم وأبيك! لَتُنَبَّأَنَّ**»(٤).

وسئل النبي ﷺ أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «**أما وأبيك لتُنبأَنَّه، أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل البقاء...**»(٥).

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم١١/٦٤٦ (ح ٦٦٤٦)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتب الأيمان باب النهي عن الحَلف بغير الله ١١/١٠٨ (ح٤٢٣٣).

(٢) سنن الترمذي كتاب النذور، باب كراهية الحلف بغير الله ص: ٣٦٣(ح ١٥٣٥) وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي...١/١٢١(ح١٠١).

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين ١٦/٣١٨ (ح ٦٤٤٩).

(٥) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح ٧/١٢٥(٢٣٨٠).

فمن أجل ورود الأحاديث بالنهي عن الحلف بغير الله، وورود بعض الألفاظ عن النبي ﷺ التي تدل على أنه ﷺ حلف بغير الله، اختلفت مسالك العلماء في التوفيق بين هذه الأحاديث التي يتوهم تعارضها. فمن العلماء من جمع بين الروايات المختلفة، ومنهم من قال بنسخ الأحاديث التي فيها الحلف بغير الله، ومنهم من رجح روايات النهي عن الحلف بغير الله على الروايات التي ورد فيها ألفاظ الحلف بغير الله[(١)].

والذي يظهر -والله أعلم- أن أرجح هذه المسالك مسلك الترجيح، وذلك لأن الروايات التي وردت فيها ألفاظ الحلف بغير الله في صحيح مسلم كما تقدم آنفا، وقد وردت تلك الأحاديث في غير صحيح مسلم، وليس فيها ألفاظ الحلف بغير الله، فقد ورد حديث الرجل الذي سأل عما يجب عليه، في صحيح البخاري في عدة مواضع وليس في **موضع منها** الحلف بغير الله وإنما فيه «**أفلح إن صدق**»و«**أو دخل الجنة إن صدق**»[(٢)].

وأورده ابن عبد البر[(٣)] في الاستذكار بلفظ: «**أفلح والله إن صدق، أو دخل الجنة والله إن صدق**»[(٤)].

وذكر الإمام مسلم -نفسه- قبل إيراد الروايات التي فيها ألفاظ الحلف بغير الله، روايات بسند أقوى من هذا السند الذي فيه ألفاظ الحلف بغير الله وليس فيها ألفاظ

---

(١) يراجع لمعرفة هذه المسالك والقائلين بها، شروح كتب الأحاديث، وقد قام د.سليمان الدبيخي بجمع هذه الأقوال في كتابه أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين ص: ٢١٢-٢٣٨.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام١/١٤٢(ح ٤٦) وكتاب الصوم ٤/١٣٣(ح١٨٩١)، وكتاب الشهادات٥/٣٥٢ (ح٢٦٧٨)، كتاب الحيل ١٢/ ٤١٣ (ح ٦٩٥٦).

(٣) **ابن عبد البر**: هو شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، أمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، صاحب التصانيف الفائقة، منها التمهيد والاستذكار ولد سنة٣٦٨هـ وتوفي سنة٤٦٣هـ يُنظر ترجمته في:سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/١٥٣ برقم (٨٥)، ووفيات الأعيان لابن خلكان٧/٦٦برقم(٨٣٧).

(٤)الاستذكار لابن عبد البر كتاب صلاة الجماعة باب جامع الترغيب في الصلاة ٢/٣٧٠(ح٣٩٥).

الحلف، وقد قال -رحمه الله- في مقدمة كتابه: «أَنَّا نَعْمُدُ إلى جملة ما أسند من الأخبار عن رسول الله ﷺ، فنَقْسمها على ثلاثة أقسامٍ وثلاث طبقات من الناس:...

فأما القسم الأول: فإنَّا نتوخَّى أن نُقَدِّم الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها، وأنقى من أن يكون ناقلوها أهل استقامةٍ في الحديث، وإتقان لِما نَقَلوا، لم يوجد في روايتهم اختلافٌ شديدٌ، ولا تخليطٌ فاحشٌ، كما قد عثر على كثير من المحدِّثينَ، وبان ذلك في حديثهم، فإذا نحن تَقَصَّيْنَا أخبار هذا الصنف من الناس، **أتبعناها أخباراً يقع في أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان، كالصِّنف المتقدم قبلهم** على أنهم، وإن كانوا فيما وصفنا دونهم، فإن اسم السِّتْرِ والصدق وتعاطي العِلْمِ يشملهم...

فأما ما كان منها عند قوم هم عند أهل الحديث متهمون أو عندهم الأكثر منهم، فلسنا نتشاغل بتخريج حديثهم...»[(1)].

فعلى هذا الكلام للإمام مسلم -رحمه الله- نستطيع أن نقول: إن الأحاديث التي فيها ألفاظ الحلف بغير الله، كلها من الذين وَصَفهم الإمام مسلم بالطبقة الثانية، لأن الأحاديث الثلاثة التي ورد فيها ألفاظ الحلف بغير الله كلها جاء بها الإمام مسلم -رحمه الله- بعد الأحاديث التي ليس فيها ألفاظ الحلف بغير الله، فتكون الأحاديث التي ليس فيها ألفاظ الحلف بغير الله **هي أسلم من العيوب من غيرها وأنقى كما قال الإمام مسلم -رحمه الله-** والأحاديث التي فيها ألفاظ الحلف بغير الله هي **من الأخبار التي أتبعها الإمام مسلم بالأحاديث التي ليس فيها ألفاظ الحلف بغير الله، لأن في أسانيدها بعض من ليس موصوفا بالحفظ والإتقان، كالصِّنف المتقدم قبلهم** فالأحاديث التي ليس فيها ألفاظ الحلف بغير الله أقوى من الأخبار التي فيها ذلك، فتترجح الأحاديث التي ورد فيها النهي عن الحلف بغير الله على غيرها.

قال: ابن عبد البر-رحمه الله-: «**أفلح والله إن صدق، أو دخل الجنة والله إن صدق**» هذا أولى من رواية من روَى «**وأبيه**» لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح»[(2)].

(١) يُنظر: مقدمة صحيح مسلم مع شرحه للنووي ١/٩-١٦.
(٢) التمهيد لابن عبد البر١٤/٣٦٧.

فترجيح روايات النهي عن الحلف بغير الله على الروايات التي فيها ألفاظ جواز القسم بغير الله مذهب كثير من العلماء الأجلاء، وأن الأحاديث التي فيها ألفاظ الحلف بغير الله، ليست بدرجة الأحاديث التي فيها النهي.

قال الموفق ابن قدامة -رحمه الله-: «ثم لو ثبت[أي حديث أفلح وأبيه إن صدق] فالظاهر أن النهي بعده، لأن عمر ﷺ كان يحلف بها كما حلف بها النبي ﷺ، ثُمّ نُهِيَ عن الحلف بها، ولم يرد بعد النهي إباحةٌ، ولذلك قال عمر ﷺ وهو يروي الحديث بعد موت النبي ﷺ: «**فما حلفت بها ذاكراً ولا آثراً**»[(١)]، أي: «مبتدئا من نفسي، ولا رويت عن أحد أنه حلف بها»[(٢)].فلا يجوز الحلف بغير الله ﷻ وقال القرطبي -رحمه الله-: «والظاهر النهي للتحريم، ولا ينبغي أن يختلف في تحريمه»[(٣)]وبهذا العرض الموجز يتضح موقف الإسلام من الحلف بغير الله إجمالا وأما التفصيل فنقول وبالله التوفيق.

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو الحلف بغير الله.

إن الحلف بغير الله أمر محرم، وقد ورد عن النبي ﷺ «**من كان حالفا فليحلف بالله، أو ليصمت**»[(٤)]، وقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله، فقد كفر، أو أشرك**»[(٥)].ولو كان المراد بالكفر كفرا غير مخرج من الملة، وكذا المراد بالشرك الشرك الأصغر؛ إلا أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر، وقد نص كثير من العلماء على تحريم الحلف بغير الله، وهو أكبر الكبائر، ومن النصوص ما يلي:

قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا بلى يا رسول الله! قال ثلاثا: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» -وكان متكئا فجلس- فقال: «**ألا وقول الزور،**

---

(١) المغني لموفق الدين ابن قدامة ١٣/٤٣٨، والأثر في صحيح البخاري يُنظر: صحيح البخاري مع الفتح لابن حجر، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم١١/٦٤٦ (ح ٦٦٤٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/٣٧.

(٣) المفهم للقرطبي ٤/٦٢١.

(٤) تقدم تخريجه في بداية المبحث الثالث من هذا الفصل ص: ٥٦٤.

(٥) تقدم تخريجه في ص: ٥٦٤.

وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور» [١].فالنبي ﷺ جعل الشرك بأنواعه من أكبر الكبائر، كعقوق الوالدين، وقول الزور، وشهادته الزور.

ويدل قول ابن مسعود الآتي كذلك على أن الحلف بغير الله أكبر الكبائر، وأنه أعظم ذنبا من الكذب، ومن المتفق عليه أن الكذب من أكبر الكبائر، كما تقدم آنفا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**لأن أحلف بالله كاذبا، أحب إليّ من أحلف بغيره وأنا صادق**»[٢] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح كلامه هذا: «وذلك لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب»[٣].وإن كان الكذب من الكبائر، لكن الشرك ولو كان شركا أصغر؛ فهو أكبر الكبائر «لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك»[٤].

وقال شمس الأئمة السرخسي[٥] -رحمه الله- في عقب كلام ابن مسعود رضي الله عنه: «ومراده بهذا، المبالغة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى...فالحلف بغير الله منهي عنه سواء كان كاذبا أو صادقا، وليس المراد الرخصة في الحلف بالله كاذبا، فإن الكذب حرام من غير أن

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر ٤٩٧/١٠ (ح٥٩٧٦)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب الكبائر وأكبرها ٢٦٨/٢ (ح٢٥٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٨٣/٩(ح٨٩٠٢) وعبد الرزاق في مصنفه باب الأيمان ولا يحلف إلا بالله ٤٦٩/٨(ح١٥٩٢٩)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح يُنظر: مجمع الزوائد للهيثمي٤/ ١٧٧، وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.ينظر: إرواء الغليل ١٩١/٨ (ح٢٥٦٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٠٤.

(٤) الفروع لابن مفلح فصل الحلف بغير الله١٠/ ٤٣٧ وتيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ٤٧٧.

(٥) **السرخسي**: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر السرخسي (شمس الأئمة) الفقيه الأصولي الحنفي، من طبقة المجتهدين في المسائل، توفي ٤٩٠هـ يُنظر: الفوائد البهية لعبد الحي اللكنوي ص: ١٥٨، ومعجم المؤلفين لكحالة ٥٢/٣ برقم (١١٦٢٩).

يؤكده باليمين، فكيف يرخص فيه مع التأكيد باليمين، وقد أوّله بعضهم على أن الحالف بالله -تعالى- وإن كان كاذبا في خبره، فهو معظم اسم الله -تعالى- في حلفه» (١).

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ -رحمه الله-: وأجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره، قال ابن عبد البر: **لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع**(٢) ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين: إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه، فإن هذا قول باطل، وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك، بل ذلك محرم، ولهذا اختار ابن مسعود ﷺ أن يحلف بالله كاذبا ولا يحلف بغيره صادقا، فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل؛ فدل ذلك أن **الحلف بغير الله من أكبر المحرمات**»(٣).

وأما قول المخالف: «**والمشهور من مذهب الإمام أحمد بن حنبل جواز اليمين برسول الله، ولزوم الحنث بمخالفته**» كما تقدم قوله في بيان الانحرافات، فهذا تحميل القول ما لا يحتمله؛ لأن مذهب الإمام أحمد ليس هو جواز الحلف بغير الله، بل مذهبه -كغيره من الأئمة- عدم جواز ذلك كما هو مصرح به في كتب المذهب المعتبرة، ومن ذلك:

قال علي بن البهاء الحنبلي(٤) : «والحلف بغير الله محرم، ولا تجب به الكفارة سواء أضافه إلى الله كقوله: وخلق الله، ومعلومه، وكتبه، أو لم يضفه، مثل: والكعبة، والنبي ﷺ»(٥).

---

(١) المبسوط للسرخسي كتاب الحيل ٢٣٦/٣٠.

(٢) ينظر التمهيد لابن عبد البر ٣٦٦/١٤، ونقل عنه هذا الإجماع موفق الدين ابن قدامة في المغني٤٣٦/١٣، وأبو الفرج ابن قدامة في الشرح الكبير ٤٦٢/٢٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد لسيمان آل الشيخ ص: ٤٧٤.

(٤) **علي البهاء**: هو علاء الدين علي بن البهاء محمد بن عبد الحميد بن إبراهيم البغدادي الدمشقي الصالحي الفقيه الحنبلي، ولد سنة٨٢٢هـ وتوفي سنة ٩٠٠هـ من آثاره فتح الملك العزيز شرح الوجيز في الفقه الحنبلي. ينظر ترجمته في شذارات الذهب لابن العماد ٥٥٠/٩، والضوء اللامع للسخاوي٢٠٨/٥، مقدمة كتابه فتح الملك العزيز بقلم عبد الملك بن دهيش ٢٥/١ وما بعدها.

(٥) فتح الملك العزيز بشرح الوجيز لعلي بن البهاء الحنبلي ٥٥٩/٥.

وقال أبو الفرج ابن قدامة الحنبلي -رحمه الله- بعد أن استدل بعدة أحاديث على أن الحلف بغير الله محرّم قال: «لأن من حلف بغير الله فقد عظّم غيره تعظيما يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى، ولهذا سمي شركا، لكونه أشرك غير الله مع الله في تعظيمه بالقسم به؛ فعلى هذا يستغفر الله، إذا أقسم بغير الله»[1].

وقال المرداوي الحنبلي -رحمه الله- «ويحتمل أن يكون محرماً.**وهو المذهب** جزم به في الوجيزِ[2]والمُنَوِّرِ[3]وغيرهما، وقدمه في المُحَرَّرِ[4]، ...والفُروعِ[5]، وغيرهم ونصره المصنف[6]، والشارح...»[7].

وبهذا يتضح أنه ليس المشهور من مذهب الإمام أحمد جواز الحلف بالنبي ﷺ، وغاية ما في الأمر روايتان: **رواية الكراهة، ورواية التحريم**، والظاهر أن الأرجح هي رواية التحريم كما تقدم.

وما نَقَلَتْهُ بعض الكتب من جواز الحلف بغير الله، فقد نَقَلَتْ قولا في المذهب[8]، لا المشهور في المذهب.

وما روي عن بعض أئمة المذهب من وجوب الكفارة على من حنث إذا حلف برسول الله، لا يلزم منه جواز الحلف برسول الله.

وأما قول المخالف: «**إن مذهب الإمام أحمد لزوم الحنث بمخالفة الحلف برسول الله**» كما تقدم في بيان الانحرافات، فغير صحيح على إطلاقه؛ لأن مذهب الإمام أحمد -

---

(١) شرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة ٢٧/٤٦٤.

(٢) الوجيز في الفقه للدُّجيلي ص: ٥١٠.

(٣) المنور في راجح المحرر للأدمي ص: ٤٥٣.

(٤) المحرر في الفقه لمجد ابن تيمية٢/ ١٩٧.

(٥) الفروع لابن مفلح ١٠/٤٣٧.

(٦) يقصد بالمصنف: موفق الدين ابن قدامة مصنف المقنع.يُنظر: المقنع ٢٧/٤٦٥.

(٧) يقصد بالشارح: شارح المقنع وهو أبو الفرج ابن قدامة يُنظر: الشرح الكبير ٢٧/٤٦٢.

(٨) أشار المرداوي -رحمه الله- إلى هذا في الإنصاف ٢٧/٤٦٣.

رحمه الله- ليس هذا، وهو -رحمه الله- لا يقول بجواز الحلف بغير الله كما تقدم في التفصيل في أقوال كبار علماء مذهبه، فكيف يقول بالحنث بما هو ليس حلفا عنده، وإنما هي رواية منسوبة إلى الإمام أحمد -رحمه الله-، وهي من مفردات المذهب، ولذلك يَرويها فقهاء المذهب بصيغة التمريض مثل: يُرْوى، أو رُوِيَ ونحوهما.

قال المرداوي -رحمه الله-: «ورُوِيَ عن الإمام أحمد مثله[أي: وجوب الكفارة بالحلف برسول الله] وهو من مفردات المذهب»[1].

وقال أبو الفرج ابن قدامة -رحمه الله-: «ورُوِيَ عن أحمد أنه قال: إذا حلف بحق رسول الله ﷺ فحنث؛ فعليه الكفارة؛ لأنه أحد شرطي الشهادة، فالحلف به موجب للكفارة كالحلف بالله تعالى.والأول أولى[أي: القول بعدم وجوب الكفارة بالحنث في الحلف به] لقول النبي ﷺ: "**من كان حالفا، فليحلف بالله، أو ليصمت**[2]".ولأنه حلف بغير الله تعالى، فلم يوجب الكفارة بالحنث فيه، كسائر الأنبياء، ولأنه مخلوق فلم تجب الكفارة بالحلف به، كالحلف بإبراهيم عليه السلام، ولأنه ليس بمنصوص عليه، ولا هو في معنى المنصوص، ولا يصح قياس اسم غير الله على اسمه؛ لعدم الشَّبَه، وانتفاء المماثلة[أي: بين الله و نبيه][3].

وقال علي بن البهاء الحنبلي: «والحلف بغير الله محرم، ولا تجب به الكفارة سواء أضافه إلى الله كقوله: وخلق الله، ومعلومه، وكتبه، أو لم يضفه، مثل: والكعبة، والنبي ﷺ»[4].

وبعد هذه النقولات من كبار علماء المذهب الحنبلي يتبيّن عدم جواز الحلف بالنبي ﷺ، ومن قال: إن المشهور من مذهب أحمد بن حنبل -رحمه الله- فقد أخطأ، كما تبين أن نسبة وجوب الكفارة عند أحمد على من حنث في الحلف بالرسول نسبة ضعيفة، والصحيح عدم وجوبها كما صرح به ابن البهاء الحنبلي.

---

(١) الإنصاف للمرداوي ٢٧/٤٦٦.

(٢) تقدم تخريجه في بداية المبحث الثالث من هذا الفصل ص: ٥٦٤.

(٣) الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة ٢٧/ ٤٦٦-٤٦٧.

(٤) فتح الملك العزيز بشرح الوجيز لعلي بن البهاء الحنبلي ٥/٥٥٩.

وأما قول المخالف: «**لم يقل أحد من العلماء: إن الحلف بغير الله تعالى كفر**» كما تقدم في بيان الانحرافات، فغير صحيح؛ لأن النبي ﷺ قال: «**من حلف بغير الله، فقد كفر، أو أشرك**»(١). فقد أطلق ﷺ لفظ الشرك والكفر على من حلف بغير الله، وإن كان المراد بالكفر كفراً دون كفر، أو بعبارة أخرى الكفر الذي لا يخرج صاحبه من ملة الإسلام، ولذلك وإن لم يكن الحلف بغير الله من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة، **فهو كفر دون كفر**، إلا إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو أكثر.

وأما قول المخالف: **إن الحلف بغير الله مع تعظيم المحلوف به كتعظيم الله لا يتعاطى ذلك أحد من أهل الإسلام**... فهذا الكلام يبطله الواقع حيث يوجد أناس يعظمون غير الله أكثر من تعظيمهم لله ﷻ، ويحلفون بالله ولو كان على الباطل، ويتحرَّجون من الحلف بذلك الغير ولو كان محقا، فإذا طُلب من أحدهم اليمين بالله حلف بالله أيمانا مغلظة كاذبا كان أو صادقا، فإذا طُلِبَ منه اليمين بشيخ الطريقة أو المرشد أو المقبرة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبا، وما ذاك إلا لأنّ المشايخ، والمقبورين في التراب أعظم عنده من الله ﷻ.

قال المناوي -رحمه الله- في شرح حديث «**من حلف بغير الله، فقد كفر، أو أشرك**»(٢): «فَعَل فِعْل أهل الشرك، أو تشبه بهم، إذ كانت أيمانُهم بآبائهم وما يعبدون من دون الله، أو فقد أشرك في تعظيم من لم يكن [له] أن يعظِّمَه؛ لأن الأيمان لا تصلح إلا بالله؛ فالحالف بغيره معظِّم غيرَه مما ليس له؛ فهو يشرك غير الله في تعظيمه»(٣).

والحلف بغير الله يكون شركا أكبر إذا كان مع تعظيم المحلوف به والخوف منه، أكثر من التعظيم والخوف الذي يستحقهما الله وحده، لأن مساواة غير الله بالله فيما يستحقه الله شرك أكبر فما بالك بمن يخاف من غير الله أكثر من خوفه من الله ﷻ، أو يعظّمه أكثر من تعظيمه لله، وإذا لم يكن كذلك فهو من الشرك الأصغر الذي لا يخرج

---

(١) تقدم تخريجه في ص:٥٦٤.

(٢) تقدم تخريجه في ص: ٥٦٤.

(٣) فيض القدير للمناوي ١٥٥/٦(٨٦٤٢). وبمثله قال على القاري ونقله عنه عظيم أبادي في عون المعبود ٥٧/٩ عند شرحه لحديث رقم (٣٢٤٩).

صاحبه من ملة الإسلام لكن مع ذلك هو أكبر من كثير من الكبائر، وبهذين الاعتبارين يفسر الحديث: «**من حلف بغير الله، فقد كفر، أو أشرك**»[1].

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الإقسام على الله بغيره.

لقد فصل العلماء -رحمهم الله تعالى- في هذا الموضوع تفصيلا يشفي العليل ويروي الغليل، وصرحوا بعدم جواز الإقسام على الله بالغير، ومن هؤلاء العلماء الذين صرحوا بعدم جواز الإقسام على الله بغيره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: «الإقسام على الله ﷻ بالأنبياء والصالحين، أو السؤال بأنفسهم، فإنه لا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي ﷺ شيئا ثابتا لا في الإقسام أو السؤال به، ولا في الإقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين، وإن كان في العلماء من سوغه[2] فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنه نهى عنه، فتكون مسألة نزاع، فيُرد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، ويبدى كل واحد حجته كما في سائر مسائل النزاع، ...وأصل هذا الباب أن يقال: الإقسام على الله بشيء من المخلوقات، أو سؤاله به، إما أن يكون مأمورا به -إيجابا أو استحبابا- أو منهيا عنه -نهي تحريم أو كراهة- أو مباحا -لا مأمورا به ولا منهيا عنه-.

وإذا قيل: إن ذلك **مأمور به أو مباح**، فإما أن يفرق بين مخلوق ومخلوق، أو يقال: بل يشرع بالمخلوقات المعظمة، أو ببعضها، فمن قال: إن هذا مأمور به أو مباح في المخلوقات جميعها، لزم أن يسأل الله تعالى بشياطين الإنس والجن فهذا لا يقوله مسلم.

فإن قال: بل يسأل بالمخلوقات المعظمة كالمخلوقات التي أَقْسم بها في كتابه، لزم من هذا أن يسأل [ويقسم] بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى والشمس...وسائر ما أقسم الله به في كتابه.

فإن الله يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لأنها آياته ومخلوقاته فهي دليل على ربوبيته وألوهيته، ووحدانيته، وعلمه، وقدرته، ومشيئته، ورحمته، وحكمته، وعظمته، وعزّته، فهو سبحانه يقسم بها؛ لأن إقسامه بها تعظيم له سبحانه.**ونحن** المخلوقون ليس لنا أن

(١) تقدم تخريجه في ص:٥٦٤.

(٢) لعله يشير -رحمه الله- إلى قول منقول عن العز ابن عبد السلام -رحمه الله-.

نقسم بها، بالنص والإجماع، بل ذكر غير واحد الإجماع على أنه لا يقسم بشيء من المخلوقات[1]، وذكروا إجماع الصحابة على ذلك بل ذلك شرك منهي عنه...

وإن قال قائل: بل أنا أساله أو أقسم عليه بمعظم دون معظم من المخلوقات، إما الأنبياء دون غيرهم أو نبي دون غيره كما جوز بعضهم الحلف بذلك[2]أو بالأنبياء والصالحين دون غيرهم.**قيل له:** بعض المخلوقات وإن كان أفضل من بعض فكلها مشتركة في أنه لا يجعل شيء منها ندا لله تعالى فلا يُعبد، ولا يتوكل عليه، ولا يخشى، ولا يتقى، ولا يصام له ولا يسجد له ولا يرغب إليه ولا يقسم بمخلوق كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "**من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**"[3]وقال: "**لا تحلفوا إلا بالله**"[4] وفى السنن عنه أنه قال: "**من حلف بغير الله فقد أشرك**"[5]؛ فثبت أنه لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات، ولا فرق في ذلك بين الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم، ولا فرق بين نبيّ ونبي.

فسؤال الله تعالى بالمخلوقات، إن كان بما أقسم به وعظّمه من المخلوقات فيسوغ السؤال بذلك كله، وإن لم يكن سائغا لم يجز أن يسأل بشيء من ذلك، والتفريق في ذلك بين معظم ومعظم، كتفريق من فرق فزعم أنه يجوز الحلف ببعض المخلوقات دون بعض وكما أن هذا فرق باطل فكذلك الآخر»[6].

---

(١) كابن عبد البر، -رحمه الله- وغيره كما تقدم نقل الإجماع منهم.

(٢) يشير إلى ما نقل عن العز بن عبد السلام -رحمه الله-.

(٣) تقدم تخريجه في بداية المبحث الثالث من هذا الفصل ص: ٥٦٤.

(٤) أخرجه النسائي في سننه كتاب الإيمان والنذور باب الحَلِف بالأمهات ص: ٥٨٣ (ح٣٧٦٩) وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن النسائي للألباني٣/ ٨-٨ برقم (٣٧٧٨).

(٥) تقدم تخريجه في ص:٥٦٤.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/٢٨٥-٢٩٥.(بتصرف).

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- «وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك أو بحق فلان - يقسم على الله بأحد من مخلوقاته- فهذا محذور من وجهين:

أحدهما: أنه أقسم بغير الله.

والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقا.

ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه كقوله تعالى:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وكذلك ما ثبت في الصحيحين من قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه وهو رديفه: "**يا معاذ! أتدري ما حق الله على عباده؟**" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "**حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "**حقهم عليه أن لا يعذبه**"[2] فهذا حق وجب بكلماته التامة، ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم، وتركُ تعذيبِهم معنى لا يَصْلُحُ أن يُقسَم به...

والإقسام على الله بحق فلان، !!فذلك محذور أيضا؛ لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز فكيف على الخالق؟!(٣)وقد قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[4] ولهذا قال أبو

(١) سورة الروم (٤٧).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر في كتاب الجهاد والسير باب اسم الفرس والحمار ٧٢/٦ (ح٢٧٥٦)، وفي كتاب اللباس باب إرداف الرجل خلف الرجل ٤٨٨/١٠(ح٥٩٦٧)، وكتاب الاستئذان باب من أجاب بلبيك وسعديك ٧٣/١١(ح٦٢٦٧) وفي كتاب الرقاق باب من جاهد نفسه في طاعة الله ٤١٠/١١ (ح٦٥٠٠) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب الدليل على من مات على التوحيد ١٧٧/١(ح١٤٢) باختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) أي: لا يجوز إقسام على المخلوق بالمخلوق، فكيف يجوز الإقسام على الخالق بالمخلوق.

(٤) تقدم تخريجه في ص: ٥٦٤.

حنيفة وصاحباه ﷺ: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك»[1]هذا من جهة.

ومن جهة أخرى يقال:لا يجوز الإقسام على الخالق بغيره؛ لأن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وأن يكون أعظم من المحلوف عليه، وفي الإقسام على الله بالمخلوق رفع للمخلوق فوق منزلة الخالق ﷻ، ومعلوم أن مساواة المخلوق بالخالق شرك، فكيف إذا جُعل فوقه وأعظم منه؟!

قال ابن القيم -رحمه الله-: «إن الشيطان بلطف كيده يُحَسِّنُ الدعاءَ عند القبر وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار؛ فإذا تقرر ذلك عنده، نقله درجة أخرى، من الدعاء عنده إلى الدعاء به، **والإقسام على الله به**، وهذا أعظم من الذي قبله فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يسأل بأحد من خلقه...

فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجع[2]في قضاء حاجته نقله درجة أخرى، إلى دعائه نفسه من دون الله، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى، إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه، ويوقد عليه القِنْديل[3]، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد ويعبده بالسجود له والطواف به، وتقبيله واستلامه والحج إليه، والذبح عنده ثم ينقله درجة أخرى، إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدا ومنسكا، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم» [4].

ثم العز بن عبد السلام -رحمه الله- الذي يرُوى عنه جواز الحلف بالنبي ﷺ لم يعمم القول في جميع الأنبياء والأولياء والمقبورين، مثل تعميم هؤلاء في جميع أهل القبور كما تقدم في بيان الانحرافات، وإنما يُنقل عنه جواز سؤال الله بنبيه ﷺ فقط دون غيره، وهو صرح بأن الغير ليس بدرجته ﷺ، وقال بهذا القول، لاعتقاده -رحمه الله- أن توسل

---

(١) شرح العقيد الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص: ٢٩٤-٢٩٧(بتصرف من بحث الشفاعة).

(٢) **أنجع**: أي: أنفع. لسان العرب لابن منظور ٤٦٧/٨.

(٣) القِنْديل: بالكسر المصباح من الزجاج. تاج العروس للزبيدي ٦٣٦/١٥.

(٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم١/ ٣٩٦، ويُنظر: فتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص: ١٩٩.

الأعمى في حديث الأعمى الذي تقدم في فصل التوسل كان بذات النبي ﷺ ولم يكن بدعائه وقد أخطأ في هذا كما تقدم في فصل التوسل، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى هو -رحمه الله- لم يقل بالإقسام على الله بنبيه، أو غيره من المخلوق، وإنما زعم جواز التوسل بذات النبي ﷺ في الدعاء. وقد تبين أن توسل الأعمى لم يكن بذاته ﷺ، وإنما بدعائه ﷺ، وإلا لكان الصحابة من بعده يتوسلون بذاته بعد وفاته، ولم يثبت هذا، فدلّ أن التوسل كان بدعائه، ودعاؤه انقطع بوفاته ﷺ.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «وفي فتاوى أبي محمد بن عبد السلام: أنه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الأنبياء ولا غيرهم وتوقف في نبينا ﷺ؛ لاعتقاده أن ذلك جاء في حديث، وأنه لم يعرف صحة الحديث»(١).

وبعد هذا العرض اتضح أنه لا يجوز الحلف بغير الله ﷻ، وكذلك الإقسام على الله بغيره؛ لأن غير الله مخلوق، ولا يجوز الحلف بالمخلوق، فكيف يجوز إقسام الخالق بالمخلوق؟! والله تعالى يقسم بما شاء، ومنع مخلوقَه أن يقسم بغير خالقه، فلا يجوز للمخلوق أن يتجرأ على الحلف بالمخلوق، وكذلك على إقسام الخالق بأحد من المخلوق.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم١/٣٩٦.

الفصل السادس

الانحرافات المتعلقة بالرقى، وموقف الإسلام منها،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الرقى، وأنواعها.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالرقى .

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

مفهوم الرقى، وأنواعها

ثبت في الشريعة المطهرة أن النبي ﷺ رَقَى غيرَه ورقاه غيرُه، فالرقية جائزة من الأمراض والآلام وغيرها، وقبل الشروع في تفاصيلها، ينبغي أن يُذكر مفهومها الشرعي وأنواعها، لأن الرقى منها ما هي جائزة، وهي التي تتوفر فيها شروط الرقية الشرعية، ومنها ما هي غير جائزة وهي التي لم تتوفر فيها شروط الرقية الشرعية، والكلام على ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: الرقية لغة، وشرعا

أولا: الرقى لغة.

أصل الكلمة: (الراء، والقاف والحرف المعتل) أصول ثلاثة متباينة: أحدها الصعود، والأخرى عُوذَةٌ يتعوذ بها، والثالث بقعة الأرض[١].

تصريف الكلمة: رَقَى، يَرْقِي رَقْيًا، ورُقْيًا، ورُقْيَةً [٢].

معنى الكلمة: الكلمة المكونة من (الراء، والقاف، والحرف المعتل) تأتي على ثلاثة معان:

الأول: الرَّقْوَةُ: القُمزَةُ[٣]من التراب تجتمع على شفير الوادي، فُوَيقَ الدِّعص[٤] من الرمل، ويقال: رَقْوٌ بلا هاء، وأكثر ما يكون إلى جانب وادٍ [٥].

والثاني: رَقَى يَرْقَى -بفتح القاف في الماضي والمضارع- الصعود كقولك رَقَيْتُ السلَّمَ أرقي [رَقْياً بالفتح] ورُقْياً [بالضم]، ومنه قول الله تعالى: ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن

---

(١) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٤١٦.

(٢) يُنظر: القاموس المحيط للفيروزآبادى ص: ١١٨٧، والمعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد السود ص: ٢٣٦ الباب ٢٥.

(٣) **القُمْزة**: الكومة والكتلة من التراب.يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٤٩٢/٧.

(٤) **الدِّعْصُ**: قطعة من الرمل مستديرة. المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء ص: ٢٨٥.

(٥) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٤١٦-٤١٧، ولسان العرب لابن منظور ٢٢٢/٤.

نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾[(٢)]، والعرب تقول: ارق على ظلعك، أي بقدر ما تطيق[(٣)].

والثالث: رَقَى يَرْقِي -بفتح القاف في الماضي وكسرها في المضارع- الرُّقيةُ بالضم العَوْذَةُ التي يُرقى بها صاحب الآفة، كالحمى، والصرع، وغيرها يقال: رقيت الإنسان رَقْياً بالفتح، ورُقِــيًّا بالضم والكسر مع تشديد الياء، ورُقِيَّةً بالضم[(٤)] ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾[(٥)].

وهذا المعنى الأخير من معان اللغوية هو المراد؛ فالرقية جمعها الرُّقَى، يقـــال:رَقَـــى الرَّاقي رُقية، ورَقْياً ورُقِيّاً؛ إذا عوّذ ونفث في عوذته[(٦)].

ثانيا: مفهوم الرقى شرعا

لا يختلف المفهوم الشرعي للرقية كثيرا عن معناها اللغوي، لأن معناهـــا اللغـــوي: العوذة وهي الملتجأ والملاذ؛ فالمرقي يلتجئ إلى الرقية -سواء كانت شرعية أو غيرهـــا- لكي يشفى مما به[(٧)] ولذا عرّفوا الرقية بقولهم: «**العوذة التي يُرْقَى بها صـــاحب الآفـــة، كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات**»[(٨)].هذا في اللغة وقُيّد المعنى اللغوي في الشرع بما هو المشروع من المعوذات.

---

(١) سورة الإسراء (٩٣).

(٢) سورة ص (١٠).

(٣) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٤١٧، وتاج العروس للزبيدي ١٩/٤٧١.

(٤) يُنظر: تاج العروس للزبيدي ١٩/٤٧١.

(٥) سورة القيامة (٢٧).

(٦) يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٤/٢٢٣، وتهذيب اللغة للأزهري ٩/٢٩٣.

(٧) قال ابن منظور: العوذة والمَعَاذَة والتعويذ: الرقية يُرقى بها الإنسان من فزع، أو جنون؛ لأنه يعاذ بها.يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٦/٥١١.

(٨) النهاية لابن الأثير ص: ٦٨٢، ولسان العرب لابن منظور ٤/٢٢٣، وتاج العروس للزبيدي ١٩/٤٧١.

فقال العلماء الكرام الرقية: **ما يُقرأ -أو يُرقى به- من الدعاء لطلب الشفاء**[1].

والرقية في الحقيقة: دعاء توسل يُطلب فيها من الله -سبحانه وتعالى- شفاء المريض، وذهاب العلة من بدنه[2].

المطلب الثاني: أنواع الرقى.

تنقسم الرقية من حيث حكمها إلى نوعين:

١- **الرقية المشروعة.**

٢- **الرقية الممنوعة.**

الرقية المشروعة: هي التي توفرت فيها ثلاثة شروط:

١- أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته، أو ما أُثر عن النبي ﷺ.

٢- أن تكون بلسان عربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تُؤَثِّر بنفسها، بل بإذن الله ﷻ[3].

دليل الشرط الأول: حديث عائشة -رضي الله عنها- «أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه -في المرض الذي مات فيه- بالمعوذات[4]، فلما ثَقُل كنت أنفث عليه بهن،

---

(١) يُنظر: فيض القدير للمناوي١/٤٩٠.عون المعبود لعظيم آبادي كتاب الطب، باب الرقي١٠/٢٦٤ رقم (٣٨٧٩).

(٢) يُنظر: أحكام الرقى والتمائم لفهد السحيمي ص:٣٠.

(٣) يُنظر: فتح الباري لابن حجر كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن ١٠/٢٤٠(ح٥٧٣٥) والمنهاج شرح النووي على صحيح مسلم١٤/٣٩٢، وعون المعبود لعظيم آبادي١٠/٢٨١ عند شرحه لحديث رقم (٣٨٩٦) ومجموع فتاوى ابن تيمية١٩/٦١، وفيض القدير للمناوي ٢/٣٤٢.

(٤) **المراد بالمعوذات:** سورة الفلق، وسورة الناس، وسورة الإخلاص. يُنظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٤٠.

وأمسح بيد نفسه لبركتها»(١). ومعلوم أن المعوذات من كلام الله، وفيها أسماء الله وصفاته، وثبتت كذلك هذه الرقية من النبي ﷺ.

دليل الشرط الثاني: قوله ﷺ في حديث عوف بن مالك(٢) ﷺ: «**اعرضوا عليَّ رُقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»(٣). فقد دل الحديث أن الرقية ما لم يكن فيها شرك -سواء بالعربية أو غيرها- لا بأس بها، إلا أن غالب الرقى الأعجمية لا يعرف معناها، وما لا يعرف معناها قد يؤدي إلى الشرك؛ فيمنع سدا للذريعة.

قال ابن حجر -رحمه الله- في شرح الحديث المتقدم «دل حديثُ عوفٍ أنه مهما كان من الرقي يؤدي إلى الشرك يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمَن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطا»(٤).

دليل الشرط الثالث: من المعلوم علمَ اليقين أن الشافي هو الله ﷻ، وإنما الأدوية والرقى من الأسباب المشروعة، وقد أمر الله بالأخذ بالأسباب، ولكن من شروط الأخذ بالأسباب أن لا يكون الاعتماد عليها، بل على موجدها، ومسببها، وهو الله ﷻ وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ (٥)، وقال النبي ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الطب، باب الرقى بالقران والمعوذات ١٠/٢٤٠ (ح٥٧٣٥)، وبنحوه في صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب، باب رقية المريض بالمعوذات ١٤/ ٤٠٣(ح٥٦٧٨).

(٢) **عوف:** هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، صحابي جليل، سكن الشام، مات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٣/١٢٢٦(ت٢٠٠٣)، والإصابة لابن حجر ٣ (ت٦١٠١).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب، باب لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك ١٤/٤٠٨ (ح٥٦٩٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر كتاب الطب ، باب الرقي...١٠/٢٤١عند شرح حديث رقم(٥٧٣٥).

(٥) سورة الفرقان (٥٨).

«**أعقلها وتوكَّل**»(١) وقد تقدم عدم جواز الاعتماد على الأسباب، وأنه ينافي التوكل، كما أن ترك الأسباب كليا قدح في التوكل(٢).

ومن أمثلة الرقى الشرعية:

١- **الرقية بالقرآن الكريم، كالمعوذتين، وأية الكرسي وغيرها**، لقول الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)، قال القرطبي -رحمه الله-: «من لابتداء الغاية، ويصح أن تكون لبيان الجنس، كأنه قال: ونُنَزِّل ما فيه شفاء من القرآن»(٤).

٢- أن يقول: «**أذهب الباس، رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**» (٥).

٣- أن يضع اليد على موضع الألم، ويقول: «**باسم الله**» ثلاث مرات، ويقول: سبع مرات: «**أعوذ بالله وقدرته من شرما أجد وأحاذر**»(٦).

٤- أن يقول: «**باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عينٍ حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»(٧).

هذه نماذج من الرقية الشرعية التي لا خلاف للعلماء في جوازها.وقد أفرد العلماء فيها كتبا مستقلة، ومنهم من أفرد لها أبوابا أو فصولا في مصنفاتهم.

أما الرقى الممنوعة، فهي التي لا تتوفر فيها شروط الرقية الشرعية، وسيأتي ذكر أمثلتها في المبحث الثاني.

---

(١) تقدم تخريجه في فصل التوكل يراجع ص:٢٤١.

(٢) للمزيد من التفصيل يراجع الباب الأول، فصل التوكل.

(٣) سورة الإسراء (٨٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/١٥٦.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح لابن حجر كتاب الرطب، باب مسح الراقي١٠/ ٢٥٩ (ح٥٧٥٠)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب، باب استحباب رقية المريض ١٤/٤٠٢ (ح٥٦٧٤).

(٦) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب، باب استحباب وضع اليد ١٤/٤١١ (ح٥٧٠١).

(٧) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب، باب الطب والمرض ١٤/٣٩٣(ح٥٦٦٤).

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالرقى

تقدم في المبحث الأول أمثلة الرقى المشروعة، والتي توفرت فيها شروط جواز الرقية[1] وفي هذا المبحث أذكر أمثلة الرقى الممنوعة، وهي التي لم تتوفر فيها شروط الرقية المشروعة، أو بعضها:

قول بعضهم: «إن رقية السم، والسميات بأسامي المشايخ معمولة، لمولانا وأولانا شيخ الحديث أستاذ الأساتذة حضرة نصير الدين الغُرغشتوي[2] -أطال الله فيوضه[3]- حيث قال: كان مرشدنا يقول: لرقية السم والسميات: إلهي! بحرمة الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمة الله عليه-، إلهي! بحرمة دوست محمد القندهاري[4]-رحمة الله عليه- وهي معمولة له» [5].

(١) وقد تقدم في ص: ٥٨١ شروط الرقية الثلاثة وهي: أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته، أو ما أُثر عن النبي ﷺ، وأن تكون بلسان عربي، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن لا يعتقد في الرقية تأثيرا ذاتيا، بل بإذن الله ﷻ.

(٢) **الغُرغشتوي**: هو نصير الدين بن بهاء الدين بن سعد الدين الغرغشتوي نسبة إلى غُرغشتو قرية من قرى مديرية كيملفور(**أتك**) في باكستان، من كبار الصوفية الديوبندية، ولد سنة١٢٩٥هـ ومات سنة ١٣٨٨هـ.يُنظر: ترجمته في: «أكابر علماء ديوبند» لمحمد أكبر شاه ص: ٣٨٣، و «خانقه أحمدية سعيدية» لمحمد نذير رانجها ص: ٦٧٢.

(٣) الفيض: هو السيلان، ويستعمل في العطاء الكثير، واعتقاد فيضان الخير، أو البركة، ونحوهما من غير الله ﷻ، وخاصة من الأموات، لا يجيزه الشرع الحنيف، ولاشك في بطلان هذا المعتقد.

(٤) **دوست محمد القندهاري**: هو دوست محمد بن أخوند ملا علي، النقشبندي، ولد عام ١٢١٦هـ في قرية (أرغسان) في ولاية (قندهار) من ولايات أفغانستان الحالي وتوفي عام ١٢٨٤هـ في منطقة موسى زئي من مناطق ديره إسماعيل خان من إقليم سرحد في باكستان. ينظر ترجمته في: «خانقاه أحمدية سعيدية» لمحمد نذير رانجها ص: ١٥١ وما بعدها.

(٥) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٦٩.

وقوله: «وقد عرفت أن تلاوة سند أول لأبي داود رقية العقرب، وأيُّ شرك فيهـــا؟ فإن السؤال إنما يكون من الله بحرمة مشايخ السلسلة، وهذا أمر معروف سلفا وخلفـــا، كيف يكون شركا؟»[1]. **وقوله** : «السند الأول حدثنا مسدد بن مسرهد[2] اهـــ. إن هذه رقية العقرب مع البسملة »[3].

عَنْوَن البعض في كتبهم: بـــ(رقية الحيات والعقارب وكيفية إخراج السم) ثم قال: وهذا عمل مجرب: «**سلام على نوح في العالمين، وعلى محمد في المرسلين، من حاملات الســـم أجمعين، لا دابة بين السماء والأرض، إلا وربي آخذ بناصيتها أجمعـــين، إن ربي علـــى صـــراط مستقيم، نوح، نوح، نوح، قال لكم نوح من ذكرني؛ فلا تلْدَغُوه، إن ربي بكل شـــيء علـــيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم**».يقرأ هذه الألفاظ سبع مرات، و يأخـــذ الراقي سكينا، أو حديدا آخر، فيضرب به المكان المتورم، فيجتمع السم كله -إن شـــاء الله- ويكرر هذه الرقية مرة أخرى على نفس الطريقة المتقدمة؛ فينتهي السم كله تماما)[4].

وقال بعضهم في رقية العين: (إذا أراد أحدٌ أن يرقي الأطفال من عين العائن؛ فليأخـــذ خيطا نظيفا، يمتد بمقدار ثلاثة أيادي، ولْيَضَعْه مع الطفل الذي أصابته العـــين، ثم يأخـــذه في وقت السَّحَر، ثم يقرأ بسم الله، ولا قوة إلا بالله -ثلاث مرات- ويقرأ سورة الفاتحة -ثلاث مرات-، ثم يقول: «**عزمت عليك أيتها العين التي في فلان ابن فلانة، بحق أشراهِياً يواهِيـــاً، أَذُوْنِيَـــا أَصبّاتُ إليَّ شذايَ، عزمتُ عليك أيتها العينُ التي في فلان ابن فلانة، بحق شَهَتْ بَهَتْ أَثْهَيْنِا قَنْطَـــاع التَّجَا، بالذي لا يقوى عليه أرضٌ ولا سماءٌ، أُخرُجي يا نفسَ السوءِ من فلان ابن فلانة، كما أُخـــرِجَ يوسف من المضيق، وجُعِلَ لموسى في البحر طريق، وإلا فأنتِ بريئة من الله تعالى، والله بريء منـــكِ**،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) **مسدد:** هو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي البصري ثقة حافظ توفي ســـنة ٢٢٨هـــ.ويقال: اسمه عبد الملك بن عبد العزيز ومسدد لقب. يُنظر: تهذيب التهـــذيب لابـــن حجر ٩٨/١٠ برقم (٦٩٠٨) وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٦١٤ برقم(٦٥٩٨).

(٣) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص:٤٢.

(٤) يُنظر: «رقية الحيات والعقارب» لثاقب شاه رتّبـــه: سيد حبيب الله لاهوري ضلع صوابي ص: ٤٨.

أخرجي يا نفس السوءِ من فلان ابن فلانة بألف ألف ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[2] ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3] ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[4] **لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم**» ويكتب مكان فلان ابن فلانة اسم المريض واسم أمه، ثم يقيس الخيط مرة ثانية، فإن زاد أو نقص من ثلاث أيادي، فالمريض أصابته العين لا محالة فيعمل هذا العمل ثلاثة أيام سويا، فينتهي أثر العين حتما لازما -إن شاء الله العزيز)[5].

قال أحدهم: (مَنْتَرْ[6]) إخراج السم أن تقول باللغة البشتو (**سرگلو، لال گلو، آفي مار، دافي مار، تور مار، تِير مار، شاه مار، سبز مار،كيمچ مار، لال گير مار، دربستم مار، جوبن موبن بندكوم هر يو مار كهرلا تيرا قلے**). ينبغي أن يقرأ هذا (المَنْتَرْ) قبل كلِّ رقيةٍ)[7].

ليس لهذه الكلمات معنىً معلوما، وإنما بعض هذه الكلمات أسماء للحيات، وبعضها لا معنى لها، وبعضها كلمات باللغة البشتو وبعضها بغيرها، والله أعلم بمرادهم بها.

وجعل أحدهم قراءة (چهل كاف) [يعني مجموعة أربعين كاف] دافعا للجن وقال:(طريقة ذلك: أن ينفثه بصوت مرتفع في أُذُن المريض، إن شاء الله سيبتعد الجن

---

(١) سورة الإسراء (٨٢).

(٢) سورة الحشر (٢١).

(٣) سورة يوسف (٦٤).

(٤) سورة آل عمران (١٧٣).

(٥) يُنظر: «كمالات عزيزي» لظهير الدين ولي اللهي(بالبشتو)ص: ١٤٤-١٤٥،و(بالأردية) ص: ١٣٣.

(٦) مَنْتَر: ويكتبونه بالأردية (منتهر) كلمة عجمية، تساوي كلمة الطلسم في العربية تقريبا.

(٧) يُنظر: «رقية الحيات والعقارب» لثاقب شاه رتّبه: سيد حبيب الله لاهوري ضلع صوابي ص: ٤٩.

فورا، وهذا عمل مجرَّب، و(چهل كاف) هو: **يا كَفيكَ فَسَيَكْفيْكَ كَفَاكَ ربُّكَ كَمْ يَكْفيك واكِفةً، كفكافُها كَكَمينٍ كانَ من كِلْكا، تَكرُّ كَرّاً كَكَرِّ الكَرَّ في كَبدي، تَحْكِيْ مُشَكْشَكَةً كَلُكُلُك كِلْكا، كَفَاكَ كا بِيْ كَفاكَ الكَافُ كُرْبَتُهُ، يَا كَوْكَباً كَانَ تَحْكِيْ كَوْكَبَ الفَلَكا**[1] .

هذه نماذج من الرقى الممنوعة، و لم أذكر هنا إلا شيئا قليلا من الرقى الشركية أو المؤدية إلى الشرك التي ذكرها البعض في كتبهم[2].

---

(١) يُنظر: مَخْزن الحسنات لفير محمد عباس قادرية ص: ٢٣٣رقية رقم(٤٣٠).

(٢) ككتاب شمس المعارف الكبرى للبوني (بالبشتو) المترجم گل رحمن گل، ومخزن الحسنات و ((تعويذات سليماني)) (بالبشتو) كلاهما لفقير محمد عباس قادرية، ((كنز الحسين)) لسيد غلام رسول (بالبشتو) و((التحفة الصندلية)) (بالأردية) لسيد محمود الصندلي، و((أعمال روحاني)) (بالأردية) تأليف شوكت علي الحقاني، و((حرز الغياث وخواص الحروف المقطعات...)) تأليف سعد الدين أنصاري، و((دمونه او تعويذونه)) الذي قام بترجمته سيف الحنان موسى زئي، و((رقية الحيات والعقارب)) ترتيب: سيد حبيب الله لاهوري ضلع صوابي، وغيرها من المؤلفات في هذا المجال.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالرقى.

تمهيد:

جاءت النصوص في الرقية متعددة، ومختلفة، فمنها ما تفيد المنع كحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**إن الرقى والتمائم[1] والتِولة[2] شرك**»[3].

ومنها ما تفيد جواز كل رقية إذا كانت نافعة: كحديث جابر رضي الله عنه قال: «لدغت رجلا منا عقربٌ، ونحن جلوس مع النبي ﷺ فقال رجلٌ: يا رسول الله! أرقي؟ فقال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[4] فقيل بجوازها مطلقا إذا كانت نافعة.

والصحيح أن قول ابن مسعود رضي الله عنه ليس في كل رقية، بل في رقية رقاها اليهودي، وفي خيط لا يعلم بم رقاها، وله في ذلك قصة وهي: أن زينب[5] امرأة ابن مسعود رضي الله عنه قالت: إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رأى في عنقي خيطا، فقال:ما هذا؟ قلت: خيطٌ رُقِيَ

---

(١) **التمائم**: جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تُعلّقها على الأولاد يتّقون بها العين على زعمهم؛ فأبطلها الإسلام.يُنظر: النهاية لابن الأثير ص:١٩٦.وسيأتي المزيد من التفصيل في فصل التمائم إن شاء الله.

(٢) **التولة**: بكسر التاء وفتح الواو، ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ص: ١٩٩.

(٣) سنن أبي داود كتاب الطب، باب في تعليق التمائم ص: ٦٩٧(ح٣٨٨٣)، وابن ماجه في سننه كتاب الطب، باب تعليق التمائم ص: ٥٨٩(ح٣٥٣٠)، والإمام أحمد في مسنده١/٣٨١، وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٢/٧٣٦(ح٣٢٨٨).

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب، باب الرقية من العين ١٤/٤٠٧(ح٥٦٩١) وفي رواية: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**» يُنظر: مسند الإمام أحمد٣/٣٨٢ وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.يُنظر: المسند المحقق لأحمد شاكر١٢/٧٣(ح١٥٠٤٠).

(٥) **زينب**: هي زينب بنت معاوية، وقيل ابنة أبي معاوية الثقفية، وقيل زينب بنت عبد الله بن معاوية بن عتاب بن الأسعد، ابنة أبي معاوية، وهي امرأة ابن مسعود- صحابية روي عن زوجها.يُنظر: أسد الغابة لابن الأثير٧/١٣٦ رقم(٦٩٧٥) والاستيعاب لابن عبد البر٤/١٨٥٦ رقم (٣٣٦٢).

لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتِولة شرك**» فقلت: لم تقول هذا؟ لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقاني سكنت، فقال عبد الله: **إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده؛ فإذا رقاها كَفّ عنها**، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما**»[1].

فقوله ﷺ في رقية رقاها اليهودي، وفي خيط لا يعلم بم رقاها، وربما كان فيها شركا كما أشار إلى ذلك بقوله: «**إنما ذلك عمل الشيطان**» وقد أثبت ﷺ الرقية الشرعية في نفس الحديث، حيث علّم زوجته الرقية النبوية وقال: إنما كان يكفيكِ أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما**» فعلم أن ابن مسعود ﷺ لا يمنع الرقية مطلقا، بل الرقية التي فيها شرك، أو مؤدية إليه.

وهكذا لا يعمم القول في حديث جابر بجواز كل الرقية رآها الناس نافعة، لأن الرواية الثانية للحديث تفسر هذه الرواية، وأن الإذن ليس في كل رقية رآها الناس نافعة، بل الإذن فيما لم يكن فيها شرك، قال جابر ﷺ: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه، فقال: «**ما أرى بأسا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»[2].وفي رواية: كان أهل بيت من الأنصار يقال لهم آل عمرو

(١) سنن أبي داود كتاب الطب، باب في تعليق التمائم ص: ٦٩٧ (ح٣٨٨٣)، ونحوه سنن ابن ماجة كتاب الطب، باب تعليق التمائم ص: ٥٨٩ (ح٣٥٣٠) وأحمد ٣٨١/١ وقال محققو المسند: صحيح لغيره.ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ١١٠/٦(ح٣٦١٥).

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب، باب استحباب الرقية من العين ٤٠٨/١٤(ح٥٦٩٥).

بن حزم، يرقون من الحُمَةِ[1]، وكان رسول الله ﷺ قد نهى عن الرقى.فأتوه، فقالوا: يا رسول الله! إنك قد نهيت عن الرقى.وإنا نرقي من الحُمَة.فقال لهم: «**اعرضوا عليّ**» فعرضوها عليه. فقال «**لا بأس بهذه. هذه مواثيق**» [2].وقال صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا**»[3] فيفسر الحديث المجمل بالحديث المفسر، فلا بأس بالرقى -ولو لم تكن من الكتاب والسنة- إذا لم يكن فيها شرك.

ويدل كذلك على عدم جواز كل رقية رآها الناس نافعة، قول ابن مسعود رضي الله عنه لزوجته:**أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك**، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتِولة شرك**»[4].قال ذلك عندما رأت المرأة رقية ذلك اليهودي نافعة، وقالت:**لم تقول هذا؟ لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقاني سكنت**، فقد جرّبت نفعها!!.

وبعد هذا التمهيد الموجز جاء وقت بيان موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالرقى، فنستطيع أن نقول: إن كل رقية لا تتوفر فيها شروط الرقى الشرعية؛ فهي ممنوعة[5].

وإذا نظرنا في الانحرافات المتعلقة بالرقى، وجدنا أن تلك الرقى لا تتوفر فيها شروط الرقى الشرعية كلها أو بعضها والتفصيل كالآتي:

أولا: الرقية بأسامي الأشخاص سواء كان بسلسلة سند الأحاديث كما زعم البعض أو سلسلة مشايخ الصوفية كما زعمه الآخرون، **لا تجوز**.

---

(١) **الحُمَة**: بالتخفيف، وقد يُشدّد: السم، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة؛لأن السم منها يخرج.يُنظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح كتاب الرقى٨/٣١٦.

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الطب ، باب ما رُخّص فيه من الرُّقى ص:٥٨٧ (ح٣٥١٥) وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن ابن ماجة للألباني٣/١٧٧(٢٨٤٩).

(٣) سنن أبي داود كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى ص: ٦٩٧(ح٣٨٨٦) وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٢/٧٣٦(ح٣٢٩٠).

(٤) تقدم تخريجه قريبا ص: ٥٨٨.

(٥) وقد تقدم شروط جواز الرقية يراجع: ٥٨١.

ودليل عدم جوازها أن الرقية، هي العوذة، كما تقدم في المبحث الأول؛ فلا يجوز التعوذ بأسماء الناس، بل التعوذ يكون برب الناس وحده، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾[1].

قال ابن حجر -رحمه الله-: «قال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه؛ فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك.

الثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه؛ فيجوز فإن كان مأثورا فيستحب.

الثالث: ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات كالعرش... فيكون تركه أولى، إلا أن يتضمن تعظيم المرقي به؛ فينبغي أن يجتنب كالحلف بغير الله»[2].

وفي هذا القسم الثالث قال الشيخ عطية سالم[3] -رحمه الله- بعد أن ذكر هذه الأنواع الثلاثة: «**إن تجنب هذا القسم الثالث واجب، لأننا قدمنا أن الرقية عوذة، والعوذ لا يكون إلا بالله**»[4].

وأما قول المخالف: إن فلانا من الناس كان معموله الرقية بأسماء مشايخ طريق الصوفية، فيقال لهم: لا يؤخذ بأقاويل الناس وزلات العلماء، في مخالفة الكتاب والسنة، بل المسلم يستسلم للنصوص، لأنها هي مصادر التشريع، لا أقاويل العلماء، وزلات الناس، وقول كل واحد يعرض على الكتاب والسنة، فإن وافقهما أخذ به، وإلا فكلامه

---

(١) سورة الناس (١-٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن ٢٤٢/١٠ عند شرح حديث رقم (٥٧٣٥).

(٣) **عطية**: هو عطية محمد سالم، ولد في المهدية بمصر، عالم، قاض، درّس في المسجد النبوي، والجامعة الإسلامية بالمدينة وغيرها، وكان أكثر ملازمة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمهما الله- ولد عام ١٣٤٦هـ وتوفي عام ١٤٢٠هـ. يُنظر: علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ٢٠١/٢، والتذليل والاستدراك على معجم المؤلفين لأحمد العلاونة ص: ٢٠.

(٤) العين والرقية والاستشفاء من القرآن والسنة لعطية سالم ص: ٦٤.

مردود عليه، كما قال مالك وغيره: كل واحد يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول ﷺ، ولا عبرة للرأي بعد ورود النص [1].

وأما قول المخالف: «إن السؤال إنما يكون من الله [-في الرقية وغيرها-] بحرمة مشايخ السلسلة، وهذا أمر معروف سلفا وخلفا»، **فهذا قول باطل**؛ لأن السؤال من الله تعالى يكون بذاته وأسمائه وصفاته، لا بأسماء مشايخ سلسلة الصوفية، ولا بمشايخ سلسلة سند الحديث.

قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- وهو إمام من أئمة السلف، ويقلده كثير من الخلف: «**لا ينبغي لأحد أن يدعو الله تعالى إلا به**»[2] قال ابن عابدين الشامي -رحمه الله-: «**(إلا به)** أي بذاته، وصفاته، وأسمائه»[3].

ثانيا: ما ذكره بعض المخالفين في (رقية العقارب والحيات وإخراج السم) كما تقدم في بيان الانحرافات، فكيفية هذه الرقية مخترعة وعجيبة، كأخذ السكين وضرب المكان المتورم ونحوها مما لم يرد بمثلها الشرع، بالإضافة إلى ذلك فيه كلام منسوب إلى نوح ﷺ أنه«**قال لكم نوح من ذكرني؛ فلا تلْدَغُوه**» وهذا يحتاج إلى دليل نقلي صحيح، وإلا فهو من التقول على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

هذا من جهة ومن جهة أخرى إن رقية العقرب والسم معروفة في السنة، ووردت بها أدلة كما في حديث اللديغ حيث رقاه الصحابة بالفاتحة[4]، فلم تترك السنة ويؤتى بالبدعة؟!.

ثالثا: وما ذكر بعض المخالفين في رقية العين من أن تقيس خيطا بالأيدي، وتضعه عند الطفل، ثم تأخذه وقت السَّحَر...إلى آخر ما قال، كما تقدم في بيان الانحرافات.

---

(١) تقدم في الباب الأول فصل المحبة جملة من هذه الأقوال ص: ١٨٩.

(٢) الدر المختار للحصكفي مع رد المختار لابن عابدين كتاب الحظر والإباحة فصل في البيع ٧١٥/٦.

(٣) رد المحتار لابن عابدين كتاب الحظر والإباحة فصل في البيع ٧١٥/٦.

(٤) يُنظر: صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الطب، باب النفث في الرقية١٠/٢٥٧(ح٥٧٤٩). وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطب، باب جواز أخذ الأجر على الرقية ١٤/ ٤٠٩(ح٥٦٩٧).

كل هذا من الكيفيات التي لم يرد بها الشرع، مع أن الرقية التي ذكروها للعين، فيها ألفاظ مبهمة لا يعرف معناها كقولهم: «**بحق أشراهياً يواهياً**[(١)]، **أَذُوْنِا أَصبَّاتُ إليَّ شــذايَ، عزمتُ عليك أيتها العينُ التي في فلان ابن فلانة بحق شَهَتْ بَهَتْ أَثْهَتْيِنَا قَنْطاع النَّجَــا**»، ومعلوم أن من شروط الرقية الجائزة أن تكون باللغة العربية، أو بما يفهم معناه، فما لا يفهم معناه لا يؤمَن فيه من الشرك كما تقدم بيان ذلك في أقوال العلماء.

ثالثا: الطلسم الذي سموه (**منترا**)، وكذا مجموعة أربعين حروف الكاف الذي سموه (**چهل كاف**[(٢)]) ففيها ما لا يفهم معناها فلا تجوز بها الرقية، لأن من شروط جواز الرقية أن تكون بالعربية، أو ما يفهم معناها، والرقية التي ينقصها شرط من الـــشروط الثلاثـــة المذكورة؛ فلا تجوز بها الرقية احتياطا وسدا للذريعة.

قال ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله-: «واتفقوا كلهم أيضا[أي العلماء]على أن كل رقية وتعزيم أو قَسَمٍ، فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته بـــه الجـــن، أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر، لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف.ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا بـــأس بالرقى ما لم تكن شركا**»[(٣)] اهـــ[(٤)].

بالإضافة إلى هذا في «**چهل كاف**» نداءات لغـــير الله، واســـتغاثات بالكواكـــب وغيرها، كقولهم في البداية: «**يا كَفيكَ فَسَيَكْفيْكَ كَفَاكَ ربُّكَ كَمْ يَكْفيكَ واكِفةً**» وقولهم في النهاية: «**يَا كَوْكَبَاً كَانَ تَحْكِيْ كَوْكَبَ الفَلَكا**» والاستغاثة بغير الله ﷻ مَنْ كان، ومهمـــا

---

(١) قيل: **آهيا شراهيا**... أسماء الشياطين. يُنظر: أحكام الرقى والتمائم لفهد الـــسحيمي ص:٢٣٠ وهو ينقل عن كتاب: إعانة المظلوم في كشف أسرار العلوم للطوفي ص:١٢.

(٢) وقد تقدم تعريف ذلك في آخر مبحث بيان الانحرافات .

(٣) تقدم تخريجه الحديث في ص: ٥٩٠.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي لابن أبي العز الحنفي ص: ٧٦٥(بحث السحر)

كان، شرك أكبر مهبط للأعمال: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(1).

الخلاصة: إن الرقية جائزة إذا توفرت فيها الشروط، وإذا نقصها شرط أو أكثر فلا تجوز. وقد رأينا في ما ذُكر من الرقى الممنوعة -في مبحث بيان الانحرافات- أنها لا تتوفر فيها شروط، فلا تجوز بها الرقية -ولو جُرِّب نفعها- كما تقدم ذلك في قصة ابن مسعود وزوجته.

ولا يدل نفع بعض الرقى الممنوعة، على فضل راقيها، أو أن كلامه حق؛ لأن الرقى الممنوعة قد تنفع ظاهرا؛ لأن المؤذي قد يكون شيطانا، فإذا رُقِيَ بالرقية الشركية قد يتأخر عن الأذى؛ ليتمادى الراقي في غيه، وليستدرج المرقى عليه، كما صرح بذلك ابن مسعود لزوجته بقوله: «**ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده؛ فإذا رقاها كَفّ عنها**»(2).

---

(١) سورة الزمر (٦٥).

(٢) تقدم تخريجه ص: ٥٩١.

الفصل السابع

الانحرافات المتعلقة بالتعبيد في الأسماء، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التعبيد في الأسماء، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالتعبيد في الأسماء.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول
معنى التعبيد في الأسماء، وأنواعه.

خلق الله الجن والإنس من أجل العبودية لله وحده، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] ومنعت الشريعة الإسلامية العبودية لغير الله، سواء كانت تلك العبودية حقيقية أو في الاسم فقط، والعبودية الحقيقية لغير الله هي الشرك الأكبر، والعبودية لغير الله في التسمية وإن لم تكن من الشرك الأكبر؛ فهي من الشرك الأصغر، ولذلك غير النبي ﷺ كثيرا من أسماء الجاهلية التي كانت فيها العبودية لغير الله، والكلام على معنى التعبيد في الأسماء وأنواعه في المطلبين:

المطلب الأول: معنى التعبيد في الأسماء

التعبيد من (عَبَدَ) وقد تقدم بيان أصل الكلمة وتصريفها، ومعانيها اللغوية والشرعية[2]، فلا يستحسن إعادتها مرّة أخرى، والتاء في التعبيد للنسبة كما في التكفير، والتكذيب، والتعظيم ونحوها، فمعنى التعبيد لغير الله في الأسماء: نسبة العبودية لغير الله في التسمية، كأن يقال: عبد الشمس، وعبد العزّى، وعبد الحسين وغيرها من التسميات التي فيها نسبة العبودية لغير الله ﷻ.

المطلب الثاني: أنواع التعبيد في الأسماء

التعبيد في الأسماء ينقسم إلى نوعين: **الأول**: جائز وهو مطلوب. **والثاني**: غير جائز، وهو ممنوع.

أما النوع الجائز: فهو إذا كان التعبيد إلى اسم من أسماء الله ﷻ، كعبد الله وعبد الرحيم وعبيد الرحمن ونحوها، مما يكون فيه إضافة العبودية إلى اسم من أسماء الله ﷻ.

وأما النوع الممنوع: فهو إذا كانت إضافة العبودية إلى غير اسم الله ﷻ سواء كان المضاف إليه مخلوقا أو صفة من صفات الله ﷻ، ومثال التعبيد إلى المخلوق أن يسمى

---

(١) سورة الذاريات (٥٦).

(٢) يراجع التمهيد معنى العبادة لغة وشرعا.

أحد بعبد الحسين أو عبد الرسول، وعبد الأحمد ونحوها. ومثال التعبيد إلى صفة من صفات الله، التسمية بعبد الكلام، وعبد الجلال، وعبد الرضا ونحوها.

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالتعبيد في الأسماء.

إن التعبيد لغير الله أمر شنيع لا يجوز لأحد أن يتعبد لغير الله، لا في التسمية، ولا في الحقيقة، لأن المعبود الحقيقي هو الله ﷻ، ولا يستحق العبودية أحد أبداً، لكن زلّت أقدام بعض الناس في إقليم سرحد؛ فسموا أنفسهم أو ذريتهم بما يشعر التعبيد لغير الله، وهذا إما محبة لذلك الغير، أو جهلا منهم بمعاني هذه الأسماء، ويمكن أن نقسم الانحرافات المتعلقة بالتعبيد لغير الله في الأسماء إلى نوعين:

النوع الأول: نسبة التعبيد إلى مخلوق من مخلوقات الله ﷻ.

يوجد بعض الناس في إقليم سرحد يتسمَّوْن بتسميات تشعر بالعبودية إلى مخلوق من مخلوقات الله -جهلا منهم، وتعظيما لذلك المخلوق- كالأنبياء، والأولياء، والملائكة ونحوها، وحُقَّ للناس أن يحبوهم ويعظموهم، لكن بعض الناس بالغوا في تعظيمهم ومحبتهم، حتى جعلوهم مستحقين للعبودية، وهذه العبودية وإن كانت في التسمية وليست حقيقة، لكن الله ﷻ جعل العبودية كلها حقا له وحده لا شريك له في ذلك.

وقد لا يكون في الاسم التعبيد لغير الله، لكن التقليد الأعمى لبعض اللغات في حذف كلمة (ابن) بين اسم الوالد والولد يشعر أنه اسم واحد، أو فيه نسبة العبودية لغير الله ﷻ ومن أمثلة ذلك:

عابد حسين، وعابدة حسين، وساجد علي، وحامد حسين ونحوها: فقد يكون الاسم الأول وهو عابد اسم الابن بينما حسين يكون اسم الأب، فهما اسمان لشخصين، أحدهما الأب، والآخر ابنه، أو ابنته؛ فهو عابد بن حسين، أو عابدة بنت حسين، لكن حذف كلمة ابن بين اسم الوالد وما ولد أشعر أنه اسم واحد وفيه عبودية لغير الله، فينبغي الاجتناب من مثل هذا، لأن ذلك يوقع السامع في شبهة، بل في خداع، بأن هذا أسم واحد إذ هو اسمين أحدهما الولد والثاني الوالد. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى يقع السامع في سوء الظن بأن هذا اسم واحد وفيه نسبة العبودية لغير الله، والحقيقة غير هذا، فلا ينبغي لمسلم أن يعرض نفسه للظن السيئ، وقد قال نفي

النبي ﷺ الظن السوء عن نفس، روت أم المؤمنين صفية زوج النبي ﷺ أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما فقال النبي ﷺ: إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»[1].

فكما أن النبي ﷺ – وهو الأمة أتقى الناس وأورعهم-نفى في الحديث المتقدم عن نفسه تهمة الخلوة بالمرأة الأجنبية، وحاول أن لا يقذف الشيطان في قلوب الصحابة شيئا من الشر، كذلك ينبغي للمسلم أن ينفي عن نفسه تهمة الشرك ونحوه من المخالفات الشرعية، ولا ينبغي له يوقع إخوانه في موقف يخاف عليه أن يقذف الشيطان في نفسه شيئا من الشر، وسوء الظن.

وقد يكون في الاسم الواحد نسبة العبودية لغير الله، محبة مع ذلك الغير، وتعظيما له، كما في التسمية بعبد الحسين، وعبد الرسول، وعبد النبي، وعبد المحمد، عبد الأحمد ونحوها[2].

وقد كان بعض المنتسبين إلى العلم من أسباب هذا الانحراف، كما عَنْوَنَ أحدهم في كتابه، فقال: (**التسمية بعبد النبي، وعبد الرسول**) ثم قال: (يجوز التسمية بعبد النبي وعبد الرسول، وعبد المصطفى، وعبد العلي[3]، وهكذا يجوز أن يقول أحد: أنا عبدٌ للنبي عليه السلام)[4].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه ٣٥٣/٤(ح٢٠٣٥).

(٢) وقد كثر أمثال هذه التسميات بين عوام الناس في إقليم سرحد، ولربما سمع من عاشرهم، وجالسهم الشيء الكثير من هذا النوع.

(٣) العلي اسم من أسماء الله تعالى، فلا أدري هو يقصد هنا بـ«**العلي**» أسم الله، وهذا لا خلاف في جوازه، أم يريد بـ«**العلي**» علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهذا مما لا يجوز التسمية به، والراجح أن الرجل يريد الاحتمال الثاني؛ لأنه أورده تحت عنوان التعبيد لغير الله من النبي والرسول ونحوهما مما لا تجوز التسمية به، وهو يريد جواز التسمية بذلك.

(٤) يُنظر: «جاء الحق» لمفتي أحمد يارخان ص: ٣٠٣.

واستدل على هذا الزعم بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[1] حيث قال: (في الآية احتمالان:

أحدهما أن الرب ﷻ يقول:يا عبادي!...

والثاني: أن الله أمر نبيه ﷺ أن ينادي الناس بقوله: يا عبادي!...، ففي الصورة الثانية يُراد عبادُ رسولِ الله...)[2].

كذلك التسمية بـــ (عبد المقدس) مع أن الله هو المقدَّس قال الله عن الملائكة: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾[3] ولكن ليس المقدس من أسماء الله الحسنى، وإنما من أسماء الله الحسنى القدوس قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ ﴾[4].

والمسمى بعبد المقدس، هو أحد المنتسبين للعلم في إقليم سرحد، وقد ألف كتابا سماه (تبريد الخاطر في توضيح ذكر الذاكر)فمن طبع هذا الكتاب، أراد أن يستدل لهذا التسمية بآيتين ذكرهما على صفحة عنوان الكتاب المذكور، وهما قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[6]، فكتب الآيتان في شريط أزرق، ولَوّنَ كلمة (**عبد**) في الآية الأولى باللون الأخضر وكذا كلمة (**المقدس**) في الآية الثانية لوّنها باللون الأخضر، تلميحا إلى اسم مؤلف الكتاب«عبد المقدّس» بينما ترك بقية الآيتين باللون الأبيض[7].

---

(١) سورة الزمر (٥٣).

(٢) يُنظر: «جاء الحق» لمفتي أحمد يارخان ص:٣٠٤.

(٣) سورة البقرة (٣٠).

(٤) سورة الحشر (٢٣).

(٥) سورة الزخرف (٥٩).

(٦) سورة طه (١٢).

(٧) يُنظر: صفحة العنوان لكتاب« تبريد الخاطر في توضيح ذكر الذاكر» تصنيف عبد المقدس جلبي، الناشر: مكتبة روضة القرآن بشاور باكستان.

فإن كانت نسبة العبودية في اسم عبد المقدس، للمقدس الذي أشار إليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1]، فلا شك أن المقدس في الآية هو الوادي وهو مخلوق من مخلوقات الله؛ فلا يجوز نسبة العبودية إلى هذا الوادي المقدس.

النوع الثاني: نسبة العبودية إلى صفة من صفات الله ﷻ.

وقد يخطئ البعض وينسب العبودية إلى صفة من صفات الله، فيسمي بأسماء فيها نسبة العبودية إلى صفة من صفات الله، كالتسمية بعبد الكلام، وعبد الجلال، وعبد الإكرام، ونحوها من الأسماء التي فيها نسبة العبودية إلى صفة من صفات الله ﷻ وهذا وإن كان أخف من نسبة العبودية إلى مخلوق من مخلوقات الله ﷻ، لكنها غير جائزة مثلها[2].

---

(١) سورة طه (١٢).

(٢) هذه نماذج مما يتعلق بالعبودية لغير الله في الأسماء، ويوجد البعض من الأسماء ليست فيها نسبة العبودية إلى غير الله، لكنها أسماء شركية؛ لِمَا فيها نوع من الشرك في الربوبية، مثل: (پير بخش)، بمعنى عطية شيخ الطريقة، أو عطاءُ الشيخ، و(ولي بخش)، بمعنى عطية الولي، و(سخي داد)، بمعنى عطية السخي، و(فضل محمد)، و(فضل نبي)، و(عطا محمد) و(نظر محمد)، و(نظر حسين)، و(فيض محمد) ونحوها.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتعبيد في الأسماء

إن مهمة رسل الله -عليهم الصلاة والسلام- دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وأن لا يتركوا مظهرا من مظاهر الشرك مع الله ﷻ إلا وأزالوه، ومنها الشرك في التسمية والتعبيد لغير الله ﷻ، وإن كان التعبيد لغير الله في الأسماء -دون اعتقاد حقيقتها- من نوع الشرك الأصغر، إلا أن فيها مجاهرة بهذا النوع من الشرك، ولذا نرى أن النبي ﷺ قد غير أسماء الصحابة الذين كانت في أسمائهم نسبة التعبيد لغير الله، كعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حيث كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو أو عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ بعبد الرحمن(١)، وكان اسم أبي هريرة رضي الله عنه في الجاهلية، عبد شمس -على الراجح- فسماه رسول الله بعبد الرحمن(٢)، وعبد الرحمن بن صفوان بن قدامة التيمي كان اسمه في الجاهلية عبد العزى فسماه رسول الله عبد الرحمن(٣)، وهكذا اسم عبد الرحمن بن العوام أخو الزبير بن العوام كان في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله عبد الرحمن(٤)، هذه نماذج من تغيير الأسماء التي عبدت لغير الله، ومن تتبع تراجم الصحابة يجد الشيء الكثير من هذا النوع.

وبعد هذا التمهيد جاء وقت بيان موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتعبيد في التسمية.

موقف الإسلام من انحرافات النوع الأول: وهو التعبيد للمخلوق في التسمية.

لا يجوز حذف المضاف إذا لم يدل عليه دليل أو قرينة، لأن في حذف المضاف بدون قرينة دالّة على الحذف مفاسد دينية، وأخرى دنيوية، وذلك لأنّ حذف كلمة ابن بين اسم الوالد وابنه، قد يشعر بأن هذا اسم واحد، وتزداد هذه الشبهة في البلدان التي

---

(١) يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٢/٨٤٤ برقم (١٤٤٧) وأسد الغابة لابن الأثير ٣/٤٧٥ برقم(٣٣٧٠).

(٢) يُنظر: المستدرك للحاكم٣/٥٨٠ برقم (٦١٤٦)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٢/٢٣٧ برقم(٨٧٧٣)، وأسد الغابة لابن الأثير٦/٣١٤ برقم(٦٣٢٦).

(٣) يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٢/٨٣٧ برقم(١٤٢٩) وأسد الغابة لابن الأثير برقم(٣٣٣٨).

(٤) يُنظر: الإصابة لابن حجر٤/٢٨٩ برقم(٩٥١٤) وأسد الغابة لابن الأثير٣/٤٧٥ برقم(٣٣٦٩).

يسمون بالأسماء المركبة كشبه القارة الهندية عامة، وإقليم سرحد بباكستان خاصة، حيث كثير من الأسماء فيه مركبة من اسمين مستقلين كـ((حسن علي)) يسمون بهما رجلا واحدا، و((علي معاوية)) يسمون بهما رجلا آخر و((علي أكبر)) ونحوها، وأكثرهم يركبون الأسماء من محمد واسم آخر كإبراهيم، ويحيى، وعيسى، وغيرها من أسماء الأنبياء وغيرهم، فيسمون بمحمد إبراهيم مثلا.

بينما يوجد في نفس المنطقة أسماء مفردة أيضا، فقد يسمون رجلا بـ((حسن)) والآخر بـ((علي))، والثالث بـ((معاوية))، والرابع بـ((أكبر))ونحوها، وهكذا في أسماء النساء توجد أسماء مركبة كـ((خديجة كبرى)) تسمى بها المرأة الواحدة، وبينما توجد نساء تسمى بـ((خديجة)) والأخرى بـ((كبرى))؛ ففي هذه الحالة لا يعرف هل هذان الاسمان مستقلان بحيث يكون أحدهما اسماً للأب والآخر لما ولد، أم هو اسم واحد مركب، فإذا ذكر المضاف -أعني((ابن)) بين الاسمين- زالت الشبهة وعرف أن ما قبل المضاف اسم للابن، وما بعده اسم مستقل يقع في محل المضاف إليه، وهو والده، وقد تحدث هذه المشكلة في الصكوك، والشهادات، والبطاقات الشخصية، ونحوها إذا لم يفصل بين الوالد والولد بكلمة ((ابن)) أو ((بنت)).

هذا من جهة ومن جهة أخرى إذا لم يفرق بين اسم الوالد وولده بكلمة ((ابن)) تقع شبهة دينية، وهي ما نحن في بيانها، كعابدة حسين، وعابد مصطفى، وساجد علي ونحوها، فإن كانا اسمين وحذف المضاف، فلا بأس حينئذ في التسمية بـ: علي، والحسين، والحسن، والساجد، ونحوها، بل ذلك من التسميات الحسنة، لكن المشكلة في حذف المضاف الذي هو التقليد المذموم، أشعر أنهما اسم واحد.

وإن كان((عابدة حسين)) اسما مركبا، والمسمى به شخص واحد، و كان((ساجد علي)) كذلك اسما مركبا، والمسمى به شخص واحد؛ فالتسمية بهذه الأسماء غير جائزة؛ لما فيها نسبة العبودية لغير الله ﷻ، وقد نهى الشرع المطهر عن إظهار العبودية إلا لله ﷻ، وفي هذه الأسماء إظهار العبودية لغير الله، فهذا لا يجوز. لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ

إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (١)، فلا يجوز لأحد أن يعبد غير الله، أو ينسب عبوديته لغير الله، فلا يجوز التسمية بعبد الرسول ولا عبد النبي، ولا عبد المحمد ولا عبد الأحمد، ولا عبد الحسين أو عابدة حسين، ونحوها مما فيها نسبة العبودية لغير الله، وإن كانت التسمية بذلك لأجل إظهار المحبة مع من تعبد له في التسمية فكذلك لا يجوز، لما فيه من الغلو، ولذا لا تجد في أسماء أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا غيرهم من السلف الصالح، أو أسماء ذريتهم، التعبيد للنبي ﷺ، أو التعبيد لأحد من أهل بيته، مع حبهم العظيم للنبي ﷺ وأهل بيته ﵁، فمحبتهم واجبة، لكنها تقدر بقدرها، لا أن تكون سببا للشرك مع الله ﷻ.وقال النبي ﷺ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»** (٢) فالنبي ﷺ منع من الغلو في شانه وبيّن منزلته، بأنه عبدُ الله ورسوله، فلا يصح عقلا ولا نقلا أن يتعبّد الرجل لعبد من عباد الله، ومن تعبّدَ له فقد خالف نصحه وإرشاده، وشابه النصارى في الغلو حيث يسمون أنفسهم بعبد المسيح، وهذا سمى نفسه بعبد الأحمد، أو عبد الرسول أو عبد النبي ونحوها.

وما استدل به بعض المخالفين من جواز التعبيد للنبي والرسول بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ (٣)، كما تقدم في ذكر الانحرافات المتعلقة بالتعبيد.

فاستدلال باطل من وجوه:

١- لم يقل به أحد في القرون الثلاثة المفضلة، ولذلك لم يُذكر هذا الاحتمال في أي كتاب من كتب التفسير المعتبرة، مع اتفاق أهل العلم قاطبة على أن نصوص الوحي تفسر على وفق فهم السلف الصالح.

---

(١) سورة الذاريات (٥٦).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الأنبياء، باب قول الله: واذكر في الكتاب مريم...٥٨٣/٦ (ح٣٤٤٥).

(٣) سورة الزمر (٥٣).

٢- أن الاحتمال الثاني الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ وهو أن يكون ضمير المتكلم في: **(يا عبادي)** راجعا إلى النبي ﷺ يبطله قول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١).

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير الآية: «لا يجتمع لنبي إتيان النبوة وقوله: ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ أي جائزٌ أن يكونَ النبي يقول لهم: كونوا ربّانيين...وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فحرّم الله تعالى على الأنبياء أن يتخذوا الناسَ عبادا يتألهون لهم، ولكن ألزمه الخلقَ حرمتَهم» (٢).

ففي الآية نهي صريح من الله ﷻ أن يقول الرسول: **كونوا عبادا لي.** أو ينسب عبودية الناس إلى نفسه، بقوله: **يا عبادي.**

٣- يؤكد إبطال زعمهم قول النبي ﷺ: «**لا يقولن أحدكم عبدي، وأمتي كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماءُ الله، ولكن ليقل: غلامي، وجاريتي، وفتاي، و فتاتي**» (٣)

فهو ﷺ يمنع الناس من أن يشاع بين الناس قول الرجل للمملوك: عبدي، مع أنه في الحقيقة عبد مملوك له، فكيف يمكن أن ينادي هو ﷺ عباد الله الأحرار، بقوله: **(يا عبادي!!)** مع أنهم ليسوا مملوكين للنبي ﷺ، ولا يعبدونه.

٤- نسبة عبودية العباد إلى النبي ﷺ، ينافي مقصد بعثة الرسول ﷺ، وهو إخراج العباد من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد وحده لا شريك له، ولذا كان النبي ﷺ يغيّر

---

(١) سورة آل عمران (٧٩-٨٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٨٦، و١٨٧.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الألفاظ من الأدب، باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة ١٥/٨ (ح٥٨٣٥).

الأسماء التي فيها التعبيد لغير الله ﷻ، كتغيير عبد شمس بعبد الرحمن، وعبد الكعبة بعبد الرحمن أيضا[1].

قال ابن الأثير –رحمه الله–: «وبالجملة فكل ما في هذه الأسماء من التعبيد فلا شبهة أنها غُيِّرت في الإسلام، فلم يكن النبي ﷺ يترك اسم أحدٍ: عبد شمس أو عبد غنم أو عبد العزى أو غير ذلك»[2].

٥- المخالف بنفسه يقول: إن هذا الاحتمال، هو أحد الاحتمالين، ومعلوم أنه لا يصح الاستدلال بالاحتمالات عند وجود أدلة صريحة على منع الأنبياء أن يقولوا للناس: ﴿كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ونهيه ﷺ أن يقول أحد: عبدي، وأمتي، وكذلك ثبت أن النبي ﷺ غير أسماء فيها التعبيد لغير الله كعبد الكعبة، وعبد شمس، بعبد الرحمن[3].

وإن قِيل: إن معنى العبد الخادم؛ فيجوز أن يقول أحد لنفسه أنا خادم رسول الله ﷺ، ويسمي بذلك نفسه، فيقال له: صحيح أن من معاني العبد الخادم، لكن النبي ﷺ غيّر اسم عبد الكعبة[4] مع الجواز أن يكون للكعبة خادم، أو يلقب رجل بخادم الكعبة، لأن كلمة العبد يتضمن معنى العبادة التي فيها كمال الذل مع غاية المحبة، والعبادة لا يستحقها أحد دون الله ﷻ، فلا تجوز التسمية بالتعبيد لغير الله، وأما كلمة خادم؛ فلا تتضمن معنى العبودية من كمال الذل مع غاية المحبة؛ فيجوز هذا، دون ذلك.

موقف الإسلام من انحرافات النوع الثاني: وهو التعبيد في الأسماء لصفة من صفات الله ﷻ .

لم تثبت التسمية بالتعبيد لصفة من صفات الله في القرون المفضلة، لأن في التعبيد للصفة، نسبة العبودية إلى ذلك الصفة، وهذا النوع من الانحرافات وإن كان أخف من

---

(١) يُنظر: المستدرك للحاكم٣/٥٨٠ برقم (٦١٤٦)،و٣/٥٧٩ برقم(٦١٤١)، وأسد الغابة لابن الأثير٦/٣١٤ برقم (٦٣٢٦) والاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٧٦٩ برقم (٣٢٠٨)، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٢/٢٣٧ برقم (٨٧٧٣).

(٢) أسد الغابة لابن الأثير٦/٣١٤ برقم (٦٣٢٦).

(٣) سبق نماذج من هذا النوع في بداية المبحث الثالث.

(٤) يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٢/٨٣٧، وأسد الغابة لابن الأثير٣/٤٧٥، والإصابة لابن حجر٤/٢٨٩.

التعبيد للمخلوقين، لكن التسمية بها غير جائزة مثل التسمية التي فيها التعبيد لمخلوق من مخلوقات الله، وسبب هذه التسميات الجهل -غالبا- وعدم التميز بين جواز إضافة العبودية إلى اسم من أسماء الله ﷻ، وعدم جوازها إلى صفة من صفاته ﷻ، وهذا أحد الفروق التي يُفَرّق بها بين أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، حيث يجوز التعبيد إلى اسم من أسماء الله بأن يسمى رجل بعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد السميع ونحوها، ولا يجوز أن يسمى رجل بعبد الرحمة ولا عبد السمع، ولا عبد الكلام، ولا عبد الجلال، ولا عبد الكرم، أو عبد الإكرام ونحوها من التسميات التي فيها التعبيد لصفات الله العليا.

وذلك لأن الصفة غير الموصوف باعتبار أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة، بل هي غيرها، فمثلا الرحيم: فهو ذات موصوفة بصفة الرحمة، والرحمة غير ذلك الذات التي وصفت بالرحمة، والسميع: ذات وُصفت بصفة السمع، فالسمع غير الذات الموصوفة بالسمع، وهكذا المتكلم: يدل على صفة وذات متكلمة، ومعلوم أن الكلام غير المتكلم، وهكذا في جميع الصفات التي وصف بها الرب ﷻ فالغفور غير المغفرة، والكريم غير الكرم؛ فيصح التعبيد لذلك الذات، ولا يصح التعبيد للصفة؛ فيصح أن يسمى رجل بعبد الرحيم، ولا يصح أن يسمى بعبد الرحمة، وأن يسمى آخر بعبد الغفور، ولا يصح أن يسمى بعبد المغفرة، ويصح أن يسمى بعبد الكريم، ولا يصح أن تسمى بعبد الكرم.

وهذا مثل الدعاء والنداء، فيصح أن يقول أحد: يا غفور اغفر لي، ويا رحمن ارحمني، ولا يصح أن يقول: يا مغفرة الله اغفر لي، ويا رحمة الله ارحمني.فهكذا لا يصح أن يتعبد أحد لصفة من صفات الله.مع أنه لا يتصور ذات مجردة من الصفات، ولا الصفات قائمة بنفسها مستقلة عن الذات، بل لابد أن تكون الذات متصفة بالصفات، ولا بد للصفات أن يكون قائمة بالذات هذا من جهة.

ومن جهة أخرى من يتعبد لصفة من صفات الله ﷻ، فلم يتعبد لله تعالى، لأن الله متصف بجميع صفات الكمال، لا بعضها، فمن يتعبد لبعض صفاته، فهو لم يتعبد لله، وإنما تعبد لهذه الصفة فقط، لا الموصوف بها.

وسئل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- سؤالا قريبا من هذا: هل عبادة الإنسان لصفة من صفات الله يعد من الشرك وكذلك دعاؤها؟

فأجاب -رحمه الله- بقوله: «عبادة الإنسان لصفة من صفات الله، أو دعاؤه لصفة من صفات الله من الشرك، وقد ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لأن الصفة غير الموصوف بلا شك، وإن كانت هي وصفه، وقد تكون لازمة، وغير لازمة، لكن هي بلا شك غير الموصوف، فقوة الإنسان غير الإنسان، وعزة الإنسان غير الإنسان، وكلام الإنسان غير الإنسان، كذلك قدرة الله ﷻ ليست هي الله، بل هي صفة من صفاته فلو تعبد الإنسان لصفة من صفات الله لم يكن متعبداً لله؛ وإنما تعبد لهذه الصفة لا لله ﷻ والإنسان إنما يتعبد لله ﷻ.﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[1]والله ﷻ موصوف بجميع صفاته فإذا عبدت صفة من صفاته لم تكن عبدت الله ﷻ؛ لأن الله موصوف بجميع الصفات»[2].

---

(١) سورة الأنعام (١٦٢).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/١٦٤(٢٤٤).

الباب الثالث

الباب الثالث

الانحرافات المتعلقة بأعمال الجوارح عدا اللسان، في إقليم سرحد في (باكستان)، وموقف الإسلام منها، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: الانحرافات المتعلقة بالركوع والسجود، وموقف الإسلام منها.

الفصل الثاني: الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف، وموقف الإسلام منها.

الفصل الثالث: الانحرافات المتعلقة بالطواف ، وموقف الإسلام منها.

الفصل الرابع: الانحرافات المتعلقة بالذبح، وتقديم القرابين، وموقف الإسلام منها.

الفصل الخامس: الانحرافات المتعلقة بالتمائم، وموقف الإسلام منها.

الفصل السادس: الانحرافات المتعلقة بتقديس الأزمنة، والأمكنة، وغيرها، وموقف الإسلام منها.

الفصل الأول

الانحرافات المتعلقة بالركوع والسجود، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الركوع والسجود، وأنواعهما.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالركوع، والسجود.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى الركوع والسجود، وأنواعهما.

إن الركوع والسجود من أفضل الأفعال اللاتي امتدح الله بها النبي ﷺ وأصحابه ﭫ، ووصفهم بهما في التوراة والقرآن، فهما من أجل أنواع العبادات البدنية، قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ ﴾[1]، وبهما أمر الله ﷻ مريمَ ابنةَ عمران حيث قال تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[2]، وفي هذا المبحث بيان لمعناهما لغة وشرعا، ثم بيان أنواعهما، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: معنى الركوع والسجود.

أولا: معناهما لغة.

أصل الكلمتين:

الركوع: (الراء، والكاف، والعين) أصل واحد يدل على الانحناء، يقال: ركع الرجل، إذا انحنى، وكل منحنٍ راكع[3].

السجود: (السين، والجيم، والدال) أصل واحد يدل على التطامُنِ[4] والتذلل[5].

تصريف الكلمتين:

الركوع: مصدر من رَكَع يَرْكَعُ رَكْعاً، ورُكُوعاً بفتح الكاف في الماضي والمضارع[6].

---

(١) سورة الفتح (٢٩).

(٢) سورة آل عمران (٤٣).

(٣) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٤٢٠.

(٤) **التطامن:** هو الانحناء، يقال: طامَنَ ظهره، أي حناه.تاج العروس للزبيدي ٣٥٩/١٨، ولسان العرب لابن منظور ٦٤٦/٥.

(٥) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٥٠٥.

(٦) لسان العرب لابن منظور ٢٣٢/٤.

والسجود: مصدر من سَجَدَ يَسْجُدُ سجودا، فالعبد ساجد، والله ﷻ مسجود له(١).

معنى الكلمتين:

أصل السجود التَّطامن والتذلّل، وجُعِل ذلك عبارة عن التذلّل لله وعبادته، وورد في القرآن الكريم على معانٍ(٢)منها:

١- بمعنى الصّلاة، كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٣) أي يصلّي.

٢- بمعنى الخضوع والانقياد، كما في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾(٤)أي يخضعان.

٣- بمعنى الرّكوع، كما في قوله: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾(٥)أي رُكّعاً.

٤- بمعنى سجود الصّلاة، كما في قوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾(٦).

أما الركوع: فأصله الانحناء، ويستعمل على معانٍ منها:

١- بمعنى الهيئة المخصوصة في الصلاة.

٢- بمعنى التواضع والتذلل، إما في العبادة وإما في غيرها(٧).

٣- بمعنى السجود كما في قوله تعالى عن داود ﷺ: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾(٨).

٤- بمعنى الافتقار بعد الغنى، ومنه قول الشاعر(٩):

لا تُهِينَ الفقير علّك أنْ * تركع يوما والدهر قد رفعه(١٠).**

---

(١) يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٤/٤٩٦. والمعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد باسل السود ص: ٦٣٨.

(٢) بصائر ذوى التمييز للفيروز أبادي٣/١٨٩.

(٣) سورة الرعد (١٥).

(٤) سورة الرحمن (٦).

(٥) سورة البقرة (٥٨).

(٦) سورة العلق (١٩).

(٧) المعنى الأول والثاني ذكرهما الراغب في المفردات ص:٣٦٤، ونقل عنه الزبيدي في تاج العروس١١/١٧٧.

(٨) سورة ص (٢٤).

(٩) البيت للأضبط بن قريع. يُنظر: تاج العروس للزبيدي١١/١٧٧.

(١٠) لسان العرب لابن منظور٤/٢٣٣، وتاج العروس للزبيدي ١١/١٧٧.

ثانيا: معنى الركوع والسجود شرعا:

اختلفت تعريفات الفقهاء لهما وذلك لاختلافهم في وجوب الطمأنينة فيهما، فمن أوجبها ذكر في التعريف ما يدل على ذلكن ومن لم يوجبها أخلى التعريف عن هذا القيد.

فقال أبو حنيفة -رحمه الله-: لا تجب الطمأنينة فيهما؛ لأن الاسم ينطبق عليهما بدون الطمأنينة[١].

وقال الجمهور تجب الطمأنينة فيهما لحديث «**لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود**»[٢].

فالركوع عند الجمهور: «مد الظهر والرأس في موازاة الأرض بالصفة المعلومة»[٣]، أو« أن يخفض المصلي رأسه بعد قومة القراءة؛ حتى تنال راحتاه ركبتيه، ويطمئن ظهره، ويستوي»[٤].

والسجود عندهم: «أن يجعل المصلي قدميه وركبتيه وكفّيه وجبهته على الأرض بالصفة المعلومة» [٥].

والركوع عند أبي حنيفة -رحمه الله-: «الانحناء عبادة، وتواضعا، ونحوه»[٦]، **والسجود عنده:** وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة»[٧].

---

(١) المحيط البرهاني في الفقه النعماني لابن مازة، الفصل السادس عشر فصل في الركوع١/٣٣٦، وبدائع الصنائع للكاساني فصل في الواجبات الأصلية في الصلاة١/١٢٨.

(٢) سنن النسائي كتاب الافتتاح باب إقامة الصلب في الركوع ص: ١٦٨(ح١٠٢٧).وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن النسائي للألباني ١/٣٣٤(ح١٠٢٦).

(٣) الجامع لأحكام الصلاة لمحمود عبد اللطيف عويضة٢/١٢٨.

(٤) القاموس الفقهي لسعدي أبي حبيب ص:١٥٣ ويُنظر: لسان العرب لابن منظور٤/٢٣٢.

(٥) الجامع لأحكام الصلاة لمحمود عبد اللطيف عويضة٢/١٢٤.

(٦) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ٣/٩٨، وينظر رد المحتار لابن عابدين١/٤٨٢.

(٧) تفسير أبي سعود الحنفي١/١١٧، وحاشية الشهاب الحنفي على البيضاوي ٢/٢٠٢، وحاشية القونوي الحنفي على تفسير البيضاوي٣/١٦٤، روح البيان لإسماعيل الحقي الحنفي ١/١٠٣، كلهم عند تفسير الآية (٣٤) من سورة البقرة، وينظر: رد المحتار لابن عابدين ١/٤٨٢.

المطلب الثاني: أنواع الركوع والسجود.

ينقسم السجود بالنظر إلى نية الفاعل إلى نوعين:

١- سجود تحيةٍ وإكرامٍ، وهو الذي لا يريد فاعله عبادة من سجد له، بل يقصد تكريمه، قال بعض العلماء: هذا كان جائزا في الأمم السابقة، وحُرِّم في شريعة محمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم[١].

٢- سجود عبادة، وهو الذي يريد فاعله عبادة من يسجد له، اتفق العلماء على عدم جواز هذا النوع من السجود لغير الله في جميع الأمم[٢].

ونقل الرازي -رحمه الله- إجماع المسلمين على أن سجود الملائكة لآدم ﷺ لم يكن سجود عبادة؛ وعلل ذلك بقوله: «لأن سجود العبادة لغير الله كفر، والأمر[من الله تعالى] لا يَرِدُ بالكفر»[٣].

ويلحق الركوع بالسجود نوعا وحكما، أي الركوع أيضا يمكن تقسيمه بهذين الاعتبارين إلى هذين القسيمين، وذلك لأن الركوع قد يأتي بمعنى السجود كما في قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[٤] وقد يأت السجود بمعنى الركوع كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾[٥] أي رُكّعاً؛ فالركوع والسجود سواء كانا تعظيما، وتحية، أم كانا بنية العبادة محرمان لغير الله في أمة محمد ﷺ لحديث معاذٍ رضي الله عنه لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ قال: «**ما هذا يا معاذ؟**» قال: أتيت الشامَ فوافقتهم

---

(١) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير١/٣٥٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي١/٤٣٧ عند تفسير أية (٣٤) من سورة البقرة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٤٣٦.

(٣) التفسير الكبير للرازي ٢/٢٣٠.

(٤) سورة ص (٢٤).

(٥) سورة البقرة (٥٨).

يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم[1]، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تفعلوا. فإني لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها...**»[2]، فقد نص النبي ﷺ في هذا الحديث على تحريم السجود لغير الله مهما كانت نية الساجد.

---

(١) **الأساقفة والبطارقة**: الأساقفة جمع الأُسْقُفْ وهو: عالم ورئيس من علماء النصارى ورؤسائهم، وهو اسم سرياني، والأُسْقُفُ فوق القِسِّيْسِ دون المَطْرَانِ. **والبطارقة**: جمع بِطْرِيقٍ وهو الحاذق بالحرب وأمورها، ويكون تحت قيادته عشرة آلاف رجل، يُنظر: النهاية لابن الأثير ١/١٤١، و١/٧٨٧ والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص:٧٥٦، وص: ٨٠٠، ومختار الصحاح للرازي ص:٢٣، وص:١٢٨.

(٢) رواه ابن ماجة كتاب النكاح باب حق الزوج على المرأة ص: ٣٢٣(ح١٨٥٣)، والإمام أحمد في مسنده ٤/٣٨١ وقال الألباني:حسن صحيح.يُنظر: صحيح سنن ابن ماجة للألباني٢/١٢١.

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالركوع، والسجود.

إن الركوع والسجود من أفضل العبادات البدنية، وأمر الله أنبياءه بتطهير البيت للراكعين والساجدين، قال تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1]؛ لأن بهما يحصل الخضوع التام والذل الكامل اللذان هما أصل العبودية؛ فلا يجوز صرفهما لغير الله ﷻ، ولكن بعض الناس في إقليم سرحد في باكستان انحرفوا في هذا المجال، وانحرافاتهم هذه ليست على منوال واحد، بل يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

الانحراف الأول: فعل الركوع والسجود للأنبياء والأولياء وقبورهم.

قال الشيخ محمد يوسف اللديانوي -رحمه الله- وهو يبين حال بعض الناس: (فتعالوا وانظروا ما يفعله العوام الجُهال على القبور من افتراش الغطاء عليها، وإسراج السرج عليها، والسجود لها، والطواف حولها، وتقبيلها، ومسح الجبين والعيون بها، والوقوف عندها كما يقف المصلي حالة القيام في الصلاة [بين يدي ربه]من وضع اليد اليمنى على اليسرى، والركوع عندها، والنذر لها، وغير ذلك، وإذا كنت قد ذهبت إلى قبور بعض الأولياء والصالحين لرأيت هذا بعينك، والحال أن كتبنا (أهل السنة وأئمة الأحناف) سطروا أن هذه الأمور كلها غير جائزة)[2].

وقال أيضا: (إن الجهال يسجدون للقبور، ويطوفون حولها، ويقبلون العتبات، وهذه الأفعال كلها غير جائزة شرعا، ونص أئمتنا من أهل السنة على تحريم هذا الفعل؛ لأن الطواف والسجود، والركوع، والوقوف -آخذاً اليد اليسرى باليمنى- هذه الصور كلها من صور العبادات، و لم يجز شرعنا مثل هذا التعظيم نحو القبور؛ حتى يصل إلى حد عبادتها)[3].

---

(١) سورة البقرة (١٢٥).

(٢) ((اختلاف أمت)) للديانوي بالأردية ص:٦٢ وبالبشتو ص:٨٦.

(٣) ((اختلاف أمت)) للديانوي بالاردية ص:٦٧-٦٨ وبالبشتو ص:٩٠-٩١.

ومما يُثبت وجود السجود إلى القبور لدى بعض الناس الاستفتاءات التي ترد على بعض العلماء والمشايخ: (إن فلانا يسجد للقبور فما حكمه)(١).

وقد جوز بعض الناس سجود التعظيم لغير الله، حتى ألف أحدهم كتابا سماه (تدخيل الجحيم لمنكر سجدة التعظيم)(٢).

وقال غيره في تأويل قول النبي ﷺ: ((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))(٣): (وهذا اللعن على تقدير أن يتوجه المصلي إلى القبر من أجل تعظيمه، وهذا ممنوع بالاتفاق، وأما اتخاذ المسجد بجوار رسولٍ أو صالحٍ، وأداء الصلاة عند قبره، لا بقصد تعظيم القبر، ولا التوجه إلى القبر، بل بنية حصول المدد منه؛ حتى يكمل أجر العبادة ببركته، وقرب مجاورة روحه الطاهرة، فلا بأس في ذلك)(٤).

وأما علماء الرافضة فتجدهم يحثّون على الركوع والسجود للقبور حيث يقول أحدهم وهو يبين آداب زيارة القبور: ((العاشر: تقبيل العتبة العالية المباركة...ولو سجد الزائر، ونوى بالسجدة الشكر لله تعالى على بلوغه تلك البقعة كان أولى... [ثم قال الرافضي:] فإذا فرغ من الزيارة؛ فليضع خدّه الأيمن على الضريح ويدعو الله بتضرع، ثم ليضع خدّه الأيسر ويدعو الله بحق صاحب القبر أن يجعله من أهل شفاعته))(٥).

---

(١) ينظر أمثلة هذه الاستفتاءات الواردة على العلماء ((فتاوى رشيدية)) لرشيد أحمد الجنجوهي باللغة البشتو ص: ١١٥، وفتاوى دار العلوم ديوبند لعزيز الرحمن١/١١٥،١١٣، ١٢٥ وما بعدها، وفتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع ٢/١٦٥، و١٦٦ وما بعدها

(٢) لم أطلع على هذا الكتاب، ولكن ذكره حمد الله الداجوي في معرض الإنكار عليه.يُنظر: ((مقدمة القرآن)) من ملفوظات حمد الله الداجوي ص: ٨.

(٣) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الصلاة باب٥٥ ج١/٦٨٩(ح٤٣٦)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور٥/١٧ (ح١١٨٧).

(٤) كتاب ((ردّ وهابي)) لمحمود البشاوري ص: ٣٣.

(٥) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٣٧٧.

وقال أيضا في زيارة العباس بن علي بن أبي طالب -رحمه الله-: ((من المستحسن أن يزار بهذه الزيارة خلف القبر مستقبل القبلة[1]... ثم أدخل فانكب على القبر، وقل وأنت مستقبل القبلة: السلام عليك أيها العبد الصالح... ثم انْحَرِفْ إلى عند الرأس فصلِّ ركعتين، ثم صل ما بدا لك...))[2]، فيسمون السجود انكبابا تلبيسا على الناس، وأما الصلاة عند الرأس فيقصدون بذلك، الصلاة إلى زاوية القبر متجها فيها رأس الميت، كما فسرها الرواية الأخرى عندهم[3].

هذه النقولات وغيرها تحث على الركوع والسجود للأنبياء والمشايخ والقبور، وقد شاهدنا كثيرا من الرافضة وغيرهم يسجدون ويركعون للمشايخ والقبور، ويَحْبُونَ نحوها حَبْواً [4]، ويرجعون منها متقهقرين[5] ومُتَكَفِّرين[6] استنادا إلى هذه النقولات ظانين أنهم يعظمونهم، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، ومن شاهد حالهم عند زيارات المشايخ والمقابر، لشاهد الشيء الكثير من هذا النوع. والعياذ بالله.

---

(١) وكيفية هذه الصورة: أن يكون القبر بينك وبين القبلة، والله أعلم.

(٢) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٥٠٩.

(٣) أجاب أحدهم عن سؤال: ((هل يجوز لمن صلّى عند بعض قبورهم -عليهم السلام- أن يقوم وراء القبر، ويجعل القبر قبلة، أم يقوم عند رأسه أو رجليه؟ وهل يجوز أن يتقدم القبر، ويجعل القبر خلفه؟ فأجاب...أما الصلاة فإنها خلفه، ويجعل القبر أمامه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره؛ لأن الإمام -صلى الله عليه- لا يُتقدم عليه، ولا يساوى)) اهـ.أصول مذهب الشيعة للقفاري محيلا إلى الاحتجاج للطبرسي٢/٣١٢ط النجف، وبحار الأنوار للمجلسي١٠٠/١٢٨.

(٤) **الحَبْوُ**: أن يمشيَ على يديه وركبتيه. النهاية لابن الأثير ص:٣٣٠.

(٥) **المتقهقر**: هو من يمشي قهقرا، وهو المشي إلى الخلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه. يُنظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٥٠٦.

(٦) **التكفير**: أن ينحني الإنسان، ويطأطئُ رأسه قريبا من الركوع، كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه.يُنظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٢/٥٥٢.

الانحراف الثاني: السقوط والانحناء إلى رجلي الإنسان أدباً.

إن بعض الناس عندما يريدون تعظيم واحترام أناس مُعَيَّنين، أو عندما يندمون على ما حصل منهم في شأنهم من سوء أدب ونحو ذلك؛ يلقون أنفسهم بين أيديهم، ويسقطون أنفسهم إلى أرجلهم إرضاءاً لهم، وهذا النوع من التذلل والانكسار لا يجوز لغير الله.

ومما يؤكد وجود هذا الشيء عند البعض تجاه المشايخ قول البعض: (وبعض الناس يبالغون في تعظيم المشايخ، حتى يسجدون لهم تعظيما)(١).

ولقد شاهدت كثيرا الانحناء من جهلة العوام، والسقوط إلى رجلي مشايخ الصوفية تأدبا(٢)، ونقل بعضهم: (السقوط إلى رجلي الوالدين أدبا جائز)(٣).

قال الشيخ زاهدي أحمد زئي وهو يذكر بعض الانحرافات: (وعند البعض عادة وهي: أن العروسة إذا زُفَّت إلى بيت زوجها، فتجلس في غرفتها الخاصة على منصّتها أو سريرها إلى ثلاثة أيام أو نحوها، وإذا دخل عليها والد زوجها أو أمه أو أخوه الأكبر ونحو

(١) يُنظر: ((تصوف او سلوك)) تأليف ذوالفقار أحمد النقشبندي، ترجمته (بالبشتو) لمحمد قاسم المجددي ص: ١١٤.

(٢) ومنها ما كان عام ١٤٢٨هـ في العُرْسِ على المزار الجديد المنسوب لعبد الشكور ملنگ بابا -أحد الصوفية بشاور- الواقع على الشارع الرئيسي العام (جی ٹی روڈ) في شمكني بشاور من إقليم سرحد في باكستان، وذلك بعد أن تمّ الرقص الشديد المصاحب مع الضرب القوي بالدفوف، والقصائد المدحية، والاستغاثات بالنبي ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعد الصعود إلى الغرفة التي فيها القبر المزعوم، وافتراش الزهور والستور على القبر، وعقب الدعاء العام من الشيخ الصوفي -(الذي كان يتم العُرس تحت رعايته) بدأ بعض الجهلة يُقَبِّلون أيدي الشيخ الصوفي، ويسقطون إلى رجلي الشيخ، ثم ذهب الشيخ وبدأ الجهال يسجدون القبر المزعوم، وأحيانا يضعون وجوههم عليه، مع الأذكار والأوراد الصوفية، وتكرار كلمة التوحيد: لا إله إلا الله.

(٣) الدر النظيم لنادر شاه ص:٣٦.

ذلك من كبار أهل الزوج، قامت وألقت نفسها إلى رجلي ذلك الداخل؛ فيعتبر عندهم هذه العروسة مؤدبة) [1].

الانحراف الثالث: وضع الجبهة في السجود على ما يسميه الرافضة بالتربة الحسينية.

وهذا الانحراف ينتشر بكثرة في الرافضة، حيث يحملون معهم شيئا خاصا للسجود عليه، ويقولون: إنه من أرض كربلاء المقدسة[2]، وغالبا يكون من الطين أو الحجر ويسمونها "التربة الحسينية[3]" ويعتقدون لها فضلا كبيرا، ويروون فيها روايات منسوبة إلى بعض أئمتهم كقولهم في تراب قبر الحسين ﷺ: ((لتربته الشريفة فوائد جمة منها: جعلها مع الميت في اللحد، واستحباب كتابة الأكفان بها، واستحباب السجود عليها))[4]. وكقولهم: ((إن السجود عليها يخرق الحجب السبعة، أي يورث قبول الصلاة عند ارتقائها السماوات)) [5].

وللتربة الحسينية صور وأشكال، منها مصنوعة من الطين في قالب على شكل دائرة، أو مربعة أو مستطيلة، تكون كبيرة بحجم الكف، أو أصغر منه، وغالبا تكون الاستغاثة بغير الله مكتوبة عليها، وقد تكون على شكل السبحة فيضعونها في موضع السجود ليسجد عليها، وقد يكون حجرا مسطحا مُمَلَّساً على قدر الكف أو أصغر منه، وهذه التربة يبيعونها في مراكز الحسينات.

الانحراف الرابع: أداء السجدة الواحدة بعد السلام من الصلاة المكتوبة وغيرها.

إن بعض الناس في إقليم سرحد باكستان يسجدون سجدة واحدة (باسم سجدة التوبة عند البعض، وسجدة الشكر عند الآخرين)، وهي تكون بعد أداء الصلاة المكتوبة

---

(١) ((ناروا بدعتونه)) لزاهدي أحمدزئي ص: ٢٦٢.

(٢) سيأتي الكلام في الفصل السادس من هذا الباب على أن أرض كربلاء ليس من الأمكنة المقدسة.

(٣) وهي التراب المأخوذ من قبر الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، ولم يكتف الرافضة بالقبر وما جاوره، بل قالوا: ((يستشفى بما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال)). مفاتيح الجنان للقمي ص: ٥٤٥.

(٤) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٥٤٦.

(٥) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٥٤٦.

غالبا، ويطولون المكث في وضع الرأس على الأرض، ويدعون ما بدا لهم من الأدعية والاستغفار، ثم يرفعون رؤوسهم، وينصرفون.

قال الشيخ زاهدي: (وبعض الناس يسجدون بعد أداء الصلاة باسم سجدة التوبة، وهذه بدعة لا أساس لها في الشرع)[١].

وبعض الناس لا يسجدونها باسم سجدة التوبة، وإنما يسجدون بعد السلام سجدة أو سجدتين مفردتين باسم سجدة الشكر، ولعلهم رأوا أو سمعوا ما يرويه الرافضة في كتبهم كقولهم: «والأفضل ما كانت هذه السجدة[يعني سجدة الشكر] بعد الصلاة شكرا لتوفيق الله تعالى لأدائهما» [٢].

وكقولهم المنسوب إلى جعفر الصادق -رحمه الله-: «سجدة الشكر **واجبة** على كل مسلم تتم بها صلواتك، ترضي بها ربك، تعجب لها الملائكة منك، وإن العبد إذا صلّى ثمّ سجد سجدة الشكر؛ فتح الرب تعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة، فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدّى فرضي، وأتمّ عهدي، ثم سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه. ملائكتي ما ذا له؟ قال: فتقول الملائكة: يا ربنا! رحمتك، ثم يقول الرب تبارك وتعالى:ما ذا له؟ فتقول الملائكة: يا ربنا جنتك. فيقول الرب تبارك وتعالى: ما ذا؟ فتقول الملائكة: يا ربنا كفاية مهمة. فيقول الرب تبارك وتعالى: ما ذا ؟ قال فلا يبقى شيء من الخير إلا قالته الملائكة، فيقول الله تبارك وتعالى: يا ملائكتي ثمّ ما ذ اله؟ فتقول الملائكة: يا ربنا لا علم لنا.قال: فيقول الله تبارك وتعالى: أشكر له كما شكر لي، وأقبل إليه بفضلي، وأُرِيهِ رحمتي العظيمة في يوم القيامة»[٣].

---

(١) «ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زي ص: ٤٢.

(٢) كتاب الباقيات الصالحات ضميمة كتاب مفاتيح الجنان كلاهما للقمي سجدة الشكر ص: ٦٨٤.

(٣) كتاب الباقيات الصالحات ضميمة كتاب مفاتيح الجنان كلاهما للقمي سجدة الشكر ص: ٦٨٥.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالركوع والسجود.

إن الركوع والسجود من أجل العبادات، وبهما يتقرب العبد إلى ربه، وبها تتساقط عنه الذنوب، لأنهما يدلان على غاية الخضوع والتذلل، وهما من صميم معاني العبودية ولبّها، وبهما يتقرب العبد إلى الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾(١).

وقال النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: ((**إن العبد إذا قام يُصلِّي أُتِيَ بذنوبه، فجعلت على رأسه وعاتقه؛ فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه**)) (٢).

وقال النبي ﷺ: ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**)) (٣)؛ قال النووي -رحمه الله-: ((لأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى، وفيها تمكين أعزّ أعضاء الإنسان وأعلاها -وهو وجهه- من التراب الذي يداس ويمتهن))(٤).

ولا عجب في هذا، لأن مَنْ طأطأ رأسه انكسارا وخضوعا، وأنزله إلى الأرض أو قريبا منه -مع أنه أشرف الأعضاء وأرفعها- فقد أظهر الخضوع التام، وبالغ في التذلل، وأقرَّ بالعبودية لمن يركع ويسجد له.

---

(١) سورة العلق (١٩).

(٢) صحيح ابن حبان مع الإحسان لابن بلبان كتاب الصلاة باب فضل الصلوات الخمس ٢٦/٥ (ح١٧٣٤) وشعب الإيمان للبيهقي في كتاب الصلاة باب٢١ تحسين الصلاة والإكثار منها١٤٥/٣(ح٣١٤٦) وتعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي تحت عنوان: تساقط الذنوب بالركوع والسجود ص: ١٩٩(ح٢٩٣). وصححه الألباني، وشعيب الأرنؤوط، وأبو مالك.يُنظر: السلسلة الصحيحة للألباني ٣٨٧/٣(ح ١٣٩٨)، وتحقيق أبي مالك على تعظيم قدر الصلاة ص: ١٩٩، وتحقيق شعيب الأرنؤوط على الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان ٢٦/٥(ح١٧٣٤).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الصلاة، باب ما يقول في الركوع والسجود ٤٣٢/٤(ح١٠٨٣).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي كتاب الصلاة باب فضل السجود ٤٢٩/٤ عند شرحه لحديث رقم (١٠٩٣).

ومن هنا نرى بعض الفقهاء لا يوجبون الذكر في ركوع وسجود الصلاة؛ لأن كلا منهما خضوع في نفسه لا يستباح إلا للخالق دون المخلوق، فلم يحتج إلى ذكر يُمَيِّزه عن أفعال المخلوقين بخلاف القيام والقعود، فإنهما مما تشترك فيه العبادة والعادة، فاشترط فيهما الذكر لتمتاز العبادة عن العادة[1].

وقد حرم الشرع الركوع والسجود لغير الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3]، وأمر الله بهما مريمَ -عليها السلام- حيث قال تعالى: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[4]. وقال النبي ﷺ: «**ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد**» [5]، وقال ﷺ: «**لو كنت آمراً أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها...**»[6].

هذه الأدلة وغيرها تنص على تحريم الركوع والسجود لغير الله ﷻ، ومنها يعلم موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالركوع والسجود، وأما التفصيل فهو كالآتي:

---

(١) وقد عرفنا في تعريف الركوع والسجود شرعا، أن الإمام أبا حنيفة -رحمه الله- لا يقول بركنية الطمأنينة فيهما، فمن باب الأولى أن لا يقول بوجوب الذكر فيهما، وقد صرح ابن عابدين -رحمه الله- في رد المحتار (١/٥١٣)و (١/٥٤٣)على أن الذكر في الركوع والسجود من سنن الصلاة، «**فلو تركه، أو نقصه كره تنزيهًا**».ويُنظر كذلك: المجموع شرح المهذب للنووي صفة الركوع ٣/٣٨١، وصفة السجود ٣/٤٠٨، والحاوي الكبير للماوردي٢/١١٩.

(٢) سورة فصلت (٣٧).

(٣) سورة الحج (٧٧).

(٤) سورة آل عمران (٤٣).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب النكاح باب معاشرة الزوجين٩/٤٧٠ (ح٤١٦٢)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح».

(٦) تقدم تخريجه ص: ٦١٦.

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو فعل الركوع والسجود للأنبياء والأولياء ولقبورهم.

إن الإسلام منع السجود لغير الله مهما كان ذلك الغير سواء كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا أو رجلا صالحا، وقد أغلق النبي ﷺ باب التأويل في هذا المجال حيث قال صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد**»(1).

وفي الحديث «كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنُون عليه(2)، وإن الجمل استصعب عليهم؛ فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ؛ فقالوا: إنه كان لنا جمل نُسْنِي عليه، وإنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع، والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا**» فقاموا. فدخل الحائط والجمل في ناحية؛ فمشى النبي ﷺ نحوه. فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلبِ الكلب، وإنّا نخاف عليك صولته(3)، فقال: «**ليس عليَّ منه بأس**» فلما نظر الجملُ إلى رسولِ الله ﷺ أقبلَ نحوه حتى خر ساجدا بين يديه؛ فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله! هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل؛ فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: «**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها...**»(4)

وفي حديث معاذ لما قدم من الشام وسجد للنبي ﷺ قال له النبي ﷺ: «**ما هذا يا معاذ؟**» قال: أتيت الشامَ فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم(5)، فوددت في نفسي

---

(1) تقدم تخريجه قريبا في ص: ٦٢٤.

(2) **يَسْنُون**: أي يسقون بها الزرع، ومعنى نُسْنِي عليه: أي نستقي عليه، ومنها حديث ما سُقِيَ بالسواني ففيه نصف العشر، والسواني جمع سانية وهي الناقة التي يستقى عليها. النهاية لابن الأثير١/٨١٨.

(3) **الصولة**: الحملة والوثبة. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٦٠.

(4) رواه الإمام أحمد في مسنده٣/١٥٨، وقال محققو المسند: صحيح لغيره. يُنظر: المسند المحقق بإشراف شعيب الأرنؤوط٢٠/٦٥(ح١٢٦١٤).

(5) تقدم تعريف الكلمتين في ص:٦١٦.

أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ﷺ: «**فلا تفعلوا. فإني لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لغير الله؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها...**»(١).

قال المناوي -رحمه الله-: «فيه تعليق الشرط بالمحال؛ لأن السجود قسمان: سجود عبادة، وليس إلا لله وحده ولا يجوز لغيره أبدا، وسجود تعظيم وذلك جائز[في الأمم السابقة] فقد سجد الملائكة لآدم تعظيما، وأخبر المصطفى ﷺ أن ذلك لا يكون[أيضا في أمته] ولو كان، لجعله للمرأة في أداء حق الزوج» (٢).

فإذا لم يَجُزْ للمرأة أن تسجد للزوج -مع عظم حقه عليها- لا يجوز بحال لغيرها أن يسجد لغير الله لا سجدة تعظيم، ولا تكريم ولا غيرها، ولذا ردّ بعض العلماء على من يُجَوِّزُ سجدة التحية والتعظيم لغير الله في مقالة سماها (المقالة المرضية في حكم سجدة التحية)(٣).

• وأما تأويل بعض المخالفين لحديث: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٤) بقولهم: اتخاذ المسجد بجوار رسولٍ أو صالحٍ، وأداء الصلاة عند قبره، لا بقصد تعظيم القبر، ولا التوجه إلى القبر، بل بنية حصول المدد منه؛ حتى يكمل أجر العبادة ببركته، وقرب بمجاورة روحه الطاهرة، فلا بأس في ذلك.

فتأويلهم هذا باطل، ترده النصوص الصريحة في منع الصلاة بجوار القبر وإن لم يكن وجه المصلي إلى جهة القبر منها:

١- حديث «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**»(٥).

---

(١) تقدم تخريجه ص: ٦١٦.

(٢) فيض القدير للمناوي حرف اللام ٣٢٩/٥(ح٧٤٨١)، وما بين المعكوفين أدخلته للإيضاح.

(٣) يُنظر: فتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع (بالعربية)١٦٧/٢، وينظر: ترجمة المقالة (بالأردية) المسماة بـ «أعدل التعليم في حكم سجدة التعظيم» في فتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع ١٧٢/٢.

(٤) تقدم تخريجه في التمهيد أسباب الانحرافات، الفرع الخامس ص: ٩٦.

(٥) رواه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة ص: ٩٠ (ح٤٩٣)، و الترمذي في سننه كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ص: ٨٩ (ح٣١٧)، وابن ماجه في سننه كتاب المساجد باب المواضع التي تكره فيها الصلاة ص: ١٤٢(ح٧٤٥)، =

٢- حديث «**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورا**»(١)، قال ابن حجر -رحمه الله- في شرح ترجمة الباب للبخاري -رحمه الله-: باب كراهية الصلاة في المقابر: «استنبط من قوله: "**لا تتخذوها قبورا**"أن القبور ليست بمحلٍّ للعبادة؛ فتكون الصلاة فيها مكروهة، وكأنه أشار إلى ما رواه أبو داود والترمذي"**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**(٢)" رجاله ثقات» (٣).

٣- حديث أنس ﷺ «**أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة بين القبور**» (٤).

فهذه الأحاديث صريحة في النهي عن الصلاة عند المقابر بأية نية كانت، والنهي للتحريم، لأن علة النهي سببان: «**أحدهما**: كونها ذريعة إلى الشرك بعبادة أصحابها، بصرف شيء من أنواع العبادة لهم، أو ظن فضل الصلاة في تلك البقاع على غيرها لأجل القبر ونحو ذلك من الأمور الفاسدة.**والآخر**: مشابهة اليهود والنصارى المتخذين قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، وقد نهينا عن مشابهتهم في دقيق الأمور فكيف بعظامها» (٥).

وأما قول المخالف: «اتخاذ المسجد بجوار رسولٍ أو صالحٍ، وأداء الصلاة عند قبره، **لا بقصد تعظيم القبر، ولا التوجه إلى القبر، بل بنية حصول المدد منه؛ حتى يكمل أجر**

=

والحاكم في المستدرك كتاب الإمامة باب التأمين١/٣٨٠(ح٩٢٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «وأُعِلَّ بالإرسال، لكنه جاء من طريق أُخرى سالمة من الإرسال وهي على شرط مسلم».يُنظر: أحكام الجنائز للألباني ص: ٢٧٠، الثمر المستطاب للألباني١/٣٥٧.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الصلاة باب كراهية الصلاة في المقابر١/٦٨٤ (ح٤٣٢)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته ٦/٣٠٨ (ح١٨١٧).

(٢) تقدم تخريجه في الفقرة السابقة ص: ٦٢٦.

(٣) فتح الباري لابن حجر١/٦٨٥ عند شرحه حديث (٤٣٢.

(٤) رواه البزار في مسنده في مسند البصريين عن أنس ١٣/١١٢(ح٦٤٨٧)، وابن أبي شيبة في كتاب الرد على أبي حنيفة٢٠/١٧١(ح٣٧٥٣١) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.يُنظر: مجمع الزوائد للهيثمي٢/٢٧، والثمر المستطاب للألباني ١/٣٥٩.

(٥) مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور لعبد العزيز بن فيصل الراجحي ص: ٢٧-٢٨.

العبادة ببركته، وقرب مجاورة روحه الطاهرة، فلا بأس في ذلك» فهذا تأويل يخالفه آخره أوله، لأن الصلاة بنية حصول المدد منه، أو أن اعتقاد أن أجر الصلاة يزيد ويكمل ببركته وقرب مجاورة روحه هو عين التعظيم، فإن لم يكن هو التعظيم فما هو إذن؟.

قال الصنعاني -رحمه الله-: «يقال: قصد التبرك به تعظيمٌ له»[(١)].

وأما ما زعمه المخالف من اعتقاد حصول المدد، والبركة وزيادة أجر الصلاة عند أداءها بجوار القبر، فهذا هو نفسه أحد السببين الذَيْن لأجلهما ورد النهي عن الصلاة في المقابر، لأن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه، أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا تجد أهل الشرك كثيرا يتضرعون عندها، ويخشعون، ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السَّحَر، ومنهم من يسجد لها! وأكثرهم يرجون -بركة الصلاة عندها والدعاء- ما لا يرجونه في المساجد!!.

فلأجل هذه المفسدة: حَسَمَ النبي ﷺ مادَّتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى[ﷺ]عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقاتٌ يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس؛ فنهى أمته عن الصلاة حينئذٍ، وإن لم يقصد المصلي ما قصده المشركون سدا للذريعة.

وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة: فهذا عين المحادّة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه ابتداع دينٍ لم يأذن به الله تعالى، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبر -أي قبر كان- لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا، بل مزية شر[(٢)].

وأما قول بعض الرافضة في الزائر المسافر إلى مزار أحد الأئمة: «ولو سجد الزائر، ونوى بالسجدة الشكر لله تعالى على بلوغه تلك البقعة كان أولى...» وقولهم: «فإذا فرغ من الزيارة، فليضع خدّه الأيمن على الضريح ويدعو الله بتضرع، ثم ليضع خدّه

---

(١) سبل السلام للصنعاني كتاب الصلاة باب المساجد (تغليظ النهي عن اتخاذ القبور مساجد) (ح٢٣٥)

(٢) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١٩٢/٢، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٣٤٩/١، ومجانبة أهل الثبور...لعبد العزيز الراجحي ص: ٣٢-٣٣.

الأيسر...)) وقولهم: ((من المستحسن أن يزار بهذه الزيارة خلف القبر مستقبل القبلة...)) وقولهم: ((ثم أدخل فانكب على القبر، وقل وأنت مستقبل القبلة: السلام عليك أيها العبد الصالح...)) وقوله: ((ثم انحَرِفْ إلى عند الرأس فصلِّ ركعتين...إلى أخر كلامهم كما تقدم كلامهم في بيان الانحرافات، ففيها عدة مخالفات شرعية:

١- السفر إلى المزارات وهو من أشنع البدع وأقبحها، لأن النبي ﷺ قال:((**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**))[١]، وفي رواية أخرى لمسلم((**لا تَشُدُّوا الرِّحالَ**[٢]))-بصيغة النهي، بدل النفي- فالسفر إلى المزارات بأن تُشَدَّ إليها الرحالُ مخالفة صريحة لهذا الحديث.مع أن زيارة القبور من دون السفر وشدّ الرحل سنةٌ يؤجر عليها الزائر.

٢- لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين، ولاعن غيرهم من الصحابة، إنشاء السفر من أجل زيارة شهداء غزوة بدر[٣] أو شهداء بئر معونة[٤] أو غيرهم، وقال النبي ﷺ: ((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**)) [٥].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة٣/٨٢(ح١١٨٩)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الحج، باب لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد٩/١٦٩(ح٣٣٧٠) واللفظ لمسلمٍ.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج ٩/١٠٨(ح٣٢٤٧).

(٣) **غزوة بدر**: هي الغزوة التي كانت في السنة الثانية للهجرة في شهر رمضان، بين مشركي مكة والمسلمين في موضع يسمى بدرا، واستشهد فيها بضعة عشر من الصحابة ﷺ.البداية والنهاية لابن كثير٥/٥٥، وتاريخ الطبري٢/٤٢١ وما بعدها.

(٤) **بئر معونة**: هو بين أرض بني عامر، وحرة بني سليم وكلا البلدين منها قريب، إلا أنها إلى حرة بني سليم أقرب، في طريق المصعد من المدينة إلى مكة، حدث فيها استشهاد سبعين قارئا. بعد معركة أحد.يُنظر: معجم البلدان لياقوت الحموي١/٣٠٢، والرحيق المختوم للمباركفوري ص: ٢٩٣.

(٥) تقدم تخريجه ص: ١٩٢.

٣- السجود عند القبور والصلاة عندها، يشبه عمل اليهود والنصارى، كما قال النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس: ((**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**))[1]، وقال ﷺ مرض موته: ((**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[2]، والمساجد جمع مسجد، وهو ظرف مكان بمعنى مكان السجود؛ فمن يسجد عند قبر نبيٍّ أو وليٍّ لُعِن على لسان الرسول النبي الأُمّيّ ﷺ، ويستحق اللعن لمخالفته لهدي الرسول، وارتكابه السجود عند المقابر -مع ورود النهي في ذلك- ولمشابهته عمل اليهود والنصارى في ذلك.

٤- الصلاة إلى القبر -سواء كان إلى رأسه، أو رجليه أو وسطه- محرمةٌ غير صحيحةٍ بنص قول النبي ﷺ: ((**لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها**))[3]، قال النووي -رحمه الله- ((فيه تصريح بالنهي عن الصلاة إلى القبر))[4].

٥- السجدة التي سماها المخالف سجدة الشكر، قلبٌ للحقائق، وهي ليست بسجدة الشكر؛ لأن سجدة الشكر تكون عند حدوث النعمة؛ فيشكر الله على النعم من فعل الطاعات، وما ينعم الله به على عباده من مصالح الدنيا، لا على المعاصي، كالسفر إلى القبور، والسجدة عند المقابر عمل اليهود والنصارى، واعتداء على جناب التوحيد؛ فإنها ذريعة للشرك؛ لذا حذر منها النبي ﷺ، ولعن فاعلها كما تقدم في الحديث، وإن كانت السجدة لصاحب القبر فلا شك أنها شرك بالله.

٦- وتقليب الوجه على القبر يمينا وشمالا، وتقبيله، والانكباب عليه، كل ذلك لم يرد في الشرع، ولم يفعله الخلفاء الراشدون، ولا أهل بيت النبي ﷺ، ولا غيرهم من الصحابة ﷺ، وكل أمر لم يكن في خير القرون مع وجود المقتضي؛ فلا

---

(١) تقدم تخريجه في التمهيد، أسباب الانحرافات، الفرع الخامس ص: ٧٨.

(٢) تقدم تخريجه في التمهيد، أسباب الانحرافات، الفرع الخامس ص: ٧٨.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه٤٢/٧(ح٢٢٤٨).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ٤٢/٧ عند شرحه لحديث رقم (٢٢٤٨).

يجوز، وفعل ذلك بدعة، وضلالة، وفي مثل هذا قال مالك -رحمه الله-: ((من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1] فما لم يكن يومئذٍ دينا فلا يكون اليوم دينا)) [2].

ولا يصح الاستدلال بالحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده[3]، والحاكم في مستدركه[4] عن عبد الملك بن عمرو العقدي، عن كثير بن زيد، عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان[5] يوماً فوجد رجلاً واضعا وجهه على القبر، فقال أتدرى ما تصنع؟ فأقبل عليه، فإذا هو أبو أيوب[6] فقال: نعم! جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحَجَرَ سمعت رسول الله ﷺ: ((**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله**)) لأن الحديث ضعيف[7] فلا يصح الاستدلال به.

---

(١) سورة المائدة (٣).

(٢) الاعتصام للشاطبي الباب الثاني في ذم البدع ص: ٣٧.

(٣) في ٥/٤٢٢.

(٤) في كتاب الفتن والملاحم٤/٥٦٠ (ح٨٥٧١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي!!.

(٥) **مروان:** هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أبو عبد الملك، ولا يدرى أسمع من النبي ﷺ شيئا أم لا؛ لأنه خرج إلى الطائف طفل لا يعقل، وذلك لأن رسول الله ﷺ كان نفى أباه الحكم إليها، فلم يزل بها حتى ولي عثمان ﷺ فرده، توفي سنة ٦٥هـ يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٣/١٣٨٧ رقم (٢٣٧٠)، والإصابة لابن حجر ٦/٣٠٢ رقم (٨٣٣٧)، وأسد الغابة لابن الأثير ٥/١٣٤٩رقم(٤٨٤٨).

(٦) **أبو أيوب:** هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي النجاري شهد العقبة والمشاهد كلها، وكان مع علي ﷺ ومن خاصته،وغزا أيام معاوية ﷺ أرض الروم مع يزيد بن معاوية سنة٥١هـ وتوفي عند مدينة القسطنطينية.يُنظر: أسد الغابة لابن الأثير٦/٢٢ رقم (٥٧١٤)، والاستيعاب لابن عبد البر٤/١٦٠٦ رقم(٢٨٦٦)، والإصابة لابن حجر٢/١٩٩ رقم (٢١٦٨).

(٧) قال محققو المسند: إسناده ضعيف لجهالة داود بن أبي صالح، وكثير بن زيد مختلف فيه، حسّن القول فيه جماعة وضعّفه الآخرون، وفي متنه نكارة. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣٨/٥٥٨ (ح٢٣٥٨٥)، وقال الشيخ الألباني: ((قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي! و هو من أوهامهما فقد قال الذهبي نفسه[في ميزان الاعتدال ٢/٩ ت(٢٦١٧)]في ترجمة: داود هذا: حجازي لا يعرف، =

وهذا العمل الذي يناقض التوحيد، لا يمكن أن يثبت عن صغار الصحابة الذين رباهم النبي ﷺ على التوحيد، فكيف يصدرمن أبي أيوب الأنصاري وأمثاله من كبار الصحابة، حتى تكون فرصة لمروان للإنكار عليه، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لا يمكن أن يعارض عمل صحابي -إذا صح سنده فكيف إذا لم يصح- الأحاديث الصحيحة الواردة في النهي عن السجود لغير الله، التي طلب فيها بعض الصحابة إذنا من النبي ﷺ في السجود له تحية ، وإكراما -حال حياته ﷺ- فلم يأذن لهم، فكيف يجوز السجود له بعد وفاته صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو السقوط والانحناء إلى رجلي الإنسان أدبا.

إن الإسلام دين أدب واحترام، وأعطى كل ذي حق حقه، من غير زيادة ولا نقصان، وهو الدين الذي بيّن حقوق الآدميين بعضهم على بعض من أب، وأم، وزوج،

=

ووافقه الحافظ ابن حجر في" تهذيب التهذيب"[٣/١٧٠ ت(١٨٧٢)] فأنى له الصحة؟! وذهل عن هذه العلة الحافظ الهيثمي فقال في "المجمع" (٥/٢٤٥): رواه أحمد و الطبراني في "الكبير" والأوسط"، وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد و غيره، وضعفه النسائي وغيره. **قلت**: ثم تبين بعد أن تيسر الرجوع إلى معجمي الطبراني أنه ليس في سنده داود هذا، فأعله الهيثمي بكثير، فقد أخرجه في "الكبير" (٤/١٨٩/٣٩٩٩)، و"الأوسط"(١/١٨/١/٢٨٢) بإسناد واحد، فقال: حدثنا أحمد بن رشدين المصري: حدثنا سفيان بن بشير و في"الأوسط": بشر، وزاد: الكوفي: حدثنا حاتم بن إسماعيل عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله قال: قال أبو أيوب لمروان بن الحكم، فذكر الحديث مرفوعا، وقال: لا يروى إلا بهذا الإسناد، تفرد به حاتم! كذا قال، و قد فاتته متابعة العقدي المتقدمة. وحاتم بن إسماعيل من رجال الشيخين، لكن قال الحافظ: صحيح الكتاب، صدوق يهم. **قلت**: فمن المحتمل أن يكون وهم في ذكره المطلب بن عبد الله مكان داود بن أبي صالح، ولكن السند إليه غير صحيح، فيمكن أن يكون الوهم من غيره، لأن سفيان بن بشير أو بشر، لم أعرفه، وليس هو الأنصاري المترجم في"ثقات ابن حبان"(٦/٤٠٣) وغيره، فإنه تابع تابعي، فهو متقدم على هذا، من طبقة شيخ شيخه (كثير بن زيد)!و لعل الآفة من أحمد بن رشدين شيخ الطبراني، فإنه متهم بالكذب، كما تقدم بيانه تحت الحديث(٤٧)). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني١/٥٥٢(ح٣٧٣).

وقريب، وصديق، وعالم، وكبير، وأمير، وغيره.ولم يرد حديث صحيح واحد يدل على جواز الانحناء والسقوط إلى رجلي نبي، أو غيره، بل ورد المنع من ذلك.

وكان الصحابة أحرص الناس على معرفة ما يجوز وما لا يجوز من الآداب وغيرها فقد سأل أحدهم النبي ﷺ وقال: يا رسول الله! الرجل منا يلقَى أخاه أو صديقه، أينحني له؟ قال:((**لا**)) قال: أفيلتزمه ويُقبِّله؟ قال: ((**لا**)) قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال:((نعم))(١). فالانحناء أدبا وتعظيما، وتحية، محرمة بنص هذا الحديث، كما أن السجدة محرمة بنص من النبي ﷺ كما في الحديث ((**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها...**))(٢)، وليس السجود إلا السقوط إلى الأرض ووضع الجبهة عليها تعظيما وتذللا للمسجود له.

فلا أدب في مخالفة الشريعة التي جاءت بآداب وحقوق، بل الشريعة كلها آداب وحقوق، وصرف الحق إلى غير أهله ظلم عظيم، يُفرِح الشيطان الرجيم، ويُغضِب الرحمن الرحيم.

فقول بعضهم: (السقوط إلى رجلي الوالدين أدبا جائز)، باطل بما تقدم من النصوص، ولذا أنكر علماء المسلمين هذا العمل مع الوالدين وغيرهما وقالوا:

١- ((تقبيل الأرض بين يدي العظماء حرام، [و] أن الفاعل والراضي آثمان)) (٣).

٢-((الانحناء للسلطان أو لغيره مكروه؛ لأنه يشبه فعل المجوس)) (٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة ص: ٦١٣ (ح٢٧٢٨)، الإمام أحمد في مسنده٣/١٩٨. وقال الألباني: ((قال الترمذي: "حديث حسن".**قلت**: وهو كما قال أو أعلا، فإن رجاله كلهم ثقات غير حنظلة هذا فإنهم ضعفوه، ولكنهم لم يتهموه، بل ذكر يحيى القطان وغيره أنه اختلط، فمثله يستشهد به، ويقوى حديثه عند المتابعة)) ثم ذكر -رحمه الله- ثلاث متابعات.يُنظر: السلسلة الصحيحة للألباني١/١٥٩(ح١٦٠)، وقال -رحمه الله- إن جملة (الالتزام) ليس لها ذكر في المتابعات أو الشواهد التي قويتُ الحديث بها.يُنظر: تراجع العلامة الألباني جمع أبي الحسن محمد حسن الشيخ٢/١١٨(ح٢٨١). فالمعني أن النهي عن الانحناء والتقبيل متابع بالشواهد، أو المتابعات، أما الالتزام فليس بمتابع.

(٢) تقدم تخريجه ص: ٥٩٦.

(٣) فتاوى دار العلوم ديوبند لعزيز الرحمن١/١٢٥، محيلا إلى الجامع الصغير للإمام محمد.

(٤)الفتاوى الهندية((عالمگيريه)) الباب الثامن والعشرون في ملاقاة الملوك...٥/٣٦٩.

٣- «وما يفعلونه من تقبيل الأرض بين يدي العلماء والعظماء؛ فحرام، والفاعل والراضي به آثمان؛ لأنه يشبه عبادة الوثن، وهل يَكْفُران؟[إن كان]على وجه العبادة والتعظيم كَفَرَ،[و]إن[كان]على وجه التحية [فـ]لا، وصار آثما مرتكب الكبيرة»[١].

٤- (تقبيل الأرض بين يدي العلماء والمشايخ حرام بالاتفاق، وكبيرة من الكبائر، بل وبعض الفقهاء حكموا فيه بالكفر)[٢].

٥- (السجود إلى القبور، ووضع الجبهة عليها، والطواف حولها شرك)[٣].

٦- «وضع الرأس عند الكبراء من الشيوخ، وغيرهم، أو تقبيل الأرض، ونحو ذلك؛ فإنه مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهى عنه، بل مجرد الانحناء بالظهر لغير الله ﷻ منهي عنه، ففي المسند وغيره أن معاذ بن جبل ﷺ لمّا رجع من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟! فقال: يا رسول الله! رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم، وبطارقتهم، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم، فقال: «**كذبوا يا معاذ!لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها...**» [٤] بل قد ثبت في الصحيح من حديث جابر أنه ﷺ صلّى بأصحابه قاعدا -من مرض كان به- فصلوا قياما؛ فأمرهم بالجلوس، وقال: «**لا تُعظِّموني كما تُعَظِّم الأعاجمُ بعضها بعضاً**»[٥]. وقال: «**من سره أن يتمثل له الناس**

---

(١) الدر المختار للحصكفي مع رد المحتار لابن عابدين كتاب الحظر والإباحة باب الاستبراء وغيره ٦/٧٠١-٧٠٢.

(٢) فتاوى دار العلوم ديوبند لعزيز الرحمن١/١٢٧.

(٣) يُنظر: «تصوف أو سلوك» تأليف ذوالفقار أحمد المجددي، بترجمته البشتو لمحمد قاسم المجددي ص: ١٢٠.

(٤) تقدم تخريجه ص: ٥٩٦.

(٥) لم أجد الحديث بهذا اللفظ.ولكن في صحيح مسلم كتاب الصلاة باب إئتمام المأموم بالإمام من حديث جابر: «اشتكى رسول الله ﷺ؛ فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قياما، فأشار إلينا؛ فقعدنا؛ فصلينا بصلاته قعودا؛ فلما سلّم، قال: «**إنْ كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم إن صلى قائما فصلوا قياما، وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا**».

قياما فليتبوأ مقعده من النار »[1]، فقد نهاهم النبي ﷺ عن القيام إذا كان النبي ﷺ قاعدا -وإن كانوا قاموا في الصلاة- حتى لا يتشبهوا بمن يقومون لكبرائهم تعظيما، وبيّن أن من سره قيام الناس له كان من أهل النار، فكيف بما فيه من السجود له، ومن وضع الرأس وتقبيل الأيادي، وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه [...]قد وكّل أعوانا يمنعون الداخل من تقبيل الأرض ويؤدبهم إذا قبل أحدٌ الأرض» [2].

٧- «من أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ، فإنه شرك من الساجد والمسجود له، والعجب: أنهم يقولون: ليس هذا سجود، وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ، احتراما وتواضعا، فيقال لهؤلاء: ولو سميتموه ما سميتموه فحقيقة السجود: **وضع الرأس لمن يسجد له**، وكذلك السجود للصنم، وللشمس، وللنجم، وللحجر، كله **وضع الرأس قدامه**، ومن أنواعه: ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة، وهذا سجود في اللغة، وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا ﴾[3] أي منحنين وإلا فلا يمكن الدخول بالجبهة على الأرض، ومنه قول العرب: سجدت الأشجار إذا أمالتها الريح» [4].

فهذه الأدلة وأقوال العلماء تفيد عدم جواز الخضوع والتذلل لغير الله، سواء كان على شكل السجود وهو وضع الرأس على الأرض، أو على شكل الركوع وهو الانحناء، سواء كان على قصد التحية والاحترام، أم على قصد العبادة، وهذا الانحراف الثاني فرع عن الانحراف الأول، وإن كان الأول منهما أشنع وأقبح.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الأدب باب كراهية قيام الرجل للرجل ص: ٦١٩(ح٢٧٥٥) ومسند أحمد٤/١٠٠وصححه الألباني.ينظر صحيح سنن الترمذي له٣/١٠٠(ح٢٧٥٥)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات، رجال الشيخين٢٨/١٢١(ح١٦٩١٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/٩٢-٩٣.

(٣) سورة البقرة (٥٨).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم فصل في أنواع الشرك ١/٢٨٩-٢٩٠.

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو وضع الجبهة في السجود على ما يسميه الرافضة بالتربة الحسينية.

إن ما استحدثته الرافضة من القول بفضل السجود على ما أسموه بالتربة الحسينية، قول باطل لا يقبله العقل، وكيف يكون للشيء فضل ولم يكن موجودا في عهد الرسول ﷺ، ولم يبيِّن له النبي ﷺ فضلا، وهو ﷺ المبيِّن لفضائل الأعمال والأقوال، ومن المتفق عليه بين العقلاء أن التربة الحسينية المنسوبة إلى قبر الحسين رضي الله عنه لم تعرف إلا بعد استشهاده رضي الله عنه بزمن طويل، فهل الذين يسجدون عليها بعد مقتل الحسين أفضل؟ أم الحسين وأخوه الحسن ووالدهما وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ؟ وهم لم ينالوا فضل هذه التربة، فهل فاتتهم هذه الفضيلة!! ونالها هؤلاء!! وقد قال النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**» [(١)].

ويقال لهم: «هل سجد الرسول ﷺ على التربة الحسينية التي يسجد عليها الشيعة؟! إن قالوا: نعم! قلنا: هذا كذب ورب الكعبة[إذ كيف يسجد على قبر رجل مات بعده بسنين طويلة].وإن قالوا: لم يسجد! قلنا: إذا كان كذلك، فهل أنتم أهدى من الرسول ﷺ سبيلا؟ »[(٢)].وما أحسن ما قاله الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة: «من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[(٣)] فما لم يكن يومئذٍ دينا فلا يكون اليوم دينا» [(٤)].

---

(١)تقدم تخريجه في التمهيد (معالجة الانحرافات) ص: ١٤١.

(٢) يُنظر: كتاب«أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق» لسليمان بن صالح الخراشي ص: ١٨.

(٣) سورة المائدة (٣).

(٤) الاعتصام للشاطبي الباب الثاني في ذم البدع ص: ٣٧.

ويقال لهم: وما يدريكم أن هذا التراب المنسوب إلى قبر الحسين من قبره؟ مع أن الإمام أبو نعيم الفضل بن دكين[1] المتوفى ٢١٩هـ -رحمه الله-: كان ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين ﷺ[2].

ثم قد طرأ على قبر الحسين ﷺ زمن سُوِّيَ بالأرض، واتخذ الموضع مزرعة تُحرَث وتُستَغَل، ولم يعرف له أثر، وذلك في زمن جعفر المتوكل[3] كما يذكره المؤرخون الثقات أنه أمر بهدم قبر الحسين ﷺ وما حوله من الدور والمنازل، ونُودِي في الناس: من وُجِد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبنا به على المطبق (السجن)[4] وكان ذلك سنة ٢٣٦هـ.

ويقال لهم من أين جاءكم الخبر: أن السجود على التربة الحيسنية يخرق الحجب السبعة، أي يورث قبول الصلاة عند ارتقائها السماوات، مع أن الوحي انقطع قبل استشهاد الحسين ﷺ، وقبل أن يوجد قبره الذي تنسب إليه هذه التربة. ومعلوم أن بيان قبول الأعمال وتحديد الأجور على الأعمال من خصوصيات الشرع.

وكذا يقال لهم: إذا كانت للتربة الحسينية هذا الفضل المزعوم، وترون أنفسكم على الحق في هذا المجال، فلماذا تخجلون من إظهارها إذا كنتم بين المسلمين غير الشيعة -حيث تخفونها عند السجود عليها- مع أن الحق أحق أن لا يُخجل عن إظهاره أحد، وإن كنتم في شك وريبة؛ فيجب أن تتركوا السجود عليه وتقبلوا كلام الرسول ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما**

---

(١) **الفضل:** هو الحافظ الكبير، شيخ الإسلام، الفضل بن دكين و دكين لقب اسمه عمرو بن حماد بن زهير بن درهم التيمي القرشي مولاهم الكوفي من مشايخ الإمام البخاري، وابن معين وأحمد بن حنبل وغيره، ولد سنة (١٣٠هـ) وتوفي ٢١٩هـ . ينظر: السير للذهبي ١٠/ ١٤٢ (٢٠)، وتهذيب التهذيب لابن حجر. تذكرة الحفاظ للذهبي ١/٣٧٢ (٣٦٩).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ١/١٤٤، البداية والنهاية لابن كثير ١١/٥٨٠.

(٣) **المتوكل:** هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن هارون الرشيد ولد سنة ٢٠٥هـ وبويع عند موت أخيه الواثق أظهر السنة وقمع البدع، وأطلق من السجن ما تبقى ممن امتنع من القول بخلق القرآن، وتوفي سنة ٢٤٧هـ السير للذهبي ١٢/٣٠، والأعلام ٢/ ١٢٧.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٣٤٦، وتاريخ الطبري ٩/١٨٥، والمنتظم لابن الجوزي ١١/ ٢٣٧.

لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة» (1). وقوله ﷺ لَمَّا سئل عن البر والإثم؟ فقال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهتَ أن يَطَّلِعَ عليه الناس**»(2).فما لا يستطيع الإنسان إظهاره، من أجل لَوْم الناس، أو الريبة والشك، أولى بالترك.

موقف الإسلام من الانحراف الرابع: وهو أداء السجدة الواحدة بعد السلام من الصلاة المكتوبة وغيرها.

إن ما يفعله بعض الناس من السجدة الواحدة عقب السلام من الصلاة مباشرة، بنية سجود الشكر، أو سجود التوبة بدعة لم يصح شيء في ذلك عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن غيرهم من أصحابه ﷺ، وكل أمر ليس على هدي النبي ﷺ باطل ومردود لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»(3).

وليس في الشريعة سجود باسم سجدة التوبة -كما يفعلها الناس عقب الصلوات- وإنما قال بعض العلماء بصلاة التوبة(4) لحديث: «**ما من رجل يذنب ذنبا، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**» ثم قرأ هذه الآية﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ...﴾ (5) (6).

---

(1) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق، الباب ٦٠ ص: ٥٦٧(ح٢٥١٨) أحمد ١/٢٠٠، وصححه الترمذي والألباني ومحققو المسند.يُنظر: صحيح سنن الترمذي للألباني ٢/٦١١ (ح٢٥١٨) والمسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣/٢٤٩(ح١٧٢٣).

(2) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم ١٦/٣٢٧ (ح٦٤٦٤).

(3) تقدم تخريجه في ص:١٩٢.

(4) رد المحتار لابن عابدين صلاة الحاجة ٢/٣٠، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٥٠١، وأسنى المطالب لابن حجر كتاب الصلاة الباب السابع صلاة التطوع صلاة الضحى ١/٥٨١.

(5) سورة آل عمران (١٣٥).

(6) أخرجه الترمذي في سننه كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في الصلاة عند التوبة ص١١٠ (ح٤٠٦) وحسنه الألباني.ينظر: صحيح سنن الترمذي ١/٢٣٤(ح٤٠٦) وقال أبو مالك: وفي سنده ضعف إلا أن الآية تشهد لمعناه، على أنه قد صححه بعض أهل العلم.يُنظر: صحيح فقه السنة لأبي مالك كمال بن السيد سالم كتاب الصلاة، صلاة التوبة ١/٤٣١.

وأما **سجود الشكر** فيكون عقب استحداث نعمة أو اندفاع نقمة -لا عقب الصلوات- كما وردت بذلك جملة من الأحاديث -وإن كان في أسانيدها مقال- لكن بمجموعها تثبت جوازها منها: «**أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر سرور -أو بُشِّر به- خرّ ساجدا شاكرا لله**»[(1)]، وثبت عن أبي بكر ﷺ أنه سجد حين جاءه خبر فتح يمامة[(2)]، وسجد علي بن أبي طالب ﷺ، حين وجد ذا الثدية بين قتلى الخوارج[(3)]، وسجد كعب بن مالك ﷺ في عهد النبي ﷺ لمّا بُشِّر بأن الله تعالى تاب عليه[(4)].

وفي الفتاوى الهندية: «وما يفعل عقيب الصلوات [من السجود]**مكروه**، لأن الجهال يعتقدونها سنة، أو واجبة وكل مباح يؤدي إليه **فمكروه**»[(5)].

وفي الدر المختار-: «سجدة الشكر مستحبة به يُفتى، لكنها تكره بعد الصلاة، لان الجُهّال يعتقدونها سنة أو واجبة، وكل مباح يؤدي إليه **فمكروه**»[(6)]. قال ابن عابدين الحنفي -رحمه الله-: «قوله: **فمكروه.** الظاهر أنها تحريمية، لأنه يدخل في الدين ما ليس منه»[(7)].

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد باب سجود الشكر ص:٤٩٢ (ح٢٧٧٤) وابن ماجة كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر ص: ٢٤٨(ح١٣٩٤) والترمذي في سننه كتاب السير باب ما جاء في سجدة الشكر ص: ٣٧٣(ح١٥٧٨) وقال الترمذي: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم؛ رأوا سجد الشكر. والحديث حسنه الألباني يُنظر: صحيح سنن الترمذي للألباني كتاب السير باب ما جاء في سجدة الشكر٢/ ١٩٩(ح١٥٧٨)، وصححه الشيخ ابن باز في مجمع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز١١/٤٢٤، وذكر أبو مالك له اثني عشر شاهدا في تحقيقه على تعظيم قدر الصلاة للمروزي ص: ١٥٠

(2) يُنظر: مصنف عبد الرزاق٣/٣٥٨ برقم(ح٥٩٦٣)، والسنن الكبرى للبيهقي ٢/٥١٩(ح٣٩٤٠).

(3) يُنظر: مسند الإمام أحمد ١/١٤٧، ١٠٧، ومصنف ابن أبي شيبة سجدة الشكر ٣/٥٤٥ (ح٨٥٠١)، ومصنف عبد الرزاق باب سجد الشكر٣/٣٥٨ برقم (ح٥٩٦٢)، والسنن الكبرى للبيهقي باب سجود الشكر٢/٥١٩(ح٣٩٤١)، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح. يُنظر: المسند بتحقيق أحمد شكر١/٥٣٤(ح٨٤٨) و٢/١٢١(ح١٢٥٤).

(4) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب المغازي باب حديث كعب٨/١٤١ (ح٤٤١٨)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب التوبة باب حديث توبة كعب ١٧/٨٩(ح٦٩٤٧).

(5) الفتاوى الهندية للشيخ نظام الحنفي١/١٣٦ في آخر الباب الثالث عشر في سجود التلاوة.

(6) الدر المختار للحصكفي مع رد المحتار لابن عابدين ٢/١٢٩.

(7) رد المحتار لابن عابدين كتاب الصلاة، مطلب في سجدة الشكر٢/ ١٢٩.

وفي فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «سجود الشكر يكون عند حدوث نعمة تقتضي الشكر، أما عقب الوتر، أو صلاة الضحى، فلا نعلم له أصلاً في الشرع[1].

وفي مجموع فتاوى ابن تيمية: «يُنكر ما يفعله طائفة من سجدتين مجـــردتين بعـــد الوتر...وأنكر من هذا ما يفعله بعض الناس من أنه يسجد بعد السلام سجدة مفردة؛ فان هذه بدعة، ولم ينقل عن أحد من الأئمة استحباب ذلك، والعبادات مبناها على الـــشرع والإتباع، لا على الهوى والابتداع، فإن الإسلام مبني على أصـــلين: أن لا نعبـــد إلا الله وحده، وأن نعبده بما شرعه على لسان رسوله، لا نعبده بالأهواء والبدع» [2].

وسئل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: «يوجد في بلدتنا بعض المصلين يسجدون ســـجدتين عقب كل صلاة مباشرة -بعد أن يسلموا تسليمة الصلاة- وعند سؤالهم عن ذلك أجابوا بـــأنهم يسجدون السجدة الأولى شكراً لله على توفيقه لهم أن أدوا الصلاة المكتوبة في جماعة، أما السجدة الثانية فشكراً على الشكر، ويزعمون أن لهذا العمل أصلا في السنة فما حكم ذلك؟

فأجاب فضيلته بقوله: على قياس قولهم: أنهم إذا سجدوا السجدة الثانية يجـــب أن يسجدوا سجدة ثالثة شكراً لله على شكرهم، ثم يسجدون سجدة رابعة وهكذا ويبقون دائماً في سجود، ولكني أقول: إن هاتين السجدتين بدعتان، وأنه لا يجوز للإنـــسان أن يتعبد الله بما لم يشرعه لقوله ﷺ: **"من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"**[3].وهاتـــان السجدتان لا شك أنهما غير مشروعتين، والواجب عليهم الانتهاء عن ذلك، والكـــف عنه، والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى مما وقع سابقاً والله تعالى يتوب على من تاب» [4].

وما ذكره المخالف من الرواية المنسوبة إلى جعفر الصادق -رحمه الله- في فضل السجدة المفردة بعد الصلاة، وما يجري بين الله ﷻ وملائكته -بدون ذكر السند- فهي لا تثبت عنه - رحمه الله- سنداً، ولا يتصور صدور مثل هذا الكلام عنه، لأنه لا يمكن إخبار عما يجري بـــين

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة السعودية للإفتاء ٧/٢٧٠.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣/٩٣-٩٤.

(٣) متفق عليه وتقدم تخريجه في ص: ١٩٢.

(٤) مجمع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٤/٣٢٠.

الله والملائكة إلا عن طريق الوحي، ومن المتفق عليه بين المسلمين أن الإمام جعفر الصادق - رحمه الله- لم يكن نبيا، ولم يوحَ إليه شيء قط، ولا إلى أحد غيره بعد النبي ﷺ.

وبهذا نصل إلى أن السجود لغير الله محرم قطعا، سواء كانت السجدة عادة أو عبادة، وليس في الشريعة الإسلامية وهي كلها آداب وحقوق، ما يدل على جواز السجود إلى غير الله أدبا أو تعظيما، وما استحدثه البعض من السجود على شيء معين، أو من السجود عقب الصلوات باسم التوبة، أو سجود الشكر بدعة لا أصل لها في الدين.

الفصل الثاني

الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف، وموقف الإسلام ومنها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الاعتكاف، أنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى الاعتكاف، أنواعه

إن الله ﷻ أمر نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل صلّى الله عليهما وسلّم بتطهير البيت للعاكفين قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [1]، وإبراهيم ﷺ استنكر اعتكاف أبيه وقومه للأصنام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ﴾ [2]. فما الذي امتدح فاعله؟ وما هو الذي استُنكر؟ هذا في مطلبين:

المطلب الأول: معنى الاعتكاف لغة وشرعا

أولا: معنى الاعتكاف لغة

أصل الكلمة: (العين، والكاف، والفاء) أصل صحيح يدل على مقامة وحبس[3].

تصريف الكلمة:

الاعتكاف مصدر من اعتكَف يعتكِف، اعتكافاً، فالرجل معتكِفٌ، والمكان معتكَفٌ، زِيْدَ على أصل الثلاثي (الألف والتاء) والفعل الثلاثي منه: عَكَفَ، يَعْكُف، ويَعْكِف، عَكْفاً، وعكوفاً[4].

---

(١) سورة البقرة (١٢٥).

(٢) سورة الأنبياء (٥١).

(٣) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٦٨٨.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٦/٣٨٥، والمقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٦٨٨.

وقيل: العُكُوفُ مصدر الفعل اللازم، والعَكْفُ مصدر الفعل المتعدي، ولـذا قـال الأزهري -رحمه الله- : «يُقال: عَكَفْتُه عَكْفاً؛ فَعَكَفَ يعكِف عُكُوفاً، فهـو لازم وواقع، كما يقال: رجعته فرجع، إلا أن مصدر اللازم العكـوفُ، ومـصدر الواقـع العَكْفُ»[1].

معنى الكلمة:

قال ابن فارس: العكوف هو الإقبال على الشيء وملازمته[2]، وقـال الراغـب: «الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم»[3]، وورد ذكره في قوله تعالى عن قوم موسى ﷺ: ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾[5] وقوله تعالى عن قـوم إبـراهيم ﷺ: ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴾[6]، وقوله تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾[8]

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري باب العين والكاف ٣٢١/١، وتاج العروس للزبيدي ٣٩٦/١٢.

(٢) مجمل اللغة لابن فارس ٦٢٤/٢.

(٣) المفردات للراغب ص: ٥٧٩.

(٤) سورة طه (٩١).

(٥) سورة الأعراف (١٣٨).

(٦) سورة الشعراء (٧١).

(٧) سورة الأنبياء (٥١-٥٢).

(٨) سورة الفتح (٢٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ﴾[1]، فالاعتكاف والعكوف: هو الحبس، ولزوم الشيء والإقبال عليه، خيرا كان أو غيره [2].

ثانيا: معنى الاعتكاف شرعا

عرف العلماء الاعتكاف في اصطلاح الشرع بتعريفات عديدة متقاربة المعنى:

كقولهم: «لزوم المسجد لطاعة الله» [3]

وقولهم«اللبث في المسجد من شخص مخصوص بنية» [4].

وقولهم: «لزوم مسلم مميز مسجدا مباحا بصوم كافا عن الجماع ومقدماته يوما وليلة فأكثر للعبادة بنية» [5].

وقولهم: «تقرب إلى الله تعالى بمجاورة بيته، والإعراض عن الدنيا...»[6].

يظهر من تعريفات **فقهاء المذاهب الأربعة** أن جميعهم يتفقون في أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، ولذا نقل ابن رشد -رحمه الله-[7] إجماعهم على هذا بقوله: «أجمع الكل على أن من شرط الاعتكاف المسجد، إلا ما ذهب إليه ابن لبابة[8] من أنه يصح في غير المسجد»[9].

---

(١) سورة البقرة (١٨٧).

(٢) الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة ٥٦١/٧، والمغني لموفق ابن قدامة ٤٥٥/٤، وأسنى المطالب للنووي كتاب الاعتكاف٧١/٣، وعمدة القاري للعيني ٢٠٠/١١.

(٣) المقنع لموفق ابن قدامة٥٦١/٧، والشح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة٥٦١/٧.

(٤) أسنى المطالب للنووي كتاب الاعتكاف٧١/٣.

(٥) الشرح الكبير للدردير المالكي مع حاشية الدسوقي١٨٠/٢.

(٦) بدائع الصنائع للكاساني الحنفي٥/٣.

(٧) **ابن رشد:** هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد الحفيد القاضي الفيلسوف القرطبي المالكي ولد سنة٥٢٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٥هـ من مؤلفاته بداية المجتهد ونهاية المقتصد. يُنظر: سير اعلام النبلاء للذهبي ٣٠٧/٢١(ت١٦٤) والوافي بالوفيات للصفدي ١١٤/٢.

(٨) **ابن لبابة:** هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبي، شيخ المالكية، ولم يكن له علم بالحديث، بل كان ينقل بالمعنى، مات سنة٣١٤هـ.ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٩٥/١٤، والعبر في خبر من غبر للذهبي ٤٦٨/١.وشذرات الذهب لابن العماد ٧١/٤.

(٩) بداية المجتهد لابن رشد كتاب الاعتكاف٢٣٦/٣.

ونقل ابن تيمية -رحمه الله- إجماعهم بقوله: «الاعتكاف من العبادات المشروعة بالمساجد باتفاق الأئمة»(١).

المطلب الثاني: أنواع الاعتكاف.

الاعتكاف في الأصل مندوب إلا إذا أوجبه العابد على نفسه، ومن هنا نستطيع أن نقسم الاعتكاف باعتبار حكمه إلى: **مندوب وواجب**.وفي هذا قال بعض الفقهاء -رحمهم الله-: «هو سُنَّة إلا أن ينذره؛ فيجب» (٢).

وقسمه بعض الفقهاء -رحمهم الله- إلى ثلاثة أنوع واجب، وسنة مؤكدة، ومستحب، حيث قالوا: هو على ثلاثة أقسام: **واجب** بالنذر، **وسنة مؤكدة** في الثلث الأخير من رمضان، **ومستحب** في غيره من الأزمنة(٣).

وعبر عن هذا بعضهم بقولهم: الاعتكاف ثلاثة أقسام: منذور، ومسنون، وتطوع(٤).

ويمكن تقسيم العكوف باعتبار المكان إلى:

١- العكوف في المسجد.

٢- العكوف في غير المسجد

فما كان في المسجد من العكوف فهو جائز. وما كان في غير المسجد من الكهوف والغيران أو عند القبور فهو غير جائز. يراجع تفاصيل الاعتكاف الجائز كفضله وأحكامه، وآدابه ونحو ذلك في كتب الفقه، وأما غير الجائز من العكوف فبيان ذلك في المبحث الثاني.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/٣٥٦.

(٢) يُنظر:المقنع لموفق ابن قدامة مع الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة والإنصاف للمرداوي٧/٥٦٢.

(٣) يُنظر: الدر المختار للحصكفي مع رد المحتار لابن عابدين٢/٤٨٥-٤٨٦.

(٤) يُنظر: رد المحتار لابن عابدين٢/٤٨٦.

المبحث الثاني
الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف.

الاعتكاف عبادة جليلة، وقد اعتكف النبي ﷺ في المسجد في رمضان وغيره، واعتكف بعده أصحابه وأتباعهم في المساجد اقتداء به وإحياء لسنته صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.ولكن أخطأ بعض الناس في هذا المجال فانحرفوا عن الصواب ويمكن تقسيم انحرافاتهم إلى ما يلي:

الانحراف الأول: العكوف في غير المساجد كالكهوف وعند المقابر.

لقد انحرف بعض الناس في إقليم سرحد في مجال الاعتكاف حيث قالوا بجواز الاعتكاف في الغيران والكهوف وغيرها، وسموه باسم الخلوة، ولذا قال بعضهم: «**إن اعتكاف الفقهاء، وخلوات الصوفية عندي قريب من السواء، والفرق من جهة تعيين الأيام**» [1].وقال أيضاً: «**الخلوة: أخص من العزلة، وهي بوجهها وصورتها نوع من الاعتكاف، لكن لا في المسجد، وربما كانت فيه، وأكثرها عند القوم لا حد له...وأقلها عشرة[أيام]...**» [2].

قال أحدهم وهو يمدح اعتكاف أحد كبار الصوفية في الكهوف والغيران: (إن پير بابا[3] كان يعتكف أحيانا المدة الطويلة، حتى كانت تصل إلى الشهور والسنوات، ولمّا كان مقيما في بونير[4] كان يعتكف في أعلى الجبال، ومن أشهر أماكن اعتكافه، المكان

---

(١) فيض الباري لأنور شاه الكشميري١/١١٣ (ح٣)، وحقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى ص: ٢٠٢.

(٢) حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى ص:١٩٧.

(٣) يقصدون بـ«پير بابا» السيد علي الترمذي بن قمبر علي بن سيد أحمد بيغم، ولد سنة٩٠٨هـ في ولاية قندوز(كندوز) من أفغانستان الحالي في مديرية (چاردره) بعلاقة (ترمذ) والموقع (خواجه غلطان) توفي٩٩١هـ وقبره في (بونير)من إقليم سرحد في باكستان، ويفد الناس إليه من المناطق بعيده، وينذرون له ويستغيثون به.والعياذ بالله.يُنظر ترجمته في:(تذكرة سادات ترمذي) لعارف شاه الناظري ص:١٦٧.

(٤) وهي منطقة في سوات من مناطق إقليم سرحد في باكستان، فيها قبر الشيخ على الترمذي المعروف بـ (پير بابا).

المقابل لمزار(پيره أبئ[1]) في الجبل المسمى بـ (جعفر)، والمكان الثاني خلف مزاره قريبا إلى قرية (نربٹول) وهذا الغار الطويل المظلم، الذي يخاف فيه الناس نهارا، كان(پيربابا) يعتكف في مثل هذه الأماكن لمدة سنوات، والآن الزوار قبل الزيارة أو بعدها يزورون المكان الذي كان يعتكف فيه)[2].

ولم يكتف بعضهم بالعكوف في الجبال والصحارى، من الكهوف والغيران بل آل بهم المقام، وقالوا بجواز الاعتكاف عند القبور، وأربطة مشايخ الصوفية[3]، وأفضلية ذلك من مخالطة الناس، والتي يكون فيها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيء الكثير.

وقال أحدهم في مدح عكوف أحد الصوفية عند المقابر: (لقد اعتكف سلطان الهند خواجة معين الدين الأجميري[4] لمّا وصل إلى مزار(علي الهجويري[5]) الأقدس واكتسب منه الفيوض والبركات، ولمّا أراد الرجوع؛ استقبل القبر، وقرأ أشعارا:

گنج بخش هر دو عالم مظهر نور خدا* ناقصان را پير كامل كاملان را رهنما**

---

(١) **پيره أبئ**: هي المسماة بـ (بي بي مريم بنت دولت خان) زوجة سيد على الترمذي المعروف بـ(پير بابا) تزوج بها عام ٩٥٥هـ أو ٩٥٦هـ، ومن حيث إنها زوجة (پير بابا) فسميت هي بـ (پيره أبئ) يعني:الشيخة، المرشدة، الجدة، ولها قبر عليها قبة كبيرة أخضر اللون يزوره الزوار قبل زيارة قبر(پير بابا) في بونير من إقليم سرحد في باكستان. يُنظر: كتاب (پير بابا) تصنيف السيد بهادر شاه ص: ٣٣-٣٤.حياة طيبة(بير بابا كي سوانح عمري) لعبد الغفور ص: ٣٦.

(٢) كتاب (پير بابا) للسيد بهادر شاه ص: ٦٤-٦٥، وحياة طيبة (بير بابا كي سوانح عمري) لعبد الغفور ص: ٢٤ وما بعدها.

(٣) **الأربطة**:جمع الرِّباط وهي البناء التي يخصها العابد ويربط نفسه فيها للعبادة غير المسجد، ويسمى بالفارسية والأردية (**درگاه، وخانقاه،خانه گاه**) والربيط: هو الزاهد والراهب والحكيم الذي ربط نفسه عن الدنيا. يُنظر:النهاية لابن الأثير٦٢٧/١.وتاج العروس للزبيدي٢٦٠/١٠.

(٤) **معين الدين**: هو معين الدين الحسن بن الحسن السجزي الجشتي أصله من سجستان وجاء إلى قبر علي الهجويري واعتكف عنده، ومات في قرية أجمير من الهند الحالي سنة ٦٢٧هـ.يُنظر: ترجمته في نزهة الخواطر لعبد الحي اللكنوي١٥٤/١(ت٢٣). ونامور شخصيات أور ان كي أقوال (بالأردية) لزاهد حسين ص:٥٧.

(٥) **علي الهجويري**: تقدم ترجمته في التمهيد، أسباب الانحرافات الفرع: التاسع. ص: ١٠٤.

[المعنى: أنت موهب الكنوز في الكونين يعني الدنيا والآخرة، وأنت مظهر نور الله، وأنت الشيخ والمرشد لمن يكون ناقصا، وأنت هادي الطريق لمن يكون كاملا].

وبعد ذلك عرف عند العوام باسم «گنج بخش»[يعني موهب الكنز]، وحجرة سلطان الهند موجودة حتى الآن مقابل مزار علي الهجويري)[(١)].

وقال في غيره مستدلا على جواز العكوف عند القبور: (اعتكف خواجة فريد الدين گنج شكر[(٢)] أيضا عند مزار[علي الهجويري] وذلك عندما وصل إليه، ومكان اعتكافه أيضا موجود قريبا من مزار [علي الهجويري])[(٣)].

وينقل أحدهم عن علي الهجويري -رحمه الله- حيث يقول: (ومرة كان لا ينكشف لي السر الروحاني والباطني؛ فقمت بمجاهدة طويلة، لكن المسالة لماحلت بَعْدُ - وقبل ذلك قد حدثت لي مثل هذه الواقعة، لكن حلت لما اعتكفت على مزار أبو يزيد[(٤)]-رحمه الله- ففي هذه المرة حضرت هناك مرة ثانية، وألقيت نفسي هناك لمدة ثلاثة أيام، وكنت كل يوم أغتسل وأتوضأ ثلاث مرات، لكن لم ينكشف لي ذلك السر بعد...) [(٥)] .

---

(١) مقدمة كشف المحجوب للهجويري بقلم فقير محمد القادرية ص: ٢٢، و(جواهرپارے) لمحمد يوسف قريشي ص:٥٤.

(٢) **فريد الدين:** هو فريد الدين الملقب بـ« گنج شكر» بن جمال الدين سليمان، الصوفي الشهير في القارة الهندية، ولد سنة ١١٧٣م، يُقال يصل سلسلة نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، توفي في اليوم الخامس من شهر المحرم عام ٦٦٤هـ، ينظر ترجمته في (نامو شخصيان اور أون كي أقوال لزاهد حسين أنجم ص: ٦٢-٦٣، وهو ينقل عن راحت القلوب.

(٣) مقدمة كشف المحجوب بقلم فقير محمد القادرية ص: ٢٢.

(٤) **أبو يزيد:** هو طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي، أبو يزيد البسطامي، الصوفي المشهور، كان مجوسيا فأسلم، وكان له أخوان: آدم وعلي، وكان أبو يزيد أجهلهم. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨٦/١٣، والوافي بالوفيات للصفدي ٥١٤/١٦، الكواكب الدرية للمناوي ٦٥١/١.

(٥) مقدمة كشف المحجوب للهجويري (بالبشتو) بقلم فقير محمد عباس القادرية ص: ٢٧-٢٨.

قال غيره في مدح السيد پائنده شاه أحد الصوفية(١): إنه (اعتكف مرة على مزار (پير بابا) لمدة سنتين ونصف، وفي هذا الاعتكاف نفسه رأى في الرؤيا (پير بابا)، قال له: كن [متمسكا و]قائما على طريقة أكابرك...)(٢).

وقال غيره في جواز العكوف على قبور المشايخ وأربطتهم، ودفع النذر لهؤلاء العاكفين(٣): «النذر لله تعالى، وذكر الشيخ إنما هو محل لصرف النذر لمستحقيه العاكفين برباطته، أو مسجده...»(٤).

ويستدلون على عكوفهم في الكهوف والغيران وعند المقابر بأدلة لا تدل عليها كقولهم: «ليست الخلوة [يعني العكوف في الكهوف والغيران وعند القبور] ابتداعا من الصوفية، إنما هي امتثال لأمر الله تعالى في كتابه العزيز(٥)، وتأسٍّ واقتداء برسول الله ﷺ؛ فقد كان يخلوا بغار حِرَاء(٦) يتعبد الليالي ذوات العدد(٧) قبل أن ينـزع إلى أهله، حتى

---

(١) **پائنده شاه:** هو السيد پائنده شاه المعروف بـ (**چڑي بابا**) بن صباغ شاه بن ميان گـل من أولا السيد علي الترمذي المعروف بـ (پير بابا) ولد ١٢٦٣هـ وتوفي ١٣٦٨هـ. يُنظر: كتاب(پير بابا) للسيد بهادر شاه ص: ٦٥-٧١.

(٢) كتاب (پير بابا) للسيد بهادر شاه ص:٦٧.

(٣) تقدم في فصل النذر التفصيل في تقديم النذور لمشاهد الأولياء. ينظر ص:٤٦٩ .

(٤) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٣٨.

(٥) لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[المزمل:٨].

(٦)**حِرَاء**: جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال، عن يسار الذاهب من مكة إلى منى. المنهاج للنووي ٣٧٥/٢، ومعجم البلدان لياقوت الحموي٢٦٩/٢.

(٧) يشير إلى حديث أخرجه البخاري ومسلم: «أول ما بُدِىءَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينـزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ...» يُنظر: صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب بدء الوحي٢٩/١(ح٣)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب بدء الوحي٣٧٤/٢(ح٤٠١).

جاءه الحق، وهو في غار حِرَاء...»[(١)]. ولكنهم نسوا أو تناسوا أن تحنث النبي ﷺ في غار حراء كان قبل مبعثه، ونحن مأمورون بما جاء به بعد البعثة لا ما فعله قبلها، وسيأتي إن شاء الله المزيد من الرد على هذا الانحراف.

الانحراف الثاني: الاعتكاف من أجل قراءة الأوراد البدعية بكيفيات مخترعة.

لقد انحرف بعض المسلمين في إقليم سرحد وغيره، وصاروا يعتكفون من أجل الإتيان بأدعية بدعية، وقد تكون شركية أو مؤدية إلى الشرك، ويعيّنون لهذا الاعتكاف أياما وشهورا، حيث يحدد الشيخ المرشد للمعتكِف من الأدعية والأذكار بأعداد لم ترد في الشرع من الألوف والمئين والعشرات، ويلتزمون لهذا الاعتكاف بما يخص الحج والاعتمار من لبس الإحرام، وعدم تغطية الرأس بالقلنسوة، وتحريم مس الطيب وغير ذلك، وأحيانا يصومون أو يجتنبون عن أكل المستلذات من اللحوم والزيوت وغيرها من المأكولات، ويقرؤون أدعية لم ترد في الشرع، بما فيها ألفاظ لا يعرف معناها، ومنها شركية لا تحمد عقباها كقولهم في اعتصام[(٢)] حزب البحر: «**أ، ب، ت، ث، ج، ح، إلى آخر حروف الهجاء**»، وقراءته لحروف المقطعات التي هي في أوائل السور، وقولهم في اختتام[(١)] حزب البحر: «**يا دَهْرُ يا دَيْهَارُ يا دَيْهُورُ...يا روح يا كائن بعد كل كون إِهْياً شَرَاهيًّا آذُونِي أَثْبَآءُوث**»[(٣)] وغيرها، واستمع إلى أحدهم وهو يبيّن كيفية الاعتكاف لقراءة الدعاء

---

(١) حقائق عن الصوفية لعبد القادر عيسى ص:١٩٩.

(٢) اعتصام حزب البحر واختتامه: هما دعاءان مخترعان، مثل حزب البحر يقرؤون الاعتصام قبل البدء بقراءة (حزب البحر) وأما الاختتام فيختمون به قراءة حزب البحر.يُنظر: دعاء حزب البحر مع اعتصامه واختتامه في رسالة مسماة بـ دعاء حزب البحر(الهامي دعاء) المنسوب إلى أبي الحسن الشاذلي ص: ٧ وما بعدها وملحق كتاب (خدائي ته جڑا) لمعز الدين الكشميري ص:١٧٥ وما بعدها.

(٣) يقولون: إنها ألفاظ سريانية.يُنظر: دعاء حزب البحر ملحق كتاب (خدائي ته جڑا) ترجمة كتاب حزب الأعظم لعلي القاري ترجمة معز الدين القمري القادري ص: ١٩٢(الهامش).

المبتدع المسمى بـ (حزب البحر[1])، حيث قال: (وقد جاءت عن الصوفية الكرام طرق التزكية بـ (حزب البحر) على النحو الأتي:

١- ومن أراد أن يقرأ دعاء ((حزب البحر))، فيغتسل بعد صلاة العصر من يوم الأربعاء الأول في الشهر، ويلبس اللباس النظيف أو الجديد، وبعض الصوفية الكرام يقولون: يلبس رداءين غير مخيطين؛ فيتّزر بأحدهما، ويرتدي ثانيهما على كتفه، ويلفّه على جسمه كما يفعل الحجاج للإحرام، ولا يُغَطّي الرأس بالقلنسوة، ويصلي بعد صلاة المغرب ركعتين تطوعاً، ويهدي ثوابها لروح أبي الحسن الشاذلي -رحمه الله-، ويحتمي نفسه الحمية الجلالية والجمالية، فلا يأكل الزيت والسمن، ولا اللحم ولا الحليب وأمثالها من المأكولات كالبسكويت والكعك والحلاوة ونحو ذلك، بل يأكل الخبز الجاف مع الشاي الأخضر بالسكر ويصوم، ويبدأ بقراءة ((حزب البحر)) على النحو الآتي: يقرأ اعتصام حزب البحر مرة، ثم يبدأ بقراءة ((حزب البحر)) ويكرر الكلمات المكررة في المرة الأولى، ولا يكررها في غيرها، وإن كان يقوم للصلاة أو قضاء الحاجة والوضوء، يقرأ اختتام[حزب البحر]، وبهذا الترتيب يقرأ في اليوم والليلة حزب البحر مائة وسبع وعشرين مرّة، ويستمرّ على هذه الطريقة إلى ثلاثة أيام بلياليها، ولكن قال لي شيخي المبارك[2] -نور الله مرقده-: أنه كان يقوله في اليوم والليلة مائة وسبعين مرة، ويصلي كل ليلة بعد صلاة المغرب وقبل البدء بدعاء ((حزب البحر)) وكان يهدي ثوابه إلى أبي الحسن الشاذلي -رحمه الله- لمدة ثلاثة أيام، ويخرج من الاعتكاف صباح السبت بعد صلاة الإشراق.

٢- أن يعتكف على النحو المذكور أعلاه لمدة ستة أيام ويقرأ[حزب البحر] كل يوم ستين مرة، وفي اليوم الأول ثلاث وستين مرة.

٣- أن يعتكف على النحو المذكور أعلاه اثنا عشر يوما، ويقرأه كل يوم ثلاثين مرة، ويقرأ في اليوم الأول ثلاثا وثلاثين مرة.

---

(١) تقدم التعريف به في التمهيد، أسباب الانحرافات ص: ١٠٦.

(٢) لم أعرف شيخه هذا.

٤- أن يقرأه مرة واحدة كل يوم من غير أن يفوته يوما لمدة سنة كاملة، ثم يقرأه كل يوم مرة واحدة)[١].

وقال الآخر: (دعاء حزب البحر يطلب به جميع الحاجات الدنيوية والدينية وللدعاء به ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: أن يترك الحيوانات الجلالية والجمالية[٢]، ويجلس في الخلوة ويعتكف ثلاثة أيام: يوم الأربعاء والخميس والجمعة ويصوم النهار، وعند طلوع الهلال، يتطهر ظاهر وباطنا ويقرأ دعاء (حزب البحر) مع اعتصامه واختتامه وجميع الإرشادات، يقولها مائة وعشرين مرة، وفي ثلاثة أيام يقرأها بهذا القدر الصلاة على النبي ﷺ إلا في اليوم الثالث فيقرأها مائة وخمس وعشرين مرة ليكتمل العدد ثلاثمائة وخمس وستين مرة.

الطريقة الثانية: أن يراعي جميع الشروط المذكورة ويكرر الدعاء ستة أيام وفي كل يوم ستين مرة، وفي اليوم السادس خمس وستين مرة.

الطريقة الثالثة: أن يراعي الشروط المصرحة في كل يوم ثلاثين مرة، لمدة اثنا عشر يوما، واليوم الأخير خمس وثلاثين مرة...)[٣].

هذه نبذة من الانحرافات التي تتعلق بالاعتكاف، وفي المبحث الثالث موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

---

(١) دعاء حزب البحر ملحق كتاب (خدائي ته جڑا) ترجمة كتاب حزب الأعظم لعلي القاري ترجمة معز الدين القمري القادري ص: ١٧٢-١٧٣.

(٢) تقدم في المتن بيان كيفية الحمية الجلالية والجمالية، يراجع طريقتهم الأولى الماضية لهذا الاعتكاف.

(٣) دعاء حزب البحر(إلهامي دعاء) المنسوب إلى الشاذلي ص: ٢-٣.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف.

الاعتكاف من أفضل أنواع العبادات، وأجلّ القربات، ولم يثبت أن النبي ﷺ تركه بعد أن بعثه الله ﷻ بالرسالة، قال الزهري -رحمه الله-: «عجبا من الناس كيف تركوا الاعتكاف ورسول الله كان يفعل الشيء ويتركه وما ترك الاعتكاف حتى قبض» (١).

ولا يصح الاعتكاف إلا في المساجد، لقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٢)، ففي هذه الآية الكريمة بيّن الله ﷻ أن موضع الاعتكاف هو المسجد، ولو قلنا بجواز الاعتكاف في غير المساجد لكان قيد المساجد في قوله تعالى﴿ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ ﴾ لغوا -تعالى الله عن ذلك- ولذا قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ فما بيّنه الله ﷻ لا يجوز لأحد أن يتعداه إلى غيره.

والخلوة والعزلة والانفراد وترك مخالطة الناس ونحو ذلك قد تكون مشروعة في بعض الأحوال لكن غير مقدرة بمدة، وأحيانا تكون محرمة إذا ترتبت عليها مفاسد.

فالخلوة والعزلة المشروعة، ما كان مأموراً أمر إيجاب أو استحباب:

«كاعتزال الأمور المحرمة ومجانبتها كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾(٣) ومنه قوله تعالى عن الخليل: ﴿ فَلَمَّا

---

(١) عمدة القاري للعيني كتاب الاعتكاف١١/٢٠٠.

(٢) سورة البقرة (١٨٧).

(٣) سورة الأنعام (٦٨).

ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾[١]، وقوله عن أهل الكهف: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾[٢]؛ فإن أولئك لم يكونوا في مكان فيه جمعة ولا جماعة ولا من يأمر بشرع نبي فلهذا أووا إلى الكهف وقد قال موسى[ﷺ]: ﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾[٣].وأما اعتزال الناس في فضول المباحات وما لا ينفع، وذلك بالزهد فيه فهو مستحب، وقد قال طاوس[-رحمه الله- في ذلك]: "نِعْمَ صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره وسمعه» [٤].

وقال أبو الدرداء[٥] رضي الله عنه: «نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره ونفسه وفرجه وإياكم والمجالس في الأسواق فإنها تلغي وتلهي»[٦].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن اليأس غنى وإن الطمع فقر حاضر وإن العزلة راحة من خلطاء السوء» [٧]. فهذه الآثار ونحوها تحث على ترك قرناء السوء، والمجالس في الأسواق التي هي شر البقاع، كما يدل على أن هذا المعتزل ليس بمعتزلٍ اعتزالا تاما -كما يفعله بعض الناس حيث يجلسون في غار أو كهف أو غرفة مظلمة لوحده لا يدخل عليه أحد ولا يخرج منها- بل هذا مخالط في بيته مع أهله وعياله يقوم بواجباتهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحضر الجمعة والجماعات مع المسلمين، فهذا لا بأس به، وهو في خير إن شاء الله.

---

(١) سورة مريم (٤٩).

(٢) سورة الكهف (١٦).

(٣) سورة الدخان (٢١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٤٠٥.

(٥) **أبو الدرداء:** هو عويمر بن عامر بن مالك، وقيل اسمه عامر بن مالك وعويمر لقبه، صحابي جليل من الخزرج، ولي قضاء دمشق زمن عثمان رضي الله عنه، وتوفي قبل عثمان بسنة.يُنظر: أسد الغابة لابن الأثير ٦/٩٤(٥٨٦٥) وتهذيب التهذيب لابن حجر ٨/١٥٠(٥٤٤٦).

(٦) التمهيد لابن عبد البر ١٧/٤٤٢.حديث أبي طوالة، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، الربع الثاني العادات باب العزلة ص:١٢٤.

(٧)التمهيد لابن عبد البر ١٧/٤٤٢.حديث أبي أبو طوالة.

و في الحديث: «**من خير معاش الناس لهم: رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يَطِيرُ على مَتْنِه، كلما سمع هَيْعَةً أو فَزْعَةً**[١]**طار عليه، يبتغي القتلَ والموتَ مظانَّــهُ، أو رجل في غُنَيْمَةٍ في رأس شَعَفَةٍ**[٢] **من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير**»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– قوله: «**يقيم الصلاة ويؤتي الزكــاة**» دليل على أن له مالاً يزكيه وهو ساكن مع ناس يؤَذِّن بينهم، وتقام الصلاة فيهم فقد قال صلوات الله عليه: "**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة جماعة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان[...]عليكم بالجماعة فإنما يأخذ الذئب القاصية من الغنم**[٤]» اهـ[٥].

وبعد هذا العرض الموجز يأتي وقت بيان موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف، نقول وبالله التوفيق.

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو العكوف في غير المساجد كالكهوف وعند المقابر.

قد سبق نقل إجماع العلماء في اشتراط المسجد للاعتكاف من كلام ابن رشد – رحمه الله– حيث قال: «أجمع الكل على أن من شرط الاعتكاف المسجد..»[٦] فلا يصح الاعتكاف في غير المساجد، وبنقل إجماع العلماء على عدم جوازه في غير المساجد

---

(١) **الهَيْعَة**: هي الصوت عند حضور العدو، **والفَزْعَة**: النهوض إلى العدو. المنهاج للنووي١٣/٣٨.

(٢) **الشَّعَفَةُ**: أعلى الجبل. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٣/٣٨.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط١٣/٣٦(ح).

(٤) يُنظر: سنن أبي داود كتاب الصلاة باب في تشديد في ترك الجماعة ص:١٠٢(ح٥٤٧)، وسنن النسائي كتاب الإمامة –تشديد في ترك الجماعة. ص:١٤٠ (ح٨٤٧). مسند الأمام أحمد٦/٤٤٦، وقال أبو داود والنسائي وأحمد: قال السائب[أحد رواة الحديث]: يعني بالجماعة الجماعة في الصلاة. و الحديث حسنه الألباني ومحققو المسند يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني١١٦٢ (ح٥٤٧) والمسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣٦/٤٢ (ح٢١٧١٠)، و٤٥/٥٠٦(ح٢٧٥١٤).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية١٠/٤٠٥.

(٦) بداية المجتهد لابن رشد كتاب الاعتكاف٣/٢٣٦.

يتبين خطأ من يقول بجواز الاعتكاف في غير المساجد، كما يظهر خطأ من قال: «**إن اعتكاف الفقهاء، وخلوات الصوفية عندي قريب من السواء...**» كما تقدم في ذكر الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف.

نعم قد يكون بينهما تشابه في الشكل لكن لمّا كانت خلوات الصوفية غالبا عند القبور والكهوف والجبال والوديان اختلف تماما، فاعتكاف الفقهاء بل المسلمين جميعا يكون في المساجد، ويتعبدون لله بقراءة القرآن، ومدارسة العلم، وإقامة الصلاة، والإتيان بما ثبت عن النبي ﷺ من الأوراد والأذكار ونحو ذلك.

أما اعتكاف الصوفية وخلواتهم فتكون عند القبور البالية، والكهوف المظلمة، والغيران الخالية، والوديان النائية، ويقرؤون فيها الأوراد البدعية التي لم تثبت عن النبي ﷺ، بل ولم تُنسب إلى رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، ويكون ذلك بالكيفيات المخترعة من لبس الإحرام، وعدم تغطية الرأس، والبعد عن الناس، وبالكميات الكبيرة كقراءة حزب البحر واعتصامه واختتامه وغير ذلك ثلاثين مرة، أو ستين مرة أو أكثر من ثلاثمائة وستين مرة، بما فيها من الألفاظ لا يفهم معناها كقراءة حروف الهجاء: أ، **ب**، **ت**، **ث**، ج، ح...، أو قراءة الحروف المقطعات في أوائل السور القرآنية، أو ألفاظ شركية أو إلى الشرك مؤدّاها كقولهم: «**يا دَهْرُ يا دَيْهَارُ يا دَيْهُورُ...يا روح يا كائن بعد كل كون إِهْيا شَرَاهِيًّا آذُونِي أَثْبَآءُوث...**» ونحو ذلك كما تقدم أمثلة ذلك في ذكر الانحرافات، فلم تكن خلوات الصوفية واعتكاف الفقهاء سواء ، وشتان بينهما.

وأما الاعتكاف عند المقابر بدلا من المساجد فهذا انحراف أكبر وأخطر من الاعتكاف في الكهوف والغيران، لأن العكوف في الجبل والمغارة والمفازة، وإن كان انحرافاً يشبه رهبانية النصارى لكن لا يشابه عكوف عباد الأوثان على الأصنام، بينما هذا يشابهه، وقد وُجِدَ أناس يعبدون أهل القبور، وذلك بطلب الدعاء والاستعانة منهم، والاستغاثة في الشدائد بهم، والذبح بأسمائهم، والعكوف على قبور هم، وتقديم النذور والقرابين لهم، والطواف حول قبورهم، هذه كلها أنواع من العبادات أعني الدعاء والاستغاثة النذر والذبح والطواف والعكوف، فلا يجوز شيء منها لغير الله.

ومعلوم أن العاكفين عند القبور يرجون البركة والفيض من أهلها كما صرح البعض بذلك بقولهم: (اعتكف سلطان الهند خواجة معين الدين الأجميري لمّا وصل إلى مزار(علي الهجويري) الأقدس **واكتسب منه الفيوض والبركات**، ولمّا أراد الرجوع؛ استقبل القبر، وقرأ أشعارا: **گنج بخش هر دو عالم مظهر نور خدا*** ناقصان را پير كامل كاملان را رهنما...**) [1]، قال أحدهم: في معنى (گنج بخش): (مُوهِب الخزانة العلمية، والكنوز الروحانية، والفيوضات والبركات الباطنية التي لا تفني ولا تنتهي) [2]، وقد تقدم في المبحث الثاني بعض الأمثلة من هذا النوع من الانحرافات.

«العكوف والمجاورة عند قبر نبي أو غيره أو مقام نبي أو غير نبي ليس من دين المسلمين، بل هو من جنس دين المشركين الذين أخبر الله عنهم إذ قال لهم إبراهيم إمام الحنفاء ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [3] فعكوف المسلمين في المساجد، وعكوف الجاهلين في المشاهد وهو من جنس عكوف المشركين؛ فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالَم له خالقان، ولا أن الله معه إله يساويه في صفاته، بل كانوا يُقرُّن بأن خالق السموات والأرض إله واحد كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ [4] وقوله: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ ﴾ [5] الآيات. وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تَقَرُّبهم إلى الله، كما قال سبحانه إخباراً عنهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [6]،

---

(١) مقدمة كشف المحجوب بقلم فقير محمد القادرية ص: ٢٢، و(جواهرپارے) لمحمد يوسف قريشي ص: ٥٤.

(٢) مقدمة كشف المحجوب لعلي الهجويري بقلم فقير محمد قادرية ص: ٣١.

(٣) سورة الأنبياء (٥٢).

(٤) سورة الفرقان (٢٥).

(٥) سورة المؤمنون (٨٦-٨٧).

(٦) سورة الزمر (٣).

﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾(١) وهؤلاء العاكفون على القبور قد شابهوهم في الصورة المطلوب اجتنابها...وموجب الوقوع في هذه المكروهات والمحظورات المبالغة في تعظيم القبور أو تعظيم المقبور» (٢).

قال ابن القيم -رحمه الله- في تعليقه على حديث أبي واقد الليثي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، قِبَل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرةٌ يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل:** ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (٣)**لتركبن سنن من كان قبلكم**» (٤) قال -رحمه الله-: فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إلهٍ مع الله تعالى -مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها- فما الظن بالعكوف حول القبر، والدعاء به، ودعائه، والدعاء عنده، فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون(٥).

والعكوف عند المقابر شرك إن كان يتقرب به العاكف إلى المقبور، أو هو سبب الشرك كما قال ابن عباس ﷺ ومجاهد وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ (٦): اللات كان رجلاً يَلُتُّ السويق للحجاج، فلما مات عكفوا على قبره؛ فعبدوه(٧).

---

(١) سورة يونس (١٨).

(٢) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور لمرعي الكرمي ص: ٢٣٠-٢٣٢.

(٣) سورة الأعراف (١٣٨).

(٤) تقدم تخريجه ص: ١١٨.

(٥) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/٣٨٠، تحقيق علي حسن، و١/٢٢٤ تحقيق الكيلاني.

(٦) سورة النجم (١٩).

(٧) جامع البيان للطبري ١٣/٧٤.

وقد يَحلُم البعض أثناء اعتكافه عند القبر ويرى بعض الرؤى؛ فيأخذ بها كالنص من القرءان الكريم أو كلام خير الأنام صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، كما تقدم بعض الأمثلة من هذا في ذكر الانحرافات المتعلقة بالاعتكاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وهذه "الخلوات" قد يقصد أصحابها الأماكن التي ليس فيها أذان ولا إقامة ولا مسجد يصلى فيه الصلوات الخمس؛ إما مساجد مهجورة، وإما غير مساجد: مثل الكهوف والغيران التي في الجبال، ومثل المقابر لا سيما قبر من يحسن به الظن، ومثل المواضع التي يقال: إن بها أثر نبي أو رجل صالح، ولهذا يحصل لهم في هذه المواضع أحوال شيطانية يظنون أنها كرامات رحمانية.

فمنهم من يرى أن صاحب القبر قد جاء إليه وقد مات من سنين كثيرة ويقول: أنا فلان، وربما قال له: نحن إذا وضعنا في القبر خرجنا....

والشياطين كثيرا ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام، وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول: أنا الشيخ فلان أو العالم فلان وربما قالت: أنا أبو بكر وعمر.

وربما أتى في اليقظة دون المنام وقال: أنا المسيح أنا موسى أنا محمد وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها وثَمّ مَنْ يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم، وثَمّ شيوخ لهم زهد وعلم وورع ودين يصدقون[(١)] بمثل هذا.

ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه.

ومن هؤلاء من رأى في دائرة ذرى الكعبة[(٢)] صورة شيخ قال: إنه إبراهيم الخليل.

ومنهم من يظن أن النبي ﷺ خرج من الحجرة وكلمه. وجعلوا هذا من كراماته.

ومنهم من يعتقد أنه إذا سأل المقبور أجابه»[(٣)].

---

(١) وقد تقدم قول بعضهم: إن السيوطي -رحمه الله- رأى النبي يقظة لا مناما أكثر من عشرين مرة!! والشعراني -رحمه الله- رأى النبي ﷺ يقظة، وعرض عليه صحيح البخاري!!! يراجع فصل التعظيم والطاعة ص:٢٧٥.

(٢) لعله يقصد بذلك الحزام المذَهّب في غلاف الكعبة المشرفة. والله أعلم.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٤٠٦-٤٠٧.

وما استدلوا على عكوفهم في الغيران والكهوف وعند القبور بتعبد النبي ﷺ قبل البعثة في غار حراء، فقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذه الشبهة فقال: «وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحنُّثه بغار حراء قبل الوحي، وهذا خطأ؛ فإن ما فعله ﷺ، قبل النبوة إن كان قد شرعه بعد النبوة فنحن مأمورون بإتباعه فيه وإلا فلا.وهو من حين نبأه الله تعالى لم يصعد بعد ذلك إلى غار حراء ولا خلفاؤه الراشدون. وقد أقام -صلوات الله عليه- بمكة قبل الهجرة بضع عشرة سنة، ودخل مكة في عمرة القضاء وعام الفتح، أقام بها قريبا من عشرين ليلة، وأتاها في حجة الوداع، وأقام بها أربع ليال، وغار حراء قريب منه و لم يقصده...

وطائفة يجعلون الخلوة أربعين يوما ويعظمون أمر الأربعينية، ويحتجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وأتمها بعشر وقد روي أن موسى عليه السلام صامها وصام المسيح أيضا أربعين لله تعالى وخوطب بعدها. فيقولون يحصل بعدها الخطاب والتنزل كما يقولون في غار حراء حصل بعده نزول الوحي. وهذا أيضا غلط فإن هذه ليست من شريعة محمد ﷺ بل شرعت لموسى عليه السلام كما شرع له السبت والمسلمون لا يسبتون، وكما حرم في شرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد ﷺ. فهذا تمسك بشرع منسوخ وذاك تمسك بما كان قبل النبوة. وقد جُرِّب أن مَنْ سلك هذه العبادات البدعية، أتته الشياطين، وحصل له تَنَزُّلٌ شيطاني، وخطابٌ شيطاني، وبعضهم يطير به شيطانه.وأعرف من هؤلاء عددا طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التَّنَزُّلِ فَنَزلت عليهم الشياطين؛ لأنهم خرجوا عن شريعة النبي ﷺ التي أمروا بها.قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(١) وكثير منهم لا يجد للخلوة مكانا ولا زمانا بل يأمر الإنسان أن يخلو في الجملة» (٢).

---

(١) سورة الجاثية (١٨-١٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٣٩٣-٣٩٥.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الاعتكاف من أجل قراءة الأوراد البدعية بالكم والكيف المخترع.

تقدّم في فصل الذكر والدعاء أنه لا يجوز الابتداع في الأدعية لا كماً ولا كيفاً، لأن تحديد الكم، وتعيين الكيف من حق الشارع ﷻ، وجعل ذلك على لسان رسوله الكريم ﷺ لا على لسان غيره، وتقييد المطلق من الأعمال، وكذا تخصيص العام ليس إلا للشارع؛ فمن خَصَّصَ عاما، أو قَيَّدَ مطلقا، أو حدَّدَ كَمًّا أوعيَّن كيفًا، فقد جعل نفسه مشرعا، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [1]، وقال النبي ﷺ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**» [2].

فما ذكروه من الغسل، ولبس الثوب الجديد، أو لبس الإحرام، وعدم تغطية الرأس كما يفعله الحجاج في الحج، وابتداء الاعتكاف بعد صلاة العصر في يوم الأربعاء الأول من الشهر، وترك بعض الأشياء، والأخذ بما سموه بالحمية الجلالية والجمالية، أو الصوم من أجل قراءة الورد المبتدع المسمى بحزب البحر، وما استحدثوا له من اعتصام واختتام بما فيها من الألفاظ المهملة التي لا يفهم معناها، وأخري شركية صريحة؛ لأن فيها استغاثات بغير الله، كل هذا يكفي للتحريم وعدم الجواز، فما بالك إذا أضيف إليه كون العكوف في مكان لم يجعله الشارع مكانا للاعتكاف كالمغارة أو المفازة أو المقبرة بدلا من المسجد، فهي ظلمات بعضها فوق بعض.

وقد أنكرت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على من يتجرد من الثياب كالمحرم وهو ليس بمحرم للحج أو العمرة، فقالت عندما بلغها أن زياداً[3]أهدى هديا إلى الكعبة، وحرّم على نفسه ما يحرم على المحرم: «**أنا فَتَلْتُ قلائد هدي رسول الله ﷺ، ثم قلدها**

---

(١) سورة الشورى (٢١).

(٢) تقدم تخريجه ص: ١٩٢.

(٣) **زياد:** هو زياد بن أبي سفيان، والبعض يسمونه بزياد بن أبيه.

رسول الله ﷺ بيديه ثم بعث بها مع أبي فلم يحرم على رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم شيء أحله الله له حتى نحر الهدي»(١).

وفي رواية أخرى تصريح على إنكارها على من يجرد نفسه من الثياب وهو ليس بمحرم إحرام الحج أو العمرة حيث قالت: «كنت لأفتل قلائد هدي رسول الله ﷺ، ثم يبعث بها وهو مقيم ما يجتنب شيئا مما يجتنب المحرم، وكان بلغها أن زياد بن أبي سفيان أهدى وتجرَّد[أي من الثياب]قال: فقالت: **هل كان له كعبة يطوف بها؟ فإنا لا نعلم أحداً تحرم عليه الثياب تحل له، حتى يطوف بالكعبة»** (٢).إنكارها -رضي الله عنها- هذا جاء على مَنْ عَمِل أحد أعمال النسك وهو الإهداء إلى الكعبة، فكيف بمن لم يعمل شيئا من أعمال النسك، بل ويقرأ أدعية بدعية غير ثابتة عن النبي ﷺ.

وقال القرطبي -رحمه الله- في الأدعية التي يبتدعونها: «يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظا مقفاة وكلمات مسجعة، قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله عليه السلام» (٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مثل هذه العكوفات: «ثم صار أصحاب الخلوات فيهم من يتمسك بجنس العبادات الشرعية: الصلاة والصيام والقراءة والذكر.وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير مشروعة فمن ذلك طريقة أبي حامد(٤)ومن تبعه، وهؤلاء يأمرون صاحب الخلوة أن لا يزيد على الفرض لا قراءة ولا نظرا في حديث نبوي ولا غير ذلك، بل قد يأمرونه بالذكر ثم قد يقولون ما يقوله أبو حامد: ذكر العامة:

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الحج باب من قلد القلائد بيده٣/٦٨٨(ح١٧٠٠) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الحج باب استحباب بعث الهدي إلى الحرم لمن لا يريد الذهاب بنفسه٩/٧٨(ح٣١٩٢).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي باب لا يصير الإنسان بتقليد الهدي وإشعاره وهو لا يريد الإحرام محرما ٥/٢٣٣ (ح٩٩٦٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٢٤٨ عند تفسير الآية(٥٥) من سورة الأعراف.

(٤) **أبو حامد**: هو محمد بن محمد الغزالي -رحمه الله- تقدمت ترجمته.

"لا إله إلا الله" وذكر الخاصة:"الله، الله" وذكر خاصة الخاصة:" هو، هو".والذكر بالاسم المفرد مظهرا ومضمرا بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة فإن الاسم المجرد ليس هو كلاما لا إيمانا ولا كفرا...» (١).

وهذه العكوفات في الغيران والكهوف المظلمة، والابتعاد عن الناس، وعدم حضور الجمعة ولا الجماعات، وقراءة الأوراد البدعية، يفعلونها بعض الناس ليحصل لهم حالة يجمع فيه القلب على شيء معين مستعدا لقبول ما يرد عليه، لأن قلة علم العاكف وبُعْدُه عن السنة يجعل الشيطان جريئا لأن يُلبّس عليه، ويلقى عليه حالا أو مقالا يظنه من الكرامات الرحمانية، وهي ليست كذلك بل هي أحوال شيطانية، لأن من يبتعد الناس، ويترك حضور صلاة الجمعة والجماعة يستحوذ عليه الشيطان كما قال النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية**» (٢).

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: «قد يسمع العامي ذم الدنيا في القرآن المجيد والأحاديث؛ فيرى أن النجاة تركها، ولا يدري ما الدنيا المذمومة. فيلبّس عليه إبليس: بأنك لا تنجو في الآخرة إلا بترك الدنيا، فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش، ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقي، كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه، وعن فلان أنه تعبد في جبل، وربما كانت له عائلة فضاعت، أو والدة فبكت لفراقه، وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغي، وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها، وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه.ومن جهله:رضاه عن نفسه بما يعلم. ولو أنه وُفِّق لصُحْبَةِ فَقيهٍ يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها، وكيف يذم ما منَّ الله تعالى به، وما هو ضرورة في بقاء الآدمي، وسببٌ في إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلي فيه، وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية١٠/٣٩٦.

(٢) تقدم تخريجه يراجع ص: ٦٥٦.

ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع، وإن الخروج إلى الجبال المنفردة منهيٌّ عنه، فإن النبي ﷺ نهى أن يَبِيتَ الرجل وحده، وأن التعرض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح، والبعد عن العلم والعلماء يقوي سلطان الجهل، وفراق الوالد والوالدة في مثل هذا عقوق والعقوق من الكبائر، وأما من سمع عنه أنه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين، ومن لم يحتمل حالهم وجها صحيحا فهم على الخطأ مَنْ كانوا، وقد قال بعض السلف: خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثوري فردَّنا» (١).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في العاكفين في الكهوف وعند القبور، وما يتلفظون بالمأمور من قبل الشيوخ: «صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبين أنه ليس قصدنا ذكر الله تعالى، ولكن جمع القلب على شيء معين حتى تستعد النفس لما يَرِدُ عليها فكان يأمر مريده بأن يقول هذا الاسم مرات فإذا اجتمع قلبه ألقى عليه حالا شيطانيا فيلبسه الشيطان ويخيّل إليه أنه قد صار في الملأ الأعلى، وأنه أُعطي ما لم يعطه محمد ﷺ ليلة المعراج ولا موسى عليه السلام يوم الطور وهذا وأشباهه وقع لبعض من كان في زماننا.

وأبلغ من ذلك من يقول: ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان حتى يقول لا فرق بين قولك: يا حي، وقولك:يا جحش!!. وهذا مما قاله لي شخص منهم وأنكرت ذلك عليه، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتنزل عليها الشيطان.ومنهم من يقول: إذا كان قصد وقاصد ومقصود فاجعل الجميع واحدا؛ فيدخله من أول الأمر في وحدة الوجود.

وأما أبو حامد وأمثاله ممن أمروا بهذه الطريقة فلم يكونوا يظنون أنها تفضي إلى الكفر -لكن ينبغي أن يعرف أن البدع بريد الكفر- ولكن أمروا المريد أن يفرغ قلبه من كل شيء حتى قد يأمروه أن يقعد في مكان مظلم ويغطي رأسه ويقولَ: الله، الله.وهم

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي في ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد ص: ١٣٥، والأمر بالإتباع وترك الابتداع للسيوطي فصل ترك العلم والاشتغال بالنوافل ص: ٢٢٦.

يعتقدون أنه إذا فرغ قلبه استعد بذلك فينـــزل على قلبه من المعرفة ما هو المطلوب بل قد يقولون: إنه يحصل له من جنس ما يحصل للأنبياء...» (١).

وقال ابن الجوزي -رحمه الله- في مثل هؤلاء: «إن إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قلّ علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه، ومن العباد من يرى ضوءا أو نورا في السماء فإن كان رمضان قال: رأيت ليلة القدر، وإن كان في غيره قال: قد فتحت لي أبواب السماء وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقا وربما كان اختبارا وربما كان من خدع إبليس والعاقل لا يساكن شيئا من هذا ولو كان كرامة» (٢).

وأما تركهم أكل اللحوم والمأكولات المستلذة من أجل هذه العكوفات البدعية فمخالفة أخرى فوق بدعة العكوف في الغيران والكهوف لأنهم يزعمون أن الزهد هو ترك المباحات: «فمنهم من لا يزيد على خبز شعير، ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه، ويعذب نفسه بلبس الصوف، ويمنعُها الماء البارد.وما هذه طريقة رسول الله ﷺ ولا طريقة أصحابه وأتباعهم، إنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا، فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله ﷺ -وهو أول الزاهدين- يأكل اللحم ويحبه، ويأكل الدجاج، ويحب الحلو والعسل، ويستعذب الماء البارد؛ فإن الماء الحار يؤذي المعدة ولا يُرْوِي»(٣).

وبهذا تبين أن الاعتكاف عبادة جليلة، موضعها المساجد، وفي العكوف على المقابر وغيرها بدع وضلال تفضي إلى الشرك، بل ربما أدت بصاحبها إلى الشرك الأكبر المخرج من الدين، المبعد عن رب العالمين.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية١٠/٣٩٧.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي في ذكر تلبيس إبليس على المتدينين ص: ٣٣٤.

(٣) يُنظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص: ٣٣٦، الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص:٢٢٧.

الفصل الثالث

الانحرافات المتعلقة بالطواف، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الطواف، وأنواعه.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالطواف.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى الطواف، وأنواعه.

الطواف عبادة عظيمة يقوم بها العبد في بيت الله الحرام خاصة، دون غيره من الأمكنة والمواضع، وقد أمر الله عباده بالطواف ببيته العتيق، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (1) والطواف لا يصح إلا في المسجد الحرام. وفي هذا المبحث سيكون بيان معنى الطواف أولا، ثم بيان أنواعه، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: معنى الطواف

أولا: الطواف لغة

أصل الكلمة: (الطاء، والواو، والفاء) أصل واحد يدل على الدوران على الشيء(2).

تصريف الكلمة: الطواف مصدر من طَافَ يَطُوفُ، طوْفا، وطوافا، وطوفانا (3).

معنى الكلمة: الطواف يدل على المشي حول الشيء، ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظا، يقال طاف به يطوف، قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾(4)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (5) ومنه استعير الطائف من الجن، والخيال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (6) وهو الذي يدور على الإنسان من الشيطان يريد اقتناصه(7).

---

(1) سورة الحج (29).

(2) المقاييس في اللغة لابن فارس ص: 628.

(3) لسان العرب لابن منظور5/ 664.القاموس المحيط للفيروز آبادي ص:768.

(4) سورة الواقعة (17).

(5) سورة البقرة (158).

(6) سورة الأعراف (201).

(7) الاقتناص الاصطياد، ومعنى يقتنصه أي يصطاده.يُنظر: لسان العرب لابن منظور7/509.

والطائفون في قول الله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (1) فالمراد به الذين يطوفون بالبيت، أما في قوله تبارك وتعالى: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (2) فالمراد به الخدم والمماليك، ومنه قول صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم في الهرة: «**إنها من الطوافين عليكم والطوافات**» (3).

والطوفان: كل حادثة تحيط بالإنسان(4).

ثانيا: معنى الطواف شرعا

الطواف شرعا لا يخرج عن معناه اللغوي إلا أنه لما أريد به عبادة يتقرب بها إلى الله، خص بشروط ومميزات يختلف عن غيره من الأطواف، كما هو الشأن في جميع المعاني الشرعية بالنسبة للمعاني اللغوية.

فالطواف الشرعي: هو الدوران حول الكعبة، داخل المسجد الحرام بصفة مخصوصة، بنية العبادة(5).

---

(1) سورة البقرة (١٢٥).

(2) سورة النور (٥٨).

(3) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب سؤر الهرة ص: ١٩(ح٧٥)، والنسائي في سننه كتاب الطهارة باب سؤر الهرة ص: ١٩(ح٦٨) والترمذي في سننه كتاب الطهارة باب ما جاء في سؤر الهرة ص: ٣٣ (ح٩٢)، وقال:حديث حسن صحيح، وصححه الألباني أيضا.يُنظر: صحيح سنن الترمذي له١/٦٩(ح٩٢) وصحيح سنن ابن ماجه للألباني١/١٣١(ح٢٩٩).

(4) المعاني المذكورة أعلاه ذكرها الراغب في المفردات ص: ٥٣١، وابن منظور في لسان العرب ٥/٦٦٤، والزبيدي في تاج العروس١٢/٣٦٠-٣٦١.

(5) يُنظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٢/١٢٦، وكتاب الأم للشافعي٢/١٧٩ والمفردات للراغب ص: ٥٣١، وصحيح فقه السنة لأبي مالك كمال سالم ٢/١٧٧، والمغني في فقه الحج والعمرة لسعيد باشنفر ص:١٨٦-١٩١، وتبصير الناسك بأحكام المناسك لعبد المحسن البدر ص:٩٤.

المطلب الثاني: أنواع الطواف

الطواف عبادة بدنية يصح مقترنا مع عبادة أخرى، ويصح أن يأتي بها الطائف منفردة، فمن هذا الوجه ينقسم الطواف إلى نوعين:

١- طواف النسك: وهو ما كان من أعمال الحج أو العمرة.

٢- طواف التطوع: وهو ما كان بمفرده، و لم يكن من أعمال الحج أو العمرة.

وينقسم طواف النسك إلى نوعين:

١- طواف العمرة: وهو ما كان من أعمال العمرة، وهو ركن من أركانها.

٢- طواف الحج، وهو ما كان من أعمال الحج.

وينقسم طواف الحج بالنظر إلى الطائفين إلى ثلاثة أقسام(١):

١- طواف القدوم: ويسمى طواف الورود وطواف التحية، لأنه يشرع للقادم من غير مكة لتحية البيت.

٢- طواف الإفاضة: ويسمى طواف الزيارة، ويقوم به الطائف بعد الإفاضة وهي النزول من عرفة.

٣- طواف الوداع: ويسمى طواف الصدر، أو طواف آخر العهد، ويودع به الحاج بيت الله الحرام.

وينقسم طواف الحج باعتبار الأحكام التكليفية إلى ثلاثة أقسام(٢):

١- المندوب أو المسنون: وهو طواف القدوم(٣).

---

(١) يُنظر: در المختار مع رد المحتار للحصكفي ٥١٤/٢ وما بعدها، والشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة٢٦١/٩،٧٩.وصحيح فقه السنة لأبي مالك كمال بن السيد سالم٢١٩/٢-٢٢٣، والمغني في فقه الحج والعمرة لسعيد باشنفر ص: ١٦٩.

(٢) بداية المجتهد لابن رشد٣٢٥/٣، ودر المختار مع رد المحتار للحصكفي ٥١٤/٢ وما بعدها.

(٣) خالف بعض المالكيةُ الجمهورَ في طواف القدوم فقالوا بوجوبه.لكن يبدو -والله أعلم- أن قول الجمهور راجح، وللنظر في أدلة الطرفين يراجع صحيح فقه السنة لأبي مالك كمال بن السيد السالم ٢١٩/٢-٢٢٠، والمغني في فقه الحج والعمرة لسعيد باشنفر ص: ١٧٠.

٢- الفرض(الركن): وهو طواف الإفاضة.

٣- الواجب: وهو طواف الوداع.

هذه التقسيمات كلها للطواف المشروع، وبعض الناس انحرفوا في هذا المجال انحرافا شديدا فطافوا بغير ما أمروا بالطواف به، وهو البيت الله الحرام، كالطواف بالقبور والأصنام متقربين إلى غير الله ﷻ. وبهذا الاعتبار يمكن أن يقسم الطواف إلى نوعين:

١- الطواف المشروع، وهو ما كان داخل المسجد الحرام حول الكعبة بصفة مخصوصة بنية التقرب إلى الله تعالى.

٢- الطواف الممنوع: وهو ما لم يتوفر فيه ضوابط الطواف المشروع، وأمثلة هذا النوع سيأتي في المبحث الثاني إن شاء الله ﷻ.

المبحث الثاني
الانحرافات المتعلقة بالطواف.

الطواف عبادة جليلة لا يجوز الإتيان بها إلا عند بيت الله الحرام، لأن الله ﷻ أمر عباده أن يطوفوا بيته المعظم إظهارا للولوع والملازمة له، قال تعالى:﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (١).

فالطائفون يطوفون حول البيت متصورين بصورة عبد لاذَ بسيده ويقول أنا لك وإليك، لا مذهب لي ولا منقلب لي إلا إليك، فهو أخص العبادات، حيث لا يجوز إلا عند البيت متفردا، أو مقترنا مع نسكٍ آخر، وقد أنكرت أم المؤمنين عائشة بنت الصديق على زياد بن أبيه وكان قد بلغها أن زياداً هذا أهدى إلى الكعبة هديا وتجرَّد من ثيابه ولبس لِبَاس الإحرام كما يلبسه المحرم فقالت: «**هل كان له كعبة يطوف بها؟ فإنا لا نعلم أحداً تحرم عليه الثياب تحل له، حتى يطوف بالكعبة**» (٢)، الشاهد في الأثر قولها –رضي الله عنها-: «**هل كان له كعبة يطوف بها**» فإن الطواف عند أهل الإسلام مرتبط بالكعبة، ولذلك قالت عائشة –رضي الله عنها- ما قالت على سبيل الإنكار المتضمن لاستبعادها أن يكون في المسلمين أحد يطوف بغير بيت الله(٣).

ولكن مع الأسف الشديد قد انحرف بعض الناس في إقليم سرحد وغيره في مجال الطواف –وما كان ينبغي أن يحصل- ألا وهو الطواف على قبور بعض الصالحين.

ومما يدل على وجود هذا الانحراف لدى بعض الناس قول محمد يوسف اللديانوي حيث قال: (انظروا إلى ما يفعله جهلة العوام على القبور، كافتراش الأغطية عليها،

---

(١) سورة الحج (٢٩).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي باب لا يصير الإنسان بتقليد الهدي وإشعاره وهو لا يريد الإحرام محرما ٢٣٣/٥ (ح٩٩٦٩).

(٣) ينظر جهود الشافعية لعبد الله العنقري ص: ٤٨٤.

وإسراج السرج عليها، والسجود لها، والطواف حولها، وتقبيلها...وإن كنت قد وقفت لزيارة قبور بعض الأولياء والصالحين لرأيت هذا كله بعينيك)[١].

وبيّن أحد الرافضة كيفية زيارة الحسين ﷺ فقال: «...ثم قبّل الضريح وضع خدك الأيمن عليه ثم الأيسر، ثم طُفْ حول الضريح، وقبّله من جوانبه الأربعة...» [٢].

ويقول في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين: «يا آل المصطفى! إنا لا نملك إلا أن نطوف حول مشاهدكم، ونعزي فيها أرواحكم...» [٣].

ونقل أحد[٤] البريلوية[٥] عن كتب بعض[٦] الديوبندية[٧] يريد بذلك بيان التناقض في

---

(١) «اختلاف أمت» للديانوي بالأردية ص:٦٢، وبالبشتو ص: ٨٦.

(٢) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٥١٣.

(٣) مفاتيح الجنان لعباس القمي ص: ٦٣٤.

(٤) وهو أحمد يارخان نعيمي البريلوي في كتابة جاء الحق ص: ٢٥٧.

(٥) **البريلوية**: فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية في مدينة بريلي بالهند، وبالغوا في محبة وتقديس الأنبياء والأولياء عموما، والنبي محمد ﷺ خصوصا.مؤسسها أحمد رضا خان المتوفى عام١٣٤٠هـ وقد سمّى نفسه عبد المصطفى!! ويعتقد أبناء هذه الطائفة بأن الرسول لديه القدرة يتحكم بها في الكون، وأنه ﷺ حاضر وناظر في كل زمان ومكان. وهم يُشيّدون القبور ويعمرونها ويتبركون بها، وأعظم أعيادهم هو ذكرى المولد النبوي. ولمعرفة المزيد من عقائدهم يراجع: البريلوية عقائد وتاريخ، لإحسان إلهي ظهير، وجهود علماء الحنفية لشمس الدين الأفغاني ٧٠٥/٢ وما بعدها، وموسوعة الميسرة لمانع الجهني ٢٩٨/٢.

(٦) وهو أشرف على التهانوي الديوبندي في كتابه حفظ الإيمان ص: ٦.

(٧) **الديوبندية**: هي فرقة تنسب إلى دار العلوم (ديوبند) بالهند، يتمذهبون بمذهب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- في الفقه، وأبي منصور الماتريدي في الاعتقاد، وينتسبون من طرق الصوفية إلى النقشبندية، والجشتية، والقادرية، والسهروردية، وتتفرغ عن الديوبندية طوائف منها الفنجفيرية، وجماعة التبليغ وغيرها. ولمعرفة المزيد عنها يراجع: الديوبندية، تعريفها، عقائدها، لسيد طالب الرحمن، وعقائد أهل السنة والجماعة (المهند على المفند) لخليل أحمد السهارنفوري، وقد حققه وعلّق عليه الدكتور سيد طالب الرحمن فأفاد وأجاد. وقارن شمس الدين الأفغاني بين الديوبندية والبريلوية في بعض الأمور فأحسن المقارنة. يراجع كتابه جهود علماء الحنفية ٧٧١/٢.

أقوالهم، فقال: (جاء في كتاب حفظ الإيمان لأشرف علي[التهانوي] سؤال يتضمن بيان الشاه ولي الله[1] لطريقة كشف القبور[2]: وبعد هذا يطوف حول القبر سبعة أشواط ويكبر فيه، ويبدأ من اليمين، ويضع خده على القبر من جهة رجلي الميت؛ فهل يجوز الطواف القبر والسجود له؟ أجاب عن هذا في كتاب حفظ الإيمان ص: (٦) بأن هذا الطواف ليس بالطواف المصطلح عليه الذي يُفعَل للتعظيم والتقرب، والذي ثبت النهي عنه في الشرع، بل هذا طوافٌ لغوي، يعني هو مجرد الدوران حوله، لإيجاد تعلق الوحي مع صاحب القبر واكتساب الفيض منه...)[3].

وتتفرع من هذا الانحراف-أعني الطواف حول القبور والأضرحة- انحرافات أخرى، حيث أن بعض الناس صاروا يطَوِّفون أهاليهم وأموالهم على القبور والأضرحة رجاء البركة والأمن من الآفات، والآلام والأسقام.

قال زاهدي أحمد زئي: (من المروج عند بعض الشعوب[4]أنه إذا أخرجوا العروسة من بيت أبيها، فيذهبون بها إلى أقرب مشهد أو ضريح، ثم يُطَوِّفونها حول ذلك الضريح

---

(١) **الشاه ولي الله:** هو أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور، أبو عبد العزيز، الهندي، المعروف بشاه ولي الله الدهلوي. فقيه حنفي، ولد ١١١٠هـ وتوفي١١٧٦هـ من مؤلفاته:حجة الله البالغة، والفوز الكبير في أصول التفسير ينظر:نيل السائرين في طبقات المفسرين لمحمد طاهر الفنجفيري ص: ٣٢٠ معجم المؤلفين لكحالة١/٢٧٢، والأعلام للزركلي١/١٤٩.

(٢) **كشف القبور:** الكشف في اللغة رفع الحجاب.وفي اصطلاح الصوفية: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني العلية، والأمور الخفية وجودا وشهودا، والقبور جمع القبر وهو ما يدفن فيه الميت. دستور العلماء للنكري٣/٥٣ و١٢٤، وقال الجرجاني في التعريفات ص: ٢٣٥ الكشف: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية. فهم يريدون بكشف القبور الاطلاع على ما في القبور من المعاني الغيبية، والأمور الخفية.والله أعلم.

(٣) يُنظر: ((جاء الحق)) لمفتي أحمد يارخان البريلوي ص: ٢٥٧.

(٤) وهذا العمل موجود في بعض الشعوب الأفغانية حيث يقول زاهدي أحمد زئي: (وهذا العمل مروج في كثير من ولايات أفغانستان، كولاية بلخ حيث يذهبون بالعروسة سواء كانت تنتسب إلى قوم البشتون، أو الأزبك، أو التاجيك، أو التركمن، أو القزاق، وسواء كانت العروسة شيعية المذهب أو سنية، فيذهبون بها =

أو المشهد سبعة أشواط، ثم يذهبون بها إلى بيت زوجها، ولا يتركونها إلى بيت الزوج حتى يوأكلوها من تراب رجلي ذلك القبر)[1].

هذه جملة من الانحرافات المتعلقة بالطواف وفي المبحث الثالث بيان لموقف الإسلام منها.

= أولا إلى قبر ((سخي صيب)) فيطوّفون بالعروسة حول الضريح سبعة أشواط، ثم يُطَوِّفون بها سبعة أشواط على القبر، ثم يوأكلوها من تراب رجلي القبر، ثم يذهبون بها إلى البيت، ويعتبر عندهم هذه العروسة ذات نصيب جيد، ثم إذا ولد لتلك العروسة أولاد، يجعلونها من بركة وفيض((سخي صيب)) بل وعطائه، وهكذا في ولاية غزنة من أفغانستان وفي مدينة غزنة صارت هذه العادة من الواجبات، حيث يذهبون بالعروسة إلى القبور، وخاصة إلى قبر ((بلُول أنا أو بلول دانا)) أو إلى قبر محمود الغزنوي أو غيرها من قبور الأكابر؛ فيطوفون بها هناك، ثم يقدمون إلى سدنة القبور بعض النذور أو الغفارات[قلنگ] بأيدي العروسة المخضبة، ثم يتفاءلون بذلك). يُنظر: ((ناروا بدعتونه)) لزاهدي أحمد زئي ص:٢٦٠-٢٦١.

(١) ((ناروا بدعتونه)) لزاهدي أحمد زئي ص: ٢٦٠محيلا إلى (پشتني دودونه ص:١١٤).

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالطواف.

أمر الله تعالى عباده بالطواف في المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (١).

وقال النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم في فضل الطواف: «**من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة**» (٢).

وجعل النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم الطواف على الكعبة المشرفة مثل الصلاة حيث قال: «**الطواف بالبيت صلاة، فأقلوا من الكلام**» (٣)، فإذا عرفنا أن الطواف مثل الصلاة كما أخبر بذلك رسول الهدى ﷺ فيأخذ حكمها، وينطبق عليه ما ينطبق على الصلاة، فكما لا تصح الصلاة إلا إلى البيت، هكذا لا يصح الطواف إلا عند البيت، وكما لا يجوز أن تصرف الصلاة إلا إلى الله، كذلك لا يجوز أن يصرف الطواف إلا إلى الله، وكما لا يتوجه في الصلاة إلا إلى موضع معين وهو المسجد الحرام، فكذلك لا يجوز الطواف إلا في موضع معين وهو المسجد الحرام.

---

(١) سورة الحج (٢٦-٢٩).

(٢) سنن ابن ماجة كتاب المناسك باب فضل الطواف ص: ٥٠١ (ح٢٩٥٦) وصححه الألباني ينظر صحيح سنن ابن ماجة للألباني٣/٢٧(ح٢٤١١).

(٣) سنن النسائي كتاب مناسك الحج (إباحة الكلام في الطواف) ص: ٤٥٢(ح٢٩٢٢).وصححه الألباني ينظر صحيح سنن النسائي للألباني ٢/٣٢٠(ح٢٩٢٢).

وقد صرح علماء الشريعة -رحمهم الله- بعدم جواز الطواف حول مسجد أو بيت سوى الكعبة، وقالوا: «**من طاف بمسجد سوى الكعبة يُخشى عليه الكفر**»(١). وهذا إذا قُصِد به التقرب إلى الله ﷻ، وأما إذا كان الطواف يقصد به التقـرّب إلى غـير الله ﷻ كالمقبور أو غيره -ولو كان نبيا أو وليا- فلا شك أن هذا العمل شـرك وكفـر؛ لأن الطواف عبادة وصرف العبادة لغير الله ﷻ شرك وكفر، والعياذ بالله تعالى.

ونقل النووي -رحمه الله- إجماع العلماء على منع الطواف بقبر النبي ﷺ فقبر مـن دونه- وكل واحد من البشر دونه- أولى بالتحريم، قال -رحمه الله-: «لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ويكره إلصاق الظهر والبطن بجدار القبر...هذا هو الصواب الذي قاله **العلمـاء وأطبقوا عليه** ولا يغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك، فان الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء ولا يلتفت إلى محـدثات العـوام وغيرهـم وجهالاتهم وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة-رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد**»(٢)وفي رواية لمسلم «**من عمل عمـلا لـيس عليه عملنا فهو رد**» (٣)اهـ (٤).

وبهذا يتضح جليا موقف الإسلام من الطواف بغير بيت الله الحرام، وأن من طاف بغير بيت الله الحرام -سواء كان مسجدا أو بيتا أو ضريحا أو قبرا أو غير ذلك- فقد أتي بكبيرة من الكبائر، وهذه الكبيرة قد تكون بدعة محرمة كالطواف حول القبور والمساجد بنية التقرب إلى الله ﷻ، وقد تكون شركا وكفرا إذا كان الطواف بالمسجد أو البيت أو القبر بنية التقرب إلى غير الله ﷻ.

---

(١) حاشية الطحاوي على المراقي .(أحكام العيدين حكم التعريف في غير عرفة)ص: ٥٣٨ ط: دار الكتب العلمية، وص: ٤٤١ ط: كراتشي باكستان.

(٢) لعله -رحمه الله- روى الحديث بالمعنى كما هو عادة أكثـر الفقهـاء، ولفـظ الحـديث في الصحيحين«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» وقد تقدم تخريجه ص: ١٩٢.

(٣) وهنا كذا روى الحديث بالمعنى، ولفظ الحديث «**من عمل عملا ليس عليه أمرنافهو رد**»، وقد تقدم تخريجه ص: ١٩٢.

(٤) المجموع للنووي آخر كتاب الحج والعمرة ٢٥٧/٨(فرع زيارة قبر النبي ﷺ.)

فـ ((الطواف بالقبور وتظليلها بدعة يحرم فعلها ووسيلة عظمى لعبادة أهلها من دون الله، وقد تكون شركًا إذا قصد أن الميت بذلك يجلب له نفعًا، أو يدفع عنه ضرًّا، أو قصد بالطواف التقرب إلى الميت))(١).

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: ((إذا طاف [الرجل وكان] يتقرب بذلك إلى صاحب القبر، فهو مِثْلَ إذا دعا واستغاث به يكون شركا أكبر، أما إذا طاف يحسب أن الطواف بالقبور قربة إلى الله -قصده التقرب إلى الله كما يطوف الناس بالكعبة- ليتقرب إلى الله بذلك وليس يقصد الميت، فهذا من البدع ومن وسائل الشرك المحرمة والخطيرة، ولكن الغالب على من طاف بالقبور أنه يتقرب إلى أهلها بالطواف ويريد الثواب منهم، والشفاعة منهم، وهذا شرك أكبر -نسأل الله العافية- كالدعاء))(٢).

فالطائف قد يكون معذورا -بنوع من الأعذار- فلا يحكم عليه بالكفر، أو الشرك حتى يُزال عُذره.

وأما الشبهة التي استدلوا بها على جواز الطواف حول القبور، من أن الطواف حول القبور ليس طوافا اصطلاحيا، وإنما هو طواف لغوي بمعنى الدوران على الشيء، فيقال في ردّ هذه الشبهة:

أولا: إن هذا الصنيع ليس بغريب وجديد في التلبيس على الناس لقد قالوا بمثل هذا في قول القائل: (**يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئا لله**) فقال أحدهم: معنى هذه الكلمة المحترمة على وجهين: **الأول:** يا شيخ عبد القادر أعطني شيئا إكراما لله تعالى مما أعطاك الله من الفيوض الباطنة... **والثاني:** أمدني شيئا لله إكراما لله بالدعاء من الله وفي كلتي الصورتين استعانة من غوثيته. **وقال الآخر** في تأويله: (شيئا مصدر من شَوَى، يَشْوِي، شَيْئاً!!، فشيئا لله معناه أنه شُوِي في محبة الله، ونسبة قضاء الحاجات إليه مجاز)(٣).

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بحث النذر ١/١٨٦ (فتوى رقم ٥٠٠٠).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ٢٨/٣٣٠-٣٣٢، وينظر: التحذير من فتنة القبور لابن باز ص: ٨٠.

(٣) تقدم النقل والرد عليه في فصل الذكر يراجع ص: ٣٦٦، ٣٨٠، ٣٨١.

وقالوا: (إن طُلِب من الولي ما ليس في وسعه، كشفاء المرضى، وإعطاء الولد، وردّ الغائب، فهذا أيضا جائز، لأن هذا مجاز)[١]، وقالوا في جواب سؤال: (هل يجوز النذر لغير الله أم لا؟ **الجواب**: إن اعتقد الناذر في غير الله أنه معبود، ففي هذه الحالة النذر باسم غير الله شركٌ صريحٌ فهو حرام، وإن لم يعتقد في غير الله أنه معبود بل يريد إيصال ثواب نذره لروحه، ففي هذه الصورة النذر لغير الله جائز بلا شبهة[٢]، هذه كلها وأمثالها الكثيرة تدل على أن لدى هؤلاء حيل وشبه يريدون بها التلبيس على الناس ولكن الله يَعْصِم المؤمنين المستعيذين برب الناس، من شر وسواس الخناس.

ثانيا: إن الواقع والحال يرد هذه الدعاوى، ولا يريد الطائفون حول القبور الطواف اللغوي -كما زعمه البعض-، بل يقصدون بذلك الطواف الاصطلاحي الذي يحصل به التقرب إلى من يُطَاف ببقعته، فكما يتقرب العبد بالطواف حول الكعبة إلى الله ﷻ، ويطلب قضاء حاجاته هناك، كذلك القبورية يطوفون بالقبور للتقرب إلى أهل القبور، وأن يُقضى حاجاتهم التي يطوفون من أجلها على القبور[٣] .

فالطائفون حول القبور لا يريدون بطوافهم الطواف اللغوي، بل يقصدون الطواف الاصطلاحي كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ بقوله: «**لا تقوم الساعة حتى تضطربَ**

---

(١) تقدم في فصل التوسل والشفاعة نماذج من هذا مع الرد عليها في ص: ٣٦٥ وما بعدها

(٢) تقدم النقل والرد عليه في فصل النذر في ص: ٤٦٦، و٤٧٧.

(٣)ومما يدل على صحة هذا ما يحكيه الشيخ محمد أمير (بجليگر) وهو من علماء الديوبندية في بشاور من إقليم سرحد باكستان حيث قال: (**قال أحد القبورية إن ضريح الشيخ الفلاني مجرّب لقضاء الحاجات إذا طاف به الرجل، فطاف به أحد الجهلة لقضاء حاجة كانت في قلبه؛ فلم يوفق لقضاء حاجته، فجاء إلى ذلك الرجل الذي أرشده إلى الطواف بالضريح، وقال: أنا طُفْتُ به ولم أحصل على مرادي، فقال: لعلك لم تَطُفْ سبعة أشواط، فذهب الجاهل وطاف بالضريح سبعة أشوط، ومع ذلك لم يحصل على مراده، فجاء إلي الذي أرشده إلى الطواف بالضريح مرةً ثانيةً وقال: أنا طفت به سبعة أشواط ولم أحصل على مرادي، فقال له: لعلك أخذت النَّفَسَ أثناء الطواف، وإنما كان عليك أن تطوف سبعة أشواط دون أن تتنفّس فيها**) (الشريط باللغة البشتو)

أَلَياتُ[1] **نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِى الخَلَصَةِ**»[2].قال علي القاري –رحمه الله– في معناه: «تسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخَلَصَة[3] فـتَرتَجُّ أعجازُهن مضطربةً أَلَيَاتُهن»[4].

ففي هذا الحديث أخبر ﷺ أنه يكون في أمتي قبل قيام الساعة من يطوف بما لا يجوز الطواف حوله كالأصنام، والقبور، والدور وغيرها، وما يفعله بعض الناس اليوم مصداق ذلك، وهو من علامات الساعة حيث يقل التدين في الناس؛ لأن الشيطان عدوٌّ لهم، فيوحي إلى أوليائه الشُّبهات وزخرف القول ليضل به عن سبيل الله قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[6].فلا يُستبعَد أن يقصدوا بطوافهم على القبور طوافا شرعيا، لأنه لا بد أن يحصل مصداق قوله ﷺ في الحديث المذكور آنفا.

ثالثا: إن الطواف اللغوي يختلف عن الشرعي **كمّاً وكيفًا**، فلا يشترط في الطواف اللغوي عدد معين من الأشواط، وإنما هو مجرد الدوران على الشيء أو الذهاب إلى الشيء كما يقال:طاف فلان على نسائه، أي ذهب إلى كل واحدة منهن، وطاف الحارس بالبيت أي دار عليه من دون اشتراط عدد معين، بينما يشترط العدد في الطواف الشرعي حيث

---

(١) **أليات**: بفتح الهمزة واللام جمع أَلْيَة، وهي العجيزة للناس وغيرهم، وقيل: ما رَكِبَ العَجز من اللحم والشحم، والجمع أَلَيَات، وأَلَايا.يُنظر: لسان العرب لابن منظور١/٢٠٢.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتب الفتن باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان١٣/٩٥ (ح٧١١٦)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة ١٨/٢٤٠(ح٧٢٧).

(٣) **ذي الخَلَصَة**: هو بيت فيها صنم لدوسٍ يسمى الخَلَصَة.يُنظر: النهاية لابن الأثير١/٧٤.

(٤) مرقاة المفاتيح لعلي القاري كتاب الفتن ١٠/١٧٣(ح٥٥١٨).

(٥) سورة الأنعام (١١٢).

(٦) سورة الأنعام (١٢١).

حُدِّد بسبعة أشواط، لكل شوط بداية ونهاية لا بُدَّ أن يبدأ منها وينتهي بها وإلا لا يُتعدُّ به، كما في جميع طوافات الشرعية الفرضية منها والتطوعية.وإذا كان الطواف حول القبر سبعة أشواط -كما تقدم في بيان الانحرافات- ظهر أنهم يريدون الطواف الشرعي لا اللغوي.

وكذلك الطواف الشرعي يختلف عن الطواف اللغوي **كيفا** حيث يكون في الطواف الشرعي الدوران بيمين الطائف، وأن يكون البيت عن يسار الطائف، ويبدأ بالتكبير، ويذكر الله فيه، ويُقبَّل فيه الحجر الأسود أو يُوضع الجبهةُ عليه ونحو ذلك مما ورد فعله في الطواف الشرعي، بينما في الطواف اللغوي لا يكون فيه هذه الأمور كلها، فمن بدأ الدوران حول القبر بيمينه والقبر عن يساره، وكبّر فيها، وطاف حوله سبعة أشواط، ووضع خدَّه على القبر أو قبَّله كما ذكر في بيان الانحرافات...فهذه الكيفيات أخرجت طوافه من اللغوي إلى الطواف الشرعي الذي يقصد به التقرب.

رابعاً: ولو سلمنا وتنَزَّلْنا جدلا أن المراد به الطواف اللغوي- بمعنى الدوران حول القبور-؛ فأيضا لا يجوز، لعدم ثبوت ذلك عن الصحابة والتابعين على قبر خير الأنام محمد ﷺ، ولأن عوام الناس لا يعرفون هذه التأويلات، وإنما يعرفون المعنى المعروف بينهم وهو المعنى الشرعي لا غير، فيمنع الطواف على القبور -مطلقا- سدا للذريعة.

قال غير واحد من علماء الحنفية -رحمهم الله-: «لا يطوف أي ولا يدور حول البقعة الشريفة(١)؛ لأن الطواف من مختصات الكعبة المنيفة؛ فيحرم حول قبور الأنبياء والأولياء، ولا عبرة بما يفعله العامة الجهلة ولو كانوا في صورة المشايخ والعلماء...» (٢)

وبهذا تبين أن الطواف عبادة عظيمة الشأن، موضعها المسجد الحرام، وحول الكعبة المشرفة فقط لا غير، كما تبين أنه لا يجوز الطواف حول بئر زمزم ولا مقام إبراهيم عليه السلام، ولا الصخرة ببيت المقدس ولا غيرها، ولا قبر النبي ﷺ ولا قبر غيره.

---

(١) يقصدون بها البقعة التي فيها قبر النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

(٢) فتاوى دار العلوم ديوبند لعزيز الرحمن١/١١٤، والفتاوى الرشيدية للجنجوهي (بالبشتو) ص: ٢٣٩، كلاهما أحالا إلى شرح المناسك لعلي القاري.

وبهذا يظهر موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالطواف، وأن الطواف على غير بيت الله الحرام كبيرة من الكبائر، وهذه الكبيرة تكون بدعة محرمة إذا طاف الرجل بغير بيت الله تقربا إلى الله، وعلى هذا يحمل قول من قال من العلماء: الطواف على القبور بدعة.ويكون الطواف شركا وكفرا إذا كان للتقرب إلى غير الله ﷻ، وعلى هذا يحمل قول مَنْ قال مِنْ العلماء: الطواف على القبور شرك وكفر. ولكن الفاعل قد يكون معذورا -بأي عذر من الأعذار- فلا يحكم بكفره وردّته، حتى يزال عذره.

الفصل الرابع

الانحرافات المتعلقة بالذبح، وتقديم القرابين، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الذبح، والقرابين، وأنواعهما.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالذبائح، وتقديم القرابين.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

معنى الذبح، والقرابين، وأنواعهما.

إن من العبادات البدنية الذبح لله ﷻ، وتقديم الصدقات والقرابين للفقراء والمستحقين وفي هذا البحث معنى الذبح والقرابين، وأنواع كل واحد منهما وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: معنى الذبح والقرابين لغة وشرعا.

أولا: معناهما لغة

أ: أصل الكلمتين:

الذبح: الذال، والباء، والحاء أصل واحد يدل على الشق[1].

القرابين: جمع قربان أصله (القاف، والراء، والباء) يدل على خلاف البعد[2].

ب: تصريف الكلمتين:

الذبح: مصدر من ذَبَحَ يَذْبَحُ ذَبْحاً، بفتح عين الكلمة في الماضي والمضارع[3].

القرابين: جمع قربان وهو مصدر قَرُبَ يَقْرُب، قُرْبا، وقُرْبَاناً، وقِرْباناً بضم عين الكلمة في الماضي والمضارع، وقيل: بكسر عين الكلمة في الماضي وفتحها في المضارع كسمِع يسمَع، وقيل: بفتح عين الكلمة في الماضي وضمها في المضارع كنصر ينصر[4].

وقال سيبويه[5]: الفعل من قربان «قارب»، و لم يقولوا: «قرُب» استغناء بذلك[6].

---

(١) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٣٩٢.

(٢) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٨٨٥.

(٣) يُنظر: لسان العرب لابن منظور٣/٤٨٦.

(٤) يُنظر:تاج العروس للزبيدي ٢/٣٠٦.

(٥) **سيبوية:** هو سيبويه بن عمر بن عثمان بن قمبر أبو بشر الفارسي النحوي، إمام النحاة، توفي سنة١٨٠هـ.ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥١ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١٢/ ١٩٥(ت٦٦٥٨).

(٦) يُنظر: المحكم والمحيط الأعظم٦/٢٣٧.

ج: معنى الكلمتين:

الذبح: هو الفتق، والشق، والقطع[1].«وأصل الذبح شَقُّ حلقِ الحيواناتِ، والذِّبح بكسر الذال المذبوح» [2]: قال الله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

القربان: مصدر قرب يقابل البعد، ويستعمل القرب في المكان والزمان وفي النِّسْبة والحِظْوَة، وفي الرِّعاية والقُدْرة، فمن الأول نحو:﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾[4]، وفي الزمان نحو: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾[5] وفي النسبة نحو:﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[6] وفي الحظوة: ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[7] وفي الرعاية نحو: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[8] وفي القدرة نحو:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[9] اهـ[10].

ثانيا: معنى الذبح، والقرابين شرعا.

الذبح: قطع الحلقوم والمريء والوَدَجان[11]، وهذا أكمله[12].

وقيل: قطع الثلاثة من الأربعة [13].

---

(١) يُنظر: دستور العلماء للنكري ٢/١٢١.

(٢) المفردات للراغب ص: ٣٢٦.

(٣) سورة الصافات (١٠٧).

(٤) سورة البقرة (٣٥).

(٥) سورة الأنبياء (١).

(٦) سورة النساء (٨).

(٧) سورة النساء (١٧٢).

(٨) سورة البقرة (١٨٦).

(٩) سورة ق (١٦).

(١٠) يُنظر: المفردات للراغب ص: ٦٦٣.

(١١) **الوَدَجان:** عرقان عظيمان في جانبي قدّام العنق بينهما الحلقوم والمريء، والحلقوم: هو الحلق وهو مجرى النفس، والمريء: مجرى الطعام والشراب، ينظر: دستور العلماء للنكري٢/١٢١والدر المختار للحصكفي كتاب الذبائح ٦/٦٠٦.

(١٢) يُنظر: الدر المختار للحصكفي مع رد المحتار لابن عابدين كتاب الذبائح٦/٦٠٦، والمغني للموفق ابن قدامة ١٣/٣٠٤، والشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة ٢٧/٢٠٣، والإنصاف للمرداوي٢٧/٣٠٢.

(١٣) يُنظر: الدر المختار للحصكفي مع رد المحتار لابن عابدين كتاب الذبائح ٦/٦٠٦.

وقيل: «قطع الحلقوم من باطنٍ عند الفصيل، وهو المفصل بين العنق والرأس»(١).

والذكاة أعم من الذبح حيث يشمل الذبح والنحر. **والنحر**: «أن يضرب البَدَنة بالشفرة أو نحوها في الوَهْدَة(٢) التي بين أصل عنقها وصدرها»(٣).

القربان: كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة ونسيكة، والجمع القرابين(٤).

وقيل: اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من ذبيحة، أو غيرها، فكل ما يتقرب به إلى الله ﷻ، فهو قربان(٥).

المطلب الثاني: أنواع الذبح والقرابين.

تقدم أن القرابين تطلق على جميع ما يتقرب به إلى الله تعالى، من ذبائح وغيرها كالصدقات والطاعات وجميع أعمال البر، وقد تقدم في الباب الأول والثاني ذكر ما يتقرب به إلى الله من العبادات القلبية، واللسانية، وأقسام كل واحد منهما، ولم يبق إلا القرابين البدنية والمالية، وسبق ذكر القرابين البدنية في ما مضى من فصول هذا الباب، وهنا بيان للقرابين المالية والانحرافات المتعلقة بها، ثم بيان موقف الإسلام منها، فأقول وبالله التوفيق.

القرابين المالية تنقسم إلى نوعين:

١- ما يتقرب إلى الله تعالى بذبحه، أو نحره كبهيمة الأنعام وغيره.

٢- ما يتقرب إلى الله تعالى به من غير الذبح والنحر، كالتصدق بالمطعوم، أو المشروب، أو الملبوس، أو المعادن كالذهب والفضة، أو الأوراق النقدية، وغيرها.

وتنقسم القرابين غير الذبح إلى قسمين:

---

(١) الكليات للكفوي ص:٤٥٨.

(٢) **الوَهْدَةُ**: كالوردة المكان المطمئِنُّ والمكان المنخفض كأنه حفرة. مختار الصحاح للرازي ص: ٣٠٧، ولسان العرب لابن منظور ٩/٤١٨.

(٣) المغني للموفق ابن قدامة١٣/٣٠٤.

(٤) يُنظر: معالم التنزيل للبغوي٧/٢٦٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٩/٢١٨ عند تفسير الآية (٢٨) من سورة الأحقاف.

(٥) يُنظر: الكليات للكفوي ص: ٧٠٢، ٧٣٣.

١- الواجبة: وهي التي تؤدى في زكاة الأموال، والنذور.

٢- غير الواجبة: وهي التي يتقرب بها العبد من غير إيجاب الله لها.

وينقسم الذبح إلى نوعين:

١- الذبح غير التعبدي: وهو ما لا يقصد به التقرب إلى الله كالذبح للبيع وغيره.

٢- الذبح التعبدي: وهو ما يقصد به التقرب إلى الله، وتنقسم الذبائح التعبدية إلى:

- **الأضحية**: وهي الذبح في يوم عيد الأضحى، وأيام التشريق.
- **العقيقة**: «ما يذكّى عن المولود شكرا لله تعالى، بنية وشرائط مخصوصة» [١].
- **الهدي**: وهو ما يهدى للحرم المكي، ويذبح فيه من نَعَمٍ وغيرها، وهو على قسمين:

١- **التطوع**: وهو ما يهدى إلى الحرم المكي تطوعا. ٢-**الواجب** وهو على أقسام:

أ- هدي التمتع والقران، وهو يجب على من لبَّى بعمرة متمتعا بها إلى الحج، أو لبّى بعمرة وحج قارنا بينهما.

ب- هدي الفدية: وهو الذي يجب على الحاج والمعتمر إذا أتى بمحظور من محظورات الإحرام، أو ترك واجبا من واجبات الحج.

ت- هدي جزاء: وهو الذي يجب على المحرم الذي قتل صيد البر.

ث- هدي الإحصار: وهو ما يجب على من حُبِس عن إتمام المناسك[٢].

ويمكن تقسيم الذبح باعتبار ذكر اسم الله عليه وعدم ذكره عليه، ونية الذابح إلى ما يلي[٣]:

١- أن يكون الذبح باسم الله تعالى، وللتقرب إلى الله. كما يفعل المسلمون في الأضاحي، والهدي، وغيرها.

٢- أن يكون الذبح باسم الله تعالى، لا بقصد التقرب إلى الله ولا بقصد التقرب إلى غيره، كأن يذبح المسلم للأكل أو الضيف ونحوه.

---

(١) صحيح فقه السنة لكمال السيد السالم ٢/٣٨٠.

(٢) يُنظر: صحيح فقه السنة لأبي مالك كمال السيد السالم٢/٢٥٩-٢٦٠.

(٣) يُنظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ ص: ١٣٦-١٤١.

٣- أن يكون الذبح باسم الله تعالى، ولكن يتقرب به إلى غير الله، كأن يذكر اسم الله عليه عند الذبح، فيقول الذابح: «باسم الله» لكن يقصد بالذبح التقرب إلى نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء.

٤- أن يكون الذبح باسم غير الله، ولكن يتقرب الذابح بهذا الذبح لله ﷻ، كقول البعض عند الذبح الأضحية : «باسم الحسين، أو يا رسول الله» ونحو ذلك.

٥- أن يكون الذبح باسم غير الله، وبقصد التقرب إلى غير الله، كأن يقول الذابح عند الذبح: «يا علي، أو يا الجيلاني» وكان يقصد بذلك التقرب إلى علي أو الجيلاني أو غيرهما. وسيأتي بيان حكم كل نوع من هذه الأنواع في مبحث موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالذبح والقرابين.

هذه بعض أنواع الذبح والقرابين، وهناك أنواع أخرى للذبح والقرابين، لكنها لا تتعلق بموضوعنا إلا تعلقا بعيدا[1]، فلم تذكر هنا.

---

(١) كأنواع الذبح باعتبار الآلة كالحديدة أو العظم والظفر وغيرها، وتقسيمه باعتبار توفر شروط الذبح وعدمها، وكذلك أنواع القرابين غير الذبح باعتبار أجناسها أو أنواعها، وأفرادها....

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالذبائح، وتقديم القرابين.

تقديم القرابين والذبائح بالإخلاص لله ﷻ وعلى هدي النبي ﷺ، من أعظم القربات، وأما تقديمها على غير هدي النبي ﷺ، أو لغير وجه الله تعالى انحراف عظيم، وقد يكون الفاعل من المشركين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١]؛ فيجب أن لا تكون الذبائح ولا غيرها من القرابين إلا لله رب العالمين، وأن يكون على هدي سيد الأنبياء والمرسلين، لكن زلّت أقدام بعض الناس في هذا المجال، حيث يقدمون القرابين أو يذبحون الحيوانات لغير الله ﷻ، وعلى غير هدي المصطفى ﷺ، ويمكننا أن نقسم تلك الانحرافات إلى ما يلي:

الانحراف الأول: تقديم القرابين إلى القبور، ومجاوريها.

انحرف بعض الناس من إقليم سرحد في باكستان في مجال التصدق وأموال الصدقات، فيقدمون أموالهم إلى القبور، ويفتي بعض من ينتسب منهم إلى العلم بجواز ذلك حيث عَنْوَن أحدهم في كتابه فقال: **فصل في بيان تقديم القرابين إلى القبور والأحياء من مجاوري القبور**، ثم قال تحت هذا العنوان: (فإن ذهب رجل إلى زيارة ولي[٢]، فألقى على قبره بعض الصدقات والقرابين، بقصد التأدب معه، وتكريمه، وتعزيزه، فلا حرج في ذلك)[٣].

وقال في موضع آخر بعد أن استدل على تقديم النذور إلى القبور والأضرحة وغيرها: (كذلك إن قدّم أحد كبشًا أو تيسًا، أو ثوراً، وكان المراد التصدق أو الهدية، أو أدب زيارة القبور؛ فهذا جائزٌ، ولكن لا يذبحه قرب القبر، لأن في ذلك مشابهة بالأصنام...)[٤].

---

(١) سورة الأنعام (١٦٢-١٦٣).

(٢) يقصد بزيارة الولي، زيارة قبره، لا الولي نفسه حال حياته، كما يدل على ذلك قوله فيما بعد.

(٣) يُنظر: الذخائر لكفاية الله الداجوي ص:١٨.

(٤) يُنظر: الذخائر لكفاية الله الداجوي ص:٢١.

واستدلوا على تقديمهم القرابين والصدقات إلى القبور والسدنة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾(1).

ووجه استدلالهم من هذه الآية عجيب وغريب حيث قالوا: (التأدب مع الولي تأدب مع الرسول ﷺ؛ لأنه متبع الرسول، والتأدب مع الرسول ثابت، فهذا أيضا ثابت(2)، ومن سماه بدعة، فقد أخطأ، لأن التأدب مع الميت مثل التأدب مع الحي؛ لأن من يقف في زيارة [أحد]بعد الوفاة، يقف كما كان يقف في زيارته حال الحياة، فكذلك التأدب معه، كما ذكر الشامي[في رد المحتار]٢/٢٩٨: «وأن يجلس بعيدا أو قريبا بحسب مرتبته في حال حياته»)(3).

الانحراف الثاني: الذبح أمام السيارة، وتلطيخ عجلاتها بدم الذبيحة.

إن من أقبح ما يفعله بعض الناس هو ذبح حيوان -وغالبا يكون دجاجة- أمام السيارة، أو المركبة التي حملت فيها العروسة إلى بيت زوجها، فيذبحون دجاجة أو نحوها من الحيوانات ثم يلطخون عجلات المركبة أو أي جزء منها بدم الذبيحة، باعتقاد أنهم إن لم يفعلوا سيصيبهم مكروه، كاصطدام السيارة، أو انقلابها، أو أي حادث مروري آخر. ولا يبالون بالحيوان المذبوح، سواء أخذه سائق المركبة، أو غيره.

الانحراف الثالث: التصدق من مال الميت قبل دفنه، أو بعده، ولعدة أيام متتالية قد تصل إلى أسبوع كامل.

بعض الناس في إقليم سرحد وغيره يتصدقون عن الميت بعد وفاته مباشرة، ومن مال الميت، وإذا لم يكن له مال يستدينون من أجل ذلك التصدق -ولو بالربا- لأن المهم عندهم التصدق عنه قبل دفنه، أو بعده، وأحيانا يستعدون لهذا التصدق حال حياته، وقد

---

(1) سورة المجادلة (١٢).

(2) يعني بهذا أن التأدب مع النبي ﷺ بتصدق شيء مًّا قبل نجواه ثابت، فكذلك التصدق قبل زيارة الولي ثابت، فإذا كان أحد يزور الولي أي قبرَهُ؛ فليتصدق قبل ذلك تأدبا، لأن زيارة الولي وهو ميت كزيارته وهو حي، كما يدلّ على ذلك قول الشامي الآتي في المتن.

(3) يُنظر: الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ١٨-١٩.

لا يهتمون بمعالجة المريض مثل ما يهتمون بتجهيز هذه الصدقة، ويقومون بذبح الثيران والأغنام مباشرة بعد التحقق من وفاة المريض، حتى إن منهم من يأخذ اللحوم المطبوخة معه إلى المقبرة؛ ليوزعها هناك على الناس، ومنهم من يدعو الناس للأكل في بيت الميت.

وبعض الناس يتصدقون عن الميت في أول ليلة من دفنه، وغالبا تكون هذه الصدقة حيوانا يذبحونه ويطبخونه مع الأرز، أو لوحده، أو تكون حلوىً مطبوخة من دقيق الحنطة، أو غير ذلك مما يتيسَّر لهم.

ثم يتصدقون عن الميت لمدة سبعة أيام متتالية، وإلا فثلاثة أيام، ثم اليوم الخامس، والسابع، والعاشر، والأربعين، ثم السنوية في كل سنة.

قال زاهدي أحمد زئي: (في كثير من القبائل والشعوب عادة، وهي أنهم يتصدقون عن الميت في اليوم الأول من مماته، ويكون التصدق غالبا بجاموس أو بقر ويطبخونه مع الأرز، أو لوحده، ولا ينقلون الميت إلى المقبرة حتى يطبخ ذلك المذبوح، وإن كان ورثة الميت فقراء فيستدينون أموالا ولو بالربا، لأن هذا التصدق -عندهم -في اليوم الأول ضروري جداً، حتى لا يُعار الوارث من قبل بني الأعمام أو غيرهم)(١).

وقال أيضا: (والعادة عند بعض الناس أنهم يحتفلون باليوم الثالث، والخامس، والسابع، وبعض الناس يتصدقون عن الميت إلى سبعة أسابيع،حيث يتصدقون بمأدبة كبيرة كل أسبوع، ويُدْعَى لهذه الصدقة الرؤساء، ووجهاء القوم. وفي الأسبوع السابع يجهز مأدبة كبرى يُدْعَى لها جميع أهالي القرية، وبعد ذلك يستريح ورثة الميت، وفي بعض الناس هذه العادة ضرورية إلى حد يبيعون لها الأراضي والممتلكات، ويستدينون من أجلها مبالغ ضخمة ولو بالربا)(٢).

ويستدلون على عملهم هذا، بأدلة لا تدل عليه، أعني على الإطعام عن الميت في اليوم الأول، أو الثالث، أو السابع، أو الأربعينية، أو السنوية، وغيرها، ومنها:

---

(١) يُنظر: «ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص: ٧٣.

(٢) يُنظر: «ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص: ٧٨ محيلا إلى «التفهيمات» لشاه ولي الله الدهلوي.

١- «روى الإمام أحمد بسند صحيح، وأبو داود عن عاصم بن كليب[١] عن رجلٍ من الأنصار قال: خرجنا في جنازة، فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر، يوصي الحافر: «**أوسع من قبل رجليه، أوسع من قبل رأسه**»، فلما رجع، **استقبله داعي امرأته**، فجاء، وجيء بالطعام؛ فوضع يده، ووضع القوم، فأكلوه، ورسول الله ﷺ يلوك[٢] لقمة في فيه، ثم قال: «**إني لأجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها**» فسُئِلَتْ المرأةُ، تقول يا رسول الله! إني أرسلت إلى البقيع اشتري شاة، فلم أجد فأرسلتُ إلى جارٍ لي -قد اشترى شاة- أن أرسِل إليّ، فلم يجد؛ فأرسلتُ إلى امرأتِه، فأرْسَلَتْ بها إليّ؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: **أطعميه الأسارى**»[٣] ثم أردف قائلا: «فهذا يدل على إباحة صنع [أهل] الميت طعاما والدعوة إلية»[٤].

٢- «عن أنس ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من أهل بيت يموت منهم ميت؛ فيتصدقون عنه بعد موته، إلا أهداها له جبريل على طبق من نور، ثم يقف على شفير القبر؛ فيقول: يا صاحب القبر العميق! هذه هدية أهداها إليك أهلك فاقبلها، فتدخل عليه، فيفرح بها ويستبشر، ويحزن جيرانه الذي لم يهد إليهم شيء»[٥].

---

(١) **عاصم بن كليب**: هو عاصم بن كليب بن شهاب بن المجنون الجرمي الكوفي ثقة، مات سنة بضع وثلاثين ومائة. يُنظر: تهذيب التهذيب لابن حجر٥/٤٩(ت٨٩)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٢٨٦(ت٣٠٧٥)

(٢) **يلوك**: أي يمضغه، يقال لاك الشيء في فمه أي: علكه. ينظر: لسان العرب لابن منظور٨/١٥٩، ومختار الصحاح للرازي ص: ٢٥٣.

(٣) هكذا ينقلونه، لكن ليس في المسند، ولا في سنن أبي داود كلمة«**امرأته**» وإنما فيهما«**داعي امرأة**». يُنظر: سنن أبي داود كتاب البيوع باب في اجتناب الشبهات ص: ٦٠٠ (ح٣٣٣٢) ومسند الإمام أحمد ٥/٢٩٣، وسيأتي المزيد من التفصيل إن شاء الله في المبحث الثالث عند الرد على هذا الانحراف.

(٤) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٠٦.

(٥) سيف المقلدين لمحمد عبد الجليل البشاوري ص: ٣٨١، وأنوار الحق لشمس العارفين ص: ٢٥١، كلاهما أحالا إلى المعجم الأوسط للطبراني.

٣- (أوصى عمران بن حصين ﷺ أنه قال: إذا صليتم، ورجعتم من الجنازة، فاذبحوا شيئا، وأطعموه الناس)(١).

٤- (أوصى أبو ذر الغفاري ﷺ -في اللمحات الأخيرة- لأهله(لابنته)أن تذبح شاة، وتطبخ لحمها، وتطعمه الناس)(٢).

٥- قال طاووس -رحمه الله-: «**إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً؛ فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام**»(٣).

قال أحدهم بناء على مثل هذه الأقوال: «السنة(٤): أن يتصدق ولي الميت قبل مضي الليلة الأولى بشيء مما تيسر له، فإن لم يجد شيئا فليصل ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وآية الكرسي مرة، وسورة التكاثر عشر مرات.

ثم أضاف الكاتب قائلا: فعلم من هذه العبارات أن اتخاذ الطعام للفقراء بنية التصدق -لا للسمعة، والرياء، والمباهات- أمر مندوب إليه، كما لا يخفى على أولي النهى» (٥).

وأفتى بعضهم فقال: «المستحب أن يتصدق عن الميت بعد ذهابه من الدنيا إلى سبعة أيام، والتصدق ينفع بلا خلاف بين أهل العلم، وورد في الأحاديث الصحيحة سيما الماء، وقال بعض العلماء لا تصل إلى الميت إلا الصدقة والدعاء، وورد في بعض الروايات أن روح

---

(١) يُنظر: أنوار الحق لشمس العارفين ص: ٢٦٩، محيلا إلى الطبقات الكبرى لابن سعد٧/١٢، والمعجم الكبير للطبراني١٨/١٠٦.

(٢) يُنظر: أنوار الحق لشمس العارفين ص: ٢٦٩محيلا إلى تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣/٣٥٥. والبداية والنهاية لابن كثير٤/١٧٢.

(٣) أنوار الحق لشمس العارفين ص:٢٦٧، محيلا إلى المطالب العالية لابن حجر١/١٩٩، وحلية الأولياء لأبي نعيم ص:١١.

(٤) قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: ومن الغرائب أن الكتاب الذي نقلت عنه هذه البدعة وهو «شرح شرعة» (ص٥٦٨) قال: «والسنة أن يتصدق ولي الميت...إلخ» ولا أصل لهذا في السنة قطعاً، فلعله يعني سنة المشايخ، كما فسر بهذا بعض المحشّين، قول أحد الشراح: إن من السنة التلفظ بالنية عند الدخول في الصلاة! يُنظر: أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص:٣٢٢(الهامش).

(٥) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٢٠٨.

الميت تجيء إلى بيتها ليلة الجمعة[1]، فتنظر هل يتصدقون عنها أم لا؟! فهذا صريح في نفع التصدق، ومجيء روح الميت، وكونها منتظرة لتصدق الأحياء عنها» [2].

فهذه جملة من النقولات والاستدلالات التي أدت بكثير من الناس إلى الالتزام بتخصيص اليوم الأول للإطعام عن الميت بعد وفاته قبل الدفن أحيانا، وغالبا يكون بعد الدفن مباشرة قبل مضي الليلة، وبعضهم يطعمون الناس سبعة أيام متتالية، أو في ليالي الجمعة لعدة أسابيع، ثم في الليلة الأربعينية، ثم في تمام السنة.

ومعلوم أن الصدقة عن الميت لا خلاف في جوازها، وليست من البدع، لكن تحديد الوقت لهذه الصدقة من البدع الشنيعة.

الانحراف الرابع: بدعة الإسقاط التي سموها البعض «حيلة الإسقاط» .

بعض الناس يتصدقون باسم الفدية عن حقوق الله التي بقيت في ذمة الميت، من الصيام والصلاة والزكاة وغيرها، لكن ليس هذا التصدق تصدقا حقيقيا، بل يحتالون فيه بحيلة يسمونها «الإسقاط» ويقومون به بعد الجنازة قبل دفن الميت، وقالوا: «ولا خلاف أنه أمر مستحسن، يصل ثوابه إليه، وينبغي أن يفدي قبل الدفن، وإن جاز بعده»[3].

وإنما سموا هذه البدعة بـ«الإسقاط» لظنهم أنها تسبب إسقاط الذنوب عن الميت، والحقوق الواجبة عليه التي قصر فيها في حياته.

أما كيفية «الإسقاط»: فقال أحدهم بعد أن بيّن عدة كيفيات لهذه الحيلة: (وأحسن الطرق في الإسقاط عن الميت طريقة أهل بشاور، وأهل خراسان، وهو: أن يجمع ورثة الميت العلماءَ، والطلبةَ المساكين، والفقراء، وغيرهم، على صورة الحلقة، مع إحضار الميت بعد الجنازة، وقبل الدفن، ويضم مع المبلغ نسخة من المصحف الموقوفة؛ لأن قيمة المصحف غالية جدا، ويلفّ المبلغ، أو حبوب الفدية مع المصحف في قماش، أو

---

(١) لم يثبت شيء من الروايات في: أن روح الميت تجئ إلى بيتها ليلة الجمعة، أو غيرها من الأيام والليالي.

(٢) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص٢٠٧.

(٣) سيف المقلدين على أعناق المنكرين لعبد الجليل البشاوري ص: ٤٥٩، وينظر: رسالة (حيلة الإسقاط) لرياض الدين المهمندي ص: ٢٥.

نحوه، ويعطيه ولي الميت إلى إمام مسجد الحي -بشرط أن يكون مسكينا، ومعتمدا عليه في هذا الباب- فيوكّله على عملية حيلةِ الإسقاط؛ فيضع الإمام كلتي يديه على نسخة المصحف، وما معها، **ويقول**: "إن الصلوات، وأموال الزكاة، والنذور، والكفّارات، وغيرها من حقوق الله، من الفرائض، والواجبات التي هي باقية على ذمة هذا الميت (ويشير إلى الميت الموجود) والتي كانت لازمة الأداء، والظاهر من أمر المسلم أنه أدّاها، وإن فات منها شيء، بوجه من الوجوه، ولم يصل إلى درجة القبول، والآن هذا (ويشير إلى الميت) عاجز عن أداءها بسبب موته؛ فهذا القرآن الذي قيمته ألف درهم مثلاً، مع هذه الأموال الموجودة، مقابلَ تلك الأمور الفائتة التي تصح فديتها في الشرع، لإبراء ذمة هذا الميت الحاضر" وَهَبْتُهُ إليك بصفة الفدية، -ويعطيه إلى من هو جالس يمين الإمام في الحلقة-، وهو يقول: **قَبِلْتُهُ**، ثم هو يقوم بمثل ما قام به إمام الحي، ويَهِبُهَا إلى مسكين آخر بعده،ثم...، وثم... إلى أن يصل مرة أخرى في الحلقة إلى الإمام، ويكرر الإمام هذا العمل ثلاثَ مرات، أو أربع...ثم يدعو للميت بالمغفرة، ويطلب وليَّ الميتِ، ويَهبُ له الأموال الموهوبة، ثم يُقَسِّم وليُّ الميتِ الأموالَ الموهوبةَ على الفقراء والمساكين...)[1].

وقال غيره: «لإدارة الصرّة طرائق، أحسنها: أن الوصي يعطي الصرة إلى فقير على أنها فدية عن الصلوات، والواجبات، والكفارات يقدرها، ويقول له: خذ هذه الصرة عن فدية صلوات سنة، أو عشر سنوات مثلاً عن فلان، ويقبلها الفقير، ثم بعد القبض يعطي الفقير إلى الوارث، أو إلى الفقير..إلخ ثمّ، وثمّ، وثمّ»[2].

هذه بعض الكيفيات، وهناك كيفيات أخرى لهذه الحيلة[3]،وذلك لأن الشيءَ إذا لم يكن له حقيقة شرعية، تختلف أراء الناس فيه شأن كل البدع المحدثة.

ويستدلون على جواز حيلة الإسقاط بأدلة لا يصلح الاستدلال بها عليها، منها:

---

(١) ينظر: سيف المقلدين لعبد الجليل البشاوري ص:٤٥٩-٤٦٠.

(٢) «حيلة الإسقاط» لرياض الدين المهمندي ص: ٢٤، محيلا إلى مجموعة رسائل ابن عابدين١/٢١١.

(٣) لمعرفة جملة من كيفيات حيلة الإسقاط، يُنظر: سيف المقلدين لعبد الجليل البشاوري ص: ٤٥٨وما بعدها، ودرر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٧٠ وما بعدها، والذخائر لكفاية الله ص: ٤٨ وما بعدها.

١- حكوا عن الفقيه أبي الليث السمرقندي(١)أنه قال: «حدثنا العباس بن سفيان، عن ابن علية، عن ابن عون، عن محمد، عن عبد الله، قال:قال عمر ﷺ أيها المؤمنون اجعلوا القرآن وسيلة لنجاة الموتى؛ فتحلقوا، وقولوا: اللهم اغفر لهذا الميت بحرمة هذا القرآن المجيد»(٢).

٢- حكوا عن أبي الليث السمرقندي أنه قال: «قال المؤرخ صاحب الفتوح محمد بن عمر الواقدي أخبر أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن شهاب عن أم سلمة عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال فعل عمر ﷺ تداور جزء القرآن من ﴿ وَمَا لِيَ ﴾ إلى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾(٣)، في عشرين رجلا بعد صلاة الجنازة لامرأة ملقبة بحبيبة زوجة قلاب، وفي نسخة ملاب(٤)» (٥).

٣- قالوا: «شاع فعله أي فعل الدور(٦)، في زمان عثمان ﷺ، وقال الإمام

---

(١) **أبو الليث السمرقندي:** هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، الفقيه، من الزهاد المتصوفة، تفقه على أبي جعفر الهندواني، توفي سنة٣٧٣هـ وقيل٣٧٥هـ، وقيل٣٨٣هـ، وقيل٣٩٣هـ ومن كتبه:تنبيه الغافلين، بستان العارفين، وفتاوى النوازل في الفقه وغيرها. يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي٣٢٢/١٦(ت٢٣٠) والجواهر المضيئة لعبد القادر القرشي٥٤٤/٣(ت١٧٤٣). الفوائد البهية للكهنوى.٢٢٠.

(٢) الدر النظيم لنادر شاه ص: ٤٢، ودرر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٧١، ضياء الصدور لظاهر شاه السواتي ص: ٣٦، مع الاختلاف في بعض الألفاظ، ويُنظر: «راه سنت» لمحمد سر فراز خان صفدر ص: ٢٨٥.

(٣) **يقصد بهذا:** المصحف من الجزء الثالث والعشرين إلى الجزء الثلاثين.

(٤) هكذا في كتاب درر الفرائد لغلام حيدر بالاختلاف في نسبة المرأة هل زوجة قلاب أو ملاب، وفي الدر النظيم لنادر شاه ص: ٤٢«زوجة كلاب». و لم أجد في كتب التراجم امرأةً، اسمها حبيبة، أو لقبها حبيبة زوجة قَلاَّب، أو ملاَّب، أو كُلاَّب.

(٥) درر الفرئد لغلام حيدر ص: ١٧١.

(٦) عبّر عن هذه الحيلة بالدور؛ لأن المال المتصدَّق به مع المصحف الشريف، يدور في الحلقة ويتداوله أيدي الفقراء والورثة عدة مرات، من دون أن يُتَصَرَّفَ فيه، وأخيرا يرجع إلى المتصدِّق وهو الوارث. كما تقدم بيان ذلك في كيفية «حيلة الإسقاط» في ص: ٦٩٥.

السمرقندي: ثم اشتهر في خلافة هارون الرشيد[1]» اهـ [2].

٤- قالوا: «قال الإمام محمد[3]: أسهل طريقته أن يبيع الوارث على الفقير مصحفا، صحيحا، قابلا للقراءة، بغبنٍ فاحش، ثم يهب الفقير[4]، ثم، فثم، حتى يتم.لعل الله يجعله فدية في مقابلة الصوم والصلاة، والزكاة، والمنذورات» [5].

٥- نقلوا عن ابن نُجيم- رحمه الله-[6] أنه قال: «إذا مات الرجل وعليه صلوات فائتة؛ وأوصى بأن يعطى كفارة صلواته، يعطى لكل صلاة نصف صاع من بر، وللوتر نصف صاع، ولصوم يومٍ نصف صاع، وإنما يعطى من ثلث ماله، وإن لم يترك مالا تستقرض ورثته نصف صاع، ويدفع إلى المسكين، ثم يتصدق المسكين على بعض ورثته، ثم يتصدق، ثم، وثم...»[7].

٦- نقلوا قول الحصكفي-رحمه الله-: «لو مات الرجل وعليه صلوات فائتة، وأوصى بالكفارة، يعطى لكل صلاة نصف صاع من بر، كالفطرة[8]وكذا حكم

---

(١) **هارون الرشيد:** هو هارون بن محمد المهدي، ويكنى أبا جعفر،ولد بالري سنة١٥٠هـ في خلافة المنصور، كان محبا للعلم وأهله، وتوفي سنة١٩٣هـ يُنظر: المنتظم لابن الجوزي٨/٣٢٢ حوادث سنة١٧٠، وتاريخ الطبري٨/٢٣٠، و٢٤٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٣/١٥٧.

(٢) درر الفرائد لغلام حيدر ص:١٧٠، محيلا إلى فتاوى أبي الليث السمرقندي.

(٣) يقصد الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة -رحمهم الله-.

(٤) ويمكن صورتها: أن يبيع وارثُ الميتِ مصحفا صحيحا على الفقير بألفي درهم مثلا، ثم يهب الوارث هذا المبلغ الذي على ذمة الفقير إليه فلا يطالبه، ثم يفعل هذه الحيلة مرة ثانية، وثالثة و.

(٥) درر الفرائد لغلام حيدر محيلا إلى كتاب الحيل المنسوب لمحمد بن الحسن الشيباني.

(٦) **ابن نُجيم:** هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن بكر المصري الشهير بابن نُجيم اسم لبعض أجداده توفي سنة٩٧٠هـ.يُنظر ترجمته في: شذارات الذهب لابن العماد ١٠/٥٢٣، والفوائد البهية للكهنوي ص: ١٣٤، والأعلام للزركلي٣/٦٤.

(٧) الدر النظيم ص: ٤٢، ودرر الفرائد لغلام حيدر ص:١٧١ محيلا إلى البحر الرائق لابن نُجيم ٢/٩٠، والفتاوى الهندية ١/١٢٥.

(٨) أي صدقة الفطر.

الوتر[1]، والصوم، وإنما يعطي من ثلث ماله، ولو لم يترك مالا، يَسْتَقْرِض وارثه نصف صاع مثلا، ويدفعه لفقير، ثم يدفعه الفقير للوارث، ثم، وثم...»[2].

٧- زعم أحد المخالفين **إجماع العلماء** على جواز حيلة الإسقاط المروجة[3].

الانحراف الخامس: التصدق بعض الأيام المعينة من السنة.

من المعلوم والمتفق عليه، أن تعيين الأيام للعبادات حق الشارع كتعين شهر رمضان للصيام، وأشهر الحج للحج، وتعيين غروب الشمس في آخر شهر رمضان لصدقة الفطر، وحولان الحول لوجوب زكاة الأموال ونحو ذلك.

لكن بعض الناس يعينون أياما معينة من السنة للصدقات، وقد يكون هذا التصدق باسم أحد الأولياء، أو يكون لله وحده، لكنهم لا يتصدقون بها إلا في بعض الأيام المعينة، فينحرفون إما من جهة التصدق باسم غير الله ﷻ، أو من جهة تعينهم الأيام المعينة للتصدق فيها دون غيرها.

ومن أمثلة هذا النوع من الانحرافات ما يلي:

الأول: التصدق بشيء في يوم عاشورا، من المأكولات كاللحوم وغيرها، أو المشروبات كالعصير وغيره، بنية التصدق عن الحسين بن علي -رضي الله عنهما- لظنهم أن الحسين رضي الله عنه وأهل بيته، ماتوا في أرض كربلاء عِطاشاً، فالتصدق بالمشروبات يُروِّي عطشَهم[4].

ومن الناس من يتصدقون في الليلة الحادية عشرة من شهر المحرم ويسمونها بـ«شام غريبان» يعني مساء الفقراء[5] وبعضهم يخرجون في هذه الليلة، وينشدون:

---

(١) وذلك لأن الوتر واجب عند الحنفية.

(٢) الدر النظيم ص: ٤٢، محيلا إلى الدر المختار للحصكفي ٢/٧٧-٧٨.

(٣) مخزن الدلائل في توضيح المسائل تأليف محمد فاضل عتيق(رسالة العقيدة الحنفية في بيان الحيلة الشرعية) ص: ٧٨، و٨٩.

(٤) يُنظر: «د دولسو مياشتو فضائل او أحكام» بترجمة سيف الحنان ص: ٨-٩، و«دوخت أواز» لسعيد الرحمن ص:٧٢-٧٣.

(٥) يُنظر: «ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص:١٠٦.

أي مومنان إيمشب شام غريبان است * جسم حسين عريان اندر بيبان است**(١).

المعنى: (يأيها المؤمنون هذه الليلة ليلة الفقراء، وجسم الحسين ﷺ عريان في الصحراء).

ومن الناس من يوسعون في يوم عاشورا على أهاليهم، في المآكل والمشارب، والملابس وغيرها من أمور المعيشة، ويقولون: (تعلمنا الشريعة الإسلامية أن نوسع فيه على الأهل والعيال، وببركة ذلك يوسع الله علينا في الرزق طوال السنة كلها، لِما ينزل فيها أمطار رحمة الله؛ فمن قدّم نفسه إلى الله على أيِّ حال، يعامله الله في السنة كلها، معاملة ذلك الحال)(٢).

الثاني: التصدق في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب، باعتقاد أن النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، عرج به إلى السماء، وقد منّ الله عليه بأنعمٍ كثيرة، فيتصدقون ليُؤدوا شكر تلك النعم، ومنهم من يخرج زكاة أمواله في هذا الشهر، ويظن أن أجر الزكاة يتضاعف فيه (٣).

ومنهم من يطبخ في اليوم السابع والعشرين طعاما، ويتصدقون به لُيبارَك في أموالهم، وعيالهم(٤).

الثالث: التصدق في ليلة نصف من شعبان، باعتقاد أن أرواح الأموات تحضر إلى بيوتهم، وتنظر إلى أهاليهم، هل طبخ عنهم أحدٌ شيئا أم لا؟.

لأجل هذا، بالإضافة إلى اعتقادهم فضل ليلة النصف من شعبان يطبخون الهريسة والحلوى في هذه الليلة، ويتصدّقون بها، وهي من الأعمال اللازمة، والضرورية عندهم(٥).

---

(١) يُنظر: ((عالم انتخاب مين پشاور)) لأمجد حسين ص:١٧٦.

(٢) يُنظر: ((ددولسو مياشتو فضائل او أحكام)) بترجمة سيف الحنان ص:١٠٨، و((دوخت آواز)) لسعيد الرحمن ص:٨٦، ٨٨، ٨٩.

(٣) يُنظر: ((دوخت آواز)) لسعيد الرحمن ص: ٤٨٠.

(٤) يُنظر: ((ددولسو مياشتو فضائل او أحكام)) بترجمة سيف الحنان ص: ٢٧.

(٥) يُنظر: ((ددولسو مياشتو فضائل او أحكام)) بترجمة سيف الحنان ص:٣٦، و((دوخت آواز)) لسعيد الرحمن ص: ٥٠٦.

والبعض يطبخون الهريسة والحلوى اعتقادا منهم، أن رباعية النبي ﷺ كسرت في معركة أحد في منتصف شعبان، فطُبخت له الهريسة والحلوى؛ فأكلها. ومنهم من يزعم: أن حمزة عم النبي ﷺ استشهد في هذه الأيام فهذه الحلوى من أجل الفاتحة لروحه[١].

الرابع: التصدق في اليوم الحادي عشر[٢]، ويسمونه باللغة الأردية «**گيارہويں شريف**» وبالبشتو «**يوولسمه**» يعني تصدق اليوم الحادي عشر.

قال الشيخ محمد يوسف اللديانوي-رحمه الله-: (وفي الليلة الحادية عشرة من الشهر القمري يصنعون طعاما، باسم شيخ المشايخ السيد عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- واشتهر هذا باسم«**گيارہويں شريف**» يعني الحادي عشر[٣].

يظن كثير من الناس أن عدم إعطاءهم لما يسمى بـ «الحادي عشر» خطر للأموال والأنفس، وينزع البركة من الأموال، كأنَّ التقصير في الفرائض القطعية كالصلاة والصيام، والحج، والزكاة، لا يُشَكِّل خطرا، لكن إن قصرّوا في ما سَمَوْه بـ«الحادي عشر»؛ فخطر على الأموال والأنفس[٤].

---

(١)ينظر: «دوخت أواز» لسعيد الرحمن ص: ٥٠٦، و«ددولسو مياشتو فضائل او أحكام» بترجمة سيف الحنان ص: ٣٥، **لكن المعلوم** أن غزوة أُحُد لم تكن في منتصف شعبان، بل كانت في منتصف شوال كما هو المبين في كتب السيرة والتاريخ.ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ص: ٦، وتاريخ ابن خلدون٢/٤٣٤، ومختصر سيرة الرسول للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ١٢١.

(٢) **الحادي عشر:** هو اليوم الحادي عشر من كل شهر قمري، ويصنع بعض الناس فيه طعاما، باسم شيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- وبعضهم في يوم الحادي عشر من شهر رجب.لكن أكثرهم يهتمون بالحادي عشر في ربيع الثاني على شكل خاص يُنظر: «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص: ٢٥٥، و«ددولسو مياشتو فضائل اوأحكام» بترجمة سيف الحنان ص:١٨، «ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص: (١١١) و«**عالم انتخاب ميں پشاور**» لأمجد حسين ص: ١٧٩.

(٣) يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي باللغة الأردية ص: ١٨٧، وباللغة البشتو ص: ٢٣٦، و«ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص: (١١١).

(٤) يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي باللغة الأرية ص: ١٩٠، وباللغة البشتو ص:٢٣٩، و«دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص: ٢٥٥، و«ددولسو مياشتو فضائل اوأحكام» بترجمة سيف الحنان ص: ١٨-٢٠.

الانحراف السادس: القراءة على الصدقة، والعادة المسماة بـ((ختم شريف)).

بعض الناس يقرؤون على الصدقة -التي جهزوها للتصدق عن الميت- آياتٍ من كتاب الله، أو بعض العزائم الأخرى، ثم يقدمونها للأكل صدقة عن الأموات، ويسمون عملهم هذا بـ ((الختم الشريف))، والبعض يسمونه ((الفاتحة الشريفة))[1].

وبعض الناس من أجل المقاصد المختلفة[2]، يجمع القراء -وغالبا يكون هؤلاء مجموعة من الطلبة مع أستاذهم الذي يدرسهم في المسجد أو مدرسة- فيأخذ كل منهم جزءا من المصحف الشريف ويقرأه[3]حتى يختمه، ثم ينفث الجميع، في الماء أو الحلويات ونحو ذلك، من الأشياء التي يحضرها داعي الختم؛ ليأكله هو وأهل بيته، وبعد الانتهاء من ((الختم)) يأكلون الطعام الذي جهّزه صاحب الدعوة، بالإضافة إلى مبلغ قليلٍ من المال صدقةً، وبدلاً من القراءة التي قرؤوها، فيدعون بالبركة لصاحب الدعوة، والتوفيق على حصول المقصد الذي من أجله جمعهم، وقد يقوم شيخ الطلاب بعدة ختمات في وقت واحد، وذلك بتوزيع طلابه على الأماكن التي جاءت منها دعوة ((الختم)) وهو يمر على الجميع[4].

وهذه الختمات تختلف نوعا وكيفا بحسب القائمين عليها والمقاصد التي تختم من أجلها:

ففي((**الختمة الغوثية**[5])) بعد أن يَختِم القراءُ القرآن -موزعين أجزاءه عليهم- يبينون مناقب الشيخ الجيلاني -رحمه الله-، وبعد ذلك يدعون بأدعية، ثم يأكلون الطعام الذي جهزه الداعي إلى ((الختم)).

---

(١) ((اختلاف أمت)) للديانوي بالأردية ص: ١٩١، وبالبشتو ص: ٢٤١.

(٢) مقاصدهم كالربح في التجارة، أو بناء بيت جديد يريد بركته، أو افتتاح عمل مّا يريد النجاح فيه، أو خروج من ضيق واجهه في أمر المعيشة، ونحو ذلك، وقد يكون الختم من أجل إيصال ثواب إلى الأموات.

(٣) هذا في الظاهر: وقد أخبرني من شارك في هذه العادة بقوله: ما كنا نقرأ القرآن في الحقيقة، بل كنا نحرك الرؤوس، ونتكلم في ما بيننا -وغالبا يكون كلامنا عن المال الذي سنحصل عليه بعد هذا الختم- وقد نقلّب أوراق المصحف بدون القراءة، وخلال دقائق معدودة نخبر الرجلَ بأننا ختمنا القرءان كله.

(٤) يُنظر: ((عالم انتخاب ميں پشاور)) لأمجد حسين ص: ١٦٧.

(٥) سموها بالختمة الغوثية: نسبة على الشيخ عبد القادر الجيلاني- رحمه الله-، الذي يغالون فيه ويسمونه بالغوث، أو الغوث الأعظم. وقد تقدم الرد على هذه التسمية والغلو في فصل الرجاء، وفصل الاستغاثة ص:٢٢٤، ٢٢٥، و٤٢٢.

وهناك نوع آخر من الختم، وهو ليس ختما للقرآن أصلا بل هو أذكار وأوراد معينة بأعداد معلومة كالتهليل، أو التكبير، والتسبيح أو غيرها ألف مرة أو ألفي مرة، وقد يصل العدد إلى مائة ألف مرة، وغالبا يعدون هذه الأذكار والأوراد بالسبح كالسبحة الألفية، أو أحجار صغيرة، أو حبوب الفاصوليا، أو الذرة أو الحمص ونحوها، وبعد الانتهاء من هذا «الختم» يدعون لصاحب الدعوة، ويأكلون الطعام ثم ينتشرون.

وأما **الشيعة فيختلف ختمهم** عن غيرهم، لأنهم لا يدعون شيخ طلبة المسجد للختم، بل يضعون أجزاء المصحف على طاولة مغطاة بالغلاف في صحن البيت، ويقرأ كل واحد من أفراد البيت (رجالا ونساء)، بل وكل من يحضر إلى هذا الختم، فيقرؤون جزءا جزءا، وأحيانا يختمون القرآن عدة مرات في مناسبة واحدة، ثم يقومون بمجالس العزاء[ويكون غالبا عزاء الحسين ﷺ] ثُمّ يدعون بأدعية، وإن كان الختم من أجل إيصال الثواب إلى روح الميت، فيدعون في حقه(١).

وبعض الناس يفعلون ما سموه بـ «**ختم شريف**» بعد وفاة الميت، وفي كل يوم الخميس إلى أن يكتمل لموته أربعون يوما، ويدعون لروح الميت بعد الختم والأكل على الختم، وتستمر هذه العادة -غالبا- طوال السنة كلها(٢).

هذه جملة من الانحرافات المتعلقة بالذبح وتقديم القرابين، هذا غيض من فيض وقطرات من بحيرات، التي غرق الناس فيها في هذا الزمان.

---

(١) يُنظر: «عالم انتخاب ميں پشاور» لأمجد حسين ص: ١٦٧.

(٢) يُنظر: «عالم انتخاب ميں پشاور» لأمجد حسين ص: ١٦٦.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالذبح، وتقديم القرابين.

تمهيد: وفيه أمران:

الأمر الأول: أن الذبح والصدقات من العبادات المالية، يجب فيها الإخلاص لله ﷻ، والمتابعة لرسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(١).وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٢).

ويجوز التصدق عن الميت، وينفعه، لحديث: أن رجلا قال للنبي ﷺ: إن أمي افْتُلِتَتْ نفسها(٣)، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال ((**نعم**))(٤).

ويجب إنفاذ وصية الميت في صدقة التطوع عنه، في ثلث المال لقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾(٥)، ولحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه(٦)قال: كان رسول الله ﷺ، يعودني في عام حجة الوداع، من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغني من الوجع،

---

(١) سورة الكهف (١١٠).

(٢) سورة الأنعام (١٦٢-١٦٣).

(٣) **افْتُلِتَتْ**: كلمة يقال لمن مات فجأة، ويقال أيضا لمن قتله الجن.يُنظر: المنهاج للنووي٩١/٧.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الجنائز باب موت الفجأة٣٢٢/٣(ح١٣٨٨)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الزكاة باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه٩١/٧ (ح٢٣٢٣).

(٥) سورة النساء (١١).

(٦) **سعد:** هو سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أُهيب بن عبد مناف يكنى أبا إسحاق، وكان سابع سبعة في الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، مات بالمدينة ودفن في البقيع.يُنظر: أسد الغابة لابن الأثير ٤٥٢/٢(ت٢٠٣٨)، والاستيعاب لابن عبد البر ٦٠٦/٢(ت٩٦٣).

وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدّق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**»، فقلت: بالشطر؟ فقال: «**لا**»، ثم قال: «**الثلث، والثلث كثير...**»(١).

«وأجمع المسلمون على أنه لا يجب على الوارث التصدق عن ميِّـته صدقة التطوع، بل هي مستحبة.أما الحقوق المالية الثابتة على الميت، فإن كان له تركةٌ، وجب قضاؤها منها، سواء أوصى بها الميت أم لا.ويكون ذلك من رأس المال، سواء ديون الله تعالى، كالزكاة، والحج، والنذر، والكفارة، وبدل الصوم، ونحو ذلك، ودين الآدمي، فإن لم يكن للميت تركةٌ، لم يلزم الوارث قضاء دينه، لكن يستحب، له ولغيره قضاؤه»(٢).

الأمر الثاني: أن في الذبح جهتين(٣):

إحداهما: جهة ذكر الاسم عليه عند الذبح.

ثانيتهما: جهة قصد الذابح بأن يكون الذبح للتقرب.

فما ذكر اسم الله عليه فهو جائز الأكل لقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾(٤).فما لم يذكر اسم الله عليه، وذكر عليه اسم غير الله لا يجوز أكله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾(٥).

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الجنائز باب رِثاء النبي ﷺ سعد بن خولة ٣/٢١٠(ح١٢٩٥)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الوصية باب الوصية بالثلث ١١/٧٩ (ح٤١٨٥).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١١/٨٧ عند شرح الأحاديث (٤١٩٥-٤١٩٨).

(٣) يُنظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ ص: ١٣٦-١٤١.

(٤) سورة الأنعام (١١٨).

(٥) سورة الأنعام (١٢١).

فمعنى ((باسم الله)) -عند الذبح- أي استعين بالله، وأذبح هذه الذبيحة، فالباء للاستعانة.ومن ذبح بغير اسم الله فقد استعان بغير الله، وهو شرك في الألوهية، فيُشترط عند الذبح أن يستعان بالله وحده، وأن يقول الذابح:((باسم الله)).

وأما قصد الذابح عند الذبح، وهو التقرب أو عدمه، فيجوز للذابح أن يذبح بدون قصد التقرب إلى أحد، كأن يذبح بقصد أكل اللحم، أو ضيافة الضيف أو نحو ذلك، لأنه لا يشترط في الذبح أن يكون الذبح للتقرب لا محالة، بل يجوز بدون قصد التقرب.

فيحصل من ضم هاتين الجهتين بعضها إلى بعض عدة حالات:

١- أن يكون الذبح باسم الله تعالى، وللتقرب إلى الله. وهذا هو توحيد الاستعانة والقصد، كما يفعل المسلمون في الأضاحي، والهدي، وغيرها.

٢- أن يكون الذبح باسم الله تعالى، لا بقصد التقرب إلى الله ولا بقصد التقرب إلى غيره، كأن يذبح للأكل أو الضيف ونحوه، فهذا الذبح ليس من أنواع العبادة، ويجوز أكلها.لعدم وجود شرك الاستعانة، وشرك التقرب، ولا غيرهما.

٣- أن يكون الذبح باسم الله تعالى، ولكن يتقرب به إلى غير الله، كأن يذكر اسم الله عليه عند الذبح،فيقول: ((باسم الله)) لكن يقصد بالذبح التقرب إلى نبي من الأنبياء، أو ولي من أولياء الله، وهذا هو الشرك في القصد، وقد سبق في فصل النذر معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾(٢)، أي ما رفع به الصوت للتقرب إلى غير الله ﷻ، وليس معنى قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾(٣)، ما ذبح باسم غير الله فقط، بأن يذكر اسمه عليه وقت الذبح، لأن هذا تقييد لمطلق الكتاب، وتخصيص لعامه بدون دليل مسوغ، وهذا

---

(١) سورة البقرة (١٧٣).

(٢) سورة المائدة (٣) وسورة النحل (١١٥).

(٣) سورة البقرة (١٧٣).

لا تجيزه اللغة العربية، ولا تعرفه العرب، فإن الإهلال لم يُعرف عند العرب بمعنى الذبح (١).

٤- أن يكون الذبح باسم غير الله، ولكنهم يتقربون بهذا الذبح لله ﷻ، كقول البعض عند الذبح: «باسم الحسين، أو يا رسول الله» ونحو ذلك، وهذا هو الشرك في الاستعانة، وإن قصد التقرب إلى الله، والله تعالى غني عن الشركاء.

٥- أن يكون الذبح باسم غير الله، وبقصد التقرب إلى غير الله، كأن يقول عند الذبح: «يا علي، أو يا الجيلاني» وكان يقصد بذلك التقرب إلى علي أو الجيلاني أو غيرهما ففيه الشرك في القصد، والاستعانة معا.

فالذبح إذا قصد به التقرب فهو من أنواع العبادة؛ فلا يجوز صرفه لغير الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢).

والنسك: هو التقرب بالدم، والتقرب بالدم إلى الله ﷻ عبادة جليلة؛ لأن ما يذبح أو ينحر من بهيمة الأنعام، مما تحبه النفوس، وإراقة دمها تقربا إلى الله -ﷻ- والتصدق بها، من أفضل العبادات؛ لعدة أمور منها:

١- إراقة الدم لله ﷻ.

٢- تخلص القلب من الشح والبخل.

٣- تعلق القلب بما يعطيه الله ﷻ من الثواب العظيم.

٤- الرجاء والرغبة فيما عند الله ﷻ، بنحر أو ذبح حيوان عزيز عنده.

فكل هذه الأمور تجعل النحر والذبح من أفضل العبادات التي يحبها الله ﷻ؛ فلا يجوز لأحد أن يصرف هذا النوع من العبادة لغير الله ﷻ.

وبعد هذا التمهيد الموجز جاء وقت بيان موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالذبح، وتقديم القرابين، فأقول وبالله التوفيق.

---

(١) يراجع فصل النذر ص: ٤٤٩.

(٢) سورة الأنعام (١٦٢-١٦٣).

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو تقديم القرابين إلى القبور وسدنتها.

تقدم في فصل النذر بيان المفاسد التي تترتب على تقديم النذور والصدقات للقبور والمجاورين لها، وفي ذلك كفاية من تكرارها هنا.

وبقي الكلام على مسألة: إلقاء الصدقات على قبور الأولياء وغيرهم، هل هذا من التأدب، والاحترام أم لا؟

الجواب: ليس هذا من الآداب الإسلامية، لأن صدر هذه الأمة كان خير الناس علما، وأدبا، إكراما واحتراما، ولم يثبت عن أحدٍ منهم، أنهم قدموا الصدقات للأموات أو ألقَوا شيئا من الأموال على قبور شهداء بدر، أو شهداء أحد، أو غيرهم، بل هم الذين نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ﴾[1]. ولم يثبت منهم، لا من الخلفاء الأربعة، ولا من غيرهم من الصحابة، أنهم ألقوا شيئا على قبر الرسول ﷺ، مع أن الآية نزلت فيهم، وأمروا أن يقدموا بين يدي نجواهم مع الرسول ﷺ صدقة.

فكيف يصح قول المخالف: «إذا قدّم أحد كبشًا أو تيساً، أو ثوراً، وكان مراده التصدق أو الهدية، أو أدب زيارة القبور؛ فهذا جائزٌ» كما تقدم قولهم في بيان الانحرافات، بل تقديم التيوس والثيران، ونحوها من الحيوانات، أو الصدقات من غير الحيوانات، إذا قدمت إلى المقابر، فإن كان يتقرب بذلك إلى ذلك المقبور فهو شرك في القصد وهو الغالب عند من يقدم هذه الأشياء للقبور لظنهم أنهم يقربونهم إلى الله أو يشفعون لهم عند الله، وإلا فما المقصود من ترك الفقراء والمساكين الذين يسكنون بجوار بيوتهم في القرية، وهم أحق الناس بالمساعدة، وأتوا بهذه الأشياء إلى المقبرة والمجاورين.

وإن سلمنا قول المخالف: إن المتصدق لم يقصد به التقرب إلى غير الله، وكان قصده هو التقرب إلى الله، لكن ألقى هذه الأشياء على القبور؛ فيقال في مثل هذا: إن هذا العمل بدعة

---

(١) سورة المجادلة (١٢).

لم يفعله الصحابة، وذريعة إلى الشرك، لأن هذا يؤدي ببعض الناس إلى تقديم الصدقات إلى غير الله تعالى كالقبور والأضرحة وسدنتها تقربا إليهم، كما ابتلي بذلك بعض الناس.

وأما استدلال المخالف من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ﴾[1]، على تقديم الصدقات إلى القبور ومجاوريها، بدليل أن التأدب مع الولي تأدب مع الرسول ﷺ؛ لأنه متبع الرسول، والتأدب مع الرسول ثابت، فهذا أيضا ثابت، لأن التأدب مع الميت مثل التأدب مع الحي، كما تقدم كلامهم بتمامه في بيان الانحرافات. فكيف يصح استدلالهم وأفضل الأولياء بعد النبي محمد ﷺ أبو بكر، وبعده عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ، وأكثر الناس أدبا معهم -أحياءً، وأمواتاً- هم الصحابة ﷺ ، ولم يثبت عن أحد منهم أنهم قدموا كبشًا أو تيساً، أو ثوراً، إلى قبورهم، ولم يفهموا من هذه الآيات ما فهمه المخالفون؛ فدل ذلك على أن عمل هذا المخالف ليس بجائز.

وكل أمر لم يفعله الصحابة والتابعون -مع وجود المقتضي- لا يجوز، وفي مثل هذا قال مالك -رحمه الله-: «من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾[2] فما لم يكن يومئذٍ دينا فلا يكون اليوم دينا»[3].

فما يفعله بعض الناس من تقديم القرابين للقبور وسدنتها، ليس من الآداب الإسلامية في شيء، بل هو من عادات المشركين الذين كانوا يَعْقِرون الحيوانات عند القبور، وقد قال النبي ﷺ: «**لا عقر في الإسلام**»[4].

---

(١) سورة المجادلة (١٢).

(٢) سورة المائدة (٣).

(٣) الاعتصام للشاطبي الباب الثاني في ذم البدع ص: ٣٧.

(٤) سنن أبي داود كتاب الجنائز باب كراهية الذبح عند القبر ص:٥٨٠(ح٣٢٢٢) ومسند أحمد ١٩٧/٣، وقال الألباني ومحققو المسند:إسناده صحيح على شرط الشيخين. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٢٠/٣٣٣(ح١٣٠٣٢).

قال ابن الأثير -رحمه الله- في معنى الحديث: ((كانوا يَعْقِرُون الإبل على قبور الموتى أي ينحرونها، ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته، فنكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته، وأصل العقر: ضرب قوائم البعير، أو الشاة، وهو قائم))(١).

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو الذبح أمام المركبة، وتلطيخ عجلاتها بدم الذبيحة.

ذبح الحيوان لا يكون إلا بقصد أكل لحمه أو التقرب إلى الله، وأما ما ذبح لغير هذين المقصدين، مثل الذبح أمام المركبة كالسيارة ونحوها، أو الذبح عند بناء البيت أو افتتاح محل تجاري، أو حفر الآبار ونحوها، اتقاء ضرر الجن والشياطين، فهذا أمر محرم شرعا.

وذلك لأن ذبح الطيور وغيرها للجن تقربا إليهم واتقاء شرهم، هو شرك أكبر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(٢)، فالذبح أمام السيارة، وتلطيخ عجلاتها أو الجزء الأمامي أو الخلفي منها بدم الذبيحة -تقربا إلى الجن ليأمن الذابح شرهم- عمل محرم، ولحم هذا المذبوح حرام أكله؛ لأنه مما أهل به لغير الله ﷻ، وقد قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾(٣)، وهذا الذي يذبح للجن والشياطين تقربا إليهم مما أهل لغير الله به.

قال الشيخ العلامة ابن باز -رحمه الله- في مثل هذا: ((إن كان المقصود من الذبيحة اتقاء الجن، أو مقصداً آخر يقصد به صاحب البيت أن هذا الذبح يحصل به كذا وكذا كسلامته، وسلامة ساكنيه فهذا لا يجوز؛ فهو من البدع، وإن كان للجن؛ فهو شرك أكبر لأنه عبادة لغير الله))(٤).

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢/٢٣٤.

(٢) سورة الأنعام (١٦٢-١٦٣).

(٣) سورة المائدة (٣).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز ٥/٣٨٨.

وإن لم يكن مقصدهم ما قاله ابن باز -رحمه الله- بل مقصدهم بذبح الدجاجة أو غيرها من الطيور والحيوانات أداء شكر نِعَم الله ﷻ عليهم، بأن منَّ عليهم بإتمام البناء، أو وصول العروسة إلى البيت فهذا لا بأس به، إلا أن تلطيخ جزء من المركبة بدم الذبيحة، يشعر أنه لا يريدون أداء شكر النعمة، وإلا فما هو تعلق أداء الشكر بذبحه أمام المركبة وتلطيخ عجلاتها بدم الذبيحة، وهذا يشعر أن المقصد بهذا الذبح هو التقرب إلى الجن والشياطين، ليأمن شرهم، وهذا لا يجوز . هذا من جهة.

ومن جهة أخرى إن صاحب المركبة هو الذي يطالب بذبح الحيوان أمام مركبته، لا صاحب البيت أو العروسة؛ فهذا أيضا يدل على أن الذبح ليس من أجل الشكر على نعمة وصول العروسة، ولا تمام البناء بل صاحب المركبة يتقرب بها إلى الجن، حتى يأمن شرهم، ويخاف أن يصيبوه بمكروه إن لم يفعل ذلك.

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو التصدق عن مال الميت قبل دفنه، أو بعده، لعدة أيام متتالية، قد تصل إلى أسبوع كامل.

سبق في تمهيد هذا الفصل أن صدقة التطوع تجوز عن الميت، ويصله ثوابها إن شاء الله، ويجب إنفاذ وصيته من ثلث المال، وينبغي للوارث أن يؤدي عنه الحقوق المالية الواجبة عليه من ماله قبل تقسيم التركة.

لكن الإطعام عن الميت من ماله في اليوم الأول قبل دفنه، أو أثناء الدفن أو بعده مباشرة، أو لعدة أيام متتالية، قد تصل إلى أسبوع، أو أكثر، فهذا العمل فيه عدة مخالفات شرعية وهي:

أولا: أن التصدق غير الواجب عن الميت من ماله، بعد وفاته لا يجوز؛ لأن المال ينتقل بالموت إلى الورثة، بما فيهم الصغير، والغائب، ومن في حكمهم كالجنين ونحوه، فلا يجوز التصرف في مال الغير، وخاصة اليتيم الذي أمر الله أن لا نقترب ماله إلا بالتي هي أحسن، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[1].وليس الإطعام من مال اليتيم عند الصدمة الأولى التي أصابته باليتم والغم، من الطريقة الحسنى التي أمرنا الله بها.

---

(١) سورة الأنعام (١٥٢).

قال الملا على القاري -رحمه الله-: «واصطناع أهل البيت له[أي الطعام] لأجل اجتماع الناس عليه بدعة مكروهة، بل صح عن جرير ﷺ(1) «**كنا نعده من النياحة**(2)»، **وهو ظاهر في التحريم**، قال الغزالي: ويكره الأكل منه، **قلت**: وهذا إذا لم يكن من مال اليتيم، أو الغائب، وإلا فهو حرام بلا خلاف»(3).

ثانيا: أن التصدق من مال الميت، الذي انتقل بموته إلى الوارث في الأيام الأولى من الوفاة، مخالف لهدي النبي ﷺ؛ فقد قال رسول الله ﷺ لما جاء نعي جعفر ﷺ(4): «**اصنعوا لآل جعفر طعاما؛ فإنه قد أتاهم أمر شغلهم**» (5).فهو ﷺ كان يأمر غير أهل الميت أن يصنعوا لأهل الميت طعاما، و لم يأمرهم أن يجتمعوا للأكل عند أهل الميت مع ما جاء هم من الغم.

---

(1) **جرير**: هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر البجلي سيدهم، يكنى أبا عمرو، وكان إسلامه في آخر العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ.يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر١/٢٣٦(ت٣٢٢)، وأسد الغابة لابن الأثير ١/٢٣٣(ت٧٣٠).

(2) **النياحة**: النوح أصله التناوح، وهو التقابل، ثم استعمل في اجتماع النساء وتقابلهن في البكاء والحزن على الميت. يُنظر: تاج العروس للزبيدي ٤/٢٤٢، ومقدمة فتح الباري لابن حجر ص: ٣١٨.

(3) المرقاة شرح المشكاة للملا علي القاري ٤/٢٢٣(ح١٧٣٩).

(4) **جعفر**: هو جعفر الطيار ﷺ بن أبي طالب أخو علي ﷺ، وكان أكبر من علي بعشر سنين استشهد في مؤته عام ٨هـ.يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر١/٢٤٢(ت٣٢٧)، وأسد الغابة لابن الأثير١/٣٤١ (ت٧٥٩).

(5) سنن أبي داود كتاب الجنائز باب صنعة الطعام لأهل الميت ص:٥٦٥(ح٣١٣٢) والترمذي في سننه كتاب الجنائز باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت ص:٢٣٧(ح٩٩٨)، والإمام أحمد في مسنده١/٢٠٥ وحسنه الألباني ومحققو المسند.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٢/٢٨٣(ح٣١٣٢)، والمسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣/٢٨٠(ح١٧٥١).

ولذلك قال جرير بن عبد الله البجلي ﷺ: «**كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت، وصنيعَةَ الطعام بعد دفنه من النياحة**»[1].وفي رواية: «**كنا نرى الاجتماع إلى أهل الميت، وصنعة الطعام من النياحة**»[2].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ أيضا: «**كنا نعد الاجتماع ثَمَّ أهل الميت، بعد ما يدفن من النياحة**»[3].

قال السندي -رحمه الله-[4]: «**كنا نعد الاجتماع**: هذا بمنزلة رواية إجماع الصحابة - رضي الله عنهم-، أو تقرير النبي ﷺ، وعلى الثاني فحكمه الرفع، وعلى التقديرين؛ فهو حجة.

ثم قال: وبالجملة فهذا عكس الوارد، إذ الوارد أن يصنع الناس الطعام لأهل الميت فاجتماع الناس في بيتهم حتى يتكلفوا لأجلهم الطعام قلب لذلك، وقد ذكر كثير من الفقهاء أن الضيافة لأهل الميت قلب للمعقول لأن الضيافة حقا أن تكون للسرور لا للحزن»[5].

---

(١) مسند أحمد ٢/٢٠٥، وصححه النووي، والملا علي القاري، وأحمد شاكر: يُنظر: المجموع للنووي٥/٣٢٠، والمرقاة للقاري ٤/٢٢٣(ح١٧٣٩)، والمسند المحقق بتحقيق أحمد شاكر٦/٣٨٧(ح٦٩٠٥) وقال محققو المسند بإشراف الأرنؤوط: حديث صحيح.نصر بن باب، وإن كان ضعيفا، لكن الحديث متابع، وبقية رجاله رجال الشيخين، يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ١١/٥٠٥(ح٦٩٠٥).

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن الاجتماع إلى أهل الميت، وصنعة الطعام ص:٢٨٢(ح١٦١٢)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح، رجال الطريق الأول على شرط البخاري، والطريق الثاني على شرط مسلم.ينظر:زوائد ابن ماجه ص: ٢٣٦(ح٥٥١).وقال الألباني: وإسناده صحيح على شرط الشيخين.يُنظر: أحكام الجنائز وبدعها للألباني ص: ٢١٠.

(٣) تاريخ واسط لأسلم بن سهل الواسطي المعروف ببحشل ص:١٢٦.

(٤) **السندي**: هو أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المحدث، ولد بالسند وبها نشأ، وتوفي بالمدينة النبوية عام ١١٣٩هـ.يُنظر ترجمته في كشف الظنون لحاجي خليفة (١٦٨٠)، ومعجم المؤلفين لكحالة ١/٥٦٢(ت٤٢١٤).

(٥) حاشية السندي الحنفي على سنن ابن ماجة١/٤٩٠(ح١٦٣٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «كان من هديه ﷺ أن أهل الميت لا يتكلفون الطعام للناس، بل أمر أن يصنع الناسُ لهم طعاما يرسلونه إليهم»(١).

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «أُحِبُّ لجيران الميت، أو ذي قرابته، أن يعملوا لأهل الميت، في يوم يموت وليلته طعاما، يشبعهم فإن ذلك سُنَّةٌ» (٢).

وقال ابن عابدين -رحمه الله-: «ويكره اتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت؛ لأنه شُرِع في السرور لا في الشرور، وهي بدعة مستقبحة»(٣).

ثالثا: أن التصدق يكون عن ظهر غنىً كما قال النبي ﷺ: «**خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول**»(٤)، ومعنى عن ظهر غنى «ما وقع من غير محتاج إلى ما يتصدق به لنفسه، أو لمن تلزمه النفقة»(٥).

.أما هؤلاء الذين يصنعون الطعام عن الميت فلا يتصدقون عن ظهر غنى، ولا من أموالهم، بل أموال الغير، وقد يستدينون المبالغ بالربا.

رابعا: إن قال قائل إن الميت أوصى بالإطعام عنه في اليوم الأول إلى السابع، ويجب إنفاذ الوصية، فيقال له: إن كل أمر ليس في كتاب الله وسنة رسوله، بل جاءت النصوص على خلاف ذلك، فهو مردود، والوصية ببدعة غير نافذة، لأن النبي ﷺ قال: «**لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف**»(٦).

---

(١) زاد المعاد لابن القيم١/٥٠٩(فصل حكم التعزية وعدم الاجتماع لها).

(٢) الأم للشافعي كتاب الجنائز باب القول عند دفن الميت٢/ ٦٣٥.

(٣) رد المحتار لابن عابدين ٢/٢٦٠-٢٦١.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٣/٣٧١ (ح١٤٢٦).

(٥) فتح الباري لابن حجر كتاب الزكاة باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٣/ ٣٧٣عند شرح (ح١٤٢٦).

(٦) صحيح البخاري مع الفتح كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد ١٣/٢٨٦ (ح٧٢٥٧).

قال محمد البركوي الحنفي -رحمه الله-(١): «الفصل الثالث في أمور مبتدعة باطلة، أكبَّ الناس عليها، على ظن أنها قربٌ مقصودة، وهذه كثيرة فلنذكر أعظمها: وقف الأوقاف، سيما النقود لتلاوة القرآن العظيم، أو لأن يصلي النوافل، أو لأن يسبح، أو لأن يهلل، أو يصلى على النبي ﷺ، ويعطي ثوابها لروح الواقف من أراده، **ومنها** الوصية باتخاذ الطعام، والضيافة يوم موته، أو بعده بإعطاء دراهم معدودة، لمن يتلو القرآن لروحه، أو يسبح له، أو بأن يبيت عند قبره رجال أربعين ليلة، أو أكثر أو أقل، أو بأن يبنى على قبره بناء؛ فكل هذه بدع منكرات، **والوقف والوصية باطلان**، والمأخوذ منها حرام للآخذ، وهو عاصٍ بالتلاوة، والذكر لأجل الدنيا»(٢).

وأما الجواب عن استدلال المخالف على تجويز الإطعام عن الميت في اليوم الأول قبل دفن الميت أو بعده، ولعدة أيام ونحو ذلك من الأمور التي تقدم بيانها في بيان الانحرافات فكما يلي:

أولا: استدلال المخالف بحديث رجلٍ من الأنصار قال:خرجنا في جنازة، فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر، يوصي الحافر: «**أوسع من قبل رجليه، أوسع من قبل رأسه**» فلما رجع، **استقبله داعي امرأته**، فجاء، وجيء بالطعام؛ فوضع يده، ووضع القوم، فأكلوه... الحديث. هكذا نقلوه في كتبهم، لكن لا يوجد لفظ «**استقبله داعي امرأته**» في المصادر التي يعزون إليها الحديث، وهي سنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد، والسنن الكبرى للبيهقي.

ففي سنن أبي داود والسنن الكبرى للبيهقي «عن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار قال:خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة؛ فرأيت رسول الله ﷺ -وهو على القبر- يوصي الحافر: «**أوسع من قبل رجليه، أوسع من قبل رأسه**» فلما رجع، **استقبله داعي امرأة**، فجاء، وجيء بالطعام، فوَضَع يده، ثم وضع القوم، فأكلوا، فنظر

(١) **محمد البركوي**: هو محمد بن پير علي البركوي تقي الدين الرومي الفقيه الحنفي الصوفي، ولد سنة ٩٢٦هـ وتوفي ٩٨١هـ.من مؤلفاته الطريقة المحمدية، والسيف الصارم في عدم جواز وقف المنقول والدراهم، وغيرهما.ينظر ترجمته في هدية العارفين لإسماعيل البغدادي ٢/٢٥٢، ومعجم المؤلفين ٣/١٦٧(ت١٢٤٨٤).

(٢) الطريقة المحمدية لمحمد البركوي ص: ٣٥٥-٣٥٦.

آباؤنا رسولَ الله ﷺ يلوك لقمة في فمه، ثم قال: «**أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها**» فأَرسَلَتْ المرأةُ، قالت: يا رسول الله! إني أرسلت إلى البقيع يشتري لي شاةً، فلم أجـد، فأرسلت إلى جارٍ لي -قد اشترى شاة- أن أرسل إليَّ بها بثمنها، فلم يوجد، فأرسـلت إلى امرأته، فأرسلت إليَّ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أطعميه الأُسارى**»(١).

وفي رواية مسند الإمام أحمد عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، في جنازة رجلٍ من الأنصار، وأنا غلام مع أبي، فجلس رسول الله ﷺ، على حفيرة القبر فجعل يوصى الحافر ويقول: «**أوسع من قبل الرأس، وأوسع من قبل الـرجلين...**»(٢) ففي هذه الرواية تصريح من الصحابي، أن الميت كان من الأنصار.

وفي رواية أخرى لمسند الإمام أحمد تصريح من الصحابي: أن المرأة الداعية كانـت من قريش، والحديث بنصه هكذا: «عن عاصم بن كليب عن أبيه أن رجلا من الأنصار أخبره قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، في جنازة، فلما رجعنا، لقينا **داعي امـرأة مـن قريش**، فقال يا رسول الله!: إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام، فانصرف، فانصرفنا معه؛ فجلسنا مجالس الغلمان من آبائهم بين أيديهم، ثم جيء بالطعام، فوضع رسول الله ﷺ يده، ووضع القوم أيديَهم؛ ففطن له القوم، وهو يلوك لقمتـه لا يجيزهـا، فرفعـوا أيديهم، وغفلوا عنا، ثم ذكروا؛ فأخذوا بأيدينا، فجعل الرجل يضرب اللقمة بيده حـتى تسقط، ثم أمسكوا بأيدينا، ينظرون ما يصنع رسول الله ﷺ فلفظها، فألقاها، فقال: «**أجد لحم شاة أخذت بغير أذن أهلها**» فقامت المرأة، فقالت:يا رسول الله! **إنه كان في نفسي أن أجمعك، ومن معك على طعامٍ**، فأرسلت إلى البقيع؛ فلم أجد شاة تُباع، وكان عامر

---

(١) سنن أبي داود كتاب البيوع باب في اجتناب الشبهات ص: ٦٠٠ (ح٣٣٣٢)، والسنن الكبرى للبيهقي كتاب البيوع باب كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا أو ثمن المحـرم ٣٣٤/٥(ح١٠٦٠٧)، وقـال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٣٣٥/٢(ح٣٣٣٢).

(٢) مسند الإمام أحمد ٤٠٨/٥ وقال محققو المسند: إسناده قوي. ينظر المـسند المحقـق بإشـراف الأرنؤوط ٤٥١/٣٨ (٢٣٤٦٥).

بن أبي وقاص[(١)] ابتاع شاة أمسِ من البقيع؛ فأرسلت إليه، أن ابتُغِيَ لي شاةٌ في البقيع فلم توجد، فذُكِرَ لي أنك اشتريت شاةً، فأرسلْ بها إليَّ، فلم يجده الرسولُ، ووَجَدَ أهلَه، فدفعوها إلى رسولِي.فقال رسول الله ﷺ: «**أطعموها الأُسارى**»[(٢)].

فعلم أن الحديث لا يدل على ما استدلوا عليه لعدم وجود جملة «**داعـي امرأتـه**» حتى يرجع الضمير على الميت ليصح استدلال المخالف على إطعام أهل الميت عن ميتهم في اليوم الأول.بل كانت المرأة الداعية إلى الطعام غير المرأة التي توفي عنها زوجها، والداعية من نساء قريش أي من المهاجرات، والميت من الأنصار، كما صُرِّح بهذا في روايتي المسند كما تقدم آنفا.

ثم المرأة كانت في نفسها من قبلُ أن يدعوَ النبي ﷺ ومن معه، كما صرحت به -رضي الله عنها- في الحديث: **إنه كان في نفسي أن أجمعك، ومن معك على طعامٍ**...، وهذا أيضا يدل على أن الصدقة لم تكن عن الميت.

أما الحديث الذي استدلوا به: وهو «**ما من أهل بيت يموت منهم ميت؛ فيتصدقون عنه بعد موته، إلا أهداها له جبريل على طبق من نور**...» كما تقدم في بيان الانحرافات فموضوع[(٣)]؛ لأن في سنده أبا محمد الشامي وهو كذاب[(٤)].

---

(١) **عامر بن أبي وقاص:** هو ابن مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي، أخو سعد بن أبي وقاص، أسلم بعد عشرة رجال.ينظر ترجمته في: الاستيعاب لابن عبد البر٢/٧٩٩(ت١٣٤٥)، وأسد الغابة لابن الأثير٣/١٤٤(ت٢٧٤٨).

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/٢٩٣، وقال محققو المسند: إسناده قوي.ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣٧/١٨٥-١٨٦(ح٢٢٥٠٩).

(٣) قال الألباني -رحمه الله- بعد أن نقل الحديث:«**موضوع**».يُنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة١/٦٩٩(ح٤٨٦).

(٤) قال الهيثمي -رحمه الله- بعد نقله الحديث: «رواه الطبراني في الأوسط[٦٥٠٤] وفيه أبو محمد الشامي قال عنه الأزدي: كذاب».ينظر: مجمع الزوائد للهيثمي٣/٢٥٣(ح٤٧٧٠)، وميزان الاعتدال للذهبي ٤/٥٧٠.

واستدلال المخالف من أقوال وأفعال الصحابة غير صحيح، وذلك لعدم ثبوت ذلك منهم ﷺ وتفصيل ذلك فيما يلي:

أما وصية عمران بن الحصين ﷺ: فسندها ضعيف، لأن الطبراني -رحمه الله- أخرج بسنده إلى حفص بن النضر السلمي[1]، عن أمه[2] بنت محمد بن عمران، عن أمها مريم بنت فروة، أن عمران بن الحصين، لما حضرته الوفاة، قال: «إذا أنا مت فشدوا على بطني عمامة، وإذا رجعتم فانحروا وأطعموا»[3].وكذا أخرج ابن سعد بسنده إلى حفص هذا قال: «حدثتني أمي عن أمها وهي بنت عمران بن الحصين أن عمران بن الحصين لما حضرته الوفاة قال: إذا أنا مت فشدوا علي سريري بعمامة وإذا رجعتم فانحروا وأطعموا»[4].

فلا أدري كيف تكون أمُ أمِ حفص، بنتا لعمران بن الحصين وقد صُرِّح بذلك في هذا السند، وقد صُرح في سند المعجم الكبير للطبراني أن أم حفص هي بنت محمد بن عمران، وأمها بنت فروة؟ فيدل هذا على الاضطراب في السند هذا من جهة. ومن جهة ثانية: في سنده مريم وهي عير معروفة، قال الهيثمي -رحمه الله- بعد نقله الحديث المذكور: «رواه الطبراني في الكبير، ومريم: لم أجد من ذكرها» [5].

وأما ما ذكروا من وصية أبي ذر: فقد أخرج الطبري عن شعيب عن سيف عن عطية بن يزيد الفقعسي قال لما حضرت أبا ذر الوفاة...، قال لابنته استشرفي يا بنية! فانظري هل ترينِ أحدا؟ قالت: لا. قال: فما جاءت ساعتي بعد. ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها، ثم قال إذا جاءك الذين يدفنوني؛ فقولي لهم: إن أبا ذر يقسم عليكم ألا

---

(١) قال الذهبي وابن حجر: «حفص بن النضر: شيخ لقتيبة صدوق. قال أبو حاتم: روى حديثاً منكراً».ينظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١/٥٦٩(ت ٢١٦٥) ولسان الميزان٢/٦١٥(٢٨٩٩).

(٢) أمه: هي رملة بنت محمد بن عمران بن الحصين. يُنظر:الجرح والتعديل لابن أبي حاتم٣/ ١٨٨ (٨١٢).

(٣) يُنظر: المعجم الكبير للطبراني(١٨/١٠٦(ح١٩٩).

(٤) يُنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد١٢/٧.

(٥) مجمع الزوائد للهيثمي باب في الطعام يصنع ٣/٦٣(ح٣٩٦٧).

تركبوا حتى تأكلوا؛ فلما نضجت قدرها قال لها انظري هل ترين أحدا؟ قالت: نعم هؤلاء ركب مقبلون. قال: استقبلي بي الكعبة...» (١).

فالجواب أن قصة وفاة أبي ذر رضي الله عنه رواها كثير من المحدثين والمؤرخين، لكن لم يذكروا فيها وصيته بذبح شاة وطبخها وأكلهم على الناس، بل فيها أنه ما كان يجد ما يكفن فيه، فكفن في رداء فتى من الأنصار...»(٢) هذا من جهة. ومن جهة ثانية **الرواية التي فيها ذبح شاة**، فمدارها على سيف وهو ابن عمر وهو ضعيف.

قال الذهبي -رحمه الله-: «سيف بن عمر الضبي الأسيدي، ويقال التميمي البرجمي، ويقال السعدي الكوفي. مصنف الفتوح والردة وغير ذلك.هو كالواقدي. يروي عن هشام ابن عروة، وعبيد الله بن عمر، وجابر الجعفي، وخلق كثير من المجهولين(٣).

وقال النسائي والدارقطني -رحمهما الله-: ضعيف(٤).

وقال ابن عدي بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها(٥).

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات اتهم بالزندقة (٦).

ومن جهة ثالثة: ولو سلمنا بصحة الرواية التي ذكر فيها ذبح شاة؛ فليست فيها وصية أبي ذر رضي الله عنه بذبحها بعد وفاته، وإنما فيها أمره رضي الله عنه بذبح شاة في حياته وطبخها،- وتكون تلك

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٤ حوادث سنة(٣١هـ)، وتاريخ دمشق لابن عساكر٦٦/٢١٧.

(٢) يُنظر: مسند الإمام أحمد ١٥٥/٥، وصحيح ابن حبان(ذكر الإخبار عن وصف موت أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ٥٧/١٥(ح٦٦٧٠) مستدرك الحاكم ٤١٣/٣(ح٥٥٢٠)، و٤٢١/٣(ح٥٥٣٧) والبداية والنهاية لابن كثير٦/٢٠٧، وتاريخ دمشق لابن عساكر٦٦/٢٢٠، وقوى إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان، والمسند. ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣٥/٣٠٠(ح٢١٣٧٣)

(٣) يُنظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٢٥٥/٢(ت٣٦٣٧) وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢٦٨/٤(ت٢٨١٩).

(٤) يُنظر: الضعفاء والمتروكون للنسائي ص: ١١٧(ت٢٥٦)، وللدارقطني ص: ٣٢٢ (ت٢٨٣).

(٥) الكامل في الضعفاء لابن عدي ٥٠٨/٤(ت٨٥١).

(٦) يُنظر: كتاب المجروحين لابن حبان١/٣٤٥.

الشاة من تصدق صاحب المال من ماله حال حياته-كما يعلم ذلك من قوله لامرأته، أن تقول لمن يحضر الدفن: إن أبا ذر يقسم عليكم...وقد نصت الرواية بأن الذبح والطبخ لم يكن بعد وفاته بل قبل وفاته، حيث فيها: «**فلما نضجت. قال لها انظري، هل ترين أحدا؟ قالت: نعم هؤلاء ركب مقبلون. قال: استقبلي بي الكعبة...**» الخ. كما تقدمت الرواية قبل قليل.

وأما ما رُوِي عن التابعي طاووس -رحمه الله-: «**إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً؛ فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام**» كما تقدم في بيان الانحرافات.

فهذه الرواية ضعيفة؛ لأن فيها انقطاعا.

ففي المطالب العالية لابن حجر ٥/٣٣٠ (٨٣٤) قال أحمد[ابن حنبل] في الزهد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الأشجعي[وهو عبيد الله بن عبد الرحمن] عن سفيان [وهو الثوري]قال: قال طاووس: «**إن الموتى**...الخ.

وفي الحلية لأبي نعيم ٤/١١ قال حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا، هاشم بن القاسم به.

وطاووس هذا فارسي الأصل ولد في اليمن وفيه نشأ وتوفي حاجا أو معتمرا بمكة سنة ١٠٦هـ[١]، وسفيان الثوري الكوفي ولد سنة ٩٧هـ توفي سنة١٦١هـ[٢]؛ فيكون بين مولده ووفات طاووس تسع سنوات فقط، وفي العادة لا يمكن لصبي من الكوفة عمره تسع سنوات أن يسمع من عالم في اليمن أو مكة.

ولهذا قال محقق المطالب العالية: الإسناد رجاله كلهم ثقات، إلا أنه منقطع بين سفيان وطاوس. فهو ضعيف[٣]. هذا من جهة.

---

(١) يُنظر: الحلية لأبي نعيم ٤/٣(٢٤٩)، ووفيات الأعيان لابن خلكان٢/٥٠٩(ت٣٠٦).

(٢) يُنظر: تاريخ بغداد للخطيب ٩/١٥١(ت٤٧٦٣)، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٣٨٦ (ت٢٦٦)، والوافي بالوفيات للصفدي ١٥/٢٧٨(٣٩٠)

(٣) تحقيق باسم بن طاهر خليل عناية على المطالب العالية لابن حجر٥/٣٣٠(ح٨٣٤).

ومن جهة أخرى هذه الرواية مخالِفة لرواية الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي ﷺ حيث قال: «**كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت، وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة**»[1].

فقوله: «**كنا نعد**» نقل لإجماع الصحابة وعلى لسان صحابي.أو هو يرفع الحديث إلى النبي ﷺ، فلقوله حكم الرفع؛ لأن قول الصحابي: «**كنا نفعل كذا وكذا**» له حكم الرفع[2] فلا يقبل روايات غير ثابتة عن التابعين في مقابل، ماله حكم المرفوع، وكذا في مقابل إجماع الصحابة.

ومن جهة ثالثة، لا يمكن لقول التابعي أن يعارض قول الصحابي، حتى نحتاج إلى الجمع أو الترجيح، وخاصة إذا كان لقول الصحابي حكم المرفوع، مثل قول جرير ﷺ: «**كنا نعد الاجتماعَ إلى أهل الميت، وصنيعَةَ الطعام بعد دفنه من النياحة**»[3].

ومن جهة رابعة يقال: ما المراد من قوله: «**إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً**» فإن كان المراد يمتحنون، فالامتحان لا يستمرُّ سبعا، لما ثبت في حديث البراء بن عازب ﷺ[4] الطويل[5]، وحديث قرع النعال وفيه: «إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان

---

(١) تقدم تخريجه في ص:٧١١، و٧١٢.

(٢) يُنظر: معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح ص: ١٢٠(تفريعات على المقطوع)، التقييد والإيضاح لحافظ زين الدين العراقي(بحث المقطوع) ص: ٥٧، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ص: ١٧٤(بحث المقطوع).

(٣) تقدم تخريجه في ص: ٧١١، و٧١٢.

(٤) **البراء:** هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الخزرجي الصحابي الجليل يكنى أبا عمارة مات بالكوفة في إمارة مصعب بن الزبير يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/١٥٥(ت١٧٣)، وأسد الغابة ١/٢٠٥(ت٣٨٩).

(٥) الحديث في سنن أبي داود كتاب السنة باب المسألة في القبر وعذاب القبر٨٦٠(ح٤٧٥٣) مسند الإمام أحمد٤/٢٨٧، وصححه الألباني ومحققو المسند.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٣/١٦٥(ح٤٧٥٣) والمسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٣٠/٤٩٧(ح١٨٥٣٢).

له ما كنت تقول في هذا الرجل...» [1]، وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت؛ فإنه الآن يسأل**»[2].

كل هذه الأدلة تدل على أن سؤال الملكين الذي يسمى«بفتنة القبر» يكون بعد الفراغ من الدفن، ولا يستمر إلى سبعة أيام[3].

وإن كان المراد بالفتنة في القبر، عذاب القبر، فعذاب القبر لمن يُعَذَّب فيه نوعان- وليس سبعة أيام فقط- **فمنه ما يكون مدة ثم ينقطع**، وهو عذاب بعض العصاة؛ فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه[4].

ومنه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [5].

---

(١) حديث قرع النعال في البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال ٣/٢٦٢ (ح١٣٣٨) ومسلم في صحيحه كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ١٧/٢٠٠(ح٧١٤٥).

(٢) سنن أبي داود كتاب الجنائز باب الاستغفار عند القبر للميت.ص: ٥٧٩(ح٣٢٢١).وقال الألباني: صحيح.ينظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٢/٣٠٥(ح٣٢٢١).

(٣) ومما يدل أن فتنة القبر هو سؤال الملكين، لا عذاب القبر، قول النبي ﷺ: «فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فإذا كان الرجلُ الصالحُ، أُجلِس في قبره غير فَزِعٍ ولا مَشْعُوفٍ، ثم يقال له: فيم كنت فيقول في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله ﷻ فصدقناه؛ فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله ﷻ، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة؛ فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله...» رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/١٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٤٢/١٣(ح٢٥٠٨٩).

(٤) يُنظر:شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص:٥٨٢.

(٥) سورة غافر (٤٥-٤٦).

وقول النبي ﷺ في حديث سؤال الملكين: «...ويُجلَس الرجل السوء في قبره فزِعا مَشْعُوفا[1].فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري.فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناسَ يقولون قولا فقلته. فيُفْرَجُ له فُرْجَةٌ قِبَلَ الجنة.فينظر إلى زَهْرَتِها وما فيها. فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك. ثم يُفْرَجُ له فرجةٌ قبل النار.فينظر إليها.يحطِم بعضها بعضا.فيقال له: هذا مقعدك.على الشك كنتَ. وعليه متَّ وعليه تُبْعَثُ إن شاء الله تعالى» وفي رواية أحمد: «**ثمَّ يعذَّب**» [2].وقوله في حديث البراء ﷺ الطويل: «**فيأتيه من حرِّها وسمومها**» [3].

فعلم أن عذاب القبر لا يكون سبعة أيام أو لياليها فقط، حتى يصح القول باستحباب الصدقة عن الأموات في تلك الأيام السبعة الأولى. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: «**إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً؛ فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام**» ففيها جملتان:

الجملة الأولى: «**إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً**» تعارِضُ الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تدل على أن **فتنة القبر لا تكون سبعا بالتحديد،** لأن الفتنة إن كان يراد بها سؤالُ الملكين فهو يكون في اللحظات الأولى من الدفن، و لم يرد عن النبي ﷺ أنه يطول إلى سبعة أيام. وإن كان يراد بها عذابَ القبر فقد تقدم أن الناس فيه نوعان: منهم من يستمر عذابه إلى يوم القيامة، ومنهم من يعذب حتى يُمحّص من الذنوب ثم ينقطع عنه.

الجملة الثانية: «**كانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام**» تُعارِضُ قول الصحابي جرير بن عبد الله ﷺ الذي له حكم المرفوع، أو هو حكاية لإجماع الصحابة. وعلى التقديرين فهو حجة، كما تقدم تفصيله.

---

(١) **الشَّعَفُ**: شدة الفزع حتى يذهب بالقلب.النهاية لابن الأثير١/٨٧٥.

(٢)سنن ابن ماجة كتاب الفتن باب ذكر القبر والبلى ص: ٧٠٧(ح٤٢٦٨)، ومسند الإمام أحمد ١٣٩/٦، و قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط١٣/٤٢(ح٢٥٠٨٩).

(٣) سنن أبي داود كتاب السنة باب المسألة في القبر، وعذاب القبر ص: ٨٦٠(ح٤٧٥٣)، ومسند الإمام أحمد٢٨٧/٤، وصححه الألباني ومحققو المسند.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٤٧٥٣/٣) والمسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٣٠/ ٥٠٢(ح١٨٥٣٢).

ومن هنا يظهر خطأ من يقول: السنة، أو المستحب أن يتصدق ولي الميت قبل مضي الليلة الأولى بشيء مما تيسر له، فإن لم يجد شيئا فليصل ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وآية الكرسي مرة، وسورة التكاثر عشر مرات كما تقدم قوله في بيان الانحرافات.

وذلك لأن السنة والاستحباب يكون في أمر فعله النبي ﷺ، أو رغب فيه، و لم يثبت عن النبي ﷺ، أنه تصدق عن ابنه إبراهيم لما توفي في المدينة، ولا عن خديجة، لما توفيت في مكة، ولا عن زينب ورقية اللتين توفيتا في نكاح عثمان بن عفان ﷺ في حياة النبي ﷺ، ولا عن غيرهم ممن ولي أمرهم الولاية الخاصة.

وثبت عن الصحابة ﷺ عدُّهم الاجتماع إلى أهل الميت، وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة كما تقدم بيان ذلك.

وما قاله المخالف: إن من لم يجد شيئا يتصدق به عن الميت، فليصل ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسي مرة وسورة التكاثر عشر مرات...

فيقال في جوابه: إن إهداء ثواب الصلاة إلى الأموات لم يثبت عن أحد من الصحابة، مع أن كل واحد منهم مات له أقارب، وكانوا أحرص الناس على الخير لهم. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن ما قاله المخالف في الصلاة: بأن يقرأ فيها بعد الفاتحة آية الكرسي مرة، وسورة التكاثر عشر مرات، يقال فيه: إن هذا بيان لكيفية الصلاة، وبيان الكيفية تشريع، و لم يجعل الله ذلك إلا على من طريق نبيه لا غيره؛ فذكر المخالف لتلك الكيفية مردود عليه، و لم تثبت هذه الكيفية عن النبي ﷺ، عامة، وإهداء أجرها إلى الأموات خاصة، وقد قال النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» [(1)].

وأما الصدقة فهي عبادة عظيمة، لكن تعيين الأيام السبعة الأولى، أو اليوم السابع، والعاشر، أو الأربعين، ونحوها للصدقة تعدٍ على حق الشارع؛ لأن تعيين الأيام للعبادات حق الشارع كتعيين أيام التشريق للهدي والأضاحي، وتعيين اليوم السابع للعقيقة، وتعيين اكتمال شهر رمضان لصدقة الفطر، ونحو ذلك، و لم يجعل الله ﷻ تعيينها على لسان غير نبيه، و لم

---

(١) تقدم تخريجه في ص:١٩٢.

يثبت عنه ﷺ تعيين سبعة أيام للصدقة عن الميت، ولا اليوم الثالث، ولا السابع، ولا ليلة جمعة، ولا غيرها كالأربعينية، وتمام السنة للتصد عن الأموات؛ فهي من البدع المستقبحة.

وأما قول المخالف: «إن روح الميت تجيء إلى بيتها ليلة الجمعة، فتنظر هل يتصدقون عنها أم لا؟!» وقوله: «**فهذا صريح في نفع التصدق، ومجيء روح الميت، وكونها منتظرة لتصدق الأحياء عنها**» -كما تقدم كلامه في بيان الانحرافات- فيقال فيه:

إن التصدق عن الميت لا خلاف في جوازه، إنما الأمر المنكر، هو تعين اليوم للتصدق عنه، وخاصة في الأيام الأولى، وقد تقدم أن تخصيص اليوم للعبادات، من حق الشارع.

ولكن قول المخالف: إن روح الميت تحضر إلى بيتها، وتنتظر هل أهله يتصدقون عنه أم لا؟ فيقال فيه: إنه لم يثبت في رواية صحيحة، أن روح الميت تحضر ليلة جمعة، أو غيرها من الأيام والليالي إلى البيت، والكلام في هذا من الكلام في أمور البرزخ، لأن الإنسان إذا مات انتقل إلى البرزخ، وأمور البرزخ من الأمور الغيبية التي لا دخل للعقل فيها، ولا يقبل فيها إلا ما صح من الدليل، ولم يرد دليل صحيح ثابت يدل على أن أرواح الأموات ترجع إلى أهلها، وأنها تنتظر تصدق أهلها عنها.

وورد في الفتاوى الرشيدية ما معناه: (**سؤال:** أرواح المؤمنين تجيء كل ليلة الجمعة وغيرها، إلى أهلها وعيالها، فهل هذا صحيح أم لا؟ واعتقاد هذا المعتقد صحيح أم لا؟.

الجواب: لم يثبت إتيان أرواح المؤمنين ليلة الجمعة، أو غيرها إلى بيتها...وهذه الروايات واهية، ولا ينبغي اعتقاد هذا المعتقد البتة)[(١)].

والعجب من هؤلاء القوم حيث أسسوا قاعدة: أن العقائد لا تقبل فيها أخبار الآحاد، لأنها ظنية، ولا يقبل الظن في العقائد[(٢)] -وقاعدة عدم قبول أخبار الآحاد في العقائد غير صحيحة، وليس مجال البحث هنا- لكن هؤلاء يخالفون قاعدتهم التي قعّدوها في باب الاعتقادات، لأنهم استدلوا هنا في أمور البرزخ بخبر الواحد، وهو غير ثابت، فعلم

---

(١) يُنظر: الفتاوى الرشيدية لرشيد أحمد الجنجوهي (باللغة البشتو) ص: ٤٤١.وقد شاركه في الفتوى: محمد يعقوب النانوتوي، وأبو الخيرات سيد أحمد الديوبندي، و أحمد الهزاروى، وعزيز الرحمن الديوبندي، وأبو المكارم محمد إسحاق فرخ آبادي، وعبد الله الأنصاري وغيرهم.

(٢) تقدم الكلام على هذا في التمهيد ص:١١٩ وما بعدها .

أن مذهبهم في الأخذ بالأدلة أو عدم الأخذ بها، مبني على مرضاتهم، وشهواتهم، لا على الأسس والأصول.

موقف الإسلام من الانحراف الرابع: وهو بدعة الإسقاط، وسموها حيلة الإسقاط.

«الحيلة ما يتوصل بها إلى مقصود بطريق خفي» [١].

وهل الحيل تصح مطلقا وتنفذ ظاهرا وباطنا، أو تبطل مطلقا، أو تصح مع الإثم؟ ففي هذا خلاف بين العلماء[٢].

فمن أجازها استدل بقوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾[٣].

وأن النبي ﷺ عمل بها في حق الضعيف الذي زنى[٤]...

ومن قال بعدم جوازها استدل بقصة أصحاب السبت[٥].

وحديث: «حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا ثمنها» [٦].

---

(١) فتح الباري لابن حجر كتاب الحيل عند شرح العنوان١٢/٤٠٨.

(٢) يُنظر:فتح الباري لابن حجر كتاب الحيل عند شرح العنوان١٢/٤٠٨-٤٠٩.

(٣) سورة ص: (٤٤).

(٤) الحديث: في سنن أبي داود كتاب الحدود باب في إقامة الحد على المريض ص:٨٠٣(ح٤٤٧٢)، وابن ماجة في سننه كتاب الحدود باب الكبير، والمريض يجب عليه الحد ص: ٤٣٨(ح٢٥٧٤)، والإمام أحمد في مسنده ٥/٢٢٢ وصححه الألباني، ومحققو المسند. يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٣/٧٦(ح٤٤٧٢)، والمسند المحقق بإشراف الأرنوط٣٦/٢٦٣(ح٢١٩٣٥).

(٥) كما في قول الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[سورة الأنعام:١٦٣].

(٦) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب البيوع باب بيع الميتة والأصنام٤/٥٣٥ (ح٢٢٣٦)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة١١/٨(ح٤٠٢٤).

وحديث:لعن المحلّل والمحلَّل له(1)

وحديث النهي عن النَّجْشِ(2) (3)....هذا في الحيل عامة.

أما القول فيما سموه بـــ «حيلة الإسقاط» فلم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شـــيء، ولم تكن موجودة في زمن الصحابة، ولا التابعين، ولا أتباعهم، مع وجود المقتضِي، وهو وجود الأموات على مرّ الأزمنة والدهور وحرص أقاربهم على نفعهم، ولم يثبت عن أحد من هؤلاء فعل هذه الحيلة، فعلم أنها ليست من الدين، وقد قال الإمام مالك -رحمه الله-: «من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقـــول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (4) فما لم يكن يومئذٍ دينا فلا يكون اليوم دينا»(5).

ومعلوم أن الفدية شرعت عن الصيام بضوابطها، دون الصلاة وغيرهـــا، فقيـــاس الصلاة وغيرها، على الصيام في الفدية غير صحيح، ولم يقل به أحد في خير القرون.

ولذا لا نجد هذه الحيلة في المذاهب الفقهية، إلا في المذهب الحنفي، ثم لم تُـــروَ هـــذه الحيلة عن كبار علماء المذهب الحنفي كأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وأمثالهم، ولا وجودها

---

(1) الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح بـــاب في التحليـــل ص: ٣٦٠(ح٢٠٧٦)، والنسائي في سننه كتاب الطلاق باب إحلال المطلقة ثلاثا ص:٥٢٩(ح٣٤١٦)، والترمذي في سننه كتاب النكاح باب ما جاء في المحلل والمحلَّل لـــه ص:٢٦٥(ح١١١٩)، وقـــال الألبـــاني: صحيح.ينظر صحيح سنن ابن ماجة للألباني٢/١٤٥(ح١٥٨٣).

(2) **النَّجْشُ**: هو أن تزيد في ثمن السلعة، ولا رغبة لك في شرائها. التعريفات للجرجاني ص: ٢٩٥.

(3) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب البيوع بـــاب الـــنجش٤/٤٤٨(ح٢١٤٢)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب البيوع باب تحريم بيع الرجـــل علـــى بيـــع أخيـــه ١٠/٤٠١(ح٣٧٩٧).

(4) سورة المائدة (٣).

(5) الاعتصام للشاطبي الباب الثاني في ذم البدع ص: ٣٧.

في كتب ظاهر الرواية للمذهب الحنفي[1]، وإنما جاء ذكرها في كتب بعض المتأخرين من المذهب الحنفي.

أما الأدلة التي استدلوا بها على جواز حيلة الإسقاط فلا يصح بها الاستدلال؛ لأن المسائل المتنازع فيها، مرجعها إلى الله تعالى والرسول ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[2]، ولم نجد لهذه الحيلة مثالا في عصر النبوة، ولا عصر الخلفاء الراشدين، فما لم يكن يومئذٍ دينا لا يكون بعده دينا.

وأما ما ادعاه بعض المخالفين من إجماع العلماء على جواز حليه الإسقاط، فهذا يدل على عدم معرفته لمعنى الإجماع، أو ينسب نفسه إلى الجهل؟ وكيف يدعي الإجماع وللعلماء خلاف في جواز الحيل عموما، ثم كيف يدعي الإجماع وليس لهذا العمل أي أثر في خير القرون، ثم لا يقول بجواز حيلة الإسقاط الفقهاء من المذاهب الأربعة إلا بعض المتأخرين من الحنفية، وحتى المتأخرين من الحنفية ليسوا كلهم مجتمعين على جوازها، ثم هذا القائل بنفسه ينقل أقوال مخالفيه في عدم جواز حيلة الإسقاط، ويحاول أن يجيب عليها، ولا أدري فكيف يدعي الإجماع مع هذه الأمور كلها؟!.

وما ذكره بعض المخالفين أن هذا الفعل عمله عمر بن الخطاب ﷺ، وشاع في زمن عثمان ﷺ، ثم اشتهر في زمن هارون الرشيد، فنضع هذه الروايات في ميزان الجرح والتعديل ونرى مدى صلاحيتها للاحتجاج بها. فنقول وبالله التوفيق.

---

(١) ظاهر الرواية، أو ظاهر المذهب: عبارتان عند فقهاء الحنفية ويراد بهما: ما في كتب الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وهي ستة كتب ويسمونها بالأصول: الجامع الصغير، والجامع الكبير، والمبسوط، والزيادات، والسير الصغير، والسير الكبير.يُنظر: مقدمة رد المحتار لابن عابدين تحت عنوان(رسم المفتي)١/٧٤، ودستور العلماء للنكري ٢/٢٨٦، و٣/١٥.

(٢) سورة النساء (٥٩).

أولا: نقلهم عن أبي الليث السمرقندي في دوران القرآن، وأن عمر ﷺ قال: «**اجعلوا القرآن وسيلة لنجاة الموتى، فتحلقوا وقولوا: اللهم اغفر لهذا الميت بحرمة هذا القرآن**» فهذه الرواية مع أنها لا تثبت سندا، **فليس فيها ما يدل على حيلة الإسقاط** المروجة التي تقدم صورها وكيفيتها في بيان الانحرافات.وغاية ما في هذه الرواية هو التوسل البدعي بالقرآن، وهو قوله: «**بحرمة هذا القرآن**» وهذا التوسل لا يجوز كما تقدم في فصل التوسل.

وأما عدم ثبوت الرواية سندا فذلك لأمور:

أولا: ما نسب إلى فتاوى السمرقندي فلم أجده فيها[1].

ثانيا: ولو ثبت عنه لا يستدل بها، لأن الذهبي -رحمه الله- قال في السمرقندي هذا: «يروي عن: محمد بن الفضل بن أُنيف أو أشرف البخاري وجماعة.وتروج عليه الأحاديث الموضوعة»[2].وقال: «وفي كتابه"تنبيه الغافلين"موضوعات كثيرة» [3].

---

(١) لم أحصل على المطبوع من فتاوى أبي الليث، وإنما حصلت على مخطوط فتاوى أبي الليث في مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة النبوية برقم(٢٥٨/٦٣)، وكذا حصلت على نسخة مطبوعة من فتاوى فقه النوازل لأبي الليث، ولا يوجد فيهما ما ينقلونه عنه، مسندا إلى عمر ﷺ، أو عن عثمان ﷺ، أو عن غيرهما من الصحابة ﷺ، أنهم فعلوا دوران القرآن أو الإسقاط ، أو فُعِل في زمنهم، ولعل غيري اجتهد أكثر فلم يجد هذه العبارة في فتاوى السمرقندي، وقد أنكر الشيخ محمد سرفرازخان والشيخ حافظ مؤمن خان، والشيخ أمين الله البشاوري، وجود هذه العبارة في الفتاوى السمرقندية حيث نقل بعضهم -ما معناه-: (هذه العبارة ليست في الفتاوى السمرقندية، بل هذا افتراء عليه، والمفتري المسكين لم يصوِّغ العبارة جيدة، ونسب عباراته المكسَّرة وخرافاته الدالة على جهله إلى الصحابة ﷺ، والأئمة -رحمهم الله-) يُنظر: «راه سنت» لسرفراز خان ص: ٢٨٩، و«بدعت اور بدعتي» لحافظ مؤمن خان عثماني ص:٢٠٠ كلاهما أحالا إلى (العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية ٥٦١/٢)، وقال الشيخ أمين الله البشاوري: «هذه الحوالة غلط، فإن هذه العبارة ليست في الفتاوى السمرقندية» يُنظر:فتاوى الدين الخالص للشيخ أمين الله البشاوري ٣٠٣/١.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٢/١٦(ت٢٣١).

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٥٨٣/٢٦حوادث سنة٣٧٥هـ.

ثالثا: العباس بن سفيان الذي يروي عنه أبو الليث هو غير معروف، و لم أجد من يسمى بهذا الاسم إلا اثنان:

أحدهما: الخثعمي الذي ولاه المنصور على غازية البحر، فقد كان هو في منتصف القرن الثاني[1]، فلا يمكن لأبي الليث أن يروي عنه لأنه توفي في الربع الأخير من القرن الرابع، ولا يمكن لرجل مات في آخر القرن الرابع، أن يروي عن رجل من القرن الثاني.

وثانيهما: الدبوسي ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: «يروي عن الفضيل بن عياض[2] الحكايات،[ثم علق قائلا:] ما أراه سمع من الفضيل وذلك: أنه ربما أدخل بينه وبين الفضيل الحسن بن جعفر البخاري[3]» [4].

وإن كان هو غيرهما فهو مجهول، ولا يقبل في دين الله روايات المجهولين.

رابعا: ابن علية الراوي الذي يروي عنه العباس بن سفيان، هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم المعروف بابن علية ولد عام(١١٠هـ) وتوفى سنة(١٩٣هـ[5])، وأبو الليث الفقيه توفي سنة (٣٧٣هـ أو ٣٧٥هـ أو ٣٩٣هـ) فكيف يمكن لأبي الليث أن يروي عن ابن علية بواسطة واحدة، وبين وفاة كل منهما قرنان تقريبا! فهذا أيضا يدل على أن السند منقطع.

وأما الرواية الثانية: وهي رواية الواقدي صاحب المغازي؛ فهي أيضا مثل الأولى لم تثبت سندا،وليس فيها ما يدل على حيلة الإسقاط المروجة، وغاية ما فيها أن يدار القرآن، أو الأجزاء الأخيرة للتوسل البدعي، وسبق الرد على مثل هذا التوسل البدعي في فصل التوسل.

أما عدم ثبوتها سندا فذلك لأمور:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥٢/٢٦.

(٢) تقدمت ترجمته وهو توفي في حدود التسعين ومائة. يُنظر:سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٢٢/٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤ / ٤٧.

(٣) **الحسن:** هو الحسن بن جعفر البخاري ثقة، يُنظر: تهذيب الكمال للمزي٧٣/٦(ت١٢١٠) وتهذيب التهذيب لابن حجر٢٣٩/٢(ت١٢٩١).

(٤) يُنظر: الثقات لابن حبان٥١٣/٨.

(٥) يُنظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص: ٣٦ (ت٤٢٠) والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٢٥/٧

أولا: الواقدي: هو محمد بن عمر الواقدي مات سنة ٢٠٩هـ، وقد تُكُلِّم فيه:

١- قال البخاري والنسائي -رحمهما الله-: متروك الحديث[(١)].

٢- قال الدارقطني -رحمه الله-: مختلف فيه، فيه ضعف بَيِّن في حديثه[(٢)].

٣- قال الذهبي -رحمه الله- بعد أن نقل أقوال علماء الجرح والتعديل فيه: استقر الإجماع على وهن الواقدي[(٣)].

ثانيا: ابن جُريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج الذي يروي عنه الواقدي توفي في حدود ١٥٠هـ، هو ثقة، لكن روايته عن الزهري ضعيفة، قال ابن معين: ابن جريج في الزهري ليس بشيء[(٤)].

ثالثا: ابن جُريج هذا مدلس[(٥)] وروى هنا بالعنعنة.

١- قال الدارقطني -رحمه الله-: «تجنب تدليس ابن جريج؛ فإنه قبيح التدليس»[(٦)].

٢- قال ابن حبان -رحمه الله-: «كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم، ومتقنيهم، وكان يدلس» [(٧)].

أما قول المخالف: «شاع فعل دور القرآن، في زمان عثمان ﷺ...، ثم اشتهر في خلافة هارون الرشيد...كما تقدم كلام المخالف بنصه في بيان الانحرافات.

فيقال له: لماذا لم يدون كتب الحديث المعروفة، والمشاعة بين الناس، هذا الفعل المشاع في زمن عثمان ﷺ، أو زمن غيره من الخلفاء، كما دوَّنوا الأمور الأخرى التي

---

(١) الضعفاء الصغير للبخاري٤٨٤(ت٣٣٤) والضعفاء والمتروكون للنسائي ص: ٢٠٧(ت٥٣١).

(٢) الضعفاء والمتروكون للدارقطني ص: ٣٦٧(ت٤٧٨).

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ٣/٦٦٦(ت٧٩٩٣).

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر٦/٤٠٤.

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي٢/١٥١، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٤٠٥.

(٦) تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٤٠٥.

(٧) الثقات لابن حبان ٧/٩٣(ت٩١٥٦).

شاعت في زمن عثمان ﷺ كالأذان الأول يوم الجمعة على الزوراء(١)، وجمعه القرآن، وغير ذلك من الأمور المشاعة بين الناس في تلك الأزمنة.

وكيف يغفل الناس عن تدوين أمر مشهور في زمن هارون الرشيد، وهو زمن انتشار العلم، وعصر التأليف والتدوين، ثم كيف لا يدونه الكتبُ المشهورة في المذهب الحنفي مثل كتب ظاهر الرواية(٢) في المذهب الحنفي.-فضلا عن المذاهب التي تحرِّم الحيل مطلقا.

وأما نقلهم عن كتاب الحيل المنسوب إلى الإمام محمد بن الحسن الشيباني أنه قال: أسهل طريقته أن يبيع الوارث على الفقير مصحفا، صحيحا، قابلا للقراءة، بغبنٍ فاحش، ثم يهب الفقيرَ، ثم، فثم، حتى يتم. لعل الله يجعله فدية في مقابلة الصوم والصلاة، والزكاة، والمنذورات» كما تقدم في بيان الانحرافات.

فيقال: إن كتاب الحيل ليس للإمام محمد -رحمه الله- ويدل على هذا أدلة منها:

الدليل الأول: قول أبي سليمان الجوزجاني(٣)أحد الذَيْن رويا عنه كُتُبَه(٤)حيث قال: «كذبوا على محمد ليس له كتاب الحيل...» (٥).

وقال شمس الأئمة السرخسي -رحمه الله-: «اختلف الناس في كتاب الحيل، أنه من تصنيف محمد -رحمه الله- أم لا؟ كان أبو سليمان الجوزجاني ينكر ذلك، ويقول: من قال:إن محمدا -رحمه الله- صنف كتابا سماه الحيل فلا تصدقه، وما في أيدي الناس، فإنما جمعه **ورّاقو بغداد**.وقال: إن الجهال ينسبون علماءنا -رحمهم الله- إلى ذلك على سبيل

---

(١) **الزوراء:** موضع بالمدينة قرب سوقها.ينظر مقدمة فتح الباري لابن حجر ص:١٩٢.

(٢) سبق التعريف بها في ص: ٦٩٥.

(٣) **الجوزجاني:** هو موسى بن سليمان أبو سليمان الجوزجاني أخذ الفقه عن محمد، وكتب مسائل الأصول، وكان محبوبا إلى أهل الحديث، وكان يكفر القائلين بخلق القرآن، توفي بعد المأتين. يُنظر: سير الأعلام النبلاء للذهبي ١٠/١٩٤(ت٤٢)، والفوائد البهية للكهنوي ص: ٢١٦، والجواهر المضية للقرشي ٣/٥١٨(ت١٧١٤).

(٤) يُنظر: الجواهر المضيية لعبد القادر القرشي ٣/١٢٤ في ترجمة الإمام محمد.

(٥) يُنظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/١٤١٥، وفتاوى أبي الليث السمرقندي كتاب الحيل ص:٢٨٢.

التعيير، فكيف يُظن بمحمد -رحمه الله- أنه سمى شيئا من تصانيفه بهذا الاسم؛ ليكون ذلك عونا للجهال على ما يتقولون...»[1].

الدليل الثاني: تشنيع العلماء على كتاب الحيل، ومؤلفه حيث قال أحمد بن حنبل -رحمه الله-: «**من كان عنده كتاب الحيل في بيته يفتي به، فهو كافر بما أنزل الله على محمد** صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم»[2].

وقال ابن المبارك -رحمه الله- في كتاب الحيل: «**من وضع هذا الكتاب فهو كافر**»[3].

ولا يظن بالإمام محمد -رحمه الله- أنه يصنِّف كتابا يؤدي به إلى الكفر، أو يؤدي بمن أفتى بمسائله إلى الكفر.وبعبارة أخرى: كيف يُظن بالإمام محمد -رحمه الله- أنه ألف كتابا يقول فيه كبار الأئمة مثل ابن المبارك والإمام أحمد -رحمهما الله-: من أفتى بما فيه فقد كفر، أو من وضع هذا الكتاب فهو كافر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد نقل أقوال مجموعة من العلماء[4] في التشنيع على كتاب الحيل: «وإنما قال هؤلاء الأئمة مثل هذا الكلام في كتاب الحيل؛ لأن

---

(١) المبسوط للسرخسي كتاب الحيل٢٢٨/٣٠.

(٢) يُنظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية كتاب إقامة الدليل على إبطال التحليل (الوجه الثالث عشر) ٨٤/٦، وإعلام الموقعين لابن القيم ١٧٥/٣ آخر(ليس للعبد إلا ما نواه).

(٣) يُنظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية٨٣/٦.

(٤) وممن شنع على كتاب الحيل: شريك بن عبد الله قاضي الكوفة الإمام المشهور -وذُكر له كتاب الحيل - قال: من يخادع الله يخدعه، وقال النضر بن شميل: في كتاب الحيل ثلاثمائة وعشرون، أو ثلاثون مسألة كلها كفر.وقال ابن المبارك:من وضع هذا الكتاب فهو كافر، ومن سمع به فرضي به فهو كافر، ومن حمله من كورة إلى كورة فهو كافر، ومن كان عنده فرضي به فهو كافر، وقال حفص بن غياث: كان ينبغي أن يكتب عليه كتاب الفجور، وقال إسماعيل بن حماد قال: القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قاض الكوفة أيضا: كتابكم هذا الذي وضعتموه في الحيل كتاب الفجور، وقال سعيد بن سابور: إن الرجل لا يأتي الرجل من أصحاب الحيل فيعلمه الفجور، وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: سمعت يزيد بن هارون يقول: لقد أفتى يعني أصحاب الحيل في شيء لو أفتى به اليهود والنصارى كان قبيحا.ينظر لمجموعة من هذه الأقوال في:الفتاوى الكبرى لابن تيمية كتاب إقامة الدليل على إبطال التحليل (الوجه الثالث عشر) ٨٣/٦.

فيه الاحتيال على تأخير صوم رمضان، وإسقاط الزكاة، والحج، وإسقاط الشفعة، وحل الربا، وإسقاط الكفارات في الصيام، والإحرام، والإيمان، وحل السفاح، وفسخ العقود، وفيه الكذب، وشهادة الزور، وإبطال الحقوق، وغير ذلك. **ومن أقبح ما فيه الاحتيال لمن أرادت فراق زوجها بأن ترتد عن الإسلام،** فيعرض عليها الإسلام؛ فلا تُسْلِمْ ؛فتحبس، وينفسخ النكاح، ثم تعود إلى الإسلام، وإلى أشياء أخر، وكثير من هذه الحيل حرام باتفاق العلماء من جميع الطوائف بل بعضها كفر، كما قاله ابن المبارك وغيره.

ولا يجوز أن ينسب الأمر بهذه الحيل التي هي محرمة بالاتفاق أو هي كفر، **إلى أحد من الأئمة ومن ينسب ذلك إلى أحد منهم فهو مخطئ في ذلك جاهل بأصول الفقهاء...**

وقد ذكرنا ما دل على تحريم الحيلة، وإبطالها وإنما غرضنا هنا أن هذه الحيلة التي هي محرمة في نفسها **لا يجوز أن ينسب إلى إمام أنه أمر بها فإن ذلك قدح في إمامته، وذلك قدح في الأمة، حيث ائتموا بمن لا يصلح للإمامة، وفي ذلك نسبة لبعض الأئمة إلى تكفير، أو تفسيق، وهذا غير جائز...**»[1].

والدليل الثالث: أن كتب ظاهر الرواية كلها للإمام محمد، ولا يوجد فيها ذكر هذه الحيلة، ولا شيء قريب منها. ومعلوم أنه إذا بطل نسبة الكتاب إلى من نسب إليه، بطل نسبة الكلام المنسوب إليه.

والدليل الرابع: أن الإمام محمد إذا نقل رأي الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- في مسألة مّا، لم يتحرج من ذكر اسمه ونسبتها إليه، لكن في كتاب الحيل ذُكِرت مسألة[2]،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) وتلك المسألة وقعت لبعض الأشراف بالكوفة، وكان قد جمع العلماء -رحمهم الله- لوليمته، وفيهم أبو حنيفة -رحمه الله- وكان في عداد الشباب يومئذ، فكانوا جالسين على المائدة، إذ سمعوا ولولة النساء فقيل: ماذا أصابهن؟ فذكروا أنهم غلطوا؛ فأدخلوا امرأة كل واحد منهما على صاحبه، ودخل كل واحد منهما باللتي أدخلت عليه، وقالوا: إن العلماء على مائدتكم فسلوهم عن ذلك. فسألوا فقال سفيان الثوري -رحمه الله-: فيها قضى علي ﷺ على كل واحد من الزوجين المهر، وعلى كل واحدة منهما العدة، فإذا انقضت عدتها دخل بها زوجها، =

وتحرَّج مصنفه أن ينسب القول بها إلى الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- بل قال: «واستحسن بعض العلماء» ولو كان كتاب الحيل للإمام محمد لَمَا استتر نسبة القول بالاستحسان إلى أبي حنيفة -رحمه الله-، ولصرّح بذكر اسمه أو لقبه أو كنيته أو نحو ذلك مما يدل على أن المراد به الإمام أبو حنيفة-رحمه الله-[1].

والدليل الخامس: أن الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأمثاله من الأعلام ينصون بمنع الغبن في البيوع، وفسادها عند وجود الغبن، فضلا أن يكون غبنا فاحشا، فكيف يقولون بجواز بيع المصحف بغبن فاحش، وليس على رجل غني بل على الفقير والمسكين.

ثم إن مجيزو الحيل، لما لم يجدوا رواية واحدة لجواز حيلة الإسقاط عن النبي ﷺ ضعيفة، فضلاً عن الحسنة أو الصحيحة، كما وجدوها في غيرها من الحيل، و لم يجدوا كذلك في حيلة الإسقاط كلام المتقدمين، ولا كلام كبار رجال المذهب، استدلوا بكلام العلماء المتأخرين،

=

وأبو حنيفة -رحمه الله- ينكث بأصبعه على طرف المائدة كالمتفكر في شيء، فقال له من إلى جانبه: أبرز ما عندك هل عندك شيء آخر، فغضب سفيان الثوري -رحمه الله- فقال: هل: يكون عنده بعد قضاء علي ﷺ يعني في الوطء بالشبهة، فقال أبو حنيفة -رحمه الله-: عليَّ بالزوجين فأُتِي بهما، فسار كل واحد منهما، إنه هل تعجبك المرأة التي دخلت بها؟ قال: نعم! ثم قال لكل واحد منهما: طلق امرأتك تطليقة؛ فطلقها ثم زوَّج من كل واحد منهما المرأة التي دخل بها، وقال قُومَا إلى أهلكما على بركة الله تعالى، فقال سفيان -رحمه الله- ما هذا الذي صنعت؟ فقال: أحسن الوجوه وأقربها إلى الألفة وأبعدها عن العداوة، أرأيت لو صبر على كل واحد منهما حتى انقضت العدة أما كان يبقى في قلب كل واحد منهما شيء بدخول أخيه بزوجته؟ ولكني أمرت كل واحد منهما حتى يطلق زوجته، و لم يكن بينه وبين زوجته دخول، ولا خلوة، ولا عدة عليها من الطلاق ثم تزوجت كل امرأة ممن وطئها وهي معتدة منه وعدته لا تمنع نكاحه، وقام كل واحد منهما مع زوجته، وليس في قلب كل واحد منهما شيء؛ فعجبوا من فطنة أبي حنيفة وحسن تأمله.يُنظر: المبسوط للسرخسي كتاب الرضاع، باب نكاح الشبهة ٣٤١/٣٠ وباب الاستحلاف ٢٦٨/٣٠.

(١) يُنظر: المبسوط للسرخسي كتاب الرضاع، باب نكاح الشبهة ٣٤١/٣٠، وباب الاستحلاف ٢٦٨/٣٠.

ولكن لم يأخذوا بما اشترطه المتأخرون القائلون بجواز هذه الحيلة، فأخذوا بحلية الإسقاط، وتركوا شروطها، وضوابطها؛ فلذلك نص كثير من العلماء بعدم جواز هذه الحيلة المروجة[1].

والمتأخرون من المذهب الحنفي لم يطلقوا القول بجوازها، بل ذكروا لها شروطا وضوابط كقولهم: «إذا مات الرجل وعليه صلوات فائتة؛ وأوصى بأن يعطى كفارة صلواته، يعطى لكل صلاة نصف صاع من بر، وللوتر نصف صاع، ولصوم يومٍ نصف صاع، وإنما يعطى من ثلث ماله، وإن لم يترك مالا تستقرض ورثته نصف صاع، ويدفع إلى المسكين، ثم يتصدق المسكين على بعض ورثته، ثم يتصدق، ثم، وثم...[2]» كما تقدم نص كلامهم في بيان الانحرافات.

ففي كلامهم عدة أمور:

١- أن يثبت أن على الميت صلوات فائتة.

٢- أن يثبت وصيته بالكفارة عنه.

٣- أن يُعطى هذه الفدية من ثلث مال الميت لا أكثر من ذلك.

٤- إن لم يترك الميت مالا يكفي لفدية، ولم يقم الوارث بالتصدق عنه؛ **هنا يجيء دور حيلة الإسقاط عندهم** فقالوا: فيستقرض الوارث نصف صاع من بر...

٥- أن يُدفع المال إلى الفقير صدقة، وفدية عن الواجبات، ويقصد بالدفع تمليك الفقير، ولا يكون فيه الهزل، ولا الحيلة.

---

(١) منهم: الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي في فتاواه المترجمة إلى البشتو ص: ٢٥٠، والمفتي عزيز الرحمن في فتاوى دار العلوم ديوبند١/١٤٣، والمفتي محمد في فتاوى دار العلوم ديوبند ٢/١٦٠، والشيخ محمد طاهر الفنجفيري في ضياء النور ص:١٥٨. والشيخ محمد سر فرازخان صفدر في المنهاج الواضح«راه سنت» ص: ٢٨١،والشيخ محمد عبد الحي العارفي في كتابه أحكام الميت (بالأردية) ص: ١٩٤، ١٩٥، والمفتي محمد فريد المجددي في «رسالة قبرية» ص:٣٩، والشيخ عبد الله بن قعود، والشيخ عبد الله بن غديان، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والمفتي عبد العزيز ابن باز. في فتاوى اللجنة الدائمة٩/٥٠.

(٢) كما نقله الدر النظيم في صفحة(٤٢)، ودرر الفرائد لغلام حيدر في ص:١٧١ محيلا إلى البحر الرائق لابن نُجيم ٢/٩٠، والفتاوى الهندية ١/١٢٥، وبمثله قال الحصكفي في در المختار٢/٧٧.

٦- يدفع الفقير المال إلى الوارث هبة، وهدية برضاه لا خوفا، ولا جبرا، ولا عادة معلومة.

لكن إذا نظرنا إلى هذه البدعة المسماة بـ «حيلة الإسقاط» فلا يكتمل فيها هذه الشروط كلها، أو بعضها، وإذا لم يوجد الشرط لا يصح المشروط. كما أن الوضوء شرط لصحة الصلاة فإذا لم يوجد الوضوء لا تصح الصلاة.

ففي «الإسقاط المروج» لم ينظر هؤلاء إلى شيء من الشروط المذكورة أعلاه، فلا يسألون هل بقي على الميت صلاة أو صيام أم لا؟ بل يقولون: لعله بقي عليه شيء من ذلك كما يتلفظون بها أثناء فعلهم للحيلة المروجة للإسقاط.

١- لا ينظرون هل أوصى الميت بالكفارة عنه أم لا؟ بل يقومون بها بدون الوصية.

٢- لا يستفسرون هل بقي من ماله شيء أم لا؟ حتى ينفذ وصيته في ثلث المال، أو يحتاج الأمر إلى الحيلة؟ بل يبدؤون بفعل حيلة الإسقاط، ولو بقي من أموال الميت ما يكفي للفدية ويزيد.

٣- قول بعض الفقهاء المتأخرين: «إن لم يترك مالا تستقرض ورثته نصف صاع...» خطأ منه وغلو في الأمر(١)، ولكن زاد بعض المعاصرين أكثر في الغلو والخطأ، فقالوا: إن لم يكن للميت شيء، **فيلزم** على الوارث أن يستقرض...(٢).

٤- لا يدفعون المال فيها دفعا حقيقيا ليملّكه الفقير، بل هو دفعٌ عادةً وحيلةً لا حقيقة.

٥- يُرَجِّع الفقيرُ المال إلى الوارث للعرف المعلوم بينهم، لا هبة، وهدية. وإن قال أحد: نحن ند فع المال إلى الفقير حقيقة لا حيلة، يقال: الواقع يكذب هذا القول، لأن المعلوم عرفا أن يأخذ الفقير هذا المال، ويرجّعه إلى الوارث أو الإمام المتولي للحيلة، والمعروف عرفا كالمشروط شرطا.

وقد قال ابن عابدين -رحمه الله- وهو من القائلين بهذه الحيلة لكن بضوابط وشروط: «ويجب الاحتراز من أن يلاحظ الوصي عند دفع الصرة للفقير للهزل، أو

(١) يُنظر: «راه سنت» لمحمد سرفراز صفدر ص: ٢٨٢.

(٢) يُنظر: «راه سنت» لمحمد سرفراز صفدر ص: ٢٨٢ محيلا إلى تحفة الأحباب لمحمد صالح البريلوي ص: ٨٩.

الحيلة، بل يجب أن يدفعها عازما على تمليكها منه حقيقة لا تحيلا ملاحظا أن الفقير إذا أبى عن هبتها إلى الوصي كان له ذلك، ولا يُجبر على الهبة» [1].

فأين هذه الأمور في «حيلة الإسقاط المروجة»؟ فهُم يدفعون المال والمصحف إلى الفقير حيلة، وهزلا، لا حقيقة وجِدًّا، ولذلك سموها «حيلة»؛ فلم يكن الفقير مالكا للمال حقيقة؛ فكيف يصح أن يكون فدية عن الصلوات والصيام وغيرهما من الواجبات.

وهناك مفاسد كثيرة أخرى تترتب على حيلة الإسقاط منها[2]:

١- هذه الحيلة خدعة وكذب وهما ممنوعان في الشريعة، ومن صفات غير المؤمنين، وكونهما خدعة وكذبا؛ لأن في هذه الحيلة لا يُملّكون الفقيرَ المالَ حقيقة، بل هي عادة يقومون بها فقط.

٢- يستعمل القرآن الكريم لفعل هذه الحيلة، ولا شك أن في ذلك انتهاكا لحرمة كتاب الله العزيز، والقرآن الكريم لم ينـزل لصناعة الحيل، بل للعمل بما فيه.

٣- هذه الحيلة تجعل بعض الناس يتجرؤون على ترك الصلوات، والصيام والواجبات، لاعتقادهم أن الناس يقومون بـ«حيلة الإسقاط» بعد موتهم؛ فتسقط عنهم جميع الذنوب والآثام، سواء أوصوا بتلك الحيلة، أو لم يوصوا، لأن الناس يحتالون بها لا محالة.

٤- أن عمل حيلة الإسقاط يؤخر عملية الدفن؛ لأن الناس يفعلونها بعد الجنازة وقبل الدفن، وتأخير دفن الميت مخالفة للسنة، قال النبي ﷺ: «**أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة؛ فخير تقدموها إليه، وإن يك سوى ذلك؛ فشَرٌّ تضعونه عن**

---

(١) منة الجليل في إسقاط ما على الذمة من كثير وقليل لابن عابدين١/٢٢٥.

(٢) يُنظر: كتاب حيلة الإسقاط، حكمها، ومفاسدها لعبد الصبور ص: ٤٥-٥٥.

رقابكم »[1]. قال القرطبي: «مقصود الحديث أن لا يتباطأ بالميت عن الدفن، لأن التباطؤ ربما أدى إلى التباهي والاختيال»[2].

٥- هذا العمل يسبب إبطال كثير من الأحكام الشرعية، كفدية الصيام، وكفارات الأيمان، وترك النذور لاعتقاد بعض الناس أن هذه الحيلة تكفي عن جميعها.

٦- بعض من يجلس في حلقة حيلة الإسقاط يكون من الأغنياء الذين لا يصح أن يعطى لهم الصدقة، فلا يصح التصدق عليه.

موقف الإسلام من الانحراف الخامس: وهو التصدق بعض الأيام المعينة من السنة.

التصدق والإنفاق في سبيل الله من العبادات الجليلة، وقد خصص الشارع الحكيم لبعض الصدقات أياما معلومة كصدقة الفطر، والذبح في يوم العيد وأيام التشريق.

وتصح الصدقة في أيام السنة كلها، ولكن تخصيصها ببعض الأيام دون غيرها اعتداء على حق الشارع، وهو لا يجوز.

ولا يصح التصدق باسم غير الله، سواء كان ذلك الغير نبيا، أو وليا، أو غيره، لأن التصدق بنية التقرب إليه شرك لا يغفره الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[3].

ولا يصح قول المخالف: ليس أحد يتقرب إلى الأموات والأولياء بالتصدق؛ لأن واقع حال بعض الناس يؤكد أنهم يتصدقون للأولياء تقربا إليهم، وخوفا من بطشهم، أو رجاء بركتهم، والدليل على هذا ما نقله العلماء والمشايخ وقد تقدم في بيان الانحرافات جملة من أقوالهم.

وأما التصدق بالشيء لله ﷻ، وإهداء ثوابها للأموات سواء كان من أحد أقرباء الميت أو غيره، فيجوز، لكن لا يجوز تخصيص يوم معين من أيام السنة للتصدق دون غيرها، لأن ذلك لم يثبت في النصوص، فلم يفعله أحد من السلف.

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الجنائز باب السرعة بالجنازة ٣/٢٣٣ (ح١٣١٥) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب الإسراع بالجنازة٨/١٥ (ح٢١٨٣).

(٢) نقل كلامه ابن حجر في فتح الباري ٣/٢٣٥ عند شرح (ح١٣١٥).

(٣) سورة النساء (٤٨).

فالتصدق في يوم عاشوراء بالعصيرات والحلويات، ووضع ماء السبيل في الطرقات دون غيرها من الأيام من البدع القبيحة التي لم يثبت فعل ذلك في خير القرون.

ثم اعتقاد أن الحسين ﷺ وأهل بيته ماتوا عطشانين في كربلاء يوم عاشوراء، وأن التصدق بالمشروبات يروي عطشهم انحراف أكبر مما قبله وذلك لأمور:

١- أمور البرزخ مما لا مجال للعقل فيها، فلا يعلم كيفية ذلك إلا بالوحي، والوحي انقطع قبل قتل الحسين وأهل بيته بمدة كبيرة.

٢- أرواح الشهداء، تكون في جوف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت كما ثبت في الحديث: «**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل**»(١)، وفي رواية: «**إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمرة الجنة أو شجر الجنة**»(٢) واعتقاد أن الحسين أو غيره من الشهداء، لا زالوا عطشانين إلى يومنا هذا يعارض هذا.

والاعتقاد بأن المتصدق عنه ينتفع بنفس الشيء المتصدَّق به، بمعنى أن من تصدق بهريسة أو بحلوىً عن الميت؛ فالميت ينتفع بالحلوى والهريسة نفسها، أو مثلها، ومن تصدق عن الميت بالمشروب أو لحم مأكول، أو قماش ملبوس فالميت ينتفع بالمشروب نفسه أو مثله، أو ينتفع باللحم نفسه أو مثله، أو ينتفع بملبوس نفسه أو مثله، بأن يشربه، أو يأكله، أو يلبسه ونحو ذلك(٣)، فهذا **اعتقادا باطل**، و لم يقل أحد من العلماء المحققين: أن الشيء المتصدَّق به، يحضر إلى من تصدق عنه، وينتفع به.

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجهاد باب بيان أن أرواح الشهداء... ١٣/٣٥ (ح٤٨٦٢).

(٢) سنن الترمذي كتاب فضائل الجهاد باب ثواب الشهداء ص: ٣٨٥(ح١٦٤١) وقال الترمذي حديث حسن صحيح.وقال الألباني:صحيح. ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني٢/٢٣٠(ح١٦٤١).

(٣) يقول بعض أئمة المساجد في إقليم سرحد بباكستان: إن من التصدق بهريسة وحلوىً عن الميت في أول ليلة من دفنه، فتذهب تلك الحلوى والهريسة وتدخل في أفواه العقارب، والثعابين التي تعذب الميت في القبر، فتسد أفواههم، ويشبعون؛ فلا يعذبونه!! **وهذا من أعظم الفرية**؛ لأن ذلك إخبار عن أحوال وأهوال البرزخ بغير دليل شرعي، و لم يرد في الشرع مثل هذا قط.

بل الصحيح أن المتصدق عنه ينتفع بأجر الصدقة، وثوابها، لا بنفسها، وقد بوّب الإمام مسلم – رحمه الله- في صحيحه في كتاب الزكاة بابا بعنوان: «**باب: وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه**» وفي كتاب الوصية بعنوان: «**باب: وصول ثواب الصدقات إلى الميت**» وفي البابين ذكر -رحمه الله- حديثا: أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن أمي افتُلِتَتْ نفسها[1]، ولم توصِ، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**» [2].

فدل أن أجر الصدقة عن الميت يصل إليه لا عينها، لأن عينها يأكله الأحياء.

وكذا التصدق في ليلة الحادية عشرة من المحرم، لم يرد في ذلك شيء، والتصدق في مساء يوم عاشوراء باسم «شام غريبان» من سنن الرافضة، لأنهم ينكرون صوم يوم عاشوراء[3]، ويحثون فيه بالصدقات حيث قالوا: «من سقى الناس عند قبر الحسين في هذا اليوم، كان كمن سقى أعوانه عليه السلام في كربلاء...،[قال:]وينبغي للشيعة الإمساك عن الطعام والشراب في هذا اليوم، من دون نية الصيام، وأن يفطروا في آخر النهار بعد العصر، بما يقتات به أهل المصائب كاللبن الخاثر[4]، والحليب، ونظائرهما، لا بالأغذية اللذيذة، وأن يلبسوا ثيابا نظيفة، ويَحُلّوا الأزرار!، ويكشطوا الأكمام[5] على هيئة أصحاب العزاء...»[6].

---

(١) **افتُلِتَتْ**: كلمة يقال لمن مات فجأة، ويقال أيضا لمن قتله الجن.يُنظر: المنهاج للنووي٧/٩١.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الزكاة باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه٧/٩١ (ح٢٣٢٣).

(٣) قال عباس القمي:«والأحسن أن لا يصام اليوم التاسع والعاشر[أي من المحرم] فإن بني أمية كانت تصومهما شماتة بالحسين عليه السلام، وتبركا بقتله، وقد افتروا على رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أحاديث كثيرة، وضعوها في فضل هذين اليومَين، وفضل صيامهما، وقد روي من طريق أهل البيت -عليهم السلام- أحاديث كثيرة، في ذم الصوم فيهما، لا سيما في يوم عاشوراء...» مفاتيح الجنان للقمي ص:٣٥٧، محيلا إلى زاد المعاد للمجلسي.

(٤) الخُثُورة نقيض الرقة، واللبن الخاثر: هو اللبن غير مختلط بالماء.يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٣/٢٧.

(٥) كشط الكم: هو إزالته، ونزعه عن اليد.ينظر لسان العرب لابن منظور ٧/٦٧١.

(٦) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٣٥٦.

وأما ما قاله بعض المخالفين من **التوسعة في يوم عاشوراء على الأهل والعيال**، ولبس الجديد والاكتحال، والخضاب ونحوها مما يفعل في الأعياد، بزعم منه أن من قدّم نفسه على أي حال يعامله الله طوال السنة معاملة ذلك الحال، فهذه الأعمال منها ما لا أصل له، ومنها مبني على أحاديث موضوعة أو ضعيفة(١).

مثل حديث: «**من وسع على أهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه سنته كلها**»(٢).

وكحديث: «**من وسع على أهله يوم عاشوراء، وسع الله على أهله طول سنته**»(٣).

وكحديث:«**من وسع على عياله يوم عاشوراء لم يـزل في سعة سائر سنته** »(٤).

قال ابن القيم -رحمه الله- «أحاديث اكتحال يوم عاشوراء، والتـزين، والتوسـعة، والصلاة فيه، وغير ذلك من فضائلَ، لا يصح منها شيء، ولا حديث واحد، ولا يثبت عن النبي ﷺ فيه شيء غير أحاديث صيامه، وما عداها فباطل. وأَمثلُ ما فيها: «**من وسَّع علـى عياله يوم عاشوراء، وسّع الله عليه سائر سنته**» قال الإمام أحمد: لا يصح هذا الحديث.وأما أحاديث الاكتحال، والأدهان، والتطيب؛ فمن وضع الكذابين، وقابلهم آخرون، فاتخـذوه يوم تألم وحزن، والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة، وأهل السنة يفعلون فيه ما أمر به النبي ﷺ من الصوم، ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع»(٥).

---

(١) يُنظر: الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص:٢٤٨.

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط[٩٣٠٠] وفيه محمد بن إسماعيل الجعفري قال أبـو حـاتم: منكر الحديث.يُنظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٣/٣٣٠(ح٥١٣٦).

(٣) يُنظر: شعب الإيمان للبيهقي ٣/٣٦٥(ح٣٧٩١)، وحكم عليه الألبـاني -رحمـه الله- **بأنـه موضوع**.يُنظر: تمام المنة للألباني ص:٤١٠.

(٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني في المعجم الكبير[ح١٠٠٠٧] وفيه الهيثم بن شداخ، وهو ضـعيف جداً. يُنظر: مجمع الزوائد للهيثمي٣/٣٣٠(ح٥١٣٧).

(٥) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص: ٧٥.

وروى البيهقي -رحمه الله- عدة أحاديث في التوسعة على الأهل يوم عاشوراء، ثم قال: «هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة، فهي إذا ضم بعضها إلى بعض أخذت قوة، و الله أعلم»(١).

قال الشيخ الألباني -رحمه الله- بعد أن نقل مثل هذا القول: «لا نراه صوابا لأن شرط تقوي الحديث بكثرة الطرق، وهو خلوها من **متروك** أو **متهم** لم يتحقق في هذا الحديث، فانظر مثلا حديث جابر هذا فإن له طريقين:

الأول: عن محمد بن يونس: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الغفاري: حدثنا عبد الله بن أبي بكر ابن أخي محمد بن المنكدر عن محمد بن المنكدر عنه أخرجه البيهقي(٢).

فهذا إسناد موضوع من أجل محمد بن يونس -وهو الكديمي- فإنه كذاب، قال ابن عدي: «قد اتهم الكديمي بالوضع(٣)، وقال ابن حبان: لعله قد وضع أكثر من ألف حديث»(٤).

وشيخه عبد الله بن إبراهيم الغفاري قال الذهبي: وهو عبد الله بن أبي عمرو المدني يدلسونه لوهنه، نسبه ابن حبان إلى أنه يضع الحديث، وذكر له ابن عدي في فضل أبي بكر وعمر حديثين، وهما باطلان قال الحاكم : يروي عن جماعة من الضعفاء أحاديث موضوعة(٥).

قلت[أي الألباني]: وهذا منها فإن شيخه عبد الله بن أبي بكر ابن أخي محمد بن المنكدر ضعيف كما في الميزان(٦) .

وأما الطريق الثاني: فأخرجه ابن عبد البر في«الاستذكار(٧)» من طريق أبي الزبير(٨)عنه وهذه الطريق مع أنها أصح طرق الحديث -كما قال السيوطي في «اللآلئ» (٢/٦٣)- فقد قال فيها

---

(١) يُنظر: شعب الإيمان للبيهقي ٣/ ٣٦٥-٣٦٦(ح٣٧٧٥) وما بعدها.

(٢) يُنظر: شعب الإيمان للبيهقي ٣/ ٣٦٥(٣٧٩١).

(٣) يُنظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي٧/٥٥٣(ت١٧٨٠).

(٤) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث لسبط ابن العجمي ص:٢٥٤.

(٥) يُنظر: كتاب المجروحين لابن حبان ٢/٣١٣، وميزان الاعتدال للذهبي ٢/٣٨٨(ت٤١٩٠)، والكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث لسبط ابن العجمي ص:٢٢٨ (ت٣٧٤).

(٦) ميزان الاعتدال للذهبي٢/٣٩٨.

(٧) الاستذكار لابن عبد البر ٣/٣٣١(باب صيام يوم عاشوراء).

(٨) هو محمد بن مسلم بن تدرس المكي أبو الزبير.ينظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر٩/ ٣٩٠ (ت٧٢٩).

الحافظ ابن حجر: «هذا حديث منكر جدا» كما نقله السيوطي نفسه عنه، ولم يتعقبه بشيء، وقد حمل فيه الحافظ على الفضل بن الحباب وقال: «لعله حدث به بعد احتراق كتبه»(١).

قلت: [أي الألباني] وفيه علة أخرى وهي عنعنة أبي الزبير فإنه مدلس وقد أورده في «المدلسين» الحافظ وابن العجمي وقالا: «إنه مشهور بالتدليس»(٢).

وهكذا سائر طرق الحديث مدارها على متروكين أو مجهولين.

ولذلك جزم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بأن هذا الحديث كذب، وذكر أنه سئل الإمام أحمد عنه فلم يره شيئا، وأيد ذلك بأن أحدا من السلف لم يستحب التوسعة يوم عاشوراء وأنه لا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة، وقد فصل القول في هذا في "الفتاوى" (٢/٢٤٨-٢٥٦(٣)) فراجعه، وقد نقل المناوي عن المجد اللغوي أنه قال: «ما يروى في فضل صوم يوم عاشوراء، والصلاة فيه، والإنفاق، والخضاب، والإدهان، والاكتحال، بدعة ابتدعها قتلة الحسين رضي الله عنه»(٤).

وهكذا التصدق في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب، باعتقاد أن النبي ﷺ، عُرج به فيها إلى السماء، فهي بدعة لم يثبت فيها شيء من النبي ﷺ، ولا أصحابة الكرام ولا غيرهم من أئمة السلف الصالح -رحمهم الله.

وشهر رجب كغيره من أشهر الله لا يصح في تخصيصه بالتصدق شيء، وما وذكر في فضل بعض أيامه ولياليه، أو التصدق فيها، أو الصلاة فيها؛ فهي موضوعة أو ضعيفة(٥).

قال ابن القيم -رحمه الله-: «كل حديث في ذكر صوم رجب، وصلاة بعض الليالي فيه؛ فهو كذب مفترى» (٦).

---

(١) اللآلئ للسيوطي كتاب الصيام ٢/١١٣.

(٢) يُنظر: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر ص: ١٠٨(ت١٠١)، والتبيين لأسماء المدلسين لسبط ابن العجمي ص:٢٠٠(ت٧٥).

(٣) لعل الصحيح ٢٥/٢٩٩ وما بعدها، ولم أجد في المجلد الثاني ما يدل على هذا.

(٤) تمام المنة في التعليق على فقه السنة للألباني ص:٤١٠-٤١٢.

(٥) ينظر: الفوائد المجموعة للشوكاني ص:٤٤٠.

(٦) المنار المنيف لابن القيم ص:٦٦.

وقال السيوطي -رحمه الله-: «ما صح في فضل رجب، ولا صيامه شيء عن رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم» [1].

وأما القول بأن النبي ﷺ عرج في يوم السابع والعشرين من شهر رجب، فهذا قول لا يصح أيضاً؛ لأن وقت الإسراء والمعراج مختلف فيه على أقوال كثيرة، في السنة، والشهر واليوم.

تكلم الحافظ ابن حجر[2]، والقرطبي[3]، وابن كثير[4] في تعين يومه، وشهره، وسنته، وأكثروا نقل الأقوال فيه؛ فلا يجزم فيه بيوم، ولا شهر، ولا سنة.

«وذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والجرح عين الكذب» [5]. فلا يصح شيء في تعيين اليوم، والشهر.

ثم ولو سلمنا جدلا أن الإسراء والمعراج كانا في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، فلا يجوز الاحتفال به، ولا التصدق فيه بشيء من أجل هذه الواقعة؛ لأن النبي ﷺ ما أرشدنا إليه، ولم يفعله السلف في خير القرون.

واختلاف المؤرخين والعلماء في تعيينها يدل على أن السلف الصالح من الصحابة ﷺ وغيرهم، ما كانوا يحتفلون به، ولا يخصونه بشيء، ولو كانوا يحتفلون به، أو يخصونه بشيء من العبادات كالصدقة أو القيام، أو الصيام لما أُبْهِم اليوم، بل لنقل إلينا تعيينه بنقل متواتر.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «لا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، لا سيما على ليلة القدر، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولا يذكرونها، ولهذا لا يعرف أي ليلة

---

(١) الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص:١٧٤.

(٢) فتح الباري ٧/٢٥٤عند شرحه حديث رقم(٣٨٨٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٢وما بعدها.

(٤) البداية والنهاية ٤/٢٦٩وما بعدها(فصل في الإسراء).

(٥) الباعث في إنكار الحوادث لأبي شامة ص:٧١(فضل رجب).

كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ، ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان، ولا ذلك المكان، بعبادة شرعية»[1].

وأما التصدق في ليلة النصف من شعبان، باعتقاد أن أرواح الأموات تحضر إلى بيوتهم، وتنظر أهاليهم، هل طبخ عنهم أحدٌ شيئا أم لا؟. فهذه عقيدة باطلة، ولم ينقل شيء بأن الأرواح ترجع إلى الدنيا من أجل أن ترى هل طبخ عنهم شيء أم لا؟ ولا لغيره من الأغراض.

وقال علماء الحنفية: «**من قال: إن أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر**»[2]، فإذا كان هذا الحكم في المشايخ والأولياء، فكيف يعتقد فيمن دونه من الأموات أن روحه تحضر، وتعلم أحوال الناس، وأعمالهم، وهل يطبخون الطعام للصدقة عنه أم لا!؟

والروح لا يُعرف وجودها من عدمها حال وجودها في صاحبها إلا بآثارها كالحركة، والتنفس، ونحوهما، فكيف تعرف -بعد الوفاة- مجيئها إلى البيت، وانتظارها إلى الطعام، بل إذا خرجت الروح من الجسد صار أمرها من أمور البرزخ، ولا مجال للعقل في أمور البرزخ، ولم يرد دليل صحيح في رجوع روح الميت ليلة النصف من شعبان، ولا ليلة الجمعة، ولا غيرها من الليالي.

وهذا الاعتقاد يشبه عقيدة الرجعة بعد الوفاة، وهي عقيدة باطلة، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[3].

وأما طبخ الحلوى والهريسة في منتصف شهر شعبان، باعتقاد أن رباعية النبي ﷺ كسرت في ذلك التاريخ في غزوة أحد، أو أن عم النبي ﷺ حمزة استشهد فيها. وقولهم هذا من أجل الفاتحة لروح حمزة رضي الله عنه ففيها عدة مخالفات:

---

(١) زاد المعاد لابن القيم١/٥٨(التفضيل بين الأزمنة).

(٢) الفتاوى البزازية لمحمد الكردري على حاشية الفتاوى الهندية ٦/٣٢٦، البحر الرائق لابن نجيم كتاب السير باب أحكام المرتدين٥/٢٠٩، ومجمع الأنهر للكليبولي كتاب السير، باب المرتد، ألفاظ الكفر٢/٥٠٥، و«اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص: ٣٨ (بالبشتو) ص:٥٨.

(٣) سورة المؤمنون (٩٩-١٠٠).

١- أن غزوة أُحدٍ لم تحدث في شهر شعبان أصلا، وإنما وقعت في شهر شوال من العام الثالث للهجرة النبوية(١)، واعتقاد وقوعها في شعبان خطأ تاريخي يجب أن يصحح.

٢- لم يثبت عن النبي ﷺ أنه أكل الهريسة والحلوى عندما كسرت رباعيته، وإلصاق فعل بالنبي ﷺ لم يثبت عنه، يدخل في الوعيد الشديد الذي توعد به ﷺ بقوله: «**لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب عليَّ فليلج النار**»(٢).

٣- الفاتحة لروح حمزة بطبخ الحلوى والهريسة، فإن كانوا يريدون بهذا الكلام الصدقة عنه، فالتصدق عن الأموات جائز ووردت في ذلك أدلة صحيحة، لكن تعيين زمنٍ معينٍ لها، كمنتصف شعبان، أو ليلة الجمعة، ونحو ذلك من تحديد الأوقات فهو بدعة، لأن تحديد أوقات العبادات حق الشارع.ولا تسمى هذه الصدقة بـ«الفاتحة لروح فلان» وإنما تسمى بـ«الصدقة عن فلان».

٤- قراءة سورة الفاتحة على تلك الحلوى أو الهريسة كما يفعلون فيما يسمونه بـ«ختم شريف»؛ فيقال: لم تثبت قراءة الفاتحة أو غيرها من القرآن على الطعام عن خير الأنام ﷺ، ولا عمن بعده من السلف الصالح -رحمهم الله-.

وأما التصدق في اليوم الحادي عشر وما يسمونها باللغة الأردية «**گيارہوين شريف**» وبالبشتو «**يوولسمه**» وهو التصدق باسم الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- ففيه عدة مخالفات:

الأولى: بعض هؤلاء الناس يظنون أن عدم إعطاءهم لما يسمى بـ«الحادي عشر» يُشَكِّلُ خطرا للأموال والأنفس، فلا يقصرون في الإتيان به، ويقصرون في الإتيان

---

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون٢/ ٤٣٤(غزوة أحد) البداية والنهاية لابن كثير بعنوان عزوة أحد في شوال سنة ثلاث ٥/٣٣٧.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/٢٦٤ (ح١٠٦)، ومسلم في مقدمة صحيحه باب تغليظ الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ١/٢٥(ح٢).

بالفرائض كالصلاة والصيام ونحوها، كأنَّ التقصير في الفرائض القطعية كالصلاة والصيام، والحج، والزكاة، لا يُشَكِّل خطرا، لكن إن قصرّوا في العادة المسماة بـ«الحادي عشر»؛ فهذا خطر على الأموال والأنفس[1].

والتصدق باسم أحد الأولياء، واعتقاد ذلك سببا في بركة الأموال والأولاد، وخوف السر منه[2] إلى حد إن لم يتصدق باسمه فيلحقه ضررا، أو يهلك أمواله ونحو ذلك كلها من الشرك.

الثانية: بعض هؤلاء يتصدقون في هذا اليوم باسم الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- ليتقرب به إليه، كما صُرِّح بهذا المعتقد في الواقعة التي ذكرها الشيخ اللديانوي -رحمه الله- حيث قال: (كان أحد المشايخ يعظ بعض الناس الذين يتصدقون باسم الحادي عشر فقال لهم: أيها الإخوة!! مهما أنكم تقدمون الصدقات في اليوم الحادي عشر، باسم شيخ المشايخ[الجيلاني] فاجعلوا في نيتكم أنها صدقه لله وحده، وثوابها إلى روح شيخ المشايخ، **فقال أحد السامعين:** يا فضيلة الشيخ! إن الصدقة التي كانت لله قد أعطيناها بالأمس، وهذا الذي نخرجه اليوم ليس صدقة لله، بل هي باسم شيخ المشايخ.

فيعلم من جوابهم هذا أن العادة المسماة بـ«الحادي عشر» ليست من أجل إيصال الثواب إلى روح شيخ المشايخ، بل كما يتقرب الناس بالصدقات إلى الله ﷻ، كذلك هؤلاء يقدِّمون صدقاتهم إلى الشيخ عبد القادر، ويتقربون بها إليه، والسر في ذلك: اعتقادهم أن العادة المسماة بـ«الحادي عشر» دخيلة في بركة الأموال، وعدم البركة فيها)[3].

الثالثة: هذه العادة لم تكن موجودة في زمن النبي ﷺ، إلى القرن السادس الهجري والدليل على هذا أن الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- الذي تُفعل هذه العادة باسمه، ولد عام٤٧٠هـ وتوفي عام٥٦١هـ فما لم يكن دينا لمدة ستة قرون فكيف يكون دينا بعدها، وقد قال الإمام مالك -رحمه الله- -: «من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد

---

(١) يُنظر: (اختلاف أمت) للديانوي باللغة الأرية ص:١٩٠، وباللغة البشتو ص:٢٣٩، و«دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص:٢٥٥، «دولسو مياشتو فضائل اوأحكام» بترجمة سيف الحنان ص:١٨-٢٠.

(٢) تقدم معنى خوف السر في فصل الخوف ص: ٢٠٠.

(٣) يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي (بالأردية) ص:١٩٠-١٩١ وباللغة البشتو ص: ٢٤٠.

زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ (١) فما لم يكن يومئذٍ دينا فلا يكون اليوم دينا »(٢).

الرابعة: إن كان المراد بهذه العادة التصدق عن الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- فلماذا يخصص له اليوم الحادي عشر؟ حتى سموه بالأردية «**گيارہویں شریف**» وبالبشتو «**يوولسمه شريفه**» ومعلوم أن الصدقة عن الميت تجوز في أيام السنة كلها، والالتزام بهذا التاريخ دون غيره تشريع، كما أن النبي ﷺ وقّت يوم عيد الأضحى للذبح والنحر تقربا إلى الله، وهؤلاء عيّنوا يوم الحادي عشر للذبح والتصدق باسم الجيلاني -رحمه الله-، فهذا تشريع ومضاهاة للشريعة. والبدعة عرفها العلماء بقولهم: «طريقة مخترعة تضاهي الشرعية...» (٣).

الخامسة: إن كان المراد التصدق عن الشيخ الجيلاني -رحمه الله- فلماذا يقصدون الذبح، أو طبخ الحلوى، ونحو ذلك، بل كان يكفيهم أن يتصدقوا بالمبلغ على الفقراء؛ فإذ لم يتصدقوا إلا بأشياء معلومة عُلِم أن هذا العمل بدعة تضاهي الشريعة في تعيين بعض الأشياء لبعض العبادات كتخصيص الحيوان السالم من العيوب في الهدي والأضاحي، وتعيين الصاع من الطعام لصدقة الفطر ونحو ذلك.

السادسة: إن بعض الناس يأكلون الشيء المتصدق به في هذه العادة كاللحم المطبوخ، أو الحلوى أو الهريسة ونحوها تبركا، ولذلك ترى كثير من الأغنياء، والمشايخ، وخاصة من ينتسبون إلى آل النبي ﷺ، ويسمون أنفسهم بـ«**السادة**»، يحضرون ليأكلوا من الشيء المطبوخ في هذه العادة تبركا، فإن كان المقصود التصدق عن الشيخ الجيلاني -رحمه الله- فمن أين جاء التبرك به، مع أن الصدقات أوساخ الناس، ولا يتبرك بالأوساخ،

---

(١) سورة المائدة (٣).

(٢) الاعتصام للشاطبي الباب الثاني في ذم البدع ص: ٣٧.

(٣) يُنظر: الاعتصام للشاطبي في تعريف البدع ص: ٢٨.

ولا يجوز للسادة أعني آل محمد ﷺ أكلَها، قال النبي ﷺ: «**إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد**»(١).

موقف الإسلام من الانحراف الخامس: وهو القراءة على الصدقة، أو العادة المسماة بـ«الختم الشريف».

يظن غير أهل العلم الشرعي أن قراءة القرآن، أو قراءة العزائم على الطعام شيء جيد، أو لا بأس به، ولكن في الحقيقة في هذا عدة مخالفات شرعية(٢):

١- لم يثبت قراءة القرآن أو العزائم ونحوها -غير البسملة- على طعام من النبي ﷺ، ولا الصحابة ﷺ، ولا غيرهم من السلف الصالح. وهم أحرص الناس على الخير؛ فإذا لم يفعلوا ذلك دل على أن هذا الفعل بدعة منكرة، وإن قيل: أي حرج في القراءة على الطعام؟ فالجواب: هل هناك حرج أكبر من مخالفة هدي النبي ﷺ؟، و لم يكن من هديه قراءة الفاتحة، أو غيرها على الطعام، فمن يخالف هديه ﷺ فقد وقع في حرج أكبر.

٢- يظن عوام الناس أنه لابد في التصدق عن الميت، أن يقرأ عليها الشيخ، وإلا لا يصل ثوابها إلى الميت، ولذلك اشتهر بينهم فيمن لا يقرأ شيئا على الصدقة عن الميت، قولهم بالأردية: «مرگيامردود نہ فاتحہ نہ درود» وبالبشتو: «مړ شو مردود نه فاتحه نه درود» والمعنى: مات مردودا، لم يقرأ عليه الفاتحة، ولا الصلاة على النبي محمد ﷺ، وهذا زعم باطل لأن الصحابة والتابعون وغيرهم من السلف الصالح ما كانوا يفعلون هذه العادة؛ فهل كانت أمواتهم مردودة؟ لأنهم ما كانوا يقرؤون على الصدقة عنهم الفاتحة ولا الصلاة على النبي ﷺ؟.

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الزكاة باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة ٧/ ١٧٩(ح٢٤٧٩).

(٢) يُنظر:«اختلاف أمت» للديانوي بالأردية ص:١٩٢وما بعدها، وبالبشتو ص:٢٤٢ وما بعدها، و«راه سنت» لمحمد سرفراز خان صفدر ص:٢٧٥ وما بعدها.

٣- وفي بعض الأوقات يجهز طعام الصدقة عن الميت، ويحضر الفقراء والأولاد الصغار، لكن يتأخر -لسبب ما- الشيخ الذي يقرأ العزائم والقرآن على الطعام فلا يعطى الطعام للأولاد الصغار -ولو بكوا!- ولا للفقراء! ولا المساكين!، فإن كان المراد التصدق عن الميت، فلماذا لا تعطى للمحتاجين لها؟ من الفقراء والصغار ونحوهم؟ ولما ذا يمنعون من الأكل بدون قراءة الشيخ واستفتاحه؟.

٤- الشيخ الذي يقرأ على المطبوخ للصدقة لا يقرأ حتى يعطى منها، ولا يُعطَى له من التصدق شيء إلا إذا قرأ على ما أُعِدَّ للصدقة، وهذا معلوم عرفا، والمعروف عرفا كالمشروط شرطا، فكأن قراءة القرآن في مقابل الطعام، والطعام في مقابل القراءة، والدليل على هذا أنه إذا لم يقرأ الشيخ على ما طبخ للصدقة لا يعطى له شيء منها.

٥- القراءة على الصدقة عن الميت، نقلت إلى بعض المسلمين من الهنود؛ حيث كانت من عاداتهم: (التصدق عن الميت في التاريخ الذي مات فيه، وهذا العمل لازم وضروري عندهم، وكيفية إيصال الثواب عندهم: أنهم يصنعون طعاما يسمونه «سرادهـ» ثم يطلبون العالم الديني عندهم الذي يعرفونه بـ «البرهما» فيقرأ عليه كتابهم المقدس المسمى بـ«الويدا[(١)]» والطعام الذي قرئ عليه «الويدا» يسمى عندهم «البهشرمن»)[(٢)]. فكيف يكون إيصال ثواب الصدقات إلى موتى المسلمين بأمر لم يوجد في خير القرون، ونقل إلى بعض المسلمين من الديانة الهندوسية؟.

---

(١) **الويدا**: هو الكتاب المقدس في الديانة الهندوسية، ومعناه: الحكمة والمعرفة، وهو مجموعة أربعة كتب: الريج ويدا، وياجور ويدا، وساما ويدا، وآثار ويدا. يُنظر: الفرق والأديان لعبد القادر شيبة الحمد ص: ٦١.

(٢) يُنظر: «اختلاف أمت» للديانوي بالأردية ص: ١٩٥، وبالبشتو ص: ٢٤٥، و«راه سنت» لمحمد سرفراز خان صفدر ص: ٢٦١، كلاهما أحالا إلى الصفحة (٩١) من تحفة الهند للشيخ عبيد الله الذي كان قبل الإسلام من براهمة الهنود.

لما كانت هذه العادة من البدع القبيحة أفتى بعض العلماء بعدم جواز قراءة القرآن على الطعام ومن أقوال هؤلاء العلماء ما يلي:

- قال الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي -رحمه الله- : (قراءة الفاتحة على الطعام أو الحلاوة بدعة وضلالة، ولا ينبغي فعله)[١].
- قال محمد شفيع مفتي أعظم باكستان:« يكره اتخاذ الطعام في اليوم الأول،والثالث، وبعد الأسبوع والأعياد، ونقل الطعام إلى القبر في المواسم، واتخاذ الدعوة بقراءة القرآن، وجمع الصلحاء والقراء للختم، أو لقراءة سورة الأنعام أو الإخلاص، فالحاصل أن اتخاذ الطعام عند قراءة القرآن لأجل الأكل يكره »[٢].
- قال الشيخ محمد يوسف اللديانوي -رحمه الله- بعد أن بين عدة قبائح لهذه العادة: (بناء على هذه القبائح المضاعفة، أرى وضع الطعام في أمام الناس، وقراءة عدة آيات من القرآن الكريم، عادة قبيحة، وهذه الطريقة لإيصال الثواب إلى الأموات والدوام عليها أحسبها بدعة، لكن الطعام لا يحرم بهذا، ولا يقال: إن هذا العمل شركٌ، بل ينبغي أن يقال له بدعة) [٣].

وأما الأشكال الأخرى لهذه العادة المسماة بـ«الختم»، كقراءة الأوراد والأذكار، بأعداد هائلة قد تصل إلى مائة ألف، أو قراءة أجزاء القرآن الكريم كلها، أو بعضها، ثم بيان مناقب الشيخ الجيلاني أو غيره، وغالبا لا تخلو من المبالغات في شأنه، قد تصل بالبعض إلى الاستغاثة به، أو بيان قصة استشهاد الحسين ﷺ، أو غيره، وغالبا لا تخلو من تنقيص بعض المسلمين، قد تبلغ بهم إلى لعن بعض الصحابة ﷺ أو البراءة منهم، بالإضافة على ما يرافق ذلك: من النياحة، وضرب الصدور، وأمور أخرى غير شرعية، فكل هذه أمور غير جائزة في شريعة محمد ﷺ.

---

(١) الفتاوى الرشيدية للرشيد أحمد الجنجوهي باللغة البشتو ص: ٢٥٦.

(٢) فتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع ٢/١٥٠ وقد نقل الفتوى عن الفتاوى البزازية لمحمد الكردري على هامش الفتاوى الهندية ٤/٨١.

(٣) «اختلاف أمت» للديانوي بالأردية ص: ١٩٥، وبالبشتو ص: ٢٤١.

وقد أفتى العلماء في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية بأن: «قراءة التهليل، أو التسبيح، أو شيء من الأدعية، أو القرآن الكريم على حصىً ألف مرة، أو أكثر، أو أقل، ووضع الحصى على قبر الميت بدعة محدثة، يحرم فعلها؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد**»[1] متفق على صحته، وفي لفظ: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا؛ فهو رد**» [2]خرجه مسلم في صحيحه» [3].

وتدخل هذه العادة في أخذ الأجرة على التلاوة دون التعليم أو الرقية بها، وقد نص جمهور العلماء على عدم جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن، وقد عنون ابن عابدين - رحمه الله- في رد المحتار فقال: «**مطلب مهم في عدم جواز الاستئجار على التلاوة والتهليل ونحوه مما لا ضرورة إليه**» وذكر أدلة كثيرة على عدم جواز ذلك، ونقل عن العيني -رحمه الله- قوله: «ويمنع القارئ للدنيا، والآخذ والمعطي آثمان. فالحاصل، أن ما شاع في زماننا من قراءة الأجزاء بالأجرة لا يجوز؛ لأن فيه الأمر بالقراءة، وإعطاء الثواب للآمر، والقراءة لأجل المال.

فإذا لم يكن للقارئ ثواب؛ لعدم النية الصحيحة، فأين يصل الثواب إلى المستأجر، ولولا الأجرة لما قرأ أحد لأحد في هذا الزمان، بل جعلوا القرآن العظيم مكسبا، ووسيلة إلى جمع الدنيا إنا لله وإنا إليه راجعون» اهـ[4].

وقد تقدم جملة من أقوال أهل العلم على عدم جواز أخذ الأجرة على التلاوة في فصل الذكر والدعاء.

---

(١) تقدم تخريجه في ص: ١٩٢.

(٢) تقدم تخريجه في ص: ١٩٢.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٩/٥٤.

(٤) رد المحتار لابن عابدين ٦/٣٣٩ (مطلب في الاستئجار على الطاعات).

الفصل الخامس

الانحرافات المتعلقة بالتمائم، وموقف الإسلام منها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التمائم، وأنواعها.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بالتمائم.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

مفهوم التمائم، وأنواعها.

ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الرقى والتمائم والتِولة**[١]**شرك**»[٢]، وقد تقدم بيان الرقى وما يتعلق بها، وفي هذا المبحث بيان لمفهوم التمائم، وأنواعها، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم التمائم لغة، و شرعا

أولا: التمائم لغة

أصل الكلمة: (التاء والميمان) أصل واحد يدل على الكمال[٣].

تصريف الكلمة: تَمَّ، يَتِمُّ، تُمّاً، تِمّاً، وتِماماً، وتُماماً، مثلّثين، وتَمامةً، وتِمامةً، وتُمَّةً، وتتميما، وتتمة[٤].

معنى الكلمة: التمائم جمع التميمة، وتجمع كذلك على التَّمِيم[٥]وهي في الأصل وصف لذات تامة الخلق، والشيء الصلب، يقال رجل تميم، وامرأة تميمة[٦].

ثانيا: التمائم شرعا

لقد عرف علماء الشريعة التمائم بعدة تعريفات منها:

١- «عُوذَةٌ تُعلَّق على الإنسان» [٧].

---

(١) **التولة**: بكسر التاء وفتح الواو، ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره. النهاية لابن الأثير ص: ١٩٩.

(٢) سنن أبي داود كتاب الطب، باب في تعليق التمائم ص: ٦٩٧(ح٣٨٨٣)، وابن ماجه في سننه كتاب الطب، باب تعليق التمائم ص: ٥٨٩(ح٣٥٣٠)، والإمام أحمد في مسنده١/٣٨١، وقال الألباني: صحيح.يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني٢/٧٣٦(ح٣٢٨٨).

(٣) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص:١٦٨.

(٤) يُنظر: لسان العرب لابن منظور١/٦٢٧، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص: ١٠٠٠، وتاج العروس للزبيدي ١٦/٧٥.

(٥) لسان العرب لابن منظور ١/٦٢٩، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص: ١٠٠٠، والمعجم الوسيط ص: ٨٩.

(٦) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:١٦٨، والشرك ومظاهره للمبارك الميلي ص: ٢٥٣.

(٧) مختار الصحاح للرازي٣٣.

٢- خرزات كانت العرب تُعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم [(١)].

٣- «ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين، أو غيرها من أنواع البلاء» [(٢)].

٤- «كل ما علق على الإنسان، أو على الفرس، أو البعير، أو غيره خيفة العين، أو خيفة أمر لم ينزل به بعدُ» [(٣)].وهذا أعم وأشمل.

«فالتمائم تجمع كل ما يعلّق، أو يتخذ مما يراد منه تتميم أمر الخير للعبد، أو دفع الضرر عنه ويَعتقِد فيه أنه سبب. و لم يجعل الله -جل وعلا- ذلك الشيء سببا لا شرعا، ولا قدرا.فالتميمة -إذًا- شيء يُتَّخَذ من جلد، أو ورق، ويكون فيه أذكار وأدعية وتعوذات تعلّق على الصدر، أو في العضد، وقد تُتَّخذ التميمة من خرزات، وحبال ونحو ذلك، يعلق على الصدر، وقد تكون التميمة باتخاذ شيء يجعل على باب البيت، أو في السيارة، أو أي مكان ما.

فالحاصل: أن التمائم يجمعها أنها: **شيء يراد منه تتميم أمر الخير، وتتميم أمر دفع الضر، وذلك الشيء لم يؤذن به لا شرعاً، ولا قدراً.**

فالتميمة -إذًا- ليست خاصة بصورة معينة، بل تشمل أمورا كثيرة، وتعم أصنافا عديدة، مثل ما نراه على كثير من أهل زماننا، من تعليقهم أشياء على صدورهم: مثل جلود صغيرة يجعلونها على رقابهم، أو تكون على العضد، أو يربطونها على بطونهم لرفع الأمراض الباطنية: كالإسهال، والقيء، ونحوهما.

ومنهم من يجعل في سيارته رأس دُبٍّ، أو أرنب، أو غيرها من الأشكال[(٤)]، كحدوة الفرس[(٥)]، أو يُعلّق خرزات، ومسابح خشبية، ونحو ذلك على المرايا الأمامية للسيارة.

---

(١) يُنظر: معالم السنن للخطابي٤/ ٢٠٤، والنهاية لابن الأثير ١/١٩٦.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١٧/ ١٦٢، وبنحوه عرفها البيهقي في سننه الكبرى٩/٥٨٨(ح١٩٦٠٤).

(٣) التعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف ص: ١٢٢.

(٤) ومن هذه الأشكال: تعليق ذيل الثعلب، أو الخرقة السوداء، أو لعب البنات، ونحو ذلك.

(٥) **حدوة الفرس:** نعل الفرس، وهو حديد متقوس يُوقَى به حافر الدابة.المعجم الوسيط ص:٩٣٥.

ومنهم من يلبس سلسلة فيها شكل عين صغيرة، وبعضهم قد يعلّق على مدخل الباب رأس ذئب، أو غزال، أو يضع على مطرق الباب حدوة فرس، اعتقادا من أصحابها أنها تدفع العين، أو تجلب لهم النفع. فكل هذه أنواع، وأصناف، وصور للتمائم، أحدثها الناس على اختلاف الأزمان»(١).

والبعض يعبرون عن التمائم بالتعاويذ، وهي جمع تعويذ، وهو من العَوْذ.

قال الراغب -رحمه الله-: «والعَوْذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به، يقال عاذ فلان بفلان...، ومنه قيل للتميمة، والرقية عُوْذةٌ»(٢).

وقال الأزهري -رحمه الله-: «وأما التعاويذ التي تكتب، وتعلق على الإنسان من العين فقد نُهي عن تعليقها، وهي تسمى المعاذات أيضا، يَعُوذُ بها من علقت عليه، من العين، والفزع، والجنون، وهي العوذ، واحدها عوذة» (٣).

الفرق بين الرقى والتمائم.

إذا جمعنا بين تعريفات الرقية والتمائم نعرف أن في كل من الرقى والتمائم، أو التعاويذ يعوذ ويلوذ الإنسان بغيره، إلا أن في الرقى تُقرأ العوذة، وتُنفث في المرقى عليه، وليس في التمائم والتعاويذ قراءة، بل فيه تعليق ما يعتقد فيه العوذة من غير القراءة، كالخرقة السوداء، ونعل الفرس ونحوها، أو قرئ على شيء معين كخيطٍ، أو عظمٍ، أو حديدٍ ونحوه ثم يُعلّق، أو تكتب العوذة في ورقة ثم تعلق.

المطلب الثاني: أنواع التمائم

تنقسم التمائم، أو التعاويذ من حيث العموم إلى نوعين:

الأول: ما كان من غير القرآن أو السنة.

الثاني: ما كان فيه شيء من القرآن أو السنة.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص: ١٠٩-١١٠.

(٢) المفردات للراغب ص: ٥٩٤.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١٤٧/٣، وينظر: لسان العرب لابن المنظور ٥١١/٦.

فما كان من غير القرآن والسنة -وهو يشمل المكتوب، وغيره من الخرزات، والخرق، وغيرها- فلا يجوز تعليقها، فإن كان فيها استغاثة بغير الله، أو اعتقد أن التميمة تنفع بذاتها، فهو شرك أكبر، وإن لم يكن كذلك، بل زعم أنها أسباب تدفع البلاء؛ فهي من البدع التي تعد من الشرك الأصغر.

وأما النوع الثاني: وهو التمائم والتعاويذ من القرآن الكريم، أو كانت بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فمن المعلوم أن المعلق من القرآن أو ما فيه أسماء الله وصفاته، لا يعد من الشرك، لأن أسماء الله وصفاته -ومنها القرآن الكريم- ليست بمخلوقة، والشرك أن يشرك مع الله مخلوقه، فمعلق القرآن الكريم، أو أسماء الله، أوصفاته، لا يعد من المشركين.

لكن هل تعليق ذلك جائز أم لا، اختلف السلف في ذلك على قولين:

١- جوازها.

٢- عدم جوازها.

والقول بجواز التمائم والتعاويذ من القرآن الكريم ينسب إلى مجموعة من السلف الصالح[1] لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات «**أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فأعلقه عليه، وفي رواية: فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرا لا يعقل أن يحفظها كتبها له، فعلقها في عنقه[2].

---

(١) منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة أم المؤمنين ﵂، ومن التابعين سعيد بن المسيب، ويحيى بن سعيد القطان، ومجاهد، وأبو قلابة وغيرهم -رحمهم الله.

(٢) ينظر: سنن أبي داود ص:٦٩٨(ح٣٨٩٣)، وسنن الترمذي ص:٨٠١(٣٥٢٨)، ومسند أحمد٢/١٨١، وهو حديث حسن دون قوله فكان عبد الله...يُنظر: صحيح سنن أبي داود للألباني ٣/٤٦٩(ح٣٨٩٣).

لكن قوله: «وكان عبد الله...إلخ» تفرد به محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد عنعن في جميع طرقه، ومعلوم أن عنعنة المدلس غير مقبولة[1].

والقول بعدم جواز تعليق التمائم، ولو كانت من القرآن الكريم ينسب إلى جماعة من السلف[2]، واستدلوا على منع ذلك بأمور منها:

عموم قوله ﷺ: «**من علّق تميمةً؛ فقد أشرك**»[3]. وقوله: «**إن الرقى والتمائم والتِولة شرك**»[4]، قالوا: لم يثبت عن النبي ﷺ أنه علق التمائم بنفسه، أو أَذِن فيها لغيره، وقد ثبت المخصص من عموم الرقى، حيث رُقِيَ النبي ﷺ، ورقَىَ غيره، وثبت أنه قال: «**اعرضوا عليَّ رُقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[5]، فالرقى التي لا يكون فيها شرك، تخصص عن النهي الوارد، ولم يوجد المخصِّص في التمائم؛ فبقي قوله ﷺ في النهي عن تعليق التمائم على عمومه.

ويظهر القول الثاني راجحا لقوة ما استدلوا به.والله أعلم.

---

(١) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني١/٢٦٣(ح٢٦٤).وقال محققو المسند: حديث محتمل للتحسين، وهذا إسناد ضعيف. يُنظر:المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط١١/٢٩٦ (ح٦٦٩٦).

(٢) منهم: عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عكيم، وحذيفة، وعقبة بن عامر، وعمران بن الحصين، رضي الله عنهم، وأصحاب ابن مسعود، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وأبو مجلز، وغيرهم -رحمهم الله-.

(٣) مسند أحمد ٤/١٥٦، والحاكم في المستدرك ٤/٢٤٣(ح٧٥١٣) وسكت عليه ووافقه الذهبي، وقال محققو المسند إسناده قوي يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط٢٨/٦٣٧(ح١٧٤٢٢)، وقال الهيثمي: ورجال أحمد ثقات.يُنظر: مجمع الزوائد باب من تعلق تميمة٥/١٧٥(ح٨٣٩٩).

(٤) تقدم تخريجه في فصل الرقى. ص: ٥٨٢.

(٥) تقدم تخريجه في ص: ٧٥٣.

المبحث الثاني

الانحرافات المتعلقة بالتمائم.

عرفنا فيما سبق أن العلماء اتفقوا على عدم جواز التمائم من غير القرآن أو ما لا يكون فيها ذكر الله، بأسمائه، وصفاته كما عرفنا اختلاف العلماء في التمائم والتعاويذ إذا كانت من القرآن الكريم، أو كان فيها ذكر الله بأسمائه وصفاته، وأن الراجح عدم جوازها؛ لأن القول بجواز تعليق التمائم تعطيل للسنة الواردة، وهي الرقية بالمعوذات وغيرها، كما قال القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي -رحمه الله-: «تعليق القرآن ليس من طريق السنة، وإنما السنة فيه الذكر دون التعليق» (١).

كما أن القول بتعليق التمائم من القرآن متردد بين الجواز والتحريم، ولم ينقل عن أحد القول بوجوبه، أو استحبابه، والأمر إذا دار بين الجواز والإباحة والتحريم، على المسلم أن يأخذ بالمنع براءة للدين، كما قال النبي ﷺ «**فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام**» (٢).فينبغي أن يجتنب تعليق التمائم من القرآن سدا للذريعة.

ولكن انحرف بعض الناس في إقليم سرحد في باكستان وغيره حيث يعلقون التمائم المتفق على تحريمها، وبعضهم يريدون الدجل على الناس لأخذ أموالهم، فإن وَجَدَ شبهةً تروجَها على ضعفاء العقول، وإلا كذب لهم كذبا محضا، وأقسم لهم بالله إنه لهم لمن الناصحين؛ فيصدقونه لحسن ظنهم به.

ويمكن تقسيم الانحرافات المتعلقة بالتمائم إلى ما يلي:

الانحراف الأول: نسبة كتابة التمائم إلى النبي ﷺ.

تجرأ بعض الناس فنسبوا كتابة التمائم إلى النبي ﷺ، وأنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يكتب حرزا لأبي دجانة(٣) فكان النبي ﷺ يُملي وعليٌّ يكتب.

---

(١) عارضة الأحوذي لأبي بكر ابن العربي للمالكي كتاب الطب باب أخذ الأجر على التعويذ ٢٢٢/٨(ح٢٠٦٨).

(٢) تقدم تخريج الحديث في فصل الذكر ص: ٣٨٣.

(٣) **أبو دجانة**: سماك بن خرشة. ويقال سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبد ود أبو دجانة الأنصاري، هو مشهور بكنيته، وكان أحد الشجعان له مقامات محمودة في مغازي رسول الله ﷺ وهو من كبار الأنصار استشهد يوم اليمامة، =

ومستندهم في ذلك الرواية الموضوعة وهي عن أبي دجانة ﷺ قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! بينما أنا مضطجع في فراشي، إذ سمعت في داري صريرا كصرير الرحى، ودويّا كدويّ النحل، ولمعاً كلمع البرق؛ فرفعت رأسي فزعا مرعوبا، فإذا أنا بظل أسود مولى يعلو، ويطول في صحن داري، فأهويت إليه فمسست جلده، فإذا جلده كجلد القنفذ، فرمى في وجهي مثل شرر النار، فظننت أنه قد أحرقني، وأحرق داري، فقال رسول الله ﷺ: «عامرك عامر سوء يا أبا دجانة! ورب الكعبة، ومثلك يؤذى يا أبا دجانة؟!» ثم قال: ائتوني بدواة وقرطاس، فأتي بهما فناوله علي بن أبي طالب وقال: «اكتب يا أبا الحسن».فقال: وما أكتب؟ قال:«اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين ﷺ، إلى من طرق الدار من العمار والزوار والصالحين، إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن.أما بعد: فإن لنا ولكم في الحق سعة، فإن تك عاشقا مولعا، أو فاجرا مقتحما، أو راغبا حقا أو مبطلا، هذا كتاب الله تبارك وتعالى ينطق علينا، وعليكم بالحق، ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [1]، ورسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا، وانطلقوا إلى عبدة الأصنام، وإلى من يزعم أن مع الله إلها آخر﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [2]يغلبون» حم «لا ينصرون، ﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ﴾[3]، تفرق أعداء الله، وبلغت حجة الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [4].قال أبو دجانة: فأخذت الكتاب فأدرجته وحملته إلى داري، وجعلته تحت رأسي وبت ليلتي فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة! أحرقتنا واللات والعزى الكلمات، بحق

=

وقد قيل: إنه عاش حتى شهد مع علي بن أبي طالب ﷺ صفين والله أعلم، **وإسناد حديثه في الحرز المنسوب إليه ضعيف**. يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٢/٦٥٢(ت١٠٦٠)، وأسد الغابة لأبن الأثير٢/٥٥٠(ت٢٢٣٦).

(١) سورة الجاثية (٢٩).

(٢) سورة القصص (٨٨).

(٣) سورة الشورى (١-٢).

(٤) سورة البقرة (١٣٧).

صاحبك لما رفعت عنا هذا الكتاب، فلا عود لنا في دارك، وقال غيره: في أذاك، ولا في جوارك، ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب. قال أبو دجانة: فقلت: لا، وحق صاحبي رسول الله ﷺ لا أرفعنّه حتى أستأمر رسول الله ﷺ، قال أبو دجانة: فلقد طالت عليَّ ليلتي بما سمعت من أنين الجن وصراخهم وبكائهم، حتى أصبحت فغدوت، فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ، وأخبرته بما سمعت من الجن ليلتي، وما قلت لهم. فقال لي: «يا أبا دجانة! ارفع عن القوم، فوالذي بعثني بالحق نبيا، إنهم ليجدون أَلَم العذاب إلى يوم القيامة»[(١)].

الانحراف الثاني: امتهان الآيات القرآنية وذلك بكتابتها على النجاسات، وتعليقها على الحائض، والجنب، والدواب.

ذهب بعض المنحرفين إلى جواز كتابة الآيات القرآنية في التمائم بالنجاسات كالدم المسفوح، والرعاف، والبول، وجلد الميتة ونحو ذلك من النجاسات.

فقال أحدهم: (الكتابة **بدم الديك** وهو نجس. انظروا: إن لم يحصل الشفاء إلا بهذه الحيلة، وكان يعلم أن بهذا التعويذ أو التميمة يحصل له الشفاء الكامل -كما قاله أهل التمائم-؛ فالكتابة بدم الديك أيضا جائزة).**وقال أيضا:** ومن به رعاف؛ **فكتب بالدم** فاتحة الكتاب على جبهته للاستشفاء لا يكره، **ولو كتب بالبول** إن علم أن فيه شفاء لا بأس به. **وقال أيضا:** لو كتب شيئا من القرآن على **جلد الميتة** إن كان فيه شفاء جاز[(٢)].

وكما يجوزون كتابة الآيات القرآنية كفاتحة الكتاب وسورة الإخلاص وغيرهما على دم الرعاف، أو المسفوح من الدم، أو البول أو جلد الميتة ونحوها. كذلك يجوزون تعليق التمائم -وإن كان فيها الآيات القرآنية - على الدواب، والحائض، والجنب، وإدخالها الخلاء.

---

(١) فتح العزيز في جواز التعويذ ضمن كتاب مخزن الدلائل لمحمد فاضل عتيق ص: ٦-٨، محيلا إلى دلائل النبوة للبيهقي١١٩/٧.(وهو حديث موضوع مختلق على رسول الله ﷺ كما سيأتي في بيان موقف الإسلام من هذا الانحراف. ص: ٧٧٢)

(٢) يُنظر: درر الفرائد لغلام حيدر ص: ٢٣٨.

فقد قال أحدهم: لا بأس بأن يشد الجنب والحائض التعاويذ على العضد، إذا كانت مكفوفة.وقال أيضا: الحرز تعلق على الدواب وغيرها، فيها آيات من القرآن، هل يأثم من يكتبها، ويستعملها أم لا؟ فأجاب بأنه لا يكره وتركه المختار.وذكر سؤالا: هل يجوز أن تكتب الحروز للصغار وتعليقها في أعناقهم؟ ولا يخلو من اسم الله تعالى، وآيات من القرآن، وهم لا يحترزون من دخول الخلاء، وكذا النساء فإن احترازهن أيضا قليل؟ فأجاب: يجوز ذلك ويجعل لها حجاب من الشمع والجلد(١).

الانحراف الثالث: التعوّذ والاستغاثة والحلف بغير الله ﷻ في التمائم.

لقد انحرف بعض من يكتبون التمائم انحرافا كبيرا، ووصل بهم الأمر إلى أنهم يعوذون ويستغيثون ويقسمون بغير الله صراحة، وبأسماء يزعمون أنها لله تعالى، أو للملائكة، أو للصالحين كأصحاب الكهف والفقهاء السبعة، والبعض يصرح أنها أسماء الشياطين ومردة الجن، ومنهم من يزعم أن هذه أسماء موكلي أسماء الله تعالى، أو خدام السور، أو الآيات القرآنية، ولا يخلوا من هذا كتب من يكتب في التمائم والتعاويذ إلا ما شاء ربك، وللدلالة على صحة ما نقول، وليكون المسلم على بينة من أمره؛ أذكر هنا بعض الأمثلة وهي بمنزلة قطرات من هذا البحر الراكد:

قال أحدهم في تعريف التعويذ: التعويذ من العوذ، وهو أن يَسْتَتِر بشيء، ويجوز لأحد أن يستعيذ بشيء من دون الله، كالتعوذ بالأشجار، والأحجار، والشاهد على هذا الآية (٦٣)(٢)من سورة الكهف(٣).

---

(١) درر الفرائد لغلام حيدر ص: ٢٣٨.

(٢) وهو قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾[الكهف:٦٣].ولا أدري أين الشاهد على التعوذ بغير الله؟! فإن كان يقصد قوله: إذْ﴿أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ فلا دليل في ذلك على جواز التستر والتعوذ بغير الله، لأنهما لم يقصدا التستر والتعوذ بالصخرة حينما أويا إليها، وعن أي شيء يتعوذان بالصخرة؟ بل كان ذلك لأخذ قسط من الراحة كما في رواية صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى ٥٢٤/٦(ح٣٤٠٠)، وكتاب التفسير باب ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف:٦١] ٥٢٢/٨(ح٤٧٢٦).

(٣) الدر النظيم لنادر شاه ص:٢.

وقال هو وغيره: أسماء أهل الكهف[1] تنفع في تسعة أشياء: «للطلب والهرب، وإطفاء الحريق، تكتب في خرقة وترمى في وسط النار تطفئ بإذن الله، ولبكاء الأطفال، ومحمى المثلثة[2]، والصداع تشد على العضد الأيمن، ولأم الصبيان[3]، وللركوب في البر والبحر، ولحفظ المال، ولنماء العقل، ونجاة الأشهق[4]»اهـ[5].

فلذلك ترى بعض الناس يكتبون بعض الأسماء يزعمون أنها لأصحاب الكهف؛ فيعلقونها في العضد أو المحل التجاري أو البيت، فيتعوذون بهم عقيدة وعملا، ويظنون أن هؤلاء يحفظونهم في أموالهم وعيالهم من الآفات، كالحريق، وشياطين الجن والإنس.

وقد سألت أحد الذين علّق في محله أسماء أصحاب الكهف -بزعمه-: وقلت ما هذا؟ فقال: هذه أسماء أصحاب الكهف، أرشدني إلى تعليقها هنا الشيخ الفلاني. فقلت: وما فائدة تعليقها؟ فقال ما معناه: (لـمّا كان أصحاب الكهف في كهفهم، ولم يستطع أحد أن يطلّع عليهم، ولو اطلّع عليهم لَمُلِئَ منهم رعبا، وولّى فرارا؛ فإذا كانت أسماءهم هنا في هذا المحل فأعتقد أن العائن، أو غيره من السراق والمفسدين لا يستطيع أن يتسبب في الشر).

فهذا دليل على أن هؤلاء يتعوذون من عين العائن، وشر الأشرار بأسماء أصحاب الكهف -على حد زعمهم-.

---

(١) أسماء أهل الكهف ذكرها بعضهم بأنها: مكسليما، وتمليخا، ومرطونس، ونينونس، وساريوس، وذونوانس، وفلسيتونس، وكشف، واسم كلبهم قطمير، وقيل حمران، وقيل ربان. يُنظر: الدر النظيم لنادر شاه ص:٤، وذكر غيره غير هذه الأسماء وقال هذه هي أسماء أهل الكهف يُنظر: التعويذات السليماني لفقير محمد عباس قادرية ص:٨٥.

(٢) وفي الدر النظيم لنادرشاه «والحمى المثلثة»، ولا أدري هل يقصدون بالمثلثة تثليث حركة الحاء حُمى أو هي صفة الحمى. فالله أعلم بالمراد.

(٣) **أم الصبيان**: الرِّيح التي تَعْرِض لهم فربما غُشِي عليهم. النهاية لابن الاثير ١/٧٧ باب الهمزة مع الميم، وقيل: هي عجوز شمطاء من الجن تتعرض لبني آدم بالأذى. يُنظر: أحكام الرقى والتمائم لفهد السحيمي ص: ٢٣٠هو ينقل عن الطب والحكمة المنسوب إلى السيوطي ص:٢١٩.

(٤) وفي الدر النظيم لنادر شاه «نجاة الأثمين» ولم أعرف مرادهم بهذا.

(٥) البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي ص: ٧٤، والدر النظيم لنادر شاه ص: ٣.

وقال أحدهم: إن من كتب أسماء الفقهاء السبعة، ثم دفنها في مزرعته؛ حفظت تلك المزرعة من أكل الديدان، والحشرات، ومن وضعها في مال بورك له فيه، ثم ذكر أسماء الفقهاء السبعة[1].فليس هذا إلا تعوذ الحرث والمال بهؤلاء من أكل الديدان والحشرات.

أما أمثلة استغاثاتهم الصريحة، وإقسامهم بغير الله فهي كثيرة منها:

قال أحدهم وعندما تحضر الجن في رَجُلٍ تمسه أحيانا : «**عزمت عليكم، وأقسمت عليكم، يا عبد الصمد، يا عبد الواحد، أحضر بسرعة، الشيخ المرشد محي الدين قدس سره...**»

وهذا العمل يعمله في **الاعتكاف أربعين يوما، وفي وقت قراءة هذا العمل يحرق العنبر، أو غيره من البخور، وفي اليوم الأربعين يقدم النذر لأرواح الموكلين**، فإذا ختم بهذه الطريقة يكون عاملا لهذا العمل، ثم رسم طلسما وفيه اسماء شداد وفرعون، وهامان وإبليس، وبدوح، وأرقام، ورسومات، وغيرها من الألفاظ [2].

يكتبون في التمائم والتعاويذ : **أقسمت عليكم يا جبرائيل، بحق أجهرط، أقسمت عليكم يا دردائيل.** هذا على زاويتي العليا للجدول. وعلى زاويته السفلى يكتبون: **أقسمت عليكم يا ميكائيل بحق أجهرط، أقسمت عليكم يا رفتمائيل**، وفي الجدول أرقام حسابيه.الله أعلم بمرادها [3].

وكقولهم: عزمت عليكم **وأقسمت عليكم** يا برهيا، يا عنصائيل، يا صدعائيل، يا عينائيل، يا حيطائيل، يادردائيل، يا رفتمائيل، بحق سام، سماسوم، ودودم سانوم، شد

(١) يُنظر: أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص:٨١٧، وقال: الفقهاء السبعة هم: عبيد الله، وعروة، وقاسم، وسعيد، وأبو بكر، وسليمان، وخارجة.

(٢) يُنظر: كنز الحسين لغلام حسين روال بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص: ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) يُنظر: «كمالات عزيزي»لظهير الدين ولي اللهي بالأردية ص:١٢٨، وبترجمة عبد الكريم الصديقي إلى اللغة البشتو ص:١٣٩

منوس، معروص، هومال، يا همكيائيل بحق يا همكيائيل بحق يا همكيائيل بحق **٢٠٠٥١١٠٠** يا بدوح.... [(١)].

وقد زعموا أن لكل حرف من حروف الهجاء موكل وهم: إسرافيل، جبرائيل، عزرائيل، ميكائيل، ككائيل، تنكفل، مهكائيل، دردائيل، إبرائيل، أمواكيل، سرفائيل، همواكيل، همزائيل، إهجمائيل، عكائيل، اسمائيل، تورائيل، لومائيل، لوخائيل، سرحمائيل، عطرائيل. قالوا: هذه أسماء موكلي كل حرف من حروف الهجاء على الترتيب من الألف إلى الياء[(٢)].

وزعم بعضهم أن لكل اسم من أسماء الله ﷻ موكلين ومن الأسماء التي ذكروها لهؤلاء الموكلين: حرورائيل رمائيل للاسم: **الملك**، وحمزائيل عطرائيل للاسم: **القدوس**، ولوخائيل رحماكيل للاسم: **الغفار**، وخورائيل اهراطيل للاسم: **الكريم**...وهكذا ذكروا الموكلين لأكثر من تسعين اسما من أسماء الله ﷻ [(٣)].

الانحراف الرابع: التلاعب بآيات القرآن بالتقديم والتأخير، وتحريفها في التمائم.

لقد انحرف كاتبو التمائم انحرافا عظيما، وذلك بكتابتهم في التمائم تارة سورة أو آية ويكررونها مرات عديدة بهيئات مختلفة حتى يجعلون أولها آخراً، وآخرها أولا، وأوسطها أولا في موضع، وآخراً في آخر، وتارة يكتبونها بحروف مقطعة كل حرف على حدته، ويزعمون أن لها بهذه الهيئة خصوصية ليست لغيرها من الهيئات.

وتارة يكتبون رموزا من الأعداد العربية المعروفة، من آحاد، وعشرات، ومئات، وألوف، وغيرها، يزعمون أنها رموز إلى حروف آية، أو سورة، أو اسم، أو شيء، بحساب الحروف الأبجدية، وغير ذلك من الخرافات الباطلة، والأكاذيب المفتعلة المختلقة.

---

(١) يُنظر: كنز الحسين لغلام حسين روال بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص: ٢١٤-٢١٥.

(٢) يُنظر: كنز الحسين تصنيف غلام حسين روال، بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص:١١.

و ذكر غيره هناك موكلين غير هذا يُنظر: «موكلات كي دنيا» لصوفي محمد نديم محمدي ص: ٢٣-٣٠.

(٣) يُنظر: كنز الحسين تصنيف غلام حسين روال، بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص:١٣-١٧، وكذا يُنظر: أسماء موكلي أسماء الله الحسنى، وخدام كل اسم في كتاب شمس المعارف لأحمد بن علي البوني بترجمة گل رحمن گل السواتي٢/١١٧، وما بعدها.

وأما من أمثلة تلاعبهم بالآيات القرآنية وذلك بالتقديم والتأخير، وإدخال كلامهم بين كلام الله ﷻ فمن نماذجها ما يلي:

قولهم: إذا أراد أحدٌ أن يَبْتَلِيَ غيرَه بمحبة نفسه، أو أراد أن يكون عدوه صديقا له، فليكتب بالسُّكّر سورة الفيل، ثم يأكله على المطلوب، وإن لم يأكله فليلقه في حجرة النمل، فإذا أكلها النمل يطيعه المطلوب، وكيفية كتابة سورة الفيل: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ **ربطتُ نوم وأكل فلان بن فلان على فلان بن فلان،** فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ **ربطتُ نوم وأكل فلان بن فلان على حب فلان بن فلان** فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ **ربطتُ نوم وراحة فلان بن فلان على حب فلان بن فلان،** ثم أضاف قائلا: ولهذا أثر بالغ[1].

ومرة أخرى قال: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ **يا جبرائيل** بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ **يا ميكائيل**﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ **يا لومائيل** فِى تَضْلِيلٍ **ياميكائيل**﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ **يا لومائيل**﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ **يا عزرائيل يابدوح** مِّن سِجِّيلٍ **يا كشفائيل**﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ **يا عجمائيل** كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ **ياتنكفل ما معنا مطيعا انقضي حاجي**[2] **بحق** أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ[3].

وقال في سورة الإخلاص: قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ **يا جبرائيل**﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ **يا ميكائيل**﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ **يا إسرافيل**[4] وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ **يا رسائيل** ثم قال: والعمل الذي أعطاني السيد زين العابدين[5] في هذه السورة، أنه **إذا واجه الرجل أمرا صعبا**، فليقم في منتصف الليل وليغتسل، ثم يجلس على كرسي صغير من الخشب في أرض لا يكون عليها سقف، وليقرأ سورة الإخلاص مائة مرة مع الصلاة على

---

(١) يُنظر: كنـز الحسين تصنيف غلام حسين روال، بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص:٩٦.

(٢) هكذا وجدته في كتاب كنـز الحسين ولعل الصحيح من حيث اللغة: (اقض حاجتي) والله أعلم.

(٣) يُنظر: كنـز الحسين تصنيف غلام حسين روال، بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص:٧٩.

(٤) هنا حُذف جزء من الآية، ولا أظن أنه حذف خطأ؛ لأن بعض من يكتب الرقى يحذف جزء الآيـة، ويبدلّها بكلام من عنده كما فعل هنا، وفي رقية القرينة السنن والمبتدعات للشقيري ص: ٣٣٢.

(٥) لم أعرفه؟.

النبي مائة مرة قبلها وبعدها، ويقرأ الصلاة على النبي مع أسماء الموكلين على هذه الطريقة: **يا أحد يا صمد يا ملك عبد الصمد** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وفي اليوم الثاني يقوم بنفس العمل، **لكن يقرأ السورة والصلاة على الطريقة المذكورة مائتي مرة، وفي اليوم الثالث ثلاثمائة مرة، فتحل مشكلته، وإلا فليستمر لمدة تسعة أيام**، ثم أضاف قائلا: ولعل عبد الصمد اسم موكل فإن جاء فلا يخاف منه لأنه يكون مطيعا[(١)].

وقال غيره في تميمة زعمها نافعة للصداع: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[(٢)]، ﴿كهيعص ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[(٣)] عبد الله بن الزبير، أبو بكر،سليمان بن يسار، خارجة بن زيد، عروة، قاسم، سعيد بن المسيب **ععععع ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥** ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾.**و ٥ م س**، ثم رسم جدولين في أحدهما أعداد، وفي الثاني كلمة سحر ثمانية مرات، قال: يكتب هذا التعويذ ويعلق على الرأس، أو يوضع في العمامة أو القلنسوة[(٤)].

أما من أمثلة تحريفهم لكلام الله تعالى قول أحدهم: فإن كان يتقدم أمام ظالم، فليرقِ نفسه بالحصار الآتي سبع مرات، ثم يتقدم أمامه يكون هو تابعا له، والآية المكرمة

---

(١) يُنظر: كنـــز الحسين تصنيف غلام حسين روال، بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص: ٧٦. و فعل مثل هذا غيره فأدخل كلامه، أو أسماء الفقهاء السبعة، أو غيرهم أثناء الآيات القرآنية.ينظر على سبيل المثال: ((أعمال روحاني)) من إفادات شيخ عبد الحق باني دار العلـــوم حقانية أكوره ختك انتخاب وتأليف شوكت علي ص: ٧٨، و ص:٧٩، و ص: ٨٠.

(٢) سورة الأحزاب (٥٦).

(٣) سورة مريم (١-٤).

(٤) يُنظر: ((أعمال روحاني)) من إفادات شيخ عبد الحق باني دار العلوم حقانيـــة أكـــوره ختـــك انتخاب وتأليف شوكت علي ص: ٧٨، وقريبا منه ما فعل مع الآيات في ص:٧٩، و ص:٨٠.

هي: «**لا إله إلا هو الحي القيوم، يا لا إله إلا الأولين**» فما يقول ربط على لسانه، وضربت عليهم الذ[لة] وحصار موسى على صدره...[١].

وأما الأمثلة من تقديم وتأخير كلام الله فهي كثيرة جدا منها ما يفعلونه في سورة الفاتحة، أو سورة النصر، وآية الكرسي، أو غيرها من الآيات القرآنية، فيرسمون جدولا فيه عدة خانات، فيكتبون في كل خانة من خانات الجدول كلمة من كلمات السورة أو الآية، وقبل أن ينتهي من السورة كلها أو الآية كلها يبدأ مرة أخرى بكتابة الكلمات مع ترك أول الآية وهكذا[٢]....

وأحيانا يكتبون عدة آيات مختلطة مع بعضها في جدول، كل آية في سطر، مع تقطيعها، وكتابة بعضها وترك بعضها، بالإضافة إلى تقديم وتأخير[٣].

وأحيانا يكتبون في الجدول **ناد عليّاً مظهر العجائب، تجده عونا لك في النوائب، كل هم وغم سينجلي بنبوتك يا محمد، بولايتك يا علي يا علي**[٤]، وللتوضيح انظر ما يلي:

ناد	عليا	مظهر	العجائب	تجده	عونا	لك	في النوائب	كل
عليا	مظهر	العجائب	تجده	عونا	لك	في النوائب	كل	هم
مظهر	العجائب	تجده	عونا	لك	في النوائب	كل	هم	وغم
العجائب	تجده	عونا	لك	في النوائب	كل	هم	وغم	سينجلي
تجده	عونا	لك	في النوائب	كل	هم	وغم	سينجلي	بنبوتك
عونا	لك	في النوائب	كل	هم	وغم	سينجلي	بنبوتك	يا محمد
لك	في النوائب	كل	هم	وغم	سينجلي	بنبوتك	يا محمد	بولايتك
في لنوائب	كل	هم	وغم	سينجلي	بنبوتك	يا محمد	بولايتك	يا علي
كل	هم	وغم	سينجلي	بنبوتك	يا محمد	بولايتك	يا علي	يا علي

---

(١) يُنظر: كنز الحسين تصنيف غلام حسين روال، بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص:٩٥.

(٢) يُنظر: كنز الحسين تصنيف غلام حسين روال، بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ص:٨٩، وفي ص:٩٠سورة الفاتحة، وفي ص: ١٢٧ آية الكرسي ، وفي ص: ١٣٠سورة الإخلاص، بهذا الشكل، مثله في كتاب «دم درهه» لفقير محمد عباس قادرية كتب سورة المسد بهذا الشكل ينظر ص: ١٢٧، وفي ص:١٢٩ كتب الآية الأولى من سورة الفتح بهذا الشكل، و في مخزن الحسنات لفقير محمد عباس قادرية ص: ٩٦، وص: ١١٠، وص:١١٢، وغيرها كتب سورة الإخلاص، وكلمة التوحيد، وبعض الآيات الأخرى بهذا الشكل.

(٣) يُنظر: شمس المعارف للبوني بترجمة گل رحمن گل السواتي إلى اللغة البشتو ١/٤٥٥-٤٥٦.

(٤) يُنظر: التعويذات السليماني بترجمة فقير محمد عباس قادرية ص: ٦٧.

وأحيانا يكتبون هذا مع كتابة **يا علي يا محمد**، أو اسم **فاطمة الزهراء** على صفة خاصة، أو يكتبون «**بحق أربعة عشر معصوما**»، أو مشايخ الطرق الصوفية **كالجيلاني** وغيره[1].

وهذا كله يدل على أن التمائم تكثر لدى الرافضة والصوفية، وهم الذين نشروها بين الشعوب الإسلامية.

وأحيانا يكتبون وسط خانات الجدول، أو بدون جدول، أسماء الكفار والشياطين: كفرعون، هامان إبليس، ونحو ذلك[2].

ومن ذلك ما ادعوه تميمة المحبة (وهي التِّوَلَة): «**عزمت عليكم يا معشر الأرواح، وصاحب الشر الوسواس، الذي جنود إبليس، خاتم سليمان بن داود** عليه السلام، **وبحق هارون ومارون، هو كذكر العالمين فلان ابن فلان على حب فلان بن فلان دائما أبدا...**»[3].

وأما ما يكتبون من الحروف الأبجدية، والأعداد الرقمية، ويزعمون أنها خلاصة السورة الفلانية، أو«**نقش له**[4]» ؛ فتجد ذلك في كل كتاب من كتب التمائم، ومن أمثلتها ما قالوه في سورة **يس**: (إن من يحفظ معه نقش سورة يس فلا يواجه المشاكل، وإن واجهته فسرعان ما تُدفع عنه، وإن كانت حافظة النقش امرأة عاقرا فسيولد لها ولد، ولا يؤثر على

---

(١) يُنظر: كنز الحسين لغلام حسين ص: ١٥٠، ص: ٢٩، ص: ٣٥، ص: ١٤٢، وص: ١٨٧، و«دمونه او تعويذونه» لأشرف علي التهانوي بترجمة سيف الحنان موسى زئي ص: ٣٤، والتحفة الصندلية لسيد محمود الصندلي ص: ٧٠، وما بعدها.

(٢) يُنظر: كنز الحسين لغلام حسين السواتي ص:١٩٥، والتعويذات السليماني لفقير محمد عباس قادرية ص:٦٣.

(٣) يُنظر: كنز الحسين لغلام حسين بترجمة كل رحمن كل السواتي ص: ٧٢.

(٤) لعلهم يقصدون بنقش السورة: صورتها أو خلاصتها.والله أعلم

حافظ النقش السحر، وسيكون عدوه وليّا له، والنقش هو هذا): (١)

٥٥٣٥٢	٥٥٣٥٥	٥٥٣٥٩	٥٥٣٤٥
٥٥٣٥٨	٥٥٣٤٦	٥٥٣٥١	٥٥٣٥٦
٥٥٣٤٧	٥٥٣٦١	٥٥٣٥٣	٥٥٣٥٠
٥٥٣٥٤	٥٥٣٤٩	٥٥٣٤٨	٥٥٣٦٠

وما يكتبون من الحروف فهي قد تكون من **الحروف المقطعة** التي في بداية بعض السور القرآنية، ومنها **الحروف المجردة**، وهي كثيرة جدا، الله أعلم بمرادهم بها، ومن أمثلة ذلك:

زعم البعض أن من كتب تميمة **بالحروف المقطعة** فيأمن من الخوف، ويكون ذا عزة ومنصب عند الحاكم، وتُقضى حوائجه، ويتخلص من القهر، والعطش، والجن، ويُقوّى حافظته والحروف هي: **الم، المص، المر، الر، كهيعص، طه، طس، يس، ص، عسق، .ق**، ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ ﴾ (٢).

وقد يخلطون بين الحروف المقطعة وغيرها، أو يجمعون بين الحروف والأعداد الحسابية(٣).

وبعضهم يكتبون هذه الحروف والأرقام، وينظرون في النجوم والكواكب، على أن لهذه النجوم والكواكب تأثيرات وخاصيات وترتيبات خاصة، فيتوجهون إليهم في مطالع هذه النجوم والكواكب ومنها الشمس والقمر، ويفعلون أمورا وطقوسات خاصة، وفي الحقيقة يعبدونها، أو يعبدون الشياطين في هذه الأوقات، بقصد مساعدتهم في أمورهم(٤).

وبعضهم يحاولون معرفة علم الغيب، والأمور المستقبلية، والحظوظ الإنسانية، وغيرها وزعموا أن من فعل العمل الفلاني أو كتب التميمة الفلانية، في وقت كذا

---

(١) يُنظر: التعويذات السليماني بترجمة فقير محمد عباس قادرية ص٤٣، ومثله في آية الكرسي يُنظر: «كمالات عزيزي» لظهير الدين ولي اللهي بالأردية ص: ١٢٣، وبترجمة الصديقي إلى البشتو ص: ١٣٣.

(٢) يُنظر: «دمونه أو تعويذونه» تصنيف أشرف علي التهانوي ، بترجمة سيف الحنان موسى زئي ص:٥١ .

(٣) يُنظر: شمس المعارف للبوني بترجمة السواتي١/ ٤٤٨، و٤٥١، و٤٥٣.وغيرها.

(٤) يُنظر: على سبيل المثال كنز الحسين لغلام حسين بترجمة السواتي ص: ٢١٩، وما بعدها، شمس المعارف للبوني بترجمة السواتي ١/ ٧١ وما بعدها.

وبترتيب كذا فسيعلم الغيب، أو يعرف حضه، أو يعرف السارق، أو ونحو ذلك من الأمور التي لا يعلمها إلا الله ﷻ[1].

أو يكتبون التمائم لتحبب المرأة إلى زوجها، أو يفرق بينهما، أو ليجعل المحبة بين العدوّين، أو ليجمع بين العاشق ومعشوقته، ونحو ذلك من الأمور التي حرمها الشرع[2].

وبعضهم يقرؤون بعض الكلمات ثم **ينفثون في خيوط وعند النفث يعقدون عُقدا** ثم يأمرون بتعليق هذا الخيط في اليد أو الرجل أو العنق، أو الوسط[3].

وهذه بعض النماذج من انحرافات الذين يكتبون التمائم، ويأمرون بتعليقها، أو دفنها في مكان معين، أو إحراقها بصفة خاصة، أو ينقشون الطلاسم في الخاتم، ويأمرون بلبسها في الأصبع المعين، ونحو ذلك، ومن يطلع على بعض كتبهم فسيجد الغرائب والعجائب الكثيرة.

---

(١) يُنظر: على سبيل المثال كنز الحسين لغلام حسين بترجمة السواتي ص:١٥٢، ١٥٥، ٢٤٥، وبياض السليماني لصوفي محمد نديم ص: ١٩٩، وص: ٢٢٨ وغيرها، ودمونه او تعويذونه لأشرف على التهانوي بترجمة سيف الحنان موسى زئي ص: ١١٢، وص ١٣٢ غيرها، وكمالات عزيزي لظهير الدين ولي اللهي ص:١٩٥، وغيرها.

(٢) يُنظر: على سبيل المثال كنز الحسين لغلام حسين بترجمة السواتي ص:٦٢، ٦٨، ٩١، ١٢٢، وغيرها، وبياض السليماني لصوفي محمد نديم ص:١٠٣، و٢٠٢ وغيرها، وكمالات عزيزي لظهير الدين ولي اللهي ص: ١٩٨، ص: ٢٠٩، وغيرها، ومخزن الحسنات لفقير محمد عباس قادرية ص: ١١٧-١١٩، وغيرها.

(٣) يُنظر: على سبيل المثال كنز الحسين لغلام حسين بترجمة السواتي ص: ٤٧، وص:٩٨.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بالتمائم.

قد سبق وأن عرفنا أن التمائم ليست نوعا واحدا، فلا يحكم بجميعها حكما واحدا، فما كان منها من القرآن الكريم، أو فيها ذكر الله بأسمائه وصفاته؛ فهذا ليس بشرك، وفي تعليقها اختلفت أقوال السلف، وأرجحها عدم الجواز، وقد تقدم تفصيل هذا في المبحث الأول.

وأما التمائم التي ليست من القرآن الكريم ، أو ليس فيها ذكر الله ﷻ فالجميع متفقون على عدم جوازها لعموم قول النبي ﷺ «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[1].ولقوله ﷺ: «**من علّق تميمةً؛ فقد أشرك**»[2].وقوله ﷺ: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة**[3] **فلا ودع الله**[4] **له**»[5].

وأما ما نسبهُ المخالف إلى النبي ﷺ أنه أمر عليا رضي الله عنه أن يكتب حرزا لأبي دجانة رضي الله عنه فكلام باطل؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه أمر أحدا أن يكتب التمائم لأحد من الناس، والحرز المنسوب إلى أبي دجانة رضي الله عنه، يروى بطريقين:

١- رواية البيهقي بسنده إلى أبي دجانه رضي الله عنه أنه شكى إلى النبي ﷺ ....

٢- رواية ابن الجوزي بسنده إلى موسى الأنصاري أن أبا دجانة شكى إلى رسول الله...

---

(١) تقدم تخريجه في فصل الرقي ص:٥٦١.

(٢) تقدم تخريجه في ص: ٧٢٧.

(٣) **الوَدَعةُ:** شيء أبيض يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وإنما نهى عنها؛ لأنهم كانوا يعلّقونها مخافة العين. النهاية لابن الأثير ٢/٨٣٦.

(٤) قوله لا ودع الله له: أي لا جعله الله في دَعَةٍ وسكون، وقيل هو لفظ مبني من الوَدَعة: أي لا خفَّفَ الله عنه ما يخافه. النهاية لابن الأثير ٢/٨٣٦.

(٥) رواه أحمد ٤/١٥٤ (ح١٧٤٤٠) وأبو يعلى٣/٢٩٥ (ح١٧٥٩) والطبراني في الكبير ١٧/٢٩٧ (ح٨٢٠) وابن حبان ١٣/٤٥٠ (ح٦٠٨٦)، وقال الهيثمي -رحمه الله-: رجالهم ثقات.يُنظر: مجمع الزوائد باب من يعلق تميمة٥/ ١٧٥.

ولكن الحديث بكلا السندين موضوع مختلق، ولا يوجد في الصحابة من اسمه موسى والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأعقبه بقوله: ((موضوع وإسناده مقطوع، وأكثر رجاله مجاهيل))[1].

وذكره أيضا السيوطي -رحمه الله- في الآلي المصنوعة وقال:((حديث موضوع بلا شك))[2].

وقال الصغاني -رحمه الله-: ((حرز أبي دجانة واسمه سماك بن خرشة، موضوع))[3].

وقال الذهبي -رحمه الله-: ((حرز أبي دجانة شيء لم يصح، ما أدري من وضعه؟))[4].

وقال البيهقي -رحمه الله-: ((وقد رُوِي في حرز أبي دجانة حديث طويل، وهو موضوع لا تحل روايته))[5].

وقال ابن عبد البر وابن الأثير -رحمهما الله-: وإسناد حديث أبي دجانة في الحرز المنسوب إليه ضعيف[6]، والصحيح أن روايتي البيهقي وابن الجوزي موضوعتان قطعا[7].

والحديث الموضوع لا يصح الاستدلال به، ولا روايته إلا لبيان وضعه، والتحذير منه[8].

(١) الموضوعات لابن الجوزي ٤٢٦/٣(١٦٦٠).

(٢) الآلي المصنوعة للسيوطي ٣٤٧/٢.

(٣) موضوعات الصغاني ص: ٢٩(١٣).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي٢٤٥/١(٣٩) في ترجمة أبي دجانة الأنصاري.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي جُمّاع أبواب كيفية نزول الوحي، حرز أبي دجانة ١١٨/٧.

(٦) يُنظر: الاستيعاب لابن عبد البر٦٥٢/٢، وأسد الغابة لأبن الأثير٥٥١/٢ في ترجمة أبي دجانة ﷺ.

(٧) يُنظر: الأحاديث الموضوعة التي تنافي توحيد العبادة لأسامة بن عطاء عثمان ٣٨٧/٢(١٨٤)، وتنـزيه الشريعة لابن عراق الكناني بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق ٣٢٥/٢(٥١)الحاشية رقم (١)، والموضوعات لابن الجوزي بتحقيق الدكتور نور الدين جيلار٤٢٦/٣ حاشية(٣).

(٨) الحديث الموضوع وحكم الاحتجاج به للحضير ص: ١٤٧.

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو امتهان الآيات القرآنية وذلـــك بكتابتـــها على النجاسات، وتعليقها على الحائض، والجنب، والدواب.

القرآن الكريم كلام الله ﷻ أنزله على نبينا محمد ﷺ؛ فيجب احترامه وتوقيره، وقد صرح العلماء على أنه لا يجوز للجنب والحائض أن يكتب شيئا من القرآن[1] مع أنه قد جاء التصريح بأن المسلم لا ينجس، وأن الحيضة ليست في يد الحائض[2]؛ فكيف يجوز كتابة القرآن وهو كلام الله تعالى على البول، ودم الحيض، والرعاف، وعلى جلد الميتة!!.

حتى قال بعض المفسرين في شأن المصحف:«**لا يقلب أوراقه بأصبع عليها بزاق ينفصل منه شيء، فقد قيل: بكفر من يفعل ذلك**»[3]، فما بالك بالذي يجوِّز كتابة القرآن بالنجاسات كالدم المسفوح، أو البول، أو رعاف، أو جلد الميتة، ونحوها مما ذكرها المخالف وقال بجواز كتابة التميمة عليها، أو كتابة القرآن بهذه النجاسات على جبين المريض، وقد تقدم نصوص كلامهم في المبحث الثاني يراجع نصوصهم.

---

(١) يُنظر: الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري للحداد الحنفي (مطلب ما يحـرم في الحـيض)١/ ١٨٩، ومجمع الأنهر لشيخي زادة ٤٣/١ (كتاب الطهارة) والتبيـــان في آداب حملـة القـرآن للنووي ص:١٩٠.

(٢) جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنه لَقِيَ النبيَّ ﷺ فى طريق من طرق المدينة، وهو جنب، فانسل؛ فذهب؛ فاغتسل فتفقده النبيُّ ﷺ فلما جاءه قال: «أين كنت يا أبا هريرة».قال يا رسول الله! لقيتني وأنا جنب، فكرهت أن أجالسك حتى أغتسل. فقال رسول الله ﷺ: «**ســبحان الله إن المؤمن لا ينجس**» ينظر: صحيح البخاري مع الفتح لابن حجر كتاب الغسل، بـاب عـرق الجنب ، وأن المسلم لا ينجس٥٠٥/١(ح٢٨٣)، وصحيح مسلم مع شرحه للنـووي كتـاب الحيض، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس٢٨٨/٣ (ح٨٢٢).وكما صرح بالثاني في حديث أم المؤمنين عائشة_ رضي الله عنها- حيث قالت: قال لى رسول الله ﷺ :« **ناوليني الخُمْرَة من المسجد** ». قالت: فقلت: إني حائض. فقال « **إنّ حيضتك ليست فى يدك** ». ينظر: مـسلم مع شرحه للنووي كتاب الحيض، باب تناوله الحائض الخمرة والثوب٢٠٠/٣(ح٦٨٧).

(٣) روح المعاني للألوسي ٢٣٧/١٥ عند تفسير الآية(٧٩) من سورة الواقعة.

وقد صرح العلماء بتحريم كتابة القرآن بشيء نجس، وكذلك ذكر الله تعالى[١].

وفي كشاف القناع: (**ويحرم أن يكتب القرآن**) وأن يكتب (**ذكر الله بشيء نجس أو عليه**) أي : على شيء نجس (**أو فيه**) أي: في شيء نجس (**فإن كتب**) أي: القرآن وذكر الله (**به**) أي: بالنجس (**أو عليه أو فيه أو تنجس، وجب**) عليه غسله...وقال:**إن قُصِد بِكَتْبِهِ بنجس إهانته فالواجب قتله**[٢].

وقال النووي -رحمه الله-: «الأفعال الموجبة للكفر هي التي تصدر عن تعمد واستهزاء بالدين صريح كإلقاء المصحف في القاذورات»[٣].وخرج بالتعمد السهو والغفلة والنوم، وبالاستهزاء نحو الإكراه أو الخوف، وإلقاء المصحف سواء كان بالفعل أو بالعزم، والتردد فيه، ومسه بها كإلقائه فيها، والمراد بالمصحف ما فيه قرآن، ومثله الحديث وكل علم شرعي، أو ما عليه اسم معظم، ولا بد في غير القرآن من قرينة تدل على الإهانة، وإلا فلا[٤]، وتشمل القاذورة كل ما يستقذر، وإن كان طاهرا كالبصاق والمخاط والمنيّ[٥].

وقال -رحمه الله-: أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه، قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القاذورة -والعياذ بالله تعالى- صار الملقي كافرا»[٦].

وقال ابن الهمام: «تكره كتابة القرآن وأسماء الله تعالى على الدراهم والمحاريب والجدران وما يفرش...»[٧] وما ذاك إلا لاحترامه، وخشية وطئه ونحوه مما فيه إهانة فالمنع

---

(١) يُنظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤٧٩/١، والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص:١٩٠.

(٢)كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ٣٨٧/١.

(٣) روضة الطالبين للنووي كتاب الردة ٦٤/١٠.

(٤) ومعنى كلامه لا يشترط وجود قرينة تدل على استخفاف القرآن، وغير القرآن يحتاج إلى القرينة، لأن غير القرآن ليس كالقرآن في التعظيم.

(٥) يُنظر: حاشيتا القليوبي وعميرة كتاب الردة ٢٦٩/٤(بتصرف).

(٦) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص: ١٩٠.

(٧) فتح القدير لابن الهمام باب الحيض والاستحاضة ١٦٩/١، وينظر: رد المحتار لابن عابدين ١٩٣/١(آخر سنن الغسل).

هنا بالأولى[١]، فإذا منع كتابة الآيات على الجدران والمحاريب، والدراهم وما يفرش خوفا من وطئها وإهانتها، فهل يعقل أن يجوز كتابتها على البول أو الدم المسفوح، أو رعاف أو على جلد الميتة؟!؟!.

وقد عد العلماء استهانة القرآن من نواقض الإيمان العملية وقالوا: «الاستهانة بالمصحف تناقض هذا الإيمان، وتنافيه بالكلية، والمقصود بالاستهانة -هاهنا- الاستخفاف والاستهزاء والاحتقار. والاستهانة بالمصحف قد تكون أقوالاً، وقد تكون أعمالاً» [٢].

وكتابة القرآن بالنجاسات كالبول والدم المسفوح أو على النجاسات كجلد الميتة ونحوها من أعلى درجات الامتهان والاستخفاف به.والعياذ بالله.

وأما ما زعمه من أنه إن لم يحصل الشفاء إلا أن يكتب القرآن بالبول أو الرعاف أو دم الديك، أو على جلد الميتة، ونحو ذلك وكان يعلم أن في ذلك شفاء جاز الكتابة!!

فهذا زعم باطل: لأن الله لم يجعل شفاء المرضى في إهانة القرآن الكريم، بل إهانة القرآن والاستهزاء به كفر، وهو أم البلاء والشقاء، وسبب لغضب الله وعذابه، وشدة عقابه، قال الله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[٣]، وإهانة القرآن وإلقاءه في القاذورات، أو تلطيخه بالنجاسات كفر، كما تقدم في نصوص العلماء آنفا.

ويقال أيضا: إن هذا الذي تسبب في الإيذاء والمرض قد يكون شيطانا، كما قال ابن مسعود لزوجته لما قالت زوجته: «لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقاني سكنت، فقال عبد الله: **إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده؛ فإذا رقاها كَفّ عنها**»[٤].

---

(١) يُنظر: رد المحتار لابن عابدين آخر كتاب الجنائز٢/٢٦٧، وينظر: البحر الرائق لابن نجيم ١/٢١١.

(٢) نواقض الإيمان العملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف ص:٣٩٢.

(٣) سورة البقرة (٦١).

(٤) تقدم الحديث بكامله في فصل الرقى يراجع ص:٥٨٩.

فبناءا عليه يمكن أن نقول هنا أيضا: إنما هذا عمل الشيطان، كان ينخسها بيده؛ فإذا كتب العبد القرآن بالنجاسة فقد كفر، فيكف الشيطان عنه، لأنه بكفره يكون وليه، وهو لا يرضى من العبد إلا بالكفر، فإذا كفر كف عنه. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴾[2] هذا من جهة.

ومن جهة أخرى مسألة التداوي بالحرام مسألة تكلم فيها العلماء، وأن الله لم يجعل الشفاء في الحرام، ومن المتفق عليه أن إهانة القرآن الكريم حرام قطعا بلا شك.

ومن يكتب القرآن كله بحروف صغيرة في أوراق صغيرة، ويضعها في صندوق صغير، ويعلّقها على الصبي، وهذا مع أنه محدث، فهو إهانة للقرآن الكريم، لأن هذا الصبي سوف يسيل عليه لعابه، وربما يتلوث بالنجاسة، ويدخل به الحمام والأماكن القذرة، وهذا كله إهانة للقرآن[3].

وكان إبراهيم النخعي -رحمه الله- يكره التمائم والتعاويذ من القرآن للصبيان، وكان يقول: «**إنهم يدخلون بها إلى الخلاء**»[4].

وكذا لا يجوز تعليق التمائم على الجنب والحيض لأن التمائم والتعاويذ إن كانت من غير القرآن فلا تجوز باتفاق العلماء، لأن في التعويذ والتميمة عوذ ولوذ -كما تقدم في معناهما- ولا يجوز العوذ واللوذ بغير الله ﷻ وأسمائه صفاته.

وإن كانت التمائم من القرآن فلا يجوز أيضا تعليقها على الجنب والحيض، لما في ذلك تعريض القرآن للاستهانة والاستخفاف به.

---

(١) سورة الأعراف (٢٧).

(٢) سورة مريم (٨٣-٨٥)

(٣) يُنظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٧١/٩ عند شرحه لمعنى التمائم.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة١٢/٤٤(٢٣٩٤٢).

وهكذا لا يجوز تعليق التمائم والتعاويذ على الدواب والحيوانات للعلتين السابقتين، وإضافة إلى ذلك لم يثبت هذا العمل من أحد في خير القرون مع وجود المقتضي -وهو امتلاكهم الدواب والحيوانات وحاجتهم إلى حرزهم من العين والشرور والآفات- فإذا لم يفعلوا مع وجود المقتضي دل أن هذا العمل من الأعمال البدعية المحرمة إن كانت التميمة والتعاويذ من القرآن الكريم وذكر الله تعالى، و إن لم تكن من القرآن الكريم، أو لم تكن في التميمة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى؛ فهذا العمل من البدع الشركية المحرمة.

موقف الإسلام من الانحراف الثالث:وهو التعوّذ والاستغاثة والقسم بغير الله تعالى في التمائم.

تقدم أن الحلف والاستغاثة لا تجوزان بغير الله عز وجل فلا نريد تكرار ذلك، ومثلهما العوذ واللوذ في الحكم الشرعي؛ فلا يجوز لأحد أن يلوذ أو يعوذ بغير الله وأسمائه وصفاته تعالى، والله تعالى أمر عباده أن يخصّوه بالعوذ حيث قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [1].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [4]، و الآيات في هذا المعنى كثيرة كلها تدل على أن الاستعاذة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

ولذا نجد في أدعية النبي ﷺ أنه كان يستعيذ بالله وحده، وكان يأمر أصحابه أن يستعيذوا به تعالى، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم**

(١) سورة المؤمنون (٩٧).

(٢) سورة الفلق (١-٢).

(٣) سورة الناس (١-٤).

(٤) سورة الأعراف (٢٠٠).

والمغرم»[(١)]، وفي رواية: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال**»[(٢)].

وقوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «**يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولْيَنْتَهِ**»[(٣)].

وقول المخالف: **التعويذ من العوذ، وهو أن يَسْتَتِر بشيء ويجوز لأحد أن يتعوذ بشيء من دون الله، كالتعوذ بالأشجار، والأحجار**-كما تقدم كلامه في بيان الانحرافات- فهذه مغالطة، يريد بها ترويج تمائمه بين الناس؛ لأن التستر بالشجر والحجر، وسقف البيت ونحو ذلك من حرارة الشمس، والمطر والهواء ونحوها، تستر حسي وهو جائز بكل ما يمكن أن يحفظه مما يتضرر منه قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتًا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾[(٤)]، فالتستر من البرد والحر، والشمس والمطر، بما خلق الله لعبادة من الأشياء المحسوسة أمر مستحسن، والله ﷻ يَمُنُّ على عباده بأن خلق لهم ما يقيهم من الحر والبرد، ويقيهم من البأس.

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام٢/٤١٠(ح٨٣٢)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٥/٨٩(ح١٣٢٥).

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٥/٨٩ (١٣٢٦).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ٦/٤٠٤(ح٣٢٧٦)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان، باب في الأمر بالإيمان والاستعاذة عند وسوسة الشيطان٢/٣٣٤ (ح٣٤٣).

(٤) سورة النحل (٨١).

وأما التستر المعنوي وهو الاستعاذة، فلم تجزها الشريعة إذا كانت بغير الله ﷻ وأسمائه وصفاته، ومن يعوذ أو يلوذ بغير الله؛ فهو مشرك، لأن الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، ويكون العياذ لدفع الشر واللياذ لطلب الخير، فالاستعاذة من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]وأمثال ذلك في القرآن كثير كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[2]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ﴾ ٱلنَّاسِ[3]، فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك في العبادة؛ فمن صرف شيئا من هذه العبادات لغير الله فقد جعله شريكا لله في عبادته، وجعله منازع الرب في إلهيته، كما أن من يصلّى لله، وصلّى لغيره؛ يكون عابدا لغير الله. كذلك في الاستعاذة ولا فرق، إلا أن المخلوق يطلب منه ما يقدر عليه، ويستعاذ به كالأمور الحسية، بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستعاذ فيه إلا بالله كالدعاء، فإن الاستعاذة من أنواع الدعاء[4].

وقد أجمع العلماء على عدم جواز الاستعاذة بغير الله[5]، فقول المخالف: **يجوز لأحد أن يتعوذ بشيء من دون الله،** مخالف لإجماع علماء الأمة.

وتقدم في معنى التمائم أن فيها التعوذ، فمن علّق التمائم؛ فقد استعاذ بها، ولذلك البعض يعبرون عن التمائم بالتعاويذ، فمن علق التمائم التي فيها أسماء الفقهاء السبعة، أو أسماء أهل الكهف وكلبهم، أو غيرهم من الأولياء أو الأنبياء أو الملائكة فقد تعوذ بالمخلوق، ولا يجوز التعوذ بالمخلوق بإجماع علماء الأمة المحمدية.

ولا يقال: إن أسماء أهل الكهف تنفع في كذا وكذا، أو جُرِّب أن من كتب أسماء الفقهاء السبعة، ثم دفنها في مزرعته؛ حفظت تلك المزرعة من أكل الديدان،

---

(١) سورة الأعراف (٢٠٠)

(٢) سورة الفلق (١).

(٣) سورة الناس (١).

(٤) يُنظر: فتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص:١٤٥، وتيسر العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ١٦٦(ملخصا).

(٥) تيسر العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص:١٦٧، وفتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص: ١٤٥.

والحشرات...لأن حصول منفعة دنيوية في بعض الأحيان في بعض الأشياء لا يدل على جواز ذلك الشيء شرعا، كالمال المسروق قد يستفيد منه السارق، وهذا لا يدل على جواز السرقة، أو أن الزاني يستمتع بالزنا، واستمتاعه هذا لا يدل على جواز الزنا، كذلك قد يحصل عند تعليق التمائم الشركية ما يظن بها، أنها نفعت في التحصين.

فالتمائم التي ليست من القرآن لا يجوز تعليقها لا سيما إذا كان فيه حروف لا يعرف معناها، فإنها قد تكون أسماء للشياطين، أو طلاسم سحرية، ولو حصل الشفاء عند استعمالها، فإنه لم يحصل بها؛ لأنها ليست بسبب محسوس، و لم يقم دليل على أنها سبب شرعي، ولربما هو ابتلاء من الله ﷻ؛ لأن الله تعالى قد يبتلي العبد ويفتنه؛ فقد يحصل مرادُه بوسيلة محرمة؛ فليكن العاقل على حذر من هذه الأشياء، وليكن مستعينا بالله ﷻ متوكلا عليه.

ومن جهة أخرى الشياطين قد لا يتسببون في الشر إذا استعيذ بغير الله، ليتمادى المستعيذ بغير الله في غيه، وقد تقوم الشياطين الجن ببعض خدمات الإنس إذا استغيث أو استعيذ بغير الله ﷻ، وهو مصداق قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾(1).

قال القرطبي –رحمه الله– في تفسير الآية: « قيل: كان الرجل إذا مرّ بواد في سفره وخاف على نفسه قال: **أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر**، وفي التنـــزيل﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (2) فهذا استمتاع الإنس بالجن، وأما استمتاع الجن بالإنس فما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف(3) والكهانة، والسحر»(4).

---

(١) سورة الأنعام (١٢٨).

(٢) سورة الجن (٦).

(٣) **الأراجيف**: جمع الإرجاف وهو: إيقاع الرجفة إما بالفعل وإما بالقول، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الأحزاب:٦٠] والمرجفون: هم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس، ويقال: الأراجيف ملاقيح الفتن.يُنظر: المفردات للراغب ص:٣٤٤، وتاج العروس للزبيدي ٢٢٢/١٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧/٩-٢٨.

فاستمتاع الإنس بالجن ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم، واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي(١).

فكون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك (٢).

وأما ما ذكر المخالف بعض الأسماء وزعم أنها أسماء الله أو الملائكة، أو أنها أسماء موكلي الحروف الهجائية، أو أنها أسماء موكلي أسماء الله ونحو ذلك من الخرافات التي تقدم بيانها في ذكر الانحرافات، فهذا كله من القول في دين الله بلا علم، ولم ينـزل به من سلطان، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ (٣).

وكيف يكون لأحد علم بالأمور الغيبية كأسماء الملائكة ونحوها، ولم ينـزل علام الغيوب في كتابه من بيان ذلك شيئا، ولا بيّنه الرسول الذي ما هو على الغيب بضنين، ومن المتفق عليه بين المسلمين أن الأمور الغيبية لا مجال للعقل فيها، ولا يُتكلم فيها بالظن، والمرء يتعجب من القواعد التي يؤسسونها كقولهم: **إن العقائد لا يستدل فيها بأخبار الآحاد لأنها ظنية، ولا تثبت العقائد بالظن**(٤)، ثم يخالفونها؛ فتجدهم لا يستدل بالدليل أصلا -لا القطعي ولا الظني- بل يتكلم في الأمور الغيبية بلا دليل.

ولا يخلوا إثباتهم لهذه الأسماء من ثلاث حالات:

---

(١) معالم التنـزيل للبغوي ١٨٨/٣عند تفسير هذه الآية.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب مع فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص: ١٤٨، وتيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص: ١٦٨.

(٣) سورة الإسراء (٣٦).

(٤) القول بأن أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن، قول باطل، كما أن قولهم:إن العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد باطل، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان أرسل أحاد الصحابة إلى اليمن وغيرها، أوصاه أن أول ما يدعوهم هو شهادة أن لا إله إلا الله...التي هي أصل العقائد، وأصل دين الإسلام كله.

الأولى: أن يكون من وحي الشيطان لهم، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ (٣).

الثانية: أن يكون قد أخذوها من الذين أخذوا السحر عن الشياطين، وتعلموها منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنها من القرآن أو السنة، أو أسماء الله تعالى، وأنهم إنما غيروا ألفاظه وترجموها بغير العربية، لمقاصد لا تتم بزعمهم إلا بذلك.

الثالثة: أن يكون الكاتبون لهذه الأسماء مِنْ عباد الملائكة أو الشياطين ونحوهم؛ فيأخذون أسماءهم ويقولون للجهال: هي أسماء الله؛ فيدعونهم من دون الله، وهذه مكيدة لم يقدر عليها إبليس إلا بواسطة هؤلاء المضلين(٤).

قال الإمام مالك -رحمه الله-: «الأسماء التي يكتبها السحرة في التمائم أسماء الأصنام»(٥).

وعلى كل حال لا يجوز أن يقول أحد أو يكتب في الورقة: **أقسمت عليكم يا برهيا، يا عنصائيل، يا صدعائيل، يا همكيائيل بحق يا همكيائيل بحق٢٠٠٥١١٠٠ يا بدوح...** ونحوها من الطلاسم كما تقدم في بيان الانحرافات؛ لأن هذه الأسماء ليست من أسماء الله تعالى، ولم ينزلها الله في كتابه، ولا علمها النبي ﷺ لأحد من أصحابه، ولا يجوز أن يثبت لله إلا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له نبيه صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم. هذا من جهة.

---

(١) سورة الأنعام (١١٢).

(٢) سورة الأنعام (١٢١).

(٣) سورة الشعراء (٢٢١-٢٢٣).

(٤) يُنظر: معارج القبول للحكمي١/٤٠٧.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور١/٦٣٧، عند تفسير الآية (١٠٢) من سورة البقرة، وجهود المالكية في تقرير توحيد العبادة للعرفج ص:٤٩٠.

ومن جهة أخرى في هذه التمائم حلف بالمخلوق، واستغاثات بغير الله، وبما لا يعرف معناها ولا مدلوها، بل فيها توسل بمخلوق إلى مخلوق، وأعداد لا يعرف مرادها فهي ظلمات بعضها فوق بعض، ويكفي في تحريم ذلك واحد منها، فكيف إذا اجتمع بعضها إلى بعض.

وأما وما ذكره المخالف من القسم بالمخلوق، كقوله: رجل يمسه: **عزمت عليكم، وأقسمت عليكم، يا عبد الصمد، يا عبد الواحد،** احضر بسرعة، **الشيخ المرشد محي الدين قدس سره**...وقوله: **أقسمت عليكم يا جبرائيل،** بحق أجهرط[1]، **أقسمت عليكم يا دردائيل،** أو قوله: **أقسمت عليكم يا ميكائيل** بحق أجهرط، **أقسمت عليكم يا رفتمائيل،**أو قوله: **عزمت عليكم وأقسمت عليكم يا برهيا، يا عنصائيل....**

والاعتكاف أربعين يوما، وإحراق شيء في وقت قراءة أعمالهم السحرية **كإحراق العنبر، أو غيره من البخور، وتقديم النذر في اليوم الأربعين لأرواح ما زعموه موكلين،** كل هذه الأمور أعني القسم، والاستعانة، والاعتكاف، والنذر **عبادات** يصرفها هؤلاء لمعبوديهم من دون الله، وصرف العبادة لغير الله ﷻ شرك عظيم.

ويضاف إلى ذلك أن في عَمَلِهم هذا توسل بمخلوق إلى دعاء المخلوق، والتوسل بذات المخلوق أو حقه لا يجوز في دعاء الله وحده، ومن يتوسل بالمخلوق في دعاء غير الله والاستغاثة به، فقد جمع بين المحظورين.

وقد سبق بيان تحريم الرقية التي لا يعرف معناها، كذلك لا يجوز تعليق التمائم التي لا يعلم معناها، كالحروف المقطعة وغيرها ، والأرقام المفردة والمركبة وغيرها، أو النداءات بأسماء وأشياء لا يعرف مدلوها؛ حيث يخشى أن يكون فيها من الشرك أو الكفر.

وسئل العز بن عبد السلام -رحمه الله- عمن يكتب حروفا مجهولة المعنى للأمراض فتنجح وتشفى! هل يجوز كتابتها؟ فأفتى بعدم جواز ما جهل معناه[2].

---

(١) لم أعرف مدلول هذه الكلمة، وهم يكررونها كثيرا.

(٢) يُنظر: فتاوى العز بن عبد السلام ص:١٦٨-١٦٩ مسألة (١١٧).

وقال ابن رشد -رحمه الله- في التمائم التي تكون بغير ذكر الله، أو أن تكون بالعبراني وما لا يعرف: فلا يجوز بحال لمريض ولا لصحيح(١)؛ لما يخشي أن يكون فيها من الكفر(٢).

موقف الإسلام من الانحراف الرابع: وهو التلاعب بآيات القرآن بالتقديم والتأخير، وتحريفها في التمائم.

القرآن الكريم كتاب الله، ووحيه المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ، فيجب احترامه وتوقيره، وتعظيمه، كما يجب الابتعاد عن كل ما يؤدي إلى إهانته، أو إزالة كرامته، ويجب تنبيه كل من أخطاء في قراءته، حتى ولو كان في الصلاة التي لا يجوز فيها التعليم والتعلم.

أما الكتابة فينبغي أن لا يغير الرسم العثماني لما في ذلك حفظه من التغير والتبديل والتحريف، ومن يغيّر كتابة الآيات القرآنية بهيئات مختلفة بأن يجعل أولها آخراً، وآخرها أولا، وأوسطها أولا ونحو ذلك، أو يكتبها بحروف مفردة كل حرف على حدته، ويزعم أن لها بهذه الهيئة خصوصية ليست لغيرها من الهيئات.أو يكتب رموزا من الأعداد العربية المعروفة، من آحاد، وعشرات، ومئات، وألوف، وغيرها، ويزعم أنها رموز إلى حروف آية، أو سورة، أو اسم أو شيء، بحساب الحروف الأبجدية؛ فيعتبر عمله هذا تحريفا لكتاب الله العزيز، وتحريف كتب الله أو تغييره عمدا كفر، كما أنه من صفات اليهود، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ ﴾ (٣).

فقول المخالف في تميمة زعمها دافعة لظلم الظالم: فليرقِ نفسه بالحصار الآتي سبع مرات، ثم يتقدم أمامه يكون هو تابعا له، **والآية المكرمة هي: لا إله إلا هو الحي القيوم،**

---

(١) الجامع من المقدمات لابن رشد ص: ٣٠٩.

(٢) نقل القرافي كلام ابن رشد ووضحه في الذخيرة في فروع المالكية (مسألة في الرقى بالحديد) ٣١١/١٣. وينظر: جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة لعبد الله العرفج ص:٤٩٢.

(٣) سورة المائدة (١٣).

يا لا إله إلا الأولين....إلى آخر ما قال، كما تقدم في بيان الانحرافات، فهذه ليست آية من القرآن الكريم، ولا جزء من الآية، بل هو تحريف لبداية آية الكرسي، فإن بدايتها هكذا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ [1]، كما أن فيها إنكار إلهية رب العالمين، وذلك بقوله: **يا إله إلا الأولين**، فهذا كفر على كفر.

وهناك نوع آخر من التحريف وهو حذف جزء الآية واستبدالها بكلام من عنده كما فعل بعضهم وقال في سورة الإخلاص: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ **يا جبرائيل**۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ **يا ميكائيل**۝٢ لَمۡ يَلِدۡ **يا إسرافيل** وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ **يا رسائيل**... كما تقدم في بيان الانحرافات.

وقد فعل غيره في سورة الفيل وسماها رقية القرينة: **ألم تر كيف فعل ربك بالقرينة* ألم يجعل كيد القرينة في تضليل* وأرسل على القرينة طيراً أبابيل* ترمهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول*يا عافي، يا قابل، يا شديد، يا ذا الطول**[2].

وهذا ليس بغريب من الذين يسارعون في الكفر إرضاء للشياطين ولاستمتاع بعضهم ببعض، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [3].

---

(١) سورة البقرة (٢٥٥).

(٢) يُنظر: السنن والمبتدعات للشقيري ص:٣٣٢.

(٣) سورة المائدة (٤١).

وقال الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[1].

وأما ما يلحق بهذا النوع، وهو إدخال كلام المخلوق بين كلام الله -وغالبا يكون استغاثة بغير الله، أو حلفا بالمخلوق- كقولهم: كتابة سورة الفيل: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ **ربطت نوم وأكل فلان بن فلان على فلان بن فلان،** فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ **ربطت نوم وأكل فلان بن فلان على حب فلان بن فلان** فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ **ربط نوم وراحة فلان بن فلان على حب فلان بن فلان.**أو قولهم: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ **يا جبرائيل** بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ **يا ميكائيل**۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ **يا لومائيل** فِى تَضْلِيلٍ **ياميكائيل**۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ **يا لومائيل**۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ **يا عزرائيل يابدوح** مِّن سِجِّيلٍ **يا كشفائيل**۝ فَجَعَلَهُمْ **يا عجمائيل**كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ **ياتنكفل ما معنا مطيعا انقضي حاجتي بحق**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ كما تقدم في بيان الانحرافات.

أو إلحاق كلام المخلوق في بداية الآية أو نهايتها مشابها لنص الآية كقولهم: **يا أحد يا صمد يا ملك عبد الصمد** قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ....كما تقدم في بيان الانحرافات.

ولا يقال أن هذا من الاقتباس الذي يداوله الخطباء والبلغاء، لأن ذلك يكون استدلالا على موضوع أو بيان حكم مسألة، كما لا يدخل فيه ما يفعله بعض المفسرين من جعل كلام الله بين كلامهم التفسيري، وذلك لأن المفسرين يميزون كلامهم من كلام الله بكلمة أي، أو يجعلونه بين الأقواس بخلاف هذا، حيث إنه ليس بتفسير لكلام الله، وليس فيه تمييز بين كلام الله وكلام غيره، وفوق هذا كله أن فيه استغاثة بالمخلوق وتعوذ به.

ولا يدخل هذه التمائم فيما اختلف السلف في تعليقها -وقد تقدم أن الراجح في ذلك المنع مطلقا- لأن الخلاف في ما كتب من القرآن الكريم.وأما ما كان فيه تحريف أو تغيير أو تضمين

---

(١) سورة البقرة (٨٩).

استغاثات بالمخلوق، أو تخصيص حالة معينة للكتابة كمراعاة أحوال الكواكب والنجوم، أو اعتكاف مدة معينة مع بعض الأذكار التي ابتدعوها لهذه الأحوال، والحمية عن بعض الأشياء كاللحوم والزيوت ونحوها، أو كتابة التمائم والآيات بشيء معين كالسكر أو الخل أو الزعفران، أو بشيء نجس كالبول ودم حيوان مذبوح، أو رعاف ونحوها؛ فهذه الأشياء بنفسها لا تجوز فعلها، وبعضها يؤدي إلى الكفر والشرك، فلا تدخل فيما اختلف فيه العلماء.

وأما ما يفعلونه من التلاعب بالآيات القرآنية من تقديم وتأخير، أو كتابتها في جداول أحيانا يكون أولها آخرا وآخرها أولا أو وسطها أولا، فهذا من تنكيس القرآن المنهي عنه، ومن التلاعب بآيات الله ﷻ، سواء يفعلون هذا في الآية الواحدة أو عدة آيات، وسواء من سورة واحدة أو عدة سور...كما تقدم أمثلتها في بيان الانحرافات.

قيل لابن مسعود ﷺ: يا أبا عبد الرحمن أرأيت رجلا يقرأ القرآن منكوسا[1]؟ قال: ذلك منكوس القلب[2].

وأشد تحريما التمائم التي يكتب فيها أصول الاستغاثات بغير الله، وقواعدها التي أسسوها، كقولهم: **ناد عليا مظهر العجائب، تجد عونا لك في النوائب....**، أو «**بحق چار يار**»أي بحق الصحابة الأربعة، وبهذا يقصدون الخلفاء الأربعة، أو «**بحق پنج تن پاك**»

---

(١) **المنكوس:** أي يبتدئ من آخره، ويختم بالفاتحة، أو من آخر السورة فيقرؤها إلى أولها مقلوبا، وقد أنكر بعض العلماء التفسير الثاني وقال: وهذا شيء ما أحسب أحدا يطيقه، ولا كان هذا في زمن عبد الله، ولا أعرفه. يُنظر المعنيين في: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٢/٧٩٤، لسان العرب لابن منظور ٦٩٧/٨، تاج العروس للزبيدي٢٢/٩. ولكن الواقع يصدق وجود المعنيين، وخاصة أن القرآن الكريم في هذا الزمان يكتبه البَطَلَةُ في التمائم ويقرؤونه منكوسا على المعنى الثاني.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٨٩/٩(٨٨٤٦)، ومصنف عبد الرزاق آخر كتاب الصيام٣٢٣/٤(٧٩٤٧)، ومصنف ابن أبي شيبة آخر كتاب فضائل القرآن٥٦٧/١٥(٣٠٩٣٨)، وشعب الإيمان للبيهقي باب تعظيم القرآن (ترك خلط سورة بسورة)٤٣٣/٢(٢٣١٢) وقال الهيثمي بعد أن عزاه إلى الطبراني: رجالة ثقات.يُنظر: مجمع الزوائد للهيثمي باب١١٧فيمن يقرأ القرآن منكوسا ٢٥١/٧(١١٦٨٦)، وصحح إسناده النووي.يُنظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص:٩٩.

أي بحق الخمسة الطاهرين، يقصدون به محمدا ﷺ وعليا، وفاطمة، والحسن، والحسين، أو «**بحق چارده معصوم**[1]» أي أربعة عشر معصوما، أو«**بحق پيران پير دستگير**» أي شيخ المشايخ الآخذ باليد، ويقصدون به الشيخ عبد القادر الجيلاني، ونحو ذلك من مشايخ الصوفية الذين ينادونهم ويستغيثون بهم.

وأما ما يكتبونه من الأرقام من الآحاد، والعشرات، والمئات، والألوف، في جداول وغير مجدولة، ويزعمون أنها خلاصة السورة الفلانية أو نقشها، أو الآية الفلانية ونحوها من المزاعم الباطلة، فهي ولو صحت دعواهم لا يجوز كتابة السور بالأرقام العددية، أو الحروف الأبجدية، لأن القرآن الكريم أنزل على لسان عربي مبين قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[3].

وأما كتابة القرآن بغير الحروف العربية، وخاصة بالأعداد الرقمية، ضلال وانحراف، وإهدار لكرامة القرآن، وتضييع لأوامره ونواهيه وأحكامه، وصدٌّ عن تلاوة آياته المنـــزلة التي هي حرز من الشيطان، ولا يصدر ذلك إلا من جاهل أو معاند محاد لله ورسوله.

ولذا منع علماء المسلمين كتابة القرآن على غير العربية[4].

---

(١) يقصد الرافضة بالمعصومين: النبي محمد ﷺ وبنته فاطمة وعليَّ بن أبي طالـــب، وابنيهمـــا الحـــسن والحسين، وعلي بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، وابنه موسى الكاظم، وابنه علي الرضا، وابنه محمد الجواد، وابنه علي الهادي، وابنه الحسن العـــسكري، وفي طفل يزعمون ولادته للحسن العسكري وأن اسمه محمد وأنه المهدي المنتظـــر، وفي الحقيقـــة لا معصوم من البشر إلا الأنبياء فقط لا غير.

(٢) سورة الأحقاف (١٢).

(٣) سورة الشعراء (١٩٢-١٩٥).

(٤) يُنظر: مناهل العرفان للزرقاني ١٠٧/٢، وتحريم كتابة القرآن بحروف غير عربية، لصالح علي العَـــود ص:٣١ وما بعدها.

سئلت لجنة الفتوى في الأزهر عن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية فأجابت بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله بما نصه: ((لا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية؛ فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربية، فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة النظم العربي -كما يفهم من الاستفتاء- لوقع الإخلال والتحريف في لفظه، ويتبعهما تغير المعنى وفساده، وقد قضت نصوص الشريعة بأن يصان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل والتحريف، **وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف في القرآن يؤدي إلى تحريف في لفظه أو تغيير في معناه ممنوع منعا باتا ومحرم تحريما قاطعا وقد التزم الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن بالحروف العربية**))[1].

وليس ما كتب من الأرقام أو الحروف -سواء كانت مقطعة أو مفردة، وسواء كُتِب كل واحد مستقلا أو جمع بنيهما أو اختلطا بالنصوص- من التمائم التي اختلف في تعليقها أقوال السلف، إذ ليس هذا قرآنا، وإنما الخلاف في التمائم التي من القرآن، مع أن الراجح عدم جواز التمائم ولو كان من القرآن.

بل التعامل وكتابة الأعداد والحروف الأبجدية التي هي من الطلاسم بدل الكلام السليم الفصيح من عمل السحرة والمشعوذين، الذين يتعاملون بها مع المردة الجن والشياطين، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم قال: ((**ما أدرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق**)) [2].وقال النبي ﷺ: ((**من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**)) [3] وقد تقدم بعض الكلام عن السحر والشعوذه في فصل علم الغيب فلا يستحسن تكراره.

---

(١) يُنظر: مناهل العرفان للزرقاني ١٠٨/٢ (أمور مهمة في ترجمة القرآن).

(٢) مصنف عبد الرزاق باب الشهادة ٢٦/١١(١٩٨٠٥)سنن الكبرى للبيهقي باب ما جاء كراهية اقتباس علم النجوم ٢٣٩/٨ (١٦٥١٤).

(٣) تقدم تخريجه في فصل علم الغيب ص: ٣٣٤.

وقال ابن خلدون وهو من شاهد قديما أفعال من يكتب التمائم، ويتعامل مع المستغاثين من دون الله حيث قال: لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك، وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وإشراك لروحانية الجن والكواكب، سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها، وأن بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم، وأن التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق، ويعبرون عن ذلك بقولهم إنما نفعل فيما يمشي فيه الدرهم أي ما يملك ويباع ويشترى من سائر المتملكات، هذا ما زعموه. وسألت بعضهم فأخبرني به.وأما أفعالهم فظاهرة موجودة، وقفنا على الكثير منها وعاينتها من غير ريبة في ذلك هذا شان السحر والطلسمات وأثارهما في العالم[1].

وهكذا كل تميمة فيها مخالفة للنصوص الشرعية وإجماع الأمة الإسلامية فحرام كتابتها وتعليقها، ومنها التمائم التي يكتبونها أو يعلقونها محاولة ليعرفوا الأمور الغيبية، وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[2].

وقولهم هذه التميمة تحبب المرأة إلى زوجها، وغير ذلك مما سموه تمائم الحب، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتِولة شرك** »[3] سئل ابن مسعود رضي الله عنه فقيل له: يا أبا عبد الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة؟ قال: شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن[4]، وقوله رضي الله عنه: «**شيء**» عامٌ يشمل التمائم وغيره.

---

(١) ينظر مقدمة ابن خلدون ص: ٤١٣.

(٢) سورة النمل (٦٥).

(٣) تقدم تخريجه في ص: ٧٥٣.

(٤) صحيح ابن حبان كتاب الطب ١٣/٤٥٦(٦٠٩٠) وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله رجال الصحيح، إلا أن فيها انقطاعا، وللحديث طريقان آخران يتقوى بهما. ينظر تحقيق شعيب الأرنؤوط على صحيح ابن حبان١٣/٤٥٦-٤٥٧(٦٠٩٠).

هذا إذا كان في تحبيب المرأة إلى زوجها، أما إذا كان لتحبب العاشق إلى معشوقه – على حد عبارتهم كما تقدم في بيان الانحرافات– وليتسبب في فعل الفاحشة وغيرها من الجرائم الأخلاقية فالتحريم أشد، لأن في ذلك ارتكاب عدة محاذير شرعية.

ومثل التولة في التحريم ما تكتب لتفرق بين الزوجين، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ (١).

ومن التمائم المحرمة الخيوط التي تعلق في اليد أو الرجل أو العنق أو الوسط بعد ما يقرؤون عليها بعض الكلمات ويعقدونها مع النفث فيه كما تقدم نماذج منها في بيان الانحرافات، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ (٢).

وفي هذا القدر كفاية إن شاء الله، وخلاصة الكلام في التمائم أنها لا يجوز تعليقها، لكن ليست كلها على درجة واحدة، ولا يحكم على جميعها أنها كفر وشرك؛ فبعضها شرك، وبعضها سحر، ومنها دون ذلك.

---

(١) سورة البقرة (١٠٢).

(٢) سورة الفلق (١-٤).

الفصل السادس

الانحرافات المتعلقة بتقديس الأزمنة، والأمكنة، وغيرها، وموقف الإسلام منها ، وفيه ثلاثة مباحث:.

المبحث الأول: مفهوم التقديس، والأزمنة، والأمكنة وغيرها.

المبحث الثاني: الانحرافات المتعلقة بتقديس الأزمنة، والأمكنة، وغيرها.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من هذه الانحرافات.

المبحث الأول

مفهوم تقديس الأزمنة، والأمكنة وغيرها .

يوجد في إقليم سرحد من باكستان مَنْ يقدِّسُ الأزمنة والأمكنة التي ليستْ لها قدسيّة، ومنهم من يغلو في تقديس الأزمنة والأمكنة المُعَظَّمة في الإسلام، وسيكون في هذا المبحث بيان مفهوم التقديس، ثم بيان مفهوم الأزمنة والأمكنة لغة وشرعا، وما يجوز منه، وما لا يجوز، وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التقديس، والأزمنة، والأمكنة لغة.

أولا: التقديس

أصل الكلمة: (القاف، والدال، والسين) أصل صحيح يدل على الطهر [1].

تصريف الكلمة: مصدر من قدّس، يُقَدِّس، تقديسا[2].

معنى الكلمة: التطهير، والتبريك، والتعظيم، والتنزيه، والتمجيد، ومعنى تقدَّس: أى تطهَّر، ومنه «الأرض المقدسة» ويصح أن تراعى المعاني كلها في بيت المقْدِس، لأنه المعظم، والممجَّد، والمبارَك، وأما بمعنى التنزيه والتطهير فلأنه موضع مقدَّس أي مطهَّر ومنزَّه من النجاسات الحسية والمعنوية[3].

وفي القرآن الكريم على لسان الملائكة: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [4].

قال القرطبي وغيره -رحمهم الله-: ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾أى نُعظِّمُكَ ونمجِّدك ونطهر ذكرك عما لايليق بك مما نسبك إليه الملحدون[5].

---

(١) المقاييس في اللغة لابن فارس ص:٨٧٧ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ٢٦٧/٧، تاج العروس للزبيدي ٤٠٨/٨، المعجم المفصل في تصريف الأفعال لمحمد باسل عيون السود ص: ٢٦٠(١٤١).

(٣) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص: ٨٧٧، ولسان العرب لابن منظور ٧/ ٢٦٧-٢٦٨، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص:٥٢٢، والنهاية لابن الأثير٤٢٣/١.

(٤) سورة البقرة (٣٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٤١٣/١، ويُنظر: جامع البيان للطبري ٢٧٨/١، وتفسير ابن كثير ٣٤٤/١.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ﴾ (١)أي: المطهرة(٢).

والقُدُّوس في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ (٣): المنـــزَّه عن كل نقص، والطاهر عن كل عيب، وهو من أسماء الله تعـــالى، علـــى وزن «فُعُّول» وهو من أبنية المبالغة، وكل اسم على فعول فهو مفتوح الأول مثل سَفُّود، وكَلُّوب، وتَـــنُّور ونحوها، إلا السُبُّوح والقُدُّوس فإن الضم فيها أكثر من الفتح(٤)

ويجيء القدوس: بمعنى المبارَك أيضا(٥).

ثانيا: الأمكنة.

أصل الكلمة: (الميم، والكاف، والنون) كلمة واحدة المَكْنُ، ويدل على بيض الضب، والجراد ونحوهما، وقيل أصله (الكاف، والحرف المعتل، والنون) (٦).

تصريفُ الكلمة: قيل مكان في أصل تقدير الفعل مفعل، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه، غير أنه أَجْرَوْه في التصريف مَجْرَى فَعال فقالوا مَكَّنًا له، وقد تَمَكَّن، وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكن، وقيل المكان مصدر من كان يكون، أو موضع منه، لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، وإنما جمع على أمكنة لمعاملة الميم الزائدة معاملة الأصلية، والأمكنة جمع مكان، وكذا يجمع على أَمْكُنْ، وجمع الجمع الأماكن(٧).

معنى الكلمة: مكان الشيء، هو موضع الشيء والحاوي له، كَيْنونة الشيء فيه(٨).

---

(١) سورة المائدة (٢١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١/٤١٤.

(٣) سورة الحشر (٢٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢٠/٣٩٠.

(٥) يُنظر:جامع البيان للطبري ١٤/٦٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢٠/٣٩٠.

(٦) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس٩٩٣، ولسان العرب لابن منظور٨/٣٤١، ٣٤٣.

(٧) يُنظر: لسان العرب لابن منظور٨/٣٤٣، وتاج العروس للزبيدي ١٨/٥٤٤، والكليات للكفوي ص: ٨٢٦.

(٨) يُنظر: المفردات للراغب ص:٧٧٢، وتاج العروس للزبيدي ١٨/٥٤٤، والكليات للكفوي ص: ٨٢٦.

ثالثا: الأزمنة.

أصل الكلمة: (الزاي، والميم، النون) أصل يدل على العصر والوقت [(١)].

تصريف الكلمة ومعناها: الزمن، والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وهو يطلق عليه العصر، ويجمع على أَزْمُنْ، وأزمنة، والأزمان[(٢)].

المطلب الثاني: مفهوم تقديس الأمكنة، والأزمنة، شرعا.

تقديس الأمكنة والأزمنة وغيرها شرعا هو: **تعظيم ما اختاره الله من الأزمان والأماكن والأشخاص وغيرها، وخصّها بصفات وأمور ليست لغيرها**[(٣)].

والانحراف في تقديس الشيء: **هو الغلو في تعظيمه، ورفعُه عن منـــزلته التي أعطاها له الشرع، واعتقاد خصوصية له من غير دليل شرعي.**

وبعبارة أخرى: رفعه من منـــزلته التي أنزله الله أياها، معتقدا أن له قداسة ذاتية، او مكتسبة[(٤)].

ومن الأمكنة المقدسة شرعا: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، وسائر المساجد.

ومن الأزمنة المقدسة شرعا: شهر رمضان، وأشهر الحج، ويوم عاشوراء.

ومن الاشياء المقدسة شرعا غير الأزمنة والأمكنة: القرآن الكريم، والحجر الأسود، وماء زمزم، ونحوها.

فهي مقدسة باعتبار أن الله شرّفها وعظمها، وأن البركة حاصلة فيها، فمن عبَدَ الله تعالى فيها يُعْظَمْ له أجره على الذي لم يوفق لهذه العبادة فيها، ففي ليلة القدر يُعَظَّم ويبارَك أجر العابد فيها، كما أن العبادة في الحرمين تعظم ويبارك فيها، وهكـــذا جميـــع الأزمنـــة

---

(١) يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٤٠٨/٤، وتاج العروس للزبيدي ٢٦٣/١٨.

(٢) يُنظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ص:١١٠٩، ولسان العرب لابن منظور ٤٠٨/٤، وتاج العـــروس للزبيدي ٢٦٣/١٨.

(٣) إلى هذا المفهوم أشار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله- ينظر:مجموع فتـــاوى ابن تيمية٢٠١/١٧، وزاد المعاد لابن القيم٤٧/١ (اختار البلد الحرام)، ويراجع كذلك موقف شيخ الإسلام من تقديس الأماكن والأزمان لأبي بكر صار ص:٢٠ .

(٤) يُنظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح٤٥/١.

والأمكنة المقدسة شرعا، وهكذا من قرأ القرآن الكريم يعطى له من الأجر ما لا يطعى بقراءة كتاب آخر، ومن استلم الحجر الأسود يكسب من الأجر ما لا يكسبه باستلام شيء آخر.

وهي مقدسة باعتبار التطهير والتنزيه أي يُنَزَّه ويتطهر فيها العبد من الذنوب والخطايا، ما لا يتطهر أو لايتساقط ذنوبه في غيرها.

فينبغي تقديسها: وهو تطهيرها من النجاسات الحِسِّية والمعنوية، وتعظيمها، وتخصيصها بالتعظيم أو التشريف أو البركة دون غيرها، تقديسا يليق بها لا إفراط ولا تفريط فيه بأى وجه من الوجوه على وفق الشرع الحكيم.

المطلب الثالث: أنواع تقديس الأزمنة والأمكنة وغيرها.

ينقسم تقديس الأزمنة والأمكنة من حيث العموم إلى نوعين:

١- تقديس محمود، وهو مأمور به يُفعل على وجه التقرب إلى الله وهو عبادة.

٢- تقديس مذموم، وهو غير مأمور به شرعا بل فاعله مُعرَّض للوعيد الشديد.

أما النوع الأول: وهو المشروع كتقديس الأمكنة والأزمنة المقدسة والمعظمة في الشرع مثل مكة والمشاعر كلها، والمدينة النبوية بما فيها مسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى، وكذلك جميع المساجد، لأنها بيوت الله، وأحب البقاع إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾(١)، وقال النبي ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**»(٢).

ومن الأزمنة المقدسة: الأشهر الحرم، وشهر رمضان المبارك بما فيها ليلة القدر، ويوم عاشوراء ونحوها من الأزمنة التي جاء الشرع بتعظيمها، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ

---

(١) سورة النور (٣٦).

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد باب ما روي أحب البلاد... ١٧٦/٥(ح١٥٢٦).

عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (٢).

ومن الأشياء المقدسة غير الأزمنة والأمكنة القرآن الكريم؛ لأنه كلام الله ﷻ، قال الله تعالى في شأن القرآن الكريم: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣).

ومنها الروضة في المسجد النبوي، قال النبي ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»(٤) فيجب الوقوف عند حد الشرع في التقديس، وأن يكون هذا التقديس خالصا لوجه الله تعالى، وموافقا للسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ .

أما النوع الثاني: وهو التقديس المخالف للكتاب والسنة، وهو تقديس غير المقدس شرعا، أو الغلو في المقدس شرعا، وكل ذلك مذموم، كتقديس قبور الأنبياء أو الصالحين ووذلك بقصدها للصلاة عندها، أو تقديس الأوقات كيوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان .بمزيد الأجر في قيامها والصدقة فيها، أو السابع والعشرين من شهر رجب للصيام والقيام والصدقة ونحوها، أو تقديس كلاب المدينة النبوية، أو تقديس اللون الأخضر مطلقا، فهذا التقديس مذموم وممنوع شرعا.

وسيجيء المزيد من التفصيل في التقديس الممنوع في المبحث الثاني إن شاء الله.

---

(١) سورة التوبة (٣٦).

(٢) سورة القدر (٣).

(٣) سورة **ص** (٢٩).

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل مابين القبر والمنبر٣/٩١(ح١١٩٥)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الحج باب ما بين القبر والمنبر روضة ٩/١٦٣(ح٣٣٥٥).

المبحث الثاني:

الانحرافات المتعلقة بتقديس الأزمنة، والأمكنة، وغيرها.

سبق في فصل التعظيم ما كان يتعلق بالتقديس المذموم للأشخاص، كما سبق في فصل الذبح وتقديم القرابين جملة مما يتعلق بالتقديس المذموم للأزمنة، وسيكون هنا ذكر التقديس المذموم غير الأشخاص، وغير ما له صلة بالصدقات، ويمكن تقسيم هذه الانحرافات إلى ما يلي:

الانحراف الأول: تقديس بعض الأزمنة التي لم يرد تقديسها، أو تجاوز الحد المشروع في تقديسها.

يدخل تحت هذا جملة من الانحرافات منها:

الأول: تقديس اليوم الأول من السنة سواء كانت السنة قمرية[1]، أم شمسية[2]، أم ميلادية [3].

---

(١) **السنة القمرية:** هي أربعة وخمسون وثلاثمائة يوم، ويعتبر في عدّ أيام شهورها رؤية الهلال. وأسماء شهورها المحرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذوالحجة. يُنظر: دستور العلماء للنكري ١٧٦/٢، والتعريفات للجرجاني ص: ١٦٢.

(٢) **السنة الشمسية:** عبارة عن دورة واحدة للشمس من نقطة فلك البروج، إلى أن تنتهي إليها، وهي خمسة وستون وثلاثمائة يوم وجزء يوم من واحد وعشرين جزءاً. وأسماء شهورها: حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبلة، ميزان، عقرب، قوس، جدي، دلو،حوت.يُنظر: دستور العلماء للنكري١٨٦/٢، والتعريفات للجرجاني ص: ١٦٢، والكليات للكفوي ص: ٤٩٨.

(٣) **السنة الميلادية أو الرومية:** يؤخذ حسابها من مسير الشمس، فشهورها شمسية، وهي اثنا عشر شهرا كما يلي: تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيّار، حزيران، تموز، آب، أيلول. والبعض يرتبون الشهور فيجعلون أولها كانون الثاني ثم شباط... وآخرها كانون الأول، ولهذه الشهور أسماء مترجمة من الانجليزية: يناير، فبراير، مارس، إبريل، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، دسمبر. يُنظر: بدع وأخطاء تتعلق بالأيام والشهور للسلمي ص:٢٠٨، ومفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص:٣٦٩، و

فبعض الناس يحتفلون باليوم الأول من السنة الميلادية، وغالبا يكون هذا من تقليد النصارى، وقد تحتفل بهذا اليوم الدولة كلها باسم عيد(Happy year) «هپي إير جشن»[١].

ويقدس البعضُ بعضَ الأيام من الشهور الرومية، وادّعوا لها فضائل كبيرة وقد عنون أحدهم في كتابه: «**أعمال الشهور الرومية**» ثم بدأ يبين فضل الأعمال في تلك الشهور[٢] فقال في فضائل شهر نيسان: «تقرأ على ماء المطر في نيسان فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، و﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ كلا منها سبعين مرة، وتقول سبعين مرة: لاإله إلا الله، وسبعين مرة: الله أكبر، وسبعين مرة: اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وسبعين مرة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»... قال: إذا كان مسجونا؛ فشرب من ذلك الماء نجا من السجن، وإنه لم يغلب على طبعه البرودة[٣].

وبعض الناس يحتفلون باليوم الأول من السنة الشمسية باسم «جشن نَوْرُوْز» أو«نَيْرُوز[٤]» وذلك بتخصيصه بالصوم، أو الاحتفال والسرور، أو دعاء خاص بمناسبة حلول السنة[٥] .

يُنسب أحد الرافضة في أعمال يوم النيروز إلى جعفر الصادق -رحمه الله- أنه قال: إذا كان يوم النيروز فاغتسل، والبس أنظف ثيابك، وتطيّب بأطيب طيبك، وتكون ذلك اليوم صائما، فإذا صليت النوافل، والظهر والعصر؛ فصلّ بعد ذلك أربع ركعات أي بسلامين، تقرأ في أول كل ركعة فاتحة الكتاب وعشر مرّات ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[٦]، وفي الثانية

---

(١) ينظر: «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص:٥٩.

(٢) يُنظر: مفاتيح الجنان للقمي ص: ٣٦٨ وما بعدها.

(٣) مفاتيح اللجنان للقمي ص:٣٦٩.

(٤) النَّيْروز، أو النَوْرُوز: اسم من أعياد المجوس وهو في اليوم الأول من برج حمل في السنة الشمسية، الموافق (٢١مارس) من السنة الميلادية. يُنظر: «**عالم مين انتخاب پشاور**» لسيد أمجد حسين ص:١٨٢.

(٥)يُنظر: «**عالم مين انتخاب پشاور**» لسيد أمجد حسين ص:١٨٢-١٨٥.

(٦) يقصد سورة القدر.

فاتحة الكتاب وعشر مرات﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وفي الثالثة فاتحة الكتاب وعشر مرات﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وفي الرابعة فاتحة الكتاب وعشر مرات﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾. وتسجد بعد فراغك من الركعات فتقول: اللهم صل على محمد وآل محمد الأوصياء المرضيين(١)، وعلى جميع أنبيائك ورسلك بأفضل صلواتك، وبارك بأفضل بركاتك، وصل على أرواحهم وأجسادهم...الخ، وقال في آخره: يُغْفَرْ لك ذنوب خمسين سنة...(٢)

والبعض يحتفلون باليوم الأول من السنة القمرية، وذلك بأدعية خاصة، والصلاة ونحوها، وأورد أحدهم دعاءا في اليوم الأول من المحرم وهو: ((اللهم أنت الأبدي القديم، الحي القوي الكريم، الحنان المنان، وهذه سنة جديدة أسالك فيها العصمة من الشيطان

---

(١) لم يوص النبي ﷺ لأحد من الناس بالخلافة وولاية الأمر، لا من أهل بيته ولا غيره من أصحابه، وقد أراد النبي ﷺ أن يوصيَ لكن لم يفعل، حيث تقول عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها–: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه ((**ادعي لي أبا بكرٍ أباك وأخاك، حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل:أنا، أولى، ويأبى الله والمؤمنون، إلا أبا بكر**)). رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر١٥٠/١٥ (ح٦١٣١) وفي صحيح البخاري كتاب الأحكام باب الاستخلاف٢٥٣/١٣(ح٧٢١٧) من رواية عائشة أم المؤمنين: ((**لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون**)) ولكن لما اشتد عليه ﷺ الوجع قال عمر ﷺ عندنا كتاب الله حسبنا–شفقة على رسول الله ﷺ– كما في رواية أخرى: ((**ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده**)).قال عمر إن النبي ﷺ غلبَهُ الوجعُ، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، قال: ((**قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع**)).صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم ٢٧٥/١(ح١١٤)، **وأما الوصايا غير ولاية العهد** فقد ثبت لغير أهل بيته كقول أبي ذر ﷺ قال:((**إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع –وإن كان عبدا مجدع الأطراف– وأن أصلي الصلاة لوقتها...**)) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها١٥٠/٥(ح١٤٦٥)، وقول أبي هريرة ﷺ: ((**أوصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام**)) رواه البخاري كتاب الصوم باب صيام البيض٢٨٧/٤(ح١٩٨١) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة الضحى٢٤١/٥(ح١٦٦٩).

(٢) مفاتيح الجنان للقمي ص:٣٦٧، وينظر: ((ناروا بدعتونه)) لزاهدي أحمد زئي ص:٥٣.

الرجيم، وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمّارة بالسوء، والشّغل بما يقربني إليك، يا ذا الجلال والإكرام)) ثم قال: (وفي رواية من صلّي في بداية المحرم ركعتين وقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص ثلاث مرات، ويقرأ ألف مرة، قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [1] ثم قال: يا كافي موسى عليه السلام فرعونَ، ويا كافي محمد ﷺ الأحزاب، مائة مرة ثم يقول: واكفني ما أهمني مائة مرة، فيقيه الله تعالى من الغموم والهموم في السنة كلها، ومن قرأ هذا الدعاء في حاجته الضرورية الماسة؛ فتقضى حاجته بإذن الله[2].

الثاني: تقديس اليوم التاسع من ربيع الأول والاحتفال فيه باسم عيد البَقْر[3].

تقدس الرافضة اليوم التاسع من شهر ربيع الأول، وذلك لاعتقادهم أن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني قتل فيه، فقال أحد الرافضة في أعمال شهر ربيع الأول: ((اليوم التاسع: عيد البقر، شرحه طويل مذكور في محله[4]، ورُوي أن من أنفق شيئا في هذا اليوم غُفِرت ذنوبه.وقيل: يستحب في هذا اليوم إطعام الإخوان المؤمنين، وإفراحُهم، والتوسع في نفقة العيال ولبس الثياب الطيبة والشكر لله تعالى وعبادته، وهو يوم زوال الغموم والأحزان، وهو يوم شريف جدا))[5].

---

(١) سورة آل عمران (١٧٣).

(٢) حكايات عجيبة للقليوبي بترجمة البشتو لمحمد أمير نعماني ص: ٣٧٢-٣٧٣.

(٣) يقصدون بالبَقْرِ: أن أبا لؤلؤة المجوسي بَقَر بطن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا اليوم.

(٤) هذا الرافضي عَمِل هنا بالتقية التي يجعلونها تسع أعشار دينهم؛ فلم يصرّح بالسبب الذي يُعيِّدون من أجله، لكن غيره صرّح فقال: نور سماوي يكشف عن ثواب يوم قتل عمر بن الخطاب... ثم قال: كان ذلك كان يوم التاسع من شهر ربيع الأول وساق في ذلك حديثا طويلا موضوعا. يُنظر: الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري١/١٠٨.وفي كتاب علماء الشيعة يقولون ص: ١٣٣ صورة من الصفحة المذكورة.

(٥) مفاتيح الجنان للقمي ص:٣٦٣.

الثالث: تقديس بعض الأيام من شهر رجب.

يقدس بعض الناس ليلة الجمعة الأولى من شهر رجب، وزعموا أن للصلاة فيها أجرا كبيرا، وسموا هذه الصلاة بـ «صلاة الرغائب[1]» فيصلونها بصفة خاصة[2]، قال أحدهم: «واعلم أن أول ليلة من ليالي الجمعة من رجب تسمى ليلة الرغائب، وفيها عمل مأثور عن النبي ﷺ ذو فضل كثير... ومن فضله أن يغفر لمن صلاها ذنوبا كثيرة، وأنه إذا كان أول ليلة نـــزوله إلى قبره، بَعَثَ الله إليه ثواب هذه الصلاة في أحسن صورة بوجه طَلِق، ولسان ذَلِق[3]، فيقول: يا حبيبي أبشرْ فقد نجوت من كلِّ شدة، فيقول: من أنت؟ فما رأيت أحسن وجها منك، ولا سمعت كلاما أحلى من كلامك، ولا شممت رائحة أطيب من رائحتك؟ فيقول: يا حبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليتها ليلة كذا، في بلدة كذا، في شهر كذا، في سنة كذا، جئت الليلة لأقضي حقك، وأونس وحدتك، وأرفع عنك وحشتك، فإذا نفخ في الصور ظَلَّلْتُ في عرصة القيامة على رأسك فافرح فإنك لن تعدم الخير أبدا»[4].

وصفة هذه الصلاة عندهم: «أن يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي بين صلاتي المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، و﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ ثلاث مرات، و﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من الصلاة قال سبعين مرة: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: سبّوح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة: رب اغفرْ وارحمْ وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي الأعظم، ثم يسجد سجدة أخرى، فيقول فيها سبعين مرة سبّوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يسأل

---

(١) الرغائب: جمع الرغيبة وهي العطاء الكثير. يُنظر: مجمل اللغة لابن فارس١/٣٨٨.

(٢) «ناوراه بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص:٣٩.

(٣) **ذَلِق**: أي حديد بليغ.القاموس المحيط للفيروزآبادي ص: ٨١٥.

(٤) مفاتيح الجنان للقمي ص: ١٨٨-١٨٩.

حاجته؛ فإنها تقضى إن شاء الله»[1] هذه بعض الكيفيات، وهناك كيفيات أخرى لهذه الصلاة تشبه هذه الكيفية بينها الآخرون.

وبعض الناس يقدسون الليلة النصف من رجب فيصلون فيها صلاة باسم«**صلاة أم داود**»، زعموا أن من صلى هذه الصلاة، فيُعطى له بعدد شعرات بدنه من الأجر والثواب[2].

والبعض يقدسون الليلة السابعة والعشرين على أنها ليلة المعراج، وقد تقدم في فصل تقديم القرابين بيان ذلك والرد على المقدِّسين لها.

الرابع: تقديس ليلة النصف من شعبان بذكر الله ونحوه من العبادة[3].

قال أحد المؤلفين: (في شهر شعبان، وخاصة في ليلة النصف من شعبان التي تسمى بـــ«ليلة البراءة[4]» نُقل عن المحبوب ﷺ ثلاثة أعمال، فينبغي للأمة العمل بها وهي: ذكر الله ﷻ وعبادته، الصيام حسب الوسع والطاقة، وزيارة المقابر والدعاء للأموات، وغير هذه الثلاث كلها أعمال بدعية وجدت فيما بعد، وليس لها أي ثبوت في الشريعة[5].

والبعض يشعلون الشموع على سطوح البيوت، وعلى القبور[6]، ولا يخفى ما فيها من التشبه بالمجوس في تقديس النار، كما أن إسراج السُرج على القبور منهي عنه شرعا.

وخصص البعض لليلة النصف من شعبان دعاءا، وسموه دعاء ليلة النصف من شعبان[7].

---

(١) مفاتيح الجنان للقمي ص: ١٨٩

(٢) «ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص: ٤٢.

(٣) وقد تقدم في فصل تقديم القرابين جملة من الانحرافات المتعلقة بشهر شعبان.

(٤) سموا هذه الليلة بالبراءة لزعمهم أن بعبادة هذه الليلة تحصل البراءة من النار، لأحاديث موضوعة وضعيفة سيأتي ذكر بعضها في المتن، وبيان درجتها في ص: ٨٠٤، و٨١٨ وما بعدها .

(٥) «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص:٥٠٧-٥٠٨، «دولسو مياشتو فضائل او أحكام» للمترجم سيف الحنان ص: ٣٥.

(٦)«ناوراه بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص:٤١.

(٧) ينظر نص الدعاء المسمى بدعاء ليلة النصف من شعبان، في هامش كتاب دلائل الخيرات ص:(١٠-١٣).

والبعض يصلون فيها مائة ركعة يقرؤون في كل ركعة منها بعد قراءة الفاتحة عشر مرات سورة الإخلاص وسموها بالصلاة الألفية(١).

والبعض يروي فيها أحاديث بعضها ضعيفة ومنها موضوعة كحديث «**إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله ينـــزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر لي فأغفر له؟ ألا مسترزق فأرزقه؟ ألا مبتلى فأعافيه؟ ألا كذا ألا كذا؟ حتى يطلع الفجر**»(٢).قال أحد المخالفين بعد ذكر ترجمة الحديث المذكور: (إن الله ﷻ ينـــزل إلى سماء الدنيا كل ليلة في وقت السَحَر، إلا أن في ليلة النصف من شعبان ينـــزل من المغرب مع رحمته الخاصة إلى سماء الدنيا، ويعلن إعلانا عاما:هل من مستغفر أغفر له، هل من طالب الرزق فأرزقه، هل من مبتلٍ فأعافيه، ورب العزة يعلن إعلان الرحمة والشفقة هذا إلى الصباح)(٣).

الخامس: تقديس يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان.

يقدس بعض الناس يوم الجمعة الأخيرة في شهر رمضان، ويحتفلون فيها باسم «جمعة الوداع»، يعنون أنهم يُوَدِّعون شهر رمضان، ويصلون فيها صلاة تسمى بـــ«صلاة القضاء العمري»، وبينوا لهذا اليوم أجرا وفضلا لم يرد في الشرع المطهر.

---

(١) يُنظر: «ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص:٤١.

(٢) قال الألباني-رحمه الله-: موضوع السند أخرجه ابن ماجه (٤٢١/١)، ومن طريقه ابن الجوزي في"العلل"(٥٦١/٢)، والبيهقي في"شعب الإيمان"(٣٧٨/٣-٣٧٩)، و"فضائل الأوقات"(٢٤) من طريق ابن أبي سبرة عن إبراهيم بن محمد عن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره.**قلت**: وهذا إسناد مجمع على ضعفه، وهو عندي موضوع؛ لأن ابن أبي سبرة رموه بالوضع كما في "التقريب". وقال البوصيري في " الزوائد ":"إسناده ضعيف لضعف ابن أبي سبرة، واسمه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة. قال فيه أحمد بن حنبل و ابن معين: يضع الحديث".وقال ابن رجب في" لطائف المعارف "(ص ١٤٣):"إسناده ضعيف".وأشار إلى ذلك المنذري في "الترغيب"(٨١/٢).السلسة الضعيفة للألباني١٥٤/٥(ح٢١٣٢).

(٣) يُنظر: «دوخت آواز» لسعيد الرحمن ص: ٥٠٢، محيلا إلى «مؤمن كي ماه وسال» ص: ١٩٤، و٢١٢.

ويصلون هذا الصلوات احتياطا، قال أحدهم: يمكن ويحتمل أن يشك أحد أنه ربما قد صلى بدون وضوء، أو صلى بلباس نجس، أو يكون بدنه نجسا، ونحو ذلك، وهذا الشك يمكن في كثير من الصلوات، فيستحب احتياطا «قضاء الصلاة العمري»(١).

قالوا في كيفية «صلاة القضاء العمري»: (يقضي الصلوات الخمسة المفروضة والوتر، مع الإمام جماعةً، كل صلاة بأذان وإقامة، وذلك بعد صلاة الجمعة في يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، ويقرأ في جميع ركعات الصلوات المفروضة بعد سورة الفاتحة سورة أو ثلاث آيات من القرآن -يعني يقرأ كذلك في ركعتي الأخيرة من الصلوات التي هي أربع ركعات مثل الظهر، والعصر، والعشاء- ويصلي صلاة المغرب والوتر أربع ركعات، ويقعد في الركعة الثانية، والثالثة، والرابعة للتشهد، ويدعو في الركعة الثالثة من الوتر بدعاء قنوت الوتر، وذلك لأنه إن كان عليه قضاء صلاة المغرب أو الوتر كان هذا قضاء له، وإن لم يكن عليه قضاء كان نفلا له)(٢).

ونقل بعضهم في فضل هذه الصلاة حديث: «من قضى خمس صلوات مع الوتر في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان فيعطى له أجر عبادة سبعين سنة»(٣) وهو موضوع(٤).

وقال أحدهم: (هذه الصلاة صلاها كثير من السلف، ثم فسر السلف بقوله: والمراد بالسلف هم الصحابة والإمام أبو حنيفة وتلاميذه)(٥).

---

(١) يُنظر: أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٩٢٢.

(٢) يُنظر: أنوار الإيمان لمطيع الله ص:٩٢٧-٩٢٨ و«ناروا بدعتونه» لزاهدي أحمد زئي ص:٤٨-٤٩.

(٣) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص:٩٢٠.

(٤) قال ابن حجر: «لا أصل له».يُنظر: المطالب العالية لابن حجر١/ ٢٨٢(ح١٤٦٤).

(٥) أنوار الإيمان لحافظ مطيع الله ص: ٩٢٢.

السادس: تقديس يوم الثامن عشر من ذي الحجة باسم عيد غدير خم(١).

تقدس الرافضة اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وفي ذلك يقول أحد الرافضة ((يوم عيد الغدير: وهو عيد الله الأكبر وعيد آل محمد –عليهم السلام– وهو أعظم الأعياد، ما بعث الله نبياً إلا وهو يُعَيِّد هذا اليوم ويحفظ حرمته، واسم هذا اليوم في السماء يوم العهد المعهود، واسمه في الأرض يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود. رُوِيَ أنه سئل الصادق عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة، والأضحى والفطر؟ قال: نعم أعظمها حرمة.قال الراوي: وأي عيد هو؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام، وقال من كنت مولاه؛ فعليٌّ مولاه، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، قال الراوي: وما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟ قال: الصيام، والعبادة، والذكر لمحمد وآل محمد –عليهم السلام والصلاة عليهم–، وأوصى رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام أن يتخذ ذلك اليوم عيدا، وكذلك كانت الأنبياء تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً))(٢).

ثم بين الفضل لهذا العيد بقوله: ((إن الله تبارك وتعالى يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أُعتق في شهر رمضان، وليلة القدر، وليلة الفطر، ولَدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين، وأفضل على إخوانك في هذا اليوم، وسرَّ فيه كل مؤمن ومؤمنة، والله لو عرف الناس فضل هذا اليوم لصافحتهم الملائكة في كل يوم عشر مرات، والخلاصة أن تعظيم هذا اليوم لازم وأعماله عديدة))(٣).

ثم بين عدة أعمال خاصة بهذا اليوم، وفي حقيقة الأمر لم يثبت تخصيص هذا اليوم بشيء ، و لم يرد في فضله شيء وسيأتي تفصيل الرد في المبحث الثالث إن شاء الله.

---

(١) **غدير خم**: الغدير: قطعة من الماء يغادرها سيل، أي يتركها، **وخم**: هو واد على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة الطريق السابق، وتصب فيه عين، وحوله شجر كثير. يُنظر: الخطط للمقريزي١/٣٨٨، ومعجم البلدان للحموي ٢/٣٨٩.وينظر معنى الغدير في لسان العرب لابن منظور٦/٥٧٩.

(٢) مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: ٣٤٣.

(٣) مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: ٣٤٤.

السابع: التعريف[1]على قبر الحسين ﷺ يوم عرفة.

زعم الرافضة فضائل لزيارة قبر الحسين ﷺ في يوم عرفة وقالوا: «**إن زيارة الحسين** -صلوات الله عليه- **يوم عرفة تعدل ألف حجة، وألف عمرة، وألف جهاد بل تفوقها، ومن وفق فيه لزيارة الحسين** عليه السلام **في هذا اليوم والحضور تحت قبّته المقدسة، فهو لا يقل أجرا عمن حضر عرفات، بل يفوقه**» [2].

وقالوا أيضا: «**اعلم أن فضل زيارة الحسين** عليه السلام **مما لا يبلغه البيان**، وفي روايات كثيرة **أنها تعدل الحج والعمرة والجهاد، بل هي أفضل بدرجات**، تورث المغفرةَ وتخفيفَ الحساب وارتفاع الدرجات، وإجابة الدعوات، وتورث طول العمر والانحفاظ[3] في النفس والمال، وزيادة الرزق، وقضاء الحوائج ورفع الهموم والكربات، **وتركها يوجب نقصا في الدين**، وهو ترك حق عظيم من حقوق النبي ﷺ، وأقل ما يؤجر به زائره هو أن يُغفر ذنوبه، وأن يصون اللهُ تعالى نفسَه ومالَه حتى يرجع إلى أهله، فإذا كان يوم القيامة كان الله له أحفظ من الدنيا...» [4].

الانحراف الثاني: تقديس الأمكنة التي لم يرد تقديسها في الشرع، أو الغلو فيما ورد منها.

ويدخل تحت هذا جملة من الانحرافات منها:

الأول: الغلو في تعظيم القبور، وخاصة إذا نسبت إلى أولياء.

حرمة المقبور باقية بعد الدفن؛ فلا يوطأ قبره، ولا يخلى عليه، ولا يهان، ولكن بعض الناس يغلون في تعظيم القبور عامة، وقبور الأولياء والعلماء خاصة، وذلك بوضع الزهور عليها، وبناء القباب عليها، وكتابة اللوحات عليها، وإرخاء الستائر عليها، وإسراج السراج عليها، وإيقاد الشموع ونحو ذلك مع أن كل هذه الأمور ممنوعة شرعا.

---

(١) **التعريف**: اجتماع الناس يوم عرفة في غير عرفة، يفعلون ما يفعله الحاج يوم عرفة.يُنظر: الباعث على إنكار الحوادث لأبي شامة ص:٢٩، البدع الحولية للتويجري ص:٣٦٣.

(٢) مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: ٣٢٤.

(٣) هكذا في كتاب مفاتيح الجنان للقمي ولعله يريد الاحتفاظ في النفس والمال.والله أعلم.

(٤) مفاتيح الجنان للقمي ص: ٤٨٣.

وقال أحدهم في تفسير قول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾(١) «هذه الآية تدل على جواز بناء المسجد، لِيُصلى فيه عند مقابر أولياء الله قصداً للتبرك بهم»(٢).

وقال غيره في زيارة قبور الأولياء: (فالصواب زيارتهم على وجه التبرك؛ لأنها مراقد الأولياء ومظان استجابة الدعاء والبركة)(٣).

وقال غيره: «اتخاذ مسجدٍ بجوار نبي أو صالح، والصلاة عند قبره، لا للتعظيم والتوجه نحوه، **بل لحصول المدد منه حتى يكمل عبادته ببركة مجاورته لتلك الروح الطاهرة، فلا حرج في ذلك**، لما ورد أن قبر إسماعيل عليه السلام في الحجر تحت الميزاب، وأن في الحطيم بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيا، و لم ينه أحد عن الصلاة فيه»(٤).

وقال أيضا: «أما من اتخذ مسجدا في جوار صالح، أو صلى في مقبرة وقصد الاستظهار بروحه، أو وصول أثرٍ ما من أثر عبادته إليه، **لا للتعظيم له**(٥)، والتوجه نحوه؛ فلا حرج عليه. ألا ترى أن مرقد إسماعيل عليه السلام في المسجد الحرام عند الحطيم، ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى المصلي لصلاته»(٦).

لقد أخطأ هذا القائل من وجهين: **أولا**: زعم أن مرقد إسماعيل ﷺ في الحطيم، ومعلوم أن الحطيم حُطِّم أي أخرج من الكعبة في حياة الرسول ﷺ قبل مبعثه بخمس سنين(٧)، وأما في زمن إسماعيل وأبيه – صلّى الله عليهما وسلم– فكان داخل الجدران، ولا يدفن الأموات في داخل بيت الله عز وجل.

---

(١) سورة الكهف (٢١).

(٢) الوسيلة لهمايون رشيد ص: ٧٠ محيلا إلى تفسير المظهري[٥/٣٦٩].

(٣) درر الفرائد لغلام حيدر ص: ١٩٣.

(٤) الوسيلة لهمايون رشيد ص: ٧١ محيلا إلى اللمعات لعبد الحق الديوبندي.

(٥) وهذا الذي يفعلونه: من قصد الاستظهار بروحه، أو اعتقاد وصول أثر من آثار عبادته، أو رجاء البركة، ليس إلا تعظيما له، وقد تقدم الرد على هذا الزعم في فصل الركوع والسجود ص: ٦٢٦ وما بعدها.

(٦) الوسيلة لهمايون رشيد ص: ٧٠ محيلا إلى المرقاة لعلي القاري.

(٧) يُنظر: البداية والنهاية لابن كثير٢/٢٦١، وتاريخ الطبري ٢/٥.

ثانيا: زعم أن فضل المسجد الحرام إنما هو من أجل أن إسماعيل ﷺ مدفون فيه، وسيأتي الرد التفصيلي عليه في المبحث الثالث إن شاء الله.

وقال غيره: «بناء القباب على قبور الأولياء والعلماء والصلحاء جائز...وضع الستور والعمائم، وإيقاد الشموع على قبور الأولياء والعلماء جائز إذا كان بذلك يقصد تعظيم أهل القبور في أعين العامة اهـ»[١].

وقال الآخر: «هدم القباب إهانة للمشايخ والأولياء، وهذا كفر»[٢].

وشنع البعض القول على من طبق أمر النبي ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين في تسوية القبور بالأرض، كما شنعوا القول على من يهدم القباب سدا للذريعة، وخوفا من وقوع العوام في الشرك، حيث قال أحدهم: «أما قول بعض المغرورين كالوهابية، بأننا نخاف على العوام، إذا اعتقدوا وليا من الأولياء، وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعونة منه، أن يدركهم اعتقاد أن الأولياء يؤَثِّرون من دون الله تعالى، فننهاهم عن ذلك، ونهدم القبور، ونزيل الستور، ونجعل الإهانة للأولياء؛ فعلم أن هذا الفعل من فرعون، وهو كفر، قال فرعون: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ ﴾[٣]اهـ»[٤].

الثاني: تقديس غار حراء.

قال أحدهم: (كان الشيخ محمد المشهور بـ «عيان مير» ولد سنة ٩٥٧هـ وكان مقيما في لاهور أكثر من ستين سنة، كان تعلقه مع السلسلة القادرية، وقد بايع الشيخ خضر[٥]... وكان لا يأخذ اسم الغوث الأعظم إلا متوضأ[٦]...وكان عنده كشف القبور[٧]. يقول أحد

(١) الذخائر لأهل البصائر لكفاية الله ص: ١٦ محيلا إلى روح البيان للحقي وتحرير الشامي.

(٢) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص: ١٧.

(٣) سورة غافر (٢٦).

(٤) الذخائر لكفاية الله الداجوي ص:١٣ محيلا إلى كشف النور لابن النابلسي، وروح البيان للحقي.

(٥) لا أدري هل يقصد به الخضر صاحب موسى ﷺ كما هو عادة الصوفية؟ أم الخضر هذا أحد مشايخه؟.

(٦) يقصد بالغوث الأعظم: الشيخ عبد القادر الجيلاني، ولا شك أن هذا غلو كبير.

(٧) أي كان يكشف له أحوال أهل القبور، وهذا الأمر مما لا دليل عليه.

مريديه كان الشيخ في أيام الهواء الحار مشغولَ العبادة على سطح الغرفة، وطلب مني الشيخ يوما، أن أضع عنده المروحة وماء الوضوء، ثم أرجع إلى مكاني وأنام.

يقول المريد: فوضعت عنده المروحة، ونسيت أن أحضر له الماء، فتذكرت بعد مضي نصف الليلة؛ فقمت وأخذت الماء، وذهبت إلى مكان الشيخ فلم أجده وكان لباسه موجودا، فقلت لعله يكون داخل الغرفة، فأسرجت السراج وذهبت هناك؛ فلم أجده هناك أيضا، فجلست متحيرا، فلما كان وقت صلاة السَحَرَ -ناداني من الأعلى وقال أعطني ماء الوضوء، فأحضرت له الماء، وسألته: أين ذهبتم أيها الشيخ؟ فقال لي لعلك رأيت الرؤيا، وإنني كنت هنا.

فقلت له: إن لم تخبرني بالحقيقة فسيكون هذا الشيء باقيا إلى عمري في خاطري، **فأخبرني واشترط عليَّ أن لا أخبر به أحدا، وإن أخبرت أحدا؛ فسأخسر خسارة كبيرة وقال: إنه ذهب الليلة**(١) **إلى غار حراء، وكنت فيه إلى الآن.**

فقلت له: وأين غار حراء؟ فقال: هو الغار الذي كان النبي ﷺ يتعبد فيه قبل النبوة، **وأنا أتأسف على الحجاج الذين يذهبون إلى الحج، ويمرون بهذا الغار**، ولا يخرجون إليه لمدة قليلة، ولا يحصل لأحد انشراح الصدر في عبادة اثنتي عشرة سنة، ويحصل له بعبادة ليلة واحدة في غار حراء الفتوحات وانشراح الصدر...)(٢).

الثالث: تقديس أرض كربلاء.

يقدس الرافضة كلهم وبعض الناس من غيرهم أرض كربلاء، وجعلوها حرما كالحرمين بمكة والمدينة، بل فضلوها على الكعبة المشرفة، وقد عنون أحد الرافضة في كتابه: **المقصد الثاني: فيما على الزائر مراعاته من الآداب في طريقه إلى الزيارة، وفي ذلك الحرم الطاهر...**(٣)

ونقل أبياتا في ذلك: ((ومن حديث كربلا والكعبة*** لكربلا بَانَ علُوُّ الرتبةِ
وغيرُها من سائر المشاهد *** أمثالُها بالنقل ذي الشواهد))(٤).

---

(١) أي أنه ذهب الليلة من مدينة لاهور عاصمة إقليم البنجاب بباكستان إلى غار حراء بمكة المكرمة!!، ورجع وقت السحر إلى مكانه بلاهور!!!.

(٢) ((دخداي نيازبين)) لفقير محمد عباس قادرية ص: ٧٤-٧٨.

(٣) مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: ٤٨٤.

(٤) مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: ٣٧٨.

الانحراف الثالث: تقديس بعض الأشياء غير الأزمنة والأمكنة.

لقد انحرف بعض الناس في تقديس بعض الأشياء غير الأزمنة والأمكنة ومن أمثلة ذلك:

أولا: تقديس الملح. قال أحد المخالفين: «ويستحب أن يبدأ الطعام بالملح، ويختم به، لأن ذلك من السنة، ويقال: فيه شفاء من سبعين داءا»(1).

وقال آخر مادحا نفسه أنه يطبق السنة: (أنا أفطر، وأشرب الشاي، وتكون بداية ونهاية شرب الشاي، وأكل الطعام بالملح)(2).

ثانيا:تقديس الفرات: قال أحد الرافضة في تقديس الفرات: قال الصادق -صلوات الله وسلامه عليه-: «**من اغتسل بماء الفرات، وزار قبر الحسين عليه السلام كان كيوم ولدته أمه صفراً من الذنوب ولو اقترف الكبائر**...من أتى قبر الحسين بن علي -عليهما السلام- فتوضأ واغتسل من الفرات، لم يرفع قدما و لم يضع قدما إلا كتب الله له حجة وعمرة» (3).

ثالثا ورابعا: تقديس العقيق والفيروزج(4).

ذكر البعض أنواعا من الفضائل والخواص للتختم بالعقيق والفيروزج.

فقالوا في العقيق:إذا كتب عليه: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، أستغفر الله، وعلى جانبه الآخر محمد وعلي؛ فإنه أمان من القطع، وأتمٌّ للسلامة وأصون للدين(5).

وقالوا في الفيروزج: هو أمان من السباع خاصة، وظفر في الحرب...وغير ذلك من الخواص(6).

وفي الحقيقة تقديس هذه الأشياء كلها لم يثبت عن النبي ﷺ.

هذه نماذج من الانحرافات المتعلقة بتقديس الأزمنة والأمكنة وغيرها، وفي المبحث الآتي بيان موقف الإسلام منها.

---

(1) درر الفرائد لغلام حيدر ص:221، و«فقهي كشكول» لحافظ رشيد أحمد ص: 162.
(2) هداية السالكين في رد المنكرين لسيف الرحمن بير أرتشي ص: 303.
(3) مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: 487.
(4) العقيق والفيروزج: هما ضربان من فصوص الخواتم. يُنظر: لسان العرب لابن منظور 371/6، و59/7.
(5) مفاتيح الجنان للقمي ص: 373.
(6) مفاتيح الجنان للقمي ص: 373.

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الانحرافات المتعلقة بتقديس الأزمنة، والأمكنة، وغيرها.

لكل شيء درجة ومنـــزلة وقد بيَّنَ النبي ﷺ منازل ودرجات تلك الأشياء، وأعطى كل ذي حق حقه، فما كان يستحق التعظيم والتقديس أمر بتعظيمه، وبين حدود تقديســـه، فلا يجوز لأحد مخالفة هديه ﷺ في ذلك؛ فلا يقدس ما لا يستحق التقـــديس، ولا يبـــالغ في تقديس ما قدسه الشرع، فمن خالف هدي النبي ﷺ فقد غوى، وترك هديه ﷺ وما اهتدى.

موقف الإسلام من الانحراف الأول: وهو تقديس بعض الأزمنة التي لم يرد تقديسها.

لقد عاش النبي ﷺ في مكة والمدينة بعد مبعثه ﷺ سنوات عديدة، تزيد على عقدين من الزمن، و لم يثبت أنه ﷺ قدّس بداية السنة عن غيرها بشيء من التقديس، لا باحتفال، ولا بتخصيص عبادة، ولا غير ذلك.

وتقديس أول السنة أو آخرها تشابه بغير المسلمين في أعيادهم، وعاداتهم وتقاليدهم، فعند اليهود عيد رأس السنة في أول السنة الرومية(١)، كما أن المجوس يعيّدون رأس السنة الشمسية باسم النيروز(٢)، وقد كانت بعض ملوك عرب الجاهلية يعظمون أولَ المحرم ويقعدون فيه للهناء(٣)، والعبيديون(٤) أول من عيّدوا برأس السنة الهجرية من المسلمين(٥).

وقد ورد ت النصوص بمخالفة الكفار من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين ومنها:

---

(١) يُنظر: صـــبح الأعـــشى للقلقـــشندي٢/٤٢٦، ونهايـــة الأرب للنـــويري١/١٨٤ والخطـــط للمقريزي٢/٤٧٢ والأعياد للسحيمي ص: ٣٠.

(٢) صبح الأعشى للقلقشندي ٢/٤٠٨، ونهاية الأرب للنويري١/١٧٥،ومفاتيح الجنـــان للقمـــي ص:٣٦٧، والأعياد للسحيمي ص:٦٧.

(٣) الأعياد للسحيمي ص: ٩٠.

(٤) **العبيديون:** هم الروافض أتباع عبيد الله بن الحسن بن محمد، وقيل: اسمه عبد الله، وسمى نفسه بعبيد الله استتارا، وقيل: اسمه سعيد ولقبه عبيد الله وقيل: غير ذلك، وكانت لهم الدولة في المغرب ثم بمصر. يُنظر: الجوهر الثمين لابن دقماق ص: ١٩٥ وما بعدها، والكامل في التاريخ لابن الأثـــير حـــوادث ســـنة ٢٩٦هـــ. تاريخ الدولة الفاطمية لمحمد جمال السرور ص: ١٥ وما بعدها، وص ١٦٣ وما بعدها.

(٥) الخطط للمقريزي ١/٤٩٠، والأعياد للسحيمي ص:١٣٦.

١- قول الله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾(١).قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فانظر كيف قال في الخبر: ﴿ مِلَّتَهُمْ ﴾، وقال في النهي: ﴿ أَهْوَآءَهُم ﴾، لأن القوم لا يرضون إلا بإتباع الملة مطلقا، والزجر وقع عن إتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه، أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه»(٢).

٢- قول النبي ﷺ: «**جزوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس**» (٣).

٣- قوله ﷺ: «**خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى**»(٤).

٤- قوله ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون؛ فخالفوهم**»(٥)«فإنه يقتضي أن علة الأمر بهذه المخالفة: كونهم لا يصبغون، فالتقدير اصبغوا؛ لأنهم لا يصبغون، فإذا كان علة الأمر بالفعل عدم فعلهم له، دلَّ على أن قصد الشارع المخالفة لهم...» (٦).

٥- قوله ﷺ في النهي عن الصلاة في أوقات المكروهة: «صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، **فإنها تطلع حين تطلع بين**

---

(١) سورة البقرة (١٢٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية١/٩٩.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطهارة باب خصال الفطرة٣/١٤٣(ح٦٠٢).

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب اللباس باب تقليم الأظفار١٠/٤٢٩ (ح٥٨٩٢) وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الطهارة باب خصال الفطرة ٣/١٤٢ (ح٦٠١).

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/٦٠٤(ح٣٤٦٢)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب اللباس، باب في مخالفة اليهود في الصبغ١٤/٣٠٧(ح٥٤٧٧)

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/١٩٧.

قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنَّ حينئذ تُسْجَرُ جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، **فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار**...»[1] «ومعلوم أن المؤمن لا يسجد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني الشيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها، ثم أنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسما لمادة المشابهة بكل طريق»[2].

هذه النصوص وغيرها تمنع المشابهة بغير المسلمين في جميع ما هُم عليه، من العادات والتقاليد والأعياد، والعبادات وغيرها، وأن من لم يتقيد بنصوص الشرع، وتشبه بهم؛ فهو منهم لقول النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[3].

«هذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[4] وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال:«**من بنى بأرض المشركين، وصنع نيروزهم ومهرجانهم**[5] **وتشبه بهم حتى**

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمر بن عبسة٦/٣٥٦(ح١٩٢٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/٢١٨-٢١٩.

(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب اللباس باب لباس الشهرة ص: ٧٢١(ح٤٠٣٠) وقال الألباني: حسن صحيح.ينظر صحيح سنن أبي داود للألباني٣/٥٠٣(ح٤٠٣١) وإرواء الغليل للألباني ٥/١٠٩ (ح١٢٦٩) وحسن إسناده ابن حجر في الفتح كتاب اللباس باب القباء، وفَروج حرير١٠/٣٣٤، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط٨/١٧٩(ح٨٣٢٧) بسند غير سند أبي داود، قال الهيثمي: فيه علي بن غراب وقد وثقه غير واحد وضعفه بعضهم وبقية رجاله ثقات.يُنظر: مجمع الزوائد للهيتمي كتاب الزهد باب من تشبه بقوم فهو منهم١٠/٣٤٦(ح١٧٩٥٩).

(٤) سورة المائدة(٥١).

(٥) النيروز والمهرجان: من أعياد المجوس. يُنظر:بدع وأخطاء لأحمد السلمي ص:٤٩٩، والأعياد للسحيمي ص: ١٣٧.

يموت حشر معهم يوم القيامة»[1] فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه فإن كان كفرا، أو معصية، أو شعارا لها كان حكمه كذلك»[2].

وكذا لا يجوز تقديس أول السنة ولا آخرها بالاحتفال فيه، أو اختصاصه بعبادة كالصيام أو الصلاة أو الدعاء ونحو ذلك، لما في ذلك مشابهة لغير المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى هذا العمل من الابتداع في الدين، والابتداع محرم.

وأما من يقدّس الشهور الرومية، ويعتقد لأيامها عبادات معينة، وأعمال خاصة، ثم يعتقد لذلك أجورا كبيرة كما تقدم في بيان الانحرافات؛ فيظهر جليا مشابهة هؤلاء بغير المسلمين، لما تقدم أن غير المسلمين من اليهود يقدسون الشهور الرومية، ويحتفلون بها، والمجوس يحتفلون بيوم النيروز ويقدسونه فمن عيَّدَ بـ«النيروز» أو قدّس الشهور التي يقدسها اليهود فقد شابههم.

وأما ما يذكره بعض المخالفين من الروايات المنسوبة إلى بعض السلف كجعفر الصادق -رحمه الله- أو غيره أنه أرشد إلى تقديس يوم النيروز، وأمر بأن يجعل عيدا أو يصلى بكيفية كذا...فهي غير ثابتة سندا، وكيف يظن بأمثال هؤلاء العلماء الأجلاء أن يشرعوا من أنفسهم كيفيات الصلاة كقراءة الفاتحة ومعها بعض سور القرآن الكريم سبعين مرة، وبعض الأدعية سبعين مرة أو أكثر أو أقل، أو صلاة ركعتين في بداية المحرم وقراءة الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاث مرات، وقراءة الآية الفلانية ألف مرة، ونحو ذلك من الكيفيات، والأجور الهائلة لمن صلى بهذه الكيفيات، مع علمهم أن بيان الكيفيات، وإثبات الأجور المعينة، لأعمال العباد من حق الشارع ولم يجعل ذلك إلا على لسان نبيه صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

ومعلوم أن كل صلاة فيها: من قرأ الفاتحة كذا مرّة، وقل هو الله أحد أو المعوذتين، أو آية الكرسي، أو غيرها من السور بالتعيين مع العدد أو بدونه فلا تصح من أولها إلى آخرها.

---

(١) رواه البيهقي في سننه الكبرى ٩/٢٣٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/٢٧١.

كما أن كل صلاة قيل فيها يُعطي لفاعلها ثواب نبي واحد، أو ثواب ألف صديق، أو ألف شهيد...ونحو ذلك من العدد؛ لا تثبت من أولها إلى آخرها(١).

وهكذا لم يثبت لحولان الحول دعاء خاص، كما لم يثبت لنهاية العام عمل خاص.

وما قاله المنحرف في تقديس يوم التاسع من ربيع الأول والاحتفال فيه باسم عيد البقر.

فهذا يدل على حِقْدهم الدفين للصحابة والخلفاء الراشدين ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾(٢)، ومن قرأ في كتبهم لا يستغرب منهم هذا، بل ويجد أشد من هذا، حيث لم يسلم منه النبي ﷺ ولا أحب الناس إليه، وهم يزعمون أنهم يتقربون إلى الله بلعن الصحابة الذين هم حملة الدين ورواته، وما أرادوا من هذا إلا أن يطعنوا في الدين لأن الطعن في الراوي طعن في المروي، كما أنه قدح في النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم .

نقل شيخ الإسلام غن الإمام مالك –رحمه الله– قوله: ((هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي –عليه الصلاة و السلام– فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء و لو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين)) (٣).

أما عيد البَقْر فلا أصل له في الإسلام بل هو من أعياد أعداء الإسلام، ولو كان لهذا العيد أي أصل لنقله إلينا الصحابة الأبرار، أو نُقِل من آل البيت الأخيار، فإذا لم ينقل دلّ على أنه كذب اخترعه أعداء الإسلام من المجوس كراهية لعمر ﷺ الذي في عهده أزيلت

---

(١) يُنظر: بدع وأخطاء تتعلق بالأيام والشهور لأحمد بن عبد الله السلمي ص: ١٠٣، والموضوعات لابن الجوزي٢/ ١١٣-١٤٦، والفوائد المجموعة للشوكاني ص:٥٤-٧٠.

(٢) سورة آل عمران (١١٨).

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية ص:٥٨١، وينظر للمزيد في حكم سب الصحابة والنيل منهم في: الصارم المسلول لابن تيمية(حكم سب الصحابة) ص: ٥٦٧ وما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص:٦٨٩ وما بعدها، والانتصار للصحب والآل...لإبراهيم الرحيلي ص:١٥٤ وما بعدها.

دولة المجوس في الشرق، وتقديسا لقاتله أبي لؤلؤة المجوسي[1] ويسميه الرافضة «بابا شجاع» وبَنوا له ضريحا كبيرا، يزورونه ويقدسونه، ويتعبدون عنده.

ومن المعلوم أنه ليس من دين الإسلام اتخاذ موت أحد من المسلمين أو موت أعدائهم مأتما ولا عيدا، فقد توفي الرسولﷺ، وبل أهل بيته وأولاده في حياته وبعد مماته، فلم يجعل أحدٌ يوم وفاته عيدا ولا مأتما، وكذا قتل في بدر صناديد قريش وأكابر أعداء الإسلام، ولم يتخذ النبي ﷺ ولا خلفاءه، ولا أهل البيت ذلك اليوم عيدا ولا مأتما، فالأعياد في الإسلام ليس لموت أحد ولا لحياة أحد. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لم يكن مقتل عمر بن الخطاب ﷺ في التاسع من ربيع الأول كما يزعم هؤلاء المنحرفون، بل كان في شهر ذي الحجة للعام الثالث والعشرين من الهجرة النبوية[2]، ولقد صدق قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- في هؤلاء الرافضة حيث يقول: «القوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويكذبون بالمعلوم من الاضطرار»[3].

وأما ما قاله المخالفون في تقديس بعض الأيام من شهر رجب، فيقال: تقديس أول ليلة جمعة من شهر رجب أو وسطها دون غيرها، وتخصيصها بعبادة معينة أمر لم يرد عن النبي ﷺ في ذلك شيء، ولم يخصصه أهل القرون المفضلة بعبادة.

قال السيوطي -رحمه الله-: «واعلم رحمك الله أن تعظيم هذا اليوم، وهذه الليلة، إنما أحدث في الإسلام "بعد المائة الرابعة" وروي في حديث موضوع باتفاق العلماء

---

(١) **أبو لؤلؤة:** هو المجوسي اسمه فيروز كان غلاما للمغيرة بن شعبة ﷺ، وكان من نهاوند فأسرته الروم، وأسره المسلمون من الروم، فنسب إلى حيث سبي، قتل نفسه بعد أن طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ. يُنظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٤/٤٤١ (مقتل عمر)، تاريخ الطبري ٤/١٩٠ وما بعدها، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص:١٣٤.

(٢) البداية النهاية لابن كثير١٠/١٩٠، وتاريخ الطبري٤/١٩٣(حوادثسنة٢٣هـ) أسد الغابة لابن الأثير٤/١٦٦(٣٨٣٠) الإصابة لابن حجر٤/٤٨٤(٥٧٥٢).

(٣) منهاج السنة لابن تيمية١/٨.

مضمونه: فضيلة صيام ذلك، وقيام تلك الليلة وسموها **صلاة الرغائب**.والذي عليه المحققون من أهل العلم النهي عن إفراد هذا اليوم بالصوم، وعن قيام هذه الليلة بهذه الصلاة المحدثة، وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم من صنع الأطعمة وإظهار الزينة وغير ذلك حتى يكون هذا اليوم بمنـــزلة غيره من الأيام. وكذلك يوم آخر في وسط رجب تصلى فيه صلاة تسمى "**صلاة أم داود**"، فإن ذلك أيضاً لا أصل له»[(١)].

وقال ابن رجب -رحمه الله-: «لم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به، والأحاديث المروية في فضل **صلاة الرغائب** في أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب و باطل لا تصح، وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء» [(٢)].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية في صلاة الرغائب هل هي مستحبة أم لا؟ فأجاب -رحمه الله-: «هذه الصلاة لم يصلها رسول الله ﷺ، ولا أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا رغب فيها رسول الله ﷺ، ولا أحد من السلف، ولا الأئمة ولا ذكروا لهذه الليلة فضيلة تخصها. والحديث المروي في ذلك عن النبي ﷺ كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بذلك» [(٣)].

وقال -رحمه الله-: «وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها، بل هي محدثة فلا تستحب لا جماعة ولا فرادى...والأثر الذي ذُكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء، و لم يذكره واحد من السلف والأئمة أصلا» [(٤)].

فالحديث الذي يروى في كيفية **صلاة الرغائب**، وفضلها موضوع[(٥)]، كما أن الحديث الذي يروى في صلاة النصف من رجب باسم«**صلاة أم داود**» موضوع[(٦)].

---

(١) الأمر بالتباع للسيوطي ص: ١٦٦-١٦٧، يُنظر: البدع والحوادث للطرطوشي ص:٢٦٧.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص:١٣١.

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية٢/٢٦١(كتاب الصلاة مسألة:٢٢١)

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦/١٣٢.

(٥) يُنظر: للموضوعات لابن الجوزي٢/ ١٢٥، وللنار للنيف لابن القيم ص: ٦٥، ٦٦، الفوائد المجموعة للشوكاني ص: ٤٨.

(٦) الموضوعات لابن الجوزي ٢/١٢٦، الأمر بالإتباع للسيوطي ص: ١٦٧، الفوائد المجموعة للشوكاني ص:٥٠.

فتخصيص ليلة النصف من رجب، أو ليلة الجمعة الأولى من رجب بالصلاة أو أي عبادة أخرى بدعة، وذلك لأن هذا التخصيص لم يرد في الشرع.

ولأن هذا العمل أُحدث بعد خير القرون، والقرون المفضلة أحرص الناس على الخير من غيرهم فلو كانت جائزة لورد عنهم فعلها.

ويضاف إلى هذا أن النبي ﷺ نهى عن تخصيص ليلة الجمعة ويومها بعبادة خاصة[1]، وهذا النهي يشمل أول جمعة من رجب، كما يشمل آخر جمعة من رمضان وغيرها.

وفوق كل هذا أن هذه الكيفيات لهذه الصلاة من قراءة الفاتحة والسور والأذكار والصلاة على النبي ﷺ.بهذه الأعداد التي يذكرونها لم ترد عن النبي ﷺ، ومعلوم أن بيان كيفيات العبادات تكفل بها الشارع، ولم يجعل ذلك إلا على لسان نبيه ﷺ ولم يثبت عن النبي ﷺ هذه الكيفيات في شيء من الصلاة، وقد قال النبي ﷺ: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**))[2].وفي رواية ((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ**))[3].

وأما ما قاله البعض في تقديس ليلة النصف من شعبان، وإحيائها بالصلاة والصدقات وأدعية ونحو ذلك من العبادات، فقد اختلف العلماء في ذلك على قولين:

١- أن إحياءها بدعة، وهو قول جمهور علماء الحجاز.

٢- أن إحياءها وتقديسها جائز، فيجتهد بالعبادة فيها، وبه قال بعض التابعين من أهل البصرة.

ثم القائلون بجواز إحيائها وتقديسها انقسموا إلى قسمين:

١- قالوا: يحييها جماعة في المساجد.

---

(١) كحديث ((**لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم**)).صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الصيام باب كراهية صيام يوم الجمعة منفردا ٢٦١/٨(ح٢٦٧٩).

(٢) تقدم تخريجه في ص: ١٩٢.

(٣) تقدم تخريجه ص: ١٩٢.

٢- قالوا يحييها بدون جماعة، وقالوا بكراهية الاجتماع لها في المساجد(١).

ويبدو -والله أعلم- أن القول ببدعية إحيائها راجح.

وذلك لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه أحياها، ولا أحد من صحابته ﷺ، وإنما حدث القول بإحيائها بعدهم، والأحاديث الدالة على فضل الصلاة فيها موضوعة أو ضعيفة.

ولذا قال القرطبي -رحمه الله-: «وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يُعَوَّل عليه لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها» (٢).

وقد عدّ ابن القيم من الأحاديث الموضوعة: أحاديث صلاة ليلة النصف من الشبعان وذكر بعضها ثم قال: «والعجب ممن شم رائحة العلم بالسنن أن يغتر بمثل هذا الهذيان، ويصليها، وهذه الصلاة وضعت في الإسلام بعد الأربع مئة ونشأت في بيت المقدس» (٣).

أما الصلاة الألفية: وهي التي يصليها بعض الناس في ليلة النصف من شعبان، فبدعة. ويصلونها على صفتين:

الأولى: يصلي مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات.

الثانية: يصلي عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص مائة مرة(٤).

وأول من صلى هذه الصلاة رجل من أهل نابلس قدم بيت المقدس سنة ثمان وأربعين وأربعمائة من الهجرة، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان؛ فأحرم خلفه رجل، ثم أنضاف إليهما ثالث، ورابع، فما ختمها إلا

---

(١) يُنظر أقوال العلماء في هذه المسألة في: لطائف المعارف لابن رجب ص:١٥١وما بعدها، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١٣٦ وما بعدها، والبدع الحولية للتويجري ص: ٢٩٢ وما بعدها والإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص: ٢٦٥، وما بعدها، الأعياد للسحيمي ص: ٣٦٩ وما بعدها.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠٢/١٩(في تفسير الآية الرابعة من سورة الدخان).

(٣) المنار المنيف لابن القيم ص: ٦٦.

(٤) الأعياد للسحيمي ص: ٣٧٧.

وهم في جماعة كبيرة، ثم جاء في العام القادم فصلى معه خلق كثير، وشاعت في المسجد، وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصى وبيوت الناس، ومنازلهم ثم استقرت كأنها سنة[1].

قال ابن تيمية -رحمه الله- في الصلاة الألفية: ((إن الحديث الوارد في الصلاة الألفية، موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، وما كان هكذا، لا يجوز استحباب صلاة بناء عليه))[2].

أما ما اخترع لهذه الليلة من دعاء خاص، فلم يرد من طريق مقبول من النبي ﷺ، وإنما هو من كلام بعض المشايخ المتصوفة كما يظهر من كيفيته المخترعة[3].

أما تقديس يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، وتسميتها بـــ((جمعة الوداع)) وما ذكر فيه من الصلاة باسم ((**صلاة القضاء العمري**)) فكل ذلك من البدع التي لا أصل لها في الشريعة الإسلامية، ومما يدل على بدعتها أن صورها مستحدثة، والحديث الذي يستدل به في هذا المجال موضوع.

قال الملا على القارى -رحمه الله-: ((حديث من قضى صلاة من الفرائض في آخر جمعة من شهر رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته في عمره إلى سبعين سنة.باطل قطعا لأنه مناقض للإجماع على أن شيئا من العبادات لا يقوم مقام فائتة سنوات)) [4].

وقال الشوكاني -رحمه الله-: ((حديث من صلى في آخر جمعة من رمضان الخمس الصلوات المفروضة في اليوم والليلة قضت عنه ما أخل به من صلاة سنته.هذا موضوع لا إشكال فيه ولم أجده في شيء من الكتب التي جمع مصنفوها فيها الأحاديث الموضوعة،

(١) يُنظر: البدع والحوادث للطرطوشي ص:٢٦٦،والأعياد للسحيمي ص: ٣٧٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية٢/١٣٨و١٤٦، وينظر:الفوائد المجموعة للشوكاني ص: ٥٠، واللآلي المصنوعة للسيوطي ٢/٥٨، ٥٩.

(٣) يُنظر: إصلاح المساجد للقاسمي ص: ١٠٠، الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص: ٢٩٠، السنن والمبتدعات للشقيري ص: ١٤٥.

(٤) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري ص: ١٩١(ح٣٥٨).

ولكنه اشتهر عند جماعة من المتفقهة بمدينة صنعاء في عصرنا هذا وصار كثير منهم يفعلون ذلك ولا أدري من وضعه لهم فقبح الله الكذابين»[1].

وسئلت اللجنة الدائمة عن صلاة القضاء العمري فأجابت بما نصه: «الصلاة عبادة، والأصل فيها التوقيف، وطلب قضائها وبيانه تشريع، وذلك لا يصح أن يرجع فيه إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والإجماع المستند إليهما، أو إلى أحدهما، ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ﷺ، ولا عن أئمة الهدى -رحمهم الله-: أنهم صلوا هذه الصلاة أو أمروا بها وحثوا عليها، أو رغبوا فيها، ولو كانت ثابتة لعرفها أصحابه ﷺ، ونقلوها إلينا، وأرشد إليها أئمة الهدى من بعدهم، لكن لم يثبت ذلك عن أحد منهم قولا أو فعلا؛ فدل ذلك على أن ما ذكر في السؤال من صلاة القضاء العمري بدعة في الشرع لم يأذن به الله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[2] وإنما الذي أمر به رسول الله ﷺ أن يقضى من الصلوات ما فات الإنسان؛ لنوم أو نسيان حتى خرج وقته، وبين لنا أن نصليها نفسها إذا استيقظنا أو تذكرناها، لا في آخر جمعة من رمضان»[3].

وأما ما قاله المخالف: إن كثيرا من السلف كانوا يصلونها، والمراد بالسلف هم الصحابة، والإمام أبو حنيفة، وتلاميذه.

فيقال له: هذا من الافتراء على السلف، وكيف يصليها السلف ولم تثبت هذه الصلاة عن النبي ﷺ؟! وأما تصريحه باسم أبي حنيفة وأصحابه أيضا فهو خطأ آخر، ولذلك أنكر ابن عابدين -رحمه الله- ذلك، وقال: «**لم يصح نقل ذلك عن الإمام**»[4] أي لم يصح نقل قضاء الصلاة العمري عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله-.

---

(١) الفوائد المجموعة للشوكاني ص: ٥٤(ح١١٥).

(٢) تقدم تخريجه في ص: ١٩٢.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٨/١٦٧-١٦٨.

(٤) رد المحتار لابن عابدين كتاب الصلاة باب الوتر والنوافل ٢/٣٩(قبيل مطلب في الصلاة على الدابة).

وأما تقديس يوم الثامن عشر من المحرم باسم عيد غدير خم؛ فلم يرد في الشريعة الإسلامية تقديس هذا اليوم، ولم يكن تقديس هذا اليوم معروفا في خير القرون، وأول من احتفل بعيد الغدير هو معز الدولة بن بويه(١) في سنة ٣٥٢هـ ببغداد(٢).

قال المقريزي(٣) -رحمه الله-: «اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة، علي بن بويه(٤)، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، فاتخذه الشيعة من حينئذ عيداً»(٥).

فما لم يكن عيدا في زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين ﷺ، لن يكون عيدا إسلاميا بعده، وإنما هذا من بدع الرافضة يريدون وراءه الاستدلال على إثبات وصية النبي ﷺ لعلي ﷺ بالإمامة، **وأحاديث غدير خم** لا تدل على أكثر من محبة علي ﷺ وموالاته وجملة «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» لا تدل على ولاية الأمر وولاية العهد، بدليل الألفاظ الآتية في

---

(١) **بن بويه**: هو أحمد بن بويه بن فنّا خسرو بن تمام بن كوهي الديلمي الفارسي، الملقب بمعز الدولة، تملك عراق نيفا وعشرين سنة، وكان متشيعا، توفي سنة ٣٥٦هـ.يُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨٩/١٦(١٣٣)، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٧٨/٦(٢٧٧٢).

(٢) يُنظر: العبر في خبر من غبر للذهبي ٩٠/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٢١٦/١٥ حوادث سنة (٣٥٢هـ).

(٣) **المقريزي**: هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم المصري العبيدي، المقريزي، ولد ٧٦٦هـ وتوفي ٨٤٥هـ وكان حنفيا فتحول شافعيا يميل إلى أهل الظاهر. ينظر ترجمته في: الضوء اللامع للسخاوي٢١/٢(٦٦)، والبدر الطالع للشوكاني٧٩/١(٤٦)،.

(٤) أخطأ المقريزي -رحمه الله- في اسم معز الدولة، وإنما هو أحمد بن بويه الملقب بمعز الدولة ، وأما علي بن بويه: فهو أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو الديلمي الملقب بعماد الدولة، الأخ الأكبر لمعز الدولة أحمد بن بويه، وتوفي بشيراز في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة. ينظر: المنتظم لابن الجوزي ٧٧/١٤، (حواث سنة ٣٣٨هـ)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص: ٤٦٦، ومرآة الجنان لليافعي٢٤٥/٢ (حوادث سنة٣٣٨).

(٥) الخطط للمقريزي ٣٨٨/١.

الحديث نفسه «**اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**»[1]، ولم يقل: **اللهم والِ من ولاّه** حتى يصح أن المراد بكلمة: «**فعليٌّ مولاه**» ولاية العهد، أو ولاية الأمر، وجاء عن علي ﷺ قوله: «**والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق**»[2]، وليس الغَرَض بيان مسألة الإمامة والوصية، إنما الغَرَض أن اتخاذ هذا اليوم عيدا عمل محدَث، لا أصل لهذا العيد في الإسلام، ولم يكن أحد من أهل البيت ولا من غيرهم من اتخذ هذا اليوم عيدا، والأعياد في الشريعة الإسلامية ثلاثة، اثنان منها سنويان، وهما عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد أسبوعي وهو يوم الجمعة، وغير هذه الثلاثة كلها من الأعياد البدعية سواء كانت سنوية أو شهرية أو أسبوعيه أو غيرها.

وكان النبي ﷺ يخطب عند الحاجة إليها سواء كان في السفر أو الحضر يبين فيها قواعد الدين وأحكامه كما فعل ﷺ في يوم بدر، ويوم حنين، ويوم غدير خم، ولا يعني ذلك أن يتخذ ذلك الأيام أعيادا.

ويظهر من قول الرافضة: «...**وأوصى رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام أن يتخذ ذلك اليوم عيدا، وكذلك كانت الأنبياء تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً**» -كما تقدم نص كلامهم في بيان الانحرافات- **أمران**:

الأول: كذبهم في الرواية حيث يقولون: «**أوصى رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب** ﷺ أن **يتخذ ذلك اليوم عيدا**» فلو كان النبي ﷺ أوصى عليا ﷺ بهذا العيد لما

---

(١) يُنظر: سنن ابن ماجه كتاب الإيمان باب فضل علي بن أبي طالب ص: ٣٦(ح١١٦) ومسند الأمام أحمد٤/ ٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠، والحديث ضعفه شيخ الإسلام في منهاج السنة٧/٣١٩، وقال في ٧/٥٥: «إن هذا اللفظ وهو قوله: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، كذب باتفاق أهل المعروفة بالحديث».وقال محققو مسند أحمد: صحيح لغيره. يُنظر: المسند المحقق بإشراف الارنؤوط٣٠/٤٣٠(ح١٨٤٧٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة،ة وسلسلة الأحاديث الصحيحة(١٧٥٠).

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان ٢/٢٥٣(ح٢٣٧).

تخلّف علي ﷺ عن تطبيق وصيته ﷺ، ولم يثبت في التاريخ أن عليا ﷺ احتفل بهذا العيد لا قبل خلافته ولا أثناء خلافته، وكذا لم يحتفل بهذا العيد أبناؤه من بعده.

الثاني: تقليد الرافضة للأمم السابقة، وتشابههم بهم في الأعياد البدعية واعتقاد وصية الأنبياء لمن بعده باتخاذ ذلك اليوم عيدا. وقد قال النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم؛ فهو منهم**» (١).

وأما التعريف وهو الاجتماع في يوم عرفة في مكان غير عرفة؛ فهو من البدع المنكرة، وأما التعريف على قبر الحسين ﷺ فقد اجتمع فيه عدة منكرات:

الأول: اتخاذ القبر عيدا مكانيا وهذا منهي عنه شرعا.

الثاني: السفر إلى زيارة القبور، وهذا أيضا منهي عنه.

الثالث: الاختلاط بين الرجال والنساء تحت سقف واحد، مما يؤدي إلى مفاسد أخلاقية، وهذا أيضا لا يجوز.

الرابع: اعتقاد أن هذه البدعة أجرها أكثر من أجر الحج والاعتمار والجهاد، كما نصوا على ذلك بقولهم: «**إن زيارة الحسين** -صلوات الله عليه- **يوم عرفة تعدل ألف حجة، وألف عمرة، وألف جهاد بل تفوقها، ومن وفق فيه لزيارة الحسين** عليه السلام **في هذا اليوم والحضور تحت قبّته المقدسة، فهو لا يقل أجرا عمن حضر عرفات، بل يفوقه**»(٢).

ومعلوم أن من علامات الحديث الموضوع أن يذكر فيه أجر نبي أو سبعين نبيا أو سبعين شهيدا، أو ألف حجة وعمرة، أو أفضل بدرجات من الحج والعمرة والجهاد، أو يكتب أجره سبعين ألف ملك، ونحو ذلك من المبالغات في الأجور.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «والأحاديث الموضوعة عليها ظلمة وركاكة ومجازفات باردة تنادي على وضعها واختلاقها على رسول الله مثل حديث: «**من صلى الضحى**

---

(١) تقدم تخريجه في ص: ٨١٤.

(٢) مفاتيح الجنان لعباسٍ القمي ص: ٣٢٤.

كذا وكذا ركعة؛ أعطي ثواب سبعين نبيا» وكأنَّ هذا الكذاب الخبيث لم يعلم أن غير النبي لو صلّى عمر نوح عليه السلام لم يعط ثواب نبي واحد»[1].

خامسا: اعتقاد أن زائر القبور، والمعرّف عند الأضرحة، يفوق أجره على أجر الحاج الذي يحضر عرفات أو يساويه، فإنه اعتقاد مخالف للإجماع.

سادسا: أن اعتقادهم هذا مخالف لقول النبي ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة...**»[2]، وهذه المباهاة إنما على الحجاج الذين في عرفة، و أما ما يرتكبه زوار قبر الحسين رضي الله عنه من الصلاة نحو قبره، والسجود عليه، وتقبليه كما هو المذكور في آداب زيارة قبر الحسين عند الرافضة[3] وما يحصل عند قبره من الاستغاثات بغير الله، ولعن أصحاب رسول الله ﷺ ونحو ذلك من المخالفات الشرعية؛ فربما يباهي الشيطان بهم، ويفتخر على إغوائه لهم.

سابعا: قولهم إن عدم زيارة قبر الحسين رضي الله عنه **يوجب النقص في الدين**، قول بلا دليل، ولا يقبله عقل عقيل، كيف يكون هو ناقصا للدين، ولم يوجبه رب العالمين، ولا يوجد في ذلك شيء من كلام سيد الأنبياء والمرسلين.

فعلم أن اجتماع الناس يوم عرفة عند قبر الحسين رضي الله عنه، أو أي مكان آخر غير عرفة مضاهاة بالحجاج وعمل بدعي، وثبت أن النبي ﷺ -بعد عام الفتح- أرسل أبا بكر ليحج بالناس، وبقي هو ﷺ في المدينة، ولم يثبت أنه جمع الناس في المدينة يوم عرفة للدعاء، ولم يفعله الصحابة رضي الله عنهم بعده.

وما روي أن ابن عباس قعد يوم عرفة بالبصرة فقرأ البقرة وآل عمران وفسرهما حرفا حرفا، فاجتمع الناس لاستماع العلم وكان ذلك يوم عرفة[4]، فقيل عرّف ابن

---

(١) المنار المنيف لابن القيم ص: ٣٨

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة٩/١٢١(ح٣٢٧٥).

(٣) يُنظر: مفاتيح الجنان للقمي ص: ٤٨٣ وما بعدها.

(٤) يُنظر: الباعث على إنكار الحوادث لأبي شامة ص: ٣١، وغريب الحديث لابن قتيبة ٢/١٠٤(١٣) عند شرح حديث ابن عباس.

عباس بالبصرة؛ فهو ﷺ لم يفعله بقصد اجتماع الناس للدعاء، ولا مضاهاة لأهل عرفة، ولا لإيهام العوام أن هذا شعار من شعائر الدين المنكر، ولا لأن بقعة مسجد البصرة لها فضل، إنما كان -والله أعلم- لمدارسة العلم.

وكم من الفرق الشاسع بين اجتماع الناس لاستماع العلم، وبين أن يجتمع الناس من أجل فضل بقعة كقبر رجل صالح مثل قبر الحسين ﷺ أو غيره، أو يُقصَد بالاجتماع مضاهاة الحجاج بعرفة، كما يظهر من كلام الرافضة: **من وفق فيه لزيارة الحسين عليه السلام في يوم عرفة، والحضور تحت قبّته المقدسة**[1]، فلا خلاف بين أهل العلم أن هذا العمل بدعة.

روى ابن وضاح -رحمه الله- [2] آثارا عديدة عن السلف تدل على أن الاجتماع للدعاء في يوم عرفة في غير صعيد عرفة بدعة.

فالخلاصة: أن التعريف نوعان:

الأول: اتفق العلماء على كراهيته، وكونه بدعة، وأمرا باطلا، وهو الاجتماع في يوم عرفة عند القبور، أو تخصيص بقعة بعينها للتعريف فيها كالمسجد الأقصى، وتشبيه هذه الأماكن بعرفات؛ لأنَّ ذلك يعتبر حجاً مبتدعاً، ومضاهاة للحج الذي شرعه الله، واتخاذاً للقبور أعياداً، حتى وصل بهم الأمر إلى أن زعموا أن **زيارة قبر الحسين** ﷺ **يوم عرفة تعدل ألف حجة، وألف عمرة، وألف جهاد بل تفوقها**، وقالوا: **من وفق فيه لزيارة الحسين في هذا اليوم والحضور تحت قبّته المقدسة، فهو لا يقل أجرا عمن حضر عرفات، بل يفوقه**[3]، والبعض زعموا أن **من وقف ببيت المقدس أربع وقفات فإنها تعدل حجة** ثم يجعلون ذلك ذريعة إلى إسقاط الحج إلى بيت الله الحرام[4].

وهذا هو النوع الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وقد يحدث في اليوم الفاضل، مع العيد العملي المحدث، العيد المكاني، فيغلظ قبح هذا، ويصير خروجا عن

---

(١) نص كلامهم في ص: ٨٠٧ وص: ٨٢٧.

(٢) البدع لابن وضاح كراهية اجتماع الناس عشية عرفة ص: ٦٢ وما بعدها.

(٣) كما قاله عباسٍ القمي في كتابه مفاتيح الجنان ص: ٣٢٤.

(٤) ذكر ذلك الطرطوشي عن بعض الناس في كتابه الحوادث والبدع ص: ١١٧.

الشريعة.فمن ذلك: ما يفعل يوم عرفة، مما لا أعلم بين المسلمين خلافا في النهي عنه، وهو قصد قبر بعض من يحسن به الظن يوم عرفة، والاجتماع العظيم عند قبره، كما يفعل في بعض أرض المشرق والمغرب، والتعريف هناك، كما يفعل بعرفات فإن هذا نوع من الحج المبتدع الذي لم يشرعه الله، ومضاهاة للحج الذي شرعه الله، واتخاذ القبور أعيادا.

وكذلك السفر إلى بيت المقدس، للتعريف فيه، فإن هذا أيضا ضلال بيّن، فإن زيارة بيت المقدس مستحبة مشروعة للصلاة فيه والاعتكاف، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، لكن قصد إتيانه في أيام الحج هو المكروه، فإن ذلك تخصيص وقت معين بزيارة بيت المقدس، ولا خصوص لزيارته في هذا الوقت على غيره.

ثم فيه أيضا مضاهاة للحج إلى المسجد الحرام، وتشبيه له بالكعبة، ولهذا قد أفضى إلى ما لا يشك مسلم في أنه شريعة أخرى، غير شريعة الإسلام»[(١)].

الثاني: ما اختلف العلماء فيه، وهو قصد الرجل مسجد بلده يوم عرفة للدعاء والذكر.

فقال بعضهم: محدث وبدعة.

وقال بعضهم: لا بأس به.

والذي يظهر راجحا -والله أعلم- أن قصد الرجل مسجد بلده يوم عرفة للدعاء والذكر: بدعة.

وأما من رخص فيه؛ مستنداً إلى فعل ابن عباس وغيره، فيمكن الجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: أن فعل الصحابي لا يقوى على معارضة النصوص الصريحة، التي ورد فيها النهي عن الإحداث في الدين، وهي كثيرة.

الثاني: أنه لم يكن قصد ابن عباس -والله أعلم- أن يجتمع الناس للدعاء والاستغفار، مضاهاة لأهل عرفة، وأن ذلك من شعائر الدين، كما بيَّن ذلك أبو شامة[(٢)].وإنَّما كان اجتماع الناس عنده لسماع تفسيره للقرآن، لاسيما وهو من أعلم أمة محمد ﷺ بالتفسير، فلم يرد باجتماعهم ذلك، أن يجتمع الناس للدعاء والاستغفار.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/١٤٩.

(٢) يُنظر: الباعث على إنكار الحوادث لأبي شامة ص: ٣١.

وكذلك لم يرد -حسب اطلاعي المحدود- أن ابن عباس -رضي الله عنهما- كرر هذا الفعل مرة أخرى. فكيف بمن اتخذ ذلك سنَّة مشروعة، يفعلونها كل عام !!![1].

موقف الإسلام من الانحراف الثاني: وهو تقديس بعض الأمكنة التي لم يرد تقديسها.

تقديس الأمكنة عند الناس ينقسم إلى ثلاثة أقسام مثل تقديس الأزمنة[2]:

أحدها: ما لا احترام له ولا خصوصية، ولا قداسة في الإسلام، كتقديس أرض كربلاء، لأنها مثل باقي الأراضي، ولم يرد في تقديسها شيء صحيح.

ثانيها: ما له خصوصية وقداسة وحرمة، لكن لا يقتضي قصده بالعبادة من مكان بعيد، كأرض الحرم المدني، غير المسجد النبوي.

ثالثها: ما له نوع من الاحترام، ويشرع فيها بعض العبادات الخاصة، لكن لا يتخذ عيدا، كالقبور تشرع زيارتها، وهي عبادة، ولكن لا تُتخذ عيدا.

وقد بين رسول الله ﷺ جواز زيارة القبور، ونهى عن امتهان المقابر بجعلها مواطن قضاء الحاجة، كما نهى عن وطئها، وعن الجلوس عليها، وعن المشي بين المقابر بالنعلين السِبْتِيَتَيْنِ[3] ونحو ذلك.

ومن الآداب التي بيّنها صلى الله عليه وعلى آله وسلّم:

١- قال رسول الله ﷺ: «**لأن أمشي على جمرة، أو سيف، أو أَخْصِفَ[4] نَعْلي برجلي، أحب إليَّ من أن أمشي على قبر مسلم، وما أبالي أَوَسَطَ القبور قضيت حاجتي، أو وسط السوق**»[5].

---

(١) البدع الحولية للتويجري ص: ٣٧٣-٣٧٤ (بتصرف).

(٢) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/١٥٥ (الأعياد المكانية).

(٣) **السِّبْت**: بالكسر جلود البقر المدبوغة بالقرظ، يُتَّخَذُ منها النعالُ، وسميت بذلك؛ لأن شعرها سُبِتَ عنها، أي حُلِق وأزيل. ينظر النهاية لابن الأثير ١/٧٤٥.

(٤) **الخصف**: هو الضم والجمع. النهاية لابن الأثير ١/٤٩٦، والمعنى أن أجعل بعضها على بعض وأخْرِزُهما.

(٥) سنن ابن ماجه كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور ص: ٢٧٥ (ح١٥٦٧) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه له ٢/٣٥ (ح١٢٨٣).

٢- قال ﷺ: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة؛ فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر**»[١].

٣- قال ﷺ: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه حتى تخلص إليه خير من أن يطأ على قبر رجل مسلم**»[٢].

ولقد استقل العلماء بمؤلفات مستقلة، والآخرون خصصوا أبوابا من مؤلفاتهم في آداب زيارة القبور، وما يجوز عندها وما لا يجوز فليراجع إليها[٣]، لكنني أذكر هنا عدة أحاديث تدل على عدم جواز بعض الأمور التي تتعلق بتقديس القبور منها:

١- عن ثُمامة بن شُفِيّ -رحمه الله-[٤] قال: كنا مع فضالة بن عبيد ﷺ[٥] بأرض الروم برُودِس[٦] فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد ﷺ بقبره فسوي، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[٧].

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٤١/٧ (ح٢٢٤٥).

(٢) مسند أحمد ٣٨٩/٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ١٩/١٥(ح٩٠٤٨)

(٣) مثل كتاب شرح الصدور للشوكاني، ومجانبة أهل الثبور للراجحي، وغاية الأماني للألوسي وغيرها.

(٤) **ثمامة:** هو ثمامة بن شُفِيّ الهمداني أبو علي المصري تابعي ثقة، وروى عن فضالة بن عبيد وعقبة بن عامر وغيرهما ﷺ، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك. الثقات لابن حبان ٥٥/٢(٣٩٨) وتهذيب التهذيب لابن حجر٢٦/٢(٩٠٦).

(٥) **فضالة:** هو فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس يكنى أبا محمد الأنصاري من بني عمرو بن عوف ، شهد معركة أحد وما بعدها، ولي قضاء دمشق لمعاوية ﷺ توفي ٥٣هـ. أسد الغابة لابن الأثير٣٤٦/٤(٤٢٣٢)، والإصابة لابن حجر٢٨٣/٥(٧٠٠٧).

(٦) **الرُودِس:** بضم الراء وقيل بفتحها وكسر الدال، جزيرة ببلاد الروم، مقابل الإسكندرية على ليلة منها في البحر. يُنظر: شرح النووي على صحيح مسلم٣٩/٧، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٨٩/٣(٥٦٥٥).

(٧) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ٣٩/٧ (ح٢٢٣٩).

٢- عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: **«ألا أبْعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تَدَعَ صورة إلا طمسْتَهَا، ولا قبراً مشرِفاً إلى سوَّيْتَهُ»** (١).

٣- وثبت أن عثمان بن عفان ﷺ خرج فأمر بتسوية القبور، فسويت، إلا قبر أم عمرو ابنة عثمان، فقال: ما هذا القبر؟ فقالوا:قبر أم عمرو فأمر به فسُوِّيَ» (٢).

٤- عن جابر ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُجصّص القبرُ، وأن يُقعَد عليه، وأن يُبْنى عليه(٣).

٥- قال ﷺ: **«لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها»** (٤).

٦- نهى رسول الله ﷺ «أن يُبْنى على القبر، أو يزاد عليه، أو يُجصّصَ -وفي رواية- أو يكتب عليه» (٥).

فهذه الأدلة وغيرها تدل على ما هو الوارد في شأن المقابر، وعلينا إتباع النبي ﷺ لا الابتداع حسب الهوى.

ولمّا ثبت عن النبي ﷺ النهي عن الكتابة على المقابر، فلا يجوز لأحد أن يكتب عليها لا للمعرفة ولا لغيرها، لأن كل واحد يؤخذ من قوله ويرد إلا محمداً رسولَ الله ﷺ فإن في ترك حكمه، ومخالفة أمره تعريض النفس للخطر،وقد قال الله تعالى محذرا عن مخالفته: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٦).

ولذا أفتى كثير من العلماء بحرمة وضع الستور والزهور على القبور حيث قالوا:

١- «تكره الستور على القبور» (٧).

---

(١) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر٧/٤٠(ح٢٢٤٠).

(٢) تقدم تخريجه في ص: ١٥٠.

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ٧/٤٠(ح ٢٢٤٢).

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٧/٤١ (ح٢٢٤٧).

(٥) سنن النسائي كتاب الجنائز باب الزيادة على القبر ص:٣٢٣(ح٢٠٢٧)، وقال الألباني صحيح. يُنظر:صحيح سنن النسائي للألباني٢/٦٥(ح٢٠٢٦).

(٦) سورة النور (٦٣).

(٧) رد المحتار لابن عابدين ٢/٢٥٨.

٢- (وضع الستور على القبور لا يجوز)[١].

٣- (وضع الزهور وغيرها على القبور ليس بصحيح)[٢].

٤- (افتراش الأردية ووضع الستور على القبور لا يجوز وهو إثم)[٣].

٥- قال محمد يوسف اللديانوي -رحمه الله-: (فتعالوا وانظروا ما يفعله العوام الجُهال على القبور كافتراش الغطاء عليها، وإسراج السرج عليها، والسجود لها، والطواف حولها، وتقبيلها، ومسح الجبين والعيون بها، والوقوف عندها كما يقف المصلي حالة القيام في الصلاة [بين يدي ربه]من وضع اليد اليمنى على اليسرى، والركوع عندها، والنذر لها، وغير ذلك، وإذا كنت قد ذهبت إلى قبور بعض الأولياء والصالحين لرأيت هذا بعينك، والحال أن كتبنا (أهل السنة وأئمة الأحناف) سطروا أن **هذه الأمور كلها غير جائزة**)[٤].

٦- وعدّ ابن حجر الهيتمي -رحمه الله- بعض هذه الأمور من كبائر الذنوب حيث قال: ((الكبيرة الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانا، والطواف عليها، واستلامها، والصلاة إليها)) [٥].

ففتاوى هؤلاء العلماء وأقوالهم تشرح مضامين الأحاديث السابقة، وتوضح موقف الإسلام من هذه الانحرافات المتعلقة بتقديس القبور وأهلها، فعلى المسلم أن يطيع الله ورسوله ﷺ وكذلك العلماء الذين يوافق أقوالهم، أقوال وأفعال النبي ﷺ.

(١) يُنظر: فتاوى دار العلوم ديوبند لمحمد شفيع ١٨٢/٢.

(٢) يُنظر: ((فتاوى رشيدية)) لرشيد أحمد جنجوهي (بالبشتو) ص:٤٣٩.

(٣) يُنظر: فتاوى دار العلوم ديوبند لعزيز الرحمن ١/ ١٢٩، ٣٢٩.

(٤) ((اختلاف أمت)) للديانوي بالأردية ص: ٦٢، وبالبشتو ص: ٨٦.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي١/١٤٨.

وأما ما قاله المخالف في تفسير قول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾(1) بأن هذه الآية تدل على جواز بناء المسجد يصلى فيه عند مقابر أولياء الله قصداً للتبرك بهم»-كما تقدم نص كلامه في بيان الانحرافات-.

فيقال: إن الآية الكريمة لا تدل على جواز بناء المساجد يصلى فيه عند المقابر كما زعم المخالف، بل غاية ما في الآية حكاية عما حصل، وهؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم الملوك وولاة الأمر والسلطة، لأن هؤلاء يكون لهم الغلبة على إنفاذ ما يريدونه سواء وافق الشرع أم لا.

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾ يعني عدوهم(2).

وقال ابن كثير -رحمه الله-: «حكى ابن جرير(3) في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: إنهم المسلمون منهم.

والثاني: أهل الشرك منهم، فالله أعلم

والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ. ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**»(4) يحذر ما فعلوا» (5).

---

(1) سورة الكهف (٢١).

(2) جامع البيان للطبري ٩/٢٧٧(٢٢٩٧١).

(3) جامع البيان للطبري ٩/٢٧٧.

(4) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور٥/١٧ (ح١١٨٨)، والحديث في صحيح البخاري دون ذكر«**صالحيهم**» يُنظر: صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الصلاة باب(٥٥)١/٦٨٩(ح٤٣٥)،ولكن في صحيح البخاري شاهد لكلمة «**صالحيهم**» من حديث أم المؤمنين عائشة، أن أم المؤمنين أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم **العبد الصالح أو الرجل الصالح**، بَنَوْا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، **أولئك شرار الخلق عند الله**» كتاب الصلاة باب الصلاة في بيعة١/٦٨٨(ح٤٣٤).

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٢٠.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في تفسير قول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾[1] «كان الضالون، بل والمغضوب عليهم، يبنون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، وقد نهى رسول الله ﷺ أمته عن ذلك في غير موطن[2] حتى في وقت مفارقته الدنيا -بأبي هو وأمي-» [3].

فعلم أن غاية ما في الآية هو حكاية الواقعة، وخبرٌ عما حدث على أصحاب الكهف، وليس فيها تأيد لِما فعلوا، لأن البناء على القبور منهي عنه شرعا، كما يدل عليه قول النبي ﷺ الذي تقدم نقله أثناء كلام ابن كثير -رحمه الله- وكذا قوله ﷺ لأم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- لمّا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «**أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح، بَنَوْا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»[4].

وأما قول المخالف: الصواب أن زيارة قبور الأنبياء والأولياء **على وجه التبرك**؛ لأنها مراقد الأولياء **ومظان استجابة الدعاء والبركة.**

وقوله: **لا حرج في اتخاذ مسجدٍ بجوار نبي أو صالح، والصلاة عند قبره، لحصول المدد منه حتى يكمل عبادته ببركة مجاورته لتلك الروح الطاهرة، لما ورد أن قبر إسماعيل** عليه السلام **في الحجر تحت الميزاب، أن في الحطيم بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيا.**

وقال غيره: **ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى المصلي لصلاته.**

وقوله: **هدم القباب إهانة للمشايخ والأولياء، وهذا كفر**...كما تقدم كلامهم في بيان الانحرافات ففيها عدة مخالفات:

---

(١) سورة الكهف (٢١).

(٢) تقدم قريباً جملة من الأحاديث التي ورد فيها النهي عن البناء على القبور في ص: ٨٣٠.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/٩٠.

(٤) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب الصلاة باب الصلاة في بيعة١/٦٨٨(ح٤٣٤).

الأولى: زيارة القبور على وجه التبرك، فهذه من المخالفات البدعية التي قد تسبب الشرك، لأن التبرُّكَ تفعُّلٌ وهو مصدر من تبرَّكَ، يتبرَّكُ، تبُّركاً، بمعنى طلب البركة، وتبرَّك به أي طلب البركة بواسطته(١).

وأصل البركة: الثبوت واللزوم(٢)، وتطلق على النماء والزيادة(٣).

وزيارة القبور عمل مسنون، يثاب بها الزائر، لكن إذا كانت موافقة لهدي النبي ﷺ، بأن يتعظ، ويتذكَّر الآخرة، ويدعو بالدعاء المأثور، لكن قصد القبور على وجه التبرك بها، عمل بدعي وليس في القرآن ولا السنة ما يدل على مشروعية التبرك بالقبور، ولم يثبت عن السلف الصالح أنهم كانوا يزورون المقابر بقصد التبرك.

الثانية: اعتقاد أن مراقد الأولياء مظان استجابة الدعاء، والبركة.

إن مظان استجابة الدعاء والبركة الزمانية والمكانية معروفة في الشريعة الإسلامية، كوقت السحر، وشهر رمضان المبارك، ووقت إفطار الصائم ونحوها من الأزمنة، ومثل المسجد الحرام، وميدان عرفة يوم عرفة، والمشاعر المقدسة في أيام الحج ونحوها مما ذكر في القرآن والسنة.

ولم يثبت في القرآن والسنة أن مراقد الأولياء وقبورهم من مظان استجابة الدعاء والبركة، وتحديد الأمكنة والأزمنة للعبادات تشريع، ولم يجعل بيان ذلك إلا على لسان نبيه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤).

الثالثة: اتخاذ مسجدٍ بجوار نبي أو صالح، والصلاة عند قبره، لحصول المدد منه حتى يكمل عبادته ببركة مجاورته لتلك الروح الطاهرة، عمل مخالف للنصوص الصريحة.

---

(١) يُنظر: التبرك أنواعه وأحكامه لناصر الجديع ص:٣٠، التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح آل الشيخ ص:١٢٣(باب من تبرك بشجر) ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين٩/١٨٥.

(٢) يُنظر: المقاييس في اللغة لابن فارس ص:١٢٤، والمفردات للراغب ص:١١٩.

(٣) يُنظر: المفردات للراغب ص:١١٩، والنهاية لابن الأثير١/ ١٢٧، ولسان العرب لابن منظور ١/٣٩٧، تاج العروس للزبيدي ١٣/٥١٥.

(٤) سورة الشورى(٢١).

ولو كان اتخاذ المسجد بجوار نبي أو صالح والصلاة عند قبره جائزا ، لما ورد الوعيد الشديد في ذلك، كقول النبي صلّى الله عليه وعلى آلـه وسـلّم : «**لعـن الله اليهـود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

وقوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قبل أن يموت بخمس: «**ألا وإن مـن كـان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مـساجد إني أنهاكم عن ذلك**» (٢).

وقوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم : «**لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلـسوا عليها**»(٣)، ونحو ذلك من الأدلة وقد تقدم بعضها في فصل الركوع والسجود.

الرابعة: اعتقاد المخالف من حصول المدد، والبركة حتى يكمل صلاته عند أداءها بجوار القبر، فهذا هو السبب الذي لأجله ورد النهي عن الصلاة في المقابر، لأن الـشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه، أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر.ولهذا تجد أهل الشرك كثيرا يتضرعون عندها، ويخشعون، ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبـادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السَّحَر، ومنهم من يسجد لها! وأكثرهم يرجون -بركة الصلاة والدعاء عندها- ما لا يرجونه في المساجد!!.

فلأجل هذه المفسدة: حَسَمَ النبي ﷺ مادَّتها، ونهى عن الصلاة في المقبرة مطلقـا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته.

وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة: فهذا عـين المحادّة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دينٍ لم يأذن به الله تعالى، فإن المسلمين قـد

---

(١) تقدم تخريجه في فصل الركوع والسجود ص: ٦١٨.

(٢) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٥/١٧ (ح١١٨٨).

(٣)صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الجنائز باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه٧/٤٢(ح٢٢٤٨).

أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبر -أي قبر كان- لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلا، بل مزية شر[1].

الخامسة: اعتقاد أن قبر إسماعيل ﷺ في الحجر تحت الميزاب، وأن بين الحجر الأسود وزمزم قبر سبعين نبيا، ليس في ذلك دليل مرفوع صحيح.

قال الألباني -رحمه الله-: «وأما ما ذكر في بعض الكتب أن قبر إسماعيل عليه السلام وغيره في الحجر من المسجد الحرام، وهو أفضل مسجد يتحرى فيه.

فالجواب: لا شك أن المسجد الحرام أفضل المساجد والصلاة فيه بمائة ألف صلاة[2]، ولكن هذه الفضيلة أصلية فيه منذ رفع قواعده إبراهيم مع ابنه إسماعيل -عليهما السلام- ولم تطرأ هذه الفضيلة عليه بدفن إسماعيل عليه السلام فيه -لو صح أنه دفن فيه- ومن زعم خلاف ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا، وجاء بما لم يقله أحد من السلف الصالح رضي الله عنهم، ولا جاء به حديث تقوم الحجة به.

فإن قيل: لا شك فيما ذكرت، ودَفْنُ إسماعيل فيه لا يخالف ذلك، ولكن ألا يدل هذا -على الأقل- على عدم كراهية الصلاة في المسجد الذي فيه قبر؟

فالجواب: كلا ثم كلا وهاك البيان من وجوه:

الأول: أنه لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل عليه السلام أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة -كالكتب الستة ومسند أحمد ومعاجم الطبراني الثلاثة وغيرها- ضعيفا بل ولا موضوعا عند بعض المحققين[3] وغاية ما وري في ذلك من آثار معضلات بأسانيد واهيات،

---

(١) يُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١٩٢/٢، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٣٤٩/١، ومجانبة أهل الثبور...لعبد العزيز الراجحي ص: ٣٢-٣٣.

(٢) لحديث: «**صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**» رواه أحمد في مسنده وقال محققو المسند: صحيح على شرط البخاري.يُنظر: المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٤١٥/٢٣ (ح١٥٢٧١).

(٣) نقل السيوطي في "التدريب" عن ابن الجوزي"[صاحب كتاب الموضوعات] قال: ما أحسن قول القائل: «إذا رأيت الحديث يباين العقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع.قال: =

موقوفات أخرجها الأَزْرَقِي[1] في" أخبار مكة" (ص: ٣٩ و٢١٩و٢٢٠) فلا يلتفت إليها، وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلمات. ونحو ذلك ما أورد السيوطي في "الجامع" من رواية الحاكم في "الكنى"عن عائشة مرفوعا بلفظ: «**إن قبر إسماعيل في الحجر**»[2].

الوجه الثاني: أن القبور المزعوم وجودها في المسجد الحرام غير ظاهرة ولا بارزة ولذلك لا تقصد من دون الله تعالى فلا ضرر من وجودها في بطن أرض المسجد فلا يصح حينئذ الاستدلال بهذه الآثار على جواز اتخاذ المساجد على قبور مرتفعة على وجه الأرض لظهور الفرق بين الصورتين وبهذا أجاب الشيخ على القاري –رحمه الله تعالى-: ...«وفيه أن صورة قبر إسماعيل عليه السلام وغيره مندرسة فلا يصلح الاستدلال»[3].وهذا جواب عالم نحرير[4]وفقيه خريت[5]وفيه الإشارة إلى ما ذكرناه آنفا وهو أن العبرة في هذه المسألة بالقبور الظاهرة وأن ما في بطن الأرض من القبور فلا يرتبط به حكم شرعي من حيث الظاهر بل الشريعة تنزه عن مثل هذا الحكم لأننا نعلم بالضرورة والمشاهدة أن الأرض كلها مقبرة الأحياء كما قال تعالى

=

ومعنى مناقضته للأصول أن يكون خارجا من دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة» تدريب الراوي للسيوطي١/٥٦٩. وينظر: تحذير الساجد للألباني ص:٧٥ هامش(١).

(١) **الأَزْرَقِي**: هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن وليد بن عقبة بن الأزرق الغسّاني المكي توفي سنة ٢٢٣هـ.ينظر ترجمته في مقدمة كتبه تاريخ مكة بقلم عبد الملك بن دُهيش ص:٩ وما بعدها، وكشف الظنون لحاجي خليفة١/٣٠٦، وهدية العارفين للبغدادي ٢/١١.

(٢) وهو حديث ضعيف.يُنظر: كشف الخفاء للعجلوني ٢/١٠٧(١٨٥٤)، وتذكرة الموضوعات للفتني ص: ٢٢٠(باب قبور الأنبياء)، وقال الطرابلسي:سنده شديد الضعف.يُنظر: الكشف الإلهي للطرابلسي السندروسي ٢/٥٣٠ (ح٦٣٠).

(٣) مرقاة المفاتيح لملا علي القاري باب المساجد ومواضع الصلاة ٢/٣٨٩(ح٧١٢).

(٤) **النحرير**: العالم المتقن. مختار الصحاح للرازي ص: ٢٧٠.

(٥) **الخِرِّيت**: الدليل الحاذق بالدلالة. لسان العرب لابن منظور ٣/٥٢.

:﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۝ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا﴾(1) قال الشعبي(2): «بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم(3)» ا.هـ(4).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «كان غير واحد من أهل العلم يقول: لا يثبت من قبور الأنبياء إلا قبر نبينا ﷺ.وغيره قد يثبت غير هذا أيضا مثل: قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد يكون علم أن القبر في تلك الناحية لكن يقع الشك في عينه» (5).

نقل الملا علي القاري –رحمه الله– في المرقاة: «لا يصح تعيين قبر نبي غير نبينا –عليه الصلاة والسلام– نعم سيدنا إبراهيم عليه السلام في تلك القرية(6) لا بخصوص تلك البقعة» (7).

السادسة: زعم المخالف بأن هدم القباب المبنية على القبور إهانةً للمشايخ والأولياء، وأن هذا كفر.

يقال: إن هدم القباب التي هي على القبور لم يقم به أحد إهانة للمشايخ والأولياء، بل سدا للذريعة، وعملا بهدي سيد الأنبياء والمرسلين، وتطبيقا لسنة الخلفاء الراشدين، وقد أفتى بهدمها الجهابذة من العلماء، وتفصيل هذا كالتالي:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي –رحمه الله–: «**ألا أبْعثُك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع صورة إلا طمستَهَا، ولا قبراً مشرِفاً إلى سوَّيْتَهُ**»(8).

---

(1) سورة المرسلات (25-26).

(2) **الشعبي**:هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، أبو عمرو الهمداني كوفي تابعي جليل القدر ثقة مشهور، ولد في خلافة عمر بن الخطاب وتوفي بعد المائة.ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي 4/294(113)، ووفيات الأعيان لابن خلكان3/12، وتاريخ بغداد للخطيب12/227.

(3) جامع البيان للطبري 14/288 رقم(35953)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 14/223.

(4) تحذير الساجد للألباني ص: 74-78.

(5)اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية 2/166(فصل أنواع الأعياد المكانية).

(6) يقصد قرية الخليل في فلسطين، يقال:إن فيها قبر الخليل ﷺ، لكن بقعته بالتعيين غير معروفة.

(7) الأسرار المرفوعة لعلى القاري ص: 385(تحقيق صحة قبور...) والثمر المستطاب للألباني 1/370.

(8) تقدم تخريجه في ص:831.

في هذا الحديث نقل علي ﷺ أمر النبي ﷺ بتسوية ما رفع من القبور، وهو ﷺ لا يريد بذلك إهانة المقبور، بل أراد ﷺ أن لا يفتتن أمته بالغلو في أهل القبور.

وورد أن عثمان بن عفان ﷺ أمر في خلافته **بتسوية القبور، فسويت**، إلا قبر أم عمرو ابنة عثمان، فقال: ما هذا القبر؟ فقالوا: قبر أم عمرو[(١)] **أمر به فسُوِّيَ**[(٢)].

هذان الأثران يدلان على أن سنة الخلفاء الراشدين، فيما رفع من القبور بالبناء أو القباب عليه هو الأمر بهدمها، وتسويتها بالأرض، فكيف يُظن بمن يطبق سنة النبي ﷺ أو سنة الخلفاء الراشدين المهديين **أن فعله عمل فرعون، أو هو كفر؟!** كما تقدم في كلام بعض المخالفين في مبحث الانحرافات.

وقد نقل جماعة من العلماء الفتوى بوجوب هدم **القباب التي على القبور** لأنها أسست على معصية الرسول صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم [(٣)].

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار، ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فسادا منه كالمساجد المبنية على القبور، **فإن حكم الإسلام فيها: أن تهدم كلها حتى تسوى بالأرض**، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار، **وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها لأنها أسست على معصية الرسول**؛ لأنه قد نهى عن البناء على القبور كما تقدم، فبناءٌ أُسِّسَ على معصيته ومخالفته، بناء محرم وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعا، وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة كما تقدم؛ **فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى**؛ لأنه لعن متخذي المساجد عليها ونهى عن البناء عليه فيجب المبادرة والمساعدة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله ونهى عنه والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما فهو أشد غِيرةً وأسرع تغييراً))[(٤)].

---

(١) تقدمت ترجمتها في ص:١٥٠.

(٢) تقدم تخريجه ص: ١٥٠.

(٣) يُنظر: الإقناع للحجاوي كتاب الجنائز فصل ويستحب رفع القبر قدر شبر١/٣٦٨.تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ص:٢٦٢، وفتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ ص: ٢١٤

(٤) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/٣٨٦.

وهنا يجب مراعاة المصالح ودرء المفاسد، وذلك بأنه إن كان يترتب على هدم ما بُنِيَ على القبور من القباب وغيرها، مفسدة كبرى من بقائه؛ فلا يُهدم.

الثاني: أما تقديس غار حراء، فهو ليس من التقديس الشرعي.

كان أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ يتعبّدون في غار حراء، كما أن النبي ﷺ تعبد فيه ليالي ذوات العدد حتى نــزل به الوحي، وبعد مبعث النبي ﷺ لم يثبت صعود النبي ﷺ لا قبل هجرته إلى المدينة ولا بعدها، ولم يكن أصحابه من أهل بيته وغيرهم يقدسون غار حراء، ولا يعتكفون فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «فتحنثه وتعبده بغار حراء كان قبل المبعث، ثم إنه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته، وفرض على الخلق الإيمان به وطاعته واتباعه، وأقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين الذين هم أفضل الخلق، ولم يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء.

ثم هاجر إلى المدينة واعتمر أربع عُمَر: عمرة الحديبية التي صده فيها المشركون عن البيت، ثم إنه اعتمر من العام القابل عمرة القضية، ودخل مكة هو وكثير من أصحابه، وأقاموا بها ثلاثا. ثم لما فتح مكة وذهب إلى ناحية حنين والطائف شرقي مكة، فقاتل هوازن بوادي حنين، ثم حاصر أهل الطائف وقسم غنائم حنين بالجعرانة، فأتى بعمرة من الجعرانة إلى مكة. ثم إنه اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع، وحج معه جماهير المسلمين، لم يتخلف عن الحج معه إلا من شاء الله، وهو في ذلك كله، لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء، ولا يزوره، ولا شيئا من البقاع التي حول مكة، ولم يكن هناك عبادة إلا بالمسجد الحرام، وبين الصفا والمروة، وبمنى والمزدلفة وعرفات، وصلى الظهر والعصر ببطن عرنة، وضربت له القبة يوم عرفة بنمرة، المجاورة لعرفة.

ثم بعده خلفاؤه الراشدون، وغيرهم من السابقين الأولين، لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء...

ثم قال: ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعا مستحبا يثيب الله عليه؛ لكان النبي ﷺ أَعْلَمَ الناسَ بذلك [وأسرعَهم إليه]، ولكان يُعَلِّم أصحابه ذلك، وكان أصحابه أَعلمَ

بذلك وأرغَبَ فيه ممن بعدَهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك؛ عُلِم أنه من البدع المحدثة، التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله»[1].

فلو كان يحصل انشراح الصدر في ليلة واحدة في غار حراء، ولا يحصل في عبادة اثنتي عشرة سنة كما قاله المخالف؛ لكان النبي ﷺ أرشد أمته إلى ذلك، لأنه ﷺ رؤف رحيم على أمته، وما من خير يعلمه لأمته إلا ودّلهم عليه، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وقال النبي ﷺ «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم**، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها»[3].فلم يكن هذا النبي ولا من قبله من الأنبياء، إلا وقد دلّ أمته على خير يعلمه لهم، فإن النبي محمد ﷺ كان يعرف غار حراء قبل مبعثه وبعده، فلو كان في التعبد فيه انشراح الصدر لعلّم أمته بذلك، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**سيصيب آخرها أي أمته بلاء، وأمور تنكرونها**» وهذا منها.

ثم في حكاية هذه الواقعة[4]مبالغات لا يقبلها العقل، فضلا أنها مخالفة للنقل، كذهاب من لاهور بباكستان إلى مكة في ليلة واحدة، وبدون أسباب ظاهرة، ومن ثم الرجوع في نفس الليلة!!!، وعدم استطاعته أن يحضر لنفسه ماء الوضوء بدون استخدام المريد، والاشتراط على المريد أن لا يخبر بما يسمع، وتخويفه المريد إن أخبر فسيخسر خسارة كبيرة، ثم إخبار المريد وعدم التزامه بما اشترط عليه شيخه وعدم وفائه بوعده.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/٣٣٣-٣٣٥.

(٢) سورة التوبة (١٢٨).

(٣) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء١٢/٤٣٦(ح٤٧٥٣).

(٤) تقدم ذكر القصة أنه في ليلة واحدة سافر من لاهور بباكستان إلى مكة بدون أسباب ظاهرة يراجع ص:٨٠٩.

ولو سلمنا وقبلنا كل هذه الأمور فسفره من لاهور بباكستان للتعبد في غر حراء مخالفة شرعية لقول النبي ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجدَ، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**» وفي رواية «**لا تَشُدُّوا الرِّحالَ**»[1] -بصيغة النهي، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لما ذا لم يتعبد في المسجد الحرام -إن سلمنا وصوله إلى مكة في ليلة واحدة- فيترك المسجد الحرام ويذهب إلى غار حراء، ومعلوم أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه كما قال النبي ﷺ: «**صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**» [2].

ففي القصة ترغيب الناس في البدع كزيارات الأمكنة التي لم تشرع زيارتها، كما هو شأن أكثر المبتدعة، حيث إنهم يُرغِّبون الناس وينشطون بأنفسهم في البدع المذمومة، ويناسون أو يتكاسلون في الأمور المستحبة المشروعة.

وأما ما يعتقد البعض من تقديس أرض كربلاء، وتسميتها بالحرم، وتفضيلها على الكعبة المشرفة، فهذا مما يخالف العقل السليم، والنقل الصحيح.

ولم يرد في النقل الصحيح أن هناك حرم غير الحرم المكي والمدني، حتى إن المسجد الأقصى لا يسمى حرما بل يسمى **ثالث المساجد المفضلة**، لعدم ورود شيء صحيح في ذلك قد اشتهر عند بعض الناس المعاصرين القول بالحرم القدسي أو ثالث الحرمين أو الحرم الإبراهيمي، وهذا خطأ فاحش فإنه« ليس ببيت المقدس مكان يسمى «**حرماً**» ولا بتربة الخليل، ولا بغير ذلك من البقاع، إلا ثلاثة أماكن: **أحدها** حرم باتفاق المسلمين، وهو حرم مكة شرفها الله تعالى. **والثاني** حرم عند جمهور العلماء وهو حرم النبي ﷺ من عَيْرٍ إلى ثَور بريد في بريد، فإن هذا حرم عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وفيه أحاديث صحيحة مستفيضة عن النبي[ﷺ]. **والثالث** «وَجّ» وهو واد بالطائف، فإن

---

(١) تقدم تخريج الروايتين في فصل الركوع والسجود ص:٦٢٩.

(٢) مسند الإمام أحمد٣/٣٤٣،و٣/٣٩٧، وقال محققو المسند: صحيح على شرط البخاري ينظر المسند المحقق بإشراف الأرنؤوط ٢٣/٢٦ (ح١٤٦٩٤) و٢٣/٤١٥(ح١٥٢٧١).

هذا رُوِيَ فيه حديثٌ رواه أحمد في المسند[1] وليس في الصحاح[2]، وهذا حرمٌ عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث، وليس حرما عند أكثر العلماء، وأحمد ضعّف الحديثَ المروي فيه، فلم يأخذ به.

وأما ما سوى هذه الأماكن الثلاثة فليس حرما عند أحد من علماء المسلمين فإن الحرم ما حرم الله صيده ونباته و لم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجا عن هذه الأماكن الثلاثة»[3].

---

(١) لفظ الحديث: «عن الزبير ﷺ قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيَّةٍ حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله ﷺ، في طرف القرن الأسود حذرها، فاستقبل نخباً ببصره، يعني واديا وقف حتى اتفق الناس كلهم ثم قال:"**إن صيدَ وَجٍّ وعضاهَهُ حرم محرم لله**"وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيف».سنن أبي داود كتاب المناسك باب(٩٧) ص: ٣٥٢(ح٢٠٣٢) مسند الإمام أحمد ١٦٥/١، وصحح إسناده أحمد شاكر، وضعّفه الألباني ومحققو المسند بإشراف الأرنؤوط. ينظر المسند بتحقيق أحمد شاكر١٩٣/٢(ح١٤١٦) وبإشراف الارنؤوط٣٢/٣(ح١٤١٦). ضعيف سنن أبي داود للألباني ص: ١٥٨(ح٢٠٣٢)وقال أحمد شاكر -رحمه الله: «و لم يرد في السنة فيما نعلم شيء آخر يدل على تحريم «وَجّ» ولذلك قال الخطابي في المعالم: «ولست أعلم لتحريمه وجها معنى، إلا أن يكون من سبيل الحمى لنوع من منافع المسلمين، وقد يحتمل أن يكون ذلك التحريم في وقت معلوم، وفي مدة مخصوصة، ثم نسخ. ويدل على ذلك قوله: وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيف ثم عاد الأمر فيه إلى الإباحة كسائر بلاد الحل. ومعلوم أن عسكر رسول الله ﷺ إذا نزلوا بحضرة الطائف وحصروا أهلها ارتفقوا بما نالته أيديهم من شجر وصيد ومرفق، فدلّ ذلك على أنها مباح، وليس يحضرني في هذا وجه غير ما ذكرته، إلا شيء يروى عن كعب الأحبار، لا يعجبني أن أحكيه، وأعظم أن أقوله، وهو كلام لا يصح في دين ولا نظر.والله أعلم» تحقيق أحمد شاكر على مسند الإمام أحمد ١٩٤/٢، ومعالم السنن للخطابي ١٩٣/٢-١٩٤(آخر كتاب المناسك).

(٢) لعل شيخ الإسلام -رحمه الله- يقصد بالصحاح أحاديث الصحاح، أو يقصد ما سمي من الكتب بالصحاح كصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وصحيح البخاري، ونحوها.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/٢٧.

ولم يرد في فضل **أرض كربلاء** عن النبي ﷺ شيء، وهو ﷺ المبين لفضائل الأزمان والأماكن، وغيرها من الأشياء، فمن أين له الفضل المزعوم؟ وكيف يعلوا في الفضل على الكعبة كما يزعم الرافضة ويتقوَّلون في ذلك على أهل البيت؟!؟!.

فإن كانوا يزعمون أن الفضل حصل لأرض«**كربلاء**» من أجل استشهاد الحسين ﷺ فيها؛ فهذا جهل وضلال، لأن موت أحد في أي مكان أو أي زمان، لا يقدِّس ولا يقبِّح المكان ولا الزمان، وعند الرافضة تناقض عجيب في هذا المجال، حيث قالوا بتقديس أرض كربلاء التي استشهد فيها الحسينﷺ، ولا يقولون بتقديس أرض الكوفة التي استشهد فيها والد الحسين علي بن أبي طالب أمير المؤمنينﷺ.

فإن كان الفضل الحاصل لأرض كربلاء من أجل دم الحسين الذي أريق فيها، فليكن هذا الفضل حاصلا لأرض الكوفة التي أريق فيها دم والده ﷺ أيضاً، وهو الأفضل عند الجميع من الحسين ﷺ بدرجات كبيرة.

وتناقض آخر عند الرافضة: وهو أنهم يقدسون المكان الذي استشهد فيه الحسين، ويقبحون الزمان الذي استشهد فيه الحسين[1]، فإن كان موته ﷺ، يقدس فليكن الزمان والمكان مقدسين على سواء، وإن كان يُقبِّح ويتشاءم به، فليكن المكان والزمان متشاءمين قبيحين على سواء، فتقديس مكان استشهاد الحسين ﷺ وتسميته بالحرم، واعتقاد الفضل والأجر فيه، وتقبيح الزمان الذي استشهد فيه، وتسميته يوما مشئوما تناقض واضح، ولقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: «**القوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات**»[2].

موقف الإسلام من الانحراف الثالث: وهو تقديس بعض الأشياء غير الأزمنة والأمكنة.

موقف الإسلام في تقديس الأشياء غير الأزمنة والأمكنة، مثل موقفه فيهما، أي ما ورد في تقديسه دليل يقدس من غير إفراط وتفريط، وما لم يرد في تقديسه شيء لا يقدس.

---

(١) ينظر أقوالهم في تقديس أرض كربلاء في مفاتيح الجنان للقمي ص: ٣٧٨، ٤٨٤، وأقوالهم في التشاؤم بيوم عاشوراء مفاتيح الجنان للقمي ص: ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٥٢٩.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ١/٨.

فالملح والعقيق والفيروزج ونحوها مما ذكر في مبحث الانحرافات، لم يرد دليل يقدسها أو يميّزُها عن غيرها، وما ذكره البعض في ذلك من الأدلة فضعيفة لا تقوم بها الحجة فلا يعتقد تقديسها.

فابتداء الأكل واختتامه بالملح، واعتقاد استحباب ذلك، وأن في ذلك شفاء من سبعين داء، اعتقاد لا يستند إلى دليل صحيح، وما ذكر في ذلك من الأحاديث فغير ثابتة:

مثل: «**يا على عليك بالملح فإنه شفاء من سبعين داء الجذام والبرص والجنون**»(١).

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: «هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، والمتهم به عبد الله ابن أحمد بن عامر أو أبوه فإنهما يرويان نسخة عن أهل البيت كلها باطلة»(٢).

وقال الشوكاني -رحمه الله-: «**موضوع**»(٣)، وعده ابن القيم أيضا من الموضوعات(٤).

وأما حديث: «**إذا أكلت فابدأ بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس ووجع الحلق ووجع البطن...**».

فقال السيوطي -رحمه الله-: أخرج البيهقي أوله في الدلائل(٥) ثم قال وهو حديث طويل في الرغائب والآداب، قال: «**وهو حديث موضوع**، وقد شرطت في أول الكتاب ألا أخرج في هذا الكتاب حديثا أعلمه موضوعا»(٦).

وأما حديث: «**من أكل الملح قبل الطعام وبعد الطعام فقد أَمِنَ من ثلاثمائة وستين نوعا من الداء أهونها الجذام والبرص**»(٧).

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢٨٩.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ٢/٢٨٩، وينظر: اللآلي المصنوعة للسيوطي ٢/٢١١.

(٣) الفوائد المجموعة للشوكاني ص: ١٦١(٢٢).

(٤) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص: ٤٢.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي باب ما يستدل به على أن النبي ﷺ لم يستخلف٧/٢٢٩.

(٦) يُنظر: اللآلي المصنوعة للسيوطي٢/٢١٢.

(٧) ذكره ابن العراق الكناني في تنـزية الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ٢/٢٦٦(١٢٩).

فقد قال ابن عراق الكناني: ((في سنده محمد بن موسى بن إبراهيم عن هشام بن عروة وما عرفته وفي لسان الميزان: محمد بن موسى بن إبراهيم الأصطخري شيخ مجهول فلا أدري أهو هذا أم غيره.والله أعلم)) [1].

فالأحاديث الواردة في فضل الملح، وفي ابتداء الأكل والاختتام به، **موضوعة**، ولا يثبت باتفاق العلماء فضل الشيء واستحبابه بالأحاديث الموضوعة.

وإنما قال بعض العلماء يعمل بالحديث الضعيف في الفضائل إذا لم يكن ضعفه شديدا، وكان مندرجا تحت أصل عام معمول به، وأن لا يعتقد ثبوته لئلا ينسب إلى النبي ﷺ، بل يعتقد الاحتياط[2]، مع أن بعض جهابذة العلماء قالوا بعدم الأخذ بالحديث الضعيف مطلقا، لا في فضائل الأعمال، ولا في غيرها[3]. وأما الأحاديث الموضوعة فلم يقل أحد بالأخذ به أو العمل به، وقال العلماء لا يجوز رواية الحديث الموضوع إلا لبيان وضعه[4]، لحديث النبي ﷺ **((من حدّث عني حديثا، يرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذبين))** [5].

---

(١) تنـزية الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني٢/٢٦٦.

(٢) روي هذا الرأي عن النووي والملا علي القاري، ومن المتقدمين سفيان الثوري، وابن عيينة، وابن مبارك وغيره، يُنظر: الأربعين النووية فصل حكم العمل بالحديث الضعيف ص:٣١، والأسرار المرفوعة لملا علي القاري ص: ٣١٥، الفتوحات الربانية لابن علان ١/٨٢، والحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به ص: ٢٧٢ وما بعدها.

(٣) منهم الإمام البخاري، ومسلم، أبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي، وابن أبي حاتم الرازي، وابن حبان، والخطابي وغيره. يُنظر:قواعد التحديث للقاسمي (ذكر المذاهب في الأخذ بالضعيف، واعتماد العمل به في الفضائل) ص:١٦٥، ومقدمة صحيح مسلم باب النهي عن الرواية عن الضعفاء١/٣٥وما بعدها، شرح علل الترمذي لابن رجب(رواية الضعفاء) ١/٧٤، والمراسيل لابن أبي حاتم الرازي آخر باب ما ذكر في الأحاديث المرسلة) ص:٧، والحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به للدكتور عبد الكريم الخضير ص:٢٥٩.

(٤) يُنظر: الحديث الضيف وحكم الاحتجاج به للدكتور عبد الكريم الخضير ص: ١٤٧.

(٥) رواه الأمام مسلم في مقدمة صحيحه باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين١/٢٢(ح١).

وأما ما قاله بعض المخالفين في تقديس الفرات، كقولهم: «**من اغتسل بماء الفرات، وزار قبر الحسين عليه السلام كان كيوم ولدته أمه صفراً من الذنوب ولو اقترف الكبائر...** ومن أتى قبر الحسين بن علي -عليهما السلام- **فتوضأ واغتسل من الفرات، لم يرفع قدما ولم يضع قدما إلا كتب الله له حجة وعمرة**» كما تقدم نص كلامهم في بيان الانحرافات؛ فهي من المبالغات التي لم يرد الشرع بها.

نعم ورد أن الفرات أحد أنهار الجنة، قال النبي ﷺ: «**...وإذا أربعة أنهار نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل**[1] **والفرات...**»[2].وقال رسول الله ﷺ: «**سيحان، وجيحان**[3]**، والفرات، والنيل، كل من أنهار الجنة**» [4].

فهذا الذي ورد في تلك الأبحر حق من دون إفراط ولا تفريط.

وكذا زيارة المقابر أمر مسنون يكسب بها الزائر الأجر والثواب إذا كان في حدود الزيارة الشرعية ولا يكون فيها شد الرحل من أجل زيارة القبر، ولا يكون فيها قول الهجر ولا غيرها مما يتجاوز بها الحد المشروع.

لكن قول المخالف: «**من اغتسل بماء الفرات، وزار قبر الحسين عليه السلام كان كيوم ولدته أمه صفراً من الذنوب ولو اقترف الكبائر**...إلى آخر ما قال، فقد بالغ في تقديس الفرات و زيارة المقبور، لأنه لم يرد في الشرع أن من زار قبر النبي ﷺ، أو قبر أحد الخلفاء أو غيرهم ممن هو أفضل من الحسين رضي الله عنه أنه يغفر له الذنوب جميعا، أو يصفر من الذنوب كيوم ولدته أمه ولو

---

(١) **النيل**: البحر الذي في مصر، ويسمى بنيل مصر. يُنظر: معجم البلدان للحموي٥/٣٨٥(١٢٣١٨).

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري لابن حجر كتاب مناقب الأنصار باب المعراج ٧/٢٥٤(٣٨٨٧)، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب الإيمان باب الإسراء..٢/٣٩٥(ح٤١٥).

(٣) السيحان والجيحان: هما نهران بالعواصم عند المصيصة وطرطوس. النهاية لابن الأثير١/٣١٨، وينظر: معجم البلدان للحموي٢/١٩٦، ٣/٢٩٣.

(٤) صحيح مسلم مع شرحه للنووي كتاب صفة الجنة والنار، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة ١٧/١٧٤(ح٧٠٩٠).

اقترب الكبائر. والغلو ممنوع في ديننا في كل شيء، حتى في حق سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ فمن دونه أولى. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1].

وقال النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله**»[2]، فإذا منع الغلو في حقه ﷺ فلا يجوز في شيء غيره أبدا.

وهكذا يبالغ بعض الناس في ماء زمزم فيغسلون به الأكفان، أو يبللونها به، ويعتقدون أن هذا سينفع الميت المكفون فيه[3]، ولكن تجاهلوا أن ماء زمزم كان موجودا في زمن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وزمن السلف الصالح -رحمهم الله- ولم يثبت عن أحد منهم أنهم قدسوه إلى حد غسلوا بها الكفن واعتقدوا أن ذلك ينفع من كفن فيه، وقد قال النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».وفي رواية لمسلم «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»[4].

وأما ما قاله البعض في تقديس العقيق، والفيروزج فلم ينقل عن النبي ﷺ في تقديس العقيق أو الفيروزج ونحوهما من الأحجار حديث صحيح يحتج به.

---

(١) سورة المائدة (٧٧).

(٢)صحيح البخاري مع الفتح كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى واذكر في الكتاب مريم ٦/ ٥٨٣ (ح٣٤٤٥)

(٣) قال أحدهم: ولو وضع شعر رسول الله ﷺ، أو عصاه أو سوطه على قبر عاص لنجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإن كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب سكانها بلاء ببركتها، وإن لم يشعر بها، ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به، وبطانة أستار الكعبة، والتكفن بها.الوسيلة لسيد همايون رشيد ص: ٧٥-٧٦ محيلا إلى روح البيان للحقي ٣/٢٥٩.

(٤) تقدم تخريج الروايتين ص:١٩٢.

قال الناجي[1] -رحمه الله-: ((ورد التختم بالعقيق ونحوه من الاحجار في عدة آثار، أشار إلى كثير منها ابن الجوزي في كتابه الموضوعات[2]، وقال: إنها ليست بصحيحة، وبيَّن حال رواتها مُبَرْهَناً على ذلك))[3].

وقال العقيلي -رحمه الله-[4]: ((لا يثبت عن النبي ﷺ في هذا شيء))[5].

وقال العجلوني -رحمه الله- [6]: ((التختم بخاتم من عقيق... لم يثبت فيه شيء))[7].

وأما يذكرونه البعض من خواص معينة لهذا الأحجار، كقولهم في العقيق: إنه أمان من القطع، وأتمُّ للسلامة وأصون للدين...، وقولهم في الفيروزج: أمان من السباع خاصة، وظفر في الحرب...كما تقدم كلامهم في مبحث بيان الانحرافات؛ فلا دليل عليه، ولا يقبل الدعوى إلا بدليل مقبول.

كما أن الواقع يكذّب دعواهم هذا، لأن كثيرا ممن يتختمون بهذه الأحجار من العقيق والفيروزج وغيرهما، ويعيشون في حالة فقر، وضيق، وشدة، ويتكففون الناس، وبعضهم يعتقدون في مثل هذه الأحجار هذه الخواص وغيرها؛ فيتعلق قلوبهم بها من دون

---

(١) **الناجي**: هو إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر الشهير بالناجي ولد عام ٨١٠هـ سمع من ابن حجر، وابن ناصر الدين وغيره، توفي سنة ٩٠٠هـ.ينظر ترجمته في: الضوء اللامع للسخاوي ١٦٦/١، ومقدمة التعليق الرشيق في التختم بالعقيق لجمال عزون ص: ٥ وما بعدها.

(٢) يُنظر: الموضوعات لابن الجوزي ٥٦/٣ وما بعدها.

(٣) التعليق الرشيق في التختم بالعقيق لإبراهيم الناجي ص: ١٠.

(٤) **العقيلي**: هو الإمام الحافظ الناقد أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي صاحب((كتاب الضعفاء)) توفي سنة ٣٢٢هـ يُنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣٦/١٥(٩٣)، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٩١/٤.

(٥) الضعفاء للعقيلي ٤٤٩/٤(ح٢٠٧٦)..

(٦) **العجلوني**: هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني، الجراحي، الشافعي، مفسر، محدث، مؤرخ، ولد سنة ١٠٨٧هـ وتوفي ١١٦٢هـ. يُنظر:سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي ٢٥٤/١(١٥٠)، ومقدمة كشف الخفاء بقلم يوسف الحاج ص: ١٣ وما بعدها، ومعجم المؤلفين لكحالة٣٧٨/١.

(٧) كشف الخفاء للعجلوني ٥٦٨/٢(خاتمة الكتاب).

الله، ويتوكل على هذه الأحجار، ويعلقونها أو يتختمون بها كتميمة، وقد قال النبي ﷺ: «**من علّق تميمة فقد أشرك**»[1] فكيف يقال أنهم أصون دينا، بل الأصون دينا ممن ابتعد عن الشرك.

فالآثار الواردة في العقيق والفيروج لم تثبت. ولا يثبت التقديس الشرعي لشيء إلا إذا أثبته له الشرع، وإذا أثبت الشرع للشيء تقديسا فيقدس في حدود الشرع من غير إفراط ولا تفريط. والله أعلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) رواه أحمد ١٥٦/٤، وقال الهيثمي: رواته ثقات.يُنظر: مجمع الزوائد للهيثمي باب فيمن يعلق تميمة أو نحوها١٠٣/٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ القسم الثاني/٨٩٠(ح٤٩٢).

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا، وبنعمته تتم الصالحات، أحمد ربي وأشكره على تيسيره، وإعانته، وتوفيقه لإنجاز هذا البحث فله الحمد وله الشكر، ولا أدّعي الكمال والعصمة من الخطأ، فإن عملَ ابنِ أدم -غير الأنبياء- معرَّض للخطأ والنقصان، ولكنني بذلت في كتابة هذا البحث قصارى جهدي، فأرجو من الله أن ينفع به المسلمين عامة، وأهل إقليم سرحد بباكستان خاصة، وقد تبيّن لي من خلال دراستي لهذا الموضوع عدة فوائد أجملها فيما يأتي:

الأول: أن الانحراف المتعلق بتوحيد العبادة: هو الميل، والعدول عما يجب في حق الله ﷻ، بالإفراط، أو التفريط؛ **فالإفراط**: هو الغلو كأن يجعل للعبادة غير الطريقة التي جعلها الله للعبادة، وبيّنها الرسول ﷺ. **والتفريط**: هو التقصير في إعطاء حقٍّ من حقوق الله تعالى، كأن لا يُفرِده سبحانه في ذلك الحق، ويجعل له شريكا فيه غيره، سواء أشْرَكَه معه من كل الوجوه أو بعض الوجوه.

الثاني: أن لهذه الانحرافات أضراراً وأخطاراً ترجع على الفرد والمجتمع، فمما ترجع على الفرد تحريمه من شفاعة النبي ﷺ، ومنعه من الورود على حوضه يوم القيامة. ومما ترجع على المجتمع تفريق وحدة الأمة، وانتشار البطالة، والتخلف الاقتصادي، وسقوط أموال الناس في أيدي السحرة والمشعوذين ونحوهم.

الثالث: أن أسباب الانحرافات في إقليم سرحد كثيرة من أبرزها:

١- الجهل، هذا أعمها وهو أمها، والإفراط والتفريط.

٢- بُعْدُ بعض الناس وإبعاد غيرهم عن العمل بالقرآن والسنة.

٣- تجزئة الشريعة والأخذ ببعض النصوص دون بعض.

٤- الإعراض عن فهم السلف في تفسير النصوص.

٥- الاعتماد على المرويات الواهية والاستدلال بها.

٦- الاعتماد على الرؤى والأحلام والاستدلال بها.

٧- الاعتماد على الكشف والمراقبات والمشاهدات والاستدلال بها.

٨- الاعتماد على القصص والحكايات والاستدلال بها.

٩- الغلو في تعظيم الأشخاص وأقوالهم.

١٠- إتباع الهوى والطمع المادي والمعنوي.

١١- تأثر العلماء بعلم الكلام والمنطق.

١٢- تحريف نصوص الكتاب والسنة.

١٣- عدم الأخذ بأخبار الآحاد الصحيحة في العقائد.

١٤- جهود علماء السوء في نشر الباطل.

١٥- وسائل الإعلام الداخلية والخارجية.

١٦- جهود بعض رجال السياسة، والمؤسسات في الانحرافات.

١٧- تعظم الآثار، والمشاهد، والقبور.

١٨- تقليد غير المسلمين في العادات والرسومات

وتندرج أسباب الانحرافات كلها تحت ترك العمل بالكتاب والسنة، ومعالجتها تكون بالرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم سلف هذه الأمة، وذلك عن طريق نشر العلم الشرعي الصحيح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع مراعاة أصوله، وقواعده، ومراتبه.

ومن الانحرافات المتعلقة بتوحيد العبادة في إقليم سرحد.

أ: ما يتعلق بالعبادات القلبية.

١- ما يتعلق بالمحبة.

- إنكار وجود المحبة بين الخالق والمخلوق.
- الإنكار من أن تكون المحبة من العبادة.
- الخلط بين أقسام المحبة، وقد نتج عن ذلك انحرافات أخرى.
- ترويج البدع باسم المحبة، كالاحتفال بالمولد، والأعراس على القبور.
- استعمال الألفاظ التي لا يليق بالله ﷻ ولا برسوله ﷺ، كقول البعض أنا عاشق الله، أو عاشق الرسول.
- عدم ابتغاء الجنة بالمحبة، على زعم منهم أن ذلك ينافي لمحبة الله.

٢- ما يتعلق بالخوف والرجاء والتوكل.

- خوف السر ورجاء السر من المخلوق كالخوف والرجاء من المشايخ، والأولياء، وتسبب هذان في صرف بعض أنواع العبادة لغير الله كالاستمداد والاستغاثة بغير الله، واللوذ والعوذ بغير الله، والذبح، والنذر لهم، ونحو ذلك من العبادات البدنية والمالية.
- عدم التفريق بين الخوف الطبيعي وخوف السر، وما يكون من الرجاء تحت الأسباب، وما فوقها.

٣- ما يتعلق بالتَّوكُّل.

- الاعتماد بالأسباب كليا أو ترك الأخذ بالأسباب كليا.
- الاعتماد على الوظيفة والعمل، أو الثقة بالنفس وعضلات البدن.

٤- ما يتعلق بالتعظيم والطاعة.

- منع العامي والعالم من العمل بالحديث، وإلزامه بالعمل على رأي الفقيه.
- تعظيم آراء الرجال وأقوالهم وترك النصوص.
- ردّ الأحاديث الصحيحة، أو تحريفها لفظا أو معنا، إذا خالفها أقوال رجال المذهب.
- الاعتقاد في النبيﷺ بأنه المتصرف في الكون، أو هو حاضر وناظر في كل مكان في جميع الآونة.
- اعتقاد كونه ﷺ نورا لا بشرا، أو أن جسده نوراني وبشري، أو هو علة وجود الكون.
- طاعة الكبراء والأمراء، ورؤساء القبائل في مقابل النصوص الشرعية.

٥- ما يتعلق بعلم الغيب.

- الاعتقاد بأن الرسول ﷺ يعلم الغيب.
- الاعتقاد بأن الأولياء ومشايخ الصوفية يعلمون الغيب.
- الاعتقاد بأن عوام المسلمين يعلمون الغيب.
- ادعاء بعض الناس علم الغيب صراحة أو تلميحا.

٦- ما يتعلق بالتشاؤم والتطير.

- التشاؤم بالأيام والشهور.
- التشاؤم بالأفعال والأمور.
- التشاؤم بالحيوانات والطيور.

ب: من الانحرافات المتعلقة بالعبادات اللسانية.

١- ما يتعلق بالذكر والدعاء.

- المواظبة على الأوراد، والأذكار البدعية التي لم ترد في الشرع.
- التلفظ بجملة غير تامة، أو ألفاظ مفردة، كضمائر متصلة أو منفصلة ونحوها.
- تحديد الأذكار بكيفٍ وكمٍ معينٍ لم يرد به الشرع.
- الذكر بأسماء مشايخ الصوفية على سبيل الورد.
- الخطاء في معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».
- كتابة البسملة أو كلمة التوحيد أو غيرهما مما يسميه البعض بالعهد على جبين الميت أو الكفن بالأصبع أو بالحبر والمداد.
- تلقين الميت الشهادتين بعد الدفن.

٢- ما يتعلق بالاستغاثة والاستعانة.

- الاستغاثة والاستعانة بالأنبياء، والأولياء، وغيرهم، فيما لا يقدر عليه إلا الله.
- النداء بأسماء المشايخ من البعد البعيد في الملمات، وإهداء الصلاة لهم لردّ الضالة، ولقضاء الحاجات، وحفظ الأموال.

٣- ما يتعلق بالنذر.

- النذر لغير الله كالأولياء والقبور.
- الإتيان بالحيل الباطلة لتجويز النذر لغير الله ولأكلِ المالِ المنذور.

٤- ما يتعلق بالتوسل والشفاعة.

- تعريف الوسيلة بعلماء الحقيقة، ومشايخ الطريقة.
- الإتيان بالأفعال الشركية بزعم أنها من التوسل.
- استدلالات على جواز التوسل البدعي بما لا يدل عليه.
- طلب قضاء الحاجات وسؤال الشفاعة من غير الله، باسم التوسل.

٥- ما يتعلق بالحلف، والرقى.

- الحلف بغير الله، كالأنبياء، والأولياء والمساجد.
- الإقسام على الله بالمخلوق.
- الرقية بأسماء المشايخ، أو سلسلة رواة سند الحديث.
- الرقية بأسماء الجن والشياطين، أو ما لا يعرف معناه.
- استحداث الكيفيات العجيبة للرقى.

٦- ما يتعلق بالتعبيد في الأسماء.

- التعبيد لغير الله في الأسماء،كعبد المصطفى، وعبد الحسين، وعبد الرضا.
- حذف كلمة ابن، أو بنت بين اسم الوالد وولده تقليدا للغربيين.

ج: من الانحرافات المتعلقة بالعبادات البدنية.

١- ما يتعلق بالركوع، والسجود.

- فعل الركوع والسجود للأنبياء والأولياء وقبورهم.
- السقوط والانحناء إلى رجلي الإنسان بزعم أن هذا من التأدب.
- وضع الجبهة على شيء يسمى بالتربة الحسينية.
- أداء السجدة المفردة بعد السلام من الصلاة المفروضة أو غيرها، باسم سجدة الشكر، أو سجدة التوبه.

٢- ما يتعلق بالطواف والاعتكاف.

- الطواف على القبور، والأضرحة، وأكل ترابها.

- العكوف في غير المساجد،كالكهوف والمغارات، والقبور والمزارات.
- الاعتكاف من أجل الإتيان بالأوراد البدعية.

٣- ما يتعلق بالذبح وتقديم القرابين.

- الإطعام، أو التصدق عن مال الميت قبل دفنه، أو بعده، ولأيام متتالية.
- تقديم القرابين إلى القبور وسدنتها، والذبح أمام المركبة وتلطيخ عجلاتها بدم المذبوح.
- تحديد وتعيين بعض الأيام المعينة للإطعام عن الميت.
- التصدق بعض الأيام المعينة من السنة دون غيرها.
- القيام ببدعة يسميه البعض بحيلة الإسقاط.
- التصدق والذبح في بعض الأيام المعينة، بأسماء المشايخ والصالحين تقربا إليهم، واعتقاد عدم فعل ذلك خطرا على الأموال والأنفس.
- القراءة على الطعام، ويسميه البعض بالختم الشريف.

٥- ما يتعلق بالتمائم.

- نسبة كتابة التمائم إلى النبي ﷺ.
- التعوّذ والاستغاثة والحلف بغير الله ﷻ في التمائم
- امتهان الآيات القرآنية في تعليقها على الدواب والحيض.
- تجويز كتابة القرآن بالنجاسات كالدم والبول وجلد الميتة.
- التلاعب بآيات القرآن بالتقديم والتأخير، وتحريفها في التمائم .
- تعليق التمائم الشركية والسحرية.

٦- ما يتعلق بتقديس الأزمنة والأمكنة غيرها.

- تقديس أشياء لم يقدسها الشرع، ورفع المقدسات الشرعية فوق منـــزلتها.
- تقديس اليوم الأول من السنة.
- تقديس اليوم التاسع من ربيع الأول، والاحتفال فيه باسم عيد البَقْر.
- تقديس بعض الأيام من شهر رجب.

- تقديس ليلة النصف من شعبان وتخصيصا بذكر الله ونحوه من العبادة.
- تقديس يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان وتخصيصها ببعض العبادات.
- تقديس يوم الثامن عشر ذي الحجة باسم عيد غدير خم.
- الغلو في تعظيم القبور، وخاصة إذا نسبت إلى أولياء.
- تقديس غار حراء.
- تقديس أرض كربلاء.
- تقديس الملح.
- تقديس الفرات.
- تقديس العقيق، والفيروزج.

هذا ما توصلت إليه من خلال بحثي فإن كان صوابا فمن الله ﷻ.وهو ولي التوفيق، وإن كان دون ذلك؛ فأستغفر الله الغفور، وأسأله تعالى أن يوفقني للرشد، ويلهمني الصواب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وسبحانك اللهم وبحمد أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

توصية واقتراح.

أوصي إخواني طلبةَ العلم والدعاةَ المصلحين، وأقترح عليهم: أن يكتبوا بحوثهم العلمية في فيما يلاحظونه في بلدانهم من الانحرافات المتعلقة بالعبادة والتوحيد عموما، وفيما يتعلق منها بتوحيد العبادة خصوصا، وأن يبينوا سبلَ معالجة تلك الانحرافات بما يناسب طبيعة بلدانهم، لأنهم أدرى بذلك، لعل الله يباركَ في جهودهم، ويصلح ما فسد من أحوال الأمة الإسلامية، ويرفع من المجتمعات ما نزل بها من المحن والفتن.

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

كلمة الرجاء:

أرجو كل من يطلع على خطأ في هذا البحث– من أي نوع كان– أن ينبه المؤلف عن طريق العناوين البريدية الآتية؛ ليتدارك. وجزاكم الله خيرا.

a.razzaq٣٣@yahoo.com
a.razzaq٣٣@Gmail.com
a.razzaq٣٣@hotmail.com

أخوكم
أبو سعيد عبد الرزاق بن محمد بشر "بشرزي"

فهرس

المصادر والمراجع

ح- فهرس المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية

١- القرآن الكريم.

٢- الإبانة لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العُكبري، تحقيق رضا بن نعسان معطي، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٩٩٤هـ.

٣- أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

٤- الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ، تحقيق سعد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

٥- إبطال القول بوحدة الوجود، ونقض نصوص ابن عربي، لعلامة الملا علي القاري، تحقيق أحمد بن إبراهيم أبي العينين، مكتبة ابن عباس مصر، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٦م.

٦- الإتباع لابن أبي العز الحنفي تحقيق محمد عطاء الله حنيف، وعاصم القريوتي، طبعة لاهور، إقليم بنجاب، باكستان.

٧- الآثار المروية عن السلف في العقيدة في كتاب تاريخ مدينة دمشق، تأليف توفيق بن كمال طاس، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٨- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة للشيخ الفوزان، جمع وتعليق جمال بن فريحان الحارثي، دار المنهاج مصر، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٤هـ.

٩- أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين، لسليمان بن محمد الدبيخي، مكتبة دار المنهاج، الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

١٠- أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة، تأليف سليمان بن محمد الدبيخي، مكتبة دار المنهاج، الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ.

١١- الأحاديث الموضوعة التي تنافي توحيد العبادة، تأليف أسامة بن عطاء عثمان، مكتبة الرشد، الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٨هـ.

١٢- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام تأليف لمحمد بن علي ابن دقيق العيد، تحقيق أحمد محمد شاكر مكتبة السنة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ.

١٣- أحكام الجنائز وبدعها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ.

١٤- أحكام الرقى والتمائم لفهد بن ضويان السحيمي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٥- أحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعي، تعريف زاهد الكوثري، ووضع هوامشه عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ١٣٩٥هـ، وبتعليق إبراهيم محمد، دار هجر بمصر،١٤١٠هـ.

١٦- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

١٧- آداب الدنيا والدين لعلي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة، ١٤٢٤هـ.

١٨- الأدب الأفغاني الإسلامي تأليف الدكتور محمد أمان صافي، نشر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٧هـ.

١٩- الأدب المفرد لإمام محمد بن إسماعيل البخاري بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٠- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة تأليف عبد القادر بن شيبة الحمد، دار الزمان المدينة المنورة، الطبعة الثانية، عام: ١٤٢٦هـ

٢١- الأذكار تأليف يحيى بن شرف النووي ، تحقيق علي الشربجي، قاسم النوري، طبعة المحققين، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ.

٢٢- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد لصالح بن فوزان الفوزان، (بدون اسم الناشر)الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٢٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٩هـ.

٢٤- أسئلة قادت شبابا إلى الحق، لسليمان بن صالح الخراشي، مركز إحياء تراث آل البيت، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٢٥- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، وعلماء الأقطار، فيما تضمنه المؤطا من المعاني والرأي والآثار، وشرح ذلك كله بإيجاز واختصار، تصنيف يوسف ابن عبد البر، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الواعي القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ.

٢٦- استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، لعبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، الناشر: دار الفتح.

٢٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق علي البجاوي، دار الجليل بيروت الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ.

٢٨- أسد الغابة لأبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

٢٩- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، تأليف الملا علي القاري، تحقيق محمد الصباغ، مؤسسة الرسالة، عام ١٣٩١هـ.

٣٠- أسنى الطالب شرح روض الطالب للنووي مع حاشيته لأبي العباس أحمد بن الرملي الكبير، تخريج محمد، محمد، تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام١٤٢٢هـ.

٣١- الإصابة في تميز الصحابة لأحمد بن علي ابن حجر، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤١٥هـ.

٣٢- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

٣٣- أصول السنة لرد البدعة للشيخ محمد طاهر الفنجفيري، نشر مركز جماعة إشاعة التوحيد والسنة، موضع پنج پير، مردان إقليم سرحد، باكستان.

٣٤- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية -عرض ونقد- لناصر بن عبد الله القفاري، دار الرضا، النويشي الجيزة، مصر، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٨هـ.

٣٥- الأصول من الكافي تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني، الرازي،(الرافضي) مكتبة الصدق، طهران، إيران، سنة الطباعة ١٣٨١هـ.

٣٦- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد أمين الشنقيطي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٧- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث القاهرة، مصر، سنة الطباعة، ١٤٢٤هـ.

٣٨- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ بن أحمد الحكمي، دار الزاحم الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٣٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، تعليق طه عبد الرؤف سعد، دار الجليل بيروت لبنان. عام ١٩٧٣م.

٤٠- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة.

٤١- أعمال القلوب حقيقتها، وأحكامها عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم، لسهل بن رفاع للعتيبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٤٢- أعمال القلوب لمحمد دوكوري، رسالة علمية غير مطبوعة، منها نسخة في مكتبة المسجد النبوي، بالمدينة المنورة.

٤٣- الأعياد وأثرها على المسلمين، تأليف: سليمان بن سالم السحيمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٤٤- إغاثة اللهفان في/من مصائد الشيطان لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، تخريج الألباني، تحقيق علي حسن الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ، وبتحقيق محمد سيد الكيلاني مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، عام ١٣٨١هـ.

٤٥- الأفعال لسعيد بن محمد المعافري، تحقيق حسين محمد محمد شريف، المطبعة الأميرية بمصر، سنة الطباعة ١٣٩٥هـ.

٤٦- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لأحمد بن عبدا لحليم ابن تيميه، تحقيق ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، عام١٤١١هـ. ووزارة الأوقاف السعودية. الطبعة السابعة، عام ١٤١٩هـ

ح- فهرس المصادر، والمراجع

٤٧- الإقناع لطالب الانتفاع لموسى بن أحمد الحجاوي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٣هـ.

٤٨- إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، للقاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٤٩- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى عام١٤٢٢هـ. ودار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١٣هـ.

٥٠- الإمام الزاهد ابن عثيمين، تأليف ناصر بن مسفر الزهراني، دار ابن الجوزي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٥١- إمام العصر عبد العزيز بن باز تأليف ناصر بن مسفر الزهراني، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.

٥٢- الإمام عبد الله بن المبارك المروزي المحدث الناقد لمحمد سعيد بخاري، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٥٣- الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث لخليل إبراهيم قوتلاي، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.

٥٤- الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق مشهور حسن، دار ابن حزم بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ.

٥٥- الانبساط في إثبات حيلة الإسقاط تأليف رياض الدين المهمندي، الناشر: مظهري كتب خانه شارع يارحسين، مديرية مردان، إقليم سرحد باكستان.

٥٦- الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي، تأليف:عبد المحسن ابن حمد العباد البدر، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى،عام ١٤٢٤هـ.

٥٧- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال (الرد عليه في كتابة ثم اهتديت، تأليف إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٣هـ.

٥٨- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، (تصوير من نسخة دار الكتب المصرية).

٥٩- الانجاز في ترجمة الإمام ابن باز تأليف عبد الرحمن بن يوسف الرحمة طبعة المؤلف ١٤١٩هـ.

٥٩- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، مع المقنع لموفق ابن قدامة، والشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

٦٠- الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (الرافضي)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٤هـ.

٦١- أهمية توحيد العبادة للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، طبعة المؤلف، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٩هـ.

٦٢- الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، لنعمان الألوسي الحنفي، تحقيق الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٦٣- إيقاظ همم أولي الأبصار للإمام صالح بن محمد العُمري الشهير بالفلاني، دار النشر الإسلامية گوجرانواله باكستان، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٥هـ.

٦٤- الباعث في إنكار الحوادث لأبي شامة مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، عام ١٣٩٨هـ.

٦٥- البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن إبراهيم ابن نُجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، و تخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٦٦- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ.

٦٧- البدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر مسعود الكاساني، تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

٦٨- بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ.

٦٩- بداية المجتهد لأبي الوليد ابن رشد، تحقيق علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

ح- فهرس المصادر، والمراجع

٧٠- البداية والنهاية لإسماعيل ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٧١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

٧٢- البدع الحولية عبد الله بن عبد العزيز أحمد التويجري، دار الفضيلة، الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

٧٣- بدع القبور أنواعها وأحكامها تأليف صالح بن مقبل العصيمي التميمي، دار الفضيلة الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٧٤- بدع وأخطاء تتعلق بالأيام والشهور، تأليف أحمد عبد الله السلمي، دار القاسم الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ.

٧٥- البدع والمحدثات وما لا أصل له جمع حمود عبد الله للمطر، دار ابن خزيمة الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٤١٩هـ.

٧٦- البدع والنهي عنها، لمحمد ابن وضاح القرطبي، تحقيق عمر عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٣هـ.

٧٧- بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، تأليف عبد الله الجميلي، الطبعة الرابعة، عام ١٤٢٣هـ.

٧٨- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، عالم الكتب الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٧٩- البريلوية عقائد وتاريخ، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٨٠- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي التجار، الطبعة الثالثة، وزارة الأوقاف المصرية (صورة المكتبة العلمية بيروت لبنان ١٤١٦هـ).

٨١- البصائر للمتوسلين بأهل المقابر للشيخ محمد طاهر الفنجفيري، دار القرآن موضع پنج پير، ضلع مردان، إقليم سرحد باكستان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٨٢- البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر لمولانا حمد الله الداجوي، طبعة(وقف الإخلاص) استانبول، تركيا، عام ١٤١٤هـ.

٨٣- تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين محمد مرتضى الزبيدي الحنفي، تحقيق علي شبري، دار الفكر بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٤٢٦هـ.

٨٤- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، سنة الطباعة ١٤٢١هـ.

٨٥- التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، عام ١٤١١هـ.

٨٦- تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى، عام ١٣٧١هـ.

٨٧- تاريخ الدولة الفاطمية تأليف الدكتور محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي القاهرة مصر، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٤م.

٨٨- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

٨٩- تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام) لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، وبتحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ.

٩٠- تاريخ خليفة بن خياط تحقيق أكرم ضياء العمري، دار الطيبة الرياض السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٥هـ.

٩١- تاريخ مدينة دمشق لعلي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تحقيق محب الدين عمر ابن غرامة العَمْري، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٩٢- تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرَّزاز الواسطي المعروف ببحشل(٢٩٢هـ) تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

٩٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينورى، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، و مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه.

ح- فهرس المصادر، والمراجع

٩٤- التبيان في آداب حملة القرآن ليحيى بن شرف النووي، تحقيق محمد الحجّار، دار ابن حزم بيروت لبنان، الطبعة الرابعة.

٩٥- تتمة الأعلام للزركلي تأليف محمد رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٢هـ.

٩٦- تجريد أسامي الصحابة لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٩٧- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٣هـ.

٩٨- التحذير من فتنة القبور، للشيخ عبد العزيز ابن باز، مدار الوطن، الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٨هـ.

٩٩- تحريم كتابة القرآن بحروف غير عربية(أعجمية أو لاتينية) تأليف صالح علي العَوْد، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، الرياض، سنة الطباعة ١٤١٦هـ.

١٠٠- تحفة الأحوذي بشرح الترمذي، لعبد الرحمن المباركفوري، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤١٠هـ.

١٠١- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المر سلين، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (صورة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٠هـ).

١٠٢-التحفة العراقية في أعمال القلوب لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق سليمان مسلم الحرش، دار الهدي للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٧هـ.

١٠٣- تحفة الفقهاء وهي أصل بدائع الصنائع لعلاء الدين السمرقندي، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

١٠٤- تحقيق أحمد شاكر على مسند أحمد بن حنبل، دار الحديث القاهرة،مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

١٠٥- التدابير الواقية من التشبه بالكفار، تأليف عثمان دوكوري، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

١٠٦- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين السيوطي، تحقيق طارق عوض الله محمد، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى، عام١٤٢٤هـ.

١٠٧- تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

١٠٨- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة تصنيف محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق محمد أحمد عيسى، دار الغد الجيد مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.وبتحقيق الصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة دار المنهاج الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

١٠٩- تراجع العلامة الألباني فيما نص عليه تصحيحا وتضعيفا، جمع أبي الحسن محمد حسن الشيخ، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ.

١١٠- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني، ومعه شرح الصدور في تحريم رفع القبور للشوكاني، باعتناء عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

١١١- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لأحمد بن علي ابن حجر، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، ومحمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى عام ١٤٠٥هـ.

١١٢- التعريفات علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام١٤٠٧هـ.

١١٣- تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق أبي مالك كمال بن سالم، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي، سنة الطباعة ١٤٢٤هـ.

١١٤- التعليق الأمين، على كتاب التبيين لأسماء المدلسين لسبط ابن العجمي، التعليق لمحمد إبراهيم داود الموصلي ، الناشر مؤسسة الريان بيروت لبنان الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

١١٥- التعليق الرشيق في التختم بالعقيق لإبراهيم الناجي تحقيق جمال عزون، دار التوحيد الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٩هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

١١٦- تفسير أبي سعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للقاضي أبي سعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

١١٧- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية تونس، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٤م

١١٨- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

١١٩- تفسير القران العظيم لإسماعيل ابن كثير، تحقيق مصطفى السيد وزملاءه، دار عالم الكتب السعودية، الطبعة الأولى، عام١٤٢٥هـ.

١٢٠- تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق محمد الأمين الحسين الشنقيطي، دار البخاري، بريدة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ.

١٢١- التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

١٢٢- تفسير المظهري، للقاضي ثناء الله الحنفي المظهري النقشبدي، تحقيق أحمد عِزّو عناية، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

١٢٣- تفسير روح البيان، لإسماعيل الحقي البروسوي، دار إحياء التراث الربي بيروت.

١٢٤- التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية تأليف أحمد بن أبي سعيد المعروف بملا جِيْوَنْ، مكتبة الشركة(الحجرية).

١٢٥- تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، تأليف محمد أحمد لوح، دار ابن القيم الخبر، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

١٢٦- تقريب التدمرية لمحمد بن صالح العثيمين، دار الوطن،الرياض، طبعة عام١٢٢٤هـ.

١٢٧- تقريب التهذيب لأحمد بن علي ابن حجر، تحقيق أبي الأشبال صغير أحمد الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

١٢٨- التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح، لحافظ زين الدين العراقي، وضع حواشيه محمد عبد الله شاهين، نشر دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٠هـ.

١٢٩- التكفير وضوابطه تأليف إبراهيم بن عامر الرحيلي، دار الإمام البخاري، قطر، الطبعة الأولى١٤٢٦هـ.

١٣٠- تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ، وبتحقيق أيمن صالح شعبان، دار الحديث القاهرة مصر، سنة الطباعة ١٤٢٤هـ.

١٣١- التمهيد لشرح كتاب التوحيد لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، دار التوحيد الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.

١٣٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر عمر يوسف القرطبي، تحقيق سعيد أحمد أعراب، طبعة عام ١٤٠٣هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

١٣٣- التنبيهات السنية لعبد العزيز الرشيد، دار الرشيد الرياض، الطبعة الرابعة، عام ١٤٢٤هـ.

١٣٤- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تعليق ابن باز، وتحقيق علي حسن الأثري، دار ابن القيم الدمام، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ.

١٣٥- التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، تأليف عبد المجيد بن سالم المشعبي، مكتبة الصديق، الطائف السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ

١٣٦- تنزية الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي ابن عراق الكناني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٩هـ

١٣٧- تهذيب الأسماء واللغات ليحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (صورة من الطبعة المنيرية).

١٣٨- تهذيب التهذيب لأحمد بن علي ابن حجر، تحقيق إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ، ودار الصادر بيروت، لبنان (مصور من الطبعة الأولى بمطبعة دائرة النظامية، حيدر الآباد الدكن الهند

١٣٢٦هـ.) وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

١٣٩- تهذيب الكمال لأبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،الطبعة الثانية، عام ١٤١٣هـ.

١٤٠- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد الحليم النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة.

١٤١- تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية، تأليف عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، طبعة المؤلف، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

١٤٢- التوسل أنواعه وأحكامه، لمحمد ناصر الدين الألباني، جمع محمد عيد عباسي، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، عام ١٤٠٦هـ.

١٤٣- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، تأليف محمد نسيب الرفاعي، المكتبة المكية، مكة المكرمة، السعودية.

١٤٤- توضيح الكافية الشافية لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، طبعة عام١٤٢٠هـ.

١٤٥- تيسير العزيز الحميد، تأليف سليمان بن عبد الله آل الشيخ، تحقيق أحمد بن علي، دار الغد الجديد، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٤٦- تيسير الكريم الرحمن، تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، وزارة الشئون الإسلامية السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

١٤٧- تيسير مصطلح الحديث، لمحمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الثامنة.

١٤٨- الثمر الداني شرح رسالة أبي زيد القيرواني، جمع صالح عبد السميع الآبي الأزهري، دار الفكر بيروت، لبنان.

١٤٩- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، نشر مؤسسة غراس، دولة الكويت الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

١٥٠-جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبه الحلواني بيروت، لبنان،عام ١٣٩٢هـ، وتحقيق أيمن شعبان، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٥١- جامع البيان لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر القاهرة، ودار الأعلام عمان الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ..

١٥٢- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت،١٤٠١هـ.

١٥٣- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بـ(دستور العلماء)تأليف عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد النكري، مؤسسة الأعلمي بيروت، لبنان،الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

١٥٤- جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، (بدون اسم الناشر) الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

١٥٥- جامع بيان العلم وفضله، تأليف أبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق أبي لأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ.

١٥٦- الجامع لأحكام الصلاة، لمحمود عبد اللطيف عويضة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٥٧-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي بن أبي بكر الخطيب البغدادي تحقيق محمود الطحان مكتبة المعارف الرياض، سنة الطباعة١٤٠٣هـ.

١٥٨-الجامع لشعب لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية بومبائي الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٥٩- الجرح والتعديل لعبد الرحمن ابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية(تصوير من الطبعة الهندية) ونسخة بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، سنة الطباعة ١٤٢١هـ.

١٦٠- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، لنعمان خير الدين ابن الألوسي الحنفي، دار المدني بالقاهرة، مصر.

ح- فهرس المصادر والمراجع

١٦١- جهود الشافعية في تقرير توحيد العبادة، تأليف عبد الله عبد العزيز العنقري، دار التوحيد للنشر الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ..

١٦٢- جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة، تأليف عبد الله بن فهد العرفج ، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٨هـ.

١٦٣- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، لشمس الدين الأفغاني، دار الصميعي، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

١٦٤- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز عسكر، وحمدان الحمدان، وعلي حسن ناصر، دار العاصمة الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٩.

١٦٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، طبعة عام ١٤١٤ هـ

١٦٦- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف عبد القادر القرشي الحنفي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مؤسسة الرسالة، دار هجر ، سنة الطباعة ١٤١٣هـ.

١٦٧- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق إبراهيم باجس عبد الحميد، دار ابن حزم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

١٦٨- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، لإبراهيم بن محمد العلائي المعروف بابن دقماق تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة. الطبعة الأولى.

١٦٩- الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري في فروع الحنفية، لأبي بكر بن علي الحداد الزبيدي، تحقيق إلياس قبلان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ.

١٧٠- حاشية الأصول الثلاثة، لمحمد بن عبد الوهاب، تأليف عبد الرحمن بن القاسم النجدي، طبعة الشارح، الطبعة الخامسة، عام ١٤٠٧هـ.

١٧١- حاشية الدسوقي لمحمد بن أحمد الدسوقي المالكي على الشرح الكبير لأحمد بن محمد العدوي الدردير، تخريج محمد عبد الله شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

١٧٢- حاشية الشهاب الحنفي على تفسير البيضاوي، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي الحنفي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

١٧٣- حاشية الطحطاوي (أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي) على المراقي للحسن بن عمار الشرنبلالي، ضبط والتصحيح محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ، وطبعة أصح المطابع، آرام باغ كراتشي باكستان.

١٧٤- حاشية العلامة محمد بن عبد الهادي السندي على سنن المصطفىﷺ لابن ماجه، دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الثانية.

١٧٥- حاشية القونوي الحنفي على تفسير البيضاوي، لإسماعيل بن محمد الحنفي القونوي، مع حاشية ابن التمجيد لمصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

١٧٦- حاشيتا شهاب الدين أحمد بن أحمد القليوبي، وشهاب الدين عميرة على كنز الراغبين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الثانية.

١٧٧- الحاوي الكبير في فقه الشافعي، لعلي بن محمد الماوردي، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية عام ١٤١٩هـ.

١٧٨- حجة الله البالغة لشاه ولي الله(أحمد بن عبد الرحيم) الدهلوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٧٩- الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة إسماعيل بن محمد الأصفهاني، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي ومحمد أبو رحيم، دار الراية، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، عام١٤١٩هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

١٨٠- الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، تأليف عبد الكريم بن عبد الله الخضير ، مكتبة دار المنهاج الرياض، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٦هـ.

١٨١- الحزب الأعظم للملا على القاري، مراجعة عبد العزيز عبد الفتاح القاري، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٨٢- حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى الصوفي، الناشر:المكتبة السيفية، منديكس كهجورئ، بشاور، باكستان.

١٨٣- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، لعبد الرحيم السُّلمي، دار المعلمة الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

١٨٤- حقيقة التوحيد والفروق بين الربوبية والألوهية، لعلى بن نفيع العلياني، دار الوطن، طبعة عام١٤١٩هـ.

١٨٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لابن نعيم الأصفهاني دار الفكر بيروت، لبنان، طبعة عام ١٤١٦هـ.

١٨٦- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، تصنيف محمد بن إبراهيم الشيباني، الدار السلفية الكويت، الطبعة الأولى، عام١٤٠٧هـ.

١٨٧- خبر الواحد وحجيته، تأليف أحمد بن محمودعبد الوهاب الشنقيطي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

١٨٨- الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، لأحمد ابن حجر الهيتمي تعليق محمد عاشق إلهي البرني، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

١٨٩- الدر المختار لمحمد علاء الدين الحصكفي مع رد المحتار لمحمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين الحنفي الشامي، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٩٠- الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، مصر، ١٤٢٤هـ، وطبعة دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ.

١٩١- درء تعارض العقل والنقل لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية، عام١٤١١هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

١٩٢- دراسات في الأديان (اليهودية والنصرانية) تأليف سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى، عام١٤١٨هـ.

١٩٣- درة الغواص في أوهام الخواص، لقاسم بن علي بن محمد الحريري،تحقيق عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، دار الجليل بيروت، لبنان، ومكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

١٩٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف ابن حجر، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

١٩٥- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عرض ونقد، تأليف عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٩٦- دلائل الخيرات لمحمد سليمان الجزولي، المكتبة الرحمانية بشاور، إقليم سرحد باكستان.

١٩٧- دلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

١٩٨- دمعة على التوحيد حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة(مجموعة من البحوث حول التوحيد) الناشر: سلسلة كتاب المنتدى الإسلامي، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٢هـ.

١٩٩- ديوان عنترة مع شرحه، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، سنة الطباعة ١٤١٦هـ.

٢٠٠- ديوان لبيد بن ربيعة مع شرح الطوسي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٠١- الديوبندية، تعريفها، عقائدها، تأليف سيد طالب الرحمن، دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٢٠٢- الذخيرة في فروع المالكية لأحمد بن إدريس القرافي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٤م.

٢٠٣- رحيق المختوم تأليف صفي الرحمن المباركفوري، دار المؤيد، الرياض، سنة الطباعة ١٤٢٢هـ.

٢٠٤- رد المحتار على الرد المختار شرح تنوير الأبصار، محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٢٠٥- الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق زهير الشاويش، مكتب الإسلامي بيروت، عام ١٤١١هـ.

٢٠٦- رسالة الشرك ومظاهره لمبارك بن محمد الميلي، تحقيق أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٢٠٧-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي البغدادي الحنفي، تصحيح محمد حسين العرب، دار الفكر بيروت لبنان.

٢٠٨- الروح لمحمد بن أبي بكر ابن القيم تحقيق بسام علي سلامة العموش، دار ابن تيمية الرياض، ١٤٠٦هـ، ونسخة اعتناء صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان ١٤٢٥هـ.

٢٠٩- الروض المربع للمنصور بن يونس البهوتي شرح زاد المستقنع لابن النجا موسى الحجاوي ، تحقيق عبد الله الطيار، و إبراهيم الغصن، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٢١٠- روضة الطالبين للنووي تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الخاصة، عام ١٤٢٣هـ.

٢١١-روضة المحبين ونزهة المشتاقين لمحمد بن أبي بكر ابن القيم تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٢١٢- زاد المعاد في هدي خير العباد ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٨هـ.

٢١٣- الزهد الإمام أحمد بن حنبل تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٢١٤-زوائد ابن ماجة على الكتب الخمسة لشهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، بتحقيق محمد مختار حسين ، نشر دار الكتب العلمية، ط: ١ عام ١٤١٤هـ.

٢١٥-الزواجر عن اقتراف الكبائر لأحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي، دار المعرفة بيروت لبنان.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٢١٦- سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تعليق فواز أحمد زمرلي، وإبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٧هـ.

٢١٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى.

٢١٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيء في الأمة، تأليف محمد ناصر الدين لألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى.

٢١٩- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل محمد خليل المرادي، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٢٢٠- سنن ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه)، بتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، باعتناء مشهور حسن، مكتبة المعارف الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٢٢١- سنن أبي داود(سليمان بن الأشعث السجستاني)، بتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، باعتناء مشهور حسن، مكتبة المعارف الرياض السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٧هـ.

٢٢٢- سنن الترمذي(محمد بن عيسى)، بتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، باعتناء مشهور حسن، مكتبة المعارف الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٢٢٣- سنن الدارمي لأبي محمد عبدا لله بن عبد الرحمن الدار مي تحقيق حسين سليم لداراني دار المغني الرياض الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

٢٢٤- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ، وطبعة دار الفكر بيروت، لبنان.

٢٢٥- السنن المأثورة للإمام الشافعي ، توثيق وتعليق عبد المعطي قلعجي، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٢٢٦- سنن النسائي(أحمد بن شعيب) بتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، باعتناء مشهور حسن، مكتبة المعارف الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٢٢٧- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، لمحمد عبد السلام الشقيري، المطبوع بمطبعة المدني بالقاهرة سنة الطباعة١٣٨١هـ.

٢٢٨- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحيقي شعيب الأرنؤوط وجماعة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٢٩- شذارات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ومحمد الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ.

٢٣٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق سيد عمران، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٢٣١- شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح الفوزان، باعتناء عبد السلام السليمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٣٢- شرح السنة للأمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام١٣٩٠ هـ.

٢٣٣- شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، عام ١٤١٨هـ.

٢٣٤- شرح الملا علي بن سلطان القاري على الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٤١٤هـ.

٢٣٥- شرح خليل الهراس على الكافية الشافية لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

٢٣٦- الشرح الكبير لأبي الفرج عبد الرحمن ابن قدامة، مع المقنع لموفق الدين أحمد ابن قدامة، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين علي بن سليمان

المرداوي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

٢٣٧- شرح محمد بن عبد الباقي الزرقاني على المواهب اللدنية لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، بتحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧، وطبعة دار المعرفة، ١٤١٤هـ.

٢٣٨- الشرح الميسر على الفقهين الأبسط، والأكبر لمحمد عبد الرحمن الخميس، مكتبة الفرقان، عجمان، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٢٣٩- شرح ثلاثة أصول لابن عثيمين إعداد فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٦هـ.

٢٤٠- شرح حدود ابن عرفة الموسوم بالهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية لمحمد الأنصاري الرصاع، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الأولى عام ١٩٩٣م.

٢٤١- شرح صحيح البخاري لعلي خلف ابن بطال، تحقيق أبو تميم ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٢٤٢- شرح علل الترمذي لعبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، تحقيق نور الدين عتر، دار الملاح الطبعة الأولى، عام ١٣٩٨هـ.

٢٤٣- شعب الإيمان لأسعد محمد سعيد الصاغرجى، دار الكلم الطيب، بيروت، سنة الطباعة ١٤١٨هـ.

٢٤٤- شعب الإيمان لعبد الجليل بن موسى القصري، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٤٥- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق ابن هاجر زعلول،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام١٤١٠هـ وبتحقيق مختار الندوي، الدار السلفية، بومبائي، الهند، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٤٦- شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، المطبعة الكبرى ببولاق مصر سنة ١٣١٨هـ.

٢٤٧- شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور لمرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق جمال حبيب صلاح، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٢٤٨-الشفاء بحقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، سنة الطباعة ١٤٠٤هـ.

٢٤٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب بيروت لبنان سنة الطباعة ١٤٠٣هـ.

٢٥٠- الصارم المنكي في الرد على السبكي، تأليف محمد بن أحمد عبد الهادي، تحقيق عقيل بن محمد بن زيد المقري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ.

٢٥١- صبح الأعشى لأبي العباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، سنة ١٣٣١هـ.

٢٥٢- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٢٥٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤٠٨هـ.

٢٥٤- صحيح الأدب المفرد لمحمد ناصر الدين لألباني، مكتبة الدليل، السعودية، سنة الطباعة١٤١٨هـ.

٢٥٥- صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري مع فتح الباري لأحمد بن حجر العسقلاني، دار السلام السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

٢٥٦- صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي، دار النفائس الأردن، الطبعة الرابعة.

٢٥٧- صحيح سنن ابن ماجه لمحمد ناصر الدين الألباني مكتبة دار المعارف الرياض، الطبعة الأولى.

٢٥٨- صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان.

٢٥٩- صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة دار المعارف الرياض، الطبعة الأولى.

٢٦٠- صحيح سنن النسائي لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة دار المعارف الرياض، الطبعة الأولى.

٢٦١- صحيح فقه السنة لأبي مالك كمال السيد سالم، المكتبة التوقيفية، مصر.

٢٦٢- صحيح مسلم مع شرحه للنووي، تحقيق مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثانية عشر، عام ١٤٢٧هـ.

٢٦٣- الصواعق المرسلة لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق علي محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى.

٢٦٤- صيانة الإنسان عن وسوسة الدحلان للشيخ بشير السهسواني، المطبوع بنفقة آل جميح، الطبعة الخامسة، عام ١٣٩٥هـ

٢٦٥- الضعفاء الصغير، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري دراسة وتحقيق عبد العزيز عز الدين السر وان، دار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ. وتحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

٢٦٦- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ.

٢٦٧- الضعفاء والمتروكون لعلي بن عمر الدارقطني، دراسة وتحقيق عبد العزيز عز الدين السروان، دار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٦٨- الضعفاء والمتروكون لأحمد بن شعيب النسائي دراسة وتحقيق عبد العزيز عز الدين السروان، دار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٦٩- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، ودار الجليل بيروت، لبنان عام ١٤١٢هـ.

٢٧٠- ضوابط تكفير المعين، تأليف عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، طبعة المؤلف، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٥هـ.

٢٧١- ضياء الصدور لمنكري التوسل بأهل القبور لظاهر شاه السواتي، ضميمة مع الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق، تأليف جميل أفندي صدقي الزهاوي، وقف الإخلاص تركيا أستنبول(صورة من طبعة الواعظ بمصر سنة ١٣٢٣هـ).

٢٧٢- ضياء النور من إحياء السنة، لدحض الفجور وإماتة البدعة تأليف الشيخ محمد طـــاهر الفنجفيري، المكتبة السيفية سوات، سرحد باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـــ.

٢٧٣- طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبـــة وهبـــة، مصر، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٣هـــ.

٢٧٤- طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص لأحمد بن محمد الزبيدي، الدار اليمنية، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـــ.

٢٧٥- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي النصر عبد الوهاب الـــسبكي تحقيـــق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى عام١٣٨٣هـــ، ودار هجر للطباعة مصر،الطبعة الثانية ١٤١٣هـــ.

٢٧٦- الطبقات الكبرى لمحمد ابن سعد، دار الصادر، بيروت، لبنان.

٢٧٧- طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـــ.

٢٧٨- الطرق الصوفية، نشأتها، وعقائدها، وآثارها، تأليف عبد الله بن دجين الـــسهلي، كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـــ.

٢٧٩- طريق الهجرتين وباب السعادتين لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيـــة، بتـــصحيح السيد محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبها القاهرة مصر، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٤هـــ.

٢٨٠- الطريقة المحمدية لمحمد البركوي، مطبعة غلام قادر كتب فروش، قصه خواني بازار بشاور، سنة الطباعة١٣٠٥هـــ.

٢٨١- الطيرة والفأل دراسة عقدية، تأليف سعاد بنت محمد السويد، طبعة المؤلفة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـــ.

٢٨٢- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لحافظ أبي بكر ابن العربي المالكي،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـــ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٢٨٣- العبر في خبر من غبر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٥هـ.

٢٨٤- العبودية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تعليق محمد رياض الأثري، عالم الكتب الرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.

٢٨٥- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني من علماء القرن السادس الهجري، تحقيق محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٢٨٦- عُقود الجُمَان في مناقب الأمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، لمحمد بن يوسف الصالحي الدمشقي الشافعي، مكتبة الإيمان السمانية، المدينة المنورة.

٢٨٧- علماء الشيعة يقولون، وثائق مصورة من كتب الشيعة، إعداد مركز إحياء تراث آل البيت، وموقع البرهان على شبكة الانترنت، الطبعة الثانية.

٢٨٨- العلماء هم الدعاة، لناصر بن عبد الكريم العقل، دار الراية الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٨٩- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب دار الشوف للنشر والتوزيع مصر،سنة الطباعة ١٩٩٢م.

٢٩٠- عمدة القاري لمحمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني شرح صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، ضبط نصوصه عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ، و طبعة دار الفكر عام ١٣٩٩هـ.

٢٩١- عون المعبود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي شرح سنن أبي داود السجستاني، ومعه تهذيب السنن لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٥هـ.

٢٩٢- العين والرقية والاستشفاء من القرآن والسنة لعطية سالم، تحقيق صفوت حمودة حجازي، طبعة المحقق، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٢٩٣- غاية الأماني في الرد على النبهاني لمحمود شكري الألوسي تعليق الداني منير آل زهوي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٦هـ.

٢٩٤- غريب الحديث لعبد الله بن مسلم ابن قتيبة بفهرسة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.

٢٩٥- غوث العباد لمصطفى أبي يوسف الحمامي الملحق بالبصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر لحمد الله جان الداجوي، طبعة (وقف الإخلاص) استانبول، تركيا، عام ١٤١٤هـ.

٢٩٦- فتاوى أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي(مخطوط) في مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة النبوية برقم (٢٥٨/٦٣).

٢٩٧- فتاوى الإمام العز بن عبد السلام(عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام) تحقيق عبد الرحمن عبد الفتاح، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

٢٩٨- الفتاوى البزازية لمحمد بن محمد الكردري على حاشية الفتاوى الهندية، دار الفكر بيروت، لبنان ، صورة من الطبعة الثانية (المطبعة الأميرية، بولاق) عام ١٤١١هـ.

٢٩٩- فتاوى الدين الخالص للشيخ أمين الله البشاوري، الناشر: معراج كتب خانه، قصة خواني بشاور باكستان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

٣٠٠- الفتاوى السعدية، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، من منشورات المؤسسة السعدية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٠١- فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، سنة الطباعة ١٣٩٩هـ.

٣٠٢- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.

٣٠٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب عبد الرزاق الدويش، نشر رياسة البحوث العلمية والإفتاء الرياض ، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٣٠٤- الفتاوى الهندية (العالمكيرية) في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تأليف مولانا الشيخ نظام وجماعة من العلماء، وبهامشه فتاوى قاضيخان، والفتاوى

البزازية، دار الفكر بيروت، لبنان، صورة من الطبعة الثانية (المطبعة الأميرية، بولاق) عام ١٤١١هـ.

٣٠٥- فتاوى فقه النوازل لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق يوسف أحمد دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٣٠٦- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب، تحقيق أبي معاذ طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٣٠٧-فتح القدير شرح الهداية في الفقه الحنفي لكمال الدين محمد بن عبد الواحد ابن الهمام، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٧هـ.

٣٠٨- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد تأليف عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، بتعليقات الشيخ ابن باز، والفقي ، دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٣٠٩- فتح المغيث لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي شرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة السلفية المدينة المنورة، ١٣٨٨، وبتحقيق علي حسن الهندي، إدارة البحوث بالجامعة السلفية، بنارس الهند، الطبعة الأولى، عام١٤٠٧هـ.

٣١٠- فتح الملك العزيز بشرح الوجيز لعلي بن البهاء الحنبلي، تحقيق عبد الملك ابن دُهيش، مكتبة النهضة الحديثية بمكة المكرمة الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

٣١١- فتح المنان تتمة منهاج التأسيس، رد صلح الإخوان لمحمود الألوسي الحنفي، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٣١٢- فتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البلازري، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٤٠٧هـ.

٣١٣- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لمحمد بن علان الشافعي، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

٣١٤-الفردوس بمأثور الخطاب لشيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق السعيد بن بسوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٣١٥-الفروع لأبي عبد الله محمد بن مفلح تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٣١٦- الفروق، وأنوار البروق في أنواء الفروق لأحمد بن إدريس القرافي، تحقيق عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٣١٧- فقه العبادات لابن عثيمين إعداد وتقديم عبد الله الطيار، الطبعة الأولى عام١٤٢٤ هـ.

٣١٨-الفوائد البهية في تراجم الحنفية لعبد الحي اللكنوي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

٣١٩- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة تأليف محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (صورة من مطبعة السنة المحمدية مصر)

٣٢٠-فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان.

٣٢١- فيض الباري شرح صحيح البخاري لمحمد أنور شاه الكشميري تحقيق أحمد عِزّو عناية، دار الضياء الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣٢٢-فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤف المناوي، بتعليقات نخبة من العلماء الأجلاء دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام١٣٩١هـ.

٣٢٣- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٣٢٤-القاموس الفقهي لغة واصطلاحا لسعدي أبو حبيب، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٣٢٥- القاموس المحيط تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي دار إحياء الترث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

٣٢٦- القبورية، نشأتها آثارها، وموقف العلماء منها((اليمن نموذجا)) تأليف أحمد إبن حسن المعلم، دار ابن الجوزي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢هـ.

٣٢٧-القرآن الكريم ومنزلته بين مخالفيهم، تأليف محمد هشام طاهري، دار التوحيد الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦م.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٣٢٨- قصيدة البردة (الدرة اليتيمة) للشيخ محمد البوصيري ضمن كتاب دلائل الخيرات لمحمد سليمان الجزولي، المكتبة الرحمانية، بشاور، باكستان.

٣٢٩- قواطع الأدلة لأبي مظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق عبد الله بن حافظ ابن أحمد الحكمي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، وبتحقيق محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.

٣٣٠- قواعد التحديث لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ، ودار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ.

٣٣١- القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي، تأليف محمد صفي الدين البخاري الحنفي، تحقيق سالم بن عبد الله الدخيل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٣٣٢- القول السديد على من أنكر تقسيم التوحيد تاليف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن عفان، الدمام، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٣٣٣- القول السديد لعبد الرحمن ابن سعدي، دار الوطن الرياض، سنة الطباعة ١٤١٢هـ.

٣٣٤- القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح العثيمين، دار العاصمة الرياض الطبعة الأولى.

٣٣٥- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بمراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٣هـ.

٣٣٦- الكافي لبي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٣٣٧- الكافية الشافية لمحمد بن أبي بكر ابن القيم مع شرحها توضيح المقاصد لابن عيسى المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.

٣٣٨- الكامل في التاريخ لأبي الحسن على بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، عام١٤٠٠هـ.

ح- فهرس المصادر، والمراجع

٣٣٩- الكامل في الضعفاء لعبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٣٤٠- كتاب الباقيات الصالحات الملحق بمفاتيح الجنان لعباسٍ القمي(الرافضي)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٨هـ.

٣٤١- كتاب البدع والحوادث لمحمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق علي جسن الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ.

٣٤٢- كتاب التعريفات الاعتقادية لسعد بن محمد آل عبد اللطيف، دار الوطن الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عام١٤٢٢هـ.

٣٤٣- كتاب التوحيد لمحمد بن إسحاق ابن منده تحقيق علي ناصر الفقيهي، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ..

٣٤٤- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لمحمد بن إسحاق ابن خزيمة، تعليق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٣٩٨هـ.

٣٤٥- كتاب الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن، الهند، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٢هـ.

٣٤٦- كتاب العين لخليل الفراهيدي، بترتيب وتحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٣٤٧- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لمحمد بن حبان البستي، تحقيق محمود إبراهيم الزائد، دار المعرفة بيروت، لبنان.

٣٤٨- كتاب المدلسين لحافظ أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، تحقيق رفعت فوزي، ونافذ حسين حماد، دار الوفاء بمصر، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

٣٤٩- كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور البهوتي، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٣٥٠- كشف الإلهي عن شديد العضف والموضوع والواهي، لمحمد بن محمد الحسني الطرابلسي السندروسي، تحقيق محمد محمود أحمد بكار، مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨.

٣٥١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق يوسف الحاج أحمد، مكتبة علم الحديث، سوريا دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٥٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي، الشهير بملا الكاتب الجلبي، المعروف بحاجي خليفة، دار الفكر بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٤٠٢هـ.

٣٥٣- الكفاية في معرفة أصول علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق إبراهيم الدمياطي، دار الهدى مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

٣٥٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، بتعليق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان الطبعة الثانية، عام ١٤١٩.

٣٥٥- الكواشف الجلية لعبد العزيز المحمد السلمان مكتبة الرياض الحديثية الرياض، الطبعة السادسة.

٣٥٦- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى) تأليف عبد الرؤف المناوي تحقيق محمد أديب الجادر، دار الصادر، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٩م.

٣٥٧- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٣هـ.

٣٥٨- لسان العرب لمحمد بن مكرم ابن منظور،(بترتيب المعجم)، بمراجعة وتصحيح نخبة من المتخصصين، دار الحديث القاهرة، عام ١٤٢٣هـ.

٣٥٩- لسان الميزان لأحمد بن علي ابن حجر تحقيق محمد عبد الرحمن المرغشلي دار إحياء التراث العربي، بيروت، عام ١٤١٦هـ.

٣٦٠- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، عام ١٤٢٠هـ، مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية الرياض، سنة الطباعة ١٤٢٤هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٣٦١-لوائح الأنوار السَّنِيَّة ولواقح الأفكار السُّنِّيَّة لمحمد بن أحمد السفاريني، شرح قصيدة عبد الله ابن أبي داود الحائية، تحقيق عبد الله البصيري، مكتبة الرشـــد الـــسعودية الطبعة الأولى، عام١٤١٥هـــ.

٣٦٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضية في عقد الفرقـــة المرضية لمحمد بن أحمد السفاريني، دار الخافقين، دمشق.

٣٦٣- الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، لشمس الدين السلفي الأفغاني، مكتبة الصديق الطائف، الطبعة الثانية، عام ١٤١٩هـــ.

٣٦٤- المبتدعة وموقف أهل السنة والجماعة منهم، تأليف محمد يـــسري، دار الطيبـــة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـــ.

٣٦٥-المبسوط لأبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي تحقيق محمد حسن الـــشافعي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام١٤٢١هـــ.

٣٦٦- مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، تأليف عبد العزيز بن فيـــصل الراجحي، دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـــ.

٣٦٧-مجمع ا لزوائد ومنبع الفوائد للحافظ على بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٤١٤هـــ.

٣٦٨- مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر لعبد الرحمن بن محمد الكليبولي شيخي زادة الحنفي، مع در المنتقى في شرح الملتقى لمحمد بن علي الحصكفي، تخريج خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـــ.

٣٦٩- مجمع البحرين في زوائد المجمعين(الأوسط والصغير للطبراني) لعلي بن أبي بكـــر الهيثمـــي، بتحقيق عبد القدوس بن محمد نذير، مكتبة الرشد الرياض السعودية، الطبعة الأولى، عـــام ١٤١٣هـــ.

٣٧٠- مجمل اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤســـسة الرســـالة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـــ.

٣٧١- المجموع الثمين من فتاوى محمد بن صالح العثيمين، جمع فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا الرياض.

ح- فهرس المصادر، والمراجع

٣٧٢-المجموع شرح المهذب ليحيى بن شرف النووي، تحقيق عـادل عبـد الموجـود وزملاؤه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٧٣- مجموع فتاوى ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمـد، وزارة الشئون الإسلامية السعودية، ١٤٢٥هـ، ومجمع الملك فهد للطباعة المـصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤١٦هـ.

٣٧٤- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين جمع فهد بن ناصر السليمان دار الثريا الرياض، الطبعة الثانية، عام١٤٢٣هـ.

٣٧٥- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز، جمع وترتيب محمد سعد الشويعر، إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض، الطبعة الرابعة، عام ١٤٢٣هـ.

٣٧٦-مجموعة الرسائل المنيرية، فيها عدة رسائل للعلماء الأجلاء ، إدارة الطباعة المنيرية، سنة الطباعة ١٣٤٦هـ.

٣٧٧- محاضرات في العقيدة والدعوة تأليف صالح بن فوزان الفوزان، إردارة البحـوث العلمية والإفتاء الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٣٧٨- محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني، تأليف سمير بن أمين الزهيري، دار المغني الرياض السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٤٢١هـ.

٣٧٩- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق محمـد عجاج الخطيب، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٤هـ.

٣٨٠- المحرر الوجيز لعبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبـد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة، ١٤٢٢هـ.

٣٨١-المحرر في الفقه لمجد أبي البركات دار الكتاب العربي بيروت، لبنان .

٣٨٢- المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن إسماعيل ابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنـداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ.

٣٨٣-المحيط البرهاني في الفقه النعماني لأبي المعالي محمود بن أحمد ابن مـازة البخـاري الحنفي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٣٨٤-المحيط في اللغة تأليف الصاحب إسماعيل بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ.

٣٨٥- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مكتبة لبنان — لبنان. سنة الطباعة ١٩٩٢م.

٣٨٦- مختصر الصواعق المرسلة لمحمد بن أبي بكر ابن القيم اختصار محمد الموصلي تحقيق د. حسن العلوي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٣٨٧- مختصر منهاج القاصدين تأليف الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مؤسسة السليمان الراجي الخيرية الرياض، سنة الطباعة ١٤٢٤هـ.

٣٨٨- مدارج السالكين لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٣٩٢هـ.

٣٨٩-المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النيسابوري، تحقيق ربيع بن هادي المدخلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٤هـ.

٣٩٠- مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٩١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان، تأليف أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني، مع حواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٣٩٢- المراسيل لبعد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، تعليق أحمد عصام الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٤٠٣هـ.

٣٩٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، عام ١٤١٤هـ.

٣٩٤- المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٣٩٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه كنز العمال في السنن والأعمال والأفعال (الحجرية).

٣٩٦- مسند أبي يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٩٧- مشاهير علماء نجد وغيرهم، تأليف عبد الرحمن بن عبد الله آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٤هـ.

٣٩٨- المصباح المنير لأحمد الفيومي، المطبعة الأميرية، بالقاهرة، الطبعة الخامسة، عام ١٩٢٢م.

٣٩٩- المصنف لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة علوم القرآن بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ.

٤٠٠- المصنف للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٣هـ.

٤٠١- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع لملا علي القاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٣٩٨هـ.

٤٠٢- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لأحمد بن علي ابن حجر، تنسيق سعد بن ناصر الشثري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٠٣- مع شيخنا ناصر السنة والدين، محمد ناصر الدين الألباني، تأليف علي حسن الأثري طبعة المؤلف.

٤٠٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول، تأليف حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق سيد عمران، وعلي محمد علي، دار الحديث القاهرة مصر،سنة الطباعة ١٤٢٠هـ.

٤٠٥- معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي تحقيق محمد النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش دار الطيبة الرياض الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

٤٠٦- معالم السنن شرح سنن أبي داود، تأليف حمد بن محمد الخطابي البستي، تخريج عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ، الطبعة الأولى،١٤١١هـ.

٤٠٧- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، لمحمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، عام ١٤١٩هـ.

٤٠٨- معجم الأدباء لياقوت الحموي الرومي، دار الفكر بيروت، لبنان الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٠هـ.

٤٠٩- معجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١٠- معجم الصغير لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، بالمدينة المنورة، عام ١٣٨٨هـ.

٤١١- المعجم الصوفي، إعداد محمود عبد الرزاق، دار ماجد عسيري، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٤١٢- معجم الفرق الإسلامية، تأليف تامر عارف تامر، دار المسيرة، بيروت، لبنان، سنة الطباعة ١٩٩٠م.

٤١٣-المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى، الدار العربية للطباعة بغداد، ومكتبه ابن تيميه القاهرة.

٤١٤- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤١٥- المعجم المفصل في تصريف الأفعال العربية، تأليف محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ.

٤١٦- معجم المناهي اللفظية، ويليه فوائد الألفاظ تأليف بكر عبد الله أبي زيد دار العاصمة الرياض، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٧هـ.

٤١٧- المعجم الوسيط لجماعة من العلماء، المكتبة الإسلامية استانبول تركيا.

٤١٨- معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان بيروت.

٤١٩- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي بترتيب علي بن أبي بكر الهيثمي، وعلي بن عبد الكافي السبكي، مكتبة الدار، المدينة المنورة الطبعة الأولى.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٤٢٠- معرفة أنواع علوم الحديث لعثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح تحقيق عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

٤٢١- المغني في فقه الحج والعمرة تأليف سعيد بن عبد القادر باشنفر، دار ابن حزم بيروت لبنان، الطبعة التاسعة، عام ١٤٢٣هـ.

٤٢٢- المغني لابن قدامة تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو ، دار عالم الكتب الرياض، الطبعة الخامسة، عام ١٤٢٦هـ.

٤٢٣- مفاتيح الجنان للقمي لعباسٍ القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٨هـ.

٤٢٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تأليف احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٢هـ.

٤٢٥- مفتاح دار السعادة لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق علي حسن الأثري، دار ابن عفان الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٤٢٦- مفردات ألفاظ القرآن، تأليف الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم دمشق سوريا، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٣هـ.

٤٢٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق محي الدين مستو وزملاؤه، دار ابن كثير بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

٤٢٨- المقاييس في اللغة لأحمد ابن فارس تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٨هـ.

٤٢٩- مقدمة ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد) دار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، عام ١٩٨٩م.

٤٣٠- المقنع لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، ومعه الشرح الكبير لأبي الفرج عبد الرحمن ابن قدامة، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين

علي بن سليمان المرداوي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض السعودية، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ.

٤٣١- المنار المنيف في الصحيح والضعيف لمحمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقسق عبد الرحمن المعلمي، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى، عان ١٤١٦هـ.

٤٣٢- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا لعبد الرحمن السيوطي، تحقيق سمير القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ.

٤٣٣- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الرزقاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٥هـ.

٤٣٤- منة الجليل في إسقاط ما على الذمة من كثير وقليل، لمحمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين، ضمن رسائل ابن عابدين(بدون ذكر المطبعة).

٤٣٥- المنتظَمْ في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ.

٤٣٦- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن برجيس، تأليف عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ مع تتمته فتح المنان لمحمود شكري الألوسي، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٦هـ.

٤٣٧- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١١هـ.

٤٣٨- المنهاج شرح يحيى بن شرف النووي على صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق خليل مأمون شيخا، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عشر، عام ١٤٢٧هـ.

٤٣٩- المنهاج في شعب الإيمان للحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق حليمي محمد فودة، دار الفكر بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٩هـ.

٤٤٠- منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، تأليف أحمد بن عبد الرحمن الصويان، مجلة البيان، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٢هـ.

٤٤١-المنور في راحج المحرر للأدمي، دار البشائر الإسلامية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ.

٤٤٢-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية لأبي العباس أحمد بن علي المقريزي، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

٤٤٣- الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق مشهور حسن، دار ابن عفان، الخبر، السعودية ، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

٤٤٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة بإشراف د.مانع الجهني دار الندوة الرياض، الطبعة الخامسة، عام ١٤٢٤هـ.

٤٤٥- موضوعات الصغاني تأليف الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، طبعة المحقق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٤٤٦- الموضوعات لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي تحقيق الدكتور نور الدين جيلار، أضواء السلف ١٤١٨هـ، وبتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٣هـ.

٤٤٧- موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع، تأليف إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، عام ١٤٢٥هـ.

٤٤٨- موقف شيخ الإسلام من تقديس الأماكن والأزمان، تأليف أبي بكر صار سنغالي الجنسية، وهو بحث علمي مقدم لنيل درجة العالمية (الماجستير) بقسم العقيدة، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٤٤٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤٥٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تغري بردي الأتابكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ.

٤٥١- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، تأليف عبد الحي الكنوي، إدارة تأليفات أشرفية، ملتان، باكستان، سنة الطباعة ١٤١٢هـ.

٤٥٢- نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض لأحمد الخفاجي المصري، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان.

٤٥٣- النكت على كتاب ابن الصلاح لأحمد بن علي ابن حجر، تحقيق ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان، مصر، سنة الطباعة ١٤٢٤هـ.

٤٥٤- نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤هـ، وبتحقيق محمد رفعت فتح الله إبراهيم، المكتبة العربية، بمصر، سنة الطباعة ١٣٩٥هـ.

٤٥٥- النهاية في غريب الحديث للمبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطنطاوي المكتبة الإسلامية.، وبتحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٧هـ.

٤٥٦- نهج البلاغة، (فيها مجموعة من الخُطَب المنسوبة إلى علي بن أبي طالب ﷺ)، جمع الشريف الرضي، مؤسسة المختار القاهرة مصر، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٧هـ.

٤٥٧- نوا قض الإيمان القولية والعملية تأليف عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، مدار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، عام ١٤١٥هـ.

٤٥٨- نيل السائرين في طبقات المفسرين تأليف الشيخ محمد طاهر بن آصف، مركز إشاعة التوحيد والسنة، پنج پير، ضلع مردان صوبه سرحد ، باكستان.

٤٥٩- هداية القاري على صحيح البخاري، لمفتي محمد فريد الزربوي، المكتبة الحقانية، بشاور باكستان، و صديقية كتب خانة أكوره ختك، نوشهره باكستان.

٤٦٠-الهداية شرح البداية المبتدئ للمرغيناني مع شرح عبد الحي اللكنوي، نشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي باكستان.

٤٦١- هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان، أو هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة، تأليف محمد سلطان المعصومي الخجندي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن القيم، الدمام السعودية، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٤٦٢- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي، دار العلوم الحديثة، بيروت، صورة من الطبعة التركية ١٩٨١م.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٤٦٣- هذه مفاهيمنا، تأليف صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، رد على كتاب مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد بن علوي المالكي، إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة الثالثة،١٤٢٢هـ.

٤٦٤- الوافي بالوفيات لصلاح الدين بن أيبك الصفدي، النشرات الإسلامية بألمانيا، وبتحقيق أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٦٥-الوجيز في الفقه للحسين بن يوسف ابن أبي السرى الدُّجيلي، تحقيق مركز البحث العلمي بمكتبة إمام الدعوة العلمية، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

٤٦٦- وفاء الوفاء لنور الدين علي بن أحمد السمهودي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، إحياء التراث بيروت، لبنان ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣خـ.

٤٦٧- وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،بيروت، لبنان.

ثانيا: المراجع غير العربية.

٤٦٨- ابتدائي دينيات(المبادئ الدينية) (بالأردية) لسيد فرمان علي، الناشر: (جريدة) ذوالفقار نصف شهرية، الطبعة الخامسة، عام ٢٠٠٦م.

٤٦٩- آپ کے مسائل اور اُن کا حل (مسائلكم وحلّها) لمحمد يوسف اللديانوي، الناشر: مكتبة اللديانوي، كراتشي، باكستان، سنة الطباعة ١٩٩٧م.

٤٧٠- أحسن الحكايات(حُكُلي قصي)ترتيب مفتي عاصم عبد الله، قام بترجمته إلى اللغة البشتو محمد خليل، الناشر: المكتبة الفاروقية، بشاور إقليم سرحد، باكستان.

٤٧١- أحكام ميت (أحكام الميت) (بالأردية) للشيخ الدكتور محمد عبد الحي عارفي، إدارة المعارف، كراتشي، باكستان، سنة الطباعة ١٤٢٣هـ.

٤٧٢- اختلاف امت او صراط مستقيم،(اختلاف الأمة والصراط المستقيم) لمحمد يوسف اللديانوي، قام بترجمته إلى البشتو فقير محمد عباس قادرية، الناشر: وحيدي كتب خانة، بشاور، باكستان.

ح- فهرس المصادر، والمراجع

٤٧٣- اختلاف امت اور صراط مستقيم (اختلاف الأمة والصراط المستقيم) (بالأردية) لمحمد يوسف اللديانوي، الناشر: مكتبة المدينة، لاهور، باكستان.

٤٧٤- اختلافي مسائل كاحل (حل المسائل الخلافية) لمحمد أشرف چشتى ترجمة مسائل كثر حولها النقاش والجدل تصنيف سيد زين آل سميط للمترجم محمد أشرف جشتي، الناشر: المكتبة الضيائية، راولبندي، باكستان، الطبعة الأولى، عام:٢٠٠٠م.

٤٧٥- آداب مباشرت(آداب المباشرة)(البشتو) للدكتور آفتاب أحمد شاه، الناشر: أكرمية كتب خانة، بشاور، باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٤م.

٤٧٦- آذان رسالت (آذان الرسالة)، (بالأردية)تصنيف: ميرويس خان شموزئي، طبعة المصنف، سنة الطباعة ٢٠٠٢م.

٤٧٧- إرشاد السلوك مع دعاءِ حزب البحر، ودعاءِ السرياني، والسلسلة القادرية الغفورية (بالأردية) لخان بهادر مارتونجي، الناشر: المكتبة الرحمانية، بشاور باكستان.

٤٧٨- آسان ومجرب حاضرات، (الطرق السهلة والمجربة للإحضار)، (بالأردية) تأليف صوفي محمد نديم محمدي، الناشر: مكتبة الروحانيات، كراتشي باكستان.

٤٧٩- أسماء إلهي كے عمليات(عمل الأسماء الإلهية) لصوفي محمد نديم، الناشر: مكتبة الروحانيات، كراتشي باكستان.

٤٨٠- أعمال روحاني (الأعمال الروحانية)، أوراد ووظائف (بالأردية) إفادات عبدالحق باني دار العلوم حقانية أكوڑه، تأليف شوكت علي الحقاني، الناشر: مكتبة شاه ولي الله أكوڑه خٹك، إقليم سرحد باكستان.

٤٨١- أكابر علماء ديوبند، (بالأردية) تأليف محمد أكبرشاه البخاري، الناشر: إدارة إسلاميات لاهور باكستان، سنة الطباعة ١٩٩٩م.

٤٨٢- الأكل من أهل بيت الأموات في ميزان السنة والكتاب (بالبشتو) لعبد الصبور، الناشر: إدارة التعليمات، نوشهره، إقليم سرحد باكستان، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٤م.

٤٨٣- أنوار الإيمان (بالبشتو) حافظ مطيع الله، الناشر: دار الإخلاص، بشاور، إقليم سرحد، باكستان، الطبعة الثانية، عام١٤٢٥هـ.

ح- فهرس المصادر، والمراجع

٤٨٤- أنوار الحق في جواب إظهار الحق (بالأردية، والعربية)تأليف مفتي قاضي شمس العارفين، الناشر:دار الإفتاء دار العلوم الرحمانية، بنون، إقليم سرحد باكستان.

٤٨٥- بدعت اور بدعتي(البدعة والمبتدع)، (بالأردية) لحافظ مؤمن خان عثماني، الناشر:دار الكتاب، أردو بازار لاهور، باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٤م.

٤٨٦- بهار تعويذات (ربيع التعاويذ) (بالبشتو) لحاجي حليم السرحدي سوات، الناشر: زيب آرٹ پبلشرز محله جنگي بشاور، سنة الطباعة ٢٠٠٥م.

٤٨٧- بياض السليماني تأليف صوفي محمد نديم محمدي،(بالأردية) الناشر: مكتبة الروحانيات كراتشي، وشمع بك إيجنسي لاهور باكستان.

٤٨٨- پاكستان كا جغرافية اور معيشت (جغرافية باكستان والمعيشة فيها) تأليف إحسان الله ثاقب، الناشر:هاليڈے بكس پبلشرز لاهور، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣م.

٤٨٩- پير بابا رحمة الله عليه كي سوانح حيات(حياه الشيخ المرشد علي الترمذي) (بالأردية) تصنيف سيد بهادر شاه، الناشر: دار العلوم إسلامية عاليه درگاه پير بابا(رباطة پير بابا) سنة الطباعة ٢٠٠٤م.

٤٩٠- تاريخ صوبه سرحد (تاريخ إقليم سرحد) (بالأردية)تأليف محمد شفيع صابر، الناشر: يونيورسيتي بُك إيجنسي پشاور (وكالة كتب الجامعة) إقليم سرحد في باكستان، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٦م.

٤٩١- تاريخ وتذكره خانقاه أحمديه سعيديه (تاريخ وذكريات الرباطة الأحمدية السعيدية)، (بالأردية)ترتيب محمد نذير رانجها، الناشر:جمعية پبليكيشنز، لاهور باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٥م.

٤٩٢- تبريد الخاطر في توضيح ذكر الذاكر (بالأردية) لأبي مقداد عبد المقدس بن ناصر بن نظر شاه، مكتبة روضة القرآن، قصه خواني بشاور باكستان.

٤٩٣- التحفة الصندلية (بالأردية) (روحاني وجسماني ...پريشانيوں كي إزالة ...(إزالة الهموم الروحانية والجسدية و...) لسيد محمود الصندلي المعروف بـ صندل باباجي، الناشر: مكتبة العرفان، الطبعة السادسة، عام ١٤٢٦هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٤٩٤- تحفة الطلباء (البشتو)، شرح قصيدة البردة، با ترجمة مخزن الإسلام، مصنف خادم خواجه حنفي ، الناشر: الصفة تعليمي إدارة، مدين سوات، إقليم سرحد باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٥م.

٤٩٥- تذكرة سادات علي ترمذي (ذكريات السيد الترمذي وأولاده) (بالأردية) لعارف شاه الناظري، الناشر:فيض كنگر ٹرسٹ كراتشي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ.

٤٩٦- تذكرة عاشق الرسول ﷺ محمد أمين فخر كشمير (بالأردية) تأليف تحسين الله، الناشر:إدارة النشر والإشاعة للجماعة الناجية، شار سدة إقليم سرحد، باكستان، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٧م.

٤٩٧- تسهيل البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر، ترجمة كتاب البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر للداجوي، قام بالترجمته إلى البشتو الحافظ كفاية الله الداجوي، الناشر: مظهري كتب خانة، يارحسين داجي، سرحد، باكستان.

٤٩٨- تصوف او سلوك (التصوف والسلوك) تأليف ذوالفقار أحمد النقشبندي، قام بترجمته إلى البشتو محمد قاسم المجددي، الناشر: مكتبة ذو الفقار العلوم، سرائي نورنك. إقليم سرحد باكستان، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٨م.

٤٩٩- تعليم الرفق في طلب الرزق(الأردية) لمحمد موسى روحاني بازي، ألناشر: إدارة تصنيف جامعة محمد موسى البازي، لاهور باكستان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٥٠٠- تعليم المتعلم طريق التعلم للإمام برهان الإسلام الزرنوجي، تلميذ صاحب الهداية، قام بترجمته إلى البشتو، القاري فضل كريم عارف، الناشر: المكتبة الرحمانية، بشاور، باكستان.

٥٠١- تعويذات سليماني(بالأردية) لصوفي محمد نديم محمدي، الناشر: مكتبة الروحانيات كراتشي، وشمع بك إيجنسي، لاهور، باكستان.

٥٠٢- تعويذات سليماني قام ترجمته إلى البشتو فقير محمد عباس قادرية، الناشر: زيب آرٹ پبلشرز محله جنكي بشاور، سنة الطباعة ١٩٩٦م.

٥٠٣-ثقافت سرحد (ثقافة إقليم سرحد) تأليف قاري جاويد إقبال، الناشر: الفيصل، تاجران كتب، لاهور باكستان.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٥٠٤- جاء الحق تأليف أحمديار خان نعيمي، الناشر: قادري پبلشرز، لاهور، باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٣م.

٥٠٥- جشن ميلاد النبي ﷺ كي شرعي حيثيت(الحكم الشرعي لعيد ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم) تأليف سيد همايون رشيد دار العلوم سيدو شريف، إقليم سرحد، باكستان.

٥٠٦- جعلي پير سيف الرحمن فتؤون كي شكنجي مين، (الشيخ المرشد المزور سيف الرحمن في قبضة الفتاوى) للمترجم راغب، الناشر: إقراء إسلامي كيست مركز، قصه خواني، بشاور، باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٦م.

٥٠٧- جواهر پاري (الملزمات الجواهرية) تصنيف محمد يوسف القريشي(بالأردية) الناشر: مؤتمر المؤلفين بالجامعة الأشرفية پشاور، إقليم سرحد باكستان، الطبعة الأولى عام٢٠٠٠م.

٥٠٨- حرز الغياث، وخواص حروف مقطعات القرآن الكريم، (عربي، فارسي) تأليف سعد الدين أنصاري، اهتمام: ميرمحمد حاجي، الناشر: تاج محل كمبني قصه خواني بشاور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ ش.

٥٠٩- حضرت أصحاب بابا ﷺ، وجهاد في سبيل الله (الأردية) ترتيب: أفسر ولي خان، الناشر: سجادة نشين نصر الله خان، ماصل خان، چغرمٹئ، بشاور، إقليم سرحد، باكستان.

٥١٠- حكايات عجيبه (الحكايات العجيبة ترجمة نوادر القليوبي) لأحمد بن سلامة القليوبي، قام بترجمته إلى البشتو محمد أمير الرحمن النعماني، الناشر: المكتبة الرحمانية، بشاور إقليم سرحد باكستان.

٥١١- الحياة الطيبة (پير بابا كي سوانح عمري بالأردية) للشيخ سيد عبد الغفور، الناشر: مكتب التحريك السني، گينٹه گهر، بشاور، باكستان.

٥١٢- حيلة الاسقاط حكمها ومفاسدها (البشتو)، للشيخ عبد الصبور، الناشر: إدارة التعليمات، نو شهرة سرحد باكستان، الطبعة الأولى، عام٢٠٠٤م.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٥١٣- خدائي ته جڑا(البكاء والتضرع إلى الله) ترجمة حزب الأعظم تأليف الملا علي القاري، قام بترجمته إلى اللغة البشتو معز الدين القادري، الناشر: المكتبة الإمدادية، بشاور إقليم سرحد باكستان، سنة الطباعة ١٤٢٦هـ.

٥١٤- خير الذاكرين (بالبشتو) لحكيم نعمة الله النقشبندي، القادري، الجشتي، النظامي، طبعة المؤلف.

٥١٥- خير المجالس (بالأردية) ملفوظات عبد السلام (پير سباق) تأليف محمد قاسم بن محمد أمير بجلي گهر، الناشر: المكتبة الرحمانية، محله جنگي بشاور باكستان١٤٢٢هـ.

٥١٦- دخداے نيازبين (أولياء الله المقربون المحترمون) تصنيف: فقير محمد عباس قادريه، الناشر: تاج محل كمبني، بشاور باكستان، ١٩٨٤م.

٥١٧- د دولسو مياشتو فضائل او أحكام(فضائل وأحكام الأشهر الاثني عشر) (مجموعة رسائل لمفتي عبد الكريم گمتهلوي، وأشرف علي التهانوي، ومفتي عبد الشكور الترمذي، قام بترجمته إلى البشتو سيف الحنان موسى زئي، الناشر: مكتبة روضة القرآن، قصه خواني، بشاور، باكستان.

٥١٨- دحق گنگوُسي (دندنة الحق) تأليف عبد الرحيم مسلم دوست، طبعة المؤلف.

٥١٩- الدر النظيم في حل مشكلات القرآن العظيم (البشتو) لمحمد نادر شاه، الناشر: مظهري كتب خانة يار حسين، داجيّ مردان، باكستان.

٥٢٠- درر الفرائد لملا غلام حيدر الحنفي الباكستاني(عربي فارسي بشتو)، الناشر: المكتبة النقشبندية، هلمند، أفغانستان، سنة الطباعة ٢٠٠٢م.

٥٢١- درُودِ مَاهِيْ(البشتو) يعني (صلاة الحوت أو السمكة)، ضميمة مع كتاب (مكمل كيميائي سعادت) المنسوب للغزالي، الناشر: محمد رفيق اينڈ سنز مين بازار منگوره سوات، باكستان.

٥٢٢- دشريعت او طريقت تلازم (تلازم الشريعة والطريقة) لمحمد زكريا الكاندهلوي قام بترجمته إلى البشتو عبد المالك الحقاني، الناشر:المكتبة الرحمانية، بشاور إقليم سرحد باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٠م.

ح- فهرس المصادر، والمراجع

٥٢٣- دعاء حزب البحر{الهامي دعاء} المنسوب إلى أبي الحسن الشاذلي، الناشر: مكتبة الرحمانية، بشاور، باكستان.

٥٢٤- دعائ حزب بحرية معه دعائ سرياني وسلسلة قادرية عفورية(الفارسي، البشتو)، (دعاء حزب البحر مع الدعاء السرياني، والسلسلة القادرية) كتبه نصير الحق خوازه خيلي، الناشر: حاجي مهران، تاجر كتب، سوق خوازه خيلة، سوات، إقليم سرحد، باكستان.

٥٢٥- دم درهه (الرقية) (بالبشتو) تأليف فقير محمد عباس قادرية، الناشر: نوراني كتب خانه، بشاور باكستان.

٥٢٦- دمونه او تعويذونه (الرقى والتمائم)لمحمد أشرف علي التهانوي (بالبشتو) المترجم سيف الحنان موسى زئي، الناشر: زيب آرٹ پبلشرز محله جنكي بشاور، سنة الطباعة ١٩٩١م.

٥٢٧- دوخت آواز، دتقريرونو ذخيره (نداءُ الوقت، ذخيرة الخُطَب) (البشتو) تأليف سعيد الرحمن ، الناشر: المكتبة الرحمانية، بشاور، باكستان١٤١٦هـ.

٥٢٨- ديوان محمد أمين أفغاني (البشتو)، الناشر: يونيورستي بك إيجنسي، خيبر بازار بشاور، باكستان.

٥٢٩- الذخائر لأهل البصائر تأليف كفاية الله الداجوي (البشتو)، مظهري كتب خانه، داجيّ مردان إقليم سرحد باكستان، سنة الطباعة٢٠٠٥م.

٥٣٠- رد وهابي(الرد على الوهابي) لمحمود بن المفتي عبد الغيور بشاوري (عربي، فارسي، بشتو) الناشر: (وقف الإخلاص) ، ومكتبة الحقيقة، استانبول تركيا، سنة الطباعة ١٤٠٨هـ .

٥٣١- رسالة قبرية(الرسالة القبرية) لمحمد فريد (بالبشتو) و(بالأردية) الناشر:كتب خانة رشيدية، فاروق أعظم چوك چارسده، إقليم سرحد باكستان، مؤتمر المصنفين بدار العلوم حقانية أكوره ختك، سرحد باكستان.

٥٣٢- رقية الحيات والعقارب (بالبشتو) لثاقب شاه ترتيب: سيد حبيب الله لاهوري ضلع صوابي، الناشر: مكتبة روضة القرآن، قصه خواني بشاور باكستان.الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ.

ح- فهرس المصادر والمراجع

٥٣٣- زاد السعيد في الصلاة على النبي الوحيد ﷺ مع نيل الشفاء بنعل المصطفى لأشرف علي التهانوي، قام بترجمته إلى البشتو حافظ معز الله الكشميري، الناشر: مكتبة ديوبند، بشاور باكستان، عام ١٩٩٨م.

٥٣٤- زيارة القبور(البشتو) لباد شاه گل، الناشر: مكتبة أمينية، قصه خواني بازار، بشاور باكستان.

٥٣٥- سچا فالنامه (العرافة الصحيحة، الصادقة) مع علم قيافه، (بالأردية) تأليف معظم جاويد بخاري، الناشر: روبي پبلي كيشنز، لاهور باكستان.

٥٣٦- السلسلة المباركة إرشاد مفتي محمد فريد (باللغة الأردية والبشتو)، الناشر: دار العلوم الصديقية، صوابئ، إقليم سرحد، باكستان.

٥٣٧- سيف المقلدين على أعناق المنكرين(عربي، فارسي) تأليف محمد عبد الجليل البشاوري، (الحجرية بشاورية).

٥٣٨- شريعت وطريقت كا تلازم، يعني تلازم الشريعة والطريقة (بالأردية) محمد زكريا الكاندهلوي، دار الإشاعة، كراتشي باكستان، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٨هـ.

٥٣٩- شمس المعارف الكبرى لأبي العباس أحمد بن علي البوني قام بترجمته إلى البشتو گل رحمن گل سواتي، الناشر: زيب آرٹ پبلشرز محله جنكي بشاور، سنة الطباعة ١٤١٤هـ.

٥٤٠- عالم ميں انتخاب پشاور (انتخاب بشاور في العالم) تأليف الدكتور السيد أمجد حسين، الناشر: نيو دار الأدب، بشاور صدر، ومكتبة (هندكو زبان) نشتر آباد بشاور باكستان، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٢م.

٥٤١- الفائدة الجميلة في الاستعانة والوسيلة(البشتو)، إفادات غلام محمد صادق، ترتيب عبد الرؤف (بالبشتو)، الناشر: كتب خانة رشيدية، تقاطع الفاروق الأعظم، شارسدة، إقليم سرحد، باكستان، الطبعة الثانية.

٥٤٢- فالنامه قرآن شريف (العرافة القرآنية) (بالبشتو)، الناشر: رحمن گل پبلشرز محله جنكي، بشاور، باكستان.

٥٤٣- فتاوى دار العلوم ديوبند للمفتي عزيز الرحمن(بالأردية)، الناشر: دار الاشاعت كراتشي باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠١م.

٥٤٤- فتاوى دار العلوم ديوبند للمفتي محمد شفيع (بالأردية)، الناشر: دار الاشاعت كراتشي باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠١م.

٥٤٥- فتاوى رشيدية (الفتاوى الرشيدية) تصنيف مفتي رشيد أحمد الجنجوهي، قام بترجمتها إلى البشتو فقير محمد عباس قادرية، الناشر: وحيدي كتب خانه، قصه خواني ، بشاور، باكستان، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٨م.

٥٤٦- فقهي كشكول (البشتو)تأليف حافظ رشيد أحمد حقاني زروبئي، الناشر: كتب خانة، أكرميه بشاور، الطبعة الثالثة.

٥٤٧- كشف المحجوب، لسيد علي الهجويري، المعروف بـ گنج بخش، قام بترجمته، فقير محمد عباس قادرية، الناشر: زيب آرٹ پبلشرز محله جنكي بشاور، سنة الطباعة ٢٠٠٣م.

٥٤٨- كمالات عزيزي (ببالاردية) ترتيب: ظهير الدين سيد أحمد ولي اللهي، الناشر: المكتبة الرحمانية لاهور، إقليم بنجاب باكستان، بدون سنة الطباعة ورقمها.

٥٤٩- كمالات عزيزي ترتيب: ظهير الدين سيد أحمد ولي اللهي، قام بترجمته إلى البشتو عبد الكريم صديقي، الناشر: المكتبة الرحمانية بشاور، إقليم سرحد باكستان.

٥٥٠- كنز الحسين لسيد غلام حسين روال (وهو كتاب في الرقى والتمائم) قام بترجمته إلى البشتو گل رحمن گل، الناشر: زيب آرٹ پبليشرز بشاور باكستان.

٥٥١- كيميائے سعادت (البشتو) المنسوب إلى أبي حامد الغزالي مع خاصيت أسماء الحسنى، الناشر: محمد رفيق اينڈ سنز مين بازار منگوره سوات، باكستان.

٥٥٢- مجموعة وظائف(العربية، الأردية) للقاري رضاء المصطفى الأعظمي، الناشر: المكتبة الرضوية، آرام باغ، كراتشي باكستان، سنة الطباعة ١٣٩٨هـ.

٥٥٣- محفل حاضرات (بالأردية) لصوفي محمد نديم محمدي، الناشر: مكتبة الروحانيات، كراتشي باكستان.

٥٥٤- مخزن الحسنات (وهو كتاب في التمائم والرقى بالبشتو) لفقير محمد عباس قادرية، الناشر: نوراني كتب خانة قصه خواني، بشاور باكستان، سنة الطباعة١٤١٠هـ.

٥٥٥- مخزن الدلائل في توضيح المسائل لمحمد فاضل عتيق، (فيه مجموعة من الرسائل)، الناشر: المكتبة الرحمانية، بشاور، باكستان.

٥٥٦- مقالات (بالبشتو) تصنيف المفتي محمد فريد مجددي، الناشر: كتب خانه رشيدية، فاروق أعظم چوك، شار سدة، صوبه سرحد باكستان.

٥٥٧- ملفوظات ومطالبات محمد أمين (بالأردية) تأليف تحسين الله، الناشر: الجماعة الناجية الصالحة، المجاهد آباد تشارسدة، سرحد باكستان.

٥٥٨- المنهاج الواضح يعني (راه سنت) (طريق السنة) لمحمد سر فراز خان صفدر، الناشر: مكتبة صفدرية، گجرانواله، باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٣م.

٥٥٩- المهند على المفند (عقائد علماء ديوبند) (عربي، فارسي) لخليل أحمد السهارنپورى، الناشر: المكتبة الرحمانية، قصه خواني، بشاور، باكستان، ونسخة أخرى بتحقيق سيد طالب الرحمن، طبعة المحقق، عام ١٤٢٦هـ.

٥٦٠- موكلات كي دنيا(عالم الموكلين) لصوفي محمد نديم محمدي، الناشر: مكتبة الروحانيات، كراتشي باكستان.

٥٦١- نامور شخصيات أور أُن كي أقوال(الأشخاص المشهورين وأقوالهم) (بالأردية) تأليف: زاهد حسين أنجم، الناشر: مكتبة امتياز أردو بازار، لاهور، باكستان.الطبعة الثانية عام ١٩٨٨م.

٥٦٢- نماز جعفرية (صلاة الشيعة الجعفرية) (بالأردية)لسيد منظور حسين نقوي، الناشر: افتخار بك ڈپو، إسلام پوره لاهور، باكستان.

٥٦٣- هداية السالكين في رد المنكرين (بالأردية) إفادات وإرشادات پير سيف الرحمن(مرشد الطريقة في باره)، الناشر: جامعة سيفية، كهجورئ خيبر، بشاور إقليم، سرحد باكستان الطبعة الأولى، عام ١٤١٦هـ.

٥٦٤- الوسيلة (بالأردية) للسيد همايون رشيد، الناشر: مسجد پير بابا، إقليم سرحد باكستان، سنة الطباعة ٢٠٠٢م.

٥٦٥- وظائف محمدية (بالأردية) لسيد حامد حسين، رضوي عشروي، كر بلائي ومشهدي، الناشر: رحمت الله بك إيجنسي، كراتشي، باكستان.

٥٦٦- وفات نامه (الوفاتية) (البشتو) تأليف سيد أبو عليشاه، الناشر: إسلامي كتب خانه، شارسدة، إقليم سرحد باكستان.

فهرس الموضوعات .

ط - فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

ط - فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

ط - فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

ط - فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

ط - فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

ط - فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

ط - فهرس الموضوعات

ط - فهرس الموضوعات

ط - فهرس الموضوعات

ط - فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

ط - فهرس الموضوعات

ط - فهرس الموضوعات

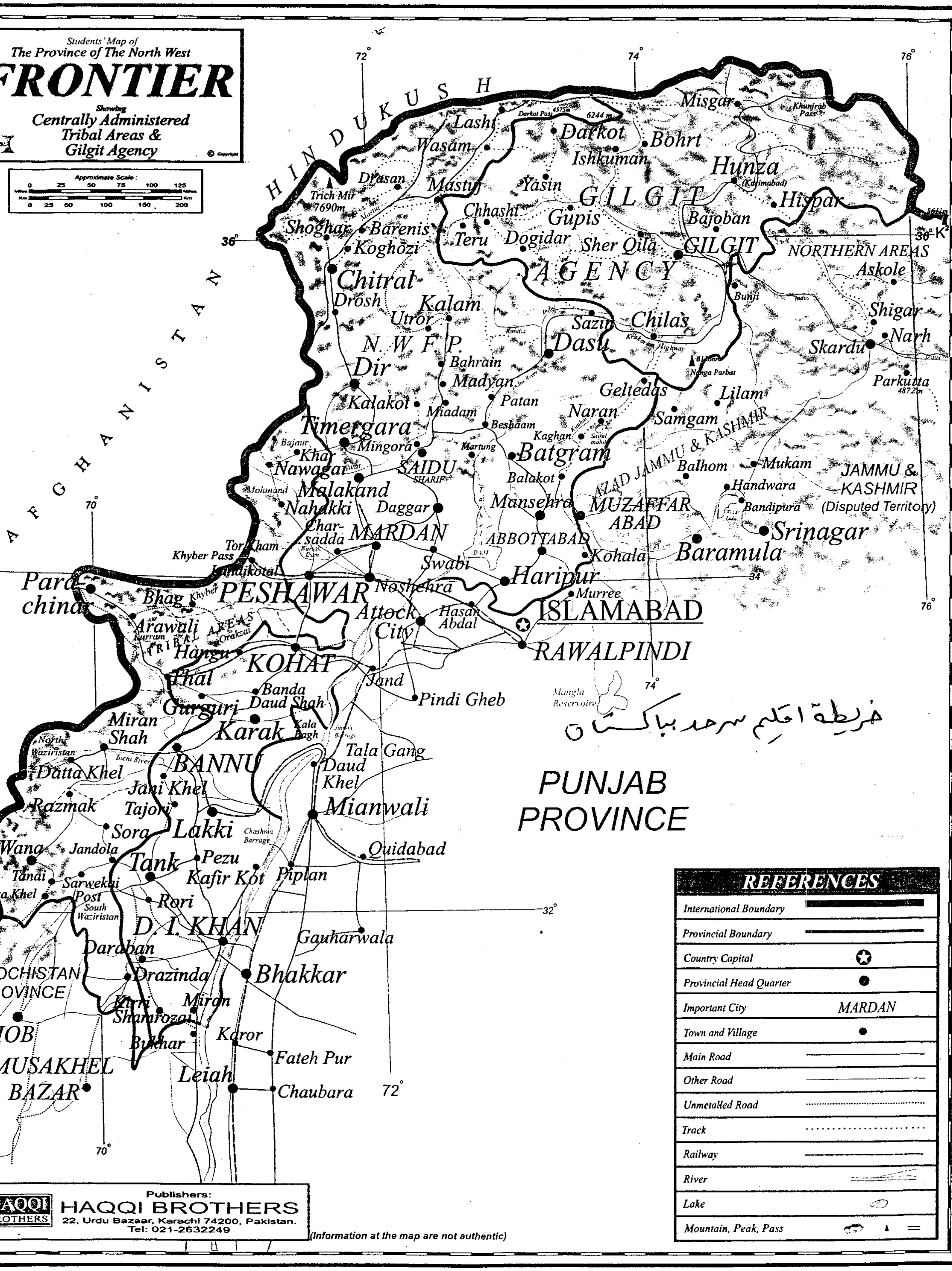
ط - فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

ط - فهرس الموضوعات

الملحقات

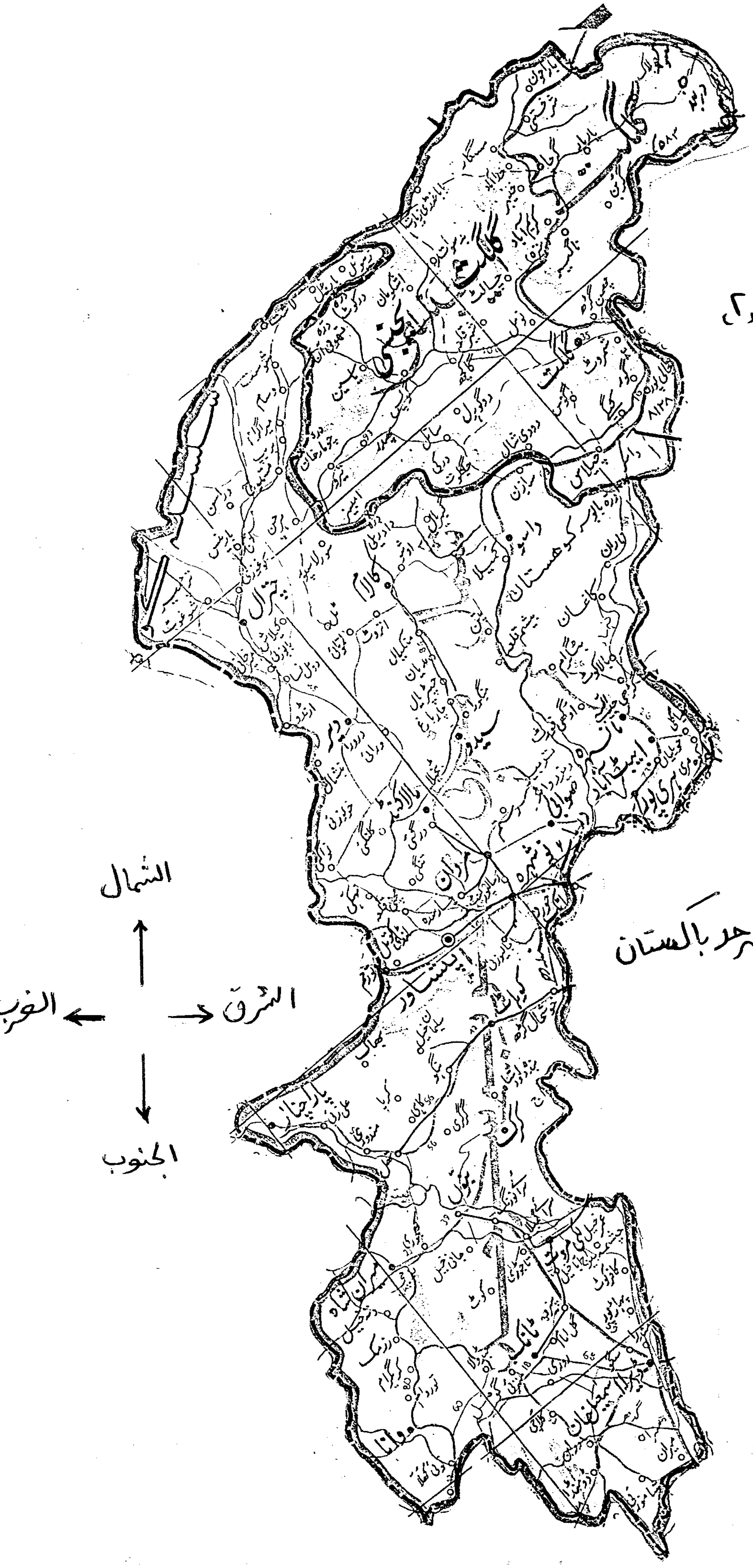
ملحق رقم "١١"



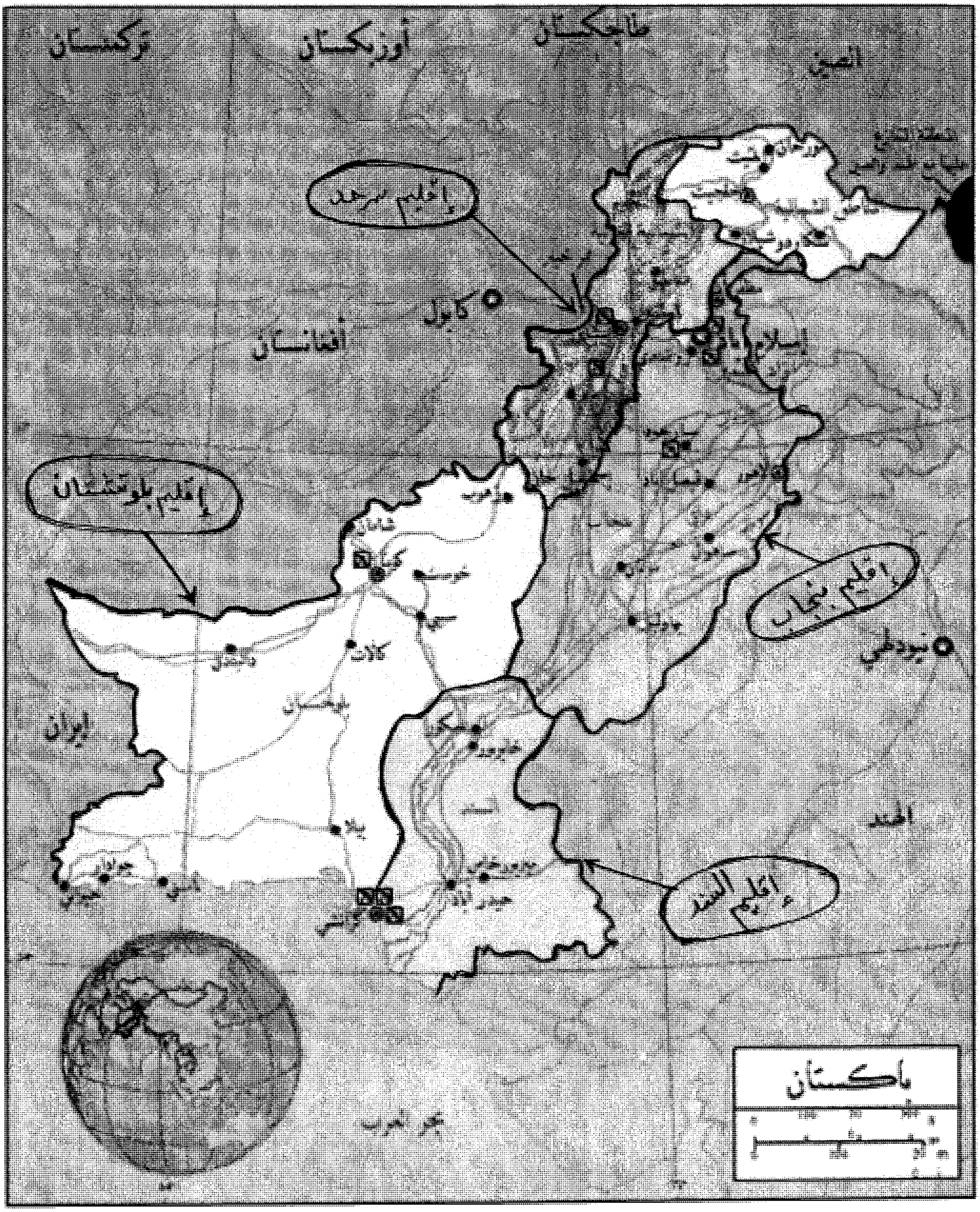
Students' Map of
The Province of The North West
FRONTIER
Showing
Centrally Administered
Tribal Areas &
Gilgit Agency
Approximate Scale :
HINDUKUSH
AFGHANISTAN
GILGIT
AGENCY
NORTHERN AREAS
N. W. F. P.
TRIBAL AREAS
AZAD JAMMU & KASHMIR
JAMMU & KASHMIR
(Disputed Territory)
PUNJAB
PROVINCE
خريطة اقليم سرحد باكستان
Misgar
Darkot
Bohrt
Ishkuman
Hunza
(Karimabad)
Hispar
Lasht
Wasam
Drasan
Mastuj
Yasin
Trich Mir
7690m
Chhashi
Gupis
Bajoban
Shoghar
Barenis
Teru
Dogidar
Sher Qila
GILGIT
Koghozi
Askole
Chitral
Drosh
Kalam
Utror
Bunji
Shigar
Sazin
Chilas
Narh
Skardu
Dasu
Dir
Bahrain
Madyan
Kalakot
Patan
Miadam
Geltedas
Lilam
Parkutta
Timergara
Naran
Samgam
Mingora
Besham
Kaghan
Bajaur
Khar
Nawagai
SAIDU
SHARIF
Martung
Batgram
Balhom
Mukam
Handwara
Malakand
Balakot
Nahakki
Daggar
Mansehra
MUZAFFAR
ABAD
Bandipura
Char-
sadda
MARDAN
ABBOTTABAD
Srinagar
Baramula
Torkham
Khyber Pass
Landikotal
Swabi
Kohala
Haripur
Parachinar
Bhag
PESHAWAR
Noshehra
Murree
ISLAMABAD
Attock
City
Hasan
Abdal
Arawali
Orakzai
Hangu
KOHAT
RAWALPINDI
Thal
Jand
Banda
Daud Shah
Pindi Gheb
Mangla
Reservoire
Gurguri
Karak
Kala
Bagh
Miran
Shah
North
Waziristan
Tala Gang
BANNU
Daud
Khel
Datta Khel
Jani Khel
Razmak
Tajori
Mianwali
Sora
Lakki
Chashma
Barrage
Wana
Jandola
Tank
Pezu
Quidabad
Tanai
Sarwekai
Post
Kafir Kot
Piplan
Rori
South
Waziristan
D. I. KHAN
Gauharwala
Daraban
Drazinda
Bhakkar
BALOCHISTAN
PROVINCE
Kirri
Sharmrozai
Miran
ZHOB
Bulhar
Karor
Fateh Pur
MUSAKHEL
BAZAR
Leiah
Chaubara
72°
74°
76°
36°
34°
32°
70°
REFERENCES
International Boundary
Provincial Boundary
Country Capital
Provincial Head Quarter
Important City
MARDAN
Town and Village
Main Road
Other Road
Unmetalled Road
Track
Railway
River
Lake
Mountain, Peak, Pass
Publishers:
HAQQI BROTHERS
22, Urdu Bazaar, Karachi 74200, Pakistan.
Tel: 021-2632249
(Information at the map are not authentic)

ملحق رقم ٢

خريطة إقليم سرحد باكستان



ملحق رقم (٣)



"MAGELLAN Geographix (800) 929-4627 www.maps.com"

خريطة باكستان السياسية